

# THE BOOK WAS DRENCHED



1905-1906







الجزء الاول من كتاب

# امالى السيد الرضى

الشرىف أبى القاسم على بن الطاهر أبى أحد الحسيناتوفى سنة ٤٣٦هـ رضى الله عنه

فى التفسىر والحديث والادب

الطبعة الاولى

( سنة ١٣٢٥ هـ سنة ١٩٠٧ م )

( على نفقة احمد ناجى الجمالى ومحمد أمين الخانجى وأخيه )

« حقوق الطبع محفوظة »

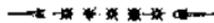
صححه وضبط ألقاظه وعلق حواشيه ( السيد محمد بدر الدين النعسانى الحلبى )



( طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر لصاحبها محمد اسماعيل )

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( الحمد لله رب العالمين ومالاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين )  
 قال السيد المرتضى علم الهدى ذو المنبرين أبو القاسم علي بن العطار ذي المناقب  
 أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق  
 ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضی الله عنهم  
 وقرس الله أرواحهم



## الحجاس الأول

[ تأويل آية ] .. قال الله تعالى ( وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترقيها  
 ففستوا فيها ) الآية .. في هذه الآية وجود عدل من التأويل كل منها يبطل الشبهة الداخلة  
 على بعض المبطلين فيها حتى عدلوا بتأويلها عن وجهه وصرّفوه عن بابه .. أو لها إن  
 الإهلاك قد يكون حسناً وقد يكون قبيحاً فإذا كان مستحسناً أو على سبيل الامتنان  
 كان حسناً وإنما يكون قبيحاً إذا كان ظاهراً فمماق الإرادة به لا يقتضى تماقها به على  
 الوجه القبيح ولا ظاهر الآية يقتضى ذلك وإذا علمنا بالأدلة تنزيه القديم تعالى عن  
 القبايح علمنا أن الإرادة تتماق إلا بالإهلاك الحسن .. وقوله تعالى ( أمرنا مترقيها )  
 المأمور به محذوف وليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق وإن وقع بعده ويجرى  
 هذا مجرى قول القائل أمرته فأمسى ودعوته فأبى والمراد إني أمرته بالطاعة ودعوته  
 إلى الاجابة والقبول .. ويمكن أن يقال على هذا الوجه ليس موضع الشبهة ما تكلمتم  
 عليه وإنما موضعها أن يقال أي معنى لتقدم الإرادة فإن كانت متعلقة بالإهلاك مستحق

بغير الفسق المذكور في الآية فلا معنى لقوله تعالى اذا أردنا أمرنا لأن أمره بما يأمر به لا بحسن ارادته العقاب المستحق بما تقدم من الافعال وان كانت الارادة متعلقة بالاهلاك بمخالفة الأمر المذكور في الآية فهذا هو الذي يابونه لأنه يقتضى انه تعالى مرید لاهلاك من لم يستحق ذلك العقاب . . والجواب عن ذلك انه تعالى لم يعلق الارادة الا باهلاك مستحق بما تقدم من الذنوب والذي حسن قوله تعالى واذا أردنا أمرنا هو ان يكون الامر بالطاعة والايان اعذاراً الى العصاة والاذار لهم وايجاباً واثباتاً للحجة عليهم حتى يكونوا متى خالفوه واقاموا على العصيان والطفيان بعد تكرار الوعظ والوعيد والانتذار عن بحق عليه القبول وتجب عليه الحجة ويشهد بصحة هذا التأويل قوله تعالى قبل هذه الآية ( وما كنتم ممّتبين حتى نبعث رسولا ) . . والوجه الثاني في تأويل هذه الآية ان يكون قوله تعالى أمرنا مترفها من صفة الترفية وصلتها ولا يكون جواباً لقوله تعالى واذا أردنا ويكون تقدير الكلام واذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها انا أمرنا مترفها ففسقوا فيها وتكون اذا على هذا الجواب لم يأت لها جواب ظاهراً في الآية للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه . . ونظير هذا قوله تعالى في صفة الجنة ( حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلواها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض تنبؤاً من الجنة حيث نشاء قمم أجزال العالمين ) ولم يأت لإذا جواب في طول الكلام للاستغناء عنه ويشهد أيضاً لصحة هذا الجواب قول المنذلي

حتى اذا سلكوهم في فتائده شلاً كما أطرّد الجمالة الشرّداً<sup>(١)</sup>

خُذف جواب اذا ولم يأت به لأن هذا البيت هو آخر القصيدة . . والوجه الثالث ان يكون ذكر الارادة في الآية مجازاً وانساعاً وتنبهاً على المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم وانهم متى أمروا فسقوا وخالفوا ويجرى ذكر الارادة ههنا مجرى قولهم اذا

(١) - فتائدة - نية أو عقبة أو كل نية فتائدة - وشلاً - طرداً - وشرّداً - جمع

شرود وشارد وهو التافر

أراد التاجر ان يفترق أنه النوايب من كل وجهة وجاهه الخسران من كل جانب . . وقولهم اذا أراد العليل ان يموت خلط في ما كله وتسرع الي كل ماشوق اليه نفسه ومعلوم ان التاجر لم يرد في الحقيقة شيئاً ولا العليل أيضاً لكن لما كان المعلوم من حال هذا الخسران ومن حال هذا الملاك حسن هذا الكلام واستعمل ذكر الارادة لهذا الوجه وكلام العرب وحي و اشارات واستعارات ومجازات ولهذا الحال كان كلامهم في المرئسة العليا من الفصاحة فان الكلام متى خلا من الاستعارات وجرى كله على الحقيقة كان بعيداً من الفصاحة برأي من البلاغة وكلام الله تعالى أفصح الكلام . . والوجه الرابع ان تحمل الآية على التقديم والتأخير فيكون تأخيرها اذا أمرنا مترقي قرية بالطاعة فعضوا واستحقوا العقاب أردنا اهلاكم والتقديم والتأخير في الشعر وكلام العرب كثير وبما يمكن ان يكون شاهداً لصحة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق ) والطهارة انما تجب قبل القيام الى الصلاة وقوله تعالى ( واذا كنت فيهم فأوفت لهم الصلاة فلتنمطنهم منتهم منكم ) وقيام الطهارة معه يجب ان يكون قبل اقامة الصلاة لان اقامتها هي الايمان بجميعها على الكمال انما قراءة من قرأ الآية بالتشديد فقال أمرنا وقرأ من قرأها بالمد والتخفيف فقال أمرنا قلن يخرج معنى قرأتهما عن الوجوه التي ذكرناها الا الوجه الاول فان معناه لا يلبق الا بان يكون ما تضمنته الآية هو الأمر الذي يستدعي به الى الفعل

[ تأويل خبر . . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه : قال من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله وهو أجذم : قال أبو عبيد القاسم بن -الأم مفسراً لهذا الحديث في كتابه غريب الحديث الاجذم المقطوع اليد واستشهد بقول المنتمس

وَمَا كُنْتُ الْأَمِثْلُ قَاطِيعِ كَفِّهِ بِكَفِّ لَهْ أُخْرِي فَأَصْبِحَ أَجْذَمًا<sup>(١)</sup>

وقد خلطاً عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبا عبيد في تأويله هذا الخبر . . وقال الاجذم

(١) المنتمس هو عدى بن عبد المسيح وهو صاحب الصحيفة المشهورة التي يضرب بها اللؤلؤ ورفيق طرفه الي عامل البحرين وقصمها مشهورة وهذا البيت من قصيدة له تمد في

وان كان مقطوع اليد فان هذا المعنى لا يليق بهذا الموضع قال لأن العتوبات من الله لا تكون الا وفقا للذنوب ومحسبها واليد لا تدخل لها في نسيان القرآن فكيف يعاقب فيها واستشهد بقوله تعالى ( الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ) وزعم ان تأويل الآية ان الربا اذا أكلوه ثقل في بطونهم وربما في أجوافهم فجعل قيامهم مثل قيام من يتخبطه الشيطان تمثراً وتخيلاً واستشهد أيضاً بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله رأيت ليلة أسرى في قوما تقرض شفاهم وكما قرضت وقيت فقلت يا جبريل من هؤلاء فقال لي جبريل هؤلاء خطباء أمتك تقرض شفاهم لانهم يقولون مالا يفعلون .. قال والاجذم في الخبر انما هو المجذوم وانما جازان يسمى المجذوم لأن الجذام يقطع أعضائه ويشذباها والجذم القطع .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وقد أخطأ الرجلان جميعاً وذهبا عن الصواب ذهاباً بعيداً وان كان غلط ابن قتيبة أغش وأقبح لأنه عدل غلظه فأخرجه الى أغليط كثيرة ونحن نسين معنى الخبر ثم شكلم على ما أوردها .. أما معنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له أدنى معرفة بمذاهب العرب في كلامها وانما أراد عليه الصلاة والسلام بقوله يجترأ جذم المبالغة في وصفه بالنقصان عن الكمال وفقد ما كان عليه بالقرآن من الزينة والجمال والتشبيه له بالاجذم من حسن التشبيه وعجيبه لأن اليد من الأعضاء الشريفة التي لا ينم كثير من التصرف ولا يوصل الى كثير من المنافع الا بها ففادها يفقد ما كان عليه من الكمال وقوته المنافع والمرافق التي كان يجعل يده ذريعة الى تناولها وهذه حال ناسي القرآن ومضيعة بعد حفظه لأنه يفقد ما كان لايسأ له من الجمال ومستحقاً له

جيد شعر العرب وبعده

|                                |                                   |
|--------------------------------|-----------------------------------|
| فلم تجد الأخرى عليها مقدما     | يداه أصابت هذه حتف هذه            |
| له ذرّ كما في أن تبيناً فأحجما | فلما استعاد الكف بالكف لم يجيد    |
| مساغاً لناباه الشجاع لصمما     | فأطرق أطراق الشجاع ولورأى         |
| وما علم الانسان الا ليعلمها    | لدى الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا |

وقوله لبابه جعله بالالف وتلك طريقة لهم في الزام المتى الالف في حالته الثلاث

من الثواب وهذه عادة للعرب في كلامهم معروفة يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه  
فلان بعد فلان أجدع وقد بقي بعده أجدم وقال الفرزدق يرثي مالك بن مسمع

تَضْمَعُ طَوْدًا وَوَأَثَلٌ بَعْدَ مَالِكٍ وَأَصْبَحَ مِنْهَا مَعْطِيسُ الْعَزِ أَجْدَعًا

وأما أراد المعنى الذي ذكرناه وللعرب ملاحن في كلامها وإشارات إلى الأغراض  
وتلويحات بالمعاني متى لم يفهمها ويتسرع إلى الفطنة لها من تعاطي تفسير كلامهم وتأويل  
خطابهم كان ظناً نفسه متعبداً بطوره ونعود إلى الكلام على ما ذكره الرجلان . . أما  
أبو عبيد فإن خطأه من حيث لم يظن للاغرض من الخبر فضل عن وجهه والافالاجذم  
هو الاقطع لا بحاله كما قال الا انه لا يليق بهذا الموضع فاذ حمل عليه لم يدر شيئاً فإن كانت  
شبهته التي أوقعته في ذلك ظنه ان ذلك يكون على سبيل العقوبة على نسيان القرآن  
فليس كما ظن لأن الجذم أولاً ليس بعقوبة لان الله تعالى قد يجزم أوليائه والصالحين من  
عباده ويقطع أعضاهم بالامراض وقد يتبدأ خلق من هو ناقص الاعضاء فليس يلزم  
في الجذم ان يكون عقوبة ثم لو كان يستحق نسي القرآن عقوبة على نسيانه لكان حفظ  
القرآن بأسره فرضاً واجباً وحتماً لازماً لان العقوبة لا تستحق بترك ما ليس بواجب  
وليس حفظ جميع القرآن كذلك . . وأما ابن قتيبة فإنه عاظم من حيث لم يفعل لاوجه  
في الخبر الذي ذكرناه ومن حيث ظن ان العقوبة لا تكون الا في محل الذنب وهذا  
التول يوجب عليه أن لا يجزم ظهر الزاني ويختص العقوبة بفرجه وكذلك القاذف كان  
يجب أن يعاقب في لسانه دون سائر أعضائه والخبر الذي استشهد به حجة عليه لانا نعلم  
ان اللسان أقوى حفظاً في باب الكلام من الشفة فلم يخص بالعقوبة وحلت بالشفاه دونه  
. . ثم غامضه في تأويل الآية التي أوردناها أقبح من كل ما تقدم لانه توهم أننا تضمينته  
الآية من تحبب آكل الربا ونعثره في القيام انما هو في الدنيا من حيث يتنقل ما أكلفه في  
معدنه فيمنعه من النهوض ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك ونجد كثيراً من آكل الربا  
أخف نهوضاً وأسرع قياماً وتصرفاً من غيرهم ممن لم يأكل الربا قط والمعنى في الآية هو  
ما ذكره المفسرون من ان ما وصفهم الله به يكون عند قيامهم من قبورهم فيأحقهم العنار

والزال والتخيل على سبيل العقوبة لهم ويكون ذلك أيضاً أمانة لمن يعاقبهم من الملائكة والحزنة على الفرق بين الولي والعدو ومستحق الجنة ومستحق النار وليس بمعروف ولا ظاهر ان الأجنم هو المجنوم . . ورد ابن قتيبة معناه واشتقاقه الى الجذم الذي هو القطع بوجوب عليه أن يكون كل داء يقطع الجسد ويفرق الأوصال كالجدري والأكلة وغيرهما يسمى جذماً ويسمى من كان عايه أجنم وهذا باطل . . وأما قول الشاعر حيث يقول

وحرَّقَ قَيْسٌ عَلَى الْبِلَادِ حَتَّى إِذَا اضْطَرَمَّتْ أَجْذَمًا

فليس هو من هذا الباب بل هو من الاجذام الذي هو الاسراع فكأنه قال لما اضطرت أسرع عني وتباعدتني<sup>(١)</sup> والاجذام بالذال المعجمة والدال غير المعجمة هما الاسراع . . وأما قول عنتر في وصف الذئب

هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمَكْبِ عَلَى الزَّيَادِ الْأَجْذَمِ

فهو من هذا الباب لأن الأجنم من صفة المكب لا من صفة الزناد فكأنه قال قدح المكب الأجنم وهو من أحسن التشبيه وأرقه

[ مسألة ]<sup>(٢)</sup> كان بعض المشايخ المنقذين يقول ليس يستحق أن يكن الله تعالى من الظلم من يعلم من حابه أنه يريد القيامة غير مستحق لشي من الأعراض أو لما يوازي القدر المستحق عايه منها فإذا أراد الانصاف منه فضل عليه بما ينقله الى مستحق العوض ويقول ليس هذا بعيد ولا مستحيل لأن العوض ليس بخص بصفة تمنع من التفضل بمثله ولا يجري في ذلك مجرى الثواب والمستقر من مذاهب الشيوخ وهو الصحيح ان الانصاف لا يجوز أن يكون موقوفاً على ما يفضله به لأن الانصاف واجب على الله تعالى من حيث خلى بين

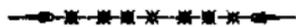
(١) ويروي البيت (حتى اذا اضطرت أحجمنا) أي نكس وتأخر وحاصل المعنى

على الرويتين واحد

(٢) ما ذكر في هذه المسألة مبني على القول بالعدل ووجوب الأصاح على الله

تعالى وهي مقالة للمعتزلة ومنهم المؤلف وأهل السنة يخالفونهم فيها فلا تغتر بما تراه هنا وكفى منه على حدرك

عباده وبين الظلم فلا يجوز أن يتعاقق إلا بأمر واجب والتفضل لفاعله أن لا يفعله فتزول الحال الى تعذر الانتصاف . . وقالوا من يعلم الله انه يرد القيامة ولا أعواض له يمنع من الظلم ولا يمكنه منه هذه العلة ويجوزون أن يمكن من الظلم من يكون في الحال غير مستحق للعوض أو غير مستحق لتقدر الذي يوازى الظلم من العوض بعد أن يكون المعلوم من حاله انه يرد القيامة وقد يستحق من الأعواض ما يوازى ما عليه منها . . [ قال الشريف المرتضى ] رضى الله عنه وهذا القول يعنى تجوز تمكين الظالم من الظلم وهو في الحال غير مستحق للعوض يبطل بالعلة التي أبطلنا بها قول من أجاز الانتصاف بالتفضل لأننا نعلم ان تبقية المكلف لا تجب وللتقديم تعالى أن لا يفعلها فلو لم يفعلها واخرتم هذا الظالم بعد حال ظلمه لكان الانتصاف منه غير ممكن وقد تعلق الانتصاف على هذا القول بما ليس بواجب كما علقه من قدمنا حكاية قوله بما ليس بواجب وليس لهم أن يقولوا ذلك بحسن لأن الله تعالى يعلم انه يبقيه فيستحق أعواضاً لأن عليهم مثل ذلك اذا قيل لهم فأجزوا أيضاً أن يرد القيامة وهو لا يستحق العوض ويعلم الله انه يتفضل عليه بما يقع به الانتصاف فاذا قالوا علم الله به يتفضل لا يخرج التفضل من أن يكون غير واجب قبل لهم وعلم الله بأنه يبقى من لا عوض له ليستحق العوض لا يخرج التبقية عن أن تكون غير واجبة فاستوى الأمران والصحيح أن يقال انه تعالى لا يمكن من الظلم من لا عوض له في الحال ليستقيم الكلام ويترد



### ❦ مجلس آخر ٢ ❦

[ تأويل آية ] . . قال الله تعالى ( يسألونك عن الروحِ قُلِ الروحُ من أمرِ ربِّي وما أوتيتم من العلمِ إلا قليلاً ) . . وقد ظن قوم من غفلة للمعدة وجها لهم أن الجواب مما سئل عنه في هذه الآية لم يحصل وان الامتناع منه انما هو لفقد العلم به وان قوله تعالى ( وما أوتيتم من العلمِ إلا قليلاً ) تبكيه وتقرع لم يقعا موقعهما وانما هو على سبيل المجازة والمدافعة عن الجواب . . وفي هذه الآية وجوه من التأويل تبطل ما ظنوه وتدل

على ما جهلوه . . . أولها أنه تعالى إنما عدل عن جوابهم لعلهم بأن ذلك أدهى لهم إلى الصلاح في الدين وان الجواب لو صدر منه اليهم لازدادوا فساداً وعناداً إذ كانوا بسؤالهم متعنتين لا مستفيتين وليس هذا بمنكر لأننا قد نعلم في كثير من الأحوال فيمن يسألنا عن الشيء أن العدول عن جوابه أولى وأصح في تدبيره . . . وقد قيل إن اليهود قالت لكفار قريش سلوا محمداً عن الروح فإن أجابكم فليس بذي وإن لم يجيبكم فهو نبي فأنجد في كتبنا ذلك فأمره الله تعالى بالعدول عن ذلك ليكون علماً ودلالة على صدقه وتكذيباً لليهود الرادين عليه وهذا جواب أبي علي محمد بن عبد الوهاب الحلي . . . وثانيها أن القوم إنما سألوه عن الروح وهل هي محدثة مخلوقة أو ليست كذلك فأجابهم بأنها من أمر ربي وهو جوابهم عما سألوه بعينه لأنه لا فرق بين أن يقول في الجواب أنها محدثة مخلوقة وبين قوله أنها من أمر ربي لانه إنما أراد أنهما من فعله وخلقه وسواء على هذا الجواب أن تكون الروح التي سألوا عنها هي التي بها قوام الجسد أو عيسى أو جبرائيل عليهما السلام وقد سمى الله جبرائيل روحاً وعيسى أيضاً بذلك مسمى في القرآن . . . وثالثها أنهم سألوه عن الروح الذي هو القرآن وقد سمى الله القرآن روحاً في مواضع من الكتاب فإذا كان السؤال عن القرآن فقد وقع الجواب موقعه لأنه قال لهم الروح الذي هو القرآن من أمر ربي وبما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ليجمعه دلالة له وعلماً على صدقه وليس من فعل المخلوقين ولا ما يدخل في إيمانهم وهذا الجواب للحسن البصري ويقويه قوله تعالى بمد هذه الآية (وَلَنْ يَدْرُوكَ لُنُذُرًا لَ تَكْفُرُونَ) بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك علينا وكيلاً) فكانت تعالى قال إن القرآن من أمرى وفعلى وبمما أنزلته علماً على نبوة رسولي صلى الله عليه وسلم ولو شئت لرفعه وأنزلته وتصرفت فيه كما يتصرف الفاعل فيما يفعله

[ فصل ] . . . قال أبو مسلم محمد بن بحر الأصمباني في قوله تعالى ( والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ) قال إنما خص الموزون دون المكيل بالذكر لوجهين . . . أحدهما أن غاية المكيل تنهي إلى الوزن لأن سائر المكيلات إذا صارت طعاماً دخلت في باب الوزن وخرجت عن باب الكيل فكان الوزن أعم من الكيل . . . والوجه الآخر أن في الوزن معنى الكيل لأن الوزن هو طلب

مساواة الشيء بالشيء ومقايسته إليه وتعديله به وهذا المعنى ثابت في الكيل وخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل هذا قول أبي مسلم . . ووجه الآية وما شهد له ظاهراً لفظها غير ما سلكه أبو مسلم وإنما أراد الله تعالى بالوزن المقدّر الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصاً عنها ولا زائداً عليها زيادة مضرّة أو داخله في باب العبث ونظير ذلك من كلامهم قولهم كلام فلان موزون وأفعاله موزونة مقدرّة وإنما يراد ما أشرنا إليه وعلى هذا المعنى تأول المفسرون ذكر الموازين في القرآن على أحد التأويلين وإنما التعديل والمساواة بين الثواب والعقاب . . قال الشاعر وهو ذو الرمة

لَهَا بِشْرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْحَوَاشِي لَاهِرَةٌ وَلَا تَزُرُّ

— الهراء — الكثير — والنزر — القليل وكأنه قال إن حديثها لا يقل عن الحاجة ولا يزيد عليها وهذا يجري مجرى أن يقول هو موزون . . وقال مالك <sup>(١)</sup> بن أسماء بن خارجة الفزاري

وَحَدِيثُ الذُّهُ هُوَ مِمَّا يَنْتَعُ النَّاعِمُونَ يُوْزَنُ وَزْنَا

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا نَاوْخِيَرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

(١) قال ابن قتيبة بعد أن ذكر نسبه وكان مالك شاعراً غزلاً ظريفاً وهو

القائل فذكر البيتين وذكر بعدهما قوله

جِذَا يَوْمَنَا بَتَلْتِ بَوْنَا حَيْثُ نُدُقِي شَرَابِنَا وَنُعْنِي

من شراب كأنه دم جوفير يترك الكهل كالفق مرجحنا

أبما دارت الزجاجة دُرْنَا بحسب الجماعلون أنا مجننا

ومررنا بنسوة عطرنا وسباع وفرقفت فنزلنا

— وبوْنَا — من قرى الكوفة . . ويقال إن عمر بن أبي ربيعة مرّ بمالك هذا

فاستنشه شيئاً من شعره فأنشده فقال عمر ما أحسن شعرك لولا أمهات القرى التي

تذكرها فيه قال مثل ماذا قال مثل قولك

أشهدني أم كنت غائبة عن ليلتي بحديثه النسب

. . ومثل قولك

وهذا الوجه الذي ذكرناه أشبه بمراد الله تعالى في الآية وأليق بفصاحة القرآن وبلاغته الموفيتين على فصاحة - أثر الفصحاء وبلاغتهم . . . فأما قول الشاعر الذي استشهدنا بشعره وتلحن أحياناً فلم يرد اللحن في الأهراب الذي هو ضد الصواب وإنما أراد به الكناية عن الشيء والتعريض بذكره والعدول عن الإفصاح عنه على معنى قوله تعالى (ولتعرفنهم في لحن القول) . . . وقول الشاعر

وَلَقَدْ وَحَيْتُ لَكُمْ لِكَيْمًا تَنْفُطُوا      وَوَحَيْتُ لِحْنًا لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ

وقد قيل ان اللحن الذي عنى به في البيت هو الفتنة وسرعة الفهم على معنى ما روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لعل أحدكم أن يكون لحن بحجته أي أفطن لها وأغوص عليها . . . وما يشهد لما ذكرناه ما أخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثنا أحمد بن عبيد الله العسكري قال حدثنا العتري قال حدثنا علي بن إسماعيل الزبيدي قال أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال تكلمت هند بنت أمية بن خارجة فلحنت وهي عند الحجاج فقال لها أتألمين وأنت شريفة وفي بيت قيس قالت أما سمعت قول أخي مالك لامرأته الانصارية قال وما هو قالت قال

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا      نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لِحْنَا

فقال لها الحجاج انما عنى أخوك اللحن في القول اذا كنى المحذرت عما يريد ولم يعن اللحن في العربية فأصلحى لسالك . . . [قال المرتضى] رضى الله عنه قد ظن عمرو بن بحر الجاحظ مثل هذا بعينه وقال ان اللحن مستحسن من النساء الفرائز وليس بمستحسن منهم كل الصواب والتشبيه بضعول الرجال واستشهد بأبيات مالك بعينها وظن انه

حيداً يومنا يتل بوناً      حيث ندى شرابنا ولغنى

فقال مالك هي قرى البلد التي أنا فيه وهي مثل ما تذكره أنت في شعرك من أرض بلادك قال مثل ماذا قال مثل قولك

ما على الربع بالبلين لو بسين رجع السلام أولو أجايا

فأمسك ابن أبي ربيعة ولم يجب بشيء

أراد باللحن ما يخالف الصواب وتبعه على هذا الفلظ عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فذكر في كتابه المعروف بعيون الأخبار أبيات الفزاري واعتذر بها من لحن أصيب في كتابه \* وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني يحيى بن علي المنجم قال حدثني أبي قال قلت للجاحظ مثلك في عقلك وعلمك بالأدب ينشد قول الفزاري ويفسره علي أنه أراد اللحن في الاعراب وإنما أراد وصفها بالظرف واللفظة وأنها توري عما قصدت له وتلكب التصريح فقال له قد فطنت لذلك بعداً قلت فغيره من كتابك فقال كيف لي بما سارت به الركبان قال الصولي فهو في كتابه على خطئه [قال المرتضى] رضى الله عنه ومن حسن اللحن الذي هو التعريض والكتابة ما أخبرنا به أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أن رجلاً من بني المنبر حصل أسيراً في بكر بن وائل فسألهم رسولاً إلى قومه فقالوا لا نرسل إلا محضرتنا لأنهم كانوا عزموا على غزو قومه فخافوا أن يذروهم في أيديهم بعد أسود فقال له أتمقل فقال نعم أتي لعاقل فقال ما أراك عاقلاً وأشار بيده إلى الليل فقال ما هذا قال الليل قال أراك عاقلاً ثم ملاه كفيه من الرمل فقال كم هذا فقال لا أدري ولكنه كثير فقال أيما أكثر النجوم أم الشراة فقال كل كثير فقال أبلغ قومي التحية وقل لهم ليكرموا فلاناً يعني أسيراً كان في أيديهم من بكر فان قومه لم يكرموا وقل لهم إن العرفج قد أدي<sup>(١)</sup> وشكت النساء وأمرهم أن يعرفوا ناقة الحمراء فقد طال ركوبها وإن يركبوا جمل الأصهب بآية ما أكلت معكم حياً وأسألوا أخي الحارث عن خبري فلما أدي العبد الرسالة إليهم قتلوا النفس<sup>(٢)</sup> الأعداء والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جمل أصهب ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة فقال قد أنذركم أما قوله قد أدي العرفج يريد أن الرجال قد استألموا ولبسوا السلاح وقوله شكت النساء أي اتخذن الشكاه للسفر<sup>(٣)</sup> وقوله الناقة الحمراء أي ارتحلوا عن الدهناء وركبوا الصمان<sup>(٤)</sup> وهو الجمل

(١) - العرفج - ضرب من النبات - وأدي - خرج منه مثل الدبي وهو أسفر الجراد

(٢) - الشكاه - جمع شكوة وهو وعاء من جلد يحمل للماه والبن

(٣) - الصمان - والصمان كل أرض صلبة ذات حجارة إلى جنب رمل والصمان موضع يعالج

الأصهب وقوله أكلت معكم حبياً يريد اخلاطاً من الناس قد فزركم لأن الحبيس يجمع  
التمر والسمن والأقط فامتثلوا ما قال وعرفوا لمن كلامه

[تأويل خبر] ٥٠٠ روى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه فريب الحديث عن أمير المؤمنين  
عليه السلام أنه قال من أحبنا أهل البيت فليعد للفقر جلاباً أو نجفاً ٥٠٠ قال أبو  
عبيد وقد تأول بعض الناس هذا الخبر على أنه أراد به الفقر في الدنيا وليس ذلك كذلك  
لأننا نرى فيمن يجهم مثل ما نرى في سائر الناس من الغنى والفقر ولا تميز بينهما قال  
والصحيح أنه أراد به الفقر في يوم القيامة وأخرج الكلام مخرج الموعظة والنصيحة  
والحث على الطاعات فكأنه أراد من أحبنا فليعد لفقره يوم القيامة ما يجيره من الثواب  
والقرب إلى الله تعالى والزلفى عنده ٥٠٠ قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة وجه  
الحديث خلاف ما قاله أبو عبيد ولم يرد إلا الفقر في الدنيا ومعنى الخبر أن من أحبنا  
فليصبر على التقلل من الدنيا والتنقع فيها وليأخذ نفسه بالكف عن أحوال الدنيا  
وأعراضها وشبه الصبر على الفقر بالنجف أو الجلاب لأنه يستر الفقر كما يستر الجلاب  
أو النجف البدن قال ويشهد بصحة هذا التأويل ما روى عنه عليه والسلم أنه  
رأى قوماً على بابهم فقال يا قنبر هؤلاء فقال له قنبر هؤلاء شيعتك فقال مالي لأرى  
فيهم سيما الشيعة قال وما سيما الشيعة قال خمس البطون من الطلوي ويس الشفاء من  
الظلمة وعش العيون من البكا هذا كله قول ابن قتيبة والوجهان في الخبر جميعاً أحسنان  
وان كان الوجه الذي قاله ابن قتيبة أحسن وأصح ٥٠٠ ويمكن أن يكون في الخبر وجه ثالث  
تشهد لصحته اللغة وهوان أحد وجوه معنى لفظة الفقر أن يحز أنت البعير حتى يخلص  
إلى العظم أو قريب منه ثم يلوى عليه جبل يذلل بذلك الصعب يقال فقره يفقره فقراً  
إذا فعل به ذلك وبعير مفقور وبه فقرة وكل شيء حززته وأزرت فيه فقد فقزته فقيراً  
ومنه سميت الفاقرة وقيل سيف فقير فيحمل القول على أن يكون عليه السلام أراد  
من أحبنا فلينزِم نفسه وليخطها وليقدمها إلى الطاعات وليصرفها عما تيل طباعها إليه من  
الشهوات وليذللها على الصبر عما كره منها ومشقة ما أريد بها كما يفعل ذلك بالبعير الصعب  
وهذا وجه ثالث في الخبر لم يذكر ولا يستبعد حمل الكلام على بعض ما احتمله إذا كان

له شاهد في اللغة وكلام العرب لأن الواجب على من يتعامل في تفسير ضرب الكلام والشعر أن يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني ويجوز أن يكون أراد المخاطب كل واحد منهما منفرداً وليس عليه العلم بمراعاة بعينه فان مراده مغيب عنه وأكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام

[فصل] \* قال الشريف المرتضى رضي الله عنه وعن كان من مشهورى الشعراء ومقدميهم على مذهب أهل العدل<sup>(١)</sup> ذو الرمة واسمه غيلان بن عقبة وكنيته أبو الحارث وذو الرمة لقبه لقب به لبيت قاله وهو في صفة التوثيق

\* أَشْعَثُ بَاقِي رُمَّةِ التَّقْلِيدِ \*<sup>(٢)</sup>

— والرمق القطعة البالية من الحبل يقال حبل أرمم اذا كان ضعيفاً بالياً وقيل انه انقلب بذي الرمة لأنه كان وهو غلام يتفرع<sup>(٣)</sup> عظامه أمه بمن كتب له كتاباً وعلقت عليه برمة من حبل فسمى ذا الرمة ويشهد بمذهبه في العدل ما أخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال أخبرنا أبو عثمان الاشناندي عن

(١) — أهل العدل لقب المعتزلة لقبوا به أنفسهم لقولهم بوجوب الصلاح والأصاح عليه تعالى وأنه يعاقب المسيء على إساءته ويثيب المحسن على إحسانه ولا بد وإنما سوا المعتزلة لأن رئيسهم وأصل بن عطاء كان يحضر حلقة الحسن البصري فسأله يوماً عن مرتكب الكبيرة هل يكون مؤمناً أو لا فقال انه مؤمن وأمره في كبريته مفوض الى ربه ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه فلم يعجب ذلك وأصل فقعه الى سارية من سوارى المسجد يقرر ان مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر وأنه مخلد في النار فقال الناس قد اعتزل وأصل فقيل لمن وافقه على رأيه معتزلة

(٢) الذي في غيره من كتب الأدب وإنما قيل له ذا الرمة لقوله

لم يبق منها أهد الأبيد غير ثلاث مائلات سود

وغير مشجوج القفا موتود فيه بقايا رمة التقليد

(٣) أي يفرع في نومه

التوزي عن أبي عبيدة قال اختصم رؤبة وذو الرمة عند بلال بن أبي بردة فقال رؤبة والله ما خص طائر أخوصاً ولا فرم من سبع قرموصاً إلا بقضاء من الله وقدر فقال له ذو الرمة والله ما قدر الله على الذئب أن يأكل حلوبة عيال ضرائك قال رؤبة أفقدرته أكلها هذا كذب على الذئب فإن فقال ذو الرمة الكذب على الذئب خير من الكذب على رب الذئب وهذا الخبر صريح في قوله بالعدل<sup>(١)</sup> واحتجاجه عليه وبصيرته فيه فأما -العيال- فجمع عيّل وهو ذو العيال -والضرائك- جمع ضريك وهو الفقير . وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي عن أبي العيلاء عن الأصمعي عن اسحاق بن -ويد قال أنشدني ذو الرمة

وَعَيْنَانِ قَالَ اللَّهُ كَوْنَا فَكَانَتَا  
فَعَوْلَانِ بِالْأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الْخَمْرُ

فقلت له فعولان خبر الكون فقال لي لو سبحت ربحت وإنما قلت وعينان فعولان فوصفهما بذلك وإنما تمرز ذو الرمة بهذا الكلام من القول بخلاف العدل وقد روى هذا الخبر على خلاف هذا الوجه . وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أحمد بن خالد النحاس قال حدثني محمد بن القاسم أبو العيلاء قال حدثني الأصمعي قال لما أنشد ذو الرمة قوله

وَعَيْنَانِ قَالَ اللَّهُ كَوْنَا فَكَانَتَا  
فَعَوْلَانِ بِالْأَلْبَابِ مَا تَفْعَلُ الْخَمْرُ

وهو يريد كونا فكأننا فعولان حيث كأننا قال له عمرو بن عبيد وبحكفت عظيم<sup>(٢)</sup> فقل

(١) لأن المعتزلة يقولون ان الله لا يريد الشر وان ما يقع في الكون من الشرور فانما يقع على خلاف ارادته وليس لقول ذي الرمة والله ما قدر الله على الذئب أن يأكل حلوبة عيال ضرائك معنى الا ان هذا شر والشر لا يكون مراد الله تعالى

(٢) - قلت عظيمًا - انما قال له ذلك لأنه لما نصب فعولان جعله معمولاً لكأننا فافتضى ان كون العينين فعولان بالألبياب كما تفعل الخمر بأمر الله تعالى وهو شر لا يصلح أن تتعلق به إرادة الله تعالى على مذهب عمرو بن عبيد وكان عمرو بن عبيد هذا شيخ المعتزلة في عصره ولسانهم وكان آية في الذكاء والحفظ وكان متقشفاً زاهداً

فمولان بالالباب فقال ذوالرمة ما أبالي قلت هذا أم سبحت فلما علم ما ذهب إليه عمره قال سبحان الله او عنت ماظننت كنت جاهلاً ٥٥. ومن روى انه كان على مذهب أهل المعدل من شعراء الطيقة الاولى أعنى قيس بن ثعلبة واستشهد بقوله

إِسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْعَدْلِ  
لِوَلِيِّ الْمَلَامَةِ الرَّجُلِ

ومن قيل انه على مذهب الجبر<sup>(١)</sup> من المشهورين أيضاً لبيد بن ربيعة العامري واستدل بقوله

إِنْ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرٌ نَفَلْنَا  
مِنْ هَدَاهُ سَبِيلَ الْخَيْرِ أَهْتَدَى  
وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَبِّي وَالْمَعْبَلِ  
نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلْنَا

وان كان لا طريق الى نسبة الجبر الى مذهب لبيد الا هذان البيتان فليس فهما دلالة على ذلك ٥٥. أما قوله وبإذن الله ربّي والمعجل فيحتمل ان يكون بعلمه كما يتأول عليه قوله تعالى (وما هم بضارين به من أحد الا بإذن الله) أي بعلمه وان قيل في هذه الآية أنه أراد بتخايبه وتمكينه وان كان لاشاهد لذلك في النسخة أمكن مثله في قول لبيد ٥٥. وأما قوله من هدام اهتدى ومن شاء أضل فيحتمل ان يكون مدسوساً الى بعض الوجوه التي يتأول عليها الضلال والهدى المذكوران في القرآن بما يليق بالمعدل ولا يقتضي الاجبار اللهم الا ان يكون مذهب لبيد في الاجبار معروفاً بغير هذه الايات فلا يتأول له هذا التأويل بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه

[مشكلة] ٥٥. اعلم ان أصحابنا لما استدلوا على نفي الرؤية بالابصار عن الله بقوله (لا تدركه الأبصار) وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) وينبوا انه تعالى تمسح بنفي الادراك الذي هو رؤية البصر عن نفسه على وجه يرجع الى ذاته فيجب ان يكون

يضرب به التل في ذلك فيقال أزهده من عمرو بن عبيد وفيه يقول القائل

كلكم طالبٌ صيد غير عمرو بن مُجَيْدٍ

(١) يريد بالجبر مذهب أهل السنة وانما سموها مجبرة لأنهم لاجعلوا أفعال العبد مخلوقة

لله تعالى وليس لقدرة العبد دخل في ايجاد أفعاله فقد جعلوا العبد مجبوراً على ما يصدر عنه من الافعال وأما المعتزلة فقالوا ان أفعال العبد من قدرته فكان مختاراً عندهم

ثبوت الرؤية له في وقت من الاوقات نقص وذبم ٠٠ قال لهم مخالفوهم كيف يمدح بأنه لا يرى وقد شاركه في نفي الرؤية ما ليس بمدح كالمدومات والارادات والاعتقادات فقالوا لهم لم يمدح تعالى بنفي الرؤية فقط وإنما يمدح بنفي الرؤية عند انبائها له فمدحه بمجموع الاسمين وليس يشاركه في هاتين الصفتين مشارك لان الموجودات المحدثات أصناف ٠٠ منها ما لا يرى ولا يرى كالارادات والاعتقادات ٠٠ ومنها ما يرى ولا يرى كالألوان ٠٠ ومنها ما يرى ويرى كالانسان وضروب الاحياء وليس فيها ما يرى ولا يرى فثبت المدح لله تعالى بمتضمن الآية ٠٠ فقال لهم المخالفون وكيف يجوز ان تكون صفة لاقتضى المدحة بانفرادها ثم تصير تقتضيا مع غيرها ولئن جاز هذا ليجوز ان يمدح بمدح بأنه شيء عالم أو موجود قادر فاذا كان لا مدحة في وصف اندات بأنها شيء موجود وان انضمت الي صفة مدح من حيث كانت بانفرادها لاقتضى مدحا فكذلك لا مدحة في نفي الرؤية عما ثبت له من حيث كانت بانفرادها لاقتضى مدحا. فأجاب أصحابنا عن هذا الكلام بان قولوا ليس يمتنع في الصفة ان تكون لاقتضى مدحا اذا انفردت وتقتضيه اذا انضمت الي غيرها ومثلوا ذلك بقوله تعالى لا تأخذ سنة ولا نوم فان نفي السنة والنوم ههنا إنما يكون مدحا اذا التقي عن هو بصفة الاحياء وان كان بانفراده لا يقتضى مدحا لمشاركته ذوات كثيرة غير ممدوحة فيه وفضلوا بين الوصف بالنفي والوجود وبين ما ذكروا بالنفي من حيث لا تأثير هاتين الصفتين في المدح ٠٠ واعلم ان صفات المدح المتضمنة للانبيايات ما تكاد تقتصر الي شرط في كونها مدحة ٠٠ وصفات النفي اذا كانت مدحة فلا بد منها من شرط وإنما افرق الاسران من حيث كان النفي أهم من الانبيايات فيدخل تحته الممدوح وغير الممدوح والانبيايات أشد اختصاصا ألا ترى ان ما ليس بعالم من الذوات وليس بوجود أكثر مما ثبت له العلم والوجود منها لان الأول لا يكون الا غير متناه والثاني لا بد أن يكون متناهياً فلما اشتملت صفات النفي الممدوح وغير الممدوح احتاجت الي شرط يخصها وأنت اذا اعتبرت سائر صفات النفي التي يمدح بها وجدتها مفتقرة الي الشروط ألا ترى ان من ليس بجاهل إنما يكون ممدوحا بهذا النفي اذا كان حياً ذاكراً لانه قد يكون الحي لاعلاماً ولا جاهلاً لسهو يلحقه وذهوله

يعتبه ومن ليس بماجز انما يكون ممدوحاً اذا كان أيضاً موجوداً حياً ومن ليس بظالم انما يكون ممدوحاً اذا كان قادراً على الظلم وله دواع اليه ولا يد في الشرط الذي يحتاج اليه في صفات النفي حتى يكون ممدوحاً من ان يكون أيضاً إنساناً أو جارياً مجري الاثبات ولا يكون نفياً لانه ان كان نفياً لم يتخصص وسوى فيه الممدوح ما ليس بممدوح . مثال ذلك انما اذا ممدوحنا غيرنا بأنه لا يظلم وشرطنا في هذه الممدحة انه لم يدعه داع الي الظلم لم تحصل الممدحة لانه قد يشاركه في نفي الظلم ونفي الدواعي اليه ما ليس بممدوح فلا بد من شرط مجرى مجرى الاثبات وهو ان تقول وهو ممن تدعوه الدواعي الى الافعال ويتصرف فيها بحسب دواعيه فاذا صححت هذه الجملة فالوجه ان تقول ان الممدحة في الآية انما تتعلق بنفي الادراك عن القديم تعالي لكن بشرط ان يكون مدركاً ونجيد كل واحد من الصفتين تقتضي المدح مجتمعة مع أن كل واحدة لا تقتضيه على سبيل الانفرد وليس بمكران يقتضي الشئ غيره بشرط متى وجد حصل المقتضى فاذا لم يوجد لم يحصل مقتضاه ونفي السنة والدم والغلم عن الله تعالي انما كان ممدوحاً بشروط معروفة على نحو ما ذكرناه وهذا التلخيص في هذا الموضع أولى وأحسب لاشبه بما تقدم ذكره

( مجلس آخر ٢ )

[ تأويله آية ] . . ان سأل سائل فقال ما تقولون في قوله تبارك وتعالى حكاية عن موسى ( فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُيَابٌ مُنِيرٌ ) . . وقال تعالي في موضع آخر ( وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَيَّجَةٌ كَانَتْهَا جَانٌّ وَلِي مُدْبِرًا وَلَمْ يَمَقِّبْ ) والثعبان الحية العظيمة الخلقه والجان الصغير من الحيات فكيف اختلف الوصفان والنقصة واحدة وكيف يجوز ان تكون العصا في حال واحدة بصفة ما عظم خالفه من الحيات وبصفة ما سفر منها وبأي شئ تزيلون التناقض عن هذا الكلام ( الجواب ) أول ما نقوله ان الذي ظنه السائل من كون الآيتين خبراً عن قصة واحدة بطل بل الحالتان مختلفتان فالحال التي أخبر ان العصا فيها بصفة الجان كانت في ابتداء النبوة وقبل مصير موسى الي فرعون والحال التي صار

العصا عليها ثعبانا كانت عند لقائه فرعون وابلغته الرسالة والتلاوة تدل على ذلك وإذا اختلفت القصتان فلا مشكلة على ان قوما من المفسرين قد تعاطوا الجواب على هذا السؤال إما لظنهم ان القصة واحدة أو لاعتمادهم ان العصا الواحدة لا يجوز ان تنقلب في حالين تارة الى صفة الجبان وتارة الى صفة الثعبان أو على سبيل الاستظهار في الحججة وان الحال لو كانت واحدة على ما قلنا لم يكن بين الآيتين تناقض وهذا الوجه أحسن ما تكلف به الجواب لاجله لان الاولين لا يكونان الا عن غلط أو عن غفلة وذكروا وجهين تزول بكل واحد منهما الشبهة من تأويلها . . أحدهما انه تعالى اما شبهها بالثعبان في إحدى الآيتين لعظم خلقها وكبر جسمها وهول منظرها وشبهها في الآية الأخرى بالجبان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها فاجتمع لها مع انها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاط الجبان وسرعة حركته وهذا أبهر في باب الإعجاز وأبلغ في خرق العادة ولا تناقض معه بين الآيتين . . وليس يجب اذا شبهها بالثعبان ان يكون لها جميع صفات الثعبان واذا شبهها بالجبان ان يكون لها جميع صفاته وقد قال الله تعالى ( بَطَافٌ عَلَيْهِمْ بِأَنبِيَةٍ مِنْ قَضْحَبٍ وَأَقْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرٌ قَوَارِيرٌ مِنْ فِضَّةٍ ) ولم يرد تعالى ان الفضة قوارير على الحقيقة وانما وصفها بذلك لانه اجتمع لها صفاء القوارير وشهوفها ورقها مع انها من فضة وقد تشبه العرب الشيء بغيره في بعض وجوهه فيشبهون المرأة بالظبية وبالبقرة ونحن نعلم أن في الغنم والبقرة من الصفات ما لا يستحسن ان يكون في النساء وانما وقع التشبيه في صفة دون صفة ومن وجه دون آخر . . والجواب الثاني انه تعالى لم يرد بذكر الجبان في الآية الأخرى الحية وانما أراد أحد الجن فكأنه تعالى أخبر بان العصا صارت ثعبانا في الخلفة وعظم الجسم وكانت مع ذلك كأحد الجن في هول المنظر واقتزاعها لمن شاهدها ولهذا قال تعالى ( فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَيَّأَتْ كَأَنَّهُمَا جَانٌّ وَلِي مُّبْتَرٍ أَلَمْ يُعَسِّبْ ) ويمكن ان يكون في الآية تأويل آخر استخرجناه ان لم يزد على الوجهين الاولين لم ينقص عنهما والوجه في تكلفنا له ما بيناه من الاستظهار في الحججة وان التناقض الذي نؤيدهم زائل على كل وجه وهو ان العصا لما انقلبت حية صارت أولا بصفة الجبان وعلى صورته ثم صارت بصفة الثعبان ولم تصرف كذلك ضربة واحدة

فتتفق الآيتان على هذا التأويل ولا يختلف حكمهما وتكون الآية الأولى تتضمن ذكر الثعبان اخباراً عن غاية حال العصا وتكون الآية الثانية تتضمن ذكر الحال التي ولي موسى فيها هاربا وهي حال انقلاب العصا الى خلفه الجان وان كانت بعد تلك الحال انتهت الى صورة الثعبان ٠٠ فان قيل على هذا الوجه كيف يصح ما ذكرتموه مع قوله تعالى فاذا هي ثعبان مبين وهذا يقتضى أنها صارت ثعبانا بعد الالتقاء بلا فصل ٠٠ قلنا ليس تقييد الآية ما ظن وانما فائدة قوله تعالى فاذا هي الاخبار عن قرب الحال التي صارت فيها يتلك الصفة وانه لم يطل الزمان في مصيرها كذلك وبجري هذا مجرى قوله تعالى (أولم يرَ الإنسانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) مع تباعد ما بين كونه نطفة وكونه خصيماً مبيناً وقولهم ركب فلان من منزله فاذا هو في ضيعته وسقط من أعلا الحائط فاذا هو في الأرض ونحن نعلم ان بين خروجه من منزله وبلوغه ضيعته زمناً وانه لم يصل اليها الا على تدرج وكذلك الهابط من الحائط وانما فائدة الكلام الاخبار عن تقارب الزمان وانه لم يطل ولم يمتد

[ آية أخرى ] ٠٠ قال الله تعالى ( وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى شَهِدْنَا ان تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ) ٠٠ وقد ظن<sup>(١)</sup> بعض من لا بصيرة له ولا فطنة عنده ان

(١) اعلم ان للمفسرين في هذه الآية قولين أحدهما ان ذلك الاخراج والشهاد حقيقة واليه ذهب كثير من قدماء المفسرين كسميد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة والنكبي وابن عباس قالوا ان الله استخرج ولد آدم من أصلاب آباءهم ففرهم بتوحيدهم وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك واقرارهم به واحتجوا لذلك بأحاديث كثيرة وردت من طرق متعددة يقوى بعضها بعضاً منها ما روى مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذبته الحديث وروى على عن ابن عباس في قوله تعالى واذا أخذ ربك الآية قال

تأويل هذه الآية ان الله استخرج من ظهر آدم جميع ذريته وهم في خلق الذر فقرهم  
بمفرقة وأشهدهم على أنفسهم وهذا التأويل مع ان العقل يبطله ويجعله مما يشهد بنظر القرآن  
بخلافه لأن الله تعالى قال واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم

ان الله تعالى خلق آدم ثم أخرج ذريته من صلبه مثل الذر فقال لهم من ربكم قالوا الله  
ربنا ثم أعادهم في صلبه حتى يولد كل من أخذ يشافه لايزاد فيهم ولا ينقص منهم الى يوم  
القيامة أما المعتزلة وأصحاب المعقولات من المفسرين فاتهم جعلوا ذلك على سبيل التثليل  
وقالوا انه تعالى أخرج الاولاد وهم الذرية من أصلاب آبائهم وذلك الاخراج انهم كانوا  
نطفة فاخرجها الله تعالى الى أرحام الامهات وجعلها علقة ثم مضى ثم جعلهم بشرأ  
سويا وخلقها كاملا ثم أشهدهم على أنفسهم بما ركب في عقولهم من دلائل وحدانيته  
ومجائب خلقته وغرائب صنعته فكأنه قررههم وقال أنت ربكم وكانهم قالوا بلى أنت  
ربنا شهدنا على أنفسنا واعترفنا بوحديتك قالوا وباب التثليل واسع في كلام الله ورسوله  
وكلام العرب وفي القرآن الكريم ( فقال لها والأرض اثنتا طوعا أو كرها قلنا أئبنا  
طائعين .. وقال الشاعر

امتلا الحوض وقال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني

وطلعنوا فيها ذهب اليه الفريق الأول بما بسطه المؤلف هنا وكل ما طعنوا به يمكن الجواب  
عنه .. أما قولهم ان المذكور في القرآن ان الله أخذ من بني آدم من ظهورهم لا من  
آدم ولا من ظهوره وما روى أصحاب القول الأول يدل على انه أخذ من آدم كما في الرواية  
التي سبق نقلها .. فالجواب عنه ان الله انما أخرج من صلب كل رجل ذريته الا انهم لما  
كانوا جميعاً من صلب آدم سبح أن يقال انه أخذهم من صلب آدم ومثل هذا الاستعمال  
سائع لا مجال للعلمن فيه .. وأما قولهم انهم حين أخرجوا فان كانوا عقلاء مستوفين  
لشرائط التكليف لزم أن يذكروا ذلك حين وجودهم وان لم يكونوا عقلاء لم يكن  
للاشهاد معنى .. فالجواب عنه أن نختار انهم كانوا عقلاء ولا يلزم أن يذكروا ذلك حين  
وجودهم الآن فان النفس انما تذكر حين ملاسستها للبدن ما كان وقع لها حين ملاسستها

ولم يقل من ظن به وقال ذريتهم ولم يقل ذريته ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لئلا يقولوا أنهم كانوا عن هذا غافلين أو يمتدروا بشرك آبائهم وأنهم نشؤوا على دينهم وسنتهم وهذا يقتضى أن الآيات لم تتناول ولد آدم أصله وإنما تناولت من كان له آباء مشركون وهذا يدل على اختصاصها ببعض ولد آدم فهذه شهادة العظامر ببطلان تأويله فأما شهادة العقل فمن حيث لا تخلو هذه الذرية التي استخرجت من أن تكون من ظهر آدم فخطوبت وقررت أن تكون كاملة العقول مستوفية لسروط التكليف أو لأن تكون كاملة العقول مستوفية لسروط التكليف فإن كانت بالصفة الأولى وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم وإنشأهم وإكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال وما قرروا به واستشهدوا عليه لأن العاقل لا ينسى ما يجري هذا الجرى وإن بعد العهد وطال الزمان ولهذا لا يجوز أن يتصرف أحد في بلد من البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد جميع تصرفه المتقدم وسائر أحواله وليس أيضاً لتخلخل الموت بين الحالين تأثير لأنه لو كان تخلخل الموت يزيل الذكر لكان تخلخل الذوم والسكر والجنون

فأما ما وقع لما عند تجردها عن البدن والانقطاع عنه أفلا تذكره مثل هذا يقع لأصحاب الرياضات فقد يتفق لبعضهم وقت تجرده في نفوسهم عن أبدانهم ويصدر عنهم حينئذ من الأقوال والأفعال شيء كثير فإذا عادت نفوسهم إليهم لم يذكروا شيئاً مما كان منهم ولهذا أسباب ليس هذا محل بسطها إنما الغرض أن نبين أن النفس إنما تذكر عند ملاسة البدن ما يقع لها في مثل ذلك الحال وإذا جاز أن تفارق النفس البدن زمنياً طفيفاً ثم لا تذكر عند العود إلى البدن ما كان منها عند المفارقة فكيف لها أن تذكر ما كان لها قبل أن يخفق البدن بآلاف من السنين .. هذا أقوى ما احتجوا به على إبطال قول الفريق الأول .. ثم اعلم بعد هذا أن ما ذهب إليه الفريق الثاني لا يبطل قول الفريق الأول ولا هو مستنكر في ذاته والتشبيه غير منسك في كلام أي كلام كان من كلام الخالق أو البشر وكما أمكن حمل الآية على التشبيه يمكن حمل الأحاديث فإنها غير صريحة في أن الإخراج حقيقة وإنما دعواهم أن المعنى الحقيقي غير ممكن إرادته ودعوى أن ذلك باطل شرعاً وعقلاً كما نسكروا بناهم وليس فيه إلا تعاقب الرأي والوهوم على ظاهر الكتاب والسنة كما هي عادة المتكلمين

والاغناء من أحوال العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من أحوالهم لأن سائر ما عدناه مما ينفي العلوم مجرى الموت في هذا وليس لهم أن يقولوا إذا جاز في العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه في حال الطفولية جاز ما ذكرناه وذلك إنما أوجبنا ذكر العقلاء لما ادعوه إذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملو العقول ولو كانوا بصفة الأطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه على أن تجوز النسيان عليهم ينقص الغرض في الآية وذلك أن الله تعالى أخبرنا بأنه إنما قررههم وأشهدهم لئلا يدعوا يوم القيامة الغفلة وسقوط الحجعة عنهم فيه فإذا جاز نسيانهم له عاد الأمر إلى سقوط الحجعة وزوالها وإن كانوا على الصفة الثانية من فقد العقل وشرائط التكليف قبح خطاياهم وقررههم وأشهادهم وسار ذلك عبثاً قديحاً فإن قيل قد أبطلتم قول مخالفكم فما تأويلها الصحيح عندهم قلنا في الآية وجهان أحدهما أن يكون تعالى إنما عني بها جماعة من ذرية نبي آدم خلفهم وبلغهم وأكل عقولهم وقررههم على السن رسله عليهم السلام بمعرفته وما يجب من طاعته فأقرروا بذلك وأشهدهم على أنفسهم لئلا يقولوا يوم القيامة إننا كنا عن هذا غافلين أو يعتذروا بشرك آبائهم وإنما أتى من أشبهه عليه تأويل الآية من حيث ظن أن اسم الذرية لا يقع إلا على من لم يكن عاقلاً كاملاً وليس الأمر كما ظن لأنه سمي جميع البشر بأنهم ذرية آدم وإن دخل فيهم العقلاء الكاملون وقد قال تعالى ( رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ) ولفظ الصالح لا يطلق إلا على من كان كاملاً عاقلاً فإن استبعدوا تأويلنا وحملنا الآية على البالغين المكلفين فهذا جوابهم . والجواب الثاني أنه تعالى لما خلقهم وركبهم تركيباً يدل على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته وأراهم العبر والآيات والدلائل في أنفسهم وفي غيرهم كان بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الذي أراد الله تعالى وتعدر امتناعهم منه وانسكابهم من دلالة بمنزلة المقر المعترف وإن لم يكن هناك اشماد ولا اعتراف على الحقيقة ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى ( ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالنا أيتها الطهارة إن لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب ومثله قوله تعالى

(شاهدين على أنفسهم بالكفر) ونحن نعلم ان الكفار لم يعترفوا بالكفر بأنفسهم وإنما ذلك لما ظهر منهم ظهوراً لا يتمكّنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به ومثل هذا قولهم جوارحي تشهد بنبعمتك وحالي ومرتفة بإحسانك .. وما روى عن بعض الحكماء من قوله سل الارض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجى نارك فان لم تحبك جواراً أحببتك اعتباراً وهذا باب كبير وله نظائر كثيرة في النظم والنثر يعنى عن ذكر جميعها القصر الذى ذكرناه منها (تأويل خبر) .. قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيما روى عن النبي عليه الصلاة والسلام ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال أراد يستغن به واحتج بقولهم تغنيت تغنياً وتغنايت تغناياً وأنشد بيت الأعمى

وَكَنتُ امْرَأً زَمَنًا بِالْعِرَاقِ عَفِيفَ الْمَتَاخِ طَوِيلَ التَّنَنِ

.. وقول الآخر

كَلَانَا غَنَى عَنْ أَخِيهِ حَيَاتَهُ وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغْنَانِيَا

واحتج أيضاً بقول ابن مسعود من قرأ سورة آل عمران فهو غني أى مستغن وبالحدِيث الآخر اعم كثر الصعلوك سورة آل عمران يقومها فى آخر الليل والصعلوك الفقير واحتج بحديث آخر روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا ينبغي لحامل القرآن أن يظن ان أحداً أعطى أفضل مما أعطى لانه لو ملك الدنيا بأسرها لكان القرآن أفضل من ملكه . واحتج أيضاً بخبر رفعه عن عبد الله بن نهيك انه دخل على سعد بنه فاذا مثال رث ومتاع رث فقل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن .. قال أبو عبيد فذكره المتاع الرث والمثال الرث يدل على ان التغنى بالقرآن الاستغناء به عن الكثير من المال - والمثال - هو الفراش قال الشاعر

يَكْلُ طَوَالِ السَّاعِدِينَ كَأَنَّما بَرَى بِسُرَى اللَّيْلِ الْمِثَالِ الْمُهْدَا

يعنى الفراش .. قال أبو عبيد ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحبة علينا بذلك اذ كان من لم يرجع بالقرآن ليس منه عليه الصلاة والسلام .. وذكر عن غير أبى عبيد جواب آخر وهو انه عليه الصلاة والسلام أراد من لم يحسن صوته بالقرآن ولم يرجع فيه واحتج

صاحب هذا الجواب بمحدث عبد الرحمن بن السائب قال آتيت سعداً وقد كف بصره فسلمت عليه فقال من أنت فأخبرته فقال مرحباً بأخي ياغني انك حسن الصوت بالقرآن وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا القرآن نزل مجزئاً فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتبكوا فابكوا فان لم يتغن بالقرآن فليس منا فقلوه فابكوا أو تبكوا دليل على ان التغني هو الترجيع والتحنين .. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يأذن الله لشيء من أهل الارض الا أصوات المؤذنين والصوت الحسن في القرآن ومعنى قوله لا يأذن يستمع له يقال أذنت للشيء آذن إذا استمعت له .. قال الشاعر

صَمٌّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِّرَتْ بِهِ وَإِنْ ذُكِّرَتْ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

.. وقال عدي بن زيد العبادي

أَيُّهَا الْقَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدَنْ      إِنَّ هَمِّي فِي سَمَاعٍ وَأَدَنْ

والاذن هو السماع وانما حسن تكرر المعنى اختلاف اللفظ وللعرب في هذا مذهب معروف ومثله

\* وَهِنَّدُ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ \*

فأما الددن فهو اللهو واللعب وفيه لغات ثلاث دد على مثال دم ودداً على مثال فتى وددكن على مثال حزن .. ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ما أنا من دد ولا الددمنية .. فان قيل كيف يحمل لا يأذن الله لشيء كاذنه لكذا وكذا على معنى الاستماع وهو تعالى سامع لكل شيء مسموع فأى معنى للاختصاص .. قلنا ليس المراد هنا بالاستماع مجرد الادراك وانما المراد به القبول فكأنه عليه الصلاة والسلام قال ان الله لا يتقبل أو يتيب على شيء من أهل الأرض كتقبله وثوابه على كذا وكذا ومن هذا قولهم هذا كلام لا أسمعُه وخاطبت فلانا بكلام فلم يسمعُه وانما يريد نفي القبول لا الادراك والبيت الذي أنشدناه يشهد بذلك لانه قال .. وان ذكرت بسوء عندهم أذِنُوا .. ونحن نعلم انهم يستمعون الذكر بالخبر والنثر معاً من حيث الادراك فوجه الاختصاص ما ذكرناه وقد ذكر أبو بكر محمد بن القاسم الانباري وجهاً ثالثاً في الخبر قال أراد عليه الصلاة والسلام من لم يتلذذ بالقرآن ويستعمله ويستمنب تلاوته كاستعماله أصحاب الطرب للغناء والتذاذهم به

وسمى ذلك تفتياً من حيث يفعل عنده ما يفعل عند التفتي بالفناء وذكر ان ذلك نظير قولهم الصائم تيجان العرب والخباء حيطان العرب والشمس حمامات العرب .. وأشد بيت النابغة

بُكَاءَ حَمَامَةٍ تَدْعُو هَدِيلاً مُفَجِّمَةً عَلَى قَتْنٍ تَنْسَى<sup>(١)</sup>

فشبه صوتها لما أطرب أطرب الغراب الفناء بالفناء وجعلوا الصائم لما قامت مقام التيجان تيجاناً وكذلك اللقول في الخبء والشمس .. وجواب أبي عبيد أحسن الأجوبة وأسلمها وجواب أبي بكر أبعدا لأن التلذذ لا يكون الا في المشتهيات .. وكذلك الاستحمام والاستعذاب وتلاوة القرآن ونهم معانيه من الأعمال الشاقة فكيف يكون ملذاً مشتهياً .. فان عاد الى أن يقول قد تستحلى التلاوة من الصوت الحزين .. قلنا هذا رجوع الى الجواب الثاني الذي رغبت عنه وانفردت عند نفسك بما يخالفه ويمكن أن يكون في الخبر وجه رابع خطر لنا وهو أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام من لم يتغن من غني الرجل بالمكان اذا طام مقامه به ومنه قيل المغنى والمغاني قال الله تعالى كأن لم تنغن بالأمر وكان لم يغتوا فيها أي لم يقيموا بها وقال الأسود بن يعفر الأيادي

وَلَقَدْ غَنَّا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ فِي ظِلِّ مَلِكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ<sup>(٢)</sup>

(١) - الهديل - ذكر الحمام وقيل انه طائر كان على عهد نوح عليه السلام سادده جارح من الطير فاما من حمامة الا وهي تبكي عليه الى اليوم وهذا من خرافات العرب في الزمن الأول وقد صنف بعض شعراء الاسلام أشعارهم هذه الحكاية كقول أبي العلام يرفي رجلا يابنات الهديل أسعدن أوعدن قليل العزاء بالاسعاد  
إبراهيم لله دركن فأنس اللواتي تحسن حفظ الوداد  
مانسبتن هالكاً في الأوان ..... خال أودي من قبل هلك إباد

والمقصود حكاية المشهور لأنهم يعتقدون ذلك - والمفجعة - المؤلمة بفقد ما يعز عليها - والفن - القفن وجمعه أفنان

(٢) - هو له من أبيات يشكو بها من موت لدهاته وتأخر وقاته أولها

وبيت الاعشى الذى أشده أبو عبيد

وَكَنتُ امْرَأً زَمَنًا بِالرِّاقِ عَفِيفَ الْمَبَاحِ طَوِيلَ الثَّنَنِ

بطول المقام أشبه منه بالاستغناء لان المقام يوصف بالطول ولا يوصف الاستغناء بذلك فكان الاعشى أراد اني كنت ملازماً لوطى مقيماً بين أهلي لا أسافر للاتجاع والطلب ويجرى قوله هذا مجرى قول حسان بن ثابت الانصاري

أَوْلَادُ جَفَنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْجَوَادِ الْمُفْضِلِ

أراد بقوله حول قبر أبيهم انهم ملوك لا ينتجعون ولا يفارقون محالهم وأوطانهم فيكون معنى الخبر على هذا الوجه من لم يرض على القرآن فلا يتجاوزة الى غيره ولا يتمناه الى سواه ويتخذة معنى ومنزلاً ومقاماً فليس منا فان قيل أليس يتعدى القرآن الى السنة والاجماع وسائر أدلة الشرع فكيف يحظر علينا تعديده قلنا ليس في ذلك تعدد للقرآن لان القرآن دال على وجوب اتباع السنة وغيرها من أدلة الشرع فمن اعتمده بعضها في شيء من الاحكام لا يكون منجاوزاً للقرآن وأما قوله عليه الصلاة والسلام ليس منا فقد قيل فيه انه لا يكون على أخلاقنا واستشهد بيت النابغة

إِذَا حَاوَلْتِ فِي أَسَدٍ فُجُورًا فَإِنِ لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي

ومن الحوادث لا أبالك اتى

لا أحتسدي فيها لموضع تلمة

كان كلف في آخر عمره فهو يقول ذلك

ماذا أو مل بعد آل محرق

أهل الحورنق والسدير وبارق

نزلوا بأنقرة يسيل عليهم

أرض تخيرها لطيب مقياسها

جمرت الرياح على محل ديارهم

فأرى النعم وكل ما يلهي به

ضربت على الأرض بالاسداد

بين العذيب وبين أرض مراد

تركوا منازلهم وبعد ايام

والقصر ذي الشرقات من سندان

ماء الفرات يجيهم من أطواد

كعب بن مامة وابن أم دؤاد

فكأنما كانوا على ميعاد

يوماً يصبر الى بلى ونفساد

•• وقيل انه أراد ليس منا أى على ديننا وهذا الوجه لا يليق الا بعبادتنا وهو بعصده  
بجواب أبي عبيد أليق لانه محال ان يخرج عن دين النبي وملكه من لم يحسن صوته  
بالقرآن ويرجع فيه أو من لم يتلذذ بتلاوته ويستحياها

[ مسألة ] •• [علم ان أصحابنا قد اعتمدوا في إبطال ماظنه أصحاب الرؤية في قوله تعالى  
( وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ) على وجوه معروفة لأشهر بينوا ان النظر  
ليس بعيد الرؤية ولا الرؤية من أحد احتمالاته ودلوا على ان النظر يتقسم الى أقسام  
كثيرة •• منها تغليب الحدفة الصحيحة في جهة المرئي طلباً لرؤيته •• ومنها النظر  
الذي هو الانتظار •• ومنها النظر الذي هو التعمط والمرحمة •• ومنها النظر الذي هو  
الفكر والتأمل وقالوا اذا لم يكن في أقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظواهرها تعلق  
واحتجنا جميعا الى طلب تأويل الآية من غير جهة الرؤية وتأويلها بعضهم على الانتظار  
لثواب وان كان المنتظر في الحقيقة محذوفاً والمنتظر منه مذكوراً على عادة للعرب معروفة  
وسلم بعضهم أن النظر يكون الرؤية بالبصر وحمل الآية على رؤية أهل الجنة لئلا الله تعالى  
عليهم على سبيل حذف المرئي في الحقيقة وهذا كلام مشروح في مواضعه وقد بينا ما يرد  
عليه وما يجاب به عن الشبهة المعترضة في مواضع كثيرة •• وههنا وجه غريب في الآية  
حكى عن بعض المتأخرين لا يفتر معتمده الى العدول عن الظاهر أو الى تقدير محذوف  
ولا يحتاج الى منازعته في أن النظر يحتمل الرؤية أولاً بحتمها بل يصح الاعتدال عليه سواها  
كان النظر المذكور في الآية هو الانتظار بالقلب أم الرؤية بالعين وهو ان يحمل قوله تعالى  
الى ربها الى انه أراد نعمة ربها لان الآلاء النعم وفي واحدتها أربع لغات ألا مثل قفاً  
وألى مثل رمي وإلى مثل ممي وإلى مثل حتى قال أعشى بكر بن وائل

أَيُّضُ لَا يَرْهَبُ الْهَزَالَ وَلَا يَقْطَعُ رُحْمًا وَلَا يَحُونُ إِلَىٰ

أراد أنه لا يحنون لنعمة وأراد تعالى الى ربها فأسقط التنوين للإضافة •• فان قيل فاي  
فرق بين هذا الوجه وبين تأويل من حمل الآية على انه أراد به الى ثواب ربها ناظرة  
بمعنى رائية لئلا تنميه ونوابه •• قلنا ذلك الوجه يفتر الى محذوف لانه اذا جعل الى حرفاً

ولم يعلقها بالرب تعالى فلا بد من تقدير محذوف وفي الجواب الذي ذكرناه لا يفتقر الى تقدير محذوف لان اليه اسم يتعلق به الرؤية ولا يحتاج الى تقدير غيره<sup>(١)</sup> والله أعلم بالصواب

اعلم أن مما وقع فيه الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة رؤية الباري جل شأنه في الآخرة فأثبت الأولون جواز ذلك ووقعه ونفى المعتزلة الأمرين واعتلوا لما ذهبوا اليه من عدم جواز رؤيته تعالى بأن الرؤية تعتمد كون المرئي في جهة وكونه مقابلاً للرأى وكونه غير مفرط البعد عنه ولا مفرط القرب منه فان اختلف شرط من ذلك لم يمكن وقوع الرؤية . قالوا وكل هذه الشروط لا يمكن اعتبارها في حقه سبحانه وتعالى فلا تكون رؤيته جائزة لأن ما يتوقف على محال فوجوده محال . وبناء على القاعدة المعروفة بين المتكلمين من ان النقل اذا عارضه العقل وجب تأويله حتى يوافق العقل عمدوا الى تأويل النصوص القرآنية المصرحة بوقوع رؤيته تعالى للجماعة من المؤمنين في الآخرة لئلا تصادم العقل فتأولوا قوله تعالى ( وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ) بما ذكره المصنف وتأولوا قوله تعالى لموسى ( ان تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ) بأنه علق الرؤية على استقرار الجبل حين تحركه واستقرار الجبل حين تحركه محال فمعلق عليه كذلك والحق الذي يجب التصير اليه أن رؤية الباري جل شأنه جائزة والآيات القرآنية التي وردت بوقوعها في الآخرة ان كان فيها بعض اجمال يتوغل التأويل فقد ورد في الأحاديث الصحيحة الصريحة ما لا يمكن الطعن فيه ولا صرفه عن ظاهره ومن ذلك الحديث الذي رواه أحد وعشرون صحابياً ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فكان هذا بياناً لجمل الآيات ثم ان كون الرؤية مشروطة بما تقدم من الشروط فانما ذاك في رؤية الحوادث وكون ذلك مشروطاً في رؤيته تعالى غير معلوم وقياس الغائب على الشاهد مع اختلاف ما بينهما غير جائز والوقوف عند ظواهر الشريعة واجب ما أمكن والتسرع في التأويل مجرد التوهم غير حيد والله الهادي

﴿ مجلس آخر ٤ ﴾

[تأويل آية] .. ان قال قائل ما تأويل قوله تعالى (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يِقُولُونَ) فظاهر هذا الكلام يدل على ان الايمان كان لهم فعله باذنه وأمره وليس هذا مذهبكم وان حمل الاذن هنا على الارادة ان من لم يقع منه الايمان لم يرد الله منه وهذا أيضاً بخلاف قولكم ثم جعل الرب الذي هو العذاب على الذين لا يعقلون ومن كان فاقداً عقله لا يكون مكلفاً فكيف يستحق العذاب وهو بالصدق من الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أكثر أهل الجنة بله .. الجواب يقال له في قوله تعالى الا باذن الله وجوه .. من يكون الاذن الامر ويكون معنى الكلام ان الايمان لا يقع إلا بعد ان يأذن الله فيه وبه ولا يكون معناه ما ظنه السائل من انه لا يكون للفاعل فعله الا باذنه ويجري هذا مجازاً في قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله ومعلوم ان معنى قوله ليس لها في الآية هو ما ذكرناه وان كان الاشبه في هذه الآية التي فيها ذكر الموت أن يكون اما بالاذن العلم .. ومنها أن يكون الاذن هو التوفيق والتيسير والتسهيل ولا شبهة في الله يوفق لفعل الايمان ويلتفت فيه ويسهل السبيل اليه .. ومنها أن يكون الاذن من قولهم أذنت لكذا وكذا اذا سمعته وعلمته وأذت فلانا بكذا اذا أعلمته فكما فائدة الآية الاخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات فانه ممن لا يخفى عليه الخفيات .. و أنكر بعض من لا بصيرة له أن يكون الاذن بكسر الالف وتسكين الذال عبارة عن اوزعم ان الذي هو العلم الاذن بالتحريك واستشهد بقول الشاعر

« إِنَّ هَمِّي فِي سَمَاعٍ وَأَذْنٌ »

وليس الامر على ما توهمه هذا التوهم لان الاذن هو المصدر والاذن هو اسم الفاعل فيجري مجازاً والحذر والحذر في انه مصدر والحذر بالتسكين الاسم على انه لو لم يسموعا الا الاذن بالتحريك لجاز التسكين مثل مثل ومثل وشبه وشبه ونظائر ذلك كثيرة .. ومنها أن يكون الاذن العلم ومعناه إعلام الله المبكفين بفضل الايمان وما يد

الى فعله ويكون معنى الآية وما كان لنفس ان تؤمن الا باعلام الله تعالى بعلمها على الايمان وما يدعوها الي فعله . . . فلما ظن السائل دخول الارادة في محتمل اللفظ فباطل لان الاذن لا يحتمل الارادة في اللفظ ولو احتملها أيضاً لم يجب ما توهمه لانه اذا قال ان الايمان لا يتبع إلا وأنا سر يد له لم ينتف أن يكون سر يداً لما لم يقع وليس في صريح الكلام ولا دلائل شيء من ذلك . . . وأما قوله تعالى ويحمل الرجس على الذين لا يعقلون فلم يعم بذلك الناقص العقول وإنما أراد الذين لم يعقلوا ولم يعملوا ماوجب عليهم علمه من معرفة الله خالقهم والاعتراف بنبوة رسوله والالتقياد الى طاعتهم ووصفهم تعالى بأنهم لا يعقلون تشبيها كما قال تعالى صم بكم عمي وكما يصف أحدنا من لم يفطن لبعض الامور أو لم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون وقتد العقل . . . فلما الحديث الذي أورده السائل شاهداً له فقد قيل انه عليه السلام لم يرد بالبله ذوى الفضلة والنقص والجنون وإنما أراد البله عن الشر والتبجح وسهام بلهاً عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه لامن حيث فقدوا العلم به ووجه تشبيهه من هذه حاله بالابله ظاهر فان الابله عن الشيء هو الذي لا يمرض له ولا يقصد اليه فاذا كان المنتزه عن الشر ممرضاً عنه هاجرا لفعله جاز ان يوصف بالبله للفاثمة التي ذكرناها ويشهد بصحة هذا التناول قول الشاعر

وَلَقَدْ لَهَوْتُ بِطَنَلَةِ مِيَالَةٍ      بِلِهَاءِ تَطْلُعُنِي عَلَى أَسْرَارِهَا

أراد انها بلهيا عن الشر والريبة وان كانت فطنة لغيرها . . . وقال أبو النجم العجلى

مِنْ كُلِّ عَجْزَاءِ سَقُوطِ الْبِرْقَعِ      بِلِهَاءِ لَمْ تُحْفَظْ وَلَمْ تُضَيِّعْ

أراد بالبلهيا ماذكرناه . . . فلما قوله سقوط البرقع فإراد انها تبرز وجهها ولا تسترته فنة بحسنه وادلالاً بجماله وقوله لم تحفظ أراد ان استقامة طرائقها تنفي عن حفظها وانها لعفاها ونزاهتها غير محتاجة الى مستد وموقف وقوله لم تضيع أراد انها لم تهمل في اغذيها وتسميها وترفيها فتشقى ومثل قوله سقوط البرقع . . . قول الشاعر

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَقْبَلْتُ      وَجُوهَ زَهَّاهَا الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا

. . . ومثله أيضاً

بَهَا شَرَقٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَعَتَبِيرٍ أَطَارَتْ مِنَ الْحُسْنِ الرَّدَاءَ الْمُحْبَرًا

أى رمت بها عنانها ثقة بالجمال والكمال .. ومثله وهو مליح

لَهَوْنَا بِمَنْجُولِ الْبَرَّاقِعِ حُصْبَةً فَمَا بَالُ دَهْرٍ لَزْنَا بِالْوَصَاوِصِ

أراد بمنجول البراقع اللاتي يوسعن عيون براقعهن ثقة بمحسهن ومنه الطغنة التجلاء  
والعنين التجلاء ثم قال ما بال دهر أحوجنا واضطرنا الى القباح اللواتي يضيقن عيون  
براقعهن لقبهجن والوصاوص هي النقب الصغار للبراقع .. وما يشهد للمعنى الاول  
الذى هو الوصف بالبله لايمنى الغفلة قول ابن الدينة

بِمَالِي وَأَهْلِي مَنْ إِذَا عَرَضُوا لَهٗ يَمِضُ الْأَذَى لَمْ يَدْرِ كَيْفَ يَجِيبُ

ويروى بفسى وأهلي

وَلَمْ يَتَذَكَّرْ عِذْرَ الْبَرِيِّ وَلَمْ تَزَلْ بِهِ سَكَنَةٌ حَتَّى يُقَالَ مُرِيبٌ

.. ومثله

أَحِبُّ اللَّوَاتِي فِي صِبَاهُنَّ غِرَّةٌ وَفِيهِنَّ عَنَ أَرْوَاجِهِنَّ طِمَاحٌ

مُسِيرَاتُ حُبِّ مُظْهِرَاتُ عَدَاوَةٍ تَرَاهُنَّ كَالْمَرَضَى وَهُنَّ صَحَّاحٌ

.. ومثله

يَكْتَبِينَ الْيَنْجُوجَ فِي كَبِدِ الْمَشَى حَتَّى وَبَلَهُ أَحْلَامُهُنَّ وَسَامٌ

.. أما قوله يكتبين - فأخوذ من لفظ الكبا وهو العود أراد يتبخرن به والينجوج هو  
العود وفيه ست لغات • ينجوج • وأنجوج • وبلنجوج • وألنجوج • وبلنجج • وألنجج  
.. فاما كبد المشى فهو ضيقه وشدته .. ومنه قوله تعالى ( لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ )  
وقد روى في كبة المشى والمعنى متقارب لان الكبة هي الصدمة مأخوذ من كبة الخيل  
وأما الوسام فهي الحسان من الوسامة وهي الحسن .. ويمكن ان يكون في البله جواب  
آخر وهو ان يجعل على معنى البله الذى هو الغفلة والنقصان في الحقيقة ويكون معنى

الخبر ان أكثر أهل الجنة الذين كانوا بلها في الدنيا فعدنا ان الله ينم الأطفال في الجنة  
 والمجانين والبهائم وانما لم نجعلهم بلها في الجنة وان كان ما يصل اليهم من التميم على سبيل  
 العوض أو التفضل لا يفتقر الى كمال العقل لان الخبر ورد بان الأطفال والبهائم اذا دخلوا  
 الجنة لم يدخلوها الا وهم على أفضل الحالات وأكملها ولهذا صرفنا البله عنهم في الجنة  
 ورددناه الي أحوال الدنيا والا فالعقل لا يمنع من ذلك كتمه إياه في باب الثواب والعقاب  
 [تأويل آية أخرى] . قال الله تعالى محزراً عن يوم القيامة ( ذلك يوم يجمع الله له الناس  
 وذلك يوم مشهود وما تؤخروه الا لأجل مهلود يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بأذنه )  
 • وقال في موضع آخر ( هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم ) وفي موضع آخر  
 ( وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ) وظاهر هذه الآيات ظاهر الاختلاف لان بعضها ينهي  
 عن أن التطق لا يقع منهم في ذلك اليوم ولا يؤذن لهم فيه وبعضها ينهي عن خلافه . وقد قال  
 قوم من المفسرين في تأويل هذه الآيات إن يوم القيامة يوم طويل تمتد فقد يجوز ان  
 يمنع التطق في بعضه ويؤذن لهم في بعض آخر وهذا الجواب يضعف لان الإشارة الى  
 يوم القيامة بطوله فكيف نجعل الحالات فيه مختلفة وعلى هذا التأويل يجب ان يكون  
 قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون في بعضه والظاهر بخلاف ذلك <sup>(١)</sup> . والجواب السيد  
 عن هذا أن يقال انما أراد الله تعالى نفي التطق المسموع المقبول الذي ينتفعون به ويكون

( ١ ) اعلم ان اليوم في لغة العرب قد يستعمل مراداً به بياض النهار من حين طلوع  
 الشمس الى غروبها وذلك اذا أضيف الي فعل له امتداد كقولك صمت يوماً فان الصوم  
 وهو الامساك تمتد فيراد باليوم بياض النهار وقد يراد به مطلق الوقت أي ساعة كان من  
 ليل أو نهار كما تقول جئتلك يوم السبت وزرتك يوم قدم زيد فها هنا المراد باليوم مطلق الوقت  
 ولا يصح ارادة المعنى الأول وفي الآية المضاف الى اليوم التطق منقياً وهو فعل غير  
 تمتد فيكون المراد باليوم مطلق الوقت قل أو أكثر فلا تكون هذه الآية منافية لما حكى  
 الله عنهم من قولهم ( ربنا أمثنا اثنين وأحييتنا اثنين ) وقولهم ( ربنا أخرجنا منها )  
 الى غير ذلك مما أخبر الله عنهم من قولهم وهذا الجواب لا يحتاج الى تكلف تقدير  
 لا ينطقون في بعضه حتى يكون خلاف الظاهر كما توهم المصنف

لم في مثله عذر أو حجة ولم ينف التعلق الذي ليست هذه حاله ويجرى هذا مجرى قولهم خرص فلان عن حجته وحضرنا فلانا يناظر فلانا فلم يقل شيئاً وإن كان الذي وصف بالخرس عن الحجة والذي نفى عنه القول قد تكلم بكلام كثير خزير إلا أنه من حيث لم يكن فيه حجة ولا به منفعة جاز إطلاق القول الذي حكيناه عليه ومثل هذا قول الشاعر

أُصِى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجْتُ      حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي الْخِذْرُ  
وَيَصْمُ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا      سَمِعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقَرُّ

•• وقال الآخر

لَقَدْ طَالَ كَيْتَمَانِيكَ حَتَّى كَأَنِّي      بَرَدَ جَوَابِ الْمَسَائِلِ عَنْكَ أُعْجِمُ

وعلى هذا التأويل قد زال الاختلاف لان التساؤل والتلازم لاحجة فيه •• وأما قوله تعالى ولا يؤذَنُ لهم فيعتذرون فقد قيل <sup>(١)</sup> أنهم غير مأورين بالاعتذار فكيف يعتذرون ويحجب بحمل الأذن على الأمر وإنما لم يؤسروا به من حيث كانت تلك الحال لان تكليف فيها والعباد ملجئون عند مشاهدة أحوالهم الى الاعتراف والاقرار •• وأحسن من هذا التأويل ان يحمل يؤذن على معنى أنه لا يستمع لهم ولا يقبل عذرهم والعلة في امتناع قبول عذرهم هي التي ذكرناها

[ تأويل خبر ] •• روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تسبوا الدهر فان الدهر هو

(١) هذا الاستشكال ساقط لا محل له ومنشأ توهم المتوهم أنه ظن لرفع يعتذرون المقرون بالفاء مع كونه بعد النفي أنه منقطع عما قبله وأن المعنى وهم يعتذرون ولم يؤذن لهم بالاعتذار وليس كما توهم وإنما هو مرتبط بما قبله والمعنى ولا يؤذن لهم بالاعتذار عما كان منهم حتى يعتذروا وهو عطف على يؤذن وإنما رفع لأنه رأس آية فرق بينه وبين ما قبله من رؤس الآي والرفع والنصب جائزان في مثل هذا كما في قوله تعالى ( من الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ) قرئ بالرفع والنصب جميعاً

الله ٠٠ وقد ذكر قوم في تأويل هذا الخبر ان المراد به لاتبوا الدهر فانه لا فعل له وان الله لمصرفه ومدبره مخذف من الكلام ذكر المصروف والمدير وقال هو الدهر ٠ وفي هذا الخبر وجه آخر هو أحسن من ذلك الذي ذكرناه وهو ان المصحدين ومن نفي الصانع من العرب كانوا ينسبون ما ينزل بهم من أفعال الله كالمرض والماقية والجذب والخصب والبقاء والفتاء الى الدهر جهلا منهم بالصانع جعلت عظمته ويذمون الدهر ويسبونه في كثير من الاحوال من حيث اعتقدوا أنه الفاعل بهم هذه الأفعال فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال لاتبوا من فعل بكم هذه الافعال ممن تمعتدون أنه الدهر فان الله تعالى هو الفاعل لها ٠٠ وانما قال ان الله هو الدهر من حيث نسبوا الى الدهر أفعال الله وقد حكي الله سبحانه عنهم قولهم ما هي الاحيائنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ٠٠ وقال لبيد

نظَرَ الدَّهْرُ اليَوْمَ فاقْتَبَلَ  
في قُرُومٍ سَادَةٍ مِنْ قَوْمِهِ  
أى دعا عليهم ٠٠ وقال عمرو بن قديشة

خَافَتْ بِهَا عَنِّي عِدَارُ لَجَامِي  
كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تَسْمِينَ حِجَبَهُ  
أَوْهٌ ثَلَاثًا بَعْدَهُنَّ قِيَامِي  
عَلَى الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وَعَلَى الْعَصَا  
فَكَيْفَ بَيْنَ يَرْمِي وَيَلْسَ بَرَامِي  
رَمَتْنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى  
وَلَكِنِّي أَرْمِي بِغَيْرِ سِهَامٍ  
جَلِيدًا حَدِيدَةَ الطَّرْفِ غَيْرِ كِهَامٍ  
فَلَوْ أَنَّهَا نَبَلٌ إِذَا لَاتَقَيْتَهَا  
وَلَمْ يُغْنِ مَا أَفْنَيْتُ سِلْكَ نِظَامٍ  
إِذَا مَا رَأَى النَّاسُ قَالُوا لَمْ تَكُنْ  
وَأَفْنَى وَمَا أَفْنَى مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةٌ  
وَتَأْمِيلُ عَامٍ بَعْدَ ذَلِكَ وَعَامٍ  
وَأَهْلِكُنِي تَأْمِيلُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٌ

٠٠ وقال الأسيدي ذم أعرابي رجلا فقال هو أ كثر ذنوبا من الدهر وأشد الفراه  
حَنَنْتَنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى  
كَأَنِّي خَانِلٌ أَذْنُو لِيصِيدِ

قَصِيرُ الْخَطْوِ يَحْسِبُ مِنْ رَأَى      وَ لَسْتُ مُقِيْدًا أَنِي بِقِيْدِ

•• وقال كثير

وَ كُنْتُ كَنَدِي رَجُلَيْنِ رَجُلِي صَحِيْحَةً      وَ رَجُلِي رَمِي فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتْ

•• وقال آخر

فَاسْتَأْتَرَ الدَّهْرُ النَّدَاةَ بِهِمْ      وَ الدَّهْرُ يَزْمِيْنِي وَمَا أَرْمِي  
يَا دَهْرُ قَدْ أَكْثَرْتَ فَجَعْتَنَا      بِسَرَاتِنَا وَوَقَرْتَ فِي الْعَظْمِ

قوله -وقرت في العظم- أراد به اتخذت فيه وقراً أو وقيرة والوقرة هي الحفيرة العظيمة تكون في الصفا يستنقع فيها ماء المطر والوقب أيضاً كذلك والوقيرة أيضاً الحفيرة إلا أنها دون الأولىين في الكبر وكل هؤلاء الذين روينا أشعارهم نسبوا أفعال الله التي لا يشاركه فيها غيره إلى الدهر لحسن وجه التأويل الذي ذكرناه

[ مسألة ] •• أعلم أن النافع التي عرض الله تعالى الأحياء لها ثلاث منفعة تفضل ومنفعة عوض ومنفعة ثواب •• فاما المنفعة على سبيل التفضل فهي الواقعة ابتداء من غير سبب استحقاق ولما فعلها أن يفعلها وله أن لا يفعلها •• وأما منفعة العوض فهي المنفعة المستحقة من غير مقارنة شيء من التعظيم والتبجيل لها •• وأما منفعة الثواب فهي المستحقة على وجه التعظيم والتبجيل •• فمنفعة العوض تبين من التفضل بالاستحقاق والثواب يبين من العوض بالتعظيم والتبجيل المصاحبين له فكأن التفضل أصل لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه وتأخر ماعداً لانه لا سبيل للمنتفع أن ينتفع بشيء دون أن يكون حياً له شهوة والابتداء بخناق الحياة والشهوة تفضل فقد صح أنه لا سبيل إلى النفع بمنفعة العوض والثواب إلا بعد تقدم التفضل •• فاما المنفعة بالثواب فهي الأصل للمنفعة بالعوض لان الآلام وما جرى مجرى الآلام مما يستحق به العوض متى لم يكن فيها اعتبار يفضي إلى الثواب ويستحق به لم يحسن فعلها وجرى عندنا مجرى العيب ولهذا نقول ان الله تبارك وتعالى لو لم يكلف أحداً من المكلفين ما كان يحسن منه أن يبتديء بالآلام وان عوض عليها والأحياء على ضرور فتمهم من عرض للمنافع الثلاث •• ومنهم

من عرض لاثنتين ومنهم من عرض لواحدة والمكلف المعرض للثواب لا بد أن يكون منفوعاً  
 بالفضل من الوجه الذي قلناه لأنه إذا خلق حياً وجعل له القدرة والشهوة والعقل  
 وضروب التمكين فقد نفع بالفضل وليس يجب فيمن هذه حاله أن يكون منفوعاً بالمعوض  
 لأنه لا يتبع أن يخلو المكلف منا من ألم يتدوّه الله به فلا يكون معرضاً للمعوض حتى  
 عرض له فقد تكاملت فيه المنافع فصار المكلف مقطوعاً على تعريضه لاثنتين من  
 المنافع ومجوزاً تكامل الثلاث له . فاما من ليس بمكلف فمقطوع في تعريضه على إحدى  
 المنافع وهي الفضل من حيث خلق حياً وممكن من كثير من المنافع ومشكوك في تعريضه  
 للمعوض من الوجه الذي بينا وكما قطعنا على أحد المنافع فيه فمن قاطعون أيضاً على  
 نفي التعريض للثواب عنه لفقد ما يوصل إليه وهو التكليف ولا بد في كل حي محدث  
 أن يكون معرضاً لإحدى هذه المنافع أو جميعها وإنما أوجبنا ذلك من جهة حكمة  
 التقديم تعالى لا من جهة أنه يستحيل في نفسه وإنما قلنا ليس بمستحيل لأن كونه حياً  
 وعاقلاً وذات شهوة وقدرة ليس منفعة بنفسه وإنما يكون منفعة ونعمة إذا فعل تعريضاً  
 للنفع فاما إذا فعل تعريضاً للضرر أو لوجه من الوجوه فإنه لا يكون منفعة ولا نعمة  
 وأوجبناه من جهة حكمة التقديم لأنه إذا جعل الحي بهذه الصفات فلا يخلو من أن يكون  
 أراد بها نفعه أو ضرره أو لم يرد بها شيئاً فإن كان الأول فهو الذي أوجبناه وإن كان الثاني  
 أو الثالث فالقديم تعالى منزّه عنهما لأن الثاني يجري مجرى الظلم والثالث هو العبث بعينه  
 وقد يشارك القديم تعالى في النفع بالفضل والمعوض الفاعلون المحدثون ولا يصح أن  
 يشاركوه في النفع بالثواب لأن الصفة التي يستحق المكلف لكونه عليها الثواب وهي  
 كون الفعل شاقاً عليه لا يكون إلا من قبله تعالى وليس لأحد أن يظن فيمن يهدي  
 إلى الدين والزهد إلى الإيمان وما يستحق به الثواب أنه معرض للثواب وذلك أن  
 المكلف قد يكون معرضاً للثواب ويصح أن يستحقه من دون كل بداية وإرشاد يقع  
 منا ولولا الصفة التي جعله الله عليها لم يصح أن يستحقه فإن الفضل بين الأمرين على  
 أن أحدهما وإن نفع غيره بالفضل والتعريض للمعوض فهذه المنافع منسوبة إلى الله  
 تعالى ومضافة إليه من قبل أنه لولا لعمه ومنافعه لم تكن هذه منافع ولا نعماً ألا ترى

أنه لو لم يخلق الحياة والشهوة لم يكن ما يوصل اليهما مما ذكرنا منفعة ولا نعمة ولو لم يخلق المشتى المذوذ لم يكن سبيل لنا الى النفع والانعام فبان بهذه الجملة ما قصدناه

### — مجلس آخر —

[إن سألت سائل] •• فقال متأويل قوله تعالى مخبراً عن مهلك قوم فرعون وتوريتهم لعدم  
 (كذلك وأوزناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين)  
 وكيف يجوز أن ينهي البكاء عنهما وهو لا يجوز في الحقيقة عليهما •• والجواب يقال  
 له في هذه الآية وجوه أربعة من التأويل •• أولها أنه تعالى أراد أهل السماء والأرض  
 لحذف كما حذف في قوله واشتل القرية وفي قوله حتى تضع الحرب أوزارها أراد أهل  
 القرية وأصحاب الحرب وبجري ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم يريد السخاء سخاء حاتم  
 •• وقال الخطيب

وَشَرَّ النَّبَايَا مَيِّتٌ وَسَطَ أَهْلِهِ كَهَلِكِ الْقَتَى قَدْ أُسْلِمَ الْحَيُّ حَاضِرُهُ

أراد شر النبايا ميتة •• وقال الآخر

قَلِيلٌ عَيْبُهُ وَالْعَيْبُ جَمٌّ وَلَكِنَّ الْعَيْبَ رَبُّ غَفُورٌ

أراد غفور رب غفور •• وقال ذو الرمة

هُمْ يُجَالِسُ صَنِيبُ السَّبَالِ أَدَلُّ سَوَاسِيَةُ أَحْرَارُهَا وَعَبِيدُهَا

أراد أهل السبيل •• وأصل السبيل - فإما أراد به الأعداء والعرب تصف  
 الأعداء بقوله أنهم يجالسون صنيب السبيل •• وقيل - سواسية - يريد أنهم مستوون  
 مشبهون بالحر والعبودية التي يترتبها لهم •• أراد تبارك المبالغة في وصف القوم  
 يسائرهم •• وقال الآخر الرمة - أنا - أنسرت عن عظم المصاب بالهلاك قلت  
 كذا •• قال جرير يري سمر بن عبد العزيز  
 المبالغة في عظم الأمر وشوكل ضرره •• قال جرير يري سمر بن عبد العزيز

الشَّمْسُ طَالِمَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَ

•• وقال يزيد بن مفرغ الحميري

الرَّيْحُ تَبْكِي شَجْوَهَا وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ فِي النَّمَامَةِ

•• وهذا صنيعهم في وصف كل امرئ جل خطبه وعظم موقعه فيصنفون النهار

بالظلام وان الكواكب طلعت نهاراً لفقد الشمس وضوئها •• قال النابغة

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِمَةٌ لَا الثُّورُ نُورٌ وَلَا الإِظْلَامُ إِظْلَامٌ

•• وقال طرفة

إِنْ تَسْوَلُهُ فَصَدَّ تَمَنُّهُ وَتُرِيهِ النَّجْمَ يَجْرِي بِالظُّهْرِ

•• ومن هذا قولهم لأرينك الكواكب بالتهار ومعناه أورد عليك ما يظلم له في عينك النهار

فتظنه ليلاً ذاكواكب •• وأما بيت جرير فقد قيل في انتصاب القمر والنجوم وجوه ثلاثة

•• أحدها أنه أراد الشمس طالمة وليست مع طلوعها كاسفاً نجوم الليل والقمر لأن عظم الرزة

قد سلها ضوءها فلم ينافي طلوعها ظهور الكواكب •• والوجه الثاني أن يكون انتصاب ذلك كما

ينتصب في قولهم لا أكلك الأبد والدهر وطوال المد •• ماجري مجري ذلك فكانه أخبر

بان الشمس تبكيه ما طلعت النجوم وظهر القمر •• والوجه الثالث أن يكون القمر ونجوم

الليل باكين الشمس على هذا المرقى فبكتن أي غلبتهن بالبكاء كما يقال باكى عبد الله

فبكته وكأثرني فكثرت أي غلبته وفضلت عليه •• وثالثها أن يكون معنى الآية الاخبار عن أنه

لا أحد أخذ بنارهم ولا انتصر لهم لأن العرب كانت لا تبكي على قتيل إلا بعد الأخذ

بناره وقتل من كان بواء به من عشيرة القاتل فكنتي تعالي بهذا اللفظ عن فقد الانتصار

والأخذ بالنار على مذهب القوم الذين خوطبوا بالفرآن •• ورابعها أن يكون ذلك كناية

عن أنه لم يكن لهم في الأرض عمل صالح يرفع منها إلى السماء ويطلق هذا التأويل ماروي

عن ابن عباس في قوله تعالى ما بكت عليهم السماء والأرض قيل له أويكيان على أحد

قال نعم مصلاه في الأرض ومصعد عمله في السماء •• وروى أنس بن مالك عن النبي صلى

الله عليه وسلم أنه قال مامن مؤمن إلا وله باب يسعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا

مات بكيا عاياه ومعنى البكاء هنا الاخبار عن الاختلال بعده كما يقال بكى منزل فلان بسده  
 .. قال ابن مقبل

اعمرُ أَيْبِكَ لَقَدْ شَاقَنِي مَكَانَ حَزْنَتِ لَهْ أَوْ حَزْنِ

.. وقال مزاحم العقبلي

بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ أَجْلِهِمْ فَتَهَلَّلْتُ دُمُوعِي فَايَّ الْجَازِعِينَ الْيَوْمُ  
 أَمْسْتَعْبِرُ أَيَسْكَى مِنَ الْهَوْنِ وَالْبِلَالِ وَآخِرَ يَسْكَى شَجْوَهُ وَيَسْمِ

فاذا لم يكن لهؤلاء القوم الذين أخبر الله عن بوارهم مقام صالح في الأرض ولا عمل  
 كريم يرفع الي السماء جاز أن يقال فابكت عليهم السماء والأرض .. ويمكن في الآية وجه  
 خامس وهو أن يكون البكا فيها كناية عن المطر والسقيا لان العرب تشبه المطر بالبكاء  
 ويكون معنى الآية أن السماء لم تسق قبورهم ولم تجد عليهم بالقطر على مذهب العرب  
 المشهور في ذلك لأنهم كانوا يستسقون السحاب لقبور من فقدوه من أهزأهم ويستنبئون  
 لمواضع حفرهم الزهر والرياح .. قال النابغة

فَمَا زَالَ قَبْرُ بَيْنَ تَبْنِي وَجَاسِمٍ عَلَيْهِ مِنَ الْوَسْعَى طَلٌّ وَوَابِلٌ  
 فَيَبَّتْ حَوْذَانَا وَعَوْفًا مَنُورًا سَأُتْبَعُهُ مِنْ خَيْرِ مَا قَالَ قَائِلٌ

وكانوا يجرّون هذا الدعاء مجرى الاسترحام ومثله اللهم الرضوان والفعل الذي أضيف  
 الي السماء وان كان لا يجوز اضافته الي الارض فقد يصح عطف الارض على السماء بان

(١) - تبنى - بضم أوله وسكون ثانيه مقصور بلدة بجوران من أعمال دمشق وقال ابن  
 حبيب تبنى قرية من أرض النبية لفسان قال ذلك في تفسير قول كثير

أَكَارِسَ حَلَّتْ مِنْهُمْ مَرَجٌ رَاهِطٌ فَأَكْنَفَ تَبْنِي مَرَجَهَا فَتَلَاهَا  
 كَانَ الْقَبَانُ الْغَرُّ وَسَطَ بِيُونَهُمْ لِهَاجِجٍ بَجُوعٍ مِنْ رُمَاحٍ حَلَالَهَا

- وجاسم - موضع آخر بالشام دفن بين هذين الموضعين أحد آل جفنة فراء النابغة  
 - وطل - بروى بدله جود - والوسى - مطر الربيع الاول ويقال للمطر الثاني الولي لأنه يلي

يقدر لها فعل يصح نسبتها إليها والعرب تفعل مثل هذا. قال الشاعر

يَأْتِيَتْ زَوْجَكَ قَدْ غَدَاً مُتَقَلِّبَةً سَيْفًا وَرُمْحًا

فقطف الرمح على السيف وإن كان التقلد لا يجوز فيه لكنه أراد حامل رمحاً ومثل هذا يقدر في الآية فيقال إنه تعالى أراد أن السماء لم تسق قبورهم وإن الأرض لم تشب عليها وكل هذا كناية عن حرمانهم رحمة الله ورضوانه

[تأويل خبر] ٠٠ روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أحب الأعمال إلى الله عز وجل أدومها وإن قل فعليكم من الأعمال بما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تموتوا وفي وصفه تعالى بالملل وجوه أربعة أولها أنه أراد نفي الملل عنه وأنه لا يمل أبداً فعلقه بما لا يقع على سبيل التبديد كما قال تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) ٠٠ وقال الشاعر

فَأِنَّكَ سَوْفَ تَحْكُمُ أَوْ تَنَاهِي إِذَا مَا شِئْتِ أَوْ شَابَ الْغُرَابُ

أراد أنك لأنحك أبداً ٠٠ فإن قيل ومن أين قلتم إن ما علقه به لا يقع حتى حكمت بأنه أراد نفي الملل على سبيل التأييد ٠٠ قلنا معلوم أن الملل لا يشتمل البشر في جميع آراهم وأوطارهم وأنهم لا يعرفون من حرص ورغبة وأمل وطمع فلهذا جاز أن يعلق ما علم تعالى أنه لا يكون بملهم ٠٠ والوجه الثاني أن يكون المعنى أنه لا يفض علىكم ويطرحكم حتى تتركوا العمل له وتمرضوا عن سؤاله والرغبة في حاجاتكم إلى جوده فسمى الفعلين مللاً وإن لم يكونا في الحقيقة كذلك على مذهب العرب في تسمية الشيء باسم غيره إذا وافق معناه من بعض الوجوه ٠٠ قال عدي بن زيد العبادي

ثُمَّ أَضْحَوْا لَيْبَ الدَّهْرِ بِعَمِّ وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ يُؤَدِي بِالرِّجَالِ

٠٠ وقال عبيد بن الأبرص الأسيدي

سَأْتِلُ بِنَا حُجْرَ ابْنِ أُمِّ قَطَامٍ إِذَا ظَلَّتْ بِهِ السَّمْرُ الذَّوَابِلُ تَلْمَبُ

(١) - حجر بن أم قطام هو حجر بن عمرو الكندي أبو امرئ القيس الشاعر وكان حجر هذا ملك على بني أسد فكان يأخذ منهم شيئاً معلوماً فاشتعوا منه فسار (٦ - أمالي)

فنسب اللب إلى الدهر والقنا تشبيهاً .. وقال ذو الرمة

وَأَبْيَضُ مَوْشَى الْقَمِيصِ لَصْبَتُهُ عَلَى خَصْرِ مِقْلَةٍ سَفِيهِ جَدِيلُهَا

فسمى اضطراب زمامها وشدة تحركه سفهاً لأن السفة في الأصل هو الطيش وسرعة الاضطراب والحركة وإنما وصف ناقته بالذكاء والنشاط .. وأما قوله - وأبيض موشي القميص - فأنما عني سيفه وقبضه جفنه والمقلاة الناقة التي لا يمشي لها ولد \* والوجه الثالث أن يكون المعنى أنه تعالى لا يقطع عنكم فضله واحسانه حتى تملوا من سؤاله فعملهم مال على الحقيقة وسمى فعله مللاً وليس بمل على الحقيقة للآزدواج ومشكلة اللفظتين في الصورة وإن اختلفتا في المعنى ومثل هذا قوله تعالى (فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم .. وجزاء سيئةً سيئةً مثلها) .. ومثله قول الشاعر وهو عمرو بن كلثوم التغلبي

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَهْلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

وإنما أراد المجازة على الجهول لأن العاقل لا يضجر بالجهل ولا يتدح به .. واتوجه الرابع أن يكون الراوي وهم غلط من الفتح إلى الضم وإن يكون قوله يُمل بالضم لا بالفتح وعلى هذا يكون له معنيان أحدهما أنه لا يعاقبكم بالراح حتى تملوا من عبادته وتعرضوا

إيهم فأخذ سرواتهم فقتلهم بالعصى فموا عبيد العصي وأسر منهم جماعة فيهم كعب بن الأشرف والأسدي فقام بين يدي الملك .. فقال

يَا عَيْنَ قَائِكِي مَا بَنِي أَسْدَهُمْ أَهْلُ النَّدَامَةِ

أَهْلُ الْقَبَابِ الْحُرِّ وَالسُّنَمِ الْمُؤَبَّلِ وَالْمَدَامَةِ

فِي كُلِّ وَادٍ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ وَالْقَصُورِ إِلَى الْعِجَامَةِ

تَعْرِيبَ هَانَ أَوْ صِيَا حِمْيَرٍ وَزَقَاءَ هَامَةِ

أَنْتَ لِلْمَلِكِ عَلَيْهِمْ وَهُمْ الْعَبِيدُ إِلَى الْقِيَامَةِ

فرحمهم الملك وعفا عنهم وسرحهم إلى بلادهم ثم أتهم أغاروا عليه في غرة منه فقتلوه واستولوا على أمواله فقال عبيد عدة قصائد يفتخر بذلك

عن طاعته لان الملة هي مشتوي الخبز يقال مل الرجل الخبزة وغيرها يملها اذا اشتواها في الملة وقيل ان الجر لا يقال له ملة حتى يخالطه رماده والمعنى الثاني أن يكون أراد انه لا يسرع الي عقابكم بل يحسب عنكم رفقاً وحتى تملوا حمله وتستعجلوا عذابه بركوبكم الحارم وتناهبكم في المآثم .. وروي انه قيل للفرزدق هل حسدت أحداً على شيء من الشعر فقال لا لم أحسد على شيء منه إلا لبي الأخيلىة في قولها

وَمَغْرَقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَحَاثُهُ      بَيْنَ الْبَيْوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيمًا  
حَتَّى إِذَا رُفِعَ الْأَوِيُّ رَأَيْتَهُ      تَحْتَ اللَّوِيِّ عَلَى الْخَمِيسِ زَعِيمًا<sup>(١)</sup>  
لَا تَقْرَبَنَّ الذَّهْرَ آلَ مَطْرِفٍ      لَا ظَالِمًا أَبَدًا وَلَا مَظْلُومًا

.. قال على أتى قد قلت

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عَنْدَهُمْ      لَهَاتِرَةً مِنْ جَذْبِهَا بِالْمَصَابِي  
سَرَّوْا وَيَحْبِطُونَ اللَّيْلَ وَهِيَ تَلْفُهُمْ      إِلَى شَمْعِ الْأَكْوَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ  
إِذَا أَبْصَرُوا نَارًا يَقْوَاونَ لَيْتَهَا      وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارَ غَالِبٍ<sup>(٢)</sup>

وليس أبيات الفرزدق بدون أبيات لبي بل هي أجزء الفاظاً وأشد أسراً إلا أن أبيات لبي أطبع وأنصع .. وقد كان الفرزدق مشهوراً بالحسد على الشعر والاستكثار لقلبه والافراط في استحسان مستحسنة .. وروي ان الكعبيت بن زيد الابدى رحه الله لما عرض على الفرزدق أبياتاً من قصيدته التي أوها

(١) - اللوى - اللواء سمي بذلك لأنه يلوى به يقال ألوى الرجل بشوبه اذا أشاح به - والحميس - الجيش لأن له خمسة أركان مقدمة وؤخرة وقلب وجناحان - والزعيم - الكفيل بالأمر القائم به

(٢) - خصرت - أصابها الخصر وهو شدة البرد - وغالب - أبو الفرزدق .. يقول انهم يمتنون اذا أبصروا ناراً أن تكون نار غالب لانهم يرون عندها من القرى مالا يرون عند نار أخرى

أَتَصْرِمُ الْجَبَلَ جَبَلَ الْبَيْنِ لَمْ أَمْ تَصَلُ فَكَيْفَ وَالشَّيْبُ فِي فَوْدِيكَ مُشْتَبَلُ

والأبيات

لَمَّا عَبَات لَقَوَسِ الْمَجْدِ أَسْهَمَهَا حَيْثُ الْجِدُّ دُعِيَ الْأَحْسَابِ تَتَّصَلُ

أَحْرَزْتَ مِنْ عَشْرَهَا تَسْعَاوُ وَاحِدَةً فَلَا الْمَعَى لَكَ مِنْ رَامٍ وَلَا الشَّلْلُ

الشمسُ إِيَّاكَ إِلَّا أَنَّهَا امْرَأَةٌ وَالْبَدْرُ إِيَّاكَ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلُ

حسده الفرزدق فقال له أنت خطيب وانما سلم له الخطابة ليخرجه عن أسلوب الشعر ولما بهره من حسن الابيات وأفرط بها اعجاباه ولم يتمكن من دفع فضائها جملة عدل في وصفها الي معنى الخطابة •• ووحده الفرزدق على الشعر واعجاباه به من أدل دليل على حسن تقده وقوة بصيرته فيه وان كان يطرب للجميل منه فضل طرب ويعجب منه فضل عجب ويدل أيضاً على انصافه فيه وأنه مستقل للكثير الصادر من جهته فان كثيراً من الناس قد يبلغ بهم الهوى والاعجاب والاستحسان لما يظهر منهم من شعر وفضل الى أن يعدوا عن محاسن غيرهم ويستقلوا منهم الكثير ويستصغروا الكبير •• ولايبات الفرزدق التي ذكرناها خبر مشهور متداول •• أخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة عن يونس قال دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ومعه نصيب الشاعر فقال لسليمان للفرزدق أنشدني فأنشده الابيات التي تقدم ذكرها فأسود وجه سليمان وغازفه فغله وكان يظن أنه ينشده مديحاً له فلما رأى نصيب ذلك قال ألا أنشدك فأنشده

أَقُولُ لِرَكْبٍ قَافِلِينَ لَمَيَّتِهِمْ قَفَاذَاتٍ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبُ

فَقُوا خَبْرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ إِنِّي لَمَعْرُوفُهُ مِنْ أَهْلِ وَدَانَ طَالِبُ

فَعَا جُوا فَأَثْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَنُوا أَثْنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

فقال له سليمان أنت أشعر أهل جلدتك •• وفي بعض الاخبار ان الفرزدق قال ذلك في نصيب لما سأله عنه سليمان •• وروي أيضاً أنه لما أنشد نصيب أبياته قال له سليمان

أخسنت ووصله ولم يصل الفرزدق فخرج الفرزدق وهو يقول

وَخَيْرُ الشُّعْرَاءِ كَرَمُهُ رِجَالًا وَشَرُّ الشُّعْرِ مَا قَالُ الْعَبِيدُ

ولا شبهة في أن أبيات الفرزدق مقدمة في الجزالة والرصانة على أبيات نصيب وإن كان نصيب قد أغرب وأبدع في قوله \* ولو سكتوا أننت عليك الحقايب \* إلا أن أبيات نصيب وقعت موقعها ووردت في حال تليق بها وأبيات الفرزدق جاءت في غير وقتها على غير وجهها فلهذا قدمت أبيات نصيب والفرزدق مع تقدمه في الشعر وبلوغه فيه الذروة العليا والعناية القصوى شريف الآباء كريم البيت له ولا بائه ما أثر لا تدفع ولا تجحد والفرزدق لقبٌ لقب به وليس باسمه وإنما لقب به لجهامة وجهه وغلظه لأن الفرزدقة هي القطعة الضخمة من العجين وقيل أنها الخبزة الغليظة التي تستخدمها النساء الفتوت \* \* واسمه هام بن غالب وكنيته أبو فراس وقيل أنه كان يكنى في شبابه بأبي مكبة<sup>(١)</sup> وهي أغرب كناه \* \* وكان شيعياً مائلاً إلى بني هاشم ونزع في آخر عمره عما كان عليه من القذف والنسب وراجع طريقة الدين على أنه لم يكن في خلال فسقه منسلخاً من الدين جملة ولا مهملاً أمره أصلاً \* \* وما يشهد بذلك ما أخبرنا به علي بن محمد الكاتب عن أبي بكر محمد بن يحيى الصولي عن أبي حفص الغلاس عن عبد الله ابن سوار عن معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال دخلت على الفرزدق فجعلت أحادثه فسمعت صوت حديد يتققع فتأملت الأمر فإذا هو مقيد الرجلين فسألت عن السبب

(١) كنى بذلك بنت له اسمها مكبة وكانت كأبها حاضرة الجواب خيشة اللسان فيقال إن رجلاً قرع باب الفرزدق يسأل عنه وكان مقطوع اليد فخرجت إليه مكبة فسألها عن أبيها فقالت أنه خرج في بعض حاجه ثم قالت مالي أرى يدك مقطوعة فقال قطعها الحرورية فقالت بل قطعت في اللصوصية فانصرف الرجل خجلاً ثم جاء الفرزدق فأخبر بذلك فقال أشهد أنها بنتي حقاً ثم أنشأ يقول

حام اذا ما كنت ذا حامي بدارمي بنته صبيته صمصحم يكنى أبامكبه

وكانت مكبة هذه من زنجية

في ذلك فقال اني آليت على نفسي اني لا أنزع القيد من رجل حتى أحفظ القرآن  
 .. وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو ذر القرامطيسي قال أخبرنا ابن أبي  
 الدنيا قال أخبرنا الزياتي عن الأصمعي عن سلام بن مسكين قال قيل للفرزدق علام  
 تقذف المحصنات فقال والله الله أحب الي من عيسى هاتين أفترأه يعذبني بعدها  
 .. وروى أنه تعلق باستار الكعبة فعاهد الله علي ترك الهجاء والقذف اللذين كان  
 ارتكبهما .. وقال

أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي وَإِنِّي  
 عَلَى حَلْقَةٍ لَا أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا  
 لَبِيبٌ رَتَاجٍ فَأَتَمًّا وَمَقَامٍ  
 وَلَا خَارِجًا مَن فِي زُورٍ كَلَامٍ  
 أَطَعْتُكَ يَا بَلِيسَ تَسْعِينَ حَجَّةً  
 فَلَمَّا قَضَى عَمْرِي وَتَمَّ تَمَامِي  
 فَرَعْتُ إِلَيَّ رَبِّي وَأَيَقَنْتُ أَنِّي  
 مَلَأَقٍ لِأَيَّامِ الْحَتُوفِ حِمَامِي

.. وروى الصولي عن الحسين بن الفياض عن إدريس بن عمران قال جاءني الفرزدق  
 فذاكرنا رحمة الله ومعها فكان أوثقنا بالله فقال له رجل أنك هذا الرجاء والمذهب  
 وأنت تقذف المحصنات وتفعل ما فعل فقال أروني لو أذنبت ذنباً إلى أبوي أكانا يقدفاني  
 في سنور وتطيب أنفسهما بذلك فقالنا لا بل كانا يرحمانك قال فأنا والله برحمة ربي أوثق  
 مني برحمتي .. وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا  
 عبد الله بن أبي سعيد الوراق قال حدثني محمد بن محمد بن سليمان الطفاوي قال حدثني  
 أبي عن جدي قال شهدت الحسن البصري في جنازة النوار امرأة الفرزدق وكان  
 الفرزدق حاضراً فقال له الحسن وهو عند القبر يأبأ فراس ما أعددت لهذا المضجع قال  
 شهادة أن لا إله الا الله منذ ثمانين سنة فقال له الحسن هذا العمود قارن الطنب .. وفي  
 رواية أخرى أنه قال نعم ما أعددت ثم قال الفرزدق في الحال

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي  
 إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ  
 أَشَدُّ مِنَ الْمَوْتِ التَّهَابُورَ ضَيْقًا  
 عَنِيفٌ وَسَوَاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا

لقد خاب من أولاد آدم من مشى إلى النار معلول القلادة أزرقا  
يُقاد إلى نار الجحيم مسربلا سرايل فطران لباسا محرقا

•• قال فرأيت الحسن يدخل بهضه في بعض ثم قال حبيبك •• ويقال ان رجلا رأى  
الفرزدق بعد موته في منامه فقال ما فعل الله بك فقال عفا عني بتلك الايات •• وأما  
ما يدل علي تشيعه وميله الى بنى هاشم فما أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني عمرو  
ابن داود العماني قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق قال  
حدثنا أبو ليلى قال جاء الكميت الى الفرزدق فقال يا عم اني قد قلت قصيدة أريد أمرضا  
عليك فقال له قل •• فانشده

\* طَرِبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ \*

فقال له الفرزدق قالي من طربت نكلتك أمك فقال

\* وَلَا لِعِبَاءِ مَنِيِّ وَذُو الشَّيْبِ يَأْعَبُ \*

وَلَمْ تَلْهِنِي دَارٌ وَلَا رَسْمٌ مَنَزَلٍ وَأَمَّ يَتَطَرَّبُنِي بَنَانٌ مَحْضَبُ

فقال له لإلام طربت فقال

وَلَا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرَ هَمُهُ أَصَاحَ غُرَابٍ أُمِّ تَمَرِضَ ثَعَابُ

[ قال المرتضى رضى الله عنه ] •• تقف علي الطير ثم تبندى بهمه ليعلم الغرض

وَلَا السَّانِحَاتِ الْبَارِحَاتِ عَشِيَّةٌ أَمْرَسَايِمُ الْقَرْنِ أُمِّ مَرَّ أَعْضَبُ (١)

وَلَكِنْ إِلَى أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالنَّهْيِ وَخَيْرِ بَنِي حَوَاءَ وَالْخَيْرِ يُطَلَّبُ

•• قال الفرزدق هو لاه بنو دارم •• فقال الكميت

(١) - السانحات - جمع سانحة - والبارحات - جمع بارحة والسانع من الطير ما

مر من ميسارك الى ميانك والبارح بعكسه والعرب كانوا يقيمون بالسانح ويشاءهون  
بالبارح •• ومن أمثالهم من لي بالسانح بعد البارح أى بالمبارك بعد المشوم

إِلَى النَّفْرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ بِجِبَّتِهِمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَابَنِي أَتَقَرَّبُ

فقال الفرزدق هو لاء بنو هاشم فقال الكميت

بَنِي هَاشِمٍ رَهْطُ النَّبِيِّ فَاثْنِي بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضِي مِرَارًا وَأَغْضَبَ

فقال له الفرزدق والله لوجزتهم الي سواهم لذهب قولك باطلا . وما يشهد أيضاً بذلك ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني . قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدثنا جدى يحيى ابن الحسن العلوي قال حدثنا الحسين بن محمد بن طالب قال حدثني غير واحد من أهل الادب أن علي بن الحسين عليه السلام حج فاستجهر الناس جاله ونشوا فوا له وجعلوا يقولون من هذا فقال الفرزدق

هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ هَذَا التَّمِيُّ النَّتِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَأْتَهُ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ

إِذَا رَأْتَهُ فُرَيْشٌ قَالَ قَاتِلُهَا إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكِبْرَمُ

يَكَادُ يَمْسِكُهُ عِرْفَانٌ رَاحَتِهِ رَكْنُ الْحَظِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

يُنْفِضِي حَيَاءً وَيُنْفِضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ

أَيُّ الْقَبَائِلُ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ لِأَوْلِيَّةِ هَذَا أَوْلَهُ نَعْمُ

مَنْ يَشْكُرُ اللَّهَ يَشْكُرُ أَوْلِيَّةَ ذَا قَالِدَيْنِ مِنْ نَيْتِ هَذَا نَالَةَ الْأُمَمُ

•• وفي رواية الغلابي أن هشام بن عبد الملك حج في خلافة عبد الملك أو الوليد وهو حدث السن فراد أن يستلم الحجر فلم يتمكن من ذلك لتراحم الناس عليه فجلس ينظر خلوة فاقبل علي بن الحسين عليه السلام وعليه إزار ورداء وهو من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً بين عيبيه سجادة كأنها ركة عز فجلس يطوف بالبيت فإذا بلغ الحجر شحى الناس له عنه حتى يستلمه هيبة له واجلالاً ففاض ذلك هشاماً فقال له رجل من أهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لأعرافه لئلا يرغب فيه أهل

التيام فقال الفرزدق وكان هناك جاضراً لكنني أهيرفه وذكر الأبيات وهي أكثر مما  
رويناه لكننا تركناها لأنها معروفة ٥٥ قال فغضب هشام وأمر بجس الفرزدق بسيفين  
بين مكة والمدينة فبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام فبعث الي الفرزدق بالتي  
ألف درهم وقال اعذرنا يا أبا فراس فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر منها لوصلناك  
به فردّها الفرزدق وقال يا ابن رسول الله ماقلت الذي قلت الا غضباً لله ولرسوله وما  
كنت لارزأ عليه شيئاً وردّها اليه فردّها عليه وأقسم عليه في قبولها وقال له قد  
رأى الله مكانك وعلم نيتك وشكر لك ونحن أهل بيت اذا أنفدنا شيئاً لم نرجع فيه  
فتقبلها وجعل الفرزدق يهجو هشاماً وهو في المجلس ٥٥ وما عجاه به

أَغْبَسْتِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالسَّحَابِ  
يَقَابُرَ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ  
الْيَا رِقَابُ النَّاسِ يَهْوِي مَنِيْبُهَا  
وَعَيْنًا لَهُ حَوْلَاءُ بَادٍ عِيُوبُهَا



### مجلس آخر ٦

[ان سأل سائل] ٥٥ فقال ما عندكم في تأويل قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ شَاعِرًا رَبَّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً  
وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ وظاهر هذه  
الآية يقتضي أنه تعالى ماشاء أن يكونوا أمة واحدة وأن يجتمعوا على الإيمان والهدى  
وهذا بخلاف ما يذهبون اليه ٥٥ ثم قال ولذلك خلقهم فلا يخلو من أن يكون عني إله  
للاختلاف خلقهم أو للرحمة ولا يجوز ان يعنى الرحمة لأن الكناية عن الرحمة لا تكون  
بلفظة ذلك ولو أرادها فقال ولتلك خلقهم فلما قال ولذلك يخلقهم كان رجوعه الي  
الاختلاف أولى وليس يبطل حل الآية على الاختلاف من حيث لم يكن مذكوراً فيها  
لان الرحمة أيضاً غير مذكورة فيها واذا جعلتم قوله تعالى الامن رحم دالا على الرحمة فكذلك  
قوله مختلفين دالا على الاختلاف على أن الرحمة هي رقة القلب والشفقة وذلك لا يجوز  
على الله تعالى ومتى ما تممّرتى بها ما ذكرناه لم يبق بها الا العفو وإسقاط الضرر وما جرى

جراها عن مستحقه وهذا مما لا يجوز أن يكونوا مخلوقين له على مذهبكم لأنه لو خلقهم  
للعقول ما حسن منه عقاب المذنبين ومواخذة المستحقين . . . الجواب يقال له أما قوله تعالى  
ولو شاء ربك فإنا عسى بها الميثقة التي ينضم إليها الأجزاء ولم يعن الميثقة على سبيل  
الاختيار وإنما أراد تعالى أن يخبرنا عن قدرته وأنه لا يغالب ولا يعصى مقهوراً من حيث  
كان قادر على العباد وأكرهم على ما أراد منهم . . . فاما لفظة ذلك في الآية لحملها على  
الرحمة أولى من حملها على الاختلاف<sup>(١)</sup> بدليل العقل وشهادة اللفظ . . . فاما دليل العقل  
فمن حيث علمنا أنه تعالى كره الاختلاف والذهاب عن الدين ونهى عنه وتوعد عليه  
فكيف يجوز أن يكون شيئاً له ومخبراً بخاق العباد عليه . . . وأما شهادة اللفظ فلأن  
الرحمة أقرب إلى هذه الكناية من الاختلاف وحمل اللفظ على أقرب المذكورين إليها  
أولى في لسان العرب . . . فاما ما طعن به السائل وتعلق به من تذكير الكناية وإن  
الكناية عن الرحمة لا تكون الا مؤنثة فباطل لان تأنيث الرحمة غير حقيق واذا كفي  
عنها بلفظة التذكير كانت الكناية على المعنى لان معناها هو الفضل والاعانم كما قالوا  
سرني كلنك بريدون سرني كلامك وقال تعالى (هذا رحمة من ربي) ولم يقل هذه وإنما  
أراد هذا فضل من ربي . . . وقالت الخنساء

فَذَلِكَ يَاهِنْدُ الرِّزِيَّةُ فاعلمي وَيَدْرَانُ حَرْبٍ حِينَ شَبَّ وَقُوْدُهَا

أرادت الرزء . . . وقال امرؤ القيس

( ١ ) - قالت - بل الصواب أن يعود على الاختلاف لا لأن رجوع اسم الإشارة  
على الرحمة غير ممكن بل لأن السياق يدل على خلافة فان الله جل شأنه ذكر صنفين من  
خلقه أحدهما أهل اختلاف وباطل والآخراهل حق ثم عقب ذلك بقوله ولذلك خلقهم  
فعم بقوله ذلك صفة الصنفين فأخبر عن كل فريق منهما أنه ليسر لما خلق له ومعنى  
قوله ولذلك خلقهم على هذا أنه على علمه النافذ فيهم قبل أن يخلقهم أنه يكون فيهم المؤمن  
والكافر والشقي والسعيد خلقهم فاللام في قوله ولذلك بمعنى على وهذا يندفع كل  
اشكال يرد هنا

بِرَهْرَهَةٍ رَوْدَةٍ رَخْصَةٍ كَخْرُوعِيَّةِ الْبَائِنَةِ الْمَنْفِطِرِ (١)

فقال المنفطر ولم يقل المنفطرة لانه ذهب الى الغصن .. وقال الآخر

هَيْثَا سَعِدٌ مَا أَقْتَضَى بَعْدَ وَقْعَتِي بِنَاقَةٍ سَعِيدٍ وَالْمَشِيَّةُ بَارِدٌ

فذكر الوصف لانه ذهب الى العشي .. وقال الآخر

قَامَتْ تُبْكِيهِ عَلَى قَبْرِهِ مَنْ لِي مِنْ بَعْدِكَ يَا عَامِرُ

تَرَ كَتَمِي فِي الدَّارِ ذَا غُرْبَةٍ قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ

فقال ذا غربة ولم يقل ذات غربة لانه أراد شخصاً ذا غربة .. وقال زياد الاعم

إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالسَّمَّاحَةَ ضَمْنَا قَبْرًا بَمَرٍ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِعِ

.. فقال ضمنا ولم يقل ضمنا .. قال الفراء لانه ذهب الى ان السباحة والشجاعة

مصدران والعرب يقولون قصارة الثوب بعجبني لان تأنيث المصادر يرجع الى الفعل وهو

مذكر .. وقال الفرزدق

نَجُوبٌ بِنَا الْفَلَاةِ إِلَى سَعِيدٍ إِذَا مَا الشَّاةُ فِي الْأَرْطَاةِ قَالَا

فذكر الوصف لانه أراد التيس .. فأما الارطاة واحدة الارطى وهو شجر يثبت

في الرمل تستظل بظلاله الظباء من الحر وتأوى اليه .. قال الشماخ

إِذَا الْأَرْطَاةُ تَوَسَّدَ أُرْدِيهِ خَدُودٌ جَوَازِيءٍ بِالرَّمْلِ عَيْنِ

.. وقوله - قالا - من القيلولة لامن القول على ان قوله تعالى الام من رحم ربك كما يدل على

الرحمة يدل أيضاً على ان يرحم فاذا جعلنا الكناية بلفظة ذلك عن أن يرحم كان التذكير

في موضعه لأن الفعل مذكر ويجوز أيضاً أن يكون قوله ولذلك خلقهم كناية عن

(١) - الرهرة - الناعمة البيضاء من النعمة - والرودة - اللينة من قولهم ربح

رود أي لينة - والرخصة - الفضة الناعمة - والخرعوبة - والخرعوب الغصن لسنته

أو الغصن السامق الناعم الحدبث البنات

اجتماعهم على الايمان وكونهم فيه أمة واحدة<sup>(١)</sup> ولا محالة ان لهذا خلقهم وبطابق هذه الآية قوله تعالى ( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ) . . وقال قوم في قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ان معناه انه لو شاء أن يدخلهم أجمعين الجنة فيكونوا في وصول جميعهم الى النعيم أمة واحدة وأجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) في انه أراد هداها الى طريق الجنة فعمل هذا التأويل أيضاً يمكن ان ترجع لفظة ذلك الى ادخالهم أجمعين الجنة لانه تعالى اتما خلقهم للمصير اليها والوصول الى نعيمها . . فاما قوله ولا يزالون مختلفين فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشهوات . . وذكر أبو مسلم محمد بن بحر في قوله مختلفين وجهاً غريباً وهو أن يكون معناه ان خلف هؤلاء الكافرين بخلاف سلفهم في الكفر لانه سواء قولك خلف بعضهم بعضاً وقولك اختلفوا وسواء قولك قتل بعضهم بعضاً واقتلوا . . ومنه قولهم لأفعل كذا ما اختلف العصران والجديدان أي جاء كل واحد منهما بعد الآخر فاما الرحمة فليست رقة القلب كما ظنه السائل لكنه فعل النعم والاحسان يدل على ذلك ان من أحسن الى غيره وأنعم عليه بوصف بأنه رحيم به وان لم تعلم منه رقة قلب عليه بل وصفهم بالرحمة من لا يعمدون منه رقة القلب أقوى من وصفهم الرقيق القلب بذلك لان مشقة النعمة والفضل والاحسان على من لارقة عنده أكثر منها على الرقيق القلب وقد علمنا أن من رق قلبه لو امتنع من الافضال والاحسان لم يوصف بالرحمة واذا أنعم وصف بذلك فوجب أن يكون معناها ما ذكرناه على أنه لا يمتنع أن يكون معنى الرحمة في الاصل ما ذكرتم ثم انتقل بالعارف الي ما ذكرناه كمنظاره وقد وصف الله القرآن بأنه هدى ورحمة من حيث كان نعمة ولا يتأني في القرآن ماظنوه وانما وصف رقة القلب بأنها رحمة لانها مما

(١) - قلت - هذا الجواب لا يخفى الا على مذهب المعتزلة الذين يجوزون على الكافر حل شأنه أن يقع في ملكه ما لا يريد . . أما على مذهب أهل السنة فلا يصح اشكال يردتهم للاجتماع على الايمان لم يفتروا فيه

بجوارده الرحمة التي هي النعمة في الاكثر وتوجد عنده خلق محفل وصف الشهوة بأنها  
 حجة لما كانت توجد عندها المحبة في الاكثر وليست الرحمة مختصة بالعفو بل تستعمل  
 في هروب النعم وضروف الاحسان ألا ترى انا نصف المنعم علي غيره المحسن اليه بالرحمة  
 وان لم يسقط عنه ضرراً ولم يتجاوز له عن زلة وانما سمي العفو عن الضرر وما يجري  
 مجراه رحمة من حيث كان نعمة لان النعمة باسقاط الضرر تجري مجرى النعمة بايصال  
 النعم فقد بان بهذه الجملة معنى الآية وبطلان ما ضمنه السائل سؤاله . . فان قيل اذا  
 كانت الرحمة هي النعمة وعندكم أن نعم الله شاملة للخلق أجمعين فأي معنى لاستثناء من  
 رحم من جملة المختلفين ان كانت النعمة هي الرحمة وكيف يصح اختصاصها بقوم دون  
 قوم وهي عندكم شاملة عامة . . قلنا لاشبهة في ان نعم الله شاملة للخلق أجمعين غير ان  
 في نعمه أيضاً ما يختص بها بعض العباد إما لاستحقاق أو لسبب يقتضي الاختصاص فاذا  
 حملنا قوله تعالى الا من رحم ربك على النعمة بالتواب فالاختصاص ظاهر لان النعمة  
 به لا تكون الا مستحقة فمن استحق التواب بأعماله وصل الى هذه النعمة ومن لم  
 يستحقه لم يصل اليها وان حملنا الرحمة في الآية على النعمة بالتوفيق للايمان واللطف  
 الذي وقع بعده فعل الايمان كانت هذه النعمة أيضاً مختصة لانه تعالى انما لم ينعم على  
 سائر المكلفين بها من حيث لم يكن في معلومه تعالى أن طعم توفيقاً وان في الافعال  
 ما يختارون عنده الايمان فاختصاص هذه النعم ببعض العباد لا يمنع من شمول نعم آخر كما  
 أن شمول تلك النعم لا يمنع من اختصاص هذه

[ تأويل خبر ] . . . روى أبو مسعود البدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لما  
 أدرك الناس من كلام النبوة الأولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت وفي هذا الخبر وجوه  
 من التأويل ثلاثة . . أحدها أن يكون معناه اذا علمت أن العمل لله وأنت لا تستحي  
 من الناظرين اليك ولا تتخوفهم أن ينسبوك فيه الى الرياء صنعت ما شئت لان فكرك فيهم  
 ومراقبتك لهم يقطعانك عن استيفاء شروط عملك ويمنعانك من القيام بمحدود حقوقه  
 واذا اطرحت الفكر توقرت على استيفاء عملك . . والوجه الثاني ان من لم يستحي من  
 المعاصي والمخازي والفضائح صنع ما شاء والظاهر ظاهر أمر والمعنى معنى تغليب وانكار مثل

قوله تعالى (اعملوا ما تهمم) وقوله عز وجل (فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وهذا نهاية التخليط والزجر ولاخبار عن كبر الذنب واطراح الحياء ويجري مجرى قولهم بعد أن فعل فلان كذا فليفعل ما يشاء وبعد أن أقدم على كذا فليقدم على ما شاء والمعنى المبالغة في التعظيم لما ارتكبه وقبح ما فترفه . . . والوجه الثالث أن يكون معنى الخبر إذا لم تفعل ما تستحي منه فافعل ما شئت فكأن المعنى إذا لم تفعل قبيحاً فافعل ما شئت لأنه لا ضرب من ضروب القذائح الا والحياء بصاحبه ومن شأن فاعله اذا قرع به أن يستحي منه ففى جانب الانسان ما يستحي منه من أفعاله فقد جانب سائر القبايح وما عندا القبيح من الافعال فهو حسن ويجرى هذا مجرى خبر عن نيتنا عليه الصلاة والسلام فيما أظنه أن رجلا جاء فاسترشد الى خصلة يكون فيها جاع الخير فقال عليه الصلاة والسلام اشتراط عليك أن لا تكذبى ولن أسألك ما وراء ذلك فهان على الرجل ترك الكذب خاصة والمعاهدة على اجتنابه دون سائر القبايح وشرط على نفسه ذلك فلما انصرف جعل كل ما همم بقبيح يفكر ويقول أرأيت لو سألتى عنه النبي ما كنت قائلة لا لاني ان صدقته افوضت وان كذبتى نعمت العهد بينى وبينه فكان ذلك سببا لاجتنابه لسائر القبايح وهكذا معنى الخبر الذى ناولناه لان في اجتناب ما يستحي منه اجتنابا لسائر القبايح [ تأويل خبر آخر ] . . . روى محمد بن الحنفية عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال<sup>(١)</sup> كان قد كثر على منابة التيمية ثم ابراهيم في ابن عم لها قطبي كان يزورها ويختلف اليها فتأتى لي النبي عليه الصلاة والسلام خذ هذا السيف وانطلق به فان وجدته عندها فاقته فات يا رسول الله أكون في أمرك كالسكة المحمأة أمضى لما أمرتني أم الشاهدبرى ما لا يرى الغائب فقال النبي عليه الصلاة والسلام بل الشاهدبرى ما لا يرى الغائب فأقبلت متوشحاً بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف فلما أقبلت نحوه علم انى أريده فأتى نخلة فرقى اليها ثم رمى بنفسه على فقاء وشعر برجائه فاذا انه أجب أسبح

( ١ ) - قلت - في النفس من هذا الحديث أشياء وفي عبارته ركة وفي سياقه اضطراب ولم يتيسر لنا حين النظر فيه الكشف عنه والوقوف على حقيقته وأعقاب الظن انه موضوع لا أصل له

ماله مما للرجال قليل ولا كثير فقدمتُ السيف ورجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم  
 فأخبرته فقال الحمد لله الذى يصرف عنا الرجس أهل البيت •• [قال المرتضى] رضى الله  
 عنه في هذا الخبر أحكام وضرب ونحن نبدأ بأحكامه ثم نتلوه بغيره •• فأول ما فيه  
 أن لقائل ان يقول كيف يجوز أن يأمر الرسول بقتل رجل على التهمة بغير بيته ولا  
 ما يجري مجراها •• والجواب عن ذلك ان القبطي جاز أن يكون من أهل العهد الذين  
 أخذ عليهم أن تجري عليهم أحكام المسلمين وأن يكون الرسول عليه الصلاة والسلام  
 تقدم اليه بالانشاء عن الدخول الى مارية نخالف وأقام على ذلك وهذا نقض للعهد وناقض  
 العهد من أهل الكفر مؤذن بالخاربة والمؤذن بها استحق للقتل •• فأما قوله - بل الشاهد  
 يرى ما لا يرى الغائب - فإما عنى به رؤية العلم لا رؤية البصر لأنه لا معنى في هذا الموضع  
 لرؤية البصر فكأنه عليه الصلاة والسلام قال بل الشاهد يعلم ويصح له من وجه الرأي  
 والتدبير ما لا يصح للغائب ولو لم يقل ذلك لوجب قتل الرجل على كل حال وإنما جاز  
 منه عليه الصلاة والسلام أن يخبر بين قتله والكف عنه ويفوض الى أمير المؤمنين عليه  
 السلام من حيث لم يكن قتله من الحدود والحقوق التي لا يجوز العفو عنها ولا يسع الا  
 اقامتها لأن ناقض العهد ممن الى الامام القائم بأمر المسلمين اذا قدر عليه قبل التوبة أن  
 يقتله وان يمن عليه •• ومما فيه أيضاً من الاحكام اقتضاؤه ان مجرد أمر الرسول عليه  
 الصلاة والسلام لا يقتضى الوجوب لأنه لو اقتضى ذلك لنا حسنت مراجعته ولا استفهامه  
 وفي حسنها ووقعها موقعها دلالة على أنه لا يقتضى ذلك •• ومما فيه أيضاً من الاحكام دلالة  
 على أنه لا بأس بالنظر الى عورة الرجل عند الامر ينزل ولا يوجد من النظر اليها ابداً بما  
 لحد يقام أو لعقوبة تسقط لان العلم بأنه أمسح أوجب لم يكن الا عن تأمل ونظر وإنما  
 جاز النظر والتأمل لتبيين هل هو ممن يكون منه ما قرف به أم لا والواجب على الامام  
 فيمن شهد عليه بالزنا وادعى انه محبوب أن يأمر بالنظر اليه وتبين أمره وبئنه أمر النبي  
 عليه الصلاة والسلام في قتل مقاتلة بنى قريظة لأنه أمر أن ينظروا الى مؤثر كل من  
 أشكل عليهم أمره فن وجدوه قد أتت قتلوه ولولا جواز النظر الى العورة عند الضرورة  
 لما قامت شهادة الزنا لأن من رأى رجلاً مع امرأة واقفاً عليها ولم يتأمل أمرها حتى

التأمل لم تصح شهادته ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن عبادة وقد سأله عن  
 وجد مع امرأته رجلاً أبقته فقال لا حتى يأتي بأربعة شهداء ولو لم يكن للشهداء  
 إذا حضروا تعدد النظر الى عورتيهما لإقامة الشهادة كان حضورهم كفيئتهم ولم يتم  
 شهادة الزنا لأن من شرطها مشاهدة العضو في العضو كالميل في المكحلة . . . فإن قيل كيف  
 جاز لأمر المؤمنين الكف عن القتل ومن أي جهة آثره لما وجده أجب وأي تأثير  
 لكونه أجب فيها استحق به القتل وهو تقض العهد . . . قلنا انه عليه الصلاة والسلام لما فوض  
 اليه الامر في القتل والكف كان له أن يقتله على كل حال وان وجده أجب لان كونه  
 بهذه الصفة لا يخرجه عن تقض العهد وانما آثر الكف الذي كان اليه ومفوضاً الى رأيه  
 لازالة التهمة والشك الواقعين في أمر مارية ولأنه أسفق من أن يقتله فيحقق الظن  
 ويلحق بذلك العار فرأى عليه السلام ان الكف أولى لما ذكرناه . . . وأما غريب الحديث  
 فقولُه شفر برجله يريد رفقها وأصله في الوصف اذا رفع رجله لابلول فأمانكاح الشغار  
 فبالكسر وقد قيل الشغار بالفتح وهو أن يزوج الرجل من هو وليها من بنت أو أخت  
 غيره على أن يزوجه بنه أو أخته بغير مهر وكان أحد العرب في الجاهلية يقول للآخر  
 شاعرفي أي زواجني حتى أزوجك وأظنه مأخوذاً من الشفر الذي هو رفع الرجل  
 لان الكاح فيه معنى الشفر فسمي هذا العقد شغاراً ومشاعرة لافضائه في كل واحد  
 من المتزوجين الى . . . في الشفر وسار اسمها لهذا الكاح كما قيل في الزنا سفاح لان الزانيين  
 يتساقطان الماء أي يسكبانه والماء هو الطنة . . . ويمكن أن يكون أيضاً الماء الذي يغتسلان  
 به فكنتي بذلك عن الزنا ثم صار اسمها له وعلماً عليه . . . ومن الشفر الذي هو رفع الرجل  
 قول زياد لابنة معاوية وكانت عند ابنه واقضرت يوماً عليه وتطلوات فشكاه الى أبيه  
 زياد فدخل عليها بالدره يضربها ويقول لها أشفراً ونفراً . . . وأما قول الفرزدق

شَعَارَةٌ تَقْدُ الْفَصِيلَ بِرِجْلِهَا فَطَّارَةٌ لِقَوَادِمِ الْأَبْكَارِ

. . . فانه من غريب شعره وفسره قال - شعارة - انها ترفع رجلها بالبول وقوله - تقد - الفصيل  
 برجلها - أي تركله وتدفعه عن الدنو الى الرضاع ليتوفر اللبن على الحلب أو أراد بتقدمه  
 أي تباليه في إيلامه وضربه ومنه الموقودة فاما قوله - فطاراة لقوادم الابكار - فالفطر

هو الحلب بثلاث أصابع والقوامم هي الاخلاف وانما خص الابرار بذلك لان سفر  
 أخلافها يمنع من حلبها ضباً - والضب - هو الحلب بالاصابع الارباع فكأنه لا يمكن  
 فيها لقصر أخلافها الا القطر ومعنى البيت تعبيره نساء جرير بأهن راعيات وذلك مما  
 تعبر به العرب النساء ألا ترى الى قوله قبل هذا البيت

كَمْ عَمَّةٌ لَكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَةٌ      فِدْعَاءٌ قَدْ حَلَبْتُ عَلَيَّ عِشَارِي  
 كُنَّا نَحْأَذِرُ أَنْ تَضِيْعَ لِقَاحُنَا      وَلَهَا إِذَا سَمِعَتْ دُعَاءَ يَسَارِ

ثم تلا ذلك بقوله شغارة ٠٠ [قال المرتضى رحمه الله عليه] وعندى أن قوله شغارة كناية  
 عن رفع وجهها للزنا وهو أشبه أن يكون مراده في هذا الموضع ألا ترى أنه قد وصفها  
 بالولة وترك حفظ اللقاح عند سماعها دعاء يسار - ويسار - اسم راع فكأنه قد وصفها  
 بالولة الى الزنا والاسراع اليه وترك حفظ ما استعفظته من اللقاح فالأشبه أن يكون  
 قوله شغارة مع كونه عقيب البيت الذي ذكرناه محمولا على ما أشرنا اليه ٠٠ فاما قولهم  
 ذهبوا شغراً يعر فليس من هذا في شيء وانما يراد به أنهم ذهبوا مفرقين مشتتين ومثله  
 ذهبوا عباديد وشعاليل وشعارير وأبادى سبأ كل ذلك بمعنى واحد ٠٠ وأما قوله - فاذا  
 أنه أجب - فيعني به المقطوع الذكر لأن الحلب هو القطع ومنه يعبر أجب اذا كان مقطوع  
 السنام وقد ظن بعض من تناول هذا الخبر أن الامسح هنا هو قليل لحم الالية كالارصع  
 والأرصح والأزلي وهذا غلط لان الوصف بذلك لا معنى له في هذا الخبر وانما أراد  
 تأكيد الوصف له بأنه أجب والمبالغة فيه لان قوله أمسح يفيد أنه مصطلم الذكر ويزيد  
 على معنى أجب زيادة ظامرة ٠٠ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني القاسم بن  
 الحسن الروراق قال حدثنا سليمان بن داود الطوسي قال حدثنا سوار بن عبد الله القاضي  
 عن الأصمعي قال دخات على الرشيد في الليل فتذاكرنا أحوال القمر فقلت العرب  
 تقول للقمر اذا كان ابن ليلة ما أنت ابن ليلة قال رضع سُخَيْلَةً حل أهلها برُمَيْنَةً ٠٠ قيل  
 له فأن أنت ابن ليلتين قال حديث أمّتين بكذب ومين ٠٠ قيل له ما أنت ابن ثلاث قال  
 قليل اللبآت ٠ وقيل أيضاً حديث فتيات غير جدٍ مؤتلفات ٠٠ قيل له فأن أنت ابن أربع  
 قال عتمة أم ربيع وقيل عتمة أم الربيع غير جامع ولا مرضع ٠٠ قيل له فأن أنت ابن

خمس قل عشاء خلفات فُئس ويقال حديث وأنس ويقال سر ومس .. قيل له فا أنت  
 ابن ست قال سر وبوت ويقال تحدث وبت .. قيل فا أنت ابن سبع قال دلجة ضبع  
 وقيل هدى لأنس ذى الجمع وقيل حديث جمع وقيل يضفر فى النسع وقيل يلتقط فى  
 الجزع .. قيل فا أنت ابن ثمان قال قرّة أضحيان .. قيل فا أنت ابن تسع قال منقطع  
 الشسع وقيل يضفر فى الجزع وقيل يلتقط فى الجزع وقيل الودع وقيل عشية أهل جمع  
 .. قيل فا أنت ابن عشر قال ثمان الشهر وقيل مخنق الفجر وقيل أؤدبك الى الفجر  
 وقيل أبادر الفجر .. قيل فا أنت ابن احدى عشرة قال اطعم عشاء وأرى بكرة وقيل  
 وأغيب بسحرة .. قيل فا أنت ابن اثنتي عشرة قال مؤنق للبشر للبدو والحضر .. قيل  
 فا أنت ابن ثلاث عشرة قال قر باهر بمعنى له الناظر .. قيل له فا أنت ابن أربع  
 عشرة قال مقبيل الشباب أضى .. مدجنت السحاب وقيل مضى لاسحاب .. قيل فا  
 أنت ابن خمس عشرة قال ثم الشباب وانتصف الحساب .. قيل فا أنت ابن ست عشرة  
 قال نافص الخلق بالعرب والشرق .. قيل فا أنت ابن سبع عشرة قال أمكنت المقنفر  
 القفرة .. قيل فا أنت ابن ثمانى عشرة قال قليل البقاء سريع الغناء .. قيل فا أنت  
 ابن تسع عشرة قال بطيء الطلوع بين الخشوع .. قيل فا أنت ابن عشرين قال أطلع  
 بسحرة وأضى بالهرة وقيل أميجر بالهرة .. قيل فا أنت ابن احدى وعشرين قال  
 كالقبس يرى بالهلس .. قيل فا أنت ابن اثنين وعشرين قال لأطلع الاريت ما أرى  
 .. قيل فا أنت ابن ثلاث وعشرين قال أطلع فى قامة ولا أجلو الظلمة .. قيل  
 فا أنت ابن أربع وعشرين قال لاقر ولا هلال .. قيل فا أنت ابن خمس وعشرين  
 قال دنا الأجل واتقطع الأمل .. قيل فا أنت ابن ست وعشرين قال دنا مادنا فلا  
 يرى منى الا شفا .. قيل فا أنت ابن سبع وعشرين قال أطلع بكراً ولا أرى ظهراً  
 .. قيل فا أنت ابن ثمان وعشرين قال أسبق شعاع الشمس .. قيل فا أنت ابن تسع  
 وعشرين قال ضئيل صغير فلا يرى الا البصير .. قيل فا أنت ابن ثلاثين قال هلال  
 مستبين .. قال الأصمى ثم قلت للرشيد يقال انه لا يحفظ هذا الحديث من الرجال  
 الا عاقل وقال خذه عليّ قلت هات فاعاده حتى بلغ الى قبل له ما أنت ابن ثمان قال قر

أضحيان •• قوله اما رضاع سخيله أراد تصغير سخله والمعنى ان القمر يبتى بقدر ما ينزل قوم فتضع شاتهم سخيلة ثم ترضعها ويرتحلون فبقاؤه في الأفق بمقدار هذا الزمان •• وقوله حل أهلها برميله فأظن ان المعنى فيه الاخبار عن قوة اللبث وسرعة الانتقال لأن الرمل ليس بمنزل مقام للقوم لأنهم كانوا يختارون في منازلهم جلد الأرض وهضبا والأماكن التي لا تستولى السيول عليها فخص الرميلا لهذا المعنى •• وقوله حديث أمتين يكذب وبين يريد أن بقاؤه قليل بمقدار ماتني الأمة فكذب لها حديثاً ثم يفترقان •• وقوله حديث غيبات غير جيد مؤتلفات يريد أنه يبتى بقاء غيبات اجتمعن على غير ميعاد فتحدثن ساعة ثم انصرفن غير مؤتلفات •• وقوله عتمة أم الربيع يقال عتمت إليه اذا تأخرت عن العشاء •• وقوله أم ربيع يعنى الناقة وهو تأخير حلبها يريد أن يبقاه بمقدار ما تحلب ناقة لها ولد ولدته في أول الربيع وهو أول النجاش والولد في هذا الوقت يسمى ربيعاً اذا كان ذكراً فان كان أنثى قيل رُبعة فان كان في آخر النجاش قيل هبع للذكر والانثى هبعة •• وقوله عشاء خلفات قمص فالخلفات اللواتى قد استبان حمارهن واحدها خلفتة وهى واحدة الخماش ولا واحد للمخاض من لفظها وانما قال عشاء خلفات لانها لاتسمى الى أن يغيب القمر في هذه الليلة والقعساء الداخلة الظهر الخارجة البطن •• وقوله سروريت يريد أنه لا يبتى الا بقدر ما يبثت الانسان ثم يسير •• وقوله قرأضحيان أي ضاح وبارز ويقال قرأضحياناً بالثوبين فهما جميعاً وقرأضحياناً بالاضافة ومنه قبل ليلة أضحيانة اذا كانت نفية البياض •• وقوله منقطع التسع أراد أنه يبتى بقدر ما يبتى تسع من قدر يعنى به حتى ينقطع •• وقوله يلنقط في الجرع أي انه مضي أبلج لو انقطعت عنقه فناة فيها شذور مفصلة بمجزع ماضع منها شئ اضيةه وبقائه •• وقوله أضي بالهرة يعنى لصفائه وسط الليل لأن هرة الشئ وسطه •• وقوله أمكنت المقتدر القفرة فالمقتدر الذي يتبع الأثار وقدرته موضعه الذي يقصده



—\*—\*—\*—\*—\*—\*—

—\*—\*—\*—\*—\*—\*—

—\*—\*—\*—\*—\*—\*—

[ان سأل سائل] عن قوله تعالى ( وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى

وأضل سبيلاً) فقال كيف يجوز أن يكونوا في الآخرة عمياً وقد تظاهر الخبر عن الرسول بأن الخلق يمشرون كما بدأوا سلين من الآفات والعاهاات قال الله تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده) وقال الله تعالى (وكما بدأكم تعدون) وقال جل وعز (فبصرك اليوم حديد) .. الجواب يقال في هذه الآية أربعة أوجه .. أحدها أن يكون العمى الأول انما هو عن تأمل الآيات والنظر في الدلالات والعبر التي أراها الله تعالى المكلفين في أنفسهم وفيما يشاهدون ويكون العمى الثاني هو عن الايمان بالآخرة والاقرار بما يجازى به المكلفون فيها من ثواب أو عقاب .. وقد قال قوم ان الآية متعلقة بما قبلها من قوله تعالى (ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله) الي قوله تعالى (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً) ثم قال بعد ذلك (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً) يعنى في هذه النعم وعن هذه العبر فهو في الآخرة أعمى أي هو عما غيب عنه من أمر الآخرة أعمى ويكون قوله في هذه كناية عن النعم لاعن الدنيا .. ويقال ان ابن عباس سأله سائل عن هذه الآية فقال له انزل ما قبلها فنهى على التأويل الذي ذكرناه .. والجواب الثاني من كان في هذه يعنى الدنيا أعمى عن الايمان بالله والمعرفة بما أوجب الله عليه المعرفة به فهو في الآخرة أعمى عن الجنة والثواب بمعنى أنه لا يبتدى الى طريقهما ولا يوصل اليهما أو عن الحجّة اذا سئل وأوقف ومعلوم ان من ضل عن معرفة الله تعالى والايمان به يكون يوم القيامة منقطع الحجّة مفقوداً للمآذير .. والجواب الثالث أن يكون العمى الاول عن المعرفة والايمان والثاني بمعنى المبالغة في الاخبار عن عظم ما يناله هؤلاء الكفار الجهال بالله من الخوف والنم والحزن الذي أزاله الله عن المؤمنين العارفين بقوله (لاخوف عليهم ولا هم يحزنون) ومن عادة العرب ان تسمى من اشتد همه وقوى حزنه أعمى سخين العين ويصفون المسرور بأنه قرير العين قال الله تعالى (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .. والجواب الرابع أن يكون العمى الأول عن الايمان والثاني هو الآفة في العين على سبيل العيونية كما قال الله تعالى (ونحشره يوم القيامة أعمى) قال رب لم حشرتني أعمى وقد كتبت

بصيراً قال كذلك أتت آياتنا فيسبئها وكذلك اليوم تُنسى ) ومن يجيب بهذا الجواب يتأول قوله تعالى ( كما بدأنا أول خلق نعيده ) على ان المعنى فيه الاخبار عن الاقتدار وعدم المشقة في الاعادة كما أنها معدومة في الابتداء ويجعل ذلك نظيراً لقوله تعالى ( وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ) ويتأول قوله ( فبصرك اليوم حديد ) على ان معناه الاخبار عن قوة المعرفة وان الجاهل بالله في الدنيا يكون عارفاً به في الآخرة والعرب تقول فلان بصير بهذا الأمر وزيد أبصر بكذا من عمرو ولا يريدون ابصار العين بل العلم والمعرفة ويشهد بهذا التأويل قوله تعالى ( لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ) أي كنت غافلاً عما أنت الآن عارف به فلما كشفنا عنك الغطاء بان أعلنك وجعلنا في قلبك المعرفة عرفت وعلمت فأما الخبر الذي يدعي رؤيته فهو خير واحد ولا حجة في منته وإذا عرف لفظه ربما أمكن تأوله على ما يطابق هذا الجواب ومن ذهب الى الأجوبة الأول يجعل المعنى الأول والثاني معاً غير الآفة في العين فإن عورض بقوله تعالى ( ونحشره يوم القيامة أعمى ) نؤله بالمعنى عن الثواب أو عن الحجية وقال في قوله لم نحشرته أعمى وقد كنت بصيراً ان معناه أتى كنت بصيراً في اعتقادي وظني من حيث كنت أرجو الهداية الى الثواب وطريق الجنة والمحصل من هذه الجملة انه لا يجوز أن يراد بالمعنى الأول والثاني جميعاً الآفة في العين لانه يؤدي الى ان كل من كان مكفوف البصر في الدنيا من مؤمن وكافر وطائع وعاص يكون كذلك في الآخرة وهذا باطل ويمتله يبطل أن يراد بالفظه أعمى الثانية المبالغة بمعنى أفضل من فلان ويبطله أيضاً أن المعنى الذي هو الحلقة لا يُتعمب منه بلفظة افعال وانما يقال ما أشد عماء ولا يجوز أن يراد بالمعنى الأول عسى العين والثاني العسى عن الثواب أو الجنة أو الحجية لانا نعلم ان فيمن عيبت عينه في الدنيا من يستحق الثواب ويوصل اليه ولا يجوز أن يراد بالأول والثاني العسى عن المعرفة والايمان لا على طريق المبالغة والتعجب ولا على غير ذلك لانا نعلم ان الجهال بالله تعالى المرعزين في الدنيا عن معرفته لا يجوز أن يكونوا في الآخرة كذلك فضلاً أن يكونوا على أبلغ من هذه الحالة لأن المعارف في الآخرة ضرورية يشترك فيها جميع الناس فلم يبق

بعد الذي أبطنناه إلا ما دخل في الأجوبة وعلى الأجوبة الثلاثة الأول إذا أريد بأعمى الثانية المبالغة والتعجب كان في موضعه لأن عمى القلب وضلاله يتمتع منه بلفظة أفعال وإن لم يجر ذلك في عمى الجارحة • • • • • ولئن أجاب بالجواب الرابع أن لا يجعل قوله تعالى فهو في الآخرة أعمى لفظه تعجب بل يجعله إخباراً عن عماء من غير تعجب وإن عطف عليه بقوله وأضل سيلاً ويكون تقدير الكلام ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وهو أضل سيلاً • • • • • فان قيل ولم أنكرتم التعجب من الخلق بلفظة أفعال • • • • • قلنا قد قال النحويون في ذلك إن الألوان والعيوب لا يتمتع منها بلفظة التعجب وإنما يعدل فيها إلى أشد وأظهر وما جرى مجراها • • • • • قالوا لأن العيوب والألوان قد ضارعت الأسماء وصارت خلفه كاليد والرجل ونحو ذلك فلا يقال ما أسوده ولا أعوره كما يقال ما أيده وما أرجله بل يقال ما أشد سواده كما يقال ما أشد يده ورجله • • • • • واعتلوا بعبارة أخرى قالوا إن الفعل من الألوان والعيوب على أفعال وأفعال نحو احمر وأعور وأحول وأحوال والتعجب لا يدخل فيها زاد على ثلاثة أحرف من الأفعال ألا ترى أنه لا يدخل في انطلق واستخرج ودحرج زيادته على ثلاثة أحرف • • • • • فان قيل لهم فقد قالوا عورت عينه وحولت قالوا هذا منقول من أفعال وهو في الحكم زائد على ثلاثة أحرف يدل على ذلك صحة الواو فيه كما صححت في اسود واحمر ولولا أنه منقول لاعتلت الواو فقلت عارت وحالت كما قيل خاف وهاب • • • • • وحكى عن الفراء في ذلك جوابان • • • • • أحدهما أن أفعال في التعجب فيه زيادة على وصف قبله إذا قال القائل أفضل وأجمل فهو أزيد في الوصف من جميل وفاضل ولم يقولوا ما أبيض زيداً لثلاث يسقط التزيد ولا يكون قبل أبيض وصف يزيد أبيض عليه بخالف لفظه لفظه كما خالف أفضل وأجمل فاضلاً وجميلاً فلما قام في أبيض وأحمر علم التزيد أدخلوا عليه ما يبين الزيادة فيه وقالوا ما أظهر حمرة زيد وما أشد سواد عمرو لأن أظهر يزيد على ظاهر وأشد زيد على شديد • • • • • والجواب الآخر أن التعجب مبنى على زيادة يصلح أن يتقدمها نقص وتقصير عن بلوغ التناهي فقالوا ما أعلم زيداً ليدلوا على زيادة علمه لأنهم في قولهم عالم وعلم لم يبلغوا في التناهي مبلغ أعلم ولم يقولوا ما أبيض زيداً لأن البياض لا تأتي

منه زيادة بعد نقص فعدلوا الى التعجب بأشده وما جرى مجراها وهذا الجواب ليس بسديد لأن الالوان قد تأتي فيها الزيادة بعد نقص وقد تدخل فيها المفاضلة الأخرى انما حله قليل من أجزاء البياض يكون أتعص حالاً في البياض مما حله لكثير من الأجزاء .. والجواب الأول الذي حكيناه عن الفراء أصوب وان كان ما قدمناه عن البصريين هو المعتمد .. وقد أنشد بعضهم معترضاً على ما ذكرناه قول الشاعر

يَا لَيْتَنِي مِثْلُكَ فِي الْبَيَاضِ أَيْبُضُ مِنْ أُخْتِ بَنِي أَبَاضٍ<sup>(١)</sup>

.. وأنشدوا أيضاً قول الشاعر

أَمَّا الْمُلُوكُ فَانْتَ الْيَوْمَ الْأَمَّهُمْ لَوْمًا وَأَبْيَضُهُمْ سِرْبَالٌ طَبَاحٌ

فأما البيت الأول قالت أبا العباس المبرد حمله على الشذوذ وقال ان الشاذ النادر لا يطعن في المعمول عليه والمتفق على صحته ويجوز أيضاً أن يقال في البيت الثاني مثل ذلك وقد قيل في البيت الثاني ان أبيض فيه ليس هو للمفاضلة وإنما هو افعال الذي مؤنثه فعلاؤه كقولهم أبيض وبيضاء ويجري ذلك مجرى قولهم هو حسن القوم وجمهاً وشريظهم خلقاً فكان الشاعر قال ومبيضهم فلما أضافه انتصب ما بعده لتمام الاسم وهذا أحسن من حمله على الشذوذ .. ويمكن فيه وجه آخر وهو ان أبيض في البيت وان كان في الظاهر عبارة عن اللون فهو في المعنى كناية عن اللؤم والبخل خذل لفظ التعجب على المعنى دون اللفظ ولوانه أراد بأبيضهم بياض الثوب ونقاه على الحقيقة لما جاز أن يسمي بياض بلفظة افعال والذي يجوز تعجبه بهذه اللفظة ما ذكرناه .. فأما قول المتأني

أَبْعِدْ بَعْدَتْ بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلْمِ

فقد قيل فيه ان قوله لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي كلام تام ثم قال من الظلم أي من جملة الظلم

(١) - أنشد - اللغويون البيت بافظ

جارية في درعها الفضااض أبيض من أخت بني أباض

- ودرع فضااض - واسمة وجارية فضااض عتامة

كما يقال حر من أحرار ولؤم من لئام أي من جلتهم .. قال الشاعر  
 وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ شِهَابٌ بَدَأَ وَاللَّيْلُ دَاجٍ عَسَا كَرُهُ

كأنه قال وأبيض كأن من ماء الحديد وقوله من ماء الحديد وصف لأبيض وليس يتصل به كاتصال من بأفضل في قولك هو أفضل من زيد ولقطة من في بيت المتنبي صرفوعة الموضع فانها وصف للأسود واذا أريد المناضلة والتعجب كانت منصوبة الموضع بأسود كما يقال زيد خير منك فنك في موضع نصب بخير كأنه قال قد خارك بخيرك أي فضلك في الخير وهذا التأويل يمكن أن يقال في قول الشاعر \* أبيض من أخت بني أباض \*

ويحمل على أنه أراد من جلتها ومن قومه ولم يرد التعجب وتأويله على هذا الوجه أولى من حمله على الشذوذ فاما قول المتنبي \* أبعد بعدت بياضاً لا بياض له \*

فالمعنى الظاهر للناس فيه أنه أراد لأضيائه له ولا نور ولا اشراق من حيث كان حلوله محزناً مؤذناً بتقصي الأجل وهذا لعمري معنى ظاهر إلا أنه يمكن فيه معنى آخر وهو ان يريد أنك بياض لالون بعده لأن البياض آخر الألوان في الشمر فجعل قوله لا بياض له بمنزلة لالون بعده وانما سوغ ذلك له أن البياض هو الآتي بعد السواد فلما نفي أن يكون للشيب بياض كان نفياً لأن يكون بعده لون .. وقد اختلف القراء في فتح الميم وكسرهما من قوله تعالى ( ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى ) فقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الميمين وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحزمة والكسائي بكسر الميم فهما جميعاً وفي رواية حفص لا يكسرهما وكسر أبو عمرو الاولى وفتح الأخيرة ولكل وجه .. أما من ترك امالة الجميع فان قوله حسن لان كثيراً من العرب لا يميلون هذه الفتحة .. وأما من أمال الجميع فوجه قوله أنه نحو بالانف نحو الياه ليصلم أنها تنقلب الى الياه .. وأما قراءة أبي عمرو بامالة الاولى وفتح الثانية فوجه قوله أنه جعل الثانية أفعل من كذا مثل أفضل من فلان فاذا جعلها كذلك لم تقع الألف في آخر الكلمة لان آخرها انما هو من كذا وانما تحسن الامالة في الاواخر وقد حذف من أفعل الذي هو لتفضيل الجار والمجرور جميعاً

وهما مرادان في المعنى مع الحذف وذلك نحو قوله تعالى (فانه يعلم السر وأخفى) المعنى وأخفى من السر فكذلك قوله تعالى (وأسل سبيلاً) فكأن هذا لا يكون الاعلى أفضل من كذا فكذلك المعطوف عليه

[ تأويل خبر ] ٥٠ روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تقيء الارض أفلاذ كبدها مثل الأصطوان من الذهب والفضة فيجيء القائل فيقول في مثل هذا قتلت وبجيء القاطع الرحم فيقول في مثل هذا قطعت رَحِيْمِي وبجيء السارق فيقول في مثل هذا قطعت يدي ثم يتركونه ولا يأخذون منه شيئاً ٥٥ معنى - تقيء - أي تخرج ما فيها من الذهب والفضة وذلك من علامات قرب الساعة ٥٥ وقوله تقيء تشبيه واستعارة من حيث كان اخراجا وانظاراً وكذلك تسمية ما في الارض من الكنوز كبداً تشبيهاً بالكبد التي في بطن البعير وغيره وللعرب في هذا مذهب معروف ٥٥ قال مرة بن محكان<sup>(١)</sup> السعدي في تقدير نصها الاضياف

لها أَرِزٌ يُزِيلُ اللَّحْمَ إِزْمِلُهُ      عَنِ الْعِظَامِ إِذَا مَا اسْتَحْمَشْتَ غَضَبًا  
تَرْمِي الصَّلَاةَ بِبَدْلِ غَيْرِ طَائِشَةٍ      وَقَفًا إِذَا آتَسْتَ مِنْ تَحْتِهَا لَهَبًا

فوصفها بالغضب تشبيهاً واستعارة ٥٥ فأما - الأريز - فهو الغليان والعرب تقول لجوفه أَرِزٌ مثل أَرِزِ الرجل - والأزمل - الصوت - واستحمت - أي غضبت يقال حمسه

(١) - محكان - يفتح أوله واسكان ثانيه من الماحكة وهي الملاحاة ورجل محكان

عسر الخلق لجوج فان كان محكان اسمه فهو من قبيل تسميتهم بسارق وظالم وان كان لقباً له فلعنه انما لقب به لسوءه كان في أخلاقه : وكان يقل مرة أبو الاضياف لمحبه لمه وأكرامه اياهم وفي هذه القصيدة يقول لزوجته

وقات لما غدوا أوصى قعيدتنا      غذي بنيك فلن تلقهم مُحَقِّبًا  
ادعي أباهم ولم أقرف بأهمهم      وقد حجت ولم أعرف لهم نَسَبًا  
أنا ابن محكان أخوالمى بنو مطر      أنمي اليهم وكانوا معشراً حَيًّا

وقته صاحب شرطة مصعب بن الزبير ولا عقب له - وصلاة - في بيتي الأصل جمع صال وهو المستدفئ بالنار - ونبلها - كناية عما يتطاير من القدم من الماء لشدة الغليان

أي أغضبته . . . وقال النابغة الجعدي في معنى الاستعارة

سَأَلْتَنِي بِأَنْسِي هَلَكُوا شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلَنَ

فوصف الدهر بالأنس . . . وقال قوم معنى البيت شرب أهل

الدهر بدمهم وأكلوا . . . واختاب أهل اللغة في الإفلاذ . . . فقال يعقوب بن السكيت  
الفلذ لا يكون إلا للبعير وهو قطعة من كبده ولا يقال فلذ الشاة ولا فلذ البقرة ويقال  
أعطى فلذاً من الكبدة وفلذة من الكبدة . . . قال أعشى باهلة

تَكْفِيهِ حَزَةٌ فَإِنَّ أَلَمَ بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيُرْوَى شُرْبَةُ النُّعْمِ

النعمة - الفدح الصغير . . . قال يعقوب ولا يقال أعطى حزة من السنام ولا من اللحم وإنما

الحزة في الكبدة خاصة فإذا أرادوا ذلك من السنام واللحم قالوا أعطى حذبة من لحم  
وهي القطعة الصغيرة ولفظة من سنام . . . وقال الطوسي عن أبي عبيد عن الأصمعي

قال يقال أعطى حذبة من لحم وحزة من لحم إذا كانت مقطوعة طولاً فإذا كانت  
مجتمة قلت أعطى بضممة من لحم وهبرة من لحم وذرة من لحم . . . ومثل هذا

الحديث قوله (وأخرجت الأرض أثقالها) . . . معناه أخرجت ما فيها من الكدوز . . . وقال قوم  
عنى به الموتى وأنها أخرجت موتها فسمى الله تعالى الموتى أثقالاً تشبهاً بالحلل الذي يكون

في البطن لأن الحلل يسمى أثقالاً قال تعالى (فلما أثقلت) . . . والعرب تقول إن للسيد الشجاع  
ثقل على الأرض فإذا مات سقط عنها بموته ثقل . . . قالت الخساعة ترى أخاها سخرأ

أَبْعَدُأُ بِنِ عَمْرٍو مِنْ آلِ الشَّرِيذِ حَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا

معناه أنه لما مات حلَّ عنها بموته ثقل لسودده وشرقه . . . وقال قوم معنى حلت زينت  
موتها به وهو مأخوذ من الحلية . . . وقال الشهرذلي الربوعي يرى أخاه

وَحَلَّتْ بِهِ أَثْقَالَهَا الْأَرْضُ وَأَنْتَ بِي لِمَشْوَاهُ مِنْهَا وَهُوَ عِفٌّ شَمَائِلُهُ

. . . وروى أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب قال قال زهير بن أبي سلمى المزني بيتاً  
شم أكسدى ومر به النابغة الذبياني فقال له يا أبا أمامة أجز قال ماذا قال

تَرَالُ الْأَرْضُ إِمَامَتٌ خِفَاءً وَتَحْيَا مَا حَيَّتْ بِهَا تَقِيلاً

نَزَلَتْ بِمُسْتَقَرِّ الْعِزِّ مِنْهَا . . . . .

فأذا قال فأكدى والله النابغة أيضاً وأقبل كعب بن زهير وهو غلام فقال له أبوهم أجزياخي فقال ماذا فانشده البيت الأول ومن البيت الثاني قوله بمستقر العز منها . . . فقال كعب \* فتمنعُ جانبيها أن يزولا \* .

فقال زهير أنت والله ابني وإنما خص الكعب من بين ما يشتمل عليه البطن لانه من أطايب الجزور . . . والعرب تقول أطايب الجزور الستام والملحاه والكعب . . . [قال المرتضى] رضى الله عنه واني لأستحسن قول الخنساء وقد قيل لها ما مدحت أخاك حتى مجوت أبك . . . فقالت

جَارِي أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهَمَّا      يَتَاوَرَانِ مَلَأَةَ الْحُضْرُ

حَتَّى إِذَا نَزَّتِ الْقُلُوبُ وَقَدْ      لُزَّتْ هُنَاكَ الْعُذْرُ بِالْمُذْرِ<sup>(١)</sup>

وَعَلَا هَتَافُ النَّاسِ إِلَيْهِمَا      قَالَ الْمُجِيبُ هُنَاكَ لَا أُذْرِي

بَرَزَتْ صَحِيفَةً وَجْهٍ وَالِدِهِ      وَمَضَى عَلَى غُلُوبَائِهِ يَجْرِي

أَوْلَى فَأَوْلَى أَنْ يُسَاوِيَهُ      لَوْلَا جَلَالُ السِّنِّ وَالْكِبَرِ

وَهُمَا وَقَدْ بَرَزَا كَأَنَّهُمَا      صَقْرَانِ قَدْ حَطَّأَ إِلَى وَكْرِ

ويقال انه قيل لأبي عبيدة ليس هذه الايات في مجموع شعر الخنساء فقال أبو عبيدة العامة أسقط من أن يجاد عليها بمثل ذلك . . . ولم يرى انها قد بلغت في مدح أخيها من غير إزاراء على أبيها النهاية لانها جمعت تقدم أبيها له عن قدرة منه على المساواة وعن غير تقصير منه وأنه أفرج له عن السبق معرفة بحقه وتسليها لكبره وسنه . . . وكان الخنساء نظرت في هذا المعنى الى قول زهير

فَشَجَّ بِهَا الْأَمَاعِرَ فَهِيَ تَنْوِي      هُوِيَ الدَّلُو أَسْلَمَهَا الرِّشَاءُ

(١) - قولها - نزت القلوب أى طمحت وناقت الى معرفة السابق من نزا ينزو اذا

وأنب . . . وقولها - لزت العذر بالعذر - أى قرنت العذر بالعذر -

فَلَيْسَ لِحَافَتِهِ كَلْحَاقِ الْإِفِّ وَلَا كَنْجَامِيَا مِنْهُ نَجَاهُ  
يُهْدِمُهُ إِذَا اخْتَفَتْ عَلَيْهِ تَمَامُ السَّنِّ مِنْهُ وَالذَّكَاءُ

ويشبهه أن يكون الكميته أخذ من الخنساء قوله في مغلد بن يزيد بن المهلب

مَا إِنْ أَرَى كَأَيْكَ أَدْرَكَ شَأْوَهُ أَحَدًا وَمِثْلَكَ طَالِبًا لَمْ يَلْحَقِ  
يَتَحَاذِيَانِ لَهُ فَضِيلَةُ سِنِّهِ وَتَلَوْتُ بَعْدَ مُصْلِيًا لَمْ تَسْبُقِ  
إِنْ تَنَزَّعَا وَاهُ فَضِيلَةُ سِنِّهِ فَمِثْلُ شَأْوِ أَيْكَ لَمْ يَتَعَاقِ  
وَلَنْ لَحِقَتْ بِهِ عَلَى مَا قَدَّمَضَى مِنْ بَعْدِ غَايَتِهِ فَاحْجِجْ وَأَخْلِقِ

ويشبهه هذا المعنى قول المؤمل بن أميل الكوفي الحاربي يمدح المهدي في حياة المنصور

لَنْ فَتَ الْمُلُوكِ وَقَدْ تَوَافَوْا لَيْكَ مِنَ السُّهُولَةِ وَالْوَعُورِ  
لَقَدْ فَاتَ الْمُلُوكَ أَبُوكَ حَتَّى بَقُوا مِنْ بَيْنِ كَابِ أَوْ حَسِيرِ  
وَجِئْتَ وَرَأَاهُ تَجْرِي حَبِيثًا وَمَا بَكَ حَيْثُ تَجْرِي مِنْ قُتُورِ  
وَقَالَ النَّاسُ مَا مِنْ ذِيْنَ إِلَّا عَمْرَلَةَ الْخَائِقِ مِنَ الْجَدِيرِ  
فَإِنْ سَبَقَ الْكَبِيرُ فَأَهْلُ سَبْقِ لَهُ فَضْلُ الْكَبِيرِ عَلَي الصَّغِيرِ  
وَإِنْ بَلَغَ الصَّغِيرُ مَدَا كَبِيرِ فَمَنْ خَلَقَ الصَّغِيرُ مِنَ الْكَبِيرِ

ومن هذا المعنى قول الشاعر

جِيَادُ جَرَّتْ فِي حَلْبَةٍ فَتَفَاضَلَتْ عَلَى قَدْرِ الْأَسْنَانِ وَالْمَرْقُ وَوَأَحَدُ

ومحاله بهذا المعنى بعض الشبه وإن لم يذكر فيه السن وتفضيل الكبر . قول زهير

هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَلْحَقُ شَأْوَهُمَا عَلَي تَكَالِيفِهِ فَمِثْلُهُ لِحَقًا  
أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَي مَا كَانَ مِنْ مَهْلٍ فَمِثْلُ مَا قَدَّمَ مِنْ صَالِحِ سَبْقًا

•• وروى أنه عرضت على جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي جارية شاعرة فاراد أن يبلوها فقال لها قولي في معنى بيتي زهير اللذين ذكرناهما فقالت

بَلَمْتُ أَوْ كَذتْ يَحْيَا أَوْلَحَتْ بِهِ      فَنَلْتُمَا خَالِدًا فِي شَأْوَ مُسْتَبِقِ  
لَكِنْ مَضَى وَتَلَى يَحْيَى فَأَنْتَ لَهُ      تَالِي تَمَلَّتْ دُونَ الرُّكُضِ بِالْعَنْقِ

ومن أحسن ما قيل في المساواة والمقاربة وهو داخل في هذا المعنى مناسب له  
•• قول عباد بن شبل

إِذَا اخْتَرْتِ مِنْ قَوْمِ خِيَارِ خِيَارِهِمْ      فَكَلُّ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ خِيَارُ  
جَرَوْا بَيْنَانٍ وَاحِدٍ فَضَّلَ بَيْنَهُمْ      بَأَنَّ قَيْلَ قَدَاتِ الْمِدَارِ عِدَارُ  
•• وقول الكهيت

مُضَلِّ أَبَاهُ لَهُ سَابِقُ      بَأَنَّ قَيْلَ قَدَاتِ الْمِدَارِ الْمِدَارَا

ومثله قول العتابي وهو مبالغ جداً

كَمَا تَقَادَفُ جُرْدٌ فِي أَعْتَبِهَا      سَبَقًا بِأَذَانِهَا مَرًّا وَبِالْمَعْدُرِ

•• وأول من سبق إلى هذا زهير في قوله يصف مطايرة البازي للقطاة ومقاربتها لها  
دُونَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ الْأَرْضِ قَدْرُهُمَا      عِنْدَ الذَّنَابِيِّ فَلَا فَوْتُ وَلَا دَرَكُ  
•• وقد لفظ أبو نواس هنا للمنى في قوله يمدح النضل بن الربيع ويذكر مقاربتة لأبيه  
في الجرد والسودد

ثُمَّ جَرِي الْفَضْلُ فَانْتَنَى قَدَمًا      دُونَ مَدَاهُ مِنْ غَيْرِ تَرْهِيْقِ

فقيل راشا سهمًا يُرَادُ بِهِ السَّيْفُ وَالنَّصْلُ سَابِقُ الْفَوْقِ<sup>(١)</sup>

وبشا كل ذلك قول البحرى في ابن أبي سعيد الثغرى

(١) - راش - السهم أزرق عليه الريش - والنصل - حديدة السهم - والفوق -

موضع الوتر من السهم •• يقول ابن أبيه سابق عليه من غير قصور منه

جَدُّ كَجَدِّ أَبِي سَمِيدٍ إِنَّهُ تَرَكَ السَّمَاءَ كَأَنَّهُ لَمْ يُشْرِفِ  
 قَاسَمَتَهُ أَخْلَاقَهُ وَهِيَ الرَّدَا لِلْمُعْتَدِي وَهِيَ النَّدَا لِلْمُعْتَبِ  
 وَإِذَا جَرَى مِنْ غَايَةِ وَجَرِيَتْ مِنْ أُخْرَى التَّقَى شَأْوَ كَمَا فِي الْمُنْصَفِ

وبشبهه أيضاً قوله

وَإِذَا رَأَيْتَ شَمَائِلَ ابْنِي صَاعِدٍ أَدَّتْ إِلَيْكَ شَمَائِلَ ابْنِي مُخَلَّدِ  
 كَالْفَرْقَدَيْنِ إِذَا تَأَمَّلَ نَاطِرُهُ لَمْ يَلْعُلْ مَوْضِعُ فَرْقَدٍ عَنْ فَرْقَدِ

فاما قول الخنساء - يتعاوران ملاءة الحضرة - فهي تعني بالملاءة الغبار فان عدي بن الرقاع كأنه نظر إليها في قوله يصف حاراً وأنا

يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الْغُبَارِ مَلَاءَةٌ يَبِيضَاءُ مُحَدَّثَةٌ هُمَا نَسَجَاهَا  
 تَطْوِي إِذَا وَطَنًا مَكَانًا جَاسِيًا وَإِذَا السَّنَابِكُ أُسْهَلَتْ نُشِرَ أَرَاهَا

وهذا المعنى وان كان هو معنى الخنساء بعينه فقد زاد في استيفائه عليها زيادة ظاهرة صار من أجناسها بل المعنى أحق منها • وقد ابتدأ بهذا المعنى رجل من بني عقيل فقال من قصيدة

يُثِيرَانِ مِنْ نَسْجِ التُّرَابِ عَلَيْهِمَا قَمِيصَيْنِ أَسْمَلًا وَيَزِيدِيَانِ

### مجلس آخر ٨

[ان سأل سائل] • عن قوله تعالى (وَجَاؤْا عَلَيَّ قَمِيصِهِ يَدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) فقال كيف وصف الدم بأنه كذب والكذب من صفات الاقوال لامن صفات الاجسام وأي معنى لوصفه الصبر بأنه جميل ومعلوم ان صبر يعقوب على فقد ابنه يوسف لا يكون الا جيلاً ولم ارتفع

الصبر وما المتقضي لرفعه .. الجواب يقال له أما كذب فعناه مكذوب فيه وعليه فنل  
قولهم هذا ماء سكب وشراب صب يريدون مسكوبا ومصبوبا ومثله أيضاً قولهم ماء غور  
ورجل صوم وامرأة نوح .. قال الشاعر

تَظَلُّ جِيادَهُمْ نَوْحاً عَلَيْهِمْ      مَقْلَدَةً أَعْتَبَهَا صُفُونَا

أراد بقوله نوحاً أي نائحة عليهم .. ومثله ما للفلان معقول يريدون عقلاً وماله على هذا الأمر  
مجلود يريدون جلدأ .. قال الشاعر

حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْتَرُ كَوَالِ عِظَامِهِ      لَحْماً وَلَا لِقَوَادِرِهِ مَعْقُولَا

وأنشد أبو العباس ثعلب

قَدْ وَالَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بِقَدْرِهِ      بَلَغَ الْعِزَّاءَ وَأَدْرَكَ الْمَجْلُودُ

.. وقال الفراء وغيره يجوز في النحو بدم كذباً بالنصب على المصدر لأن جاؤا  
فيه معنى كذبوا كذباً كما قال تعالى (والعاديات ضيغاً) فنصب ضيغاً على المصدر لأن  
العاديات بمعنى الضايحات وإنما كان دماً مكذباً وبأفيه لأن اخوة يوسف عليه السلام ذبحوا  
سخله ولطخوا قيص بدمها وجاؤا أباهم بالقميص وادعوا أكل الذئب له فقال  
لهم يعقوب عليه السلام يا بني لقد كان هذا الذئب رفيقاً حين أكل ابني ولم يحرق قميصه  
قالوا بل قتله اللصوص قال فكيف قد قتلوه وتركوا قميصه وهم الى قميصه أحوج منهم  
الى قتله .. وقد قيل انه كان في قيص يوسف ثلاث آيات حين قتله قميصه من دبر وحين  
ألقى على وجه أبيه فارتد بصيراً وحين جاؤا عليه بدم كذب فتنبه أبوه على ان الذئب  
لو أكله لخرق قميصه .. وأما وصف الصبر بأنه جميل فلأن الصبر قد يكون جميلاً وغير  
جميل وإنما يكون جميلاً إذا قصد به وجه الله وفعل للوجه الذي وجب فلسا كان في هذا  
الموضع واقعاً على الوجه الحمود صح وصفه بذلك وقد قيل انه أراد صبراً لا شكوى فيه  
ولاجزع ولو لم يصفه بذلك لظن مصاحبة الشكوى والجرع له وأما ارتفاع قوله فصبر  
جميل فقد قيل ان المعنى وشأنني صبراً جميلاً أو الذي أعنقده صبراً جميلاً .. وقال قطرب  
معناه فصبري صبر جميل .. وأنشدوا

شَكَا إِلَيَّ جَعَلِي طَوَّلَ الشَّرِي يَاجَعَلِي لَيْسَ إِلَيَّ الْمُشْتَكَا

صَبْرٌ جَمِيلٌ فَكَلَّانَا مَبْتَلِي

معناه فليكن منك صبر جميل ٠٠ وقد روي ان في قرامة أبي فصبراً جميلاً بالنصب وذلك يكون على الاعزاء والمعنى فاصبري يا نفس صبراً جميلاً ٠٠ قال ذو الرمة

أَلَا إِنَّمَا مَيَّ فِصْبَرًا بَلِيَّةٌ وَقَدِ نَبَتِي الْحَرُّ الْكَرِيمُ فَيَصْبِرُ

٠٠ وقال الآخر

أَبِي اللَّهِ أَنْ يُبْقِيَ لِحِيَّ بِشَاشَةً فِصْبَرًا عَلَيَّ مَا شَاءَهُ اللَّهُ لِي صَبْرًا

[ تأويل خبر ] في الحديث ان قيس بن عاصم ٠٠ قال آيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد اعلم الوبر فقلت يا رسول الله ما المال الذي ليست علي فيه تبعة من طالب ولا ضيف فقال عليه الصلاة والسلام نعم المال اربعون والكثير ستون وويل لأصحاب المثمن الا من أعطي الكريمة و منح الغزيرة ونحر السمينة فأكل وأطعم القانع والمعتز ٠٠ وفي رواية أخرى الا من أعطي من رسلها وأطرق ثقلها وأقفر ظهرها ومنح غنيرتها وأطعم القانع والمعتز فقلت يا رسول الله ما أكرم هذه الاخلاق وأحسنها انه لا يحل يتوادي الذي فيه إبي من كثرتها فقال كيف تصنع في العظيمة قلت أعطى البكر وأعطى الناب قال فكيف تصنع في الممحة قلت اني لأمنح المائة قال كيف أعطى الطروقة قلت بغدادوا الناس باباهم فلا يورع رجل عن جعل بخفاهه فيمسكه ما بداله حتى يكون هو الذي يردد وفي الرواية الأخرى قال فكيف تصنع في الاطراق قال بغدادوا الناس فن شاء أن يأخذ برأس بعير فيذهب به قال فكيف تصنع في الإفطار قلت اني لأقفر الناقة المدرمة والضرع السغبيرة قال فكيف تصنع في المنبحة قلت اني لأمنح في السنة المائة قال فلما لك أحب إليك أم مال مواليك قلت لا بل الى قال فان مالك ما أكلت فأقبرت وأعطيت فأمضيت ٠٠ وفي الرواية الأخرى ولبست فأبليت وسأرت لمواليك قلت لا جرم وانه لئن رجعت لأقن عددها فلما حضره الموت جمع بنيه فقال يا بني خذوا عني فانكم ان تأخذوا عن أحد هو أنصح لكم مني لا تسوحوا علي فان رسول

الله صلى الله عليه وسلم لم يَنْخُ عليه أحد وقد سمعته ينهى عن النياحة وكفونى في نياحى  
التي كنت أسلى فيها سودوا أكابركم فانكم اذا سودتم أكابركم لم يزل لأبيكم فيكم  
خليفةً واذا سودتم أصاغركم هان أكابركم على الناس وزهدوا فيكم وأصلحوا عيشكم  
فان فيه غنى عن طلب الى الناس وإياكم والمسئلة فانها آخر كسب المرء واذا دفتمونى  
فاخفوا قبري عن بكر بن وائل فقد كانت بيننا خماشات في الجاهلية فلا آمن سفهاً منهم  
أن يأتي أمراً يدخل عليكم عيباً في أبيكم ••• فاما قوله صلى الله عليه وسلم - الكثرستون -  
فضناه الكثير تقول العرب نسأل الله الكثر ونعوذ به من القل أى ناله الكثير ونعوذ  
به من القليل •• قال الشاعر

فإن الكثر أعيانى قديماً ولم أقتِرْ لذنِّ أنى غلامٌ

•• وقال آخر

وقد يقصرُ القلُّ الذي دونَ همِّهِ وقد كان لولا القلُّ طلاعُ أمجدِ

والكريمة - يعنى بها كرائم ماله - وأمنح الغزيرة - أى أعطيها من يحملها ويردّها من ذلك  
الحديث والعارية •• ودّاته والمنحة مردودة والدين مقضي والزعم ظرم فالمنحة النافعة أو  
الشاة يدفعها الرجل الى من يحملها وينتفع بانها ثم يردّها عليه - والزعم - الكفيل ويقال  
له أيضاً القيل والصبير والجميل ومنه قوله تعالى ( وأنا به زعيم ) •• قال الشاعر

فلستُ بآمرٍ فيها يسلمُ ولكني على نفسي زعيمٌ

•• وقال آخر

قلتُ كفى لكِ زهنٌ بالرضا فازعني ياهندُ قالت قد وجب

معناه اكفني وروى فاقبلي من القيل الذي هو الكفيل أيضاً •• وقال الفراء القانع  
هو الذي يأتيك فيسألك فان أعطيته قبل - والمعتز - الذي يجلس عند الذبيحة ويمسك  
عن السؤال فكانه يمرض في المسئلة ولا يصرح بها يقال قنع الرجل قناعة اذا رضي  
وقنع قنوعاً اذا سأل •• فاما قوله - لاجرهم - فقال قوم معنى جرم كسب وقالوا في قوله  
تعالى ( لاجرهم أن لهم النار ) أن لا ردة على الكفار ثم ابتداء فقال جرم ان لهم النار

بمعنى كسب قولهم ان لهم النار .. وقال الشاعر

نَصَبْنَا رَأْسَهُ فِي رَأْسِ جِدْعٍ بِمَا جَرَمَتْ يَدَاهُ وَمَا اعْتَدَيْنَا

أي بما كسبت .. وقال آخرون معنى جرم حقاً وتناول الآية بمعنى حقق قولهم أن لهم النار .. وأندوا

وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا عَيْنَةَ طَعْنَةً جَرَمْتُ فَرَارَةَ بَعْدَهَا نِ تَعْضِبَا

أراد حققت فرارة .. وروى الفراء فرارة بالنصب على معنى أكسبت الطعنة فرارة الغضب .. وقال الفراء لاجرم في الاصل مثل لا بد ولا محالة ثم استعملته العرب في معنى حقاً وجاءت فيه بجواب الأيمان فقلوا لاجرم لأقومن كما قالوا والله لأقومن وقها لغات يقال لاجرمه ولاجرمه بضم الجيم وتسكين الراء ولا جرم بحذف الميم ولا ذا جرم<sup>(١)</sup> .. قال الشاعر

إِنَّ كِلَابًا وَالَّذِي لَا ذَا جَرَمٍ لِأَهْدُرَنَّ الْيَوْمَ هَذَا فِي النَّعَمِ

(١) قلت وفي أن بعد لاجرم وجهان .. الفتح وهو الغالب نحو لاجرم أن الله يعام فلفتح عند سيويه على أن جرم فعل ماضٍ معناه وجب وأن وسلّمها فاعل أي وجب أن الله يعام ولاسنة زائدة للتوكيد وردد الفراء بأن لا لازاء في أول الكلام وعلة في المنفي بأن زيادة الشيء تفيد أطراحه وكونه أول الكلام يفيد الاعتناء به وجوابه ما أعجاب به الفارسي عن القول بزيادة لا في لا أقم من أن القرآن كالسورة الواحدة .. وقال المرادي وجرم عند سيويه بمعنى حق ولا ردّ لها قبلها وانوقف على لا وأن وما بعدها في موضع الناعل والفتح عند الفراء على أن لاجرم مركبة من حرف و اسم بمنزلة لا رجل في التركيب ومعناها بعد التركيب لا بد أو لا محالة ومن أو في بعدهما مقدرة أي لا بد من أن الله يعلم أو لا محالة في أن الله يعام ونقل عن الفراء أن لاجرم بمنزلة حقاً وأصل جرم من الجرم بمعنى الكسب .. والكسر على ما حكاه الفراء عن العرب من أن بعضهم يزلها منزلة الجبين فيقول لا جرم لآبينك ولا جرم لقد أحدثت ولا جرم إنك ذاهب بكسر إن

## هَذَرُ الْمَغْنَى ذِي الشَّقَاقِيقِ اللَّيْمِ

والتاب - الناقه الهرمة وجهها نيب ومنها الشارف .. قال الشاعر  
لَا أَقْتَأُ الدَّهْرَ أَبْكِيهِمْ بِأَرْبَعَةٍ مَا اجْتَرَّتِ النَّيْبُ وَأَحْسَتُ إِلَى بَلَدٍ  
ويقال للبعير أيضاً اذا كبر عوداً وللأنثى عوده .. قال الشاعر

عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ مِنَ الْقَدَمِ الْأَوْلَى يَمُوتُ بِالْتَرَكِ وَيَجِيئُ بِالْعَمَلِ

وهذا من أبيات المعاني ومعناه بعير عود على طريق متقدم وسمى الطريق بأنه عود  
لتقدمه تشبهاً بالبعير .. وقوله - يموت بالترك ويجي بالعمل - أراد أنه اذا نزلك وطرق  
ظهرت أعلامه وظهرت طرقه واهتدى سالكه لسلكه ولم يضل عن قصده فكان هذا  
كالحياء له واذا لم يسلك طمست آثاره وانمحت معالمه فلم يهتد فيه راكب لصد وكان ذلك  
كلوت له فأما - الخماشات - فهي الجنائيات والجرائح .. قال ذو الرمة يذكر الحمار والأتين

رَبَاعٍ لَهَا مَذْ أَوْ رَقٍ الْعَوْدُ عِنْدَهُ خَمَاشَاتُ دَحَلٍ مَا بَرَأْدُ أَمْتِهَا

يريد بقوله ما براد امتها أي ما براد اقتصاصها يقال امتني من هذا الرجل واقذني  
واقصني بمعنى واحد .. فأما قوله - لا يورع - أي لا يجلس ولا يمنع ويقال ورعت  
الرجل توريعاً اذا منمته وكففته والورع هو الرجل المتحرج المانع نفسه مما تدعو اليه  
يقال وَرَعَ وَرَعًا وَرَعَةً .. قال لبيد

أَكَلْتُ يَوْمَ هَامَتِي مَقْرَعَةً لَا يَمْنَعُ الْفَتِيَانُ مِنْ حُسْنِ الرَّعَةِ

ويقال ما ورع أن فعل كذا وكذا أي ما كذب فأما الورع فالفتح فهو الجبان وأما  
- الطروقة - فهي التي قد حان لها أن تطرق وهي الحريقة وقوله في الرواية الأخرى - الامن  
أعطى من رسلها - فالرسل اللبن - والافقار - هو أن يركبها الناس ويحملهم على ظهورها  
مأخوذ من فقار الظلم - والاطراق - للضحول هو أن يبذلها لمن يُنزلها على اناث ابه  
وذكر الاطراق في هذه الرواية أحب الى من الطروقة لأنه قد تقدم من قوله انه يعطي  
التاب والبكر والضرع والمائة فلأمعنى لاعادة ذكر الطروقة وقوله في الجواب - تغدو الناس

فلا يورع رجل عن رجل يخطئه فيمسكه ما بدا له ثم يردمه لا يَحْتَمِلُ غَيْرَ الْإِطْرَاقِ وَلَا يَبْقَى بِمَعْنَى الْعُرُوقَةِ ٥٠ وكان قيس بن عاصم شريفاً في قومه حلبياً وبكثي أباً على وكان الأحنف بن قيس يقول إنما تاملت الحلم<sup>(١)</sup> من قيس بن عاصم أوتي بقاتل ابنه فقال رغبتم الفتي وأقبل عليه وقال يا بني نفضت عددك وأوهنت ركنك وقتت في عضدك وأشدت عدوك وأسأت بقومك خلوا بسبله وما حل حُبُونُهُ وَلَا نَغِيرَ وَجْهِهِ ٥٠ وقال ابن الأصبهاني قيل لقيس بماذا سدت قومك فقال بثلاث بذل الندي وكف الأذى ولصر الولي ٥٠ وذكر المدائني قال كان قيس بن عاصم يقول لبنيه اياكم والبغي فما بشي قوم قط إلا قفلوا وذلوا ٥٠ وكان الرجل من بنيه يظلمه بعض قومه فينبئ اخوته أن ينصروه وقيس بن عاصم هو الذي حفز الحوفزان بن شريك الشيباني بطلعة في يوم جنود<sup>(٢)</sup>

(١) - قلت وبالأحنف هذا يضرب المثل فيقال أحلم من الأحنف وسئل هل رأيت أحلم منك قال نعم وتعلمت منه الحلم قيل ومن هو قال قيس بن عاصم المدقري حضرته يوماً وهو محبب يحدثننا إذ جاؤا ابن له قتيل وابن عم له كتييف فقالوا ان هذا قتل ابنك هذا فلم يقلع حديثه ولا نقض حبوته حتى إذا فرغ من الحديث التفت إليهم فقال أين ابني فلان فجاءه فقال يا بني قم الي ابن عمك فاطلعه والي أخيك فادفه والي أم القتيل فاعطها مائة ناقة فانها غريبة لعلها تسلو عنه ثم اتكأ على شقه الأيسر وأنشأ يقول

إني امرؤ لا يعترى خاقي      دنس يفسده ولا أفن  
من ينقر من بيت مكرمة      والفضن يثبت حوله العفن  
خطابه حين يقوم قائلهم      بيض الوجوه مصاقع لسن  
لا يفتنون لهب جارهم      وهم لحسن جواره فطن

وهو شاعر فارس شجاع حليم كثير الغارات مظفر في غزواته أدرك الجاهلية والاسلام فساد فيهما وله وفادة على النبي صلى الله عليه وسلم

(٢) قوله يوم جدود بالفتح موضع في أرض بني تميم وكان من حديث ذلك اليوم ان الحارث بن شريك كانت بينه وبين بني يربوع موادة ثم هم بالغدر بهم فجمع

فسمي الحارث الحوفزان •• وقال سوار بن حيان المنقري في ذلك

وَنَحْنُ حَفْرَانَا الْحَوْفَزَانَ بَطْعَنَةً      سَقَّتَهُ نُجَيْمَانٌ دَمَ الْجَوْفِ أَشْكَلًا  
وَحُمْرَانٌ قَسْرًا أَنْزَلْتَهُ رِمَاحَنَا      يُعَالِجُ غَلًّا فِي ذِرَاعِيهِ مُتَفَلًّا

وفي يوم جدود يقول قيس بن عاصم

جَزَا اللَّهُ يَرْبُوعًا بِأَسْوَأِ سَعِيهَا      إِذَا ذُكِرَتْ فِي النَّائِبَاتِ أُمُورُهَا  
وَيَوْمَ جَدُودٍ قَدْ فَضَحْتُمْ ذِي أَرْكُمُ      وَسَأَلْتُمُ وَالْخَيْلُ تُذَمِّي لُحُورُهَا  
سَتَحَطُّمُ سَعْدُ وَالرَّيَابُ أُنُوفِكُمْ      كَمَا حَزَّ فِي أَنْفِ الْقَضِيبِ جَرِيرُهَا

— التضييب — الداقة المقتضبة الصعبة •• وفي قيس يقول عبدة بن الطبيب<sup>(١)</sup>

في شيبان وبنى ذهل والهازم وقيس بن ثعلبة وبنو الله بن ثعلبة وغيرهم ثم غزا بني  
يربوع فندب به عتيبة بن الحارث بن شهاب بن شريك قنابي في قومه بني جعفر بن ثعلبة  
من بني يربوع فوادعه وأغار الحارث بن شريك على بني مقاعس وأخوتهم بني ربيع فلم  
يجيبوهم فاستصرخوا بني منقر فركبوا حتى لحقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل  
وهم قائلون في يوم شديد الحر فاشمر الحوفزان الأبالهتهم بن سمي بن سنان بن خالد  
ابن منقر واسم الأهثم سنان وهو واقف على رأسه فوثب الحوفزان إلى فرسه فركبه  
وقال للأهثم من أنت فأنسب وقال هذه منقر فاقتتلوا قتالا شديداً فهزمت بكر بن  
وائل وخلصوا ما كان في أيديهم ونسبهم بنو منقر بين قتل وأسر فأسر الأهثم محران وقصد  
قيس بن عاصم الحوفزان ولم يكن له همة غيره والحارث على فرس له قارح يدعي الزيد  
وقيس على مهر نخاف قيس أن يسبقه الحارث فغزوه بالرح في أسته فحفر به الفرس فجاء  
فسمي الحوفزان وأطلق قيس أموال بني مقاعس وبني ربيع وسباياهم وأخذ أموال بكر  
ابن وائل وأساراهم وانقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنة فأت

[١] قوله يقول عبدة بن الطبيب •• قلت سبب هذه الأبيات ان عبدة وقيساً كان بينهما  
الحاء فهجره قيس بن عاصم ثم حمل عبدة دماً في قومه ثم خرج يسأل فيما تحمله لجمع

عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ      وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا  
 سَلَامٌ أَمْرِيءَ جَلَّتْهُ مِنْكَ نِعْمَةٌ      إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطِ بِلَادِكَ سَلَمَا  
 فَمَا كَانَ قَيْسٌ هَلِكَةً هَلِكٌ وَاحِدٌ      وَلَكِنَّهُ بَنِيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا  
 [ قال المرتضي رضي الله عنه ] ٥٠٠ إذا كرني بعد الأصدقاء بول أبي دهل الجمعي وهو  
 يعني نافته

وَأَبْرَزْتَهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ عِنْدَمَا      أَصَاتَ الْمُنَادِي بِالصَّلَاةِ فَأَعْتَمَا <sup>(١)</sup>  
 وسأني إجازة هذا البيت بأبيات تنضم اليه وأجمل الكتابة فيه كأنها كتابة عن  
 امرأة لا عن نافة فقات في الحال  
 فَطَيْبَ رِيَاهَا الْمَقَامُ وَضَوَاتُ      بِإِشْرَاقِهَا بَيْنَ الْحَطِيمِ وَزَمَرَمَا

ابلا وحر به قيس بن عاصم وهو يسأل في تمام الدية وقال فيم يسأل عبدة فأخبر فسأل  
 اليه الدية كاملة من ماله وقال قولوا له ليستفيع بما صار اليه ولبسق هذه الى القوم فقال  
 عبدة أما والله لولا أن يكون صاحي إياه بعقب هذا الفعل عاراً علي لصالحته ولكني  
 أنصرف الى قومي ثم أعود فأصالحه ومضى بالابل ثم عاد فوجد قيساً قد مات فوقف  
 على قبره وأنشد الأبيات

(١) قوله وأبرزتها من بطن مكة الخ هو من أبيات حسان أولها  
 أَلَا عَاقِبُ النَّقَابِ انْتَبِهْ كَلْنَا      لَجَاجِبًا وَلم يَلْزَمِ مِنَ الْحَبِّ لَمَزَمَا  
 خَرَحْتُ بَهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ بَعْدَمَا      أَصَاتَ الْمُنَادِي بِالصَّلَاةِ وَأَعْتَمَا  
 فَتَانِمٌ مِنْ رَاعٍ وَلَا رَتْدٌ سَامِرٌ      مِنْ الْحَمِي حَتَّى جَاوَزْتَنِي يَلْمَا  
 وَصَرَّحَتْ بِبِطْنِ الْبَيْتِ تَهْوِي كَأَنَّمَا      تَبَادَرُ بِالْإِدْلَاجِ نَهْبًا مَقْتَمَا  
 أَجَازَتْ عَلَى الْبِزْوَاءِ وَاللَّيْلِ كَاسِرٌ      جَنَاحَيْنِ بِالْبِزْوَاءِ وَرَدًّا وَأُدَمَا

الخ الأبيات فقال له موسى بن يعقوب ما كنت الا على الريح فقال يا ابن أخي ان عمك  
 كان اذا هم فعل وهي الحاجة

فَيَارَبَ إِنْ لَقِيتَ وَجْهًا تَحِيَّةً  
 تَجَافِينَ عَنِ مَسِّ الدَّهَانِ وَطَالَ مَا  
 وَكَمْ مِنْ جَلِيدٍ لَا يُخَامِرُهُ الْهَوَى  
 أَهَانَ لَهُنَّ النَّفْسَ وَهِيَ كَرِيمَةٌ  
 تَسْفَهَتْ لِمَا أَنْ وَقَفَتْ بِدَارِهَا  
 فَمُجِبَتْ تَقْرَى دَارِسًا مُتَنَكِّرًا  
 وَيَوْمَ وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ وَكَلْنَا  
 نُصْرَتُ بَقَابٍ لَا يُعْنَفُ فِي الْهَوَى

وكان أبو دهب من شعراء قريش وعن جمع إلى الطبع النجويد واسمه وهب بن  
 زمعة بن أسيد بن أحيحة بن عمرو بن هيصم بن كعب بن لؤي بن غالب وكان اسم  
 جمع تيموا اسم أخيه زيداً وهما ابنا عمرو بن هيصم واستبقا إلى غاية فضي تيم عن الغاية  
 فقيل جمع تيم فسمى مجمع ووقف عابها زيد فقيل سهم زيد فسمى سهماً ٠٠ فأما كنيته  
 فهي مشتقة من الدهيلة وهي المنى الثقيل يقال دهب الرجل دهيلة إذا مشى ثقيلاً ٠٠  
 أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال  
 حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال قيل لأبي عمرو بن العلاء  
 ما يعجبك من شعر أبي دهب الجمعي فقال قوله

يَا عَمْرُ حُمٌّ فِرَاقُكُمْ نَعْمًا  
 يَا عَمْرُ شَيْخُكَ وَهُوَ ذُو شَرَفٍ  
 وَاللَّهِ مَا أَحْبَبْتُ حَبِيبُكُمْ  
 إِنْ كَانَ هَذَا السِّحْرُ مِنْكَ فَلَا  
 وَعَزَمْتُ مِنْهَا النَّأْيَ وَالرَّهْجَا  
 يَرْحَى الزَّمَامَ وَيُكْرِمُ الصَّبْرَا  
 لَا تَيْبًا خَلَقْتَ وَلَا بَيْكْرَا  
 تَرْحَى عَلِيَّ وَجَدَدِي السِّحْرَا

إِحْدَى بَنِي أَوْدٍ كَانَتْ بِهَا  
 وَتَرَى لَهَا دَلَالًا إِذَا نَقَطَتْ  
 كَتَسَافِطِ الرُّطْبِ الْجَنِيِّ مِنَ  
 وَمَقَالَةٍ فِيكُمْ عَرَكَتُ لَهَا  
 وَمُرِيدُ سِرِّكُمْ عَدَاتُ بِهِ  
 قَالَتْ يُقْسِمُ لَنَا لِنَجْزِيَهُ  
 مَا إِنْ أَيْمِمُ لِحَاجَةِ عَرَضَتْ  
 وَإِذَا هَمَمْتُ بِرِحْلَةٍ جَزَعَتْ  
 إِنِّي لَأَرْضِي مَا رَضَيْتُ بِهِ

وروى أبو عمرو الشيباني لأبي دهل

يَا لَيْتَ مَنْ يُتَّبَعُ الْمَعْرُوفُ يُنْعَمُ  
 وَلَيْتَ رِزْقُ رِجَالٍ مِثْلُ نَائِبِهِمْ

وروى ٥٥ ضيق كفيف ووسع كالذي انعموا

تَبَيَّنَ أَخْلَاقُهُمْ فِيهِ إِذَا اجْتَمَعُوا  
 وَوَافَقَ الْحِلْمُ أَهْلَ الْحِلْمِ فَاتَدَعُوا

ولأبي دهل في قول الحسين بن علي عليه السلام

تَبَيَّتِ النَّشَاوِيُّ مِنْ أُمِيَّةٍ نَوْمًا  
 وَمَا ضَيَّعَ الْإِسْلَامَ إِلَّا عَصَابَةٌ

(١) النقر بالكسر مانقر ونقبت من الحطب والحجر ونحوهما كالنواة ٥٥ والمعنى لم تغد شيئاً

وصارت فتاة الدين في كف ظالم إذ مال منها جانب لا يقيمها

وأخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى قال روى أبو عمرو الشيباني لأبي دهب قال ويقال إنها للمجنون

أتركه ليلى ليس بيني وبينها  
سوى ليلة إني إذا لصبور  
هبوني إمرأ منكم أضل بعيرة  
له ذمة إن الذمام كبير  
وللصاحب المنزوك عظم حزيمة  
علي صاحب من أن يضل بعير  
عنى الله عن ليلى النداة فإنها  
إذا ولت حكماً على تجور

وروى أبو عمرو الشيباني لأبي دهب وقد رواه أبو تمام في الحماسة له

أقول والركب قد ماتت عمائمهم  
وقد سقى القوم كأس النشوة السهر  
ياليت أنى بأثوابي وراحلتى  
عبد لأهلك طول الدهر مؤتجر  
إن كان ذا قدر يعطيك نافلة  
منا ويحرمنا ما أنصف القدر

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال مثل قول أبي دهب

ولو تركونا لأهدى الله أمرهم  
فلم يلجموا قولاً من الشر ينسج<sup>(٩)</sup>

(١) قوله ولو تركونا لأهدى الله أمرهم الخ هو من أبيات حسان قالها أبو دهب في امرأة من قومه يقال لها عمرة كانت امرأة جزلة يجتمع الرجال عندها لانشاد الشعر والحادة وكان أبو دهب لا يفارق مجلسها مع كل من يجتمع إليها وكانت هي أيضاً حجة له وكان أبو دهب من أشرف بني جمح وزعمت بنو جمح أنه تزوجها بعد وزعم غيرهم أنه لم يصل إليها ولم يجر بينهما حلال ولا حرام وكانت عمرة تتقدم عليه في حفظ ما بينهما وكنيتهما فضمن ذلك لها ثمان نساء كن يتحدثن البهاذ كن لها شيئاً من أمر أبي دهب وقلن قد علق امرأة قالت وما ذلك قلن ذكر أنه عاشق لك وإنك طاشقة له فرفعت مجلسها وبجالة الرجال ظاهرة وضربت حجاً بينهم وبينها وكتبت إلى أبي دهب تعذله وتخبره

لَأَوْشَكَ صَرْفُ الدَّهْرِ تَفْرِيقَ بَيْنِنَا وَهَلْ يَسْتَقِيمُ الدَّهْرُ وَالذَّهْرُ أَعْوَجُ

قول العجاج لرؤية ابنه بشكوه لما استطال عمره وتمنى موته

لَمَأْرَانِي أَرَعَشْتَ أَطْرَافِي اسْتَعْجَلَ الدَّهْرَ وَفِيهِ كَافِي

يَحْتَرِمُ الْإِلَافَ عَنِ الْأَلْفِ

•• قال ومثله

بما بلغوا من سوء صنيعه فعند ذلك يقول

تطاول هذا الليل ما يتأخَّرُ  
وبتُ كَثِيْبًا مَا أَنَامَ كَأَنَّهَا  
فَطَوْرًا أَمِنَ النَّفْسَ مِنْ عَمْرَةَ الْمَنَى  
لَقَدْ قَطَعَ الْوَأَشُونَ مَا كَانَ بَيْنِنَا  
رَأَوْا غُرَّةً فَاسْتَقْبَلُوهَا بِالْهَمِّ  
وَكَانُوا أَنَسَاءً كُنْتَ آمِنٌ غِيْبَهُمْ  
هَمٌّ مِنْهُمْ وَنَا مَا نَحِبُّ وَأَوْقَدُوا  
وَلَوْ تَرَكُونَا لَا هَدَى اللَّهُ سَعِيْبَهُمْ  
لَأَوْشَكَ صَرْفُ الدَّهْرِ يَفْرُقُ بَيْنِنَا  
عَسَى كَرِيْبَةٌ أَمْسَيْتَ فِيهَا مُقْبِيْبَةٌ  
فِيكَبْتُ أَعْدَاءَهُ وَبِحَذَلِ الْآلْفِ  
وَقَلْتَ لَعَبَادُ وَجَاءَ كِتَابُهَا  
وَخَطَطْتُ فِي ظَهْرِ الْحَصِيْرِ كَأَنِّي  
فَلَمَّا التَقِيْنَا لَجَلَجْتُ فِي حَدِيْثِهَا  
وَإِنِّي لِمُحِبُّوبَةٌ عَشِيْبَةُ زَرْئِهَا  
وَاعْنِي عَلَى الْقَوْلِ وَالْقَوْلِ وَاسِعٌ

وأعيت غواني عبرتي ما تفرجُ  
إِخْلَالَ ضُلُوعِي جِرَّةَ تَبْهِيْجِ  
وَطَوْرًا إِذَا مَا لَجَّ فِي الْحَزْنِ أَنْتَجِ  
وَنَحْرِي إِلَى أَنْ يُوَسِّلَ الْجِبْلَ أَحْوَجُ  
فَرَأَوْا عَنَى مَا لَانَحِبُ وَأَدْلَجُوا  
فَلَمْ يَنْهَسْ حَامٌ وَلَمْ يَخْرُجُوا  
عَابِنَا وَشَبَّوْنَا نَارَ مَرْمَرٍ تَأْتَجُجُ  
وَلَمْ يُلْعَمُوا قَوْلًا مِنَ النَّسْرِ يَنْسُجُ  
وَهَلْ يَسْتَقِيمُ الدَّهْرُ وَالذَّهْرُ أَعْوَجُ  
يَكُونُ لَنَا مِنْهَا نَجَاةٌ وَمَخْرَجُ  
لَهُ كَبِدٌ مِنْ لَوْعَةِ الْحَبِّ تَضْجُجُ  
لِهَذَا وَرَبِّي كَانَتْ الْعَيْنُ تَخْلُجُ  
أَسْبِرُ بِخَافِ الْقَتْلِ وَهَانَ مُلْتَجِجُ  
وَمِنْ آيَةِ الْعَرْمَرِ الْحَدِيثِ لِلْعَجَّاجِ  
وَكَنْتُ إِذَا مَا زَرْتَهَا لَا أَعْرِجُ  
وَفِي الْقَوْلِ مَسْتَقِيمٌ كَثِيْرٌ وَمَخْرَجُ

عَدِمْتُ ابْنَ عَمٍّ لَا يَزَالُ كَانَهُ      وَإِنْ لَمْ تَرَاهُ مُنْطَوِّلي عَلَيَّ وَتَرِي<sup>(١)</sup>  
يُعِينُ عَلَيَّ الدَّهْرَ وَالِدَّهْرُ مُكْتَفٍ      وَإِنَّا سَتَعْنَهُ لَا يُعْنِي عَلَيَّ الدَّهْرُ  
[ قال المرتضى رضى الله عنه ] ••• ومثل الجميع قول أبي أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر  
إِلَى كُمْ يَكُونُ الْعَسْبُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ      وَكَمْ لَا تَمَّائِنُ الْقَطِيعَةَ وَالْهَجْرَا  
رُؤْيَدُكَ إِنَّ الدَّهْرَ فِيهِ كِفَايَةٌ      اتْفَرِّقِ ذَاتَ الْبَيْنِ فَاتَنْظِرِي الدَّهْرَا



﴿ مجاس آخر ٩ ﴾

[ إن سأل سائل ] ما وجه التكرار في سورة الكافرين وما الذى حسن إعادة التنى  
لكونه عابداً ما يعبدون وكونهم عابدين ما يعبدون وذكر ذلك مرة واحدة يعنى ••• وما وجه  
التكرار في سورة الرحمن لقوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان ••• الجواب يقال له قد  
ذكر ابن قتيبة في معنى التكرار في سورة الكافرون وجهاً وهو أن قال القرآن لم ينزل دفعة  
واحدة وإنما كان نزوله شيئاً بعد شيء والأمر في ذلك ظاهر فكان المشركين أتوا النبي صلى  
الله عليه وسلم فقالوا له اسلم بعض أصنامنا حتى تؤمن بك وصدق بنبوتك فأمره الله  
تعالى بأن يقول لهم (لا أعبد ما تعبدون ولا أنا عابد ما عبدتم) ثم عبروا مدة من الزمان  
وجاؤه فقالوا له اعبد بعض آلهتنا واسلم بعض أصنامنا يوماً أو شهراً أو حولاً لنفعل مثل  
ذلك بالهك فأمره الله تعالى بأن يقول لهم (ولاً أنا عابدة ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد)  
(١) قوله وان لم تراه اعلم ان قال قائل لِمَ لَمْ يَحْذَفِ الْأَلْفُ مِنْ تَرَاهُ لِلْجَازِمِ  
••• جوابه أنها ثبتت ضرورة وهي اشباع والحرف الأصلي حذف للجازم وقيل هي أصلية  
بناء على قول من يجزم المعتل بحذف الحركة المقدرة ويقر حرف العلة على حاله ومثل  
البيت قوله

هَجَرْتُ رَبَّانَ ثُمَّ جِئْتُ مَعْتَدِرَا      مِنْ هَجَرْتُ رَبَّانَ لَمْ يَهْجُرُوا وَلَمْ تَدْعِي

أي ان كنتم لا تعبدون إلهي الا بهذا الشرط فانكم لا تعبدونه ابداً .. وقد طعن بعض الناس على هذا التأويل بأن قال انه يقتضى شرطاً وحذفاً لا يدل عليه ظاهر الكلام وهو ما شرطه في قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد قال واذا كان ما نفاء عن نفسه من عبادته ما يعبدون مطلقاً غير مشروط فكذلك ما عطفه عليه وهذا العطف غير صحيح لانه لا يتبع اثبات شرط بدليل وان لم يكن في ظاهر الكلام ولا يتبع عطف الشرط على المطلق بحسب قيام الدلالة .. وعن هذا السؤال ثلاثة اجوبة كل واحد منها اوضح مما ذكره ابن قتيبة .. اولها ما حكى عن ابي العباس ثعلب انه قال انما حسن التكرار لأن تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الأخرى وتلخيص الكلام قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون الساعة وفي هذه الحال ولا أنتم عابدون ما أعبد في هذه الحال أيضاً واختص الفعلان منه ومنهم بالحال .. وقال من بعد ولا أنا عابد ما عبدتم في المستقبل ولا أنتم عابدون ما أعبد فيما تستقبلون فاختلف المعاني وحسن التكرار في اختلافها ويجب ان تكون السورة على هذا مختصة بمن المعلوم انه لا يؤمن .. وقد ذكر مقاتل وغيره انها نزلت في أبي جهل والمستهزئين ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد والمستهزؤون هم العاصي بن وائل والوليد بن المغيرة والأسود بن المطلب والاسود بن عبد يعقوب وعدي بن قيس .. والجواب الثاني وهو جواب الفراء أن يكون التكرار للتأكيد كقول الجيب مؤكداً بلى بلى والمنتع مؤكداً لا لا .. ومثله قول الله تعالى ( كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ) .. وأنشد الفراء

وكائن وكم عندي لهم من صنيعه  
أيادي ثنوها علي وأوجبوا

.. وأنشد أيضاً

كم نعمة كانت لكم كم كم وكم

.. وأنشد أيضاً

نعم الغراب بين بني غدوة  
كم كم وكم لفرق لبني ينق

.. وقال آخر

أَرَدْتُ لِنَفْسِي بَمُضِّ الْأُمُورِ فَأَوْلِي لِنَفْسِي أَوْلِي لَهَا

•• والجواب الثالث وهو أغربها التي لا أعبد الأصنام التي تعبدونها ولا أنتم عابدون ما أعبد أي أنتم غير عابدين الله الذي أنا عبده اذ أشركتم به واتخذتم الاصنام وغيرها معبودة من دونه أو معه وانما يكون عابداً له من أخلاص له العبادة دون غيره وأقرده بها وقوله ولا أنا عابدٌ ما عبدتم أي لست أعبد عبادتكم وما في قوله ما عبدتم في موضع المصدر كما قال تعالى ( والأرض وما طحاها ونفس وما سواها ) أراد طحيتها بإها وتسويتها وقوله تعالى ( ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفرحون ) يريد بفرحكم ومرحكم •• قال الشاعر

يَارَيْعَ سَلَامَةً بِالْمُنْحَى بِحَيْفِ سَلَعِ جَادِكَ الْوَابِلِ

إِنْ نَمَسَ وَحَسَابِقِمَا قَدُ تَرَى وَأَنْتَ مَعْمُورٌ بِهِ أَهْلِ

أراد فبرؤيتك معموراً أهلاً •• ومعنى قوله ولا أنتم عابدون أي لستم عابدين عبادتي على نحو ما ذكرناه فلم يتكرر الكلام الا لاختلاف المعاني •• وتلخيص ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للكفار لا أعبد آلهتكم ومن تدعون من دون الله ولا أنتم عابدون الهى وان زعمتم انكم عابدون الهى فأنتم كاذبون إذ كنتم من غير الجهة التي أمركم بها تعبدونه فأنا لا أعبد مثل عبادتكم ولا أنتم مادتم على ما أنتم عليه تعبدون مثل عبادتي •• فان قيل أما اختلاف المعبودين فلاشبهة فيه فما الوجه في اختلاف العبادة •• قلنا انه صلى الله عليه وسلم كان يعبد من يخاص له العبادة ولا يشرك به شيئاً وهم يشركون فاختلقت عباداتهم اولاً لأنه أيضاً كان يتقرب الى معبوده بالأفعال الشرعية التي تقع على وجه العبادة وهم لا يفعلون تلك الأفعال ويتقربون بأفعال غيرها يعتقدون جهلاً أنها عبادة وقرية •• فان قيل ما معنى قوله تعالى ( لكم دينكم ولي دين ) وظاهر هذا الكلام يقتضى اباحتهم المقام على أديانهم •• قلنا في هذا ثلاثة أجوبة •• اولها ان ظاهر الكلام وان كان ظاهراً اباحة فهو وعيد ومبالغة في النهي والزجر كما قال تعالى ( اعملوا ما شئتم ) •• وثانيها انه أراد لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني فحذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ••

ونالها انه أراد لكم جزاؤكم ولي جزأى لان نفس الدين هو الجزاء .. قال الشاعر

إِذَا مَا لَقَوْنَا لَقَيْنَاهُمْ      وَدِنَاهُمْ مِثْلَ مَا يُقَرِّضُونَا

.. فأما التكرار في سورة الرحمن فإما حسن للتقرير بالنم المختلفة المعددة فكما ذكر  
نعمة أنعم بها فقرر عليها وويج على التكذيب بها كما يقول الرجل لعيره ألم أحسن اليك  
بأن خولتك الأموال ألم أحسن اليك بأن خلصتك من المكاره ألم أحسن اليك بأن  
قلعت بك كذا وكذا فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرره به وهذا كثير في كلام  
العرب وأشعارهم .. قال مهمل بن ربيعة يرثي أخاه كلياً

|                           |  |
|---------------------------|--|
| وهمامُ بنُ مرّةٍ قد تركنا | عليه الفشعمان من الثغور <sup>(١)</sup> |
| على أن ليس عدلاً من كليب  | إذا طرد اليتيم عن الجزور               |
| على أن ليس عدلاً من كليب  | إذا ما ضيم جيران المجير                |
| على أن ليس عدلاً من كليب  | إذا خرجت مخبأة الخدور                  |
| على أن ليس عدلاً من كليب  | إذا رجفت المضاد من الثبور              |
| على أن ليس عدلاً من كليب  | إذا ما أعلنت تجوى الأمور               |
| على أن ليس عدلاً من كليب  | إذا خيف المخوف من الثغور               |
| على أن ليس عدلاً من كليب  | غداة بلابل الأمر الكبير                |
| على أن ليس عدلاً من كليب  | إذا ما خام جار المستجير                |

.. وقالت ليل الأخيلية يرثي توبة بن الحمير

(١) - قالت الفشعمان مرفوع بالابتداء وخبره قوله عليه مقدماً والجملة في موضع نصب  
على الحال وتقديره وعليه حذف الواو لأن الهاء في عليه تربط الكلام بأوله ويروي  
عليه الفشمين بالنصب ووجهه أن يكون منصوباً بقوله تركنا

لنُسَبَقَ يَوْمًا كُنْتَ فِيهِ تُحَاوِلُ      ونعم التي يا توب كنت ولم تكن  
 صُدُورُ الْأَعَالِي وَأَسْتَشَالُ الْأَسَافِلُ      ونعم الفتى يا توب كنت إذا التقت  
 أَتَاكَ لَكِي يَجْعِي وَنِعْمَ الْمُحَامِلُ      ونعم التي يا توب كنت لخائف  
 وَنِعْمَ الْفَتَى يَا تَوْبُ حِينَ تَنَاضِلُ      ونعم الفتى يا توب جازًا وصاحبًا  
 بِيَدَيْهِ وَلَوْ لَامَتْ عَلَيْهِ الْعَوَازِلُ      لعمري لأنت المرء أبكي لفقدته  
 وَبِكَثْرُ تَسْبِيْدِي لَهُ لَا أُوَائِلُ      لعمري لأنت المرء أبكي لفقدته  
 وَلَوْ لَامَ فِيهِ نَاقِصُ الْعَقْلِ جَاهِلُ      لعمري لأنت المرء أبكي لفقدته  
 إِذَا كَثُرَتْ بِالْمُلْحَمِينَ الْبَلَابِلُ      لعمري لأنت المرء أبكي لفقدته  
 ذُكِرَتْ أُمُورٌ مُحْكَمَاتٌ كَوَائِلُ      أَبَا لَكَ ذَمَّ النَّاسُ يَا تَوْبُ كُلَّمَا  
 لَقِيَتْ حِمَامَ الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ عَاجِلُ      فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ يَا تَوْبُ إِنَّمَا  
 كَذَلِكَ الْمَنَائِمَا عَاجِلَاتٌ وَأَجَلُ      وَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ يَا تَوْبُ إِنَّمَا  
 عَلَيْكَ الْعَوَادِي الْمُدْجِنَاتُ الْهَوَاطِلُ      وَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ يَا تَوْبُ وَالتَّقَتْ

نخرجت في هذه الايات من تكرار الى تكرار لاختلاف المعاني التي عدتها على نحو ما ذكرناه .. وقال الحارث بن عباد وكان قاضي العرب

قَرَبًا مَرَبُطَ النِّعَامَةِ مِنِّي      لَفِجَتْ حَرْبٌ وَأَثَلٌ عَنِ حِيَالِ

ثم كرر قوله قريبا مرابط النعمة في آيات كثيرة من القصيدة للمعنى الذي ذكرناه .. وقالت ابنة عم للنعمان بن بشير ترى زوجها

وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكًا      أَقَامَ وَنَادَى صَحْبَهُ بِرَحِيلِ

وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكًا      ضَرُوبٌ بِنَصْلِ السِّيفِ غَيْرُ نَكُولِ

وحدثني أصحابه أن ما ليكأ خفيف على الحداث غير ثقيل

وحدثني أصحابه أن ما ليكأ جواد بما في الرجل غير يجبل

وحدثني أصحابه أن ما ليكأ صرّوم كماضى الشفرتين صقيل

وهذا المعنى أكثر من أن نحصيه وهذا هو الجواب عن التكرار في سورة المرسلات بقوله عز وجل ( ويل يومئذ للمكذبين ) ٠٠ فان قيل اذا كان الذي حسن التكرار في سورة الرحمن ما عدده من الآيات ومن نعمة فقد عدد في جملة ذلك ما ليس بنعمة وهو قوله ( يرسل عليكما شوط من نار ونحاس فلا تنصران ) وقوله ( هذه جهنم التي يكذب بها المرءون يطوفون فيها ليلاً ونهاراً ) فكيف يحسن أن يقول بعقب هذا ( فبأى آلاء ربكنا تكذبان ) وليس هذا من الآلاء والنعمة ٠٠ قلنا الوجه في ذلك أن فعل العقاب وان لم يكن نعمة فذكره ووصفه والانذار به من أكبر النعم لأن في ذلك زجرأ عن ما يستحق به العقاب وبعثاً على ما يستحق به الثواب فإتيا أشار تعالى بقوله فبأى آلاء ربكنا تكذبان بعد ذكر جهنم والعذاب فيها الى نعمة بوصفها والانذار بعقابها وهذا مما لا شبهة في كونه نعمة.

[ قال المرتضى رضى الله عنه ] ٠٠ وكما أنه في الجاهلية وقبل الاسلام وفي ابتدائه قوم يقولون بالدهر وينفون الصانع وآخرون مشركون يعبدون غير خالقهم ويستنزلون انزق من غير رازقهم أخبر الله عنهم في كتابه وضرب لهم الامثال وكرر عليهم اليبينات والاعلام فقد نشأ بعد هؤلاء جماعة ممن ينسب باظهار الاسلام ويحقق باظهار شائمه والدخول في جملة أهله دمه وماله زنادقة ملحدون وكفار مشركون فتنهم عن الاسلام عن المظاهرة والجهنم خوف القتل الى المسائرة وباية هؤلاء على الاسلام وأهله أعظم وأغلظ لأنهم يدعون في الدين ويعوهون على المستضعفين بحش رابط ورأي جامع فعل من قد أمن الوحشة ووثق بالأنسة بما يظهره من لباس الدين الذي هو منه على الحقيقة عار وبأثوابه غير متوار ٠٠ كما حكى ان عبد الكريم بن أبي العوجا قال لما قبض عليه محمد بن سليمان وهو والي الكوفة من قبل المنصور وأحضره للقتل وأبطن

بمفارقة الحياة لئن قلت هوني لقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكدوبة  
مصنوعة • والمشهورون من هؤلاء الوليد بن يزيد بن عبد الملك • والحامدون حماد الراوية  
• وحامد بن الزبيرقان • وحامد مجرد • وعبد الله بن المقفع • وعبد الكريم بن أبي العوجا  
• وبشار بن برد • ومطيع بن إياس • ويحيى بن زياد الحارثي • وصالح بن عبد القدوس  
الازدي • وعلي بن خليل الشيباني وغير هؤلاء ممن لم نذكره وهم وإن كان عددهم  
كثيراً فقد أقلهم الله وأذلمهم وأرذلمهم بما شهدت به دلائله الواضحة وحججه اللامحة على  
عقولهم من الضعف وآرائهم من السخف ونحن نذكر من أخبار كل واحد من ذكركناه  
وتممته في دينة لبنة ونومئ فيها إلى جملة كافية والذي دعانا إلى التناغل بذلك وإن كانت  
عنايتنا بغيره أقوى مسألة من نرى اجابته وتوثر موافقته فتكلفناه له من أجله مع أنه  
غير خالٍ من فائدة ينفع عليها ويتأدب بروايتها وحفظها • • أما الوليد فكان مشهوراً  
بالإحجاد متظاهراً بالعناد غير محتشم في أطراح الدين أحسداً ولا مراقب فيه بشراً وفي  
الحديث أنه ولِدٌ لِأَخِي أُم سَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلَامٌ فَسَمَّاهُ الْوَلِيدَ فَقَالَ  
النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - سَمَّاهُ فَرَأَيْتُمْ لَيْكُونِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلٌ يَقُولُ لَهُ  
الْوَلِيدُ لَوْ شِئْتُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ فِرْعَوْنَ عَلَى قَوْمِهِ قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ فَسَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ  
عَنْهُ فَبَالَ أَنْ اسْتَخْلَفَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ وَإِلَّا هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ • • أَخْبَرَنَا أَبُو  
عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثني محمد بن يزيد النحوي قال كان  
الوليد بن يزيد بن عبد الملك قد عزم على أن يبني فوق البيت الحرام قبة يشرب عليها  
الخمور ويشرف على العطاوف فقال بعض الحجبة لقد رأيت الجبوسي البناء فوق الكعبة  
وهو يقدّر مواضع أركان القبة فلم تمس تلك الليلة حتى وافى الخبر بقتل الوليد • • وأخبرنا  
أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني عبد الله بن يحيى العسكري عن أبي اسحاق الطلحي  
قال أخبرني أحمد بن إبراهيم بن اسمعيل عن أبي العالية قال أخبرني بعض أهل العلم  
قال قال يزيد بن الوليد وهو الملقب بالناقص لما ولي نشدت الله رجلاً سمع شيئاً من  
الوليد إلا أخبر به فقام ثور بن يزيد فقال أشهد لسمعته وهو يقول

إِسْقِيَانِي وَأَبْنِ حَرْبٍ وَأَسْتَرْنَا بِالزَّرِّ

وَأَتْرُكُكُمْ مِنْ طَلَبِ الْجَنَّةِ بِسْمِي فِي خَسَارٍ  
سَاوَسُ النَّاسِ حَتَّى يَرْكَبُوا دِينَ الْحِمَارِ

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني ابن خالد النخاس قال حدثنا محمد بن مكحول قال  
نشر الوليد بن يزيد يوماً المصحف وكان خطه كأنه أصابع وجعل يرميه بالسهم ويقول  
يُذَكِّرُنِي الْحِسَابَ وَلَسْتُ أُذْرِي أَحَقًّا مَا يَقُولُ مِنَ الْحِسَابِ  
فَقُلْ لِلَّهِ يَتَمَعْنِي طَمَاحِي وَقُلْ لِلَّهِ يَتَمَعْنِي شَرَّابِي  
[ قال الشريف المرتضى رضى الله عنه ] .. وبلغ من هذه الجراءة على الله وبلائه  
طويلاً وما أقدر الله أن يمنعه طعامه وشرايه وحياته وما أولاد الامين أليم العقاب  
وشديد العقاب لولا ماتهم به الحنة وينتظم به التكليف من تأخير المستحق من الثواب  
والعقاب وتبعدهما من أحوال الطاعات والعمامى .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال  
حدثني أحمد بن كامل قال كان الوليد بن يزيد زنديقاً وانه افتتح المصحف يوماً فرأى  
فيه ( واستفتحوا وخاب كل جبار عبيد ) فاتخذ المصحف غرضاً ورماه حتى مزقه  
بالبلبل وهو يقول

أَتُوَعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيْدٍ      فَمَا أَنَا ذَاكَ جَبَّارٌ عَنِيْدٍ  
فَإِن لَأَقِيْت رَبَّكَ يَوْمَ حَشْرِ      فَتَلُّ يَا رَبِّ خَرْقِي الْوَالِيْدِ

وأما حماد الراوية فكان منساقاً من الدين وزارياً على أهله مدناً لشرب الخمر  
وارتكاب الفجور .. وقال أبو عمرو الجاحظ كان منقذ بن زياد الهلالي ومطيع بن  
إياس ويحيى بن زيا وحفص بن أبي ودة وقاسم بن زقفة وابن المقفع ويونس بن أبي فروة  
وحامد مجرد وعنى بن الخليل وحامد بن أبي ايلي الراوية وحامد بن الزرقان ووالبة بن  
الحباب وعمارة بن حمزة بن يميون ويزيد بن الفيض وجميل بن محفوظ الهادي وبشار بن  
برد المرعت وأبان اللاهقي يجتمعون على الشرب وقول الشعر ويهجو بعضهم بعضاً وكل  
منهم بهم في دينه .. وعمل يونس بن أبي فروة كتاباً في مثالب العرب وعيوب الا-لام

بزعمه وصار به الى ملك الروم فأخذ منه ملاً ٥٥ وقال أحمد بن يحيى النحوى قال رجل يهجو حماد الراوية

نِيمَ اللَّيْلِ لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ      وَيُقِيمُ وَقْتَ صَلَاتِهِ حَمَادُ  
بَسَطَتْ مَشَافِرَهُ الشَّمُولُ فَأَنْفَهُ      مِثْلُ الْقَدُومِ يَسْنُهَا الْحَدَادُ  
وَأَيْضٌ مِنْ شُرْبِ الْمُدَامَةِ وَجْهَهُ      فَبَيَاضُهُ يَوْمَ الْحِسَابِ سَوَادُ  
لَا يُعْجِنُكَ بَزْمُ لِسَانِهِ      إِنْ الْمَجُوسَ بَرِي لَهَا أَسْبَادُ

وكان حماد مشهوراً بالكذب في الرواية وعمل الشعر وضافته الى الشعراء المتقدمين ودمه في أشعارهم حتى ان كثيراً من الرواة قالوا قد أفسد الشعر لأنه كان رجلاً يقدر على صنعه فيدس في شعر كل رجل ما يشاكل طريقته<sup>(١)</sup> فاخناط لذلك الصحيح بالسقيم

(١) قوله بدخل في شعر كل رجل ما يشاكل طريقته الخ فمن ذلك ان المهدي سأل المفضل الضبي عن سبب افتتاح زهير قصيدته

دع ذا وعدة الفول في هرم      خير البداة وسيد الحضير  
ولم يتقدم له قبل ذلك قول فإ الذي أمر نفسه بتركه فقال له المفضل إنني توهمته كأن منكراً في شيء من شأنه فتركه وقال دع ذا أي دع ما أنت فيه من الفكر وعد القول في هرم فاسمك عنه ودعى حماداً فسأله فقال ليس هكذا قال زهير وأنشد

لمن الديار بقنسة الحجر      أقويين مذ حجاج ومددهر  
قمر بمنذقع النحاث من      ضفوى آلات الضال والسدر

دع ذا الخ فاستحلفه المهدي فأقر أنه هو الذي أدخلها في شعر زهير فأمر المهدي ان من اراد شعراً محمداً فليأخذ من حماد ومن اراد رواية صحيحة فليأخذها من المفضل ٥٥ وقال له الوليد بن اسحققت هذا اللقب فقيل لك الراوية فقال بأنى اروي لكل شاعر تعرفه او سمعت به ثم اروي لأكثر منهم ممن تعرف أنك لا تعرفه ولم تسمع به ثم لا أنشد شعراً أقدم ولا محدث إلا ميزت القديم منه من المحدث فقال ان هذا العلم

وهذا الفعل منه وان لم يكن الأعلى الا لحاد فهو فسق وتهاون بالكذب في الرواية  
 .. وأما حماد بن الزرقان فهذه طريقته في التخريم والتهنك .. أخبرنا أبو الحسن علي  
 ابن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا الاشناندي قال دعا حماد بن الزرقان  
 أبا العمول النهشلي الى منزله وكانا يتقارضان فأنهره أبو العمول فلم يزل المفضل به حتى أجابه  
 وانطلق معه فلما رجع الى المفضل قال ما صنعت أنت وحماد قال اصطاحنا على أن  
 لا أمره بالصلاة ولا يدعوني الى شرب الخمر .. ثم أنشد المفضل قوله

• نعم الفقى لو كان يعرف ربه •

وذكر الأبيات التي تقدمت في الرواية الأخرى منسوبة الى حماد الرواية .. فأما  
 حماد مجرد فشهرة في الضلالة كشهرة الحماة بن وكان يرمي مع ذلك بالثنية .. أخبرنا  
 أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن عبد الله النخعي قال أخبرني أبي قال حدثني  
 ابن مهرويه قال حدثني علي بن عبد الله بن سعد قال حدثني السري عن الصباح الكوفي  
 قال دخلت على بشار بالبصرة فقال لي يا أبا علي أما لبي قد أوجعت صاحبكم وبلغت منه  
 يعني حماد مجرد فقات بماذا يا أبا معاذ فأت بقولي فيه

يا ابن نهبيا رأس على ثقيل واحتمال الرأسين خطب جليل

فادع غيري إلى عبادة ربيسن فإني بواحد مشغول

فقات لى أدعه في عمه ثم قات له قد بلغ حماد هذا الشعر وهو يرويه على خلاف هذا  
 قال ماذا يقول قات يقول

فادع غيري إلى عبادة ربيسن فإني عن واحد مشغول

وأليك كبير فكم مقدار ما تحفظ من الشعر قال كثيراً ولكنى أنشدك على كل حرف  
 من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر  
 الاسلام فامتحنه فأنشده حتى ضجر فوكل به من سمع منه ألفين وأسمائة قصيدة  
 للجاهليين فأمر له بمائة ألف درهم واسم أبيه ميسرة

فلما سمعه أطرق وقال أحسن والله ابن الفاعلة ثم قال اتى لأحتشمك فلا تشدأ حدأ  
 هذين البيتين وكان اذا سئل عنهما بعد ذلك قال ما هالي .. وأخبرنا المرزبانى قال  
 أخبرنى على بن هارون عن عمه يحيى بن على عن عمر بن شبة قال حدثني خلاد  
 الأرقط قال بشار بلغني ان رجلا كان يقرأ القرآن وحامد ينشد الشعر فاجتمع الناس  
 على القارى فقال حماد علام تجتمعون فوالله لما أقول أحسن مما يقول ففته الناس على  
 هذا .. وروى ابن شبة عن أبي عبيدة قال كان حماد مجرد يعبر بشاراً بالقبح لأنه كان  
 عظيم الجسد مجذوراً طويلاً جاحظ العينين قد تفشاهما لم أحره فلما قال حماد فيه

والله ما الخنزير في تننه      برئعه في التنن أو خمسه  
 بل ريحه أطيب من ريحه      ومسه ألين من مسه  
 ووجهه أحسن من وجهه      ونسسه أفضل من نفسه  
 وعوده أكرم من عوده      وجنسه أكرم من جنسه

فقال بشار وبلى على الزنديق لقد نكت بما في صدره قيل وكيف ذلك قال ما أراد  
 لزنديق الا قول الله تعالى (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) فأخرج الجعود  
 بها مخرج عجائبي وهذا حيث من بشار وتغلغل شديد .. وأول من جعل نبي الاحداثاً كيداً  
 لارصف به وأخرج ذلك مخرج المبالغة مساور الوراق في حماد مجرد فقال

لو أن ماني وذيصا نأوعصبتهم      جاوا إليك لما قلنا لزنديق  
 أنت العباد ذو التوحيد مذخفا      وذا التزندق تبرج مخارق

.. فأما ابن المقفع<sup>(١)</sup> فان جعفر بن سليمان روى عن المهدي انه قال ما وجدت كتاب

(١) اسم ابن المقفع روزبه قبل الاسلام وعبد الله بعده والمقفع اسمه المبارك ولقب بالمقفع لان  
 الحجاج بن يوسف ضربه ضرباً فشققت يده ورجل منقعت اليدين أي، تشنجهما وقيل هو المقفع  
 بكسر الفاء لعمه القفعة بفتح القاف وسكون الفاء والقفعة شئ يشبه الزئبق بلا عروة وتعمل من  
 حوص ايسر بالكبيرة .. وقال البيت القفعة تخدمن حوص - تدير يديتي فيم اطلب ونحوه

زندقة قط إلا وأصله ابن المقفع . . . روى ابن شبة قال حدثني من سمع ابن المقفع وقد  
مر بيت نار للمجوس بعد ان أسلم فلمحه وتمثل

يا بنت عاتكة الذي أتزل  
حذر المدي وبك الفواد موكل  
إني لأمنتك الصدود وإني  
قسما إليك مع الصدود لأميل

وروى أحمد بن يحيى ثعلب قال قال ابن المقفع برني يحيى بن زياد وقال الاخفش  
والصحيح انه برني بها ابن أبي العوجا

رؤيتنا أبا عمرو ولاحي مثله  
فله ريب الحادثات بمن وقع  
فإن تك قد فارتنا وتركتنا  
ذوي خلة . . . إني أنسد أديها طمع  
لقد جر نفعا فقدنا لك أننا  
أمناع على كل الرزايا من الجزع

قال ثعلب البيت الأخير يدل على مذهبهم في أن الخير مزوج بالشر والشر مزوج  
بالخير . . . وأخبرني علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني  
المعبر بن محمد المهلب من حفظه قال حدثنا خالد بن خدش قال كان الخليل بن أحمد يحب  
أن يرى عبد الله بن المقفع وكان ابن المقفع يحب ذلك فجمعهما عباد بن عباد المهلب  
فحدثنا ثلاثة أيام وإياهم فقبل للخليل كيف رأيت عبد الله قال ما رأيت مثله وعلمه  
أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل قال ما رأيت مثله وعقله أكثر  
من علمه قال المعبر فصدقا أدى عقل الخليل الخليل الى ان مات أزهت الناس وجهه  
ابن المقفع أذاه الى ان كتب أماناً لعبد الله بن علي فقال فيه ومتى غدر أمير المؤمنين  
بعمة عبد الله فساؤه ما والقي ودوابه حنين وعبيده أحرار والمسدون في حل من  
بيته فاشد ذلك على المنصور جداً وخاصة أمر البيعة . . . وكتب الى سفيان بن معاوية  
المهلب وهو أمير البصرة من قبله بقتله فقتله وكان ابن المقفع مع قلة دينه جيد الكلام  
فصبح العبارة له حكم وأمثال مستفادة . . . من ذلك ما روي من ان يحيى بن زياد الحارثي

كتب اليه يلتمس معاقبة الإخاء والاجتماع على المودة والصفاء فأخرج جوابه فكتب اليه كتاباً آخر يسترنيه فكتب اليه عبد الله ان الإخاء رقى فكرهت ان أملكك رقي قبل ان أمصرف حسن كنهك .. وكان يقول ذلك نفسك البصير على الجار سوء والعشير سوء والجاليس سوء .. فان ذلك لا يكاد يخطئك .. وكان يقول اذا نزل بك أمر مهم فانظر فان كان مما له حيلة فلا تعجز وان كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع .. ودعاه عيسى ابن علي للغداء فقل أعز الله الأمير لست يومي للكرام أكيلا قال ولم قال لاني مزكوم والزكاة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الأحرار .. وكتب الي بعض اخوانه أما بعد فتعلم العلم من هو أعلم به منك وعلمه من أنت أعلم به مند فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت .. وقال لبعض الكتاب إياك والتبصير لوحشي الكلام طمعا في نيل البلاغة فان ذلك هو الهي الأكبر .. وقال لا خير عليك بما سهل من الألفاظ مع التعجب لألفاظ السفة .. وقيل له ما البلاغة فقال اني اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها .. وقال لأحدثت من تخاف تكذيبه ولا تسأل من تخاف منه ولا تعبد بالاريد إنجازه ولا تضنن ما لا تنق بالقدرة عليه ولا ترج ما تعذب برجاه ولا تقدم على ما تخاف المعجز عنه .. وقال لبعض اخوانه اذا صاحبت ملكا فاعلم انهم ينسبونك الي قلة الوفاء فلا تشمرن قلبك استبطاء .. فانه لم يشهر أحد قابه إلا ظهر عن لسانه ان كان سخيماً وعلى وجهه ان كان حليماً .. وكان يقول ان مما سخا بنفس العالم عن الدنيا علمه بان الأرزاق لم يقدم فيها على قدر الأخطار .. وأما ابن أبي العوفا فقد ذكر ماروى من اعترافه بدسه في أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام أحاديث مكذوبة وروى انه رأى عدلاً قد كتب عليه آية الكرسي فقال لصاحبه لم كتبت هذا عليه فقال لئلا يسرق فقال قد رأينا مصحفاً سرق .. ولإبشار فيه

قُلْ لِعَبْدِ الْكَرِيمِ يَا بِنَّ أَبِي الْعَوْفِ جَاءَتْ الْإِسْلَامَ بِالْكَفْرِ مَوْفَا  
لَا تُصَلِّي وَلَا تَصُومُ فَإِنَّ صُنْتَ فَبِمَضَّ النَّهَارِ صَوْمًا دَقِيقًا  
لَا تُبَالِي إِذَا أَصَبْتَ مِنَ الْخُمْسِ عَقِيقًا أَلَّا تَكُونَ عَقِيقًا

لَيْتَ شِعْرِي غَدَاةَ حَلَيْتِ فِي الْجَنَّةِ حَنِيفًا حَلَيْتُ أُمَّ زَيْنِدِي قَمَا  
 قَمَا بشار بن برد فروى المازني قال قال رجل لبشار أنا كل اللحم وهو مبين  
 لديانتك يذهب الى انه سنوى فقال بشار ان هذا اللحم يدفع عنى شرهذه الظلدة . . قال  
 المبرد و يروى ان بشاراً كان يتعصب للنار على الأرض ويصوب رأى ابليس في الامتناع  
 عن السجود وروى له

النَّارُ مُشْرِقَةٌ وَالْأَرْضُ مُنْظَمَةٌ وَالنَّارُ مَعْبُودَةٌ مَذَّ كَانَتْ النَّارُ

وروى بعض أصحابه قال كنا اذا حضرت الصلاة تقوم اليها ويقعد بشار فنجعل  
 حول توبه تراباً فننظر هل يصلى فعود والتراب بحاله ولم يقم الى الصلاة . . أخبرنا  
 أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن عبد الله الفارسي قال أخبرني أبي قال حدثني  
 ابن مبرويه عن أحمد بن خلاد قال حدثني أبي قال كنت أكلم بشاراً وأرد عليه سوء  
 منه به بيته الى الاحقاد فكان يقول لا أعرف الا ما غابت أو غابته معاني فكان الكلام  
 يطول بينما فقال ما نطن الامر يا أبا مخلد الا كما يقال انه خلدان ولذلك أقول

طُبِعْتُ عَلَى مَا فِي غَيْرِ شَيْخٍ هَوَانِي وَأَوْخَيْرِي كُنْتُ الْمَهْدَبَا  
 أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى وَأُعْطَى وَلَمْ أُرِدْ وَغَيْبٌ عَنِّي أَنْ أُنَالَ الْمَغْيَا  
 وَأُصْرَفُ عَنْ قُصْدِي وَعِلْمِي مَبْصُرٌ وَأُؤْمَنِي وَمَا عَقِبْتُ إِلَّا التَّعْجِبَا

قال الجاحظ كان بشار صديقاً نواصل بن عطاء الغزالي قبل أن يظهر مذهبه  
 المكرورة وكان بشار مدح واصل بن عطاء وذكر خطبته التي نزع منها الراء وكانت  
 على البديهة فقال

تَكَلَّفَ الْقَوْمُ وَالْأَقْوَامُ فَذَحَفُوا وَحَبْرٌ وَأَخْطَبَانَاهِيكَ مِنْ خُطْبِي  
 قَصَامٌ رُتَجِبَ لَأَنْفَلِي بِدَاهَتُهُ كَمَنْ جَلَّ الْقَيْنِ لَمَّا حَفَّ بِاللَّهْبِ  
 وَجَانِبَ الرِّاءِ لَمْ يَشْرَبْهُ أَحَدٌ قَبْلَ النَّصْفِ وَالْإِعْرَاقِ فِي الطَّلْبِ

•• ومثل ذلك قول بعضهم في واصل

وَيَجْمَلُ الْبُرِّ قَمَحًا فِي تَكَلُّمِهِ  
وَجَانِبَ الرَّأْيِ حَتَّى احْتَالَ لِلشَّمْرِ  
وَلَمْ يَقُلْ مَطْرًا وَالْقَوْلُ يُعْجَلُهُ  
فَعَاذَ بِالغَيْثِ إِشْفَاقًا مِنَ الْمَطْرِ

فلما أظهر بشار مذاهبه هتف به واصل فقام بذكره وتكفيره وقعد فقال بشار فيه

مَالِي أَشَابِعُ غَزَّالًا لَهُ عُتُقٌ  
كَتَفَّتَقِ الدَّوَانُ وَلِي وَإِنْ مَثَلًا  
عُنُقَ الزَّرَافَةِ مَا بَالِي وَبِالِكُمُ  
تُكْفِرُونَ رِجَالًا أَكْفَرُوا رِجَالًا

فلما تتابع على واصل ما يشهد بالحجاء قال عنه ذلك أما لهذا الأعمى الملحد أما لهذا المشنف المكثى بأبي معاذٍ من يقتله أما والله لولا أن الغيلة سجية من حجايا الغالية لدست إليه من يبيع بطنه في جوف منزله على مضجعه أو في يوم حفلة ثم كان لا يتولى ذلك إلا عقيلي أوسدوسى<sup>(١)</sup> فعند<sup>١</sup> واصل بن عطاء من الضرير الى الأعمى ومن الكافر الى الملحد ومن المرعت الى المشنف ومن بشار الى أبي معاذٍ ومن الفراش الى المضجع •• وزاد قوم فقالوا ومن أرسلت الى دست ومن يبقر الى يبيع ومن داره الى منزله ومن المغيرة الى الغالية والأول أشبه بان يكون مقصوداً وما ذكر ثانياً فقد يتفق استعماله من غير عدول عن استعمال الرأه •• فأما قوله لا يتولى ذلك الا عقيلي فلان بشاراً كان مولى لهم وذكره يحيى سدوس لأن بشاراً كان ينزل فيهم فأما لقب بشار بلرعت فقد قيل فيه ثلاثة أقوال • أحدها انه لقب بذلك لبيت قاله وهو

قَالَ رِيْمٌ مُسْرَعَةٌ  
فَاتِرُ الطَّرْفِ وَالتَّنْظَرِ

(١) وسئل عثمان البري كيف كان يصنع واصل في العدد وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين وكيف كان يصنع بالتمر والبدر ويوم الاربعاء وشهر رمضان وكيف كان يصنع بالحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجادى الآخرة ورجب فقال مالي فيه قول الاماقل صفوان

ملقن ملهم فيما يجاوله  
جم خواطره جواب آفاق

## أَسْتِ وَاللَّهِ نَائِلِي قُلْتُ أَوْ يَلِيبَ الْقَدَرِ

• والقول الثاني انه كان لبشار ثوب له جيبان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فكان إذا أراد لبسه يضعه عليه ضمماً من غير ان يدخل رأسه فيه فبه استرسال الجيبين وتدلها بالرمات وهي القرطة ففيل المرعت •• وقال أبو عبيدة انما سمي المرعت لانه كان يلبس في سباه رطناً وهذا هو القول الثالث •• وكان بشار مقدما في الشعر جداً حتى ان كثيراً من الرواة يلحقه بمن تقدم عصره عليه من المجودين •• وأخبرنا المرزباني عن محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن الحسن اليشكري قال قيل لأبي حاتم من أشعر الناس قال الذي يقول

ولها مَبَسْمٌ كَفَرُّ الْأَقَاحِي وَحَدِيثٌ كَالْوَشِيِّ وَشِي الْبُرُودِ  
نَزَلَتْ فِي السَّوَادِ مِنْ حَبَّةِ الْقَلَسِيبِ وَنَالَتْ زِيَادَةَ الْمُسْتَزِيدِ  
عِنْدَهَا الصَّبْرُ عَنْ لِقَائِي وَعِنْدِي زَفَرَاتٌ يَا كَلْنَ صَبْرَ الْجَلِيدِ

يعنى بشاراً قال وكان يقدمه على جميع الناس ولما قال بشار  
بني امية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود  
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين النأي والعود  
فبلغ المهدي ذلك فوجد عليه وكان سبب قتله

### ﴿ مجلس آخر ١٠ ﴾

فأما مطيع بن إلياس الكنتاني فأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني عن علي بن هارون عن عمه يحيى بن علي عن أبي أيوب المديني عن أحمد بن إبراهيم الكاتب قال أخبرني أبي قال رأيت بنناً لمطيع بن إلياس قد أتى بها في أول أيام الرشيد فأقرت بالزندقة وقرامتها ونابت وقالت هذا شيء علمنيه أبي فقبل الرشيد ثوبها وردّها الى أهلها •• وقال محمد بن داود الجراح في أخبار مطيع بن إلياس انه كان يرمى بالزندقة •• روى انه

لما حضرته الوفاة أحاط به أهل بيته فأقبلوا يقولون له قل يا مطيع لإله إلا الله فلا يقول  
حتى سارت نفسه في ثغرة نحره تنفس ثم أهوى إلى الكلام فقالوا له قل لإله إلا الله  
فتكلم كلاماً ضعيفاً فاستموا له فإذا هو يقول

لَهْفًا تَفْسَى عَلَى الزَّمَانِ وَفِي أُمَّيْ زَمَانٍ دَهْتَنِي الْأَزْمَانُ  
حِينَ جَاءَ الرَّبِيعُ وَاسْتَقْبَلَ الصَّيْفُ وَطَابَ الطَّلَاءُ وَالرَّيْحَانُ

قال المرزباني وهذا الحديث يرويه المهيم بن عدي ليحيى بن زياد . . . فأما يحيى بن زياد  
فهو يحيى بن زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد الممدان بن الديان الحارثي الكوفي  
وزياد بن عبيد الله هو خال أبي العباس السفاح ويكنى يحيى أبا الفضل وكان يعرف  
بالزنديق وكانوا إذا وصفوا إنساناً بالظرف قالوا هو أظرف من الزنديق يعنون يحيى لأنه  
كان ظريفاً وهذا المعنى قصد أبو نواس بقوله

تِيهُ مَنَّانٌ وَظَرْفٌ زِنْدِيقٍ

قال الصولي وإنما قال ذلك لأن الزنديق لا يدع شيئاً ولا يمتنع عما يدعي إليه فنسبه إلى  
الظرف لمساعدته على كل شيء وقلة خلافه . . . وروى أنه قيل ليحيى بن زياد وهو  
يجود بنفسه قل لإله إلا الله فقال

لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقِرْطُ وَالْعِضْلَاخِلُ

ثم أغمى عليه فلما أفاق أعيد عليه القول فقال

وَبَاذِلٌ تَفْسَى بِهِ الْمَرَاجِلُ

وروى محمد بن يزيد قال قال مطيع بن إلياس برني يحيى بن زياد وكانا جيماً مرميين  
بالخروج عن اللمة

يَا أَهْلُ بَكُوا قَلْبِي الْقَرِحُ      وَلِلدَّمُوعِ الْهَوَامِلِ السُّفْحُ  
رَاحُوا يِيحِي إِلَى مُنْيِهِ      فِي الْقَبْرِ بَيْنَ التُّرَابِ وَالصُّفْحِ  
رَاحُوا يِيحِي وَلَوْ تُسَاعِدُنِي إِلِي      أَقْدَارُ لَمْ يَتَسَكَّرْ وَلَمْ يَرْحُ

ياخيزَ مَنْ يَحْسُنُ البُكَاءَ لَهُ السَّيُومَ وَمَنْ كَانَ أَمْسٍ لِلْمِدْحِ

قَدْ ظَفَرَ الحَزْنَ بِالسُّرُورِ وَقَدْ أُدْبِلَ مَكْرُوهُهَا مِنَ الفَرَحِ

والمطيع يرثه

أَنْظُرْ إِلَى المَوْتِ كَيْفَ بَادَهُهُ وَالْمَوْتُ مِقْدَامَةٌ عَلَى البِئَمِّ

لَوْ قَدْ تَدَبَّرْتَ مَا صَنَعْتَ بِهِ قَرَعْتَ سِنًّا عَلَيْهِ مِنْ تَدَمِّ

فَاذْهَبْ عَنِ شَيْتٍ إِذْ ذَهَبَتْ بِهِ مَا بَعْدَ يَحْيَى لِلرُّزْمِ مِنَ أَلَمِّ

وأما صالح بن عيسى القدوس فكان متظاهراً بمذاهب الثنوية ويقال ان أبا الهذيل العلاف ناظره فقطعه ثم قال له على أي شيء تعزم يا صالح فقال استخبر الله وأقول بالأسنين فقال أبو الهذيل فأيهما استخرت لأهلك .. وروى ان أبا الهذيل ناظره في مسألة مشهورة في الامتراج الذي ادعوه بين النور والظلمة فأقام عليه الحجة فانقطع وأنشأ يقول

أبا الهذيل هَذَاكَ اللهُ يَا رَجُلُ فَأَنْتَ حَقًّا لَعْمَرِي مُعْضِلٌ جَدِلُ

وروى انه روى يصلى صلاة نامة الركوع والسجود فقليل له ما هذا ومنهيك معروف قال سنة البلد وعادة الجسد وسلامة الأهل والولد .. ويقال انه لما أراد المهدي قتله على الزندقة رمى اليه بكتاب قال له اقرأ هذا قال وما هو قال كتاب الزندقة قال صالح أو تعرفه أنت يا أمير المؤمنين اذا قرأته قال لا قال أفتقتلني على ما لا تعرف قال فاني أعرفه قال صالح فقد عرفته ولست بزنديق وكذلك اقرؤه ولست بزنديق .. وذكر محمد بن يزيد المبرّد قال ذكر بعض الرواة ان صالحاً لما ناظر فيها فدفق به من الزندقة بحضرة المهدي قال له المهدي ألسنت القائل في حفظك ما أنت عليه

رَبُّ سِرِّ كَتَمْتَهُ فَكَأَنِّي أَخْرَسٌ أَوْ ثَمِي لِسَانِي خَبَلُ

وَلَوْ أَنِّي أَبَدَيْتُ لِلنَّاسِ عَلَيَّ لَمْ يَكُنْ لِي فِي غَيْرِ حَسْبِي أَكَلُ

قال صالح فاني أتوب وأرجع فقال له هيات ألسنت القائل

والشيخُ لا يتركُ عادتهِ حتى يُوَارَى في ثرى رَمْسِهِ  
إذا أزعوى عاوده جهله كذى الضنا عاد إلى نكسه

ثم قدم فقتل ويقال انه صلبه على الجسر ببغداد ومن شعره وهو في الحبس

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا فَلَسْنَا مِنَ الأَحْيَاءِ فِيهَا وَلَا الْمَوْتَى

إِذَا دَخَلَ السَّجَانُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ وَتَفَرَّحَ بِالرُّوْبَا فَجَلُّ حَدِيثِنَا

وَإِنْ قَبَحَتْ لَمْ تَحْتَسِبْ وَأَنْتَ عَجَلَى لَهُ حَارِسٌ تَهْدَى العُيُونُ وَلَا يَهْدَى

عَنْ النَّاسِ لِأَخْشَى فَنَشَى وَلَا نَمَشَى مُقِيمِينَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ فَارَقُوا الدُّنْيَا

قَبْرَنَا وَلَمْ نُذَفَنْ وَنَحْنُ بِمَمْرَلِ الأَحَدُ يَا وَيْ لَأَهْلِ مَحَلَّةِ

قال المرتضى رضى الله عنه [ ٥٥ ] وأنن ان ابن الجهم لحظ قول صالح فذغنى ولا

نفشى في قوله بصف الحبس

بَيْتٌ يَجِدُّ لِلْكَرِيمِ كَرَامَةً وَيَزَارُ فِيهِ وَلَا يَزُورُ وَيُحَمَّدُ

وأما على بن الخليل فقد ذكر محمد بن داود قال كان على بن الخليل وهو مولى

يزيد بن مزيد الشيباني ويكنى أبا الحسن وهو كوفي مهم بالزندقة فطلبه الرشيد

عند قتله الزنادقة فاستتر طويلا ثم قصد الرقة وبها الرشيد فدمجه ومدح الفضل بن

الربيع ٥٥ روى انه لما قدم الرشيد للمظالم بالرقه حضر شيخ حسن الهيئة والخصاب

معه قصيدة فأشار بها فأمر الرشيد بأخذها منه فقال يأمر المؤمنين أنا أحسن قراءة

لها من غيرى فأذن لى في قراءتها ففعل فقال اتى شيخ كبير ولا آمن الاضطراب اذا

قت فان رأيت أن تأذن لى فى الجلوس فقلت فقال له اجلس تجلس ثم أنشأ يقول

يا خَيْرَ مَنْ وَخَدَتْ بِأَرْحَلِهِ  
 تَطْوَى السَّبَاسِيبَ فِي أَرْمَتِهَا  
 لَمَّا رَأَتْكَ الشَّمْسُ طَالِمَةً  
 خَيْرُ الْخَلَائِقِ أَنْتَ كُلِّهِمْ  
 وَكَذَلِكَ لَا تَنْفَكُ خَيْرُهُمْ  
 مِنْ عَضْبَةٍ طَابَتْ أَرْوَمَتِهَا  
 فَوْقَ النُّجُومِ فُرُوعُ نَبْعَتِهِمْ  
 إِنِّي رَحَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ فَرْعٍ <sup>(١)</sup>  
 مَا ذَاكَ إِلَّا أَنِّي رَجُلٌ  
 بَقَرٌ أَوْائِسُ لَا فُرُوقَ لَهَا  
 وَأَجَاذِبُ النَّيَّانِ يَنْهَمُ  
 لِلْمَاءِ فِي حَافَاتِهَا حَبٌ  
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ فِي بَرِيَّتِهِ  
 نَجَبُ الرِّكَابِ بِمَهْمِهِ جَلْسِي  
 طَى التِّجَارِ عَمَامَ الْبَرَسِ  
 سَجَدَتْ لَوْجَهَكَ طَلْعَةُ الشَّمْسِ  
 فِي يَوْمِكَ الْمَاضِي وَفِي أَمْسِ  
 تُنْسِي وَتُصْبِحُ فَوْقَ مَا تُنْسِي  
 أَهْلَ الْعَفَافِ وَمُنْتَهَى الْقُدْسِ  
 وَمَعَ الْحَضِيضِ مَنَابِتُ الْفُرْسِ  
 كَانَ التَّوَكُّلُ عِنْدَهُ تَرْسِي  
 أَصْبُو إِلَى بَقَرٍ مِنَ الْإِنْسِ  
 يَقْتَنَانِ بِالتَّطْوِيلِ وَالْحَبْسِ  
 صَبِيَاءَ مِثْلَ مُجَاجَةِ الْوَرْسِ  
 نَظْمٌ كَطَى صَحَائِفِ الْفُرْسِ  
 مَا إِنْ أَضْمَتُ إِقَامَةَ الْخَمْسِ

(١) قوله انى رحلت اليك الخ في غير الاصل

انى اليك لجأت من هرب  
 واخترت حكمتك لا أجاوزه  
 لما استخرت الله في مهل  
 كم قد قطعت اليك مدرعا  
 ان حاجتى من هاجس جزع  
 وفي سائر الرواية اختلاف يسير  
 قد كان شردي ومن لبس  
 حتى أوسد في ترى رمي  
 يمت نحوك رحمة العنس  
 ليلا بهيم اللوف كالتقس  
 كان التوكل عنده ترسي

فقال له هارون من أنت قال علي بن الخليل الذي يقال انه زنديق قال أنت آمن  
وكتب الى حمدويه ألا يمرض له .. ومن تركنا ذكره من هؤلاء أكثر مما ذكرنا  
وانما اعتمدنا من كان بهذه الثلبة أشهر وأمره فيها أظهر وأوردنا مع ذلك قليلا من  
كثير وجملة من تفصيل .. واذا كنا قد ذكرنا جملة من أخبار أهل الضلالة  
والمفادين بالجحالة حسب سؤلنا فمن نعيمها بشئ من أخبار أهل التوحيد والعدل  
وملح حكاياتهم ومستحسن ألفاظهم ليعلم الفرق بين من رحمت بيعته وبين من خسرت  
صفتته فقد سئنا أيضاً ذلك .. أعلم ان أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير  
المؤمنين على عليه السلام وخطبه وانها تتضمن من ذلك مالا يزيد عليه ولا غاية وراه  
ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم ان جميع ما أسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه  
وجمه انما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الاصول .. وروى عن الأئمة من آياته  
عليهم السلام من ذلك مالا يكاد يحاط به كثرة ومن أحب الوقوف عليه وطلبه من مظانه أصاب  
منه الكثير الفزير الذي في بعضه شفاء للصدور السقيمة وتناج للعقول العقيمة ونحن  
تقدم على ما يزيد ذكره شيئا مما روي عنهم في هذا الباب .. فن ذلك ما روى عن  
أمير المؤمنين على عليه السلام وهو يصف الله تعالى .. بضادته بين الاشياء علم ان لاضدله  
وبمقارنته بين الامور علم ان لاقربن له ضاد النور بالظلمة والحشونة باللين واليبوسة  
بالبلل والسرور بالحرور مؤلف بين متباعداتها فترق بين متدانياتها .. وروى عنه عليه  
السلام انه سئل بم عرفت ربك فقال بما عرفتني به قيل وكيف عرفتك قال لا تشبهه  
صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بقياس الناس .. وقيل له عليه السلام كيف يحاسب  
الله الخلق قال كابرزقهم فقيل كيف يحاسبهم ولا يرونه فقال كابرزقهم ولا يرونه .. وسأله  
رجل فقال أين كان ربك قبل أن يخلق السماء والارض فقال أين سؤال عن مكان وكان  
الله ولا مكان .. وروى عن أبي عبيد الله الصادق عليه السلام انه سأله محمد الخليلي فقال  
له هل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم رآه بقلبه فاما ربنا جل جلاله  
فلا تدركه أبصار الناظرين ولا تحيط به اسماع السامعين .. وروى صفوان بن يحيى  
قال دخل أبو قرّة المحدث على أبي الحسن الرضا عليه السلام فسأله عن أشياء من

الحلال والحرام والاحكام والفرائض حتى بلغ سؤاله الى التوحيد فقال أبو قرّة إنارونا  
 أن الله قسم الكلام والرؤية قسم لموسى عليه السلام الكلام ولمحمد صلى الله عليه وسلم  
 الرؤية فقال الرضا عليه السلام فمن المبلغ عن الله الى الثقلين الجن والانس انه لا تدركه  
 الابصار ولا يحيطون به علماً وليس كئله نبي أليس محمد نبياً صادقاً قال بلى قال وكيف  
 يحيى رجل الى الخلق جميعاً فيخبرهم انه جاء من عند الله يدعوهم اليه بأمره ويقول  
 لا تدركه الابصار ولا يحيطون به علماً وليس كئله نبي ثم يقول سأراه بعيني وأحيط به  
 علماً ألا تستحبون ما قدرت الزنادقة ان ترميه بهذا أن يكون يأتي عن الله بشي ثم  
 يأتي بخلافه من وجه آخر .. قال أبو قرّة فانه يقول ولقد رأته نزلت أخرى عند سدرة  
 المنتهى .. قال عليه السلام ما بعد هذه الآية يدل على ما رأى حيث يقول ما كذب  
 القواد ما رأى يقول ما كذب قواد محمد ما رأته عيناه ثم أخبر بما رأى فقال لقد رأى  
 من آيات ربه الكبرى وآيات الله غير الله وقد قال الله تعالى ولا يحيطون به علماً فإذا  
 رآته الابصار فقد أحاط به العلم فقال أبو قرّة فأكذب بالرؤية فقال الرضا عليه السلام  
 إن القرآن كذبها وما أجمع عليه المسلمون انه لا يحاط به علماً ولا تدركه الابصار وليس  
 كئله نبي .. وأنى اعرابي أباجعفر محمد بن علي عليه السلام فقال رأيت ربه حين  
 عبده فقال لم أكن لأعبد شيئاً لم أره فقال كيف رأيت قال لم تره الابصار بالمشاهدة  
 والعيان بل رآته القلوب بمقتضى الايمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس معروف بالآيات  
 منعوت بالعلامات لا يجوز في أقضيته هو الله الذي لا اله الا هو فقال الاعرابي الله أعلم  
 حيث يجعل رسالته .. وروى ان شيخاً حضر صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام  
 فقال أخبرنا يا أمير المؤمنين عن مسيرنا الى الشام أكان بقضاء من الله تعالى وقد قال  
 له نعم يا أخا أهل الشام والذي فلق الحبة وبرأ الندمة ما وطننا. وطناً ولا هبطنا وادياً  
 ولا علونا نعمة الا بقضاء من الله وقد قال الشامي عند الله أحسب عنائي يا أمير المؤمنين  
 وما أظن ان لي أجراً في سعي اذا كان الله قضاء علي وقد رآه فقال له عليه السلام ان  
 الله قد أعظم لكم الأجر على مسيركم وأنتم سائرون وعلى مقامكم وأنتم مقيمون ولم  
 تكونوا في شيء من حالكم مكرهين ولا اليها مضطرين ولا عليها مجبرين فقال الشامي

كيف ذاك والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا فقال له عليه السلام ويحك يا أخا أهل الشام لملك ظننت قضاء لازماً وقدرأ حاكماً لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والأمر من الله والنهي ولما كان المحسن أولى بنواب الاحسان من المسيء والمسيء أولى بعقوبة الذنب من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وشهداء الزور وقدرية هذه الامة ومجوسها ان الله أمر عباده تحييراً ونهاهم تحذيراً وكلف سيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يطع مكرها ولم يعص مغلوباً ولم يكلف عسيراً ولم يرسل الانبياء لعباً ولم ينزل الكتب لعباده عبثاً ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . . . قال الشامي فإنا القضاء والقدر الذي كان مسيرنا بهما وعنهما قال الأمر من الله بذلك والحكم ثم تلا ( وكان أمر الله قدراً مقدوراً ) فقام الشامي فرحاً مسروراً لما سمع هذا النقال وقال فرجت عنى فرج الله عنك يا أمير المؤمنين وجعل يقول

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته  
 يوم الحساب من الرحمن غفرانا  
 أو ضحت من أمرنا ما كان متنبساً  
 جزاكَ ربك بالإحسان إحسانا

وروى ان أبا حنيفة النعمان بن ثابت قال دخلت المدينة فأبيت أبا عبد الله فسلمت عليه وقت من عنده ورأيت ابنه موسى في دهليزه قاعداً في مكتبه وهو صغير السن فقلت له أين يُحدثُ الرجل عنكم اذا أراد ذلك فنظر اليّ ثم قال يتجنب شلوط الانهار ومسقط التمار وأفناء الدور والطرق النافذة والمساجد ويضع ويرفع بعد ذلك حيث شاء قال فلما سمعت هذا القول نبه في عيني وعظم في قايي فقلت له جعلت فداك عن المعصية فنظر اليّ ثم قال اجلس حتى أخبرك فجلست فقال ان المعصية لا بد أن تكون من العبد أو من ربه أو منهما جميعاً فان كانت من الله فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده . يأخذه بما لم يفعله . وان كانت منهما فهو شريكه والقوي أولى بالانصاف عبده الضعيف . وان كانت من العبد وحده فعليه وقع الامر واليه توجه النهي

وله حق العقاب والثواب ووجبت الجنة والنار قال فلما سمعت ذلك قلت ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ٠٠ وقد نظم هذا المعنى شعراً فقيل

لَمْ تَحُلْ أفعالنا اللآئِي نُدْمُ بِهَا ۖ إِحْدَى ثَلَاثَ خَلَائِلٍ حِينَ نَأْتِيهَا  
 إِمَّا تَفَرَّدَ بَارِينَا بِصَنْعَتِهَا ۖ فَيَسْقُطُ اللَّوْمُ عَنَّا حِينَ نَنْشِئُهَا  
 أَوْ كَانَ إِشْرَاكُنَا فِيهَا فَيَلْحَقُهُ ۖ مَا سَوْفَ يَلْحَقُنَا مِنْ لَأْنِمْ فِيهَا  
 أَوْلَمْ يَكُنْ لِإِلَهِ فِي جِنَاتِهَا ۖ ذَنْبٌ فَمَا الذَّنْبُ إِلَّا ذَنْبُ جَانِبِهَا

وأحد من تظاهر من المتقدمين بالقول بالعدل الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار من أهل ميسان مولى لبعض الانصار وكان اسم أمه خيرة مملوكة لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ويقال ان أم سلمة كانت تأخذ الحسن اذا بكى فتكتمه بيديها فكان يدرّ عليه ويقال ان الحكمة التي أوتها الحسن من ذلك وبلغ الحسن من السن تسعا وثمّين سنة فن تصريحه بالعدل ماروى عن أبي الجعد قال سمعت الحسن يقول من زعم ان المعاصي من الله جاء يوم القيامة مسوداً وجهه ثم تلا (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) ٠٠ وقال داود بن أبي هند سمعت الحسن يقول كل شيء بقضاء<sup>(١)</sup> الله وقدر<sup>(٢)</sup> الامعاصي ٠٠ وكان الحسن رابع الفصاحة بايع المواعظ

(١) - قوله سمعت الحسن يقول من زعم ان المعاصي من الله جاء يوم القيامة مسوداً وجهه الى قوله سمعت الحسن يقول كل شيء بقضاء وقدر الامعاصي ٠٠ أقول هذا مذهب المعتزلة وطوائف آخر من المتكلمين والواجب في هذا الباب الرجوع الى ما في كتاب الله وسنة رسوله ونبيذ ما سواها وعندم الخوض في هذا الباب قال تعالى (انا كل شيء خلقناه بقدر) وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعجب آدم وموسى لخلق آدم موسى قال له موسى أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة هذا لفظ الموطأ وفي الصحيحين من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعاً احتج آدم وموسى فقال له موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة وفي رواية أنت

كثير العلم وجميع كلامه من الوعظ وضم الدنيا أوجله مأخوذ لفظاً ومعنى أو معنى دون لفظ من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهو في ذلك القدوة والغاية .. فن ذلك قوله عليه السلام شيان أحدهما مأخوذ من الآخر أحدهما أكثر شئ في الدنيا والآخر أقل شئ في الدنيا العبر والاعتبار .. وقوله عليه السلام مثل الدنيا والآخرة مثل المشرق والمغرب متى ازدادت من أحدهما قرباً ازدادت من الآخر بعداً .. وقوله شيان بين عمليين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره .. وقوله في وصف الدنيا ما أصف من دار أوطأ عناء وآخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من صح فيها أمن ومن فرط فيها تدم ومن استغنى فتن ومن افتقر حزن .. ومن قول له في كلام يأبىها الذمام للدنيا والمغتر بفرورها متى استذمت اليك بل متى غرتك أبعثاجع آياتك من الثرى أم بتدارك أمهاتك من البلاء كم مرضت بكفنيك وكم عالجت بيديك تبني لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء .. مثلت لك بهم الدنيا نفسك وبمصرعهم مصرعك [قال المرتضى رضى الله عنه] .. وهذا باب إن آدم الذى خلقك الله بيده وفتح عينك من روحه وأسجدك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبط الناس بخلقيتك الى الارض فقال له آدم أنت موسى الذى أعطتك الله علم كل شئ واصطفاه على الناس رسالته وفي رواية لاصحبهين اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده وفي أخرى اصطفاك الله برسالته وكلامه وأعطاك الالواح فيها تبيان كل شئ قال نعم قال افنلومنى على أمر قدر قبل ان أخلق وفي الحديث الذى في آخره هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم .. قال الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره وفي رواية كله وفي أخرى حلوه ومره وقال ابن القيم والمحاصون في القدر نوعان أحدهما من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره كالذين قالوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا والثاني من ينكر قضاءه وقدره السابق والطامئتان خصماء الله قال عوف من كذب بالقضاء فقد كذب بالاسلام ان الله تبارك وتعالى قدر أقداراً وخلق الخلق بقدر وقسم الآجال بقدر وقسم الارزاق بقدر وقسم البلاء بقدر وقسم العافية بقدر وأمر ونهى

ولجناه اغترفنا من شبح بحر زخر أو شؤبوب غمام مطر وكل قول في هذا الباب لقائل  
إذا أضيف إليه أو قوريس به كان كإضافة القطرة إلى الغمرة أو الحصاة إلى الحرة فأنما  
أشرنا إليه إشارة وأوماناً إليه أي: ثم نمود إلى ما كنا فيه .. روى أن امرأياً سمع  
كلام الحسن البصري فقال المؤمن فصيح إذا لفظ نصيح إذا وعظ .. وروى أن  
الحسن: لا يوماً (أنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) ثم قال إن قومنا غنوا  
في المعارف العتاق والعمائم الرقاق يطلبون الأمارات وبضيمون الأمانات يتعرضون  
للبلاء وهم منه في عافية حتى إذا أخافوا من فوقهم من أهل العفة وظاهروا من تحتهم من  
أهل الذمة أهزلوا دينهم واسموا براديتهم ووسموا دورهم وضيقوا قبورهم ألم نرهم قد  
جددوا الثياب وأخلقوا الدين تبكي عين أحدهم على شماله ويأكل من غير ماله طعامه غصب  
وخديته سخرة يدعو بخلو بمد حاض وبحار بمد بارد ورطب بمد ياس حتى إذا أخذته  
الكظة تجتأ من البشم ثم قال يا حارية هاتي حاطوما يعني هاضوما يهضم الطعام يا بحق  
لا والله لن تهضم إلا دينك أين جارك أين بيتك أين مسكنك أين ما أوصاك الله به  
.. وذكر يوماً الحجاج فقال: أنا أعيض أخيفس له حمية يرجلها وأخرج الينا بنانا  
فصار والله ماعرق فيها عذاب في سبيل الله فتناك بامعوني فبايعناه ثم رقى هذه الاعواد  
ينظر الينا بالتصغير ونسظر إليه بالتعظيم بأسرنا بالمعروف وبجتابه وبهانا عن المنكر ويرتكبه  
.. وروى عيسى بن عمر قال قال الحسن إن هذه القلوب طلعة فاقدهوها فانكم إن  
تطبعوها تنزع بكم إلى شر غاية وحادثوا هذه النفوس فانها سريرة الدثور قال عيسى بن  
عمر حدثت بذلك أبا عمرو بن العلاء فعجب من فصاحته .. وكان يقول في بعض كلامه  
ما يشاء إن ترى أحدهم أبيض بضاً يلمخ في الباطل ملخاً ينفض مذروبه يقول ها أنا ذا  
فاعرقوني قال - والبض - هو الرخص اللحم وليس هو من البياض على ما يظنه قوم  
لأنه قد تكون الرخاسة مع الأدمة وأما قوله - يلمخ - فإن الملمخ هو التثني والتكسر  
يقال ملمخ الفرس إذا لعب .. قال رؤبة يصف

مُتَمَرِّمِ التَّجْلِيحِ مَلَاخِ المَلَقِ

— والمذروان — فرعا الاليتين ٠٠ قال عنزة

أَحْوَلِي تَنْفُضُ أَسْتِكَ مَذْرَوِيهَا لِتَقْتَلِي فَمَا أَنَا ذَا عُمَارَا

٠٠ هذا قول أبو عبيد وقال ابن قتيبة<sup>(١)</sup> راداً عليه ليس المذروان فرعى الاليتين حسب بل هما الجانيان من كل شيء تقول العرب جاء فلان يضرب أضدرية ويضرب عطفيه وينفض مذرويه وهما منكباه ٠٠ وذكر أنه سمع رجلاً من فصحاء العرب يقول قنع الشيب مذرويه يريد جاني رأسه وهما فرواه وانما سماها بذلك لأنها يذريان أي يشيان والذري الشيب قال وهذا أصل الحرف ثم استعير للمتكبين والاليتين والطرفين من كل شيء ٠٠ قال أمية بن أبي عائذ الهذلي يذكر قوما

على عَجَسِ هَتَافَةِ الْمَذْرَوَيْنِ زَوَّاءَ مَضْجَعَةٍ فِي الشَّمَالِ

أراد قوساً يبيض طرفاها ٠٠ قال فلا معنى لوصف الرجل الذي ذكر الحسن بأنه يحرك أليته ولا من شأنه أن يبدخ وينبه على نفسه ويقول هاأنا ذاقعرفوني أن يحرك أليته وانما أراد أنه يضرب عطفيه وهذا مما يوصف به المرح الختال وربما قالوا جاءنا ينفض مذرويه اذا تهدد وتوعده لأنه اذا تكلم وحرك رأسه نفث قرون فودية وهما مذرواه ٠٠ قال رضي الله عنه ليس الذي ذكره أبو عبيد بعيد لأن من شأن الختال الذي يزهى بنفسه أن يهتز ويتنهي فتتحرك أعضاؤه وأعضاءه ومذرواه من جملة ما يهتز ويتحرك لأنهما بارزان

(١) — قالت قال ابن سيده عن الجرمازي رافعة كل شيء ناحيته والمذري طرف الألية وهما المذروان وقيل المذروان أطراف الاليتين وليس لهما واحد وقال أبو عبيدة وهو أجدود القولين لأنه لو كان لهما واحد فقيل مذري لقيل في التثنية مذريان وأنشد

أَحْوَلِي تَنْفُضُ أَسْتِكَ مَذْرَوِيهَا لِتَقْتَلِي فَمَا أَنَا ذَا عُمَارَا

مَتَى مَا نَلْتَقِي فَرْدَيْنِ تَرْجُمْتِ رَوَاتِفُ أَيْلِيكَ وَأَسْتَطَارَا

فان قوله لقيل مذريان على ذلك ان المقصور اذا كان على أربعة أحرف ينني بالياء على كل حال نحو مقل ومقلبان وشذ في تشبة ألية أليان ومثلها خصية وخميان وقيل ما تشبه ألي وخصي المذكورين وذكرت خصية استطرادا فليتبه لذلك

من جسمه فيظهر فيه ما الاهتزاز وانما خص المذروبين بالذكر مع ان غيرهما يتحرك  
أيضاً على طريق التفتيح لهذا الختان والتهجين لانه وقول ابن قتيبة ليس من شأن من  
يبدخ ان يحرك اذنه ليس بشيء لان الأغاب من شأن الختان البدخ الاهتزاز وتحريك  
الاعطاف على ان هذا يلزمه فيما قاله لانه ليس من شأن كل متوسع ان يحرك رأسه  
ويغض مذبذوبه فاذا قل ان ذلك في الاغاب والاكثر فهذا مثله . . . وكان الحسن يقول  
يا ابن آدم جمعاً جمعاً سرطاً سرطاً جمعاً في ولاء وشدأ في وكاء وركوب الذلول وابس اللين  
حتى قيل ان فافضى والله الى الآخرة فطال حسابه . . . وكان يقول مسكين ابن آدم مكتوم  
الاجل مكينون العال أسير جوع صريع شبع ان من تؤنه البقة وتقتله الشرقة لبادي  
الضعف فرسة المحتف . . . وكان يقول ما أطال أحد الامل الا أساء العمل ومأساء العدل  
الاذل . . . وكتب الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فان طول اليقالي فينا نغخذ من فتلك  
الذي لا يتيقن لبتك الذي لا يفي والسلام . . . وكان يقول اذا رأيت رجلاً يتنافس في الدنيا  
فدافسه في الآخرة . . . وسأله رجل ما حالك فقال له أشد حال ما حال من أمسى وأصبح  
يتنظر الموت ولا يدري ما يفعل الله به . . . وكان يقول يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكلك  
ملكاً كريماً يكتبان عملك فالمل ما كتبت فأكثر أو أقل . . . وفي خبر آخر وكل بك ملكان  
كريمان يثبت مدادهما رسالتك قلها . . . روى أبو بكر الهذلي قال لما قدم عمر بن هبيرة  
واليبا على العراق نزل واسطاً وبعث الى الشعبي والى الحسن البصري فقال لهما ان يزيد بن  
عبد الملك عبد أخذ الله ميثاقه والتجبه لخلافته وقد أخذ بنوا سينا وأعطيناه عهدنا  
ومواثيقنا وصفقة أيدينا فوجب علينا السمع والطاعة له انه بعثني الى عراقكم غير  
سائل إياه الا انه لا يزال يبعث اليها في الذوم فنقلهم وفي الضياع نقبضها أو في الدور نهدها  
فقوليه من ذلك ما ولله فأتريان فتأمل الشعبي فقال قولاً فيه بعض اللين وأما الحسن  
فانه قال له يا عمر اني أتمك عن الله ان تتعرض له فان الله مانعك من يزيد وما يمنحك  
يزيد من الله إنه يوشك أن ينزل اليك ملك من السماء فيستزلك من سريرك ويخرجك  
من سعة قبرك الى ضيق قبرك ثم لا يوسعك عليك الا عملك ان هذا السلطان انما جعل  
ناصر الدين الله فلا تركوا دين الله وعباد الله بساطانه تذلوهم به فانه لاطاعة الخلق في

معبية الخالق عز وجل .. وذكر عن الشعبي انه قال كان والله الحسن أكرمنا عليه .. وروى أبو بكر بن عياش قال قال مسلمة بن عبد الملك للحسن عظمي فقال اذا نزلت عن المنبر فاعمل بما تكلمت به فقال عظمي فقال أو كبرت قط فقال نعم قال فما كنت تحب ان يؤتى اليك فأنه الى من رأيت .. وعن ثابت البناني ذك قال قال رجل للحسن آخذ عطايا أم أدعه حتى آخذ، من حسناتهم يوم القيامة فقال له قم ويحك خذ عطائك فان القوم مغاليس من الحسنات يوم القيامة .. وولد للحسن غلام فهناه بعض أصحابه فقال الحسن لمحمد الله على هبته ونسبته من نعمه ولا مرحبا من ان كنت غنياً أذماني وان كنت فقيراً أتعبتى لأرضى بسوى له سعياً ولا بكدي له في الحياة كذا أشفق عليه من الفاقة بعد وفاتي وأنا في حال لا يصل الي من همه حزن ولا من فرحه سرور .. وكان الحسن يقول لو لم يكن من شؤم الشراب الا انه جاء الى أحب خلق الله الى الله فأفسده فكان يذمني للعاقل ان يتركه يعني العقل .. وعزى جار الله يهوديا فقال جزاك الله عن مصيبتك بأعظم ما جزى به أحداً من أهل ملتك وهذا يخلص من ذمك لانه لم يدع له بالتواب الذي لا يستحقه الكفار وأراد بالجزاء العوض الذي يستحقه الكافر مع استحقاق العقاب .. وكان يقول ليس لافاق المنع بالفسق غيبة ولا لاهل الاهواء والبدع غيبة ولا للساخطان الجائر غيبة .. وقل في قوله تعالى ( ربنا آتانا في الدنيا حسنة ) قل العلم ( وفي الآخرة حسنة ) قال الجنة .. وخرج الحسن في جنازة مهمات فأتى فقال له رجل ماترى يا أبا سعيد هذا وهم الرجل بالرجوع فقال له الحسن ان كنت كما رأيت قبيحاً تركت له حسناً أسرع ذلك في دينك .. وذكر عندنا عندنا الدنيا فقال

أحلام نوم أو كظليل زائل إن الألييب يميلها لا ينعغ

وكان يشتمل

اليوم عندك دلها وحديثها وغدا لغيرك كفتها والمصم

وعن أبي عبيدة قال لما فرغ الحجاج من قصره اسط نادى في الناس أن يخرجوا فيدعوا له بالبركة فخرج الناس وخرج الحسن فاجتمع عليه الناس فخاف أهل الشام

على نفسه أن يقتلوه فرجع وهو يقول قد انظرنا بأخيت الاخيتين وأقسق الافسين أما  
أهل السماء ففتوك وأما أهل الارض ففروك ثم قال أبى الله تعالى للمبتاق الذى أخذه  
على أهل العلم لبيتنه للناس ولا يكتنونه ثم انصرف فباع الحجاج ذلك فقال يأهل الشام  
وهم حوله الله أقومن عبيد من عبيد أهل البصرة ويشكلم فى بما يشكلم ولا يكون  
عند أحد منكم تغيير ولا تكبر قالوا ومن ذلك أصاحك الله اسبقنا دمه فقال على به  
وأمر بالنطح والسيف فأحضر ووجه إليه فلما دنى الحسن من الباب حرك شفتيه  
والحاجب ينظر اليه فلما دخل قال له الحجاج هبنا وأجلسه قريباً من فرشه وقال له  
ما تقول فى على وعثمان قال أقول قول من هو خير منى عند من هو شر منك قال  
فرعون موسى ما بال القرون الأولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى  
علم على وعثمان عند الله فقال له الحجاج أنت سيد العلماء يا أبا سعيد ثم دعا بغالية فعلق  
بها لحية فلما خرج الحسن اتبعه الحاجب فقال يا أبا سعيد لقد دعاك لعير هذا الذى فعل  
بك ولقد أحضر السيف والنطع فلما أقبلت رأيتك قد حركت شفتيك بشئ فما قلت  
قال فات يا عدائى عند كرتي ويا صاحبي عند شدتي ويا ولي نعمتي ويا إلهي وإله آبائى  
ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ارزقني وودته واصرف عني آذاه ومعرفته ففعل ربى  
من وجل ذلك .. وكان الحسن يقول مازال النفاق مفعوا حتى نعمت هذا عمامة وقلد  
سيفاً .. ورؤى أبو بكر الهذلي ان رجلاً قال للحسن يا أبا سعيد ان الشيعة تزعم انك  
تبغض علياً فأكتب بيكى طويلاً ثم رفع رأسه فقال لقد فارقكم بالأمس رجل كان سهماً  
من سراحي الله عز وجل على عدوه وبأني هذه الأئمة ذو شرفها وفضلها وذو قرابة من  
النبي صلى الله عليه وسلم قرابة لم يكن بالأمومة عن أمر الله ولا بالفاقل عن حق الله ولا  
بالسروقة من مال الله أعطى القرآن عزائمهم فيها له وعليه فأشرف منها على رياض مؤفة  
واعلام بيته ذلك على بن أبي طالب ولكم .. وكان الحسن اذا أراد أن يحدث فى زمن بنى  
أمية عن أمير المؤمنين قال أبو زينب .. وشهد الحسن جنازة فقال ان أمراً هذا  
أوله لينبئ أن يحذر منه وان أمراً هذا آخره لينبئ أن يزهده فيه .. وعن حميد العلويل  
قال خطب رجل الى الحسن ابنته وكنت السفير بينهما فرضيته وأراد أن يزوجه فأتيت

عليه ذات يوم وقات وأزيدك يا أبا سعيد فإن له خمسين ألفاً قال أقلت له خمسون ألفاً ما اجتمعت من حلال قلت يا أبا سعيد انه والله ما علمته إلا ورعاً مسلماً فقال اذا كان جمعها من حلال فقد ضن بها على حق لا يجري بيني وبينه صور أبداً ٥٥ وقيل لعليّ ابن الحسين عليه السلام قال الحسن البصري ليس العجب عن هلك كيف هلك وانما العجب من نجي كيف نجي فقال عليه السلام أنا أقول ليس العجب عن نجي كيف نجي انما العجب من هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله ٥٥ وأتى عليه السلام يوماً الحسن البصري وهو يقص عند الحِجْر فقال أرضي يا حسن نفسك للدوت قال لا قال فعملك للحساب قال لا قال فم دار للعمل غير هذه الدار قال لا قال فله في أرضه ما غير هذا البيت قال لا قال فلم تشغل الداس عن الطواف

### مجلس آخر ١١

وعن نظاهر بالقول بالعدل واشتهر به واصل بن عطاء الفزّال ويكنى أبا حذيفة وقيل انه مولى بني ضبة وقيل مولى بني مغزوم وقيل مولى بني هاشم وروى انه لم يكن غزياً الا وانما لقب بذلك لأنه كان يكثر الجلوس في الغزاليين وقيل انه كان يكثر الجلوس في الغزاليين عند رضيع له يعرف بأبي عبد الله الفزّال<sup>(١)</sup> وذكر المبرد ان واصلاً كان يلزم الغزاليين ليعرف المتعنفات من النساء ليصرف صدقته اليهن واقب بذلك كما لقب أبو مسلمة حفص بن سليمان بالخلال وهو وزير أبي العباس السفاح ولم يكن خلالاً وانما كان منزله بالكوفة بقرب الخلالين وكان يجلس عندهم فسمي خلالاً ومثله أبو عليّ الحرمازي مولى لبني هاشم وانما لقب بذلك لانه كان ينزل في بني الحرماز و ابراهيم بن يزيد الخوزي وايس بنخوزي وكذلك كان ينزل بمكة بشعب الخوز وأبو سعيد المنبري لانه نزل المقابر ٥٥ وكان واصل أشنع في الراء قبيح الشئفة فكان يخلص من كلامه الراء

(١) قلت وأبو عبد الله هذا مولى اعطن الهلامي ومثل ذلك أبو مالك السدي أشهر بالسدي لأنه كان يبيع الغمّ في سدة المسجد  
(١٥ - أمالي)

يعدل عنها في سائر محاوراته وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في أخبار بشار بن برد ..  
 وذكر أبو الحسن البردعي المتكلم أن انساناً سأل عمرو بن عبيد أو غيره عن نبي في  
 القدر بمحضرة واصل بن عطاء فنكلم السائل بشئ أغضب عمرأ فأجاب عمرو بجواب لم  
 يرضه واصل فقال له واصل إياك وأجوبة الغضب فانها مندبة والشيطان يكون معها وله  
 في تضاعفها همزة وقد أوجب الله جل وعز على نبيه أن يستمذ من همزات الشيطان  
 وأن يكونوا معه بقوله أعوذ بك من همزات الشياطين الى خاتم الآية وقلما شاهدت  
 أحداً ثبت في جوابه وما ينطق به لسانه فيلحنه اللوم .. قال البردعي أنظر الى واصل  
 كيف كلم عمرأ فأخرج الزاء من كلامه فقل موضع والشيطان يحضرها يكون معها  
 وقد أوجب الله تعالى على نبيه ولم يقل أمره وقال وأن يكونوا معه بدلاً من أن يحضروهم ثم  
 قال الى خاتم الآية ولم يقل الى آخر الآية .. [قال المرتضى رضى الله عنه] ومالم يذكره  
 البردعي انه عدل عن افتتاح الآية من أجل الزاء أيضاً لأن أولها وقل رب أعوذ بك  
 من همزات الشياطين ولولا قصده الى العدول لكان ذكرها واجباً من ابتدائها لاسيما  
 وفي ابتدائها تلميح وتوقيف على كيفية دعائه والاستعاذة به .. وقيل إن رجلاً قال له  
 كيف تقول أسرج الفرس قال ألبد الجواد .. وقاله آخر كيف تقول ركب فرسه وجر  
 رمحه قال استوى على جواده وسحب عامله .. وذكر أبو الحسين الخياط أن واصل  
 كان من أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ومولده سنة ثمانين ومات سنة  
 احدى وثلاثين ومائة .. وكان واصل ممن لقي أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية  
 وصحبه وأخذ عنه وقال قوم انه لقي أبا محمداً عليه السلام وذلك غلط لأن محمداً توفي  
 سنة ثمانين أو احدى وثمانين وواصل ولد في سنة ثمانين .. وواصل هو أول من أظهر  
 المنزلة بين المنزلتين لأن الناس كانوا في أسماء أهل الكبريت من أهل الصلاة على أفون  
 كانت الخوارج تسمهم بالكفر والشرك .. والمرجئة تسمهم بالايمان وكان الحسن  
 وأصحابه يسمونهم بالنفاق فأنظر واصل القول بأنهم فساق غير مؤمنين ولا كفار ولا  
 منافقين .. وكان عمرو بن عبيد من أصحاب الحسن وتلاميذه فجمع بينه وبين واصل  
 فتناظره فيما أظهر من الذول بالمنزلة بين المنزلتين فلما اتفقوا على الاجتماع ذكر أن واصل

أقبل ومعه جماعة من أصحابه الى حلقة الحسن وفيها عمرو بن عبيد جالس فلما نظر الى  
واصل وكان في عنقه طول واعوجاج قال أرى مُعْتَمَلاً لا يفلح صاحبها فسمع ذلك واصل  
فلما سلم عليه قال له يابن أخي ان من عاب الصنعة عاب المصانع لانهما لهما بين الصنعة  
والمصانع فقال له عمرو بن عبيد يا أبا حذيفة قد وعظت فأحسنت ولن أعود الي مثل  
الذي كان مني وجلس واصل في الحلقة وسئل أن يكلم عمرأ فقال واصل لعمرو لم قلت  
من أني كبيرة من أهل الصلاة استحق اسم الفساق فقل عمرو لقول الله تعالى (والذين  
يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة  
أبدأ وأولئك هم الفاسقون) فكان كل فاسق منافقاً اذ كانت ألف المعرفة ولاهما  
موجودتين في الفاسق فقال له واصل أليس قد وجدت الله تعالى يقول (ومن لم يحكم  
بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) وأجمع أهل العلم على أن صاحب الكبيرة استحق  
اسم ظالم كما استحق اسم فاسق فألاً كفرت صاحب الكبيرة من أهل الصلاة بقول الله  
تعالى (والكافرون هم الظالمون) فمرف بألف ولام التعريف اللتين في قوله (ومن  
لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) كما قال في المقادير (وأولئك هم الفاسقون)  
فسميته منافقاً لذوله تعالى (ان المنافقون هم الفاسقون) فأمسك عمرو ثم قال له  
واصل يا أبا عثمان أيّ تأولى أن تستعمل في أسماء الحديثين من أمنا ما اتفق عليه أهل  
الفرق من أهل القبلة أو ما اختلفوا فيه فقال عمرو بل ما اتفقوا عليه أولى فقال له  
واصل أنت تجوز أهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة فاسقاً ويختلفون  
فيما عدا ذلك من أسمائه لأن الخوارج تسميه مشركاً فاسقاً والشيعمة تسميه كافر نعمة  
فاسقاً . [قال المرتضى رضى الله عنه] يعني بالشيعمة الزيدية . والحسن يسميه منافقاً فاسقاً  
والمرجئة تسميه مؤنباً فاسقاً فاجتمعوا على تسميته بالفسق واختلفوا فيما عدا ذلك من  
أسمائه فالواجب أن يسمى بالاسم الذي اتفق عليه وهو الفسق لانهما المختلفين عليه ولا  
يسمى بما عدا ذلك من الأسماء التي اختلف فيها فيكون صاحب الكبيرة فاسقاً ولا يقال  
فيه أنه مؤمن ولا منافق ولا مشرك ولا كافر فهذا أشبه بأهل الدين فقال له عمرو  
ابن عبيد ما بين وبين الحق عداوة والقول قولك قلبتهد على من حضر أني تارك

لا مذهب الذي كنت أذهب إليه من ففاق صاحب الكبيرة من أهل الصلاة قائم بقول  
 أبي حذيفة في ذلك وأني قد اعترلت مذهب الحسن في هذا الباب فاستحسن الناس  
 هذا من عمرو . . . وقيل إن اسم الاعتزال إنما اختص بهذه الفرقة لاعتزالهم مذهب  
 الحسن بن أبي الحسن في تسمية مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة بالفتاق وحكي غير  
 ذلك . . . وقيل إن قتادة بعد موت الحسن البصري كان يجلس مجلسه وكان هو وعمرو  
 ابن عبيد جميعاً رئيسين متقدمين في أصحاب الحسن ففرت بينهما فترة فاعتزل عمرو  
 مجلس قتادة واجتمع عليه جماعة من أصحاب الحسن فكان قتادة إذا جلس مجلسه  
 سأل عن عمرو وأصحابه فيقول ما فعل المعتزلة فسموا بذلك . . . [ قول المرتضى رضى الله  
 عنه ] أما ما ألزمه وأصل بن عطاء لعمر بن عبيد أولاً فسدبداً لازم وأما ما كلفه به ثانياً  
 فقير واجب ولا لازم لأن الاجماع وان لم يوجد في تسمية صاحب الكبيرة بالفتاق وغير  
 ذلك من الأسماء كما وجد في تسميته بالفسق فقير ممثتج أن يسمى بذلك لدليل غير  
 الاجماع ووجود الاجماع في الشيء وان كان دليلاً على صحته فليس فقد دليلاً على  
 فساد . . . وواصل إنما ألزم عمرأ أن يعدل عن التسمية بالفتاق للاختلاف فيه ويقنصر على  
 التسمية بالفسق للاتفاق عليه وهذا باطل ولو لزم ما ذكره لزمه أن يقل قد اتفق أهل  
 الصلاة على استحقاق صاحب الكبيرة من أهل القبلة الذم والمقاب ولم ينتقوا على  
 استحقاقه التخليد في المقاب أو نقول أنهم اجتمعوا على استحقاقه المقاب ولم يجمعوا  
 على فعل المستحق به فيجب القول بما اتفقوا عليه وانى ما اختلفوا فيه فإذا قيل  
 استحقاقه للخلود أو فعل المستحق به من المقاب وان لم يجمعوا عليه فقد علم بدليل  
 غير الاجماع . . . قيل له مثل ذلك فيما عوّل عليه وبطل على كل حال أن يكون الاختلاف  
 في القول دليلاً على وجوب الامتناع منه وهذا يناقض مسائل كثيرة ذكرها بطول  
 على أن المقدمة التي قدمها لا تشبه ما ألزم عليها لأن الاجماع أولى من الاختلاف فيها  
 يتعارض ويتقابل والاجماع والاختلاف في الموضع الذي كلف عليه واصل عمرأ في  
 مكانين لأن الاجماع هو على تسميته بالفسق والاختلاف هو في تسميته بما عناه من  
 الأسماء فلا تعارض بينهما . . . وله أن يأخذ بالاجماع في موضعه ويعوّل في الاختلاف

فيه على دلالة غير الاجماع لأن فقد الاجماع من القول لا يوجب بطلانه . . . وحكى أن  
 واصلاً كان يقول أراد الله من العباد أن يعرفوه ثم يعملوا ثم يعلموا قال الله تعالى  
 ( يا موسى إني أنا الله ) فعرفه نفسه ثم قال ( اخلع نعليك ) فبعد أن عرفه نفسه أمره  
 بالعمل قال واندليل على ذلك قوله تعالى ( والعصر إن الإنسان لني خسر إلا الذين  
 آمنوا ) يعني صدقوا ( وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالعباد ) عملوا وعملوا  
 وعلموا . . . وروى المبرد قال حدثت أن واصل بن عطاء أقبل في رفقة فاحسوا  
 بالحوارج وكانوا قد أشرفوا على العطب فقال واصل لأهل الرفقة ان هذا ليس من  
 شأنكم فاستزلوا ودرني وإياهم فقالوا شأنك قال الحوارج له ما أت وأصحابك قال  
 مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله وقيموا حدوده فقالوا قد أجرناكم قال فعملونا  
 أحكامه فعملوا يعلمونه أحكامهم وجعل يقول قد قبلت أنا ومن معي فاوا فامضوا  
 . صاحبين فانكم اخواننا قال لهم ليس ذلك لكم قال الله تعالى ( وان أحد من المشركين  
 استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ) فأبلغونا مأمننا فساروا بأجمعهم  
 حتى بلغوا الأمان . . . وحكى أن محمداً وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن كانا ممن دعاها  
 واصل الى القول بالعدل فاستجابا له وذلك لما حج واصل ودعا الناس بمكة والمدينة . . .  
 وحكى أبو القاسم البلخي أن عبداً لله قال لابنه محمد كل خصالك محمودة إلا قولك  
 بالقدر قال يا أبت فهو شيء أقدر على تركه فورد الكلام على رجل عاقل فقال لا عاتبك  
 عليه أبداً . . . [قال المرتضى رضي الله عنه] قال أبو القاسم يقول ان كنت أقدر على تركه فهو  
 قولي وان كنت لا أقدر عليه فلم تعاتبني على شيء لا أقدر عليه . . . فأما عمرو بن عبيد  
 فيكنى أبا عثمان مولى لبني العدوية من بني تميم قال الجاحظ هو عمرو بن عبيد بن باب وباب  
 نفسه من بني كابل من بني عبد الرحمن بن سمرة وكان باب مولى لبني العدوية قال وكان  
 عبيد شرطياً وكان عمرو مترهداً فكانا اذا اجتازا معاً على الناس قاوا هذا شر الناس أبو  
 خير الناس فيقول عبيد صدقتم هذا إبراهيم وأنا ناريخ . . . قال علي بن الجعد هو عبيد بن  
 باب وكان يواي للحكم بن أيوب قال وكان باب مكارياً له دكان معروف يقال له دكان باب  
 وكان فارسياً ولا فرزدق معه خير مشهور تركنا ذكره لشهرته وغش فيه . . . وذكر أبو الحسين

الخطاط أن مولد عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء جميعاً سنة ثمانين قال ومات عمرو بن عبيد في سنة مائة وأربع وأربعين وهو ابن أربع وستين سنة ٠٠ روى أن عمراً استأذن على المنصور فدخل عليه الربيع فقال له بالباب رجلى قال إني عمرو بن عبيد وكانت على المنصور جبة يمانية مخنفة فقال وبلك يا ربيع عمرو بالباب قال نعم قال هات لي قيصاً أبيض فأتاه به فذلقاه عليه ثم قال رد من خلفي فقط الحبة وذرع علي قال الربيع ولم أكن أرى أحداً يوقره المنصور حتى رأيت عمرو بن عبيد فدخل عليه رجل آدم مربع الكفة بين عينيه أثر السجود حسن الأدب حسن اللسان كأنه لم يزل مع الملوك في توقيره للخليفة وإعظامه إياه قال فسلم عليه فاجتنبه المنصور ليجلس معه فأبى وطرح نفسه بين يديه فثابته وأحبنى به فلما أراد عمرو القيام قال له عظم يا أبا عثمان وأوجز قال له إن مافي يدك لست بوارثه عن أحد وإنما هو شيء صار إليك وقد كان في يد غيرك قبلك ولو دام لك لبقى في يد الأول والسلام ٠٠ وروى الأصمعي قال قال مطر الوراق لعمرو بن عبيد إني لأرحمك مما تقول الناس فيك فقال عمرو أنسمعني أقول فيم شيئاً قال لا قال فأيامهم فارحم ٠٠ وقال خالد بن صفوان لعمرو بن عبيد لم لاتأخذ مني فتقتضي ديناً إن كان واصل رحمتك فقال له عمرو أما دين فليس علي وأما صلة رحمي فلا يجب علي وليس عندي قال فما يمنعك أن تأخذ مني قال يمنعني أنه لم يأخذ أحد من أحد شيئاً إلا ذلك له وأنا والله أكرم أن أذل لك ٠٠ ويقال إن ابن هزيمة أتى عمرو بن عبيد في المسجد الحرام فسلم عليه وجلس إليه وقال له يا أبا عثمان ماتقول في قوله تعالى ( ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ) فقال ذلك في محبة القلوب التي لا يستطيعها العبد ولم يكلفها فأما العدل بين في القسمة من النفس والكسوة والنفقة فهو معلق لذلك وقد كانه بقوله تعالى ( فلا تميلوا كل الميل ) فيما تطيقون ( فتأروها كأنه لفة ) بمنزلة من ليست أيماً ولا ذات زوج وقال ابن هزيمة هذا والله هو الحق ٠٠ ويقال إن عمرو بن عبيد أتى يونس بن عبيد يمزيه عن ابن له فقال له إن أبك كان أملاك وإن أبك كان فرعتك وإن امرأ ذهب أصله وفرعه لحري أن لا يطول بقوه ٠٠ وقيل إن عبد الله بن عبد الأعلى أخذ هذا المعنى فقال

صَحِبْتِكَ قَبْلَ الرُّوحِ إِذَا نَأُظْفَقَةٌ      تُصَانُ فَمَا يَبْدُو لِعَيْنِ مَصُونُهَا  
أَرَى الْمَرْءَ دَيْنًا لِلْمَنِيَا وَمَا لَهَا      مَطَالٌ إِذَا حَلَّتْ بِنَفْسِ دُيُونِهَا  
فَمَا ذَابِقَاهُ الْفَرَعِ مِنْ بَعْدِ أَصْلِهِ      سَتَلْقَى الذِّي لَأَقَى الْأُصُولِ غُصُونِهَا

وأول من سبق الي هذا المعنى امرؤ القيس في قوله

فَبَعْضَ اللَّسُومِ عَاذَاتِي فَإِنِّي      سَتَلْقَانِي التَّجَارِبُ وَأُنْتِسَابِي  
إِلَى عَرِيقِ الثَّرَى وَشَجْتِ عُرُوقِي      وَهَذَا الْمَوْتُ يَسَابِنِي شَبَابِي

وأخذ ذلك لبيد في قوله

فَإِن أَنْتَ لَمْ تَصُدِّقْكَ تَفْسُكَ فَاتْتَسِبُ      لَمَلِكُ تَهْدِيكَ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ  
فَإِن لَمْ تَجِدْ مِنْ دُونَ عَدْنَانَ وَالِدَا      وَدُونَ مَمَّةٍ فَاتَزَعِمَكَ الْعَوَائِلُ  
وَأَخَذَهُ أَيْضاً فِي قَوْلِهِ

تَوَدُّ أَبَانَتَايَ أَنْ يَمِيشَ أَبُوهُمَا      وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَيْبِعَةٍ أَوْ مَضْرُ

ولنظر اليه محمود الوارق وإبراهيم بن العباس الصولي . . . فأما محمود ففي قوله

إِذَا مَا اتَّسَبَتْ إِلَى آدَمِ      قَلَمُ يَكُ يَنْتَكُمَا مِنْ أَبِي  
وَجَارَتْ سِنُوكُ بَكَ الْأَرْبَعِينَ      وَصِرْتَ إِلَى الْجَانِبِ الْأَجْنَبِ  
وَدَبَّ الْبِيَاضُ خِلَالَ السَّوَادِ      فَأَصْبَحْتَ فِي شَبَهِ الْأَشْهَبِ  
وَكَيفَ تَوَمَّلْ طُولَ الْحَيَاةِ      إِذَا كَانَ حِلْمُكَ لَمْ يَمُزِبِ

وأما إبراهيم ففي قوله

نَعَى نَفْسِي إِلَيَّ أَبِي      وَخَبَرَ أَيْنَ مُقَلَّبِي  
بِعُوضَةٍ رَأَاهَا فِي      أَيِّهِ كَمَا رَأَيْتُ أَبِي

وكان أبانواس لحظ هذا المعنى في قوله



وتحفي به ثم سأله عن نفسه وعن عياله بسميهم رجلاً رجلاً وامرأة امرأة ثم قال يا أبا عثمان عطا فقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ( والفجر وليالٍ عشر والشفق والنور والليل إذا يسر ) ومر فيها الى آخرها وقال ان ربك يا أبا جعفر لبالمرصاد قال فبكنا المنصور بكاء شديداً كأنه لم يسمع تلك الآيات الا تلك الساعة ثم قال زدني فقال ان الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها واعلم ان هذا الأمر الذي صار اليك انما كان في يد من كان قبلك ثم أفضى اليك وكذلك يخرج منك الى من هو بعدك وأنا أحذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيامة قال فبكنا أشد من بكائه الأول حتى رجفت جنباه .. وفي رواية أخرى انه لما انتهى الى آخر السورة قال يا أمير المؤمنين ان ربك لبالمرصاد ان عمل مثل عملهم أن ينزل به مثل ما نزل بهم فاتق الله فان من وراء بكنا نيراناً تأجج من الجور ما يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسوله فقال يا أبا عثمان إنا لنكتب اليهم في الطوامير تأمرهم بالعمل بالكتاب فان لم يفعلوا فما عسى أن نصنع فقال له مثل أذن الفأرة يجريك من الطوامير الله أنكتب اليهم في حاجة نفسك فينفذونها وتكتب اليهم في حاجة الله فلا ينفذونها والله لو لم ترض من عمالك إلا رضى الله إذا لتقرب اليك من لانية له فيه .. [قال المرتضى] رضى الله عنه رجعت الى نسق الحديث فقال له سليمان ابن مجاهد وفقاً بأمر المؤمنين فقد أتعبته منذ اليوم فقال له بذلك ضاع الأمر وانتشر لأبائك وما ذا خنت على أمير المؤمنين أن بكى من خشية الله .. وفي رواية أخرى ان سليمان بن مجاهد لما قال له ذلك رفع عمرو رأسه فقال له من أنت فقد أبو جعفر أو لا تعرفه يا أبا عثمان قال لا ولا أبلي أن لا أعرفه فقال له هذا أخوك سليمان بن مجاهد فقال هذا أخو الشيطان ويحك يا بن مجاهد خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين ثم أردت أن تحول بينه وبين من أراد نصيحته يا أمير المؤمنين ان هؤلاء اتخذوك سلباً لشهواتهم فأنت كالأخذ بالقرنين وغيرك يحجب فاتق الله فأنك ميتٌ وحدك ومحاسبٌ وحدك ومبعوثٌ وحدك ولن يغني عنك هؤلاء من ربك شيئاً فقال له المنصور يا أبا عثمان أعنى بأصحابك أئمتن بهم فقال له اظهر الحق يتبعك أهله قال بلغني أن محمد بن عبد الله بن الحسن كتب اليك كتاباً قال قد جاء في كتاب يشبه أن يكون كتابه قال فما ذا أجبتة

قال أو لست قد صرفت رأبي في السيف أيام كنت تختلف البنا وإني لأراه قال أجل  
ولكن تختلف لبطائن قلمي قال لئن كذبتك تقيّة لأحلمن لك تقيّة قال له أنت الصادق  
البار وقد أمرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على زمانك فقال لا حاجة لي فيها فقال  
المنصور والله لتأخذنها قال والله لا أخذتها فقال له المهدي يملأ أمير المؤمنين ونحوه  
فترك المهدي وأقبل على المنصور فقال من هذا الفقى فقال هذا ابني محمد وهو المهدي  
وهو ولي العهد فقال والله لقد سميتك اسماً ما استحققه بعمل وأبسته لبوساً ما هو من  
لبوس الأبرار ولقد مهدت له أمراً امتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه ثم انفتحت الي  
المهدي فقال نعم يا بن أخي اذا حلف أبوك حلف عمك لان أباك أقدر على الكفاية  
من عمك قال المنصور يا باعنهان هل من حاجة قال نعم قال ما هي قال ألا تبعث الي حتى  
آتيك<sup>(١)</sup> قال اذا لا تلتقي قال عن حاجتي سألتني ثم ودعه ونهض فلما ولي تبعه  
بصره وأنشأ يقول

كَلِّكُمْ حَالِبُ صَيْدٍ كَلِّكُمْ يَمِّشِي رُويَدٍ

غَيْرَ عَمْرٍو بْنِ عَيْبِدٍ

وروى أن هشام بن الحكم قدم البصرة فأتى حلقة عمرو بن عبيد فجلس فيها  
وعمره لا يعرفه فقال لعمرو أليس قد جعل الله لك عينين قال بلى قال ولم قال لا نظر  
بهما في ملكوت السموات والأرض فاعتبر قال وجعل لك فماً قال نعم قال ولم قال  
لا ذوق للعلوم وأجيب الداعي ثم عدد عليه الخواص كلها ثم قال وجعل لك قلباً قال  
نعم قال ولم قال لتوهدى اليه الخواص ما أدركته فيبرز بينها قال فأنت لم يرض لك ربك

(١) وروى من غير هذا الوجه فقال له ترفع هذا الطليسان عني فرفع وكان أمر  
المنصور أن يطرح عليه عند دخوله فقال له لا تدع إباننا قال نعم لا يضمني وإياك بلد  
الأيامك وان بدت لي حاجة اليك سألتك ولا تدعني حتى آتيك قال اذا لا تأتينا أبداً  
فلما ولوا للخروج اتجهم المنصور بصره ثم قال

كَلِّكُمْ يَمِّشِي رُويَدٍ كَلِّكُمْ حَالِبُ صَيْدٍ غَيْرَ عَمْرٍو بْنِ عَيْبِدٍ

تعالى ان خلق لك خمس حواس حتى جعل لها اماماً ترجع اليه يرضى لهذا الخلق  
الذين حتى بهم العالم أن لا يجعل لهم اماماً يرجعون اليه فقال له عمرو وارتفع حتى ننظر  
في مسائلتك وعرفه ثم دار هشام في حلق البصرة فأمسى حتى اختلفوا ٥٥ وروي  
أبو عبيدة قال دخل عمرو بن عبيد على سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بالبصرة  
فقال له سليمان أخبرني عن صاحبك يعني الحسن يزعم أن علياً عليه السلام قال إني  
وددت أني كنت آكل الحنظل بالمدينة ولم أشهد مشهدى هذا يعني يوم صفين فقال له  
عمرو بن عبيد لم يقل هذا لانه ظن ان أمير المؤمنين شك ولكنه يقول ودًا انه كان  
يأكل الحنظل بالمدينة ولم تكن هذه الفتنة قال فتقوله في عبد الله بن العباس يفتينا في  
القلمة والفتية وطار بأموالنا في ليلة فقال له فكيف تقول هذا وابن عباس لم يفارق  
علياً حتى قتل وشهد صلح الحسن عليه السلام وأي مال يجتمع في بيت مال البصرة مع  
حاجة علي إلى الأموال وهو يفرغ بيت مال الكوفة في كل خمس وورشه وقالوا انه كان  
يقبل فيه فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة هذا باطل ٥٥ قال الجاحظ نازع رجل  
عمرو بن عبيد في القدر فقال له عمرو ان الله تعالى قال في كتابه ما يزيد الشك عن  
قلوب المؤمنين في القضاء والقدر قال تعالى (قوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون)  
ولم يقل لنسألنهم عما قضيت عليهم أو قدرته فيهم أو أردته منهم أو شئت لهم أو ليس  
بعد هذا الأمر إلا الاقرار بالعدل والسكوت عن الجور الذي لا يجوز على الله تعالى  
٥٥ قال خلاد الأرقط حدثني زهير بن عمرو بن عبيد قال سمعته في الليلة التي مات فيها  
يقول اللهم ان كنت تعلم انه لم يعرض لي أمران قط أحدهما لك فيه رضا والآخر لي  
فيه هوى إلا قدمت رضاك على هواي فاعف لي (١) ٥٥ ومر أبو جعفر المنصور على

(١) وقال اسماعيل بن مسامة أخو القعني رأيت الحسين بن أبي جعفر بمبادان  
في المنام فقال لي يعقوب ويواس بن أبي عبيد في الجنة فقلت فعمرو بن عبيد فقال في  
النار ثم رأيت في الليلة الثانية والثالثة كذلك فقلت له في الثالثة فعمرو بن عبيد فقال  
في النار كم أقول لك

قبره بمران وهو موضع على ليال من مكة على طريق البصرة (١) وأنشأ بقول  
صلى الإله عليك من متوسدٍ      قبرا مررت به على مران  
قبرا تضمن مؤمنا متخشعا      عبد الإله ودان بالفرفان  
وإذا الرجال تناز عوا في شبهة      فصل الخطاب بحكمة وبيان  
فلو أن هذا الدهر أبقى صالحا      أبقا لنا عمرا أبا عثمان

فأما أبو الهذيل العلاف فهو محمد بن الهذيل بن عبيد الله بن مكحول العبدي  
•• وقال أبو الفاسم البلخي هو من موالي عبد القيس وولد في سنة أربع وثلاثين ومائة  
•• وقال أبو الحسن الخياط ولد سنة إحدى وثلاثين ومائة وقيل أنه توفي في أول أيام  
الذوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين وكان سنة مائة سنة •• قال البرذعي لحق أبا الهذيل  
في آخر عمره خرف إلا أنه لم يكن يذهب عليه معرفة المذهب والقيام بحجته وكف  
بصره قبل وفاته •• وأخذ أبو الهذيل الكلام عن عثمان الطويل صاحب وأسد بن  
عطاه •• وقيل إن أبا الهذيل في حديثه بلغه أن رجلا يهودياً قدم البصرة وقطع  
جماعة من متكلميها فقال لعمه يا عم امض بي إلى هذا اليهودي حتى أكله فقال له عمه  
يا بني كيف تكلمه وقد عرفت خبره وأنه قطع مشايخ المنتكبة فقال لا بد من أن تمضي  
بي إليه فمضى به قال فوجدته يقرر الناس على نبوة موسى عليه السلام فاذا اعترفوا له  
بها قال نحن على ما اتفقنا عليه إلى أن نجتمع على ما تدعونه فتقدمت إليه فقلت أسألك أم  
تسأني فقال بل أسألك فقلت ذلك اليك فقال لي أذترف بأن موسى نبي صادق أم تسكر  
ذلك فتخالف صاحبك فقلت له إن كان موسى الذي تسأني عنه هو الذي بشر بني  
وشهد بنبوته وصداقه فهو نبي صادق وإن كان غير من وصفه فذاك شيطان لا أعترف  
بنبوته فورد عليه ما لم يكن في حسابه ثم قال لي أقول إن التوراة حق فقلت هذه  
المسألة تجري مجرى الأولى إن كانت هذه التوراة التي تسأني عنها هي التي تتضمن

(١) قوله على طريق البصرة وقيل بين مكة والمدينة وهو بفتح الميم

البشارة بنبي عليه الصلاة والسلام فتلك حق وان لم تكن كذلك فليست بحق ولا أقربها  
فبُهِتَ وأهَمُّ ولم يدري ما يقول ثم قال لي أريد أن أقول لك شيئاً بيني وبينك فظننت أنه يقول  
شيئاً من الخير فتقدمت إليه فسارني وقال أمك كذا وكذا وأم من علمك ولا يكنى  
وقد مررتني أنب به فيقول وشواهي وشغبوا علي فأقبلت على من كان في المجلس فقلت  
أعزكم الله ألسنم قد وقفتم على مسألته إياي وعلى جوابي له فقالوا نعم قلت أفليس عليه  
أن يرد جوابي أيضاً قالوا بلى قلت لهم فانه لما سارني شتمني بالشم الذي يوجب الحد  
وشتم من علمي وإنما ظن أني أنب عليه فيدعي أننا وأبناء وشغبنا عليه وقد  
عرفتكم شأنه بمد الانقطاع فأنصروني فأخذته الأيدي من كل جهة فخرج هارباً من  
البصرة ٥٠ وعن أبي العيناء قال قال أبو الهذيل ما معنى الخسف فقلت أن تغرب الأرض  
أعلاها أسفلها فقال إن لا يكن هذا اليوم بالأرض فانه لبا لئس ٥٠ وقال أبو الهذيل  
قال لي المعتدل بن غيلان العبدى وكان من سادات عبد القيس وكان يجتمع اليه أهل  
النظر يأبأ الهذيل ان في نفسي شيئاً من قول القوم في الاستطاعة فيبين لي ما يذهب  
بالريب عنى فقال خبرني عن قول الله عزوجل (وسيطعون بالله لو استطعنا لخرجنا  
معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون) هل يخلو من أن يكون أ كذبهم لأنهم  
مستطيعون الخروج وهم يكذبون فيقولون لئنا استطع لو استطعنا لخرجنا معكم  
فأ كذبهم الله تعالى على هذا الوجه أو يكون على وجه آخر يقول انهم لكاذبون أى  
ان أعطيتهم الاستطاعة لم يخرجوا فتكون معهم الاستطاعة على الخروج ولا يخرجون  
ولا يكون الخروج وعلى كل حال قد كانت الاستطاعة على الخروج ولا يكون الخروج  
ولا لعقل للآية معنى ثالثاً غير الوجهين الذين ذكرناهما ٥٠ حكى سليمان الرقي ان أبا  
الهذيل لما ورد سراً من رأى نزل في غرفة الى أن يطلب له داراً تصلح له قال فررت  
به فقلت له يا أبا الهذيل أنزل في مثل هذا المنزل فأنتدني

يَقُولُونَ زَيْنُ الْمَرْءِ يَا مَيَّ رَحْلُهُ      أَلَا إِنَّ زَيْنَ الرَّحْلِ يَا مَيَّ رَاكِبُهُ

وعن أبي مجالد قال رأيت رجلاً وقد سأل أبا الهذيل وهو في الوراقين بقصر وضاح

فقال له من جمع بين الزانيين فقال له يابن أخي أما بالبصرة فاتهم يقولون الفوادون ولا أحسب أهل بغداد يخلفونهم على هذا القول فأتقول أنت قال فحجل الرجل وسكت . . . وقال أبو الهذيل قلت لرجل عن يئني الحركة ولم يسمه وزعم قوم انه الأعم خبّرني عن قول الله تعالى ( الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ) وذكر القاذف فقال فاجلدوه ثمانين جلدة فأبهما أكثر فقال حد الزاني قات بكم قال بعشرين قلت فحدني عن الجلد أهو يد الجلاد قال لا قلت أفهو السوط قال لا قلت فهو ظهر المجلود قال لا قلت أفهو الانفراج الذي بين السوط وظهر المجلود قال لا قلت أفم شيء غير هذا يقال هو الجلد قل لا قلت قائما تقول أن لاشئ أكثر من لاشئ بعشرين فانقطع . . . وقال أبو الهذيل قلت لجوسي ماتقول في النار قال بئ الله قلت قالير قال ملائكة الله قص أجنحتها وحطها الى الأرض يحرث عليها فقلت قائما قال نور الله قلت فما الجوع والعطش قال فقر الشيطان وفاقتة قلت فمن يحمل الأرض قال يهن الملك قلت فما في الدنيا شر من الجوس أخذوا ملائكة الله فذبحوها ثم غسلوها بنور الله ثم شورها بئت الله ثم دفعوها الى فقر الشيطان وفاقتة ثم ساحوها على رأس يهن أعز ملائكة الله فانقطع الجوسي وخجل بما لزمه . . . ودخل أبو الهذيل يوماً على الحسن بن سهل بقم الصلح وعنده فتى قد رفع مجامسه فقال أبو الهذيل من هذا الفتى الذي قد رفعه الأمير لوقيه بمعرفته حقه قال رجل من أهل النجوم قال من أهل صناعة الحساب أم الأحكام قال الأحكام قال ذلك عمل يبعال أفنساءه قال سل فأخذ أبو الهذيل نفاحة من بين يديه وقال آكل هذه النفاحة أم لا قال تأكلها فوضعها أبو الهذيل وقال لست آكلها قل فتميدها الى يدك وأعيد النظر فوضعها وأخذ غيرها فقال له الحسن لم أخذت غيرها قال لئلا تقول لى لا تأكلها فأكلها خلافاً عليه فيقول قد أصبت في المسألة الأولى (١) . . . وقال النعمان المنائي يوماً لأبي الهذيل ذك على

(١) وحكى انه لقي صالح بن عبد القدوس وقد مات له ولد وهو شديد الجرع عابه فقال له أبو الهذيل لأعرف لجزعك عابه وجهاً اذا كان الانسان عندك كالزرع

حدوث العالم بغير الحركة والسكون فقال له أبو الهذيل حملك مثل رجل قال لخصمه احضر معي الى القاضي ولا تحضر بينك ٥٥ وذكر محمد بن الحليم صاحب الفراء قال رأيت أبا الهذيل وقد جاء الى الديوان في أيام المأمون فسأل سهل بن مروان بن راهبون أن يكتب له كتاباً في حاجة الى حفصويه صاحب الجيش ونهض أبو الهذيل فأمل على سهل بن مروان

إِنَّ الضَّمِيرَ إِذَا سَأَلْتِكَ حَاجَةً  
فَإِذَا أَنَاكَ لِحَاجَةٍ فَا مَدُّدٌ لَهُ  
وَأَلِنْ لَهُ كُنْفًا لِيَحْسُنَ ظَنَّهُ  
حَتَّى إِذَا طَالَتْ شَقَاوَةٌ جَدَّهُ  
وَإِنْ اسْتَطَعْتَ لَهُ الْمَضْرَّةَ فَاجْتَهِدْ  
وَانظُرْ كَلَامِي فِيهِ فَأَرْزَمْ بِهِ  
كَوَذَاكَ فَأَفْعَلْ غَيْرَ مَحْتَشِمٍ  
لَأَبِي الْهَذِيلِ خِلَافُ مَا أَبْدَى  
حَبْلَ الرَّجَاءِ بِمُخْلَفِ الْوَعْدِ  
فِي غَيْرِ مَنَفَعَةٍ وَلَا رِفْدِ  
وَرَجَاءِ الْغَنَى فَأَجِبْهُ بِالرَّدِّ  
فِيمَا يَبْضُرُّ بِأَبْلَغِ الْجَهْدِ  
خَلْفَ الثَّرِيَاءِ مِنْكَ فِي الْبُعْدِ  
إِنْ جِئْتُ أَسْأَلُ فِي أَبِي الْهِنْدِيِّ

[ قال المرتضى رضى الله عنه ] ويشبه هذا المعنى ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن أبي الأزهري قال حدثنا أبو العيلاء قال كان لي صديق فجاءني يوماً فقال لي أريد الخروج الى فلان العامل وأحببت أن تكون معي اليه وسيلة وقد سألت من صديقه فقبل لي أبو عثمان الجاحظ وهو صديقك فأحب أن تأخذ لي كتابه اليه بالعباية قال فصرت الى الجاحظ فقال لي في أي شيء جاء أبو عبيد الله فقلت مسلماً

قال صالح يا أبا الهذيل انما أجزع عاينه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك فقال له كتاب الشكوك ماهو يا صالح قال هو كتاب قد وضعته من قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن ويشك فيما لم يكن حتى يتوهم انه قد كان فقال له أبو الهذيل فشك أنت في موت ابنك واعمل على انه لم يموت وان كان قد مات وشك أيضاً في قرأته كتاب الشكوك وان كان لم يقرأه

وقاضياً لحق وفي حاجة لبعض أسدقائي وهي كذا وكذا فقال لا تشغلنا الساعة عن  
 الحادثة فاني في غد أوجه اليك بالكتاب فلما كان من الغد وجهه الي بالكتاب فقلت  
 لابني وجه هذا الكتاب الى فلان ففيه حاجته فقال لي ان أبا عثمان بعيد الغور فينبغي  
 أن تقضه وتنظر ما فيه ففعل فاذا في الكتاب كتابي اليك مع من لأعرفه وقد كلفني  
 فيه من لا أوجب حقه فان قضيت حاجته لم أحمدك وان ردذته لم أذمك فلما قرأت  
 الكتاب مضيت من فوري الى الجاحظ فقال بأبا عبد الله قد علمت أنك أنكرت ما في  
 الكتاب فقلت أو ليس موضع نُكْرَة فقال لا هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن اعتنى  
 به فقلت لا والله ما رأيت رجلاً أعلم بطبعك وما حلت عليه من هذا الرجل أعنى صاحب  
 الحاجة أعلمت أنه لما قرأ الكتاب قال اعطأم الجاحظ عشرة آلاف وأم من يسأله فقلت  
 ما هذا أنشتم صديقتنا فقال هذه علامتي فيمن أشكره .. وفي رواية أخرى ان أبا العيثاء  
 سلم الكتاب الى صاحب الحاجة وقال له فض الكتاب فقال انه محتوم فقال طينه فهو  
 من ظنه .. [قال المرادي] رضى الله عنه وأظن ان أبا العيثاء تبه على فض الكتاب  
 وقراءته بتخبر طرفة بن العبد والمثلث الضبي وذلك انه وما وفدا على عمرو بن هند  
 وادماه واحتظيا به ثم أفضى الأمر الى ان هجاه كل واحد منهما <sup>(١)</sup> وعرض به بالشعر

(١) قوله أفضى الأمر الى ان هجاه كل واحد منهما أماطرفة فهجاه بأبياته المشهورة

فايت لنا مكان الملك عمرو و رغونا حول قبتنا نخور

.. ومنها أيضاً

قدمت الدهر في زمن رخي كذلك الحكيم يقصد أو يجور

وسبب علمه بهجو طرفة بن العبد إياه انه نظر يوماً الى كشح عبد عمرو بن مرشد فقال  
 لقد أبصر طرفة حسن كشحك وتمثل

ولا خير فيه غير أن له غني وان له كشحاً اذا قام أعضا

وهو من أبيات هجا بهاطرفة عبد عمرو ففضب وقال لقد قال للملك أقيح من هذا قال  
 عمرو وما الذي قال فقدم عبيد عمرو لأن طرفة كان ابن عمه وأبى أن يسمعه فقال  
 أسمعه به وطرفة آمن فألشده التصيدة

المشهور لحق عليهما وهم يقتلها ثم أسفق من ذلك وأراد قتلها بيد غيره وكان على طرفه أحنق فلم انه ان قتله هجاء المتلمس فكتب لهما كتاباً الى البحرين وقال لهما  
 إني قد كتبت لكما بجملة فاشخصا لقبضها فخرجا من عنده وانكنابان في أيديهما قرأ  
 بشيخ جالس على ظهر العاروق، متكئاً يبرز ومعه كسرة خبز يأكل منها ويتناول القمل  
 من ثيابه فيقضمه فقل أحدهما لصاحبه ما رأيت أعجب من هذا الشيخ فدفع الشيخ  
 مقاتله فقال وما ترى من عجب ادخل طيباً واخرج خبيثاً واقتل عدواً وان أعجب مني  
 لمن يعمل حنفة بيده وهو لا يدري فأوجس المتلمس في نفسه خينة وارتاب بكتابه  
 فأتبه غلام من أهل الحيرة فقال له اقرأ يا غلام قال نعم ففرض خاتم كتابه ودفعه الى  
 الغلام فقرأه فاذا فيه اذا أنك المتلمس فاطلع يديه ورجليه واصابه حياً فأقبل على طرفه  
 فقال له تاملن والله لقد كتب فيك مثل هذا فادفع كتابك الى الغلام يقرأ عليك  
 فقال كلاماً ما كان ليحسر على قومي بمثل هذا ولم يانفث الى قول المتلمس فألقى المتلمس  
 كتابه في نهر الحيرة وقال

قَدَفْتُ بِهَا بِاللَّيْنِي مِنْ جَنْبِ كَافِرٍ      كَذَلِكَ أَقْتُو كُلَّ قِطْعَةٍ مُضَلَّلٍ  
 رَضِيَتْ لَهَا بِالْمَاءِ أَمَّا رَأَيْتَهَا      يَحْوُلُ بِهَا النَّيَّارُ فِي كُلِّ جَدْوَلٍ

وأما المتلمس فذكر ابن السكيت في شرح ديوان طرفه انه هجاء بقصيدة منها

ألك السدير ويا روق ولاك الخورواق

وروى أبو الفرج الأصبهاني من طريقه عن ابن السكيت انه هجاء بأبيات منها

قولاً لعمر بن هند غير متذب      يأخنس الأنف والأضراس كالعرس

ملك النهار وأنت الليل مومسة      ماء الرجال على نخذيك كالقرس

لو كنت كلاب قتيص كنت ذا جدد      تكون إربته في آخر المرس

أراد بالقرس القريس وهو الجامد والقنص والقنص أيضاً الصيد والاربة العقدة

والمرس الحبل أي هو أخس الكلاب فقلادته أخس الفلاذ ٥٠ وقال ابن الكلبي هذا

الشعر لعبد عمرو بن عمار بهجو به الأبيرد الساسي وبسببه قتل عبد عمرو

كافر - نهر بالحيرة - وأقوى - انتهى - والفظ - الكتاب - واختار - معظم الماء  
وكثرة .. وقال المتناس أيضاً

|  |  |
|--|--|
| مَنْ بُلِغَ الشُّعْرَاءُ عَنْ أَخَوَيْهِمْ     | نَبَأً فَتَصَدَّقُوا بِهِمْ بِذَلِكَ الْأَنْفُسُ |
| أَوْ ذِي الَّذِي عَلِقَ الصَّحِيفَةَ مِنْهُمَا | وَشِئاً حَذَرَ حَبَائِهِ الْمُنْتَلِسُ           |
| الَّتِي صَحِيفَتُهُ وَفُتَّتْ كُورُهُ          | وَجَنَاهُ حُمْرَةُ الْمُنَاسِمِ عَزَمِينَ        |
| عَبْدَانَةٌ طَبِخَ الْبُوجَارُ لَحْمَهَا       | فَكَأَنَّ نَفْسَهَا أَدِيمٌ أَمَّسُ              |
| أَطْرُفُهُ بِنَ الْعَبْدِ إِيَّاكَ حَائِنُ     | أَسَاسُهُ الْمَلِكِ الرَّهْمِ تَمَرَمِينَ        |
| أَتَى الصَّحِيفَةَ لَا أَبَاكَ إِنَّهُ         | يُخْشَى تَائِكُ مِنَ الْجَمَاءِ النَّقَرَسُ      |

- النقرس - هنا الداهية لدمه ومضى طرفه بكتابه الى البحرين فمصر به الملقى  
ابن حنش العبدى قتل .. فقال المتناس

|  |   |
|--|---|
| عَصَابًا فَمَا لَأَقِي رَشَادًا وَإِنَّمَا   | تَبَيَّنَ فِي أَمْرِ النَّوِيِّ عَوَاقِبُهُ     |
| فَأَصْبَحَ مَحْمُولًا عَلَى ظَهْرِ آتَةٍ     | تَمُجُّ فَيَجْمَعُ الْجَوْفَ مِنْهُ تَرَائِبُهُ |
| فَالْأَلَّ تَجَالُّهَا يُعَالِوُكَ فَوْقَهَا | وَكَيْفَ تَوْقِي ظَهْرًا مَا أَنْتَ رَاكِبُهُ   |

ولحق المتناس بسواد الشام وهجا عمراً وبلغه أن عمراً يقول لان وجده بالعراق  
ليقتله .. فقال

آيَتَ حَبِّ الْعِرَاقِ الدَّهْرُ أَطْحَمَهُ وَالْحَبُّ يَا كُنْهُ فِي التَّرْبَةِ السُّوسِ<sup>(١)</sup>

(١) قال البغدادي والبيهقي من شواهد ديوانه على أن نصب حب على نزع الحفص  
أي على حب العراق والبيت بالخطاب لعمر بن هند يقول له حافت لا تتركني  
بالعراق ولا تلعدي من حبه والحال أن الحب لا يبقى ان أبيضته بل يسرع اليه الفساد  
ويأكله السوس فالبخل به قبيح وهذا على طريق الاستهزاء والسخرية وبعده  
لم تدري بهر بما بالبيت من قسم ولا دمشق اذا ديس الكراديس

وجرى المثل بصحيفة المتلمس فقال الفرزدق يذكر الشعراء الذين أورتوه أشعارهم  
 وَهَبَ الْفَصَائِدُ لِلْيُتَوَاعِبِ إِذْ مَضَوْا وَأَبُو يَزِيدَ وَذُو الْقُرُوحِ وَجِرْوَلُ  
 وَأَخُو بَنِي قَيْسٍ وَهَنْ قَتْلَهُ وَمَهْلَهُلُ الشُّعْرَاءِ ذَلِكَ الْأَوَّلُ  
 يعنى بالوابغ الباغة الذبياني والجمدي وياغة بني شيان وبني أبي يزيد الخليل  
 السعدي وجرول هو الحطيئة وذو القروح امرؤ النيس وأخو بني قيس طرفة ومعنى  
 قوله - وهن قتلته - بنى القصائد التي هجاها عمرو بن هند . . . ويقال إن صاحب  
 هذه القصة هو العميان بن المنذر وذلك أشبه بقول طرفة

أَبَا مُنْذِرٍ كَأَنْتَ غُرُورًا صَحِيفَتِي وَلَمْ أُعْطِكُمْ بِالطَّيِّعِ مَالِي وَلَا عِرْضِي  
 أَبَا مُنْذِرٍ أَقْبَيْتَ فَاسْتَبَقِي بَعْضَنَا حَتَّى تَبْكِي بَعْضَ الشَّرِّ أَهْوَنَ مِنْ بَعْضِ  
 وَأَبُو الْمُنْذِرِ هُوَ الْعَمِيَانُ بْنُ الْمُنْذِرِ وَكَانَ الْعَمِيَانُ بَعْدَ عَمْرٍو بْنِ مَعْدٍ وَقَدْ مَدَحَ طَرَفَةُ  
 الْمُتَلَمَّسَ فِي الْعَمِيَانِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَمْرٍو قَتْلَهُ فَيُشْبِهُهُ أَنْ تَكُونَ الْقِصَّةُ مَعَ الْعَمِيَانِ

### مجلس آخر ١٣

وكان أبو سهل بن بشر بن المنذر من وجوه أهل الكلام ويقول إن جميع معتزلة  
 بغداد كانوا من مستجيبية . . . وقال أبو القاسم الباقعي أنه من أهل بغداد وقيل من  
 أهل الكوفة وذكر الجاحظ أنه كان أيرس . . . حكى أنه كان يوماً في مجلسه وعنده  
 أصحابه ومعه مجرب يأطعم ويقولون أنتم محمدون الله على أيمانكم وهم يقولون نعم فيقول لهم  
 فكأنه يجب أن يحمد على ما لم يفعل وقد ذم ذلك في كتابه فيقولون له إنما ذم من أحب  
 أن يحمد على ما لم يفعل ممن لم يعن عليه ولم يدع إليه وهو يشغب عليهم إذ أقبل ثمامة بن  
 أشرس فقال بنشر للمجرب قد سألت التوم وأجابوك وهذا أبو معن فأسأله عن المشائفة  
 وبصرى مدينة بالشام يقول لا تدري كثرة الطعام الذي ببصرى وبدمشق والكراديس  
 أكداش العامام ومن هنا يعلم أن الخدلاب لعمرو ولا لعمامان كما أتى

فقال له هل يجب عليك أن تحمد الله على الايمان قال بل هو يحمدني عليه لانه أسرني به ففعلته وأنا أحمده على الأمر به والتقوية عليه والدعاء اليه فاقطع الجبر فقال بشر شبت فسهلت .. قال الجاحظ وكان بشر يقع في أبي الهذيل وينسبه الى النفاق فقال وهو يصف أبا الهذيل لأن يكون لا يعلم وهو عند الناس يعلم أحب اليه من أن يعلم ويكون عند الناس لا يعلم ولأن يكون من السفلة وهو عند الناس من العلية أحب اليه من أن يكون من العلية وهو عند الناس من السفلة ولأن يكون نبيل المنظر سخيف الخبر أحب اليه من أن يكون نبيل الخبر سخيف المنظر وهو بالنفاق أشد عجباً منه بالاخلاص والباطل . مقبول أحب اليه من حق مدفوع .. ولبشر أشعار كثيرة يخرج فيها على أصحاب المقالات وذكر الجاحظ انه لم ير أحداً أقوى على الخدس والمزجج بمافوى عليه بشر وانه كان في ذلك أكثر وأقدر من ابن اللاتحي وهو الناس

إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقْوَى لِي وَمَا تَقُولُ فَانْتَ عَالِمٌ  
أَوْ كُنْتَ تَجْهَلُ ذَا وَذَا كَفَكُنْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ لِأَزِمِ  
أَهْلِ الرِّيَاسَةِ مَنْ يَنْسَازِعُهُمْ رِيَاسَتَهُمْ فَظَالِمٌ  
سَهَرَتْ عَيْنُونَهُمْ وَأَنْتَ عَنِ الَّذِي قَاسُوهُ حَالِمٌ  
لَا تَطْلُبَنَّ رِيَاسَةَ الْجَاهِلِ أَنْتَ لَهَا مُخَاصِمٌ  
لَوْلَا مَقَامُهُمْ رَأَيْتَ الَّذِينَ يُخْطَبُ بِهِ الْعَامِ

فأما أبو اسحق ابراهيم بن سيار النظام فانه كان مقدماً في العلم بالكلام حسن الخطار شديد التدقيق والعموص على المعاني وإنما أدناه الى المذاهب الباطلة التي تفرد بها واستنعت منه تدقيقه وتفانفه .. وقيل انه . ولي الرياض بن من ولد العبيد وان الرق جرى على أحد آباءه .. وقيل لنظام ما الاختصار فقال الذي اختصاره فسأل .. وقال لرجل أتعرف فلاناً المجوسي فقال نعم ذلك الذي حاق وسط رأسه كما يفعل اليهودي فقل النظام لا مجوسياً عرفته ولا يهودياً وصفت .. قال الجاحظ وذكر النظام عبداً

الوهاب التتقى فقال هو أحلى من أمن بعد خوفٍ ومُرء بعد سقمٍ وخصب بعد جذبٍ  
وغماً بعد فقرٍ وطاعة المحبوب وفرج الكروب ومن الوصل الدائم مع الشباب الناعم  
وللنظام شعر كثير صالح فيه

يا تاركى جسداً بمنير فوادٍ      أسرفت في الهجران والإيمادٍ  
إن كان يملك الزيارَةَ أعينُ      فأدخل على بعلِّ العوادِ  
كيما أراك وتلك أعظم نعمة      ملكت يد الشباه تنبع قيادى  
إن الميون على القلوب إذا جنت      كانت بليتها على الأجسادِ

••• وه

توهمة طرفي قائم خدّه      فصار مكان الوهم من نظري اثرُ  
وصافحه نأبي قائم كفه      فمن صفح قلبي في أنامله عقرُ  
ورب يقابى خاطرًا فجرحتُه      وأم أرجسماً قطيئرحه الفكرُ  
يمرُّ فمن أين وحسن تعطف      يُقال به سكرٌ وليس به سكرُ

ويقال ان أبي العنابية قال أنشدت النظام شعراً

إذا همَّ التديمُ له بالخطبِ      تَشَّتْ في شاحنه الكأومُ

فقال ينبغي أن يتادم هذا أعمى •• [ قال المرادى رضى الله عنه ] وأبيات النظام تشتمون  
معنى بيت أبي العنابية ولما ندرى أيها ما أخذ من صاحبه والنظام يكرر هذا المعنى كثيراً  
في شعره فمن ذلك قوله

زق فأو بزت سراياه      علقه الجو من اللطفِ  
يجرحه لأحفظ بتكراره      ويشتكى الإياء بالطرفِ

وحكى ان أبي النظام جاء به وهو حدث الى الخليل بن أحمد ليعلمه فقال له الخليل  
يوماً ليمتحنه وفي يده قنح زجاج يابى صف لي هذه الزجاجة فقال أمدح أم يذم فقال

يُدح قال نعم تريك القذى وتفيك الأذى ولا تستر ماورى قال فذمها قال سريع كسرهما بطي جبرها قال فصف هذه النخلة وأوماً الى نخلة في داره فقال أمدح أم بدم قال مدح قال حلوا مجتاعها باقى منها ما ناصر أملاها قال فذمها قال هي صعبة المراتقى بعيدة الجنتى مخوفة بالأذى فقال الخليل يابني نحن الى التلم منك أحوج . [قال المرتضى ] رضى الله عنه وهذه بلاغة من النظام حسنة لان البلاغة هي وصف الشيء ذمماً أو مدحاً بأقصى ما يقال فيه . . . وشبهه بهذا المعنى خبر لبيد المشهور في هجته البقاة التي امتحن بهجتها واختبر بدمها فتدل فيها بأبلغ ما يذم في شأها وذلك أن عمارة وأنساً وقيساً وأربيع بن زياد العبديين <sup>(١)</sup> وفسوا عن العممان بن المذثر ووفد عليه العامريون بمحوم البدين وتليم أبو عاصم بن مالك جعفر بن كلاب وهو ملاعب الأمانة وكان العامريون ثلاثين رجلاً وفيهم أيبدة بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو يورث غلام له ذؤابة وكان الربيع بن زياد العبسي يتكلم بالعممان ويكثر الجلوس عنده ويتكلم على من سواه وكان يدعى الكامل لسلطانها ويياضه وكانه فشرب العممان قبة على أبي براء وأجرى عليه وعلى من كان معه النزل فكانوا يحضرون العممان لحاجتهم فانتخروا يوماً بحضرة فكان العبديون يغابون العامريين وكان الربيع اذا خلى بالعممان طعن فيهم وذكر معهم فعمل ذلك مساراً لعداوتة ابي جعفر لانهم كانوا أسروه فسد العممان عنهم حتى

(١) قوله العبديين هم اشوة وأبيهم زياد العبدي وكل واحد منهم قد رأس في الجاهلية وقد جريماً وأتهم قطعة بنت الحزرتب الانبارية إحدى المنجيات وهي التي سئلت أي بنيك أفضل فضلت الربيع بل عمارة بل قيس بل أنس ثم قلت فكنتهم أن كذت أعلم أيهم أفضل هم كالجنانة المنرفة لا يدري ابن طرفاه . وسئلت عنهم أيضاً فقالت في عمارة لا ينال لينة يضاف ولا يشبع لينة يضاف . وقالت في الربيع لا نعد ما نره ولا يخفى في الجهل بواذره وقالت في أنس اذا عزم أمضى واذا سئل أرضى واذا قدر أغنى وكان لكل واحد منهم لقب فكان عمارة يقال له الوهاب وكان الربيع يقال له الكامل وقيس يقال له الجواد وأنس يقال له أنس الحفاظ وكان عمارة آلى على نفسه أن لا يسمع صوت أسير يتادى في الليل إلا أفنكته

نزع الثبة عن أبي براء وقطع النزل ودخلوا عليه يوماً فرأوا منه جنماً وقد كان قبل ذلك يكرههم ويقدم مجلسهم فخرجوا من عنده غشياً ومموا بالانصراف وليد في رحلهم يحفظ أمتعتهم ويدعو بإبليس قيراعاً فإذا أمسى انصرف بها فأنعم تلك الليلة وهم يتناكرون أمر الربيع فقال لهم ما كنتم تتاجون فكتموه ودلوا له اليك عناً فقال خبروني فعمل لكم عندي فرجاً فزجروه فقل رائة لا أحفظ لكم منعاً ولا أسرح لكم بغيراً أو تخبروني وكانت أم لبيد تنسب في حجر الربيع فتألوا له خالك غلبتني الملك وأسدعنا<sup>(١)</sup> وجهه فقال هل تغفرون أن تجمعوا بيني وبينه غدا حين يقدم الملك فأزجر به زجراً مبرئاً مؤكداً لا ينفذ إليه النعمان بعده أبداً فتألوا له وهل عندك ذلك قال نعم قالوا فأتنا نبلوك بشتم هذه البنية وقدامهم بقية قبيلة القنذبان فاية انورق لاصفة فروعها بالأرض تدعى الزبية فأنعمها من الأرض وأخذها بيده وقال عند البنية الزبية التذلة الرذلة التي لا تذكى ناراً ولا توعل داراً ولا تستر جاراً عردها ذئباً وقرعها ذئبيل وخبرها قاييل بلدها شامع ونبها شامع وآكلها جثع والمثب عليها قانع أقصر البقول فرعاً وأخبثها مرعاً وأشدّها قاعاً فخرّباً بلجارها وجدعاً فلنوا بي أخابني عيس أرجعه عنكم بتعس ونكس وأزكه من أمره في لبس فتألوا له نصبح ونرى فيك رأينا فقال لهم عامر انظروا الى غلامكم هذا فان رأيتوه ناعماً فليس أمره بشيء انما تكلم بما جرى على لسانه وان رأيتوه ساهماً فهو صاحبكم فرمقوه بأبصارهم فوجدوه قد ركب رحلا يكدم واسطته حتى أصبح فلما أصبحوا قتلوا أنت والله صاحبه فقتلوا رأسه وتركوا له ذؤابنين وألبسوه حلة وغدوا بهمهم فدخلوا على النعمان فوجدوه يتفدى ومعه الربيع الى جانبه فدكروا للنعمان حاجتهم فاعترض الربيع في كلامهم فقام لبيد وقد دهن أحد شقي رأسه وأرخا إزاره واشعل نعلها واحدة وكذلك كانت الشعراء تفعل في الجاهلية اذا أرادت المجيء فثلب بين يديه ثم قال

(١) قوله وأسدعنا ٠٠ قال الزجاج في كتاب فعات وأفدات في باب الصاد صدني الرجل عن الأمر واصدني والمعنى واحد

يَارُبِّ هَيْجَبَا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَدَةٍ  
 تَحْنُ بَنَى أُمَّ الْبَيْتِ الْأَرْبَعَةَ  
 الْمُطْعَمُونَ الْجَفْنَةَ الْمُدْمَعَةَ  
 مَهْلًا أَيَّتَ الْأَعْنِ لَنَا كُلِّ مَعَةٍ  
 وَإِنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا إِصْبَعَهُ  
 إِذْ لَا تَزَالُ هَامَتِي مَقْرَعَةً  
 وَتَحْنُ خَيْرٌ عَامِرٌ بِنِ صَعَصَعَهُ  
 وَالضَّارُّ بُونَ الْهَامِ تَحْتِ الْخَيْضَمَةَ  
 إِنَّ أَسْتَهُ مِنْ بَرَصٍ مَلَمَعَهُ  
 يُدْخِلُهَا حَتَّى يُوَارِي أَشْجَعَهُ  
 كَأَنَّهُ يَطْلُبُ شَيْئًا ضَمِيمَهُ

فلما فرغ ليبيد التفت للعممان الي الربيع برمقه شزراً وقال كذلك أنت فقال كذب والله ابن الحلق انهم فقال العممان أنت لهذا الطعام لقد خبثت على طعامي فقال الربيع آيت الاعن أما إني قد فعلت بأمة لا يكفي وكانت في حجره فقال ليبيد أنت لهذا الكلام أهل أما إنا من لدوة غير فعل وأنت المرء قل هذا في يديته ٥٥ [ قل المرتضي ] رضى الله عنه وجدت في رواية أخرى أما إنا من لدوة فدل وإنما قال ذلك لانه كانت من قوم الربيع فنسبها الي التبيح وصدقها عليها تهجيناً له ولذومه فأمر الملك بهم جميعاً فأخرجوا وأعاد على أبي براء القبسة وانصرف الربيع الي منزله فبعث اليه العممان بضعف ما كان يحبوه به وأمره بالانصراف الي أهله فكتب اليه إني قد تخوفت أن يكون قد وقع في صدرك ما قال ليبيد ولست برأثم حتى تبعت الي من يجردي ليعلم من حضرك من الناس إني لست كما قال فأرسل اليه أنك لست صانداً بانفك عما قال ليبيد شيئاً ولا قادرأ على رد ما زلت به الألسن فالخلق بأملك ثم كتب اليه العممان في جملة آيات جواباً عن آيات كتبها اليه الربيع <sup>(١)</sup> مشهورة

(١) قوله ثم كتب اليه العممان في جملة آيات جواباً عن آيات كتبها اليه الربيع

مشهورة آيات الربيع هي

لئن رحلت جمالي إن لي سعة ما مثلها سعة عرضاً ولا طولاً  
 بحيث لو وزنت ظم بأجمعها لم يعدلوا ريشة من ريش سمويلاً

قد قيل ذلك إن حقاً وإن كذباً فما اعتذر لك من شيء إذا قبلا

وأخبرنا بهذا الخبر أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دايد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة وأخبرنا به أيضاً المرزباني قال حدثني محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي قال أخبرنا محمد بن زياد بن زبجان عن الكلبي عن عبد الله بن مسلم البكائي وكان قد أدرك الجاهلية وفي حديث كل واحد زيادة على الآخر ولم تأت بجميع الخبر على وجهه بل أقتطنا منه ما لم نخرج إليه وأوردنا ما أوردنا منه بألفاظه .. [قال المرتضى رضي الله عنه] أما قوله نحن بني أم البنين الأربعة فإنه نصب على المدح والعرب تنصب على المدح والذم جميعاً .. وأم البنين هي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن صعصعة وكانت تحت مالك بن جعفر بن كلاب ولدت منه عامر بن مالك ملاعب الأستة وطفيل بن مالك فارس قرزل وهو أبو عامر بن الطفيل وقرزل فارس كانت له .. وربيعة بن مالك أبا لبيد وهو ربيع المقترين .. ومعاوية بن مالك معبود الحكام وإنما سمي معبود الحكام بقوله

أَعُوذُ مِنْهَا الْحِكْمَ بَعْدِي إِذَا مَا الْحَقُّ فِي الْأَشْيَاءِ نَابَا

وولدت عبيدة الوضاح فهو لاء خمسة وقال لبيد أربعة لأن الشعر لم يكنه من ذلك<sup>(١)</sup>

ترعى الرواهم أحرار البقول بها لا مثل رعيكم ملحاً وغاسولا

فأبرق بأرضك يا نعمان متكثراً مع النطاسي يوماً وابن نوفيلاً

وأبيات النعمان هي

شرد برحلك عني حيث شدت ولا تكثر علي ودع عنك الأقاويل

فقد ذكرت به والركب حامله ورداً يعلل أهل الشام والنيل

فما انفأوك عنه بعد ما جزعت هوج المطي به أبراق شمليلا

قد قيل ذلك إن حقاً وإن كذباً فما اعتذر لك من شيء إذا قبلا

فالحق بحيث رأيت الأرض واسعة وانشرها الطرف إن عرضاً وإن طولاً

(١) قوله إن لبيد إنما قال أربعة وهم خمسة لضرورة الشعر هذا قول الفراء وهو

•• وأما الخيضة المدعدة - فهي الملوأة •• وأما الخيضة - فإن الأصمى يذكر أن ليبدأ قال تحت الخيضة يبنى الجلبة فدوته الرواة •• وقيل أن الخيضة أصوات وقع السيوف والخيضة أيضاً البيضة التي تلبس على الرأس والخيضة الغبار والقول يحتمل كل ذلك •• وأما أبيت اللعن - فإن أبا حاتم قال سألت الأصمى عنه فقال معناه أبيت أن تأتي من الأمور ما تلعن عليه •• وأما الأشاجع - فهي العروق والعصب الذي على ظهر الكنف وقد روى أكل يوم هامق مفرغ - واقزع - تساقط بعض الشعر والصفوف وبقاء بعضه يقال كبش أفرع ونعجة قرعاه

فأما الجاحظ فهو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب مولى لأبي القاسم عمرو بن قانع الكنتاني ثم الفقيمي وذكر المبرد أنه ما رأى أحمرص على العلم من ثلاثة الجاحظ والفتح بن خاقان واسماعيل بن اسحاق القاضى •• فأما الجاحظ فإنه كان إذا وقع بيده كتاب قرأه من أوله إلى آخره أي كتاب كان •• وأما الفتح بن خاقان فإنه كان يحمل الكتاب في خفّه فإذا قام بين يدي التنوكل للبول أو للصلاة أخرج الكتاب للنظر فيه وهو يمشى حتى يبلغ الموضع الذي يريد ثم يمنع مثل ذلك في رجوعه إلى أن يأخذ بجاسه •• وأما اسمعيل بن اسحاق فإنه ما دخلت عليه قط إلا وفي يده كتاب ينظر فيه أو يقاب الكتاب لطاب كتاب ينظر فيه •• قال الباخي تفرد قول فارغ والصواب كما قال ابن عصفور في الضرائر لم يقل إلا أربعة وهم خمسة على جهة الغلط وإنما قال ذلك لأن أباه كان مات وبقى أعمامه وهم أربعة وهو مسبوق بالسبلي فإنه قال وإنما قال الأربعة لأن أباه كان قد مات قبل ذلك لا كما قال بعض الناس وهو قول يعزى إلى الفراء أنه قال وإنما قال أربعة ولم يقل خمسة من أجل القوافي فيقال له لا يجوز للشاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر فكيف بان يكذب لإقامة الوزن وأعجب من هذا أنه استشهد به على تأويل فاسد تأوله في قوله سبحانه (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وقال أراد جنة واحدة وجاء بالفظ التثنية لتنفق رؤس الآي أو كلاماً هذا معناه فسمى صمام ما أشنع هذا الكلام وأبعده عن العلم وفهم القرآن وأقل هيبة فأنله مني أن يتبوء مقدمه من النار

الجاحظ بالقول بان المعرفة طباع وهي مع ذلك فعل العبد على الحقيقة وكان يقول في سائر الأفعال انها تنسب الى العباد على أنها وقعت منهم طباعاً وانما وجبت بارادتهم وليس بجائر أن يبلغ أحد ولا يعرف الله تعالى والكفار عنده بين معاند وبين طرف وقد استغرقه حبه لذنبه وشغفه به وإلقه وعصبيته فهو لا يشمر بما عنده من المعرفة بخلافه (١) . . . وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك الزيات وكان متحرفاً عن أحمد بن أبي دؤاد للمداوة التي كانت بين أحمد ومحمد فلما قبض على محمد الزيات هرب الجاحظ فقتل له لم هربت فقال خفت أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التور يريد ما صنع بمحمد بن عبد الملك من إدخاله تنوراً فيه مسابير كان هو صنمه ليعذب الناس فيه فعذب به حتى مات . . . وروى أنه أتى بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه سلسلة وهو مقيد في قيص سسل فلما نظر اليه ابن أبي دؤاد قال والله ما علمتك إلا متناسياً للنعمة ككفوراً للنسيمة معدناً للمساوي وما قصرت باستصلاحك ولكن الأيام لا تصلح منك لفساد طويتك ورداءة دخلتك وسوء اختيارك وغالب طبعك فقال الجاحظ خفض عليك أيديك الله فوالله لأن يكون لك الأمر على خير من أن يكون لي عليك ولأن أسيء وتحسن أحسن في الأحداث عليك من أن أحسن وتسيء ولأن تعفو عني في حال قدرتك أجمل بك من الانتقام في فقال ابن أبي دؤاد قبلك الله فوالله ما علمتك إلا كثير تزويق اللسان وقد جعلت بيانك أمام قلبك ثم اضطغنت فيه النفاق والكفر بإغلام صر به الى الحمام وأمط عنه الأذى فاخذت عنه السلسلة والقيد وأدخل الحمام ومحل اليه تحت من ثياب وطويلة وخفف فلبس ذلك ثم أتاه فصدره في مجلسه ثم أقبل عليه وقال مات الآن حديثك يا أبا عثمان . . . وقال المبرد سمعت الجاحظ يقول احفر من تأمن فالك حذر من تخاف . . . وقال الجاحظ قات لأبي يعقوب

(١) وروى عن أبي عمرو انه جرى ذكر الجاحظ في مجلس أبي العباس أحمد بن يحيى فقال أمسكوا عن ذكر الجاحظ فانه غير نعمة . . . قال الأزهرى وكان الجاحظ روى عن الثقات ما ليس من كلامهم وكان قد أوثق بسبعة في لسانه وبياناً في خطابه وبحالاً واسعاً في فنونه غير ان أهل العلم والمعرفة ذموه وعن الصدق دفعوه . . .

الجزيمي الشاهر من خلق المعاصي قال الله قلت فن عذب عليها قال الله قلت فلم قال لأدري والله... وكان الجاحظ يقول يذني للكاتب أن يكون رقيق حواشي الكلام عذب يتابعه إذا حاور سدد سهم الصواب الى غرض المعنى... وقال لا تكلم العامة بكلام الخاصة ولا الخاصة بكلام العامة... وقال سوار بن أبي شراة كنت عند الجاحظ فرآني أكتب خطأ ردياً في ورفي ردي متقارب السلور فقل لي ما أحسبك تحب ورثتك فقلت وكيف ذلك قال لاني أراك أسمى بهم فيما تخففه... وذكر أبو العباس المبرد قل سمعت الجاحظ يقول لرجل آذاه أنت والله أحوج الى هوان من كريم الى إكرام ومن علم الى عمل ومن قدرة الى عفو ومن نعمة الى شكر... وقال المبرد قل لي الجاحظ يوماً أنصف مثل قول اسمعيل بن القاسم

ولأخيراً فيمن لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب

فقلت نعم قول كثير ومنه أخذ

فقلت لها يا عز كل مصيبة إذ أوطنت يوماً لها النفس ذات

وروي يموت بن المزرع لخاله عمرو بن بحر الجاحظ في الجواز بهجوه

نسب الجواز مقصوداً إليه منتباهاً

تنتهي الأحساب بالناس ولا يمدو ففاه

يتحاجي من أبو الجواز فيه كاتباً

ليس يذري من أبو الجواز إلا من يراه

أخبرنا المرزباني قال أخبرنا علي بن مروان قال أنشدني وكيع قال أنشدني أبو العينية

قال أنشدني الجاحظ لنفسه في الخطاب

زرت فتاة من بني هلال فاستعجلت إلي بالسؤال

مالي أراك قاني السبيل كأنما كرعنت في جزال

مَا يَبْتَنِي مِثْلَكَ مِنْ أَمْثَالِي تَنَحَّ قُدَامِي وَمِنْ حِيَالِي

•• [قال المرادي رضي الله عنه] قوله كأنما كرت في جريال - مליح قوي ولا يشبه شعر الجاحظ لئنه وضعف كلامه •• وذكر أبو العيناء قال حدثني إبراهيم بن رياح قال أنشدني الجاحظ يمدحني

بَدَأِي حِينَ أَتَرَى بِإِخْوَانِهِ فَفَلَّلَ عَنْهُمْ شِبَابَةَ الْعَدَمِ  
وَذَكَرَهُ الْحَزْمُ رَيْبَ الزَّمَا نِقِبَادَرُ بِالْعُرْفِ قَبْلَ النَّدَمِ

قال إبراهيم فذا كرت بها أحمد بن أبي دؤاد فقال قد أنشدنيها يمدحني بهما ثم أنبت محمد بن الجهم فقال قد أنشدنيها يمدحني بهما وقال يموت بن المزرع سمعت خالي الجاحظ يقول لا أعرف شعراً أفضل قول أبي نواس

وَدَارِ نَدَامِي عَطَّلُوهَا وَأَذَاجُوا بِهَا أَثْرَ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسُ  
مَسَاحِبُ مِنْ جَرِّ الزَّقَاقِ عَلَى التَّرْيِ وَأَضْفَاتُ رِيحَانِ جَنِيِّ وَيَابِسُ  
حَبَسَتْ بِهَا صَخِي فَجَدَّدَتْ عَيْدَهُمْ وَإِنِّي عَلَى أَمْثَالِ تِلْكَ لِحَادِسُ  
وَلَمْ أَذَرِ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهِدْتُ بِهِ بِشَرِّ قِ سَابَاطِ الدِّيَارِ الْبَسَاسِ  
أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَالِثًا وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرْحَلِ خَامِسُ  
تُدَارُ عَلَيْنَا الرِّاحُ فِي عَسْجَدِيَّةٍ حَبَسَتْهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ  
قَرَارَتِهَا كَسْرِي وَفِي جَنَابِهَا مَهِي تَدْرِيهَا بِالْقَسِيِّ الْفَوَارِسُ  
فَلْيَحْمِرْ مَا زُرْتُ عَلَيْهِ جِيُوبَهَا وَلِلْمَاءِ مَا ذَارَتْ عَلَيْهِ الْفَلَاسِسُ

قال الجاحظ فأشدها بأشيب الفلال فقال يا أبا عثمان لو تقر هذا الشعر لعن قلت ويلاك ما تفارق الجرار والحزف حيث كنت •• أخذ أبو نواس قوله

وَلَمْ أَذَرِ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهِدْتُ بِهِ بِشَرِّ قِ سَابَاطِ الدِّيَارِ الْبَسَاسِ  
من أبي خراش الهذلي

ولم أدر من ألقى عليه رداءه سوى أنه قد سل عن ماجد محض  
ويقال ان أبا خراش أول من مدح من لا يعرفه وذلك ان خراش بن أبي خراش  
أسر هو وهروة بن مرة فطرح رجل من القوم رداءه على خراش حين شغل القوم  
بقتل عروة بن مرة ونجاء فلما تفرغوا له قال أفلت متي ويقال بل رآه في الأسر رجل  
من بني عمه فألقى عليه رداءه ليجبره به وقال له النجاء وبك فقال أبو خراش في ذلك  
حَمِدْتُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةَ إِذْ نَجَا خَرَّاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ  
فَأَقْسَمُ لَا أَلْسِي قَتِيلًا رُزْنُهُ بِجَانِبِ قَوْسِي مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ  
عَلَى أَنَّهَا تَعْفُو الْكُلُومُ وَإِنَّمَا نَوَكَلُ بِالْأَذْنِ وَإِنْ جَلَّ مَا يَخْضِي  
ولم أدر من ألقى عليه رداءه سوى أنه قد سل عن ماجد محض  
وأخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم بن  
شهاب قال حدثنا أبو الحسن أحمد بن عمر البرذعي المتكلم قال صرت الى منزل الجاحظ  
في أول ما قدمت من بلدى وقد اعتل عانه التي فاجح فيها فاستأذنت عليه فخرج الى  
خارج من منزله فقال لي يقول لك وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل فانصرفت عنه  
•• وذكر يموت بن المزروع قال وجه المتوكل في السنة التي قتل فيها أن يحمل اليه  
الجاحظ من البصرة وقد سأله الفتح ذلك فوجده لا فضل فيه فقال ان أراد حابه ما يصنع  
بامرء ليس بطائل ذى شق مائل ولعاب سائل وفرج بائل وعقل زائل ولون حائل ••  
وذكر المبرد قال سمعت الجاحظ يقول أنا من جاني الأيسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض  
ماعتت ومن جاني الأيمن منقرس فلو مر بي الذباب لأملت وبى حصاة لا ينسرح لي  
البول معها وأشد ما على ست وتسعون •• وقال يوماً لتطيب يشكو اليه عنه قد اصطلمت  
الاضداد على جسدى ان أكلت بارداً أخذ برجلي وان أكلت حاراً أخذ برأسي وتوفى  
في سنة خمس وخمسين ومائتين



— مجلس آخر ١٤ —

[تأويل آية] (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر إلى قوله هم المنقون؛ سألت سائل فقال كيف ينفي كون تولية الوجوه إلى الجهات من البر وإنما يفعل ذلك في الصلاة وهي بر لا محالة وكيف خبر عن البر بمن والبر كالمصدر ومن اسم محض وعن أي شيء كتني بلهاء في قوله تعالى (وأتى المال على حبه) وما مخصوص بأنها كناية عنه وقد تقدمت أشباه كثيرة وعلى أي شيء ارتفع المؤمنون وكيف نصب الصابرون وهم معطوفون على المؤمنين وكيف وحد الكناية في موضع وجهها في آخر فقال من آمن وآتى المال وأقام الصلاة ثم قل والمؤمنون والصابرين يقال له فيما • • ذكرته أولاً جواباً • أحدهما أنه أراد تعالى ليس الصلاة هي البر كله ولكنها عدد ما في الآية من ضروب الطاعات وصنوف الواجبات فلا تظنوا انكم إذا توجهتم إلى الجهات بإسلامكم فقد أحرزتم البر بأسره وحزتموه بكامله بل يبقى عليكم بعد ذلك معظمه وأكثره • والجواب الثاني أن النصارى لما توجهوا إلى المشرق واليهود إلى بيت المقدس واتخذوا هاتين الجهتين قبلتين واعتقدوا في الصلاة إليهما أنهما بر وطاعة خلافاً على الرسول عليه الصلاة والسلام أ كذبهم الله في ذلك وبيّن أن ذلك ليس من البر إذ كان منسوخاً بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم التي تلزم الأسود والأبيض والعربي والعجمي وأن البر هو ما تضمنته الآية • • فأما إخباره بمن فيه وجوه ثلاثة • أولها أن يكون البرهنا البار أو ذا البر وجعل أحدهما في مكان الآخر والتقدير ولكن البار من آمن بالله ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (أرايتم إن أصبح ماؤكم غوراً) يريد ظراً ومثل قول الشاعر

تَرْتَعُ مَا رَدَعْتَ حَتَّى إِذَا ذَكَرْتَ      فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِذْبَابٌ

أراد أنها مقبلة مدبرة • • ومثله

تَظَلُّ جِيَادُهُمْ نَوْحًا عَلِيمٌ      مُقَلَّدَةٌ أَعْتَبْنَا صُفُونَا

أراد نائحة عليهم • • ومثله قول الشاعر

هَرَيْتِي مِنْ ذُمُوْعِهِمْ سَجِيماً ضِبَاعُ وَجَاوِبِي نَوْحاً قِيَامَا

• والوجه الثاني أن العرب قد تحب عن الاسم بالمصدر والفعل وعن المصدر بالاسم فأما إخبارهم عن المصدر بالاسم فقوله تعالى (ولكن ألب من آمن بالله) وقول العرب إنما البر الذي يصل الرحم ويفعل كذا وكذا وأما إخبارهم عن الاسم بالمصدر والفعل فنقل قول الشاعر

لَعَمْرُكَ مَا الْفَتِيَانُ أَنْ تَنْبِتَ اللَّجِيَّ وَلَكِنَّمَا الْفَتِيَانُ كُلُّ فِتْيٍ نَدَى

فعل أن تنبت وهو مصدر خبراً عن الفتيان • وانوجه الثالث أن يكون المعنى ولكن البر بر من آمن بخرف البر الثاني وأقام الأول مقامه كقوله تعالى (وأشربوا في قلوبهم العجل) أراد حب العجل • قال الشاعر

وكيف توأصل من أصبحت خِلَاتُهُ كَأَنِّي مَرْحَبٌ

أراد كخلة أبي مرحب • وقول النابغة

وقد خفت حتى ماتر يبدخفاني على وعلى في ذي المطارة عافلي

أراد على مخافة وعلى وقول العرب بنو فلان يطؤهم الطريق أي أهل الطريق • وحكى عن بعضهم أطيب الناس الزيد أي أطيب ماياً كل الناس الزيد وكذلك قولهم حبيت صياحي زيداً أي صياح زيد • وروى عن ابن عباس في قوله تعالى (ليس على الأعمى حرج) أي ليس على من أكل مع الأعمى حرج وفي قوله تعالى (رابهم كلهم) وذكروا أنه كان راعياً تبعهم • فأما ما كفى بالهاء في قوله تعالى (وآتى المال على حبه ذوى القربى) ففيه وجوه أربعة • أولها أن تكون الهاء راجعة على المال الذى تقدم ذكره ويكون المعنى وآتى المال على حب المال وأضيف الحب الى المفعول ولم يذكر الفاعل كما يقول القائل اشترت طعامي كاشترت طعامك والمعنى كاشترت لك طعامك • والوجه الثاني أن تكون الهاء راجعة الى من آمن بالله فيكون المصدر مضافاً الى الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه • والوجه الثالث أن ترجع الهاء الى الإيتاء الذى دل عليه آتى والمعنى وأعطى المال على حب الاعطاء ويمجى ذلك مجرى قول النعامي

هُمُ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمْ وَالْآخِذُونَ بِهِ وَالسَّاسَةَ الْأُولَى

فَكَفَى بِالْمَاءِ عَنِ الْمَلِكِ لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ عَلَيْهِ ٠٠ ومثله قول الشاعر

إِذَا نَهَى السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ وَخَالَفَ وَالسَّفِيهُ إِلَى خِلَافِ

أراد جرى الى السفه الذى دل ذكر السفه عليه ٠ والوجه الرابع أن تكون الهاء راجعة الى الله لأن ذكره تعالى قد تقدم فيكون وآتى المال على حب الله ذوى القربى واليتامى ٠٠ فان قيل وأي فائدة في ذلك وقد علمنا الفائدة في إيتاء المال مع محبته والرضن به وان العطية تكون أشرف وأمدح فما الفائدة فيها ذكرتموه وما معنى محبة الله والمحبة عندكم هي الإرادة والتدبير لا يصح أن يراد ٠٠ قلنا أما المحبة عندنا فهي الإرادة إلا أنهم يستعملونها كثيراً مع حذف متعلقها مجازاً وتوسعاً فيقولون فلان يجب زيداً اذا أراد فتلطفه ولا يقولون زيد يريد عمراً بمعنى أنه يريد منافعه لأن التعارف جرى في استعمال الحذف والاختصار في المحبة دون الإرادة وان كان المعنى واحداً ٠٠ وقد ذكر أن لقولهم زيد يجب عمراً منزباً على قولهم يريد منافعه لأن اللفظ الأول ينبيء عن أنه لا يريد إلا منافعه وأنه لا يريد شيئاً من مضاره والثاني لا يدل على ذلك فجعلت له منزبة وعلى هذا المعنى نصف الله بأنه يجب أوليائه المؤمنين من عباده والمعنى فيه أنه يريد لهم ضروب الخير من التعظيم والاجلال والنعيم فأما وصف أحدنا بأنه يجب الله فالمعنى فيه أنه يريد تعظيمه وعبادته والقيام بطاعته ولا يصح المعنى الذي ذكرناه في محبة بعضهم بعضاً لاستحالة المنافع عليه تعالى ومن جوز عليه تعالى الانتفاع لا يصح أيضاً أن يكون محباً له على هذا المعنى لانه باعتقاده ذلك فيه قد خرج من أن يكون عارفاً به فحبه في الحقيقة لا تتعلق ولا تتوجه اليه كما قول في أصحاب التشبيه لانهم اذا عبدوا من اعتقدوه إلها فقد عبدوا غير الله تعالى ٠٠ فأما الفائدة في اعطاء المال مع محبة الله فهي ظاهرة لأن اعطاء المال متى قارنته ارادة وجه الله وعبادته وطاعته استحق به الثواب ومتى لم يقترن به ذلك لم يستحق الفاعل به ثواباً وكان ضائعاً وتأثير ما ذكرناه أبلغ من تأثير حب المال والرضن به لأن المحب لله للرضنين به متى بذله وأعطاه ولم يقصد به الطاعة والعبادة

والقربة لم يستحق به شيئاً من الثواب وإنما يوترجبه للمال في زيادة الثواب متى حصل  
 ما ذكرناه من قصد القربة والعبادة ولو تقرب بالمطبة وهو غير ضئيل بلال ولا يحب له  
 لا يستحق الثواب وهذا الوجه لم يسبق إليه في هذه الآية وهو أحسن ما قيل فيها  
 . . وقد ذكر وجه آخر وهو أن يكون الهاء رابعة إلى من آمن أيضاً ويتصب ذوي  
 القربى بالحلب ولا يحل لآتي منه وبأ لوضوح المعنى ويكون تقدير الكلام وأعطى المال  
 في حال حبه ذوي القربى واليتامى على محبته إليهم وهذا الوجه ليس فيه مزية في باب  
 رجوع الهاء التي وقع عليها السؤال وإنما يتبين مما تقدم بتقدير انصباب ذوي القربى  
 بالحلب وذلك غير ما وقع السؤال عنه والأجوبة الأول أقوى وأولى . . فأمّا قوله  
 ( والموفون بهمهم ) ففي رفعه وجهان . أحدهما أن يكون مرفوعاً على المدح لأن  
 الذمت إذا طل وكثر رفع بعضه ونصب بعضه على المدح ويكون المعنى وهم الموفون  
 بهمهم قال الزجاج وهذا أجود الوجهين . والوجه الآخر أن يكون معطوفاً على من  
 آمن ويكون المعنى ولكن ذا البر وذوي البر لأنؤمنون والموفون بهمهم . . فأمّا نصب  
 الصابرين ففيه وجهان . أحدهما المدح لأن مذهبهم في الصفات والتموت إذا طالت  
 أن يترضوا بينهما بلذات والتم ليزجوا المذموم أو المذموم ويفردوه فيكون غير متبع  
 لأول الكلام من ذلك قول الحرثي بنت بدر بن هذان

لَا يَبْعُدُنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سُمُّ الْمَدَاةِ وَأَفَّةُ الْجَزْرِ

النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُتْرَكٍ وَالطَّيِّبِينَ مَعَاذَةَ الْأُزْرِ

فصبت ذلك على المدح وربما رفعوهما جميعاً على أن يتبع آخر الكلام أوله ومنهم من  
 ينصب النازلين ويرفع الطيبين وآخرون يرفعون النازلين وينصبون الطيبين والوجه  
 في النصب والرفع ما ذكرناه . . ومن ذلك قول الشاعر أنشد الفراء

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَأَبْنِ الْهَمَامِ وَبَيْتِ الْكُتَيْبَةِ فِي الْمَرْدَحِمِ

وَذَا الرَّأْيِيِّ حِينَ تَقَمُّ الْأَمُو رُبَدَاتِ الصَّائِلِ وَذَاتِ اللَّجْمِ

فصبت لبيت الكتبية وذا الرأي على المدح . . وأنشد الفراء أيضاً

فَلَيْتَ الَّتِي فِيهَا النُّجُومُ تَوَاضَعَتْ  
عَلِي كُلِّ غَتٍّ مِنْهُمْ وَسَمِينِ  
غُبُوثِ الْحَيَا فِي كُلِّ مَحَلٍّ وَزَبِيَّةِ  
أَسْوَدِ الشَّرَا يَحْمِينِ كُلِّ عَرِينِ

ومما نصب على الذم قوله

سَقُونِي الخمرَ ثمَّ تَكَنَّفُونِي  
عُدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبِ وَزُورٍ<sup>(١)</sup>

(١) قوله سقوني الخمر هو من جملة أبيات لعروة بن الورد أولها

أرقت وصحبتني بمضيق عمق  
سقى سلمى وأين ديار سلمى  
إذا حلت بأرض بني علي  
ذكرت منازلنا من أم وهب  
وأحدث معمداً من أم وهب  
وقالوا ماتنا فقلت أهو  
بأنسة الحديث رضاب فيها  
ومنها أطعت الآسرين بصرم سلمى

أى تفرقوا حيث لا يعلم ولا يهتدي لواضعهم . . . وقال ابن بري . . . عن البيت أن عروة كان  
سبي امرأة من بني عامر يقال لها سلمى ثم تزوجها فبكت عنده زماناً وهو لها شديد  
الحبة ثم أنها استزارته أهلها فحملها حتى انتهى بها اليهم فلما أراد الرجوع أبت أن ترجع  
معه وأراد قومها قتله فنهضهم من ذلك ثم أنه اجتمع به أخوها وابن عمها وجماعة فشرخوا  
خبراً وسقوه وسألوه طلاقها فعلقنها فلما صحا ندم على ما فرط منه ولهذا يقول بعد البيت

سَقُونِي الخمرَ ثمَّ تَكَنَّفُونِي  
عُدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبِ وَزُورِ

أَلَا يَا لَيْتَنِي عَاصِبَتْ طَلَقًا  
وَجِبَارًا وَمَنْ لِي مِنْ أَمِيرِ

طلق أخوها وجبار ابن عمها وقيل هما أخوه هو وابن عمه والأمير هو المستشار وقيل  
إن أهلها طلبوا منه فداؤها فقال له أخوه طلق وابن عمه جبار والله لئن قبلت ما أعطوك  
لافتقر أبدأ وأنت على النساء قادر متى شئت وكان قد سكر فأجاب إلى فداؤها فلما صحا  
ندم فشهدوا غايته بالفداء فلم يقدر على الامتناع واليستعور في البيت السابق على وزن

•• والوجه الآخر في نصب الصابرين أن يكون معلولاً على ذوي القربى ويكون المعنى وأتى المسأل على حبه ذوي القربى والصابرين •• قال الزجاج وهذا لا يصلح إلا أن يكون الموقوفون رفقاً على المسح للمضمرين لأن ما في الصلة لا يعطف عليه بمد العطف على الموصول وكان يقوي الوجه الأول •• وأما توحيد الذكر في موضع وجهه في آخر فلأن من آمن لفظه لفظ الوحدة وإن كان في المعنى للجمع فالذكر الذي أتى بعده موحداً يجرى على اللفظ وما جاء من الوصف بعد ذلك على سبيل الجمع مثل قوله تعالى والموقوفون والصابرين فعلى المعنى •• وقد اختلفت قراءة القراء السبعة في رفع الراء ونصبها من قوله تعالى (ليس البر) فقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص ليس البر بنصب الراء •• وروى هبيرة عن حفص عن عاصم أنه كان يقرأ بالنصب والرفع وقرأ الباقر بن البر بالرفع وأوجهان حسنان لأن كل واحد من الاسمين اسم ليس وخبرها معرفة فإذا اجتمعا في التعريف تكافأ في جواز كون أحدهما اسماً والآخر خبراً كما تنكأ في السكرات وحجة من رفع البر أنه لا يكون البر الاسم لشبهه الفاعل أولى لأن ليس يشبه الفعل ويكون الفاعل بعد الفعل أولى من كون المفعول بعده ألا ترى أنك إذا قلت قام زيد فإن الاسم يلي الفعل وتقول ضرب غلامه زيد فيكون التقدير في الغلام التأخير فلولا أن الفاعل أخص بهذا الموضع لم يجر هنا كما لم يجر في الفاعل ضرب غلامه زيدا حيث لم يجر في الفاعل تقدير التأخير كما جاز في المفعول به لوقوع الفاعل موقعه المختص به وحجة من نصب البر أن يقول كون الاسم أن وصاتها أولى تشبهاً بالمضمر في أنها لا توصف كما لا يوصف المضمر فكانه اجتمع مضمر ومظهر والأولى إذا اجتمعا أن يكون المضمر الاسم من حيث كان أذهب في الاختصاص من المظاهر

بضمعول ولم يأت على هذا البناء غيره وهو موضع قبل حرة المدينة كثير العضاء موحش لا يكاد يدخله أحد والرواية المشهورة في البيت الشاعر

سقوني النسأ ثم تنكفوني عداة الله من كذب وزور

والنساء بالفتح الشراب المزيل للعقل وبه فسر ابن الأعرابي البيت هنا ورواية سيويه الحمر كما مر

[قال المرتضى] حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيب قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي الكاتب قراءة عليه قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى نصاب قال أخبرنا ابن الأعرابي قال قال ابن الكلبي لما كان بمد يوم الهبابة جاور قيس بن زهير العبسي النمر بن قاسط فقال لهم إني قد جاورتكم واخترتكم فزوجوني امرأة قد أدبها الغنى وأدبها الفقر في حسب وجمال فزوجوه ظبية بنت الكيس الغري وقال لهم إن في خلافاً ثلاثاً إني غيورٌ وإني غفورٌ وإني آتف ولست أغر حتى أبدأ ولا أغر حتى أرى ولا آتف حتى أظلم فأقام فيهم حتى ولد له فلما أراد الرحيل عنهم قال إني موصيكم بخصال وناهيكم عن خصال عليكم بالأناة فإن بها تنال الفرصة وتسويد من لا تعاون بتسويده وعليكم بالوفاء فإن به يعيش الناس وباعطاء من تريدون اعطاءه قبل المسألة ومنع من تريدون منعه قبل الإلحاح وإجارة الجار على ادمه ونفيس المنازل عن بيوت الأيامي وخاط الضيف بالعيال وأنهاكم عن الرهان فإن به تكنت مالكاً أخى والبقي فإنه قتل زهيراً أجبى وعن الإعطاء في الفضول فتمجزوا عن الخفوق وعن الاسراف في الدماء فإن يوم الهبابة أزمى العار ومنع الحرم إلا من الأ كفاءه فإن لم تصدوا لها الأ كفاءه فإن خير مناسكها القبور أو خير منازلها وانلوا إني كنت ظلاماً مظلوماً ظلمني بنو بدر يقتلهم مالكاً أخى وظلمتهم بان قتلت من لا ذنب له ٠٠ [قال المرتضى] رضى الله عنه أما قوله - أنهاكم عن الرهان - فأراد المراهنة في سباق الخيل وذلك أن قيس بن زهير راهن حذيفة بن بدر الفزاري على فرسيه داحس والغبراء وفرسي حذيفة الخطار والحفاء ٠٠ وقال بعض بني فزارة بل قرزل والحفاء وكان قيس كارهاً لذلك وإنما حاجه بينهما بعض بني عبد الله بن غطفان وقيل رجل من بني عبس والخدير في شرح ذلك مشهور ثم وقع الاتفاق على السباق وجدلوا للغاية من <sup>(١)</sup> وأردت الى ذات الإصا د وجعلوا التتسبة في يد رجل من بني ثعلبة بن سعد يقال له حسين ويبد رجل

(١) - الواردات ٠٠ هضبات سفار قريبة من جبلة ٠٠ وذات الاصا د بكسر أوله

وبالدال المهملة على وزن فعال ٠ وضع ببلاد بني فزارة حكاة البكري في معجمه

من بنى العشاء من بنى فزارة وملأوا البركة ماء وجعلوا السابق أول الخليل بكرع لها ثم ان حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المدى الذي أرسلت الخليل فيه ينظران إليها وإلى خروجها فلما أرسلت عارضها فقال حذيفة خذعتك يا قيس فقال قيس ترك الخداع من أجري إن مائة يعني من مائة غلوة فأرسلها مئلا ثم ركضا ساعة فحملت خيل حذيفة تتقدم خيل قيس فقال حذيفة سبقت يا قيس جري المذكيات غلاب فأرسلها مئلا ٠٠ المذكيات - المسازن من الخيل ٠٠ وروى غلام كما يتعالى بالليل ثم ركضا ساعة فقال حذيفة انك لا تركض مركضاً سبقت خيلك فقال قيس رويد يعلون الجلود فأرسلها مئلا ٠٠ وروى يعقوب الجرد أي يتعدى الجرد إلى الوعث وقد كان بنو فزارة أكنوا بالذنية كثيراً لينظروا فان جاء داحس سابقاً مسكوه وصدوه عن الغاية فجاء داحس سابقاً فأمسكوه ولم يمر فوال الغبراء وهي خلفه مصلياً حتى مضت الخيل وأسبأت من الذنية ثم أرسلوه فتمطر في آثارها فجعل يبدرها فرساً فرساً حتى انتهوا إلى الغاية مصعباً وقد طرح الخيل غير الغبراء ولو تبعاعدت الغاية سبقها فاستقبلها بنو فزارة فاعلموها ثم صدوها عن الركبة ثم لطموا داحساً وقد جاء من الرابدين ثم جاء حذيفة وقيس في آخر الناس وقد دفعهم بنو فزارة عن سبقهم واطمأؤا فرسهم وجرى من الخلف في أخذ السبق ما قد شرحت الرواة ٠٠ وقد قيل في بعض الروايات ان الرهان والسبق كان بين حمل بن بدر وبين قيس وفي ذلك يقول قيس شعراً

كَمَا لَأَقَيْتَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ      وَإِخْوَتِهِ عَلَى ذَاتِ الْإِصَادِ  
وَهُمْ فَخَرُوا عَلَى بَغِيرِ فَخْرِ      وَرَدُّوا دُونَ غَايَتِهِ جَوَادِي  
وَقَدْ دَلَّفُوا إِلَيَّ بَعْضَ سَوْءِ      فَأَلْتَوْنِي لَهُمْ صَعْبَ الْقِيَادِ  
وَكُنْتُ إِذَا مَيَّتَ بِمُخَضَّمِ سَوْءِ      دَلَّفْتُ لَهُ بَدَاهِيَةَ نَادِ

ثم ان قيساً أغار على عوف بن بدر فقتله وأخذ إبله فباع بنو فزارة فهاوا بالقتال فحمل الربيع بن زياد العبسي دبة عوف بن بدر مائة عشر مائة ٠ ويقال ان قيساً قتل ابن حذيفة يقال له مائك كان حذيفة أرسله يطالب منه السبق فلعنه فمدق صلبه وان الربيع بن

زياد حمل ديبته مائة عشراء فسكن الناس عن القتال ثم ان مالك بن زهير نزل موضعاً يقال له اللقطة قريباً من الحاجر وتكح امرأة يقال لها مليكة بنت حارثة من بني غراب من فزارة فباغ ذلك حذيفة بن بدر فهدس اليه فرساناً فقتلوه وكان الربيع بن زياد العبسي مجاوراً لحذيفة بن بدر وكانت تحت الربيع معاذة بنت بدر فلما وقف على الخبر قال

|  |  |
|--|--|
| نَامَ النَّحْلِيُّ وَلَمْ أُغْمَضْ حَارِ                 | مِنْ سَيِّئِ النَّبَأِ الْجَائِلِ السَّارِي            |
| مِنْ مِثْلِهِ تَمَشِي النِّسَاءُ حَوَاسِرًا              | وَتَقُومُ مَعْوَاةٌ مَعَ الْأَسْحَارِ                  |
| مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ                 | فَلْيَأْتِ نِسْوَتَنَا بَوَجْهِ نَهَارٍ <sup>(١)</sup> |
| يَجِدُ النِّسَاءُ حَوَاسِرًا يَنْدُبُنَهُ                | يَضْرِبْنَ أَوْجُهَهُنَّ بِالْأَسْحَارِ                |
| قَدْ كُنَّ يَجْبَانُ الْوُجُوهَ تَسْتُرًا                | فَالْيَوْمَ حِينَ بَدُونَ لِلنُّظَّارِ                 |
| أَفْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ <sup>(٢)</sup> | تَرْجُو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ              |
| مَا إِنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ إِدْوَى الْحِجَى             | إِلَّا الْمَطِيُّ تُشَدُّ بِالْأَكْوَارِ               |

(١) قوله \* فليأت نسوتنا بوجه نهاري \* قال المرزوقي إنى لاتعجب من أبي تمام مع تكلفه رم جواب ما اختاره من الأبيات كيف ترك قوله فليأت نسوتنا وهي لفظة شائعة جداً وأصلحه المرزوقي بقوله وليأت ساحتنا قال المنتزاعي وأنا أتعجب من جار الله كيف لم يورده على هذا الوجه وحافظ على لفظ الشاعر دراية مع زعمه ان القراء يقرؤن القرآن برأيهم وأنا أتعجب من انشاد صاحب المعنى هذا البيت يعنى قول الربيع بن ضبع

ودعنا قبل أن نودعه لما قضى من جاسنا وطرا

أورده هنا مع انه أشنع من بيت الحماسة والخش ولقد كان في غنية بما أورده من الكتاب والسنة

(٢) - هكذا رواية البيت وفيه إقواء كما حكاه ابن قتيبة في الشعر والشعراء وأورده شاهداً \* \* وقال ولو كان ابن زهيرة لاستوي البيت

وَمُحَبَّاتٍ مَا يَذُقْنَ عَذْوَنَةً  
يَقْدِفْنَ بِالْمِهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ  
وَمَسَاعِرٍ أَصْدَأَ الْجَدِيدِ عَلَيْهِمْ  
فَكَأَنَّمَا طَلِيَّ الْوُجُوهُ بِقَارِ

فأما خبر مقتل زهير بن جذيمة العبدي أبي قيس فاختلف الرواة في سببه فيقال إن هوازن بن منصور كانت توثق الأناوة زهير بن جذيمة وهم يتكلمون عامر بن صعصعة بعد فهم أذل من يد في رحم فأتت عجوز من هوازن إلى زهير بن جذيمة بسمن في نهي فاعتذرت إليه وشكت النسبين الماواقي تسابعت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدسها أي دسها بقوس في يده عطل في صدرها فسقطت فبدت عورتها فغضبت من ذلك هوازن وحقدته إلى ما كان في صدرها من الغيظ وكانت يومئذ قد أمرت بنو عامر ابن صعصعة أي كثرت فألى جعفر بن كلاب قتال والله لأجمان ذراعى وراء عنقه حتى أقتل أو يقتل . . . وفي ذلك يقول خالد بن جعفر

أَرِيغُونِي إِرَاغَتَكُمْ فَأِنِّي  
وَحَدْفَةٌ كَالشَّجْبَى تَحْتَ الْوَرِيدِ  
— حَدْفَةٌ — اسم فرس خالد

مُتْرَبَةٌ أَوْاسِيهَا بِنَفْسِي  
وَأَلْحِنُهَا رِدَائِي فِي الْجَلِيدِ  
لَعَلَّ اللَّهَ يُمَكِّنِي عَلَيْهَا  
جِهَارًا مِنْ زُهَيْرٍ أَوْ أَسِيدِ  
فَأَمَّا تَتَّقِفُونِي فَاقْتُلُونِي  
فَمَنْ اتَّقَفَ فَلَيْسَ إِلَيَّ خَلْوِدِ

. . . ويقال بل كان السبب في ذلك أن زهير بن جذيمة لما قتل في غني من قتل بابه شاس وافي عكاظ فلقبه خالد بن جعفر بن كلاب وكان حدثاً فقال يا زهير أما أن لك أن تشتفي وتكف يدي مما قتل بشاس فأغلظ له زهير وحقره فقال خالد اللهم أمكن يدي هذه الشعراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم أعني عليه فقال زهير اللهم أمكن يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خلى بيننا فقال قریش ملكك والله يا زهير قال أنتم والله الذي لا علم لهم ثم أجمع خالد بن جعفر على قصده زهير فقتله وانفق نزول زهير بالقرب من أرض بني عامر وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد امرأة زهير بن

جذبة وأم ولده فر به أخوها الحارث بن عمرو بن التمر يد فقال زهير لبنيه ان هذا الحمار لطيفة عليكم فأوثقوه فقالت أخته لبنيها أيزوركم خالكم فنوثقوه وقالت له انه ليربني أ كينانك وقروبك والا كينان الغم والقروب السكوت فلا يأخذن فيك ما قال زهير فانه رجل بيذارة غيذارة سنوومة . قال الأثرم البيذارة - الكثير الكلام - والغيذارة - السيء الخلق ثم حللوا له وطبأ وأخذوا عليه يميناً ألا يجبر عليهم ولا ينذر بهم أحداً فخرج الحارث حتى أتى بني عامر ففصد الى شجرة يجتمع اليها بنو عامر فأتى الوطب تحتها والقوم ينظرون ثم قال أبها الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن فانظري ما طعمه فقال قوم هذا رجل مأخوذ عليه وهو يجبركم خيراً فذاقوا اللبن فوجدوه حلواً لم يقرس بمد فقالوا انه يجبرنا ان مطبنا قريب فركب خالد بن جعفر بن كلاب ومعه جماعة وكان راكباً فرسه حذفة فلحقوا زهيراً فاعتنق خالد زهيراً وخرا عن فرسيهما ووقع خالد فوق زهير ونادى يابني عامر اقتلوني والرجل واستعانت زهير ببنيه فأقبل اليه ورماه ابن زهير يشدد بسيفه فضرب خالداً ثلاث ضربات فلم تكن شيئاً وكان على خالد درعان قد ظاهر بينهما ثم ضرب جندج رأس زهير فتمتله في ذلك يقول ورماه بن زهير

رَأَيْتُ زُهَيْرًا نَحَتْ كُلَّ كَلْبٍ خَالِدٍ      فَأَقْبَلْتُ أَسْعَى كَالْمَجْجُولِ ابَادِرُ  
فَشَلَّتْ مِثْنِي يَوْمَ أَضْرَبُ خَالِدًا      وَيَمْنَعُنِي مِنْهُ الْحَدِيدُ الْمُظَاهِرُ  
فِيَا لَيْتَ أَنِّي يَوْمَ صَرَبْتِ خَالِدٍ      وَيَوْمَ زُهَيْرٍ لَمْ تَلِدْنِي تُمَاضِرُ

فأما خبر الهبابة فان بني عبس وفي فزارقما التفتوا الى جنب جفر الهبابة في يوم قانظ فاقنتلوا ولجبرهم شرح طويل معروف استجار حذيفة ومن معه بجفر الهبابة ليشرده فيه فهجم عليه القوم فقال حذيفة يابني عبس فأين المود وأين الأحلام فضرب حمل بن بدر بين كتفيه وقال اتق ما تور القول بمد اليوم فأرسلها مثلاً وقتل قرواش بن هقي حذيفة ابن بدر وقتل الحارث بن زهير حلاً وأخذ منه ذا النون سيف مالك بن زهير أخيه وكان حمل بن بدر أخذه من مالك بن زهير يوم قتل فقال قيس في ذلك

تَعْلَمُ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيْتٌ      عَلَى جَفْرِ الْهَبَابَةِ لَا يَوْمِمْ

ولوَلَا ظَلَمُهُ مَا زِلْتُ أَبْكَى  
ولسكنَ النَّبِيَّ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ  
عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ  
أظُنُّ الْجَنَمَ دَلَّ عَلَيَّ قَوْمِي  
بَنِي وَالْبَغْيُ مَرَّتُهُ وَخِيمُ  
وَمَارَسْتُ الرَّجَالَ وَمَارَسُونِي  
وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْعَلِيمُ  
فَمَعْوَجٌ عَلَيَّ وَهُسْتَقِيمُ

وقال قيس أيضاً

شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ  
فَإِنْ أَكْتُ قَدْ بَرَدَتْ بِهِمْ غَلِيلِي  
وسيفي من حديفة قد شفاني  
فلم أقطع بهم إلا بناني

—\*~\*~\*~\*~\*~\*~\*~\*~\*~\*—  
مجلس آخر ١٥

[تأويل آية] ان سأل سائل عن قوله تعالى ( مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً سمَّ بهم عمى فمهم لا يعقلون ) فقال أي وجه لتشبيه الذين كفروا بالصائح الناعق بالعمى والكلام يدل على ذمهم ووصفهم بالغفلة وقلة التأمل والتمييز والناعق بالعمى قد يكون بمنزلة متأملاً محصلاً . يقال له في هذه الآية خمسة أجوبة . أولها أن يكون المعنى مثل واعظ الذين كفروا والداعي لهم إلى الإيمان والطاعة كمثل الراعي الذي ينعق بالعمى وهي لا تعقل معنى دعائه وإنما تسمع صوته ولا تفهم غرضه والذين كفروا بهذه الصفة لأنهم يسمعون وعظ النبي صلى الله عليه وسلم وإنذاره فينصرفون عن قبول ذلك ويعرضون عن تأمله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه لاشتراكهما في عدم الانتفاع به وجاز أن يقوم قوله تعالى ( والذين كفروا ) مقام الواعظ والداعي لهم كما تقول العرب فلان خافك خوف الأسد والمعنى تكوفه من الأسد فأضاف الخوف إلى الأسد وهو في المعنى مضاف إلى الرجل قال الشاعر

فَلَسْتُ مُسْلِمًا مَا دُمْتُ حَيًّا  
عَلَى زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ الْأَمِيرِ

أراد بتسليمي على الأمير ونظائر ذلك كثيرة • والجواب الثاني أن يكون المعنى ومثل  
الذين كفروا كمثل الغنم التي لا تفهم نداء الناعي فأضاف الله تعالى المثل الثاني الى الناعي  
وهو في المعنى مضاف الى المنعوق به على مذهب العرب في قولها طلعت الشعري وانتصب  
العود على الحرباء والمعنى فانتصب الحرباء على العود وجاز التقديم والتأخير لوضوح  
المعنى •• وأنشد الفراء

إِنَّ سِرَاجًا لَكَرِيمٍ مَفْضَرُهُ تَجَلَّى بِهَ الْعَيْنُ إِذَا مَا تَجَهَّرَهُ  
معناه تجلّى بالعين ففتنم وأختر •• وأنشد الفراء

كَانَتْ فَرِيضَةٌ مَا تَقُولُ كَمَا كَانَ الزَّانَاءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ  
المعنى كما كان الرجم فريضة الزنا •• وأنشد أيضاً

وَمَذْخَفْتُ حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعَلٍ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ  
أراد ما تزيد مخافة وعلى مخافتي ومثله

كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاوُهُ

أراد كأن لون سماءه أرضه ومثله

تَرَى الثَّوْرَ فِيهَا مَدْخِلَ الظِّلِّ رَأْسَهُ وَسَائِرُهُ بَادٍ إِلَى الشَّمْسِ أَجْمَعِ (١)  
أراد مدخل رأسه الظل •• وقال الراعي

( ١ ) قال سيديه فوجه الكلام في هذا أنه على سعة الكلام قل كراهية الانفصال  
وإذا لم يكن في الجذر فهد الكلام المناسب مبدوءاً به •• قال الشنمري الشاهدية إضافة  
مدخل الى الظل ونصب الرأس به على الاتساع والقلب وكان الوجه أن يقول مدخل  
رأسه الظل لأن الرأس هو الداخل في الظل والظل المدخل فيه ولذلك سماه سيديوه  
الناصب في تفسير البيت فقال الوجه أن يكون الناصب مبدوءاً به •• والمعنى وصف هاجرة  
قد ألجأت الثيران الى كنفها فزى الثور مدخل رأسه في ظل كنفها لما يجرد من دمة  
الحر وسائر بارز للشمس

فَصَبَّحَتْهُ كَلَامَ الْعَوْتِ يُوسِدُهَا يَسْتَوْضِحُونَ بِرَوْنِ الْعَيْنِ كَالْأَثْرِ

يريد أنهم يرون الأثر كالعين .. وقل أبو النجم

قَبْلَ دُنُوِّ الْأُفُقِ مِنْ جَوَازِئِهِ

فقلب .. وقال العباس بن مرداس

فَدَيْتُ بِنَفْسِي وَمَالِي وَلَا آوَهُ إِلَّا مَا يُطِيقُ

أراد فديت بنفسي نفسه .. وقال ابن مقبل

وَلَا تَهَيَّبْنِي الْمَوَامَةَ أَرْكَبُهَا إِذَا تَجَاوَبَتِ الْأَصْدَاءُ بِالسَّحَرِ

أراد لا تهيب المومة وهذا كثير جداً . والجواب الثالث أن يكون المعنى ومثل الذين كفروا ومثلنا أو مثلهم ومثلك يا محمد كمثل الذي ينطق أي مثلهم في الإعراض ومثلك في الدعاء والتبني والارشاد كمثل الناعق بالغم فخذف المثل الثاني اكتفاء بالأول . ومثله قوله تعالى ( جعل لكم سراويل تقيكم الحر ) أراد الحر والبرد فاكتفى بذكر الحر من البرد .. وقال أبو ذؤيب

عَصَبْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِنِّي لِأَمْرِهَا مُطِيعٌ فَمَا أَدْرِي أَرُشِدُهُ طَلَابِهَا

أراد أرشدته أم غي فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الأمر . والجواب الرابع أن يكون المراد ومثل الذين كفروا في دعائهم للأصنام التي يعبدونها من دون الله وهي لا تعقل ولا تفهم ولا تضر ولا تنفع كمثل الذي ينطق دعاء ونداء بما لا يسمع صوته جملة والدعاء والنداء يتصان على هذا الجواب ينطق وإلا تؤكد للكلام ومعناها الالتقاء . قال الفرزدق

هُمْ الْقَوْمُ الْإِلَاحِيثُ سُلُوًا مَيُوقِمُ وَضَحُوا بِالْحَمِّ مِنْ حَيْلٍ وَمُحْرِمِ

والمعنى هم القوم حيث سلوا - يوقمهم . والجواب الخامس أن يكون المعنى ومثل الذين كفروا في دعائهم للأصنام وعبادتهم لها واستزاقهم إياها كمثل الداعي الذي ينطق بالغم ويناديا فهي تسمع دعاء ونداء ولا تفهم معنى كلامه فشبه من يدعوه الكفار من المعبودات دون الله بالغم من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهمه ولا نفع عندها فيه ولا

مضرة وهذا الجواب يقارب الذي قبله وان كانت بينهما مزية ظاهرة لأن الأول يقتضي ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء ولا النداء جملة ويجب أن يكون مصروفاً الى غير الغنم وما أشبهها مما يسمع وان لم يفهم وهذا الجواب يقتضي ضرب المثل بما يسمع الدعاء والنداء وان لم يفهمهما والأصنام من حيث كانت لا تسمع الدعاء جملة يجب أن يكون داعياً ومنادياً أسوأ حالاً من منادي الغنم ويصح أن يصرف الى الغنم وما أشبهها مما يشارك في السماع ويخالف في الفهم والتجيز . . وقد اختلف الناس في ينق فقال أكثرهم لا يقال لعق ينق إلا في الصياح بالغنم وحدها . وقال بعضهم لعق ينق بالغنم والابل والبقر والأول أظهر في كلام العرب . . قال الأخطل يهجو جريراً

فَأَنعَقَ بِضَاءِ نِكَ يَا جَرِيرُ فَأِنَّمَا مَنَّتِكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَالًّا

ويقال أيضاً لعق الغراب ولعق بالعين المعجمة <sup>(١)</sup> اذا صاح من غير أن يمد عنقه ويحركها فاذا مدها وحركها ثم صاح قيل لعق ويقال أيضاً لعق الفرس ينعب وينعب لعباً ونعيباً ونعباناً وهو صوته ويقال فرسٌ منعبٌ أى جواد وناقى لعابة اذا كانت سريعة [ تأويل خبر ] روى أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج مع أصحابه الى طعام دعوا له فاذا بالحين عليه السلام وهو صبي يلعب مع صبية في السكة فاستنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم امام القوم فطفق الصبي يفر مرة ههنا ومرة ههنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضاحكه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى تحت فأس رأسه وأقنمه فقبله وقال أنا من حسين وحسين مق أحب الله من أحب حسيناً حسين سبط من الأسباط . . ومعنى - استنزل - تقدم يقال استنزل الرجل استنزالاً وبرئناً وبرئناً وبرئناً

(١) قوله لعق الغراب ولعق بالعين المعجمة يعنى ان نعق ونفق بالمهملة والمعجمة سواء وعلى هذا بعض أهل اللغة . . قال الزمخشري والفين أعلى . . وقال الأزهرى لعيق الغراب ونعاقه ونعيقه ونعاقه مثل نهبق الحمار ونهاقه ولكن النفاة من الأئمة يقولون كلام العرب لعق الغراب بالعين المعجمة ونعق الراعى بالشاة بالعين المهملة ولا يقال في الغراب نعق ويجوز لعق وهذا هو الصحيح

ابرنذاعاً اذا تقدم هكذا ذكره ابن الانباري . . . ووجدت بعض المتقدمين في علم اللغة يحكى في كتاب له قال يقول استئنات الأمر استئنالا اذا استعددت له واستئنتل الرجل تفرد من القوم ويقال استئنتل أشرف والمعاني متقاربة والخبر يليق بكل واحد منها . . . وحكى هذا الرجل الذي ذكرناه في كتابه أبرئناً وأبرنذع أيضاً انه من الاستعداد فأما السكة - فهي المنازل المصطفة والنخل المصطف ومعنى - طفق - ما زال . . . قال الشاعر

طَفِقَتْ تَبْكِي وَاسْعِدْهَا      وَكَلَّانَا ظَاهِرُ السَّكَمِ

وقاس الرأس طرف المَحْدُوْتِ المشرف على القفا ومعنى - أقمعه - رفعه هكذا ذكر ابن الانباري . . . وقال غيره يقال أقمع ظهرك اقناعاً اذا طأطأ ثم رفعه برفق فأما الاسباط - فأصلها في ولد اسحاق عليه السلام كالفرائد في بني اسماعيل . . . وقال ابن الانباري هم الصبية والصبوة بالياء والواو معاً . . . حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا قال أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن أحمد الحكيم قراءة عليه قال أملى علينا أبو العباس أحمد ابن يحيى نعلب قال أخبرنا ابن الاعرابي انه قيل لابنة الحسن مائة من المعز قالت مؤنل بشفت الفقر من ورائه مال الضعيف وحرفة العاجز قيل لها فما مائة من الضأن قالت قرية لاحى بها قيل فما مائة من الابل قالت مخ جمال ومال ومنى الرجال قيل لها فما مائة من الخيل قالت ماني عند من كانت ولا توجد قيل فما مائة من الحر قالت عازبة الليل وخزى المجلس لالبن فيحلب ولا صوف فيجز ان ربط غيرها أدلى وان أرسل ولي . . . وبهذا الاستناد عن ابن الاعرابي قال قيل لابنة الحسن والحضر والحسيف كل ذلك يقال ما أحسن شيء قالت فتدب في أثر سارية في فضاء قاوية قال بنجام أرض مرتفعة لأن النبات في موضع مشرف أحسن وقالوا أيضاً نفخاء أي رابية ليس بها رمل ولا حجارة قال والجمع التفاحي ونبت الرابية أحسن من نبت الأودية لان السميل بصرع الشجر فيقذف في الأودية ثم ياتي عليه الدمن [ قال المرتضى ] رضى الله عنه ومما يدل ان نبت الرابية أحسن قول الأعتى

ما رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُعْشِبَةٌ خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلٌ<sup>(١)</sup>

•• وقال كثير

فَمَا رَوْضَةٌ بِالْحَزَنِ مَلِيَّةٌ الثَّرَى يَجِجُ النَّدَا جَمَّاجَتْهَا وَعَرَارُهَا<sup>(٢)</sup>

(١) قوله ماروضة الخ بعمده

يضاحك الشمس منها كوكب شرق معذر بعجم البيت مكتهل  
يوماً بأطيب منها نثر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

وهي قميدة مشهورة وأوردنا هذين البيتين لارتباطهما بالبيت قوله - الحزن - بالفتح وزاي اسم موضع وهو في الأصل ضد السهل - ومسبل - سائل - وهطل - متتابع - ويضاحك - يميل معها حيث مات - وكوكب - معنم الزهر وكوكب كل شيء معظمه - وشرق - ريان - وعميم - طويل - ومكتهل - ظاهر النور - والأصل - جمع أصيل وهو العشي

(٢) قوله فاروضة الخ بعمده وهو جواب ما

بأطيب من أردان عزة موهناً إذا أوقدت بالمعدل الرطب نارها

حكى أنه دخل كثير على سكينه بنت الحسين رضى الله عنها فقالت له اخبرني يا بن أبي جمة عن قولك في عزة وأنشدته البيتين ثم قالت له وهل على الأرض زنجية منمنة الابطين نوقة بالمعدل الرطب نارها إلا طاب ويحها أفاقت كما قال عمك امرؤ القيس

ألم ترائني كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

وروى من غير هذا الوجه أنه خرج يوماً من عند عبد الملك فاعترضته مجوز معها نار في روثه فقالت من أنت قال صاحب عزة فقالت أنت القائل فما روضة الى آخر البيتين قال نعم قالت ويحك إذا أوقد بالمعدل الرطب على هذه الروثة ويحزرت به أملك المعجوز الشعناء كانت كذلك فهلا قلت كما قال امرؤ القيس ألم ترائني الى آخر البيت فناولها مطرف شزكان معه وقال استري على ذلك وهذه الحكاية نقلها شمس الدين ابن خلكان في تاريخه ثم قال ان بعض مشايخ الأدب قال ليس على كثير شيء فان قوله

نفساً الحزن للمعنى الذى ذكرنا ٥٥ وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابى قال العرب تقول  
جاءنا بطعام لا ينادى وليده ٥٥ اذا جاء بطعام كثير لا يراد فيه زيادة ووقع فى أمر  
لا ينادى وليده يقول لا تدعى اليه الصبيان ولا يستعان إلا بكبار الرجال فيه ٥٥ [قال  
الشريف المرتضى] رضى الله عنه وفى ذلك قولان آخران أحدهما عن الأصمى قال  
أصله من الشدة نصيب القوم حتى تذهل المرأة عن ولدها فلا تناديه لما هي فيه ثم صار  
مثلاً لكل شدة ولكل أمر عظيم والقول الآخر عن الكلابى قال أصله من الكثرة  
والسعة فإذا أهوى الوليد الى شئ لم يزجر عنه حذر الافساد لسعة ما هم فيه ثم صار  
مثلاً لكل كثرة قال الفراء وهذا القول يستعان به فى كل موضع يراد به الغاية وأشد

لقد شرعت كفاً يزيد بن يزيد شراً جوداً ينادى وأبدها

٥٥ وبالاسناد الذى تقدم عن ابن الاعرابى قال دخل ودقة الأسدى على ممن بن زائدة  
السيباني فقال إن رأيت أكرمك الله أن تضعني من نفسك بحيث وضعت نفسي من  
رجلك فإني قد بلغت حالا لو أعترفني الله فيها بكرمك من نصف الرجال بمسك لم  
يكن كثيراً وإني قد قدمت الرجاء وأحسنت الثناء ولزمت الحفظ ثم أنشأ يقول

|                             |                             |
|-----------------------------|-----------------------------|
| يا ممن إنك لم تنعم على أحد  | فشاب نعمك تنقيص ولا كدر     |
| فأنظر إلي بطرف غير ذي مرض   | فربما صح لي من طرفك النظر   |
| أيام وجهك لي طاق يجبرني     | إذا سكت بما تحفي وبضمير     |
| ومن هوالك شفيع لي يغفلي     | وإن نأيت وإن قلت في الذكر   |
| قد كنت أثرت عندي مرة أثرا   | فقد تقارب يعفو ذلك الأثر    |
| فاجبر بفضلك عظماً كنت تجبره | وأجمع بفضلك ما قد كاد ينتشر |

• اذا أوقدت بانتدل الرطب نارها • نعت لاروضة المذكورة انتهى وهذا جيد لو لم  
يطلب كثير من المعجوز السرفاه عرفنا بذلك انه ما أراد إلا المعنى المتعرض فيكون  
هذا تصحيحاً لا بيان قصد

ما نازع العسري اليسر مذعلقت      كفي بجميلك إلا ظفر اليسر  
 وقد خشيت وهذا الدهر ذو غير      بأن يذال لطول الجفوة العسر  
 وإن ما كان من عسر وميسرة      فإن حظك فيه الحمد والشكر

فقال ممن أو ما كنا اعطيناك شيئاً قال لا قال أما الذهب والفضة فليسنا عندنا ولكن  
 حات تخناً من نيابي يا غلام فدفعه اليه وقد كان نحمد اليه يابن عياش وحبيب بن يدل  
 فاعطاهما معه تخين وقال غرمتني يا ودقة نحتي نياب \* \* [قال المرتضى] رضى الله عنه وكان  
 ممن بن زائدة جواداً شجاعاً شاعراً وبكتي أبا الوليد وهو ممن بن زائدة بن عبد الله  
 ابن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن مطر وهو أخو الحوفزان بن شريك وكان  
 ممن من أصحاب ابن هبيرة فلما قتل رثاه ممن فقال

ألا إن عينا لم تجذ يوم واسط      عليك بجاري دعهما لجمود  
 عشيّة قام النائمات وشققت      جيوب بأيدي ماتم وخذود  
 فإن نسي مهجوز الجناب فطالما      أقام به بعد الوفود وفود  
 فإنك لم تعد على متهد      بلى كل من تحت التراب بعيد

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني يوسف بن يحيى المنجم عن أبيه قال حدثني  
 محمد بن القاسم بن مبروه قال حدثني أبو زيد بن الحكم بن موسى قال حدثني أبي قال  
 كان ممن بن زائدة من أصحاب يزيد بن عمرو بن هبيرة وكان مستتراً حتى كان يوم  
 الهشبية فانه حضر وهو مغمم مثام فلما نظر الى القوم وقد وثبوا على المنصور تقدم  
 وأخذ بلجام بقلته ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه فلما أفرجوا له وخرقوا عنه قال  
 له من أنت ويحك قال أنا طلبتك ممن بن زائدة فلما انصرف المنصور حباه وكساه ورتبه  
 ثم قلده العيين فلما قدم عليه من العيين قال له هيه يا ممن تعطي مروان بن أبي حفصة  
 مائة ألف درهم على أن قال لك

ممن بن زائدة الذي زيدت به      شرفاً على شرف بنو شيبان

إِنَّ عِدَّةَ أَيَّامِ الْفِعَالِ فَإِنَّمَا يَوْمُهُ يَوْمٌ نَدَى وَيَوْمٌ طَعَانِ

فقال كلا يا أمير المؤمنين ولكن أعطيته على قوله

مَا زِلْتُ يَوْمَ الْهَاشِمِيَّةِ مَمْلُئًا بِالسَّيْفِ دُونَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ

فَمَنْعَتْ حَوَازِئَهُ وَكُنْتُ وَقَائَهُ مِنْ وَقَعِ كُلِّ مُهَيِّدٍ وَسِنَانِ

فقال له أحسنت يا مومن . . . وفي خبر آخر أنه دخل على المنصور فقال له ويحك ما أطعن ما يقال فيك من ظلمك لأهل اليمن واعسافك إياهم إلا حقاً قال وكيف ذلك يا أمير المؤمنين قال يا بني تلك أعطيت شاعراً كان يلزمك أني دينار وهذا من السرف الذي لا شيء مثله فقال يا أمير المؤمنين إنما أعطيت من فضول مالي وغلات ضياعي وفضلات رزقي وكففت عن عرضي وقضيت الواجب من حقه على وفصده الي وما لازمته لي قال لجملة أبو جعفر ينكت بقصيب في يده الأرض ولم يعاود القول . . . وأخبرنا المرزباني قال أخبرني علي بن يحيى عن عبد الله بن أبي ساعد الوريثي عن خالد بن يزيد بن وهب ابن جرير عن عبد الله بن محمد المعروف بنقار من أهل خراسان وكان من ولاية الرشيد قال حدثني معن بن زائدة قال كنا في الصحابة سبعة رجل فكنا ندخل على المنصور في كل يوم ففان للربيع اجمعي من آخر من يدخل عليه فقلنا لي لست بأشرفهم فتكون من أولهم ولا بأخسهم نسباً فتكون من آخرهم وإن صرتك لتشبه نسبك قال فدخلت على المنصور ذات يوم وعلى دراعة فضفاضة وسيف حنفي أفرع يعله الأرض وعمامة قد أسدلها من قدامي وخافي فسلمت عليه وخرجت فلما صرت عند الستر صاح بي يا مومن سيعة أنكرتها فليبتة فقال ادن الي فدنوت منه فإذا به قد نزل عن فراشه الي الأرض وجنى على ركبته واستل عموداً من بين فراشيه واستحال لونه وأبدت أوداجه وقال إنك لصاحب يوم وأسط لانجوت ان نجوت في قال قلت يا أمير المؤمنين تلك نصرني لباطلهم فكيف نصرني لحقك قال فقال لي كيف قلت فأعدت عليه القول فما زال يستعديني حتى رد العمود الي مستقره واستوى مرتباً وأسفر لونه وقال يا مومن إن باليمن كنهة فقلت يا أمير المؤمنين لیس لمكنوم رأي وهو أول من أرسلها مثلاً فقال

أنت صاحب فاجاس قال فجدت وأمر الربيع كل من كان في الدار فخرج وخرج الربيع  
فقل ان صاحب اليمن قدمم بالعبية واني أريد أن أخذه أسيراً ولا يفوتني شيء من ماله  
قات ولقي اليمن وأظهر إنك قد ضمنتني إليه وأمر الربيع أن يزع عنتي في كل ما احتاج  
إليه ويخرجني في يومي هذا الثلاثا ينتشر الخبر قل فاستل عهداً من بين فراشين فوق  
فيه اسمي وناولنيه ثم دعا الربيع فقال يا ربيع إنا ضممنا معاً الى صاحب اليمن فأزح  
عنته فيما يحتاج إليه من السلاح والكرامع ولا يمس إلا وهو راحل قل ثم ودعني  
فودعته وخرجت الى الدهليز فلقيتني أبو الوالي فقال يا معن أعزز علي أن تضم الى  
ابن أخيك قال فقات له أن لا غضاضة على الرجل يضمه سلطانة الى ابن أخيه وخرجت  
الى اليمن فأتيت الرجل فأخذته أسيراً وقرأت عليه العهد وقعدت في مجلسه ٠٠ روى  
عمر بن شبة قال اجتمع مع ابن بن زائدة مع ابن أبي عاصية وابن أبي حفصة والضمري  
فقال لينشدني كل واحد منكم أمدح بيت قاله في فأشده ابن أبي حفصة

مسحت ربيعة وجهه معني سابقاً لما جرى وجرى ذؤولاً حساب

فقاله مع الجواد بعز فيسح وجهه من الغبار والغار وغيرهما ٠٠ وأنشده الضمري  
أنت أمرؤ شأئك المعالي وذكر معروفك الربيع

وروى ودون معروفك الربيع

بشأئك الحمد تشتريه يشيعه عنك ما يشيع

فقال له ما أحسن ما قلت إلا إنك لم تسمني ولم تذكرني فن شاء انتحلها ٠٠ فأشده ابن  
أبي عاصية شعراً

إن زال من بني شريك لم يزل لندى إلى بلد بغير مسافر

ففضله عليهم ٠٠ وروى انه أتى من بن زائدة بثلاثمائة أسير فأمر بضرب أعناقهم فقال له  
شاب منهم يا أبا شيبان نشأ بك الله أن تقتلنا عطاشا قال استقوهم ماء فلما شربوا قالوا  
يا أبا شيبان نشأ بك الله أن تقتل أضيافك فقال اطلقوهم ٠٠ وذكر أحمد بن كامل  
أن الخوارج قتل مع بن زائدة بسجستان في سنة إحدى وخمسين ومائة ٠٠ وروى

أن عبد الله بن طاهر كان يوماً عند المأمون فقال له يا أبا العباس من أشعر من قال في  
 خلافة بني هاشم قال أمير المؤمنين أحرف بهذا مني قال قل على كل حال قال عبد الله  
 أشعرهم الذي يقول في معن بن زائدة

أيا قبرٍ مَعْنٍ كُنْتَ أَوَّلَ حَفْرَةٍ      مِنْ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلسَّاحَةِ مَضْجِعَهَا  
 أيا قبرٍ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جَوْدَهُ      وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مَتْرَعَا  
 بلى قد وَسَمَتْ الْجُودَ وَالْجُودُ مَيِّتٌ      وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضَمَّتْ حَتَّى تَصَدَّعَا

والآبيات للحسين بن مطير الأسدی وهي تزيد على هذا المقدار وأولها

ألياً علي مَعْنٍ فقولاً لِقَبْرِهِ      سَمَّتِكَ الْغَوَادِي مَرَبَعَاتِمُ مَرَبَعَا

.. ومنها

فَتَى عَاشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ      كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ جِبْرَاهُ مَرْتَعَا  
 فَلَمَّا مَضَى مَعْنٌ مَضَى الْجُودُ وَانْقَضَى      وَاصْبِحْ عَرَبِينَ الْمَكَارِمِ أَجْدَعَا

### — \* \* \* \* \* —

### — مجلس آخر ١٦ —

[تأويل آية] ان سأل سائل فقال ما الوجه في قوله تعالى ( إن الذين يكفرون بآيات  
 الله ويمتثلون النبيين بغير حق ) وفي وضع آخر ( وقتامهم الأنبياء بغير حق ) وظاهر هذا  
 القول يقتضي ان قتلهم قد يكون بحق .. وقوله تعالى ( ومن يدع مع الله إلهاً آخر  
 لا برهان له به ) .. وقوله ( ان الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ) .. وقوله  
 ( ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ) .. وقوله ( لا يسألون الناس  
 إلحافاً ) . والسؤال عن هذه الآيات كلها من وجه واحد وهو الذي تقدم . الجواب  
 اعلم أن العرب فيما جرى هذا المجرى من الكلام عادة معروفة ومذهبة مشهوراً عند  
 من تصفح كلامهم وفهم عنهم مرادهم بذلك المبالغة في الذي وتأكيدهم .. فن ذلك

قولهم فلان لا يرجي خيره ليس يريدون أن فيه خيراً لا يرجي وإنما غرضهم أنه لا خير عنده على وجه من الوجوه... ومثله قلما رأيت مثل هذا الرجل وإنما يريدون أن مثله لم ير قبلاً ولا كثيراً... وقال امرؤ القيس

عَلِي لَأَحِبُّ لَأَ يَهْتَدِي بِنَارِهِ إِذَا سَافَةَ الْعَوْدُ الدِّيَافِيَّ<sup>(١)</sup> جَرَجَرًا

يصف طريقاً... وأراد بقوله لا يهتدي بناره أنه لا منار له فهتدي به - والعود - المسن من الابل - والديافي - منسوب إلى دياف وهي قرية بالشام معروفة - وسافه - شمه وعرفه... والجرجرة - مثل الهديرة... وإنما أرادان العود إذا شمه عرفه فاستبهمه... وذكر ما يلاحظه فيه من المشقة فجرجر لذلك... وقال ابن أحرر

لَا يَفْزَعُ الْأَرْبَ أَهْوَالُهَا وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَجْحَرُ

أراد ليست بها أهوال فيفزع الأرب... وقال النابغة

يَحْفُهُ جَانِبًا نِيْقٌ وَتَتْبَعُهُ مِثْلُ الزُّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمْدِ

أراد ليس بها رمد فتكحتل له... وقال امرؤ القيس أيضاً

وَصِمُّ حَوَامٍ مَا يَبْقَيْنَ مِنَ الْوَجِي كَأَنَّ مَكَانَ الرَّذْفِ مَبْنِيٌّ عَلَى رَالٍ

يصف حوافر فرسه... وقوله ما يبقين من الوجي - يريد الحفا ويقين أي يتوقين يقال وقى الفرس ناب المشي فأراد أنه لا وجي بحوافره فيتبين الأرض من أجله - والرال - فرخ النعام وشبه إشراف عجزه بعجز الرال... وقال الآخر

لَا يَفْزِعُ السَّاقُ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا يَعْصُ عَلَى شَرْسُوفِهِ الصَّمْفَرُ<sup>(٢)</sup>

(١) - قوله الديافي... الرواية المشهورة التباطي

(٢) - قوله لا يفزع الساق من أين ولا وصب... النخ شطر هذا البيت الأول محذوف المعجز وعجزه

محذوف الصدر والرواية الصحيحة

لا يتأري لساق في القدر يرقبه ولا بعض على شرسوفه الصفر

لا يفزع الساق من أين ولا وصب ولا يزال أمام القوم يقتفر

أراد ليس يساقبه ابن ولا وصب فيمزمها من أجلهما . . . وقول سويد بن كاهل  
 مِنْ أَناسٍ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ عَاجِلُ الْفُحْشِ وَلَا سَوْءُ الْجَزَعِ  
 لم يرد إن في أخلاقهم فحشاً عاجلاً ولا آجلاً ولا جزعاً غير سيئاً وإنما أراد نفي الفحش  
 والجزع عن أخلاقهم . . . ومثل ذلك قولهم فلان غير سريع إلى الفحش وهم يريدون أنه  
 لا يقرب الفحش إلا نفي الإسراع حسب . . . وقال الفرزدق وهو يهجو جعفر بن كلاب  
 ويعيرهم بقتل منهم أصيبوا في حروبهم حملت النساء هؤلاء القتل حتى أنبن بهم الحمي  
 ولم تأت عير أهلها كالتى أتت به جعفراً يوم الرضيبات عيرها  
 أنتمهم بغير لم تكن هجرية ولا حنطة الشام المزية خميرها

قوله لا يتأرى أى لا يتجسس ويتثبت يقال تأرى بالمكان إذا قم فيه أى لا يلبث لأدراك  
 طعام القدر وجهة يرقبه حال من المستتر في يتأرى يدحى بأن همته ليست في الطعام  
 والشرب وإنما همته في طاب المعالي ليس يرقب نضج ما في القدر إذا هم بأمر له شرف  
 بن إثر كما وبضئ والشرف - طرف الضاع - والغفر - دويبة مثل الحية تكون في البطن  
 تعبرى من به شدة الجوع . . . قال في النهاية في حديث لاعدوى ولا هامة ولا صفر إن  
 العرب كانت تزعم أن في البطن حية يقال لها الصفر تسبب الإنسان إذا جاع وتؤذيه  
 فأبطل الإسلام ذلك وقيل أراد به النبي صلى الله عليه وسلم الذى كفى كانوا يضلونه  
 في الجاهلية وهو تأخير الحرم إلى صفر ويحلمون صفر هو الشهر الحرام فأبطله انتهى  
 . . . ولم يرد الشاعر أن في جوفه صفرأ لا يعرض على شرايقه وإنما أراد أنه لا صفر في  
 جوفه فيعرض بسفنه بسدة الخاق وسحة البنية . . . وقوله لا يميز السابق لا يميزها يصف  
 جلامه ونحوه لا يمشق - والأين - الأعياء - والوصب - الوجع - والافتقار - بتقديم القاف  
 على الغاء اتباع الأثر . . . وفي الصحاح وقفرت آثاره أفره بالضم أى قفوته واقفرت  
 مثله وأشد هذا البيت ورواه أبو العباس في شرح نوادر أبي زيد يقفتر بالبناء للمجهول  
 ومعناه انه يفوت الناس فيتبع ولا بالحق

يقى أن العير انما تحمل الثمر والطعام الى الحى فحملت عبر هؤلاء القتل وقوله - لم تكن  
 هجرة - أى لم تحمل الثمر وذلك لكثرة الثمر بهجر ثم قال ولا حنطة الشام المزيث خبيرا  
 ولم يرد ان هناك حنطة ليس فى خبيرا زيت لكنه أراد انها لم تحمل ثمراً ولا حنطة  
 ثم وصف الحنطة بما يجعل فى خبيرا من الزيت وعلى هذا تأويل الآيات التى وقع  
 السؤال عنها لانه تعالى لما قال ! يقتلون النبيين بغير حق ) دل على أن قتلهم لا يكون  
 إلا بغير حق ثم وصف القتل بما لا بد أن يكون عليه من السفة وهى وقوعه على خلاف  
 الحق وكذلك ( من يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به ) وقوله تعالى ( الذى رفع  
 السموات بغير عمد ترورها ) وجهه أيضاً انه لو كان هناك عمداً لرأيتموه فاذا نرى رؤية  
 العمدا نرى وجود العمدا كما قال لا يهتدى لماره أى لا منار له من حيث علم انه لو كان  
 له منار لاهتدى به فصار نرى الاهتداء بالنار نفيّاً لوجود المنار . . . وقوله تعالى ( ولا  
 تكونوا أول كافر به ) تغليظ وتأكيذ فى تحذيرهم الكفر وهو أبلغ من أن يقول ولا  
 تكفروا به ويجرى مجرى قولهم فلان لا يسرع الى الخنا وقلما رأيت مثله اذا أرادوا  
 به تأكيذ نرى الخنا ونرى رؤية مثل المذكور وكذلك قوله تعالى ( لا يسألون الناس  
 إلحافاً ) أى لا مسألة تقع منهم ومثل الأول ( ولا تشزوا بأبائى نناً قايلاً ) والغائفة ان كل  
 نمن لها لا يكون إلا قايلاً فصار نرى الثمن القليل نفيّاً لكل نمن وهذا واضح بحمد الله ومنه

—•••—

### ﴿ باب ذكر شئ من أخبار المعمرين وأشمارهم ومستحسن كلامهم ﴾

أحد المعمرين الحارث بن كعب بن عمرو بن وعلة بن جلد بن مالك بن أدد المذحجى  
 ومذحج هى أم مالك بن أدد نسب ولد مالك إليها وانما سميت مذحج لانها ولدت على  
 أكمة تسمى مذحجاً واسمها مذلة بنت ذى هميحشان . . . قال أبو حاتم السجستاني  
 جمع الحارث بن كعب بنه لما حضرته الوفاة فقال يا بني قد أتى على سنون ومائة سنة ما صاغت  
 بيمنى يمين غادر ولا قدمت نفسي بحملة فاجر ولا صبوت بيته عم ولا كنة ولا طرحت  
 عندي مومسة قناعها ولا بحث لصديقى بسر وإنى لعلى دين شعيب النهى عليه السلام وما

عليه أحد من العرب غيري وغير أحمد بن خزيمه ونعيم بن مرة فاحفظوا وصيتي وموتوا على شريعتي . . . الحكم فاتقوه بكفبكم المهم من أموركم ويصلح لكم أعمالكم وإياكم ومعصيته لا يحل بكم الدمار ويوحش منكم الديار . . . يا بني كونوا جيباً ولا تفرقوا فتكونوا شيعاً وإن موثاً في عنتر خير من حياة في ذلٍ وعجزٍ وكلا هو كأن كأن وكلر جيبع الى ثيابن . . . الدهر ضربان فضرب رخاء وضرب بلاء واليوم يومان فيوم حبره ويوم عبره والناس رجالان فرجل معك ورجل عليك . . . وزوجوا الأكماء وليستعملان في طيهن الماء وتجنبوا الحقاء فان ولدها الى أفنٍ يكون . . . ألا انه لاراحة لتاطع القرابة واذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم وآفة العدا اختلاف الكلمة التفضيل بالحنه بقي البيئه والمكافاة بالبيئه الدخول فيها والعدل السوء يزيل النعماء وقطيعه الرحم تورث الهل وانهالك الحرمة يزيل النعمة وعقوق الوالدين يعقب السكد ويمحق العدد ويحرب البلد والاصيعة تجر الفضيحة والحقد يمنع الرفد وزرور الخلميئة يعقب البلية وسوء الرعة يقطع أسباب المنفعة والضلما ن تدعوا الى الثيابن ثم أنتأ بقول

أَكَلْتُ شَبَابِي فَأَفْنَيْتُهُ      وَأَفْنَيْتُ مِنْ بَدَدِ ذَهْرِي ذُهُورًا  
ثَلَاثَةُ أَهْلِينَ صَاحِبَتِهِمْ      فَبَادُوا وَأَصْبَحَتْ شَيْعًا كَبِيرًا  
قَلِيلَ الطَّعَامِ حَسِيرَ الْقِيَامِ      فَذُتْرَكَ الذَّهْرُ خَطْوِي قَصِيرًا  
أَيُّتُ أَرَاعِي نُجُومَ السَّمَاءِ      أَقَابُ أَمْرِي يُطْلُونَ ظُهُورًا

قوله -ولا صبوت بابتة هم ولا كنة- الصبوة هي رقة القلب والكنة امرأة أخ الرجل وامرأة ابن أخيه -وأما الموصة- فهي الفاجرة البنية وأراد بقوله انها لم تطرح عنده قناعها أي لم تبذل عنده وتبسط كأنفعل مع من يريد النجور بها وقوله -فيوم حبره ويوم عبره- فالخبرة الفرح والسرور والعبرة تكون من ضد ذلك لان العبرة لا تكون إلا من أمر محزون مؤلم -وأما الأفن- فهو الحلق قال رجل أفين اذا كان أحمق ومن أمثاله وجد ان

الرقين <sup>(١)</sup> يطلي على أفن الأفين أي وجدان المال ينطري حتى الأحق وواحد الرقين  
 رفقوهي الفضة . وأما قوله - أنصيحة نجر الفضيحة - فيشبه أن يكون معناه ان التصحيح  
 اذاصح لمن لا يقبل نصيحته ولا يصني الى مواعظته فقد افنضح عنده لانه أفنى اليه  
 بسره وباح بمكنون صدره - فأما سوء الرعة - فانه يقال فلان حسن الرعة والتورع أي  
 حسن الطريقة

ومن المعمرين المشهورين المستوغر وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد  
 مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وانما سمي المستوغر ببيت قاه وهو  
 ينش الماء في الربلات منها نشيش الرضف في اللبن الوغير

- الربلات - واحدهاربله بفتح ووربله بنسكينها وهي كل لحة غليظة هكذا ذكره ابن دريد  
 - والرضف - الحجارة المحماة . وفي الحديث كأنه على الرضف - والابن الوغير - لبن يلقى  
 فيه حجارة محماة ثم يشرب أخذ من وغيرة الظهيرة وهي أشد ما يكون من الحر ومنه وغر

(١) قوله وجد ان الرقين الي قوله رقة هذا غير كاف في إيضاحه وأصل رقة ورق  
 لحذف الفاء . وعوض عنها هاء التأنيث وجمت جمع المذكر السالم على طريق الحمل  
 لأن جمع السلامة خاص بالعقلاء وحمل عليه أربعة أنواع . أحدها أسماء جوع لم  
 تستوفى الشروط وهي أولو وعانون وعشرون وبابه الى النسبين . والنوع الثاني جوع  
 تكسير وهي بنون وآخرون وأرضون - ونون وبابه وهو كل اسم ثلاثي حذف لامه  
 وعوض عنها هاء التأنيث ولم يكسر ومن هذا النوع رقة ورقين أصله ورق كما قدمنا آنفاً  
 ثم حذف لامه وعوض عنها هاء التأنيث ولكل منطوق من هذه الشروط مفهوم يخرج  
 فلا يجمع هذا الجمع والنوعان الآخران للمحققان وهما جوع شروط لم تستوفى الشروط  
 كأهلون ووابلون وما سمي به من الجمع السالم نحو الزيدون علماً وكذلك ما ألحق به  
 كهلين . وقوله الأفين هو فاعل بمعنى مفعول أي مأفون والأفن بالتحريك ضعف  
 الرأي وقد أفن الرجل وأفته الله يأفته أفاً وأصله النقص يقال أفن الفصيل ما في ضرع  
 أمه اذا أفده

صدر فلان بوغراً وغراً إذا التهب من غيظ أو حقد .. وقال أصحاب الأَنساب عاش  
المنوغر ثلاثمائة سنة وعشرين وأدرك الإسلام أوكاد يدرك أوله .. وقال ابن سلام كان  
المنوغر قديماً وبقى بقائه طويلاً حتى قال

واقْد سَمْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطَوَّلَهَا      وَعَمَرْتُ مِنْ عَدَدِ السَّخِينِ مِثْلَهَا  
مِائَةٌ أَتَتْ مِنْ بَعْدِهَا مَا ثَنَانِي لِي      وَأَزْدَدْتُ مِنْ عَدَدِ الشُّهُورِ سِنِينَ  
هَلْ قَدْ بَقِيَ إِلَّا كَمَا قَدْ قَاتَنَا      يَوْمَ يَكْفُرُ وَبِأَيِّ قَهْدُونَا

وهو القائل

إِذَا مَا الْمَرْءُ صَمَّ فَلَمْ يَكَلِّمْ      وَأُودِي سَمْعُهُ إِلَّا نَدَايَا  
وَلَاعَبَ بِالْعَشِيِّ بَنِي بَنِيهِ      كَفَعَلِ الْهَرِّ يَحْتَرِشُ الْعِظَايَا  
بِلَاعِبِهِمْ وَوَدَّوْا لَوْ سَقَوْهُ      مِنَ الذَّيْفَانِ مِثْرَعَةَ مَلَايَا  
فَلَا ذَاقَ النَّعِيمَ وَلَا شَرَّابَا      وَلَا يَسْقِي مِنَ الْمَرَضِ الشِّفَايَا

أراد بقوله - فلم يكلم - أي لم يسمع ما يكلم به فاختصر ويجوز أن يريد أنه لم يكلم الناس من  
استماعه وأعرض عن خطابه لذلك .. وقوله - وأودي سمعه إلا ندايا - أراد أن سمعه  
هلك إلا أنه يسمع الصوت العالي الذي ينادى به .. وقوله - ولاعب بالعشي بني بنيه -  
لأنه - اللغة في وصفه بالهرم والحرف وأنه قد تناها إلى ملاعبة الصبيان وأنهم به وبشبه  
أن يكون خص العشي بذلك لأنه وقت رواح الصبيان إلى بيوتهم واستقرارهم فيها  
.. وقوله - يحترش العظايا - أي يبدها ولا يحترش أن يقصد الرجل إلى جحر الضب فيضربه  
بكفة أي يحده الضب أفعي فيخرج إليه فيأخذه يقل حرش الضب واحترشته ومن  
أشاكلهم هذا أجل من الحرش يضرب عند الأمر يستعظم ويشكلم بذلك على لسان  
الضب .. قال ابن دريد قل الضب لا يته اتق الحرش قل وما الحرش قل إذا سمعت  
حركة بياب الجحر فلا تخرج فسمع يوماً وقع الحفار فقل يا أبت هذا الحرش فقال  
هذا أجل من الحرش فجعل مثلاً للرجل إذا سمع النوء الذي هو أشد مما كان يتوقفه

— والذئبان — السم — والمظايا — جمع عظاية وهي دويبة <sup>(١)</sup> صغيرة

وأحد المعمرين دويد بن زيد بن نهد بن لبث بن أسود بن أسلم بن الخفاف بن قضاعة بن مالك بن مرة بن مالك بن حير . . قال أبو حاتم عاش دويد بن زيد أربع مائة وستة وخمسين سنة . . قال ابن دريد لما حضرت دويد بن زيد الوفاة وكان من المعمرين قل ولا يد العرب معمرأ إلا من عاش مائة وعشرين سنة فساعدنا قال لبنيه أوصيكم بالناس شراً لا زحوا لهم عبرة ولا تقبلوهم عزرة قصروا لأعنة وطولوا الأسنه وأطعنوا شزرا واضربوا هرباً وإذا أردتم المهاجرة فقبل المهاجرة والمرء يمجز لأحالة بالجد لا بالكد التجلد ولا التبلد والمنية ولا الدنيا ولا نأوا على فانت وإن عزفقدته ولا تخنوا على ظاعن وإن ألف قربه ولا نظمعو فتنطمعو ولا تنهوا فتنزعوا ولا يكن لكم المثل الوء ان الموسين بنو سهوان إذا مت فارحبوا خط مضجعي ولا تضنوا على برحب الأرض وما ذلك بمؤد إلى روحاً ولكن حاجة نفس خامرها الاشفاق ثم مات . . قال أبو بكر بن دريد في حديث آخر انه قال

|                       |                        |
|-----------------------|------------------------|
| اليوم ينني لدويد بيته | يارب نهب صالح حويته    |
| ورب قرن بطل أزديته    | ورب غيل حسن لوتيه      |
| ومعصم خضب ثنيته       | لو كان للدهر بلي أبلته |

(١) قوله والعظاية دويبة صغيرة الخ أهل العالية يقولون عظاءة وتميم يقولون عظاية والجمع عندهم جيماً العظاء . . قال سيويه الذين قالوا عظاءة بنوه على العظاء وإلا فقد كان حكمه أن يعتل لأن يمدها الماء والهاء لازمة . . قال أبو علي فأما قوله • ولاعب بالعشي نجي بينه • الخ فعل الضرورة الأثرى ان يمد هذا البيت

بلاعهم ولو ظفروا سقوه كؤوس السم مترعة بلاياً

. . وقال أبو حاتم العظاية مثل الأصبع صحراء غبراء تكون فتراً وشبراً وتلثاً وهي سم عامتها ومنها ذوات لا تضر شيئاً وهي التي في الحشوش تبرى ولا تقتل ولكن الأوزاع تقتل يطلب بقتلها الأجر

أَوْ كَانَ قَرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ

ومن قوله

أَلْتَقَى فِي الدَّهْرِ رِجْلًا وَيَدًا      وَالدَّهْرُ مَا أَصْلَحَ يَوْمًا فَسَدَا  
يُصْلِحُ مَا أَفْسَدَهُ الْيَوْمَ عَدَا

قوله - اطمنوا شزرأ واضربوا هرباً - معنى الشزرأ أن يطمنه من إحدى ناحيتيه يقال فتل الحبل شزرأ إذا قتل على الشمال والنظر التزرر نظر بمؤخر العين .. وقال الأصمى نظر إلى شزرأ إذا نظر إليه من عن يمينه وشماله وطمنه شزرأ كذلك .. وقوله هرباً قال ابن دريد يقال هربت اللحم أهربه هرباً إذا قطعته قطعاً كبيراً والاسم الهبرة والهبرة وسيف هبار وهارب واللحم هبير ومهبور - والحالة - الحيلة .. وقوله - بالجد لا بالكد - أي يدرك الرجل حاجته وطايته بالجد وهو الحظ والبخت ومنه رجل مجودٌ وإذا كسرت الجيم فهو الأناكش في الأمر .. وقوله - النجلد ولا التبد - أي تجلدوا ولا تبدوا .. وقوله - فتعلموا - أي تدينوا والتطبعُ الدنس ويقال طبع السيف يطبع طبعاً إذا ركبته الصدى .. قال نابت قطنة العسكي

لَا خَيْرَ فِي طَمَعٍ يُذْنِي إِلَى طَمَعٍ      وَعِقَّةٌ مِنْ قَوْمِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي

.. وقوله - ولأنهوا فنخرعوا - قالوهن الضعف والخرع والخرعة العين ومنه سميت الشجرة الخروع لأنها .. وقوله - ان الموصين بنو سهوان - فالوصون جمع وصى وبنو سهوان ضربه مثلاً أي لا تكونوا ممن تقدم اليهم فسهاوا وأعرضوا عن الوصية وقالوا أنه يضرب هذا المثل للرجل الموتر دمه ومعناه أن الذين يحتاجون أن يوصوا بمجوائح أخوانهم هم الذين يسهون عنها لفلة عنايتهم بها وأنت غير غافل ولا ساه عن حاجتي .. وقوله - فارحبوا - أي أوسعوا والرحب السعة - والروح - الراحة .. وقوله في الشعر - ورب غيل - فالغيل الساعد المتقى - والمعجم - موضع السوار من اليد

ومن المعمرين زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلاب بن وبرة بن تغلب حلوان بن عمران بن

الحلاف بن قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حبر . . قال أبو حاتم  
 عاش زهير بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة وواقع مائتي وقعة وكان سيداً مطاعاً عاش  
 شريفاً في قومه ويقال كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من أهل زمانه كان  
 - سيد قومه وشريفيهم وخطيبهم وشاهراًهم والمدهم الى الملوك وطيبهم والطيب كان في  
 ذلك الزمان شرفاً وجاهزى قومه والجزاة الكهان وكان فارس قومه وله البيت فيهم  
 والعدد منهم . . وأوصى بيه فقال يا بني قد كبرت - تي وبلغت حراً - آمن دهرى فأحكمتني  
 التجارب والأمور نجيبة واختبار فاحتفظوا عني ما أقول وعوه إياكم والحوار عند  
 المصاب والذواكل عند النوايب فان ذلك داعية لافهم وشهامة للعدو وسوء ظن بالرب  
 وإياكم أن تكونوا للاحداث مقترين ولها آمنتين ومنها ساخرين فانه ما سخر قوم قط  
 إلا ابتلوا ولكن توقعوها فانما الانسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة فقصر دونه  
 وجاوز لموضع وواقع عن يمينه وشماله ثم لا بد انه مصيبه . . قوله - حراً - آمن دهرى -  
 يريد طويلا منه والحرس من الدهر العاويل . . قال الراجز في سُنيّة عشتا بذاك حراً -  
 السنية المدة من الدهر - واتواكل - أن يكل القوم أسرهم الى غيرهم من قولهم رجل  
 وكل إذا كان لا يكفي نفسه ويكل أمره الى غيره ويقال رجل وكلة وكلة - والغرض -  
 كما نصبت للرمي - وتعاوره - أي تداوله . . [قال المرتضى] رضى الله عنه وقصد من ابن  
 الرومي في معنى قول زهير بن جناب الانسان في الدهر غرض تعاوره الرماة فقصر دونه  
 وجاوز له وواقع عن يمينه وعن شماله ولا بد أن يصيبه أحياناً فأحسن كل الاحسان وهي  
 كفى سراج الشيب في الرأس هادياً  
 لمن قد أضلته المنايا ليااليا  
 أمن بمد إيداء المشيب مقاتلي  
 لراي المنايا تحسبيني ناجيا  
 غدا الدهر يزمني فتذنو سهامه  
 لشخصي وأخلق أن يصين سواديا  
 وكان كرامي الليل يزمي ولا يرى  
 فلما أضاء الشيب شخصي رمانيا

أما البيت الأخير فانه أبدع فيه وأغرب وما علمت انه سبق الى معناه لأنه جعل الشباب  
 كالليل السائر على الانسان الحاجز بينه وبين من أراد رميه لظلمته والشيب مبدياً لمقاتله

هادياً إلى أصابه لضوءه وبياضه وهذا في نهاية حسن المعنى . . وأراد بقوله رماني أصابني  
ومثله قول الشاعر

فَلَمَّا رَمَى شَخْصِي رَمَيْتُ سَوَادَهُ      وَلَا بُدَّ أَنْ يُرْمَى سَوَادُ الَّذِي يَرْمِي

وكان زهير بن جناب على عهد كليب وائل ولم يكن في العرب أن تطلق من زهير ولا أوجه  
منه عند الملوك وكان لسداد رأيه يسمى كاهناً ولم يجتمع قضاة إلا تحابه وعلى رزاح بن  
ربيعة فسمع زهير بعض نسائه تشكلم بما لا يجوز للمرأة أن تشكلم به عند زوجها فهاها  
فقدت له اسكت وإلا ضربتك بهذا العمود فوالله ما كنت أراك تسمع شيئاً ولا تعقله  
فقال عند ذلك

أَلَا يَالِ قَوْمي لَا أَرَى النَّجْمَ طَامِماً      وَلَا الشَّمْسَ إِلَّا حَاجَتِي بِيَمِينِي  
مَمْرَبَتِي عِنْدَ الْقَنَا بَعْمُودِهَا      تَكُونُ نَكِيرِي أَنْ أَقُولَ ذَرِينِي  
أَمِيناً عَلَى بَيْرِ النِّسَاءِ وَرَبِّمَا      أَكُونُ عَلَى الْأَسْرَارِ غَيْرَ أَمِينِ  
فَلَمَّوْتُ خَيْرٌ مِنْ حِدَاجِ مِوْطَأِ      مَعَ الظَّنِّ لَا يَأْتِي الْمَحَلَّ لِحِينِي

وهو الدنان

أَبِي إِنْ أَهْلَكَ فَقَدْ      أَوْرَثْتَكُمْ مَجْدًا بَنِيهِ  
وَتَرَكْتُمْ أَرْبَابَ سَا      ذَاتِ زِنَادِكُمْ وَرِيهِ  
مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَنَى      فَذَنَلْتُهُ إِلَّا التَّجِيهِ  
فَلَقَدْ رَحَاتُ الْبَازِلِ الـ      كَوَمَا لَيْسَ لَهَا وِلِيهِ  
وَحَطَبَتْ خُطْبَةً حَازِمِ      غَيْرِ الضَّمِيفِ وَلَا الْعِيهِ  
فَالَمَّوْتُ خَيْرٌ لِلْفَنَى      فَلَيْهَلِكُنَّ بِهِ بَقِيهِ  
مِنْ أَنْ يَرِي الشَّيْخَ الْجَا      لَ إِذَا يَهَادَى بِالْعَشِيهِ

وهو القبان

ليت شعري والدُّهرُ ذو حدَّانٍ      أئى حين منيتى تلقانى  
أسبات على الفراشِ خُفاتٍ      أم بكنتى مُفجعِ حرانِ

وقال حين مضت له ماثناسنة من عمره

لقد عمزتُ حتى ما أبالي      أحتفي في صباحي أم مساء  
وحقٌ لمن أتت ماثنانِ عاماً      عليه أن يمل من الثواء

قوله - ممزجي - يعنى امرأته يقال معزبة الرجل وحليلته وزوجته كل ذلك امرأته .. وقوله

- أميتا على سر النساء - السر خلاف العلاية والسر أيضاً النكاح قال الخطيب

ويحرمُ سرُّ جارَتِهِمْ عليهم      ويأكلُ جارُهُمْ أنفَ القِصاعِ<sup>(١)</sup>

وقال امرؤ القيس

ألا زعمتُ بسباسةِ اليومِ أنى      كبرتُ وألا يحسنُ السرُّ أمثالي

وكلام زهير يحمّل الوجهين جميعاً لانه اذا كبر وهرم تنبيه النساء أن نتحدث بحضورته

بأسرارهن تهاوناً به أو تمويلاً على نقل سممه وكذلك هرمه وكبره بوجبان كونه أميناً

على نكاح النساء لمجره عنه .. وقوله - حداج - وطاق - الحداج مركب من مراكب

النساء والجمع احداج وحدوج - والظنن - والأظمان الهوادج والظمانية المرأة في الهودج

ولا تكون ظمانية حتى تكون في هودج والجمع طلعان واما خبير عن هرمه وأن موته خير

من كونه مع الظنن في جملة النساء .. وقوله - زنادكم ورتيه - الزناد جمع زند وزنده وهما

عودان يندح بهما النار ففي أحدهما فروض وهي تمت فالتى فيها الفروض هي الأنثى

والذى يندح بطرفه هو الذكر ويسمى الزنده الأب والزنده الأم وكنتى بزنادكم ورتيه

عن بلوغهم بأربهم تقول العرب وريت بكم زنادى أى بلغت بكم ما أحب من النجح

(١) قوله أنف القبان من كل شيء أوله يقولون جارهم بالطعام على أنفسهم

ليأكل صفة طعامهم قبلهم

والنجاة ويقال للرجل الكريم وارى الزناد - وأما التحية - فهي الملك فكأنه قال من كل ما نال الفتى قد نلته إلا الملك . . . وقيل التحية ههنا الخلود والبقاء - والبازل - الناقة التي بلغت تسع سنين فهي أشد ما تكون ولفظ البازل في الناقة والجل - سوا - والكوماء - العظيمة السنام - والولية - برذعة تطرح على ظهر البعير تلي جلده - والبجال - الذي يجعله قومه ويعظمونه . . . وقوله - يهادى بالعشيم - أي يماشي به الرجال فيسندونه لضعفه والتهادى المتى الضميف . . . وقوله - أسباب - فأسباب سكون الحركة ورجل مسبوت - والخفان - الضمف أيضاً يقال خفت الرجل إذا أصابه ضعف من مرض أو جوع - والممجع - الذي نجح بولده أو قرابة - والحران - المعطشان المتهب وهو ههنا المحزون على قتلاه . . . وما يروى لزهير بن جناب

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَسْلُوَ حَبِيبًا      فَكَثُرَ دُونَهُ عَدَدَ اللَّيَالِي  
فَمَا سَلَى حَبِيبِكَ مِثْلَ نَاءِ      وَلَا أَبْلَى جَدِيدَكَ كَمَا تَبْدَأُ

### مجلس آخر ١٧

ومن المعمرين ذو الأصبع العدواني واسمه حرثان بن محرت بن الحارث بن ربيعة ابن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عتاب بن يشكر بن عدوان وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن غيلان بن مضر . . . وإنما سمي الحارث عدوان لأنه عدى على أخيه فهم فقتله وقيل بل فقتل أخيه وقيل إن اسم ذو الأصبع محرت بن حرثان وقيل حرثان بن حوريرث وقيل حرثان بن حارثة ويكنى أبا عدوان وبسبب لقبه يذى الأصبع إن حية نهشت أصبعه فقتلت فسمي بذلك ويقال إنه عاش مائة وسبعين سنة . . . وقال أبو حاتم إنه عاش ثلاثمائة سنة وهو أحد حكام العرب في الجاهلية وذكر الجاحظ أنه كان أكرم وروى عنه

لَا يَمُتُّنْ عَهْدُ الشَّبَابِ وَلَا      لَدَاتُهُ وَنَبَاتُهُ النَّضْرُ

لَوْلَا أَوْلَاكَ مَا حَفَلَتْ عَتَى      عُولَيْتُ فِي حَرَجٍ إِلَى قَبْرِي  
هَزَيْتُ أَثِيمَةً أَنْ رَأَتْ هَرَبِي      وَأَنْ أُنْحَى لِتَقَادُمِ ظَهْرِي

وكان لذي الأصبع بنات أربع فعرض عليهن أن يزوجهن فأبين وقان خدمتك وقربك أحب اليائس أشرف عليهن بوءاً من حيث لا يريدن فقان لتقل كل واحدة منأ مافي نفسها فقالت الكبرى

أَلَا هَلْ أَرَاهَا مَرَّةً وَضَجِيمَهَا      أَشْمُ كَنَصْلِ السِّيفِ عَيْنُ مُهْنِدِ  
عَلِمْتُ بِأَذْوَاءِ النِّسَاءِ وَأَصْلُهُ      إِذَا مَا اتَّعَى مِنْ أَهْلِ سَرِيٍّ وَمَحْتَدِي  
ويروي من سر أهل ومن أصل سرى ومحتدى فقلن لها أنت تريدن ذا قرابة قد عرفته  
ثم قالت الثانية

أَلَا لَيْتَ زَوْجِي مِنْ أَنْاسٍ أُولِي عَدَى      حَدِيثُ شَبَابٍ طَيِّبِ الثُّوبِ وَالْعَطْرِ  
ويروي أولى غنى

لَصَوْقٌ بِأَكْبَادِ النِّسَاءِ كَأَنَّهُ      خَلِيقَةُ جَانٍ لَا يَنَامُ عَلَيَّ وَتَرِي  
ويروي لا ينام على محرى فقلن لها أنت تريدن فنى لبس من أهلك ثم قالت الثالثة  
أَلَا لَيْتَهُ يَكْسِي الْجَمَالَ نَدِيَّةً      لَهُ جَفْنَةٌ تَشْفِي بِهَا الْمَعْرُ وَالْجَزْرُ  
له حكيمات الدهر من غير كبرة      تشينُ فلا وإن ولا ضرعُ غمرُ

فقلن لها أنت تريدن سيداً شريفاً وقلن للرابعة قولي فقالت لا أقول فقلن لها يا عدوة الله عدت مافي أنفسنا ولا نعدبنا مافي نفسك فقالت زوج من عود خير من قومود فضت مثلاً فزوجهن أربعهن وتركهن حولاً ثم أتى الكبرى فقال يا بنية كيف ترين زوجك قالت خير زوج يكرم الحليلة ويعطي الوسيلة قال فما مالكم قالت خير مال الابل تنسرب ألبانها بجرعاً ويروي جزعاً بالزاي المعجمة ونأ كل لمانها مزعاً وتحملنا وضعفتنا معاً فقال يا بنية زوج كريم ومال عظيم ثم أتى الثانية فقال يا بنية كيف زوجك قالت خير

زوج بكرم أهله وينسى فضله قال وما مالكم قات البقر تألف الغناء وتعلم الأناة وتودك  
السفاه ونساء مع نساء فقال حظيت ورضيت ثم أتى الثالثة فقال يا بنيت كيف زوجك قالت  
لاسمح بذو ولا يجزل حكر قال فما مالكم قالت المعز قال وما هي قلت لو أنا نولدها قطعاً  
ونسلمها أدمأ وروى أدمأ بالفتح لم ينبغ بها نساء فقال لها جذوة مفنية وروى جذوة  
ثم أتى السقري فقل كيف زوجك قالت شر زوج بكرم نفسه وبهين عرسه قال فما  
مالكم قالت شر مال قال وما هو قالت الضأن جوف لا يشبعن وهم لا يشبعن وصم لا سمعن  
وأسر مفويهن يبعن فقال أبوها أشبه أمراً بعض بزفقت ثلاثة . أما قول إحدى بناته  
في الشعر - أشم - فلنعم ارتفاع أرنبة الأنف وورودها ويقال رجل أشم وامرأة  
شماة وقوم شم . . قال حسان بن ثابت

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهُمْ شُمُّ الأنوفِ مِنَ الطَّرَازِ الأوَّلِ

الشعم الارتفاع في كل شيء ويحتمل أن يكون حسان أراد بنم الأنوف ما ذكرناه من  
ورود الأرنبة لأن ذلك عندهم دليل العتق والسجاية ويجوز أن يريد بذلك الكناية  
عن زاهتهم وتباعدهم عن دنيا الأمور ورتائلها وخص الأنوف بذلك لأن الحمية  
والغضب والأثف يكون فيها ولم يرد طول أنفهم وهذا أشبه بأن يكون مراده لانه قال  
بيض الوجوه ولم يرد اللون في الحقيقة وإنما كنى بذلك عن نفاء أمراضهم وجميل  
أخلاقهم وأفعالهم وما يقول القائل جاء في فلان بوجه أبيض وقد بيض فلان وجهي  
يكذا وكذا وإنما يعنى ما ذكرناه . وقول المرأة أشم كنعن السيف بمشمل الوجوه من أيضاً  
وقول حسان من الطراز الأول أي أفعالهم آفاتهم وسلوكهم وانهم لم يحدثوا أخلاقاً  
مذمومة لا تشبه تجارهم وأصولهم . . وقولها - عين مهتد - أي هو المهتد بعينه كما يقال  
هدا بعينه وعين الشيء نفسه وعلى الرواية الأخرى غير مهتد أي ليس هو السيف المنسوب  
إلى الهند في الحقيقة وإنما هو يشبهه في مضاءه . . وقولها - من سر أهلي - أي من أكرمهم  
وأخلصهم يقال فلان في سر قومه أي في صميمهم وشرفهم وسر الوادي أطيبه تراباً  
- والهند - الأصل . . وقول الثانية - أولى عدى - فإن معناه أن يكون لهم أعداء  
لأن من لا عدوله هو القسل الرذل الذي لا خير عنده والكريم الفاضل من الناس وهو

الحسد المعادي .. وقولها - لصوق بأكباد النساء - يعنى فى المضاجعة ويحتمل أن يكون ارادة فى المحبة وكنت بذلك عن شدة محبتن له وميلن اليه وهو أشبه .. وقولها - كأنه خليقة جان - أى كأنه حية للصوق والجان جنس من الحيات نغفت لضرورة الشعر .. وقول الثالثة - يكسى الجمال نديه - فالندي هو المجلس .. وقولها - له حكيمات الدهر - تقول قد أحكمته التجارب وجملته حكياً - والضرع - الضعيف - والعمر - الذي لم يجرب الامور .. وقول - الكبرى - بكرم الحليمة ويعطى الوسيلة - فالحليمة هى امرأة الرجل والوسيلة الحاجة .. وقولها - نشرب ألبانها جرعاً - فالجرع جمع جرعة وهو الماء القليل يبقى فى الاناء .. وقولها - مزعاً - المزعة البقية من دم ويقال ماله جرعة ولا مزعة هكذا ذكره ابن دريد الضم فى جرعة ووجدت غيره يكسرها فيقول جرعة واذا كسرت فينبغي أن يكون نشرب ألبانها جرعاً وتكسر المزعة أيضاً ليزدوج الكلام فتقول ونأكل لحماها مزعاً قال المزعة من الشحم بالكسر هى القطعة من الشحم والمزعة أيضاً من الريش والقطن وغير ذلك كالمزقة من الخرق والتزيع التقطيع والتشقيق ويقال انه يكاد يمزع من الغبط ويزرع العبي فى عدوه يزرع مزعاً اذا أسرع .. وقوله - مال عميم - أى كثير .. وقول الثانية - تودك السقاء - من الودك الذى هو الدم - وقول الثالثة - نولها فطماً - الفطم جمع فطيم وهو المقطوع من ارضاع .. وقولها - نساخها أدماً - الأدم جمع إدام وهو الذى يؤكل تقول لو أنا فطدناها عند الولادة لساخناها للأدم من الحاجة لم نساخ بها نعماء وفى الرواية الأخرى أدماً من الأدم .. وقوله - جذرة مغنية - فالجذرة القطعة .. وقول الصغرى - جوف لا يتبعن - الجوف جمع جوفاء وهى العظيمة الجوف - والمهب - المعطاش ولا يتبعن أى لا يروين .. ومعنى قولها - وأمر مغوين يتبعن - لأن القطيع من الضأن يمز على قنطرة فتزل واحدة فتقع فى الماء فيقعن كلهن إنباعاً لها والضأن يوصف بالبلادة .. أخبرنا أبو الحسن على بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس قال ابن دريد وأخبرنا المكلبي عن أبي خالد عن الهيثم بن عدي عن مسعر بن كدام قال حدثني سعيد بن خالد الجدلي قال لما قدم عبد الملك بن مروان

الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير دعا الناس على أخذ فرائضهم فأتيناه فقال من القوم فقلنا  
من جديلة فقال جديلة عدوان قلنا نعم فقتل عبد الملك

عذير الحَيِّ مِنْ عَدَوَا      نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ<sup>(١)</sup>  
بَنِي بَعْضَهُمْ بَعْضًا      فَلَمْ يَزْعُوا عَلَى بَعْضٍ  
وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَاتُ      وَالْمُؤَفُونَ بِالْقَرْضِ  
وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي      فَلَا يَنْقُضُ مَا يَقْضِي  
وَمِنْهُمْ مَنْ يُبِيرُ النَّاسَ      فِي السَّنَةِ وَالْقَرْضِ

ثم أقبل على رجل كما قدمناه امانا جسيم وسيم فقال أياكم يقول هذا الشعر فقال  
لأدرى فقلت أنا من خلفه بقوله ذو الأصبع فتركتني وأقبل على ذلك الجسيم فقال وما  
كان اسم ذو الأصبع فقال لأدرى نقلت أنا من خلفه حرثان فأقبل عاييه وتركني  
فقال لم سمى ذو الأصبع فقال لأدرى فقلت أنا من خلفه نهشته حبة في أصبعه فأقبل  
عليه وتركني فقال من أياكم كان فقال لأدرى فقلت أنا من خلفه من بني ناج فأقبل  
على الجسيم فقال كم عطاؤك قال سبعمائة ثم أقبل على فقال كم عطاؤك قلت أربعمائة فقال

( ١ ) اختلف في العذير فهم من جملة مصدر أو بمعنى العذر وهو مذهب سيبويه  
ومهم من جملة بمعنى عاذر كعلم وعالم والمعنى عنده هات عذرك واحضر عاذرك وامتنع  
أن يجعله بمعنى العذر لأن فديلا لا يبنى على المصدر إلا في الأصوات نحو الصهيل والنبق  
والنبيح والأولى مذهب سيبويه لأن المصدر يطرد وضمه موضع الفعل بدلا منه لأنه  
اسمه ولا يطرد ذلك في اسم الفاعل وقد جاء فعيل في غير الصوت كقولهم وجب القلب  
وجيبا إذا اضطرب • والمعنى يصف ما كان من تفرق عدوان بن عمرو بن سعد بن قيس عيلان  
وتشتت في البلاد مع كثرتهم وعزيتهم في البلاد لكثرة ساداتهم وبني بعضهم على بعض  
فيقول من يعذرهم في قضاهم أو من يعذرك منهم • وقوله كانوا حية الأرض أي كانوا  
يتقى منهم لكثرتهم وعزيتهم كما يتقى من الحية المذكورة

ابن الزعزعة حط من عطاء هذا ثلاثمائة وزدها في عطاء هذا فرحت وعطاني سبعمائة وعطاؤه أربعمائة وفي رواية أخرى انه لما قل من أيكم كان فقال لا أدري فقلت أنا من بني نايح الذي يقول فيهم الشاعر

فَأَمَّا بَنُو نَاحٍ فَلَا تَذْكَرُونَهُمْ  
وَلَا تُبَيِّنْ عَيْنِكَ مَنْ كَانَ هَالِكًا  
إِذَا قُلْتَ مَعْرُوفًا لِتُصْلِحَ بَيْنَهُمْ  
يَقُولُ رَهَيْبٌ لَا أُسَلِّمُ ذَلِكَكَ

ويروى ما أحاول

فَأُضْحِي كظَهْرِ الْمَوْجِ حُبَّ سَنَامُهُ  
تَحْوِمُ عَلَيْهِ الطَّيْرُ أَحَدَبَ بَارِكَا  
وقد رويت هذه الأبيات لدى الأصبغ أيضاً ومن أبيات ذى الأصبغ السائرة قوله  
أَكْثَرُ ذَا الضُّعْفِ الْمُبِينِ مِنْهُمْ  
وَأَهْدِنُهُ بِالْقَوْلِ هَدَانًا وَلَوْ بَرَى  
وَأَمَّا أهدنه أسكنه ومن قوله أيضاً

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسٍ  
حَوَادِثُهُ أَنَاخَ بِأَخْرِينَا

ويروى شراشره

فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفَيْقُوا  
سَيَلِقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا  
ومعنى - الشراشر - ههنا النقل يقال أتى عليه شراشره وجراميزه أى نقله ومن قوله  
ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا  
هَشُوا إِلَيَّ وَرَحِبُوا بِالْمُقْبِلِ  
وَهُمُ الَّذِينَ إِذَا حَمَلَتْ حَمَالَةٌ  
وَأَقْبَتَهُمْ فَكَأَنِّي لَمْ أَحْمِلِ

ومن قوله وهي المشهورة

لِي ابْنُ عَمِّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خَلْقٍ  
مُخْتَلِفَاتٍ فَأَقْلِبِهِ وَيَقْلِبِنِي  
أَزْرَى بِنَا أَنَّنَا شَالَتْ نَعَامَتُنَا  
فَخَالَنِي دُونَهُ وَخَلَّتَهُ دُونِي<sup>(١)</sup>

(١) يقال أزرى به إذا قصر وزرى عليه إذا عابه . . . وقوله شالت نعامتنا أي تفرق

لِمَا بِنُ عَمَّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبِ  
 عَنِّي وَلَا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَحْزُونِي <sup>(١)</sup>  
 إِنِّي لَعَمْرُكَ مَا بَابِي بِذِي غَلَقِي  
 عَنِ الضُّيُوفِ وَلَا خَيْرِي بِمَمْنُونِ  
 وَلَا لِسَانِي عَلَى الْأَذْنَى بِمُنْطَلَقِي  
 بِالْفَاحِشَاتِ وَلَا أَغْضِي عَلَى الْهُونِ  
 مَاذَا عَلَيَّ وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي رَحِمِ  
 إِلَّا أَحْبَبِكُمْ إِنْ لَمْ تَحْبُونِي

أمرنا واختلف يقال عند اختلاف القوم شئت نعمتهم وزف رالهم والرال فرخ الزمام  
 وقيل يقال شئت نعمتهم إذا جلوا عن الموضوع والمدنى تناقروا فسمرت لا أطمنن إليه ولا  
 يطمنن اليه ويقال ألقوا عصاهم إذا سكنوا واطمأنوا. وقال الريحتمى شئت نعمتهم أي  
 تفرقوا وذهبوا لأن النعامة موصوفة بالخفة وسرعة الذهاب والهرب ويقال أيضاً خفت  
 نعمتهم وزف رالهم وقيل النعامة جماعة القوم

(١) قوله أفضلت ضمن فضلت معنى تجاوزت في الفضل فابها أمدى بمن ولولا  
 التضمين لقال أفضلت علي لأنه من قولهم أفضلت على الرجل إذا أوليته فضلاً وأفضل  
 هذه تتعدى بعلى لأنها بمعنى الانعام أو أنه من قولهم أعطى وأفضل إذا زاد على الواجب  
 وأفضل هذه أيضاً تتعدى بعلى يقال أفضل على كذا أي زاد عليه فضله ومراده من ذكر  
 التضمين أن عن أيسر بمعنى على خلافاً لابن السكيت وابن قتيبة ومن تبعهما فأنهم قالوا  
 عن نائبة عن علي والأولى أن يكون أفضل من قولهم أفضل الرجل إذا سار ذا فضل في  
 نفسه فيكون معناه ليس لك فضل تفرد به عنى وتجاوزه دوني فيكون لضعفه معنى  
 الانفراد تتعدى بمن فتأمل - والدين - القيم بالأمر المجازي به وتخزوني نسوسى سياسة  
 وتخزوني بالخاء والزاي المعجبتين مضارع خزوا بالفتح ساسة وقهره ولكنه وأما  
 الخزى بالكسر وهو الهوان والذل فالنعل منه كرضى ويحتمل تخزوني الرفع ويكون التقدير  
 ولا أنت ملكي فتسوسى ويحتمل النصب والفتحة حينئذ قدرة كما في قوله

\* أبى الله أن أسو بأه ولا أب \* وليس بضرورة يقول الله إن عمك الذى ساوك في  
 الحب وماتك في الشرف فليس لك فضل تفرد به عنه ولا أنت مالك أمره فتصرف  
 به على حكمتك ومراده بآه الم نفسه فلذلك رد الاخبار بلفظ المتكلم

يَا عَمْرُو الْإِنْدَغُ شَتِي وَمَنْقَصِي      أَضْرِبُكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةَ اسْقُونِي  
فَأَنْتُمْ مَعْشَرٌ زَيْدٌ عَلِيٍّ مِائَةٌ      فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ طَرًّا وَكَيْدُونِي  
لَا يَخْرُجُ الْقَسْرُ مِنْ غَيْرِ مَأْبِيَةٍ      وَلَا أَلَيْنُ لِمَنْ لَا يَبْتَغِي لِيْنِي

قوله - شالت نعمتنا - معناه شافنا فصرت لا أطمنن اليه ولا يطمئن اليّ يقال شالة بعامّة القوم اذا أوجلوا عن الموضوع . . . وقوله - لاه ابن عمك - قال قوم أراد لله ابن عمك . . . وقال ابن دريد أقسم بالله ابن عمك . . . وقوله - عنى - أى على - والديان - الذى بلى أمره ومعنى - فتخزوني - أى تسوسوني - والهون - الهوان . . . وقوله - أضربك حتى تقول الهامة اسقوني - قال الأصبهني العطش في الهامة فأراد أضربك في ذلك الموضوع أى على الهامة حتى تعطش وقال آخرون ان الرجل اذا قتل اخرجت من رأسه هامة تدور حول قبره وتقول اسقوني اسقوني فلا تزال كذلك حتى يؤخذ بشاره وهذا باطل ويجوز أن يبتيه ذر الأصبهني على مذاهب العرب . . . وقوله - لا يخرج القسر من غير مأبئة - والقسر القهر أى ان أخذت قسراً لم أزد إلا به

ومن المعمرين معدبكر بن الحميمي من آل ذى رعين . . . قال ابن سلام وقال معدبكر بن

الحميري وقد طال عمره

أُرْفِي كَلِمًا أَفْنَيْتُ يَوْمًا      أَتَانِي بَعْدَهُ يَوْمٌ جَدِيدٌ  
يَمُودُ بِيَاضُهُ فِي كُلِّ فَجْرِ      وَيَأْتِي لِي شَبَابِي مَا يَعُودُ

ومن المعمرين الربيع بن ضبع الزاري ويقال انه بقى الى أيام بنى أمية وروى انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له ياربيع أخبرني ما أدركت من العمر والمدى ورأيت من الخطوب الماضية فقال أنا الذي أقول

هَذَا أَنَا ذَا أَمَلِ الْخُلُودِ      وَأَذْرَكَ عَقْلِي وَمَوْلِدِي حُجْرًا

فقال عبد الملك قد رويت هذا من شعرك وأنا صبي قال وأنا انتمثل

إِذَا عَاشَ الْفَتَى مِائَتَيْنِ عَامًا      فَقَدْ ذَهَبَ اللَّذَّادَةُ وَالْفَتَاةُ

قال قد رويت هذا من شمر بن ذر وأما سلام وأبيك ياربيع فقد طلبك جد غيرنا رفقنا  
 لي شمر بن ذر عشت مائتي سنة في فترة عيسى وعشرين ومائة في الجاهلية وستين سنة في  
 الاسلام . . قال اخبرني عن فتية من قريش متواطقي الأسماء فول بل عن أبيهم شئت  
 قال اخبرني عن عبد الله بن العباس قال فهم وعلم وإعطاء جذم ويقرى ضخم قال  
 اخبرني عن عبد الله بن عمر قال حلم وطول كظم وبعد من الظالم قال فاخبرني عن عبد  
 الله بن جعفر قال ربحانة طيب ربحوا ابن مسها قبيل على المسلمين ضرها قال فاخبرني  
 عن عبد الله بن الزبير قال جبل وهر يحد منه الصخر قال لله درك ياربيع ما أهر منك  
 بهم قال قرب جواربي وكثر استخباري . . [قال المرتضى] رضى الله عنه ان كان هذا  
 الخبر فيسبه أن يكون سؤال عبد الملك له انما كان في أيام غفاته لافي أيام ولايته لأن  
 الربيع يقول في الخبر عشت في الاسلام ستين سنة وعبد الملك ولي في سنة خمس وستين  
 من الهجرة فان كان صحيحاً فلا بد مما ذكرناه فقد روى أن الربيع أدرك أيام معاوية  
 ويقال ان الربيع لما بلغ مائتي سنة قال

|   |                         |
|---|-------------------------|
| ألا أبلغ نبي نبي ربيع                     | فأشراز البنين لكم فداء  |
| بأني قد كبرت ودق عظمي                     | فلا تشتمكم عني النساء   |
| فإن كنتاني لنساء صدق                      | وما آلا نبي ولا أساؤا   |
| إذا كان الشتاء فأذوثوني                   | فإن الشيخ يردهم الشتاء  |
| وأما حين يذهب كل قر                       | فسيبالك خفيف أو رداء    |
| إذا عاش الفتى مائتين <sup>(١)</sup> عاماً | فقد ذهب الأذائة والفتاء |

( ١ ) قوله مائتين طاماً كان الوجه حذف النون وخفض عام إلا أنها شبهت للضرورة  
 بالعشرين ونحوها مما ثبت نونه وينصب ما بعده . . وصف في البيت هراء، وذهب مسروته  
 ولذته وروى أودى بدل ذهب بمعنى انقطع وهلك والفتاء مصدر التي وروى نعين طاماً  
 ولا ضرورة فيه على هذا وهي رواية لأصل لما يعلم من الآيات ومن ترجمة صاحبها

وقال حين بلغ مائتين وأربعين سنة

أصبح مني الشباب قد حسرا  
ودعنا قبل أن نودعه  
ها أنا ذا أمل الخلود وقد  
أبا امرئ القيس هل سمعت به  
أصبحت لا أحمل السلاح ولا  
والذئب أخشاه إن مررت به  
من بعد ما قوة أسر بها

إن ندي عني فقد توى عَصْرَا  
لما قضى من جماعنا وطرا  
أذكرك عَصْرِي وموادي حَجْرَا  
هيهات هيهات طال ذا عُمْرَا<sup>(١)</sup>  
أملك رأس البعير إن نَفْرَا  
وحدي وأخشي الرياح والمطرا  
أصبحت شيخا أعالج الكهْرَا

قوله - عطاء جندهم - أي سريع وكل شيء تسرعت فيه فقد جذمته وفي الحديث إذا  
أذنت فترسل وإذا أفتت فاجزم أي أسرع - والمقري - الاتاه الذي يفرى فيه - ٥٥٠ وقوله  
- فما آلائي ولا أساؤا - أي لم يقصروا والآلي المنصر

### ﴿ مجلس آخر ١٨ ﴾

ومن المعمرين أبو العلاء، كان القيني واسمه حنظلة بن الشرق من بني كذاعة بن القين  
قال أبو حاتم عاش مائتي سنة فقال في ذلك  
حننني حانبات الدهر حتى  
كأني خائل يذنون لصيد  
قصير الخطو يحسب من رآني  
ولست مقيدا أني بقيد

وروى التخييل بدل اللذادة والتخييل التكبر ومحج المرء بنفسه وروى بدله المسرة  
والمروءة أيضاً والفتى الشاب وقد فتى بالكسري فتى بالفتح فتى فهو فتى السن بيتن الفقاء  
(١) قوله طال ذا عُمْرَا هو تعجب أي ما أطول هذا العمر

وروى قريب الخطو ٠٠ قال أبو ساتم حدثني عدة من أصحابنا أنهم سمعوا يونس بن

حبيب ينشد هذين البيتين وينشد أيضاً

تَقَارَبَ خَطْوُ رَجُلِكَ يَا سَوْبِدُ      وَقَيْدَكَ الزَّمَانُ بِشَرِّ قَيْدِ

وهو الغائل

وَأَمَّا مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمْ      إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ مَيِّتٌ فَأَمَّ صَاحِبُهُ  
نُجُومٌ سَمَاءٌ كَمَا غَابَ كَوَاكِبُ      بَدَى كَوَاكِبُ تَأْوَى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ  
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ      دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ نَادِيَهُ  
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانَ مُسَوِّدًا      تَسِيرُ الْمَنَائِحُ حَيْثُ سَارَتْ رَكَابُهُ

ومعنى البيتين الأولين يشبه قول أوس بن حجر<sup>(١)</sup>

إِذَا مَقْرَمٌ مِنَّا ذَرَى حَدَثَانِهِ      فَخَمَطَ فِينَا نَابُ آخِرِ مَقْرَمِ

ولطفيل الغزوي مثل هذا وهو

كَوَاكِبُ دُجِيْنَ كَلَّمَا تَقَضَّ كَوَاكِبُ      بَدَى وَأَنْجَلَتْ عَنْهُ الدُّجْنَةُ كَوَاكِبُ  
وَقَدْ أَخَذَ الْغَزْوِيُّ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ

إِذَا قَمَرٌ مِنَّا تَمَوَّرَ أَوْ خَبَا      بَدَا قَمَرٌ فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يَلْمَعُ

ومثل ذلك

خَلَّافَةُ أَهْلِ الْأَرْضِ فِينَا وَرِائَةُ      إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدُهُ فَأَمَّ صَاحِبُهُ

ومثله

إِذَا سَيِّدُهُ مِنَّا مَضَى لِسَبِيلِهِ      أَقَامَ عَمُودَ الدِّينِ آخِرُ سَيِّدِ

وكان مزاحماً المقيلي نظر الي قول أبي الطمحان

(١) - أوس بن حجر بفتحين وليس في أسماه الأشعساس على هذا البناء غير هذا

## أضاءت لهم أجسامهم ووجوههم

في قوله

وَجُوهٌ لَوْ أَنَّ الْمُذَلِّجِينَ أَعْتَشَوْا بِهَا

ويقارب ذلك قول حجة بن المضرب الكندي

أضاءت لهم أجسامهم فتضاءلت

وأشد محمد بن يحيى الصولي في معنى بيتي أبي الطمغان

لَوْ أَنَّكَ تَسْتَضِي بِهَمِّ أَضَاؤِ

من البيض الوجوه بنى سنان

وَمِنْ كَرَمِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاؤَا

هم حلوا من الشرف المعلى

وَمَكْرُمَةٍ دَنَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ

فلو أن السماء دنت لمجد

وأبو الطمغان القائل

إِذَا كَانَ فِي صَدْرِي ابْنِ عَمَلِكٍ إِحْنَةٌ

وهو القائل

إِذَا شَاءَ رَأَيْتَهَا أَسْتَقِي مِنْ وَنِيمَةٍ

والوقيمة - المستقم في الصخرة للماء ويقال للماء إذا زل من صخرة فوقع في بطن أخرى

ماء الوقائع وأشد لذي الرمة

وَلِنَا سِقَاطًا مِنْ حَدِيثٍ كَأَنَّهُ

ويقال للماء الذي يجري على الصخر ماء الحنجر والماء الذي يجري بين الحمى والرمل

ماء المغازل وأشد والأي ذؤيب

مَطَافِيلُ أَبْكَارٍ حَدِيثٌ تَنَاجَاهَا

وأشد أبو عجم السعدي لأبي الطمغان

عَزِيزٌ قَبَعْضُ الدَّلِّ أَبْقَى وَأَحْرَزُ

بني إذا ما سامك الدل قاهر

وَلَا تَحْمَ مِنْ بَعْضِ الْأُمُورِ تَعَزُّزًا      فَقَدْ يُورِدُ الذَّلَّ الطَّوِيلَ التَّعَزُّزُ  
وهذان البيتان برويان لعبد الله بن معاوية الجعفرى . . وروى لأبى الطمحان أيضاً في  
مثل هذا المعنى

يَا رَبِّ مَظْلَمَةٌ بَوْمًا لَطَيْتُ بِهَا      تَمْضِي عَلَيَّ إِذَا مَا غَابَ نُصَارِي  
حَتَّى إِذَا مَا نَجَلْتُ عَنِّي غِيَابَتُهَا      وَتَبَّتْ فِيهَا وَثُوبُ الْمُخْدِرِ الضَّارِي

ومن المعمرين عبد المسيح بن ببيعة الغساني وهو عبد المسيح بن عمرو بن قيس  
ابن حبان بن ببيعة وببيعة اسمه ثعلبة وقيل الحارث وانما سمي ببيعة لأنه خرج في بردن  
أخضرين على قومه فقتلوا له ما أنت إلا ببيعة فسمي لذلك . . وذكر الكلبي وأبو مخنف  
وغيرهما انه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة وأدرك الاسلام فلم يسلم وكان نصرانياً  
وروى ان خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة ونحمن منه أهلها أرسل إليهم ادعوا الى  
رجلاً من عقلائكم وذوى أنسابكم فبعثوا اليه بعبد المسيح بن ببيعة فأقبل يعني حتى  
دنا من خالد فقل أنهم صباحاً أيها الملك قل قد أنعمنا الله عن نجاتك فمن أين أنفى  
أترك أيها الشبيخ قال من ظم أبي قال من أين خرجت قال من بطن أمي قال فلام  
أنت قال على الأرض قال فبم أنت قال في نياي قال أنتقل لا تعقل قال أي والله وأقيد  
قال ابن كم أنت قال ابن رجل واحد قال خالد ما رأيت كاليوم فقل إلى أسأله عن النبي  
ويجو في غيره قال ما أجبته إلا عما سألت عما بدالك قال أهرب أنتم أم نبط  
قال عرب استنبطنا ونبط استعربنا قال فرب أنتم أم سام قال بل سلم قال فاهذي  
الحصون قال بنيناها لله فيه نخدر منه حتى يحيي الحليم فيها قال كم أنى لك قال حسون  
وثلاثمائة سنة قال فما أدركت قال أدركت سفن البحر في السماء في هذا الجرف ورأيت  
المرأة تخرج من الحيرة وتضع مكنتها على رأسها لا تزود إلا رغبة حتى ترمى الشام ثم  
قد أصبحت خراباً يباً وذلك دأب الله في العباد والبلاد قال وبعه سم ساعة يخله في  
كفه فقال له خالد ما هذا في كفتك قال هذا الدم قال ما تصنع به قال ان كان عندك  
ما يوافق قومي وأهل بلدى حمدت الله وقبلته وان كانت الأخرى لم أكن أول من

ساقى إليهم ذلاً وبلاءً أشربه فأستريح من الدنيا فانما بقي من عمري اليسير قال خالد هاته فأخذه ثم قال بسم الله وبالله قرب الأرض والسماء الذي لا يضر مع اسمه شيء فشره فتجملته غشبية ثم ضرب بدقه في صدره طويلاً ثم هرق فأفاق كأنما نشط من عقال فرجع ابن بُقيلة إلى قومه فقال جيشكم من عند شيطان أكل سم ساعة فلم يضره ساءوا القوم وأخرجوهم عنكم فان هذا أمر ممنوع لهم فصالحوهم على مائة ألف درهم وأنشأ يقول

أَبَعَدَ الْمُنْدَرِينَ أَرَى سَوَامًا      بِرُوحِ الْخَوَرِ تَقَى وَالسَّديزِ

أَبَعَدَ فَوَارِسِ النُّعْمَانِ أَرعى      مَرَاعِي نَهْرٍ مَرَّةً فَالْحَضِيرِ

تَحَامَاهُ فَوَارِسُ كُلِّ قَوْمٍ      مَخَافَةَ ضَيْغَمِ عَالِي الزَّيْثِرِ

فَصِرْنَا بَعْدَ هَلِكِ أَبِي قُبَيْسٍ      كَمَثَلِ الشَّاءِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ

يريد أبا قابوس فصر وروى كند المعز

تَقَسَّمْنَا الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍ      عَلَانِيَةً كَأَيْسَارِ الْجَزُورِ

نُودِيَ الْخَرَجُ بَعْدَ خَرَجِ كَسْرَى      وَخَرَجَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ

كَذَلِكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سَجَالٌ      فَيَوْمٌ مِنْ مَسَاءٍ أَوْ سُورِ

وروى ان عبد المسيح لما نى بالحيرة قصره المعروف بقصر بني بُقيلة قال

لَقَدْ بَنَيْتُ لِلْحَدَثَانِ قَصْرًا      لَوَ أَنَّ الْمَرْءَ تَذَمَّعَهُ الْحُصُونُ

طَوِيلَ الرَّأْسِ أَمَسَ شَمَخِرًا      لِأَنْوَاعِ الرِّيحِ بِهَ أَيْنُ

وما يروى لعبد المسيح بن بُقيلة

وَالنَّاسُ أَيْتَاءُ عَلَاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا      أَنْ قَدْ أَقْلُ فَمَجْفُوا وَمَحْقُورُ

وَهُمْ بَنُونَ لِأَمْ إِنْ رَأَوْا شَبَابًا      فَذَلِكَ بِالْغَيْبِ مَحْفُوظُ وَمَحْقُورُ

وهذا يشبه قول أوس بن حجر

بَنِي أَمْ ذِي الْمَالِ الْكَثِيرِ يَرُونَهُ      وَإِنْ كَانَ عَبْدًا سَيِّدَ الْأُمَّ جَحْفَلًا

وَهُمْ لِمَغْلِبِ الْمَالِ أَوْلَادُ عَلَّةٍ وَإِنْ كَانَ مِخْصَافِي الْمُوَمَّةِ مَخُولًا

وذكر ان بعض المشايخ من أهل الحيرة خرج الى ظهرها بخط دبراً فلما احتقر موضع الأساس وأمن في الاحتقار أصاب كهيئة البيت فدخله فاذا رجل على سرير من رخام وعند رأسه كتابة أنا عبد المسيح بن ببيعة

حَلَبْتُ الذَّهْرَ أَشْطَرُهُ حَيَاتِي      وَنَلْتُ مِنَ الْمُنَى فَوْقَ الْمَزِيدِ  
وَكَاغَحْتُ الْأُمُورَ وَكَافَحْتَنِي      وَلَمْ أَحْفَلْ بِمَعْضَلَةِ كَسُودِ  
وَكَدْتُ أَنْالَ فِي الشَّرْفِ الثَّرِيًّا      وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ

ومن الممرين النابغة الجعدي واسمه قيس بن عبد<sup>(١)</sup> الله بن عدس بن ربيعة ابن جمدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ويكنى أبا ليل ٥٥ وروى أبو حاتم السجستاني قال كان النابغة الجعدي أسن من النابغة الذبياني والدليل على ذلك قوله

تَذَكَّرْتُ وَالذِّكْرَى تَهِيحُ عَلَى الْجَوَى      وَمِنْ حَاجَةِ الْمَحْزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَا  
نَدَامَايَ عِنْدَ الْمُنْذِرِ بْنِ مَحْرَقٍ      أَرَى الْيَوْمَ مِنْهُمْ ظَاهِرَ الْأَرْضِ أَقْفَرَا  
كَهَوْلٍ وَفَتْيَانٍ كَانَ وَجُوهُهُمْ      دَنَا يَرْمَعُ شَيْفَ فِي أَرْضِ قَيْصَرَا

فهنا يدل على أنه كان عند المنذر بن عرق والنابغة الذبياني كان مع الهمان بن المنذر ابن محرق ٥٥ قوله - شيف - يعني جلي والمشوف المجلو ٥٥ وقال ان النابغة عبر ثلاثين سنة لا يتكلم ثم تكلم بالشعر ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة بأهـ بهان وكان ديوانه بها وهو الذي يقول

فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَأِنِّي      مِنَ الْفَتْيَانِ أَيَّامِ الْخَنَانِ

(١) قوله اسمه قيس اختلف في اسمه فقل قيس كما هنا وقيل عبد الله بن قيس وقيل حبان بن قيس بن عمرو بن عدس بن ربيعة وانما سمي النابغة لأنه قال الشعر في الجاهلية ثم أقام مدة نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبع فيه فسمي النابغة

— أيام الختان — أيام كانت للعرب قديمة حاج بها فهم <sup>(١)</sup> مرض في أنوفهم وحلقومهم  
 مَضَتْ مِائَةٌ لِيَامٍ وَأَلِدَتْ فِيهِ وَعَشْرٌ بِمَسَدٍ ذَلِكَ وَحِجَّتَانِ  
 فَأَبْنَى الذَّهْرُ وَالْأَيَّامُ مِثِّي كَمَا أَبْقَى مِنَ السَّيْفِ الْيَمَانِي  
 تَقَلُّلٌ وَهُوَ مَا ثَوَّرَ جُرَّازٌ إِذَا اجْتَمَعَتْ بِقَائِمِهِ الْيَدَانِ

وقال أيضاً في طول عمره

لَيْسْتُ أَنَا سَأَ فَأَنْبِيَتُهُمْ وَأَفْنَيْتُ بَعْدَ أَنَا سَأَ  
 ثَلَاثَةٌ أَهْلِينَ أَنْبِيَتُهُمْ وَكَانَ الْإِلَهُ هُوَ الْمُسْتَأَسَا

— المستأس — المتعاض ٥٥ وروى عن هشام بن محمد الكلبي انه عاش مائة وثمانين سنة  
 ٥٥ وروى ابن دريد عن أبي حاتم في موضع آخر ان النابضة الجمدي عاش مائتي سنة  
 وأدرك الاسلام وروى له

قَالَتْ أُمَامَةٌ كَمْ عَمِّرْتَ زَمَانَةً وَذَبَحْتَ مِنْ عَتْرِ عَلَى الْأَوْثَانِ

— العتيرة — شاة تذبح لأهلهم في رجب في الجمالية

وَلَقَدْ شَهِدْتُ عُمَاظَ لَيْلٍ مَحَلِّهَا فِيهَا وَكُنْتُ أَعَدُّهُ الْفَتِيَانِ  
 وَالْمُنْدِرَ بْنَ مَحْرَقٍ فِي مَلِكِهِ وَشَهِدْتُ يَوْمَ هَجَاتِنِ النُّعْمَانِ  
 وَعَمِّرْتُ حَتَّى جَاءَ أَحْمَدُ بِالْهِنْدِيِّ وَقَوَارِعُ تَتَلَّى مِنَ الْقُرْآنِ  
 وَلَبِستُ مِنْ إِسْلَامِ ثَوْبًا وَسِعَا مِنْ سَيْبٍ لَا حَرَمٍ وَلَا مَتَانِ

وله أيضاً في طول عمره

الْمَرَّةَ يَهْوَى أَنْ يَعْيشَ وَطُولُ عَيْشٍ قَدْ يَضُرُّهُ

(١) قوله حاج بها فهم ٥٥ الخ المعروف ان الختان على وزن غراب زكام يأخذ  
 الابل في مناخرها وتموت منه ٥٥ وقال الأصبهي كان الختان داء يأخذ الابل في  
 مناخرها وتموت منه وكانت أيام الختان على عهد المنذر بن ماء السماء وكانوا يؤرخون بها

تَفَنَى بِشَاشَتُهُ وَيَسْتَقَى بَعْدَ حُلُولِ الْعَيْشِ مَرَّةً  
وَتَتَابِعُ الْأَيَّامَ حَتَّى لَا يَرَى شَيْئًا يَسْرُهُ  
كَمْ شَامِتٍ بِي إِنْ هَلَكْتُ وَقَائِلٍ لِلَّهِ دَرُهُ

وروى ان الثابتة الجعدى يفتخر ويقول أثبت النبي صلى الله عليه وسلم فأنشده

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدَنَا وَجَدُّودَنَا وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

فقال عليه الصلاة والسلام ابن المظهر يا أبا ليلى قلت الجنة بارسول الله فقال أجل ان شاء الله ثم أنشده

فَلَا خَيْرَ فِي جَهْلِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَكِيمٌ إِذَا مَا أُوْرِدَ الْأَمْرَ أَسْوَ دَرًا

فقال عليه الصلاة والسلام لا يفضض الله فاك . . . وفي رواية أخرى لا يفضض فوك  
فيقال ان الدابعة عاش عشرين ومائة سنة لم يسقط له سن ولا خرس وفي رواية أخرى  
قال فرأينته وقد بلغ الثمانين نرف غروبه وكان كما سقطت له ناية ثبت له أخرى مكانها  
وهو أحسن الناس نفراً - نرف - معنى تبرق وكان الماء يقطر منها . . . [قال المرتضى]  
رضى الله عنه وما يشاكل قول الجنة في جواب قول النبي صلى الله عليه وسلم ابن المظهر  
يا أبا ليلى وان كان يعضض العكس من معناه ماروي من دخول الأخطل على عجد  
الملك بن مروان مستبشئاً من فعل الجحاف السلمي وانه أنشده

لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَافَ بِالْبَشْرِ وَقَعَةً إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمُشْتَكِي وَالْمُعْوَلُ

فَإِنْ لَمْ تُغَيِّرْهَا قُرَيْشٌ بِمِثْلِهَا يَكُنُّ عَنْ قُرَيْشٍ مُسْتَمَارُؤُهُ زَحَلٌ<sup>(١)</sup>

(١) قوله يكن عن قريش النخ سبب هذين البيتين ان بني تغلب رهن الأخطل  
قتلوا عمربن الحباب السلمي فاتفق ان قدم الأخطل على عبد الملك بن مروان والجحاف  
ابن حكيم السلمي جالس عنده فأنشده

ألا سائل الجحاف هل هو نائر يقتل أسيت من ساهم وعامر

بخرج الجحاف مغضباً يجر مطرفه فقال عبد الملك للأخطل ويحك أغضبت وأخلق

فقال له عبد الملك الى أين يا ابن اللخناء فقال الى النار فقال لو قلت غيرهما قطعت  
لسانك . . . فقله الى النار تخامس حسن على البديهة كما تخامس الجمعدى بقوله الى الجنة وأول  
قصيدة الجمعدى الذى ذكرنا منها الأبيات

خليلي غصاً ساعةً وتَجَرَّجاً      ولوما على ما أحدثَ الدهرُ أو ذراً  
ولاً تسألُ إنَّ الحياةَ قصيرةٌ      فطيراً لروعاتِ الحوادثِ أو قِراً  
وإن كانَ أمرٌ لا تطيقانِ دَفْعَهُ      فلا تجزعا مما قضى اللهُ واصبراً  
ألم تعلمَا أنَّ المَلامةَ نَفْعُهَا      قليلٌ إذا ما الشيءُ ولى وأذبراً  
لوى اللهُ عِلمَ الغيبِ عن ماسِوَاهُ      ويعلمُ منه ما مضى وتأخراً

وفى يقول

وجاهدتُ حتى ما أحسنُ ومن معي      سهيلاً إذا ما لاحَ ثم تغوراً

أن يجاب عليك وعلى قومك شراً فكتب الجعاف عهداً لنفسه من عبد الملك ودعا  
قومه للخروج معه فلما حصل بالبشر قال لقومه قسى كذا فقاتلوا عن أحسابكم أو  
موتوا فأغاروا على بنى تغلب بالبشر وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ثم قال الجعاف يجيب الأخطل

أبا مالك هل لمتنى إذ حضنتنى      على النار أم هل لامي فيك لأمي  
مى تدعنى أخرى أجيبك بثلمها      وأنت امرؤ بالحق لست بقائم

بمقدم الأخطل على عبد الملك فأنتسده لقد أوقع الجعاف البيتين . . . وروي من غير هذا  
الوجه ان عبد الملك دخل عليه الجعاف بن حكيم السلمي فقال عبد الملك أترى هذا  
يا أخطل قال ومن هو قال الجعاف فقال الأخطل ألا سائل الجعاف البيتين حتى فرغ  
من القصيدة وكان الجعاف يأكل رطباً فجعل النوى يتساقط من يده غيضاً فأجابه فقال

بل سوف نبيكم بكل مهند      ونبي عميرا بالرمح الشواجر

ثم قال يا ابن النصرانية ما خلفتلك تجترى على هذا ولو كذت مأسوراً لك لحم  
الأخطل خوفاً فقال عبد الملك أنا جار لك منه فقال يا أمير المؤمنين هبك أجرتنى

يريد إني كنت بالشام وسويل لا يكاد يرى هناك وهذا بيت معين وفيها يقول  
 ونحن أناسٌ لا نَمَوْدُ خَيْلَنَا      إذا ما التقينا أن تَحِيدَ وتنفرا  
 ونشكرُ يومَ الرُّوعِ ألوانَ خَيْلِنَا      من الطَّمَنِ حتى نَحْسِبَ الجونَ حمراً  
 وليسَ بَمَعْرُوفٍ لنا أن نَرُدَّهَا      صحاحاً ولا مُسْتَنَكراً أن نَعْمَرَهَا

أخبرنا المرزباني قال أنشدنا علي بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد بن يحيى قال  
 أنشدنا محمد بن سلام وغيره للنايفة الجمدي

تَلومُ علي هَلِكَ البَعيرِ ظَمِئَتِي      وكنتُ على لَومِ العَوادِلِ زَارِيَا  
 أَلَمْ تَلْمِي أُنِي رَزَزْتُ عَارِبَا      فما لكِ مِنْهُ اليَوْمَ شَيْثًا وَلَا لِيَا  
 وَمَنْ قَبْلَهُ مَا قَدَّرُزْتُ بُوْحُوحَ      وكانَ ابنُ أُمِّي والخَليلِ المُصافِيَا  
 فَتَى كَمَلْتُ اخْلَافَهُ غَيْرَ أَنَّهُ      جَوَادُ فَمَا يُبْقِي مِنَ المَالِ بَاقِيَا

منه في البقعة فمن يجزئني منه في اليوم ثم قام الجحاف وشي بجر توبه وهو لا يعقل حتى  
 دخل بيتاً من بيوت الهديوان فقال للكتاب اعطني طوماراً من طومير العمود فأناه  
 بطومار وليس فيه كتاب فخرج الى أهله من القيسية فقال ان أمير المؤمنين ولأبي  
 صدقات بكر وتغلب فلحقه زهاء ألف فارس فسار حتى أتى الرصافة ثم قال لمن معه  
 ان الأخطل قد أسعق ما علمتم ولست بوال فمن أحب أن يفسد عنه العار فليصحبني  
 فاني قد آليت ان لا أغسل رأسي حتى أوقع بيني تغلب فرجموا غير الثلاثمائة فسار ليلته  
 فصبح الرحوب وهو ماء لبني جشم بن بكر رهط الأخطل فصادف عليه جماعة كثيرة  
 من تغلب فقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ الأخطل وعليه عبادة وسخعة فظنوه عبداً  
 وسئل فقال أنا عبد فضلوا سيبله فخشى أن يراه من يعرفه فرمى بنفسه في جب فلم  
 يزل فيه حتى انصرفت القيسية فدجا وقتل أبوه غوث وأسرف الجحاف في القتل  
 وشق البطون عن الأجنة وفعل أسراً عظيماً فقدم الأخطل على عبد الملك وأنشده  
 لقد أوقع الجحاف النح

فَتِي كَانَ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ      عَلِيٌّ أَنْ فِيهِ مَا يَسُوهُ الْأَعَادِيَا

و يروى فتي تم فيه ما يسر

أَشْمُ طَوِيلُ السَّاعِدِينَ مَمِيدُخُ      إِذَا لَمْ يَرُخْ لِلْجَدِيدِ صَبِيحُ غَادِيَا

السبيدع - السبد • • • وما يروى له أيضاً

عَصِيَّةٌ أَوْ مِنْ هَلَالِ بْنِ عَامِرٍ      بَدِي الرَّمْتِ مِنْ وَادِي الْمِيَاوِخِيَامِيَا

إِذَا أَبْتَسَمَتْ فِي اللَّيْلِ وَاللَّيْلُ دُونَهَا      أَضَاءَ دُجْحِي اللَّيْلِ الْبِهَمِ أَبْتِسَامِيَا

وذكر الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال - سئل الفرزدق بن غالب عن الجمعي فقال صاحب خلفان يكون عنده حمار فواف بألف دينار ومطرف بدينار • • • قال الأصمعي وصدق الفرزدق بينا النابغة في كلام أهل من الزلال وأشد من الصخر إذ لان فذهب ثم أشد له

سَمَّا لَكَ هَمٌّ وَلَمْ تَطْرَبِ      وَبِتَّ يَتِّ وَلَمْ تَنْصَبِ

وَقَاتِ سَائِي أَرَى رَأْسَهُ      كَنَاصِيَةَ الْفَرَسِ الْأَشْبِ

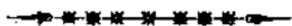
وَدَلَّكَ مِنْ دَفْعَاتِ الْمَنُونِ      قَفِيئِي إِلَيْكَ وَلَا تَعْجِبِي

أَتَيْنَ عَلِيَّ إِخْوَةَ سَبْعَةٍ      وَعَدَنَ عَلِيٌّ رُبْعَ الْأَقْرَبِ

ثم يقول بعدها

فَأَدْخَلَكَ اللَّهُ بَرْدَ الْجَنَانِ      نِجْدَلَانَ فِي مَدْخَلِ طَيْبِ

فلان كلامه حتى لو أن أبا الشعمق قال هذا كان ردياً ضيقاً • • • قال الأصمعي وطريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لأن الأثرى إلى حسان بن ثابت كان عليه في الجاهلية والاسلام فلما أدخل شعره في باب الخير من مرثي النبي عليه الصلاة والسلام وحمزة وجعفر وغيره لأن شعره



### مجلس آخر ١٩

مسألة تتعلق بما ذكرناه ان سأل سائل فقال كيف يصح ما أوردتموه من تطاول الأعمار وامتدادها وقد علمت ان كثيراً من الناس يشكر ذلك ويجهل به ويقول انه لاقدرة عليه ولا سبيل اليه وفيهم من ينزل من انكاره درجة فيقول انه وان كان جازاً من طريق القدرة والأمكن فانه بما يقطع على انتفائه لكونه خارقاً للعادات وان العادات اذا وثق الدليل بانها لا تخرق إلا على سبيل الابانة والدلالة على صدق بي من الأبياء علم ان جميع ما روي من زيادة الأعمار على العادة باطل . مصنوع لا يلتفت الى مثله . الجواب قيل له أما من أبطل تطاول الأعمار من حيث الإحالة وأخرجه من باب الامكان فقوله ظاهر الفساد لانه لو علم ما العمر في الحقيقة وما المقضي لدوامه اذا دام واقطاعه اذا اقطع علم من جواز امتداده ما علمنا والعمر هو استمرار كون من يجوز أن يكون حياً وغير حي حياً وان شئت أن تقول هو استمرار الحي الذي لكونه على هذه الصفات ابتداء حياً وانما شرطنا الاستمرار لانه يتعذر أن يوصف من كان حاله واحدة حياً بان له عمراً بل لا بد من أن يراعوا في ذلك ضرباً من الامتداد والاستمرار وان قل وشرطنا أن يكون ممن يجوز أن يكون غير حي أو يكون لكونه حياً ابتداء لثلاث يلزم عليه القديم تعالى لانه تعالى جات عظمته من لا يوه له بالعمر وان استركونه حياً وقد علمنا ان المختص بفعل الحياة هو القديم تعالى وفيها محتاج اليه الحياة من البنية والمعاني ما يختص به عز وجل ولا يدخل إلا تحت مقدوره كالمطلوبه وما يجري مجراها ففي فعل القديم تعالى الحياة وما يحتاج اليه من البنية وهي بما يجوز عليه البقاء وكذلك ما يحتاج اليه فليست تنق إلا بضد يطرأ عليها أو بضد ينق ما يحتاج اليه والأقوى انه لا ضد لها في الحقيقة وانما ادعى قوم بأنه لا يحتاج اليه ولو كان للحياة على الحقيقة لم تحل بما قصدناه في هذا الباب فهما لم يفعل القديم تعالى ضدها أو ضد ما يحتاج اليه ولا نقض متناقض بنية الحي استمرار كون الحي حياً ولو كانت الحياة لا تبقى على مذهب من رأى ذلك لكان ما قصدناه صحيحاً لانه تعالى قادر على أن يضمها حالاً خالاً ويوالي

بين فعلها وفعل ما يحتاج اليه فيستمر كون الحمي حياً فأما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلو السن وتناقص بنية الانسان فليس مما لا يد منه وانما أجرى الله تعالى العادة بان يضم ذلك عند تطاول الزمان ولا إيجاب هناك ولا تأثير لزمان على وجهه من الوجوه وهو تعالى قادرٌ على أن يفعل ما أجرى العادة بفعله اذا ثبتت هذه الجملة ثبت ان تطاول العمر يمكن غير مستحيل وانما أتى من أحال ذلك من حيث اعتقد ان استمرار كون الحمي حياً موجب على طبيعة وقوة لما مبلغ من المادة متى انتهت اليه انقطعنا واستحال أن تدوم ولو أضافوا ذلك الي فاعلٍ مختارٍ متصرفٍ يخرج عندهم من باب الإحالة . . فأما الكلام في دخول ذلك في العادة وخروجه عنها فلاشك فان العادة قد جرت في الأعمار بأقدار متفاوتة تعد الزيادة عليها خارقاً للعادة إلا أنه قد ثبت ان العادة قد تختلف في الأوقات وفي الأماكن أيضاً ويجب أن يراعى في العادة اضافتها الي من هي عادة له في المكان والوقت وليس يتمتع أن يقل ما كانت العادة جارية به على تدرج حتى يصير حدوثه خارقاً للعادة بغير خلاف وأن يكثر الخارق للعادة حتى يصير حدوثه غير خارق لها على خلاف فيه واذا صح ذلك لم يتمتع أن تكون العادات في الزمان الغابر كانت جارية بتطاول الأعمار وامتدادها ثم تناقص ذلك على تدرج ثم صارت عادتنا الآن جارية بخلافه وصار ما يبلغ مبلغ تلك الأعمار خارقاً للعادة وهذه جملة فيما أردناه كافية



### ❦ باب في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي تسميها قوم المسكنة ❦

اعلم ان أجوبة المحاوره والنباطرة انما تستحسن وتؤثر اذا جمعت مع الصواب بسرعة الحضور فكم من جواب أتى بعد لأيٍ وبعد تعاس لم يكن له في النفوس موقع ولا حلٌ من القلوب محل الحاضر السريع وان كان المتشاكل أعرق في نسب الاصابة وآخذ بأطراف الحجية ولهذا قيل أحسن الناس جواباً وأحضرهم قرين ثم العرب وان الموالي تأتي أجوبتها بعد فكرة وروية . . وقد مدح الجواب الحاضر بكل لسان فقال سحر العبدى معاوية بن أبي سفيان وقد سأله عن البلاغة فقال أن يصيب فلا يخطئ. ويسرع

فلا يبطن ثم اختصر ذلك فقال لا يخطئ ولا يبطن. ولطول الفكرة والاهراق في الروية مذهب وأوان لا يحمد فيها التسرع والتعجل كما لا يحمد في أوان السرعة التناقل والتأيد وأما تحمد السرعة في أجوبة المحاور والمناظرة ويزاد الفكرة والروية للآراء المستخرجة والأمور المستنبطة التي على الانسان فيها مهلة وله في تأملها فسحة ولا عيب عليه معها في اطالة التأمل واعادة التصفح ولهذا قال الأحنف بصفين أغبوا الرأي فان ذلك يكشف لكم عن محضه. وقال عبد الله بن وهب الراسي لما أراد الخوارج على الكلام حين عقدوا له لاخير في الرأي الفطير والكلام الفصيح. وشوور ابن التوام الرقائبي فأمسك عن الجواب وقال ما أحب الخبز إلا باثنا. فأما قولهم ثلاث يعرفن في الأشحق سرعة الجواب وكثرة الالتفات والثقة بكل أحد فعمول على اسراعه بالجواب عند الرأي والمشاورة والأحوال التي يستحب فيها التأيد والتثبت أو على الاسراع من غير تحصيل ولا ضبط وذلك مذموم لا إشكال فيه ثم يعود الى ما قصدناه. روى ان بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم سأته متى يعرف الانسان ربه فقال اذا صرف نفسه. وقال له عليه الصلاة والسلام رجل إنى أكره الموت فقال أنك مال قال نعم قال فقدمت لك فان قلب كل امرء عند ماله. وقال يهودى لأمر المؤمنين عليه السلام ما فتمت نبيكم حتى اختلفتم فيه فقال عليه السلام انما اختلفنا عنه لافيه ولكنكم ماجفت أقدامكم من البحر حتى قائم لنيكم اجمل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون. وروى له عليه السلام ما فرغ من دفن النبي صلى الله عليه وسلم سأل عن خبر السقينة فقيل له إن الأنصار قالت منّا أمير ومنكم أمير فقال عليه السلام فهل لاذكرت الأنصار قول النبي صلى الله عليه وسلم تقبل من محسنهم ونجاوز عن مديتهم فكيف يكون الأمر فيهم والنوصاء بهم. وقال له عليه السلام ابن الكواثر يا أمير المؤمنين كم بين السماء والأرض قال دعوة مستجابة. وقيل له ما طعم الماء فقال طعم الحياة. وقيل له كم بين المشرق والمغرب قال مسير يوم للشمس. وأثنى عليه رجل وكان متهما فقال أما دون ما تقول وفوق ما في نفسك. وكان عليه السلام اذا طراه رجل قال اللهم أنك أعلم بي منه وأنا أعلم منه بنفسى فانظر لي ما لا يعلم. أخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال حدثني

عبد الواحد بن محمد الحميني قال حدثني أبو علي أحمد بن اسماعيل قال حدثني أيوب ابن الحسين الهاشمي قال قدم علي الرشيد رجل من الأنصار يقال له نفيح وكان عريضاً قال فحضر باب الرشيد يوماً ومعه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وحضر موسى بن جعفر عليه السلام على حمار له فلتقاه الحاجب بالبشر والاكرام وأعظمه من كان هناك ومجبل له الاذن فقال نفيح لعبد العزيز من هذا الشيخ فقال أو ما تعرفه قال لا قال هذا شيخ آل أبي طالب هذا موسى بن جعفر فقال ما رأيت أعجز من هؤلاء القوم يضعون هذا برجل يقدر أن يزيلهم عن السرير إنما لن يخرج لأسوأه فقال له عبد العزيز لا تفعل فان هؤلاء أهل بيت قل ما تعرض لهم أحد في خطاب إلا وسموه بالجواب سمة يبتى عارها عليه مدى الدهر قال فخرج موسى بن جعفر عليه السلام فقام اليه نفيح الأنصاري فأخذ بلجام حماره ثم قال له من أنت قال يا هذا ان كنت تريد النسب فأنا ابن محمد حبيب الله بن اسمعيل ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وان كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله على المسلمين وعليك ان كنت منهم الحج اليه وان كنت تريد المفاخرة فوالله ما رضى مشركوا قومي مسلمي قومك أ كفة لهم حتى قالوا يا محمد اخرج الينا أ كفاءنا من قريش وان كنت تريد الصيت والاسم فمحن الذين أمر الله تعالى بالصلاة علينا في الصلوة الفرائض بقول اللهم صل على محمد وآل محمد ونحن آل محمد دخل عن الحمار قال نظني عنه ويده ترنعد وانصرف بخزي فقال له عبد العزيز ألم أقل لك .. ويقال ان معاوية استشار الأحنف بن قيس في عقد البيعة لابنه يزيد فقال له أنت أعلم بابله ونهاره .. وقال أحمد بن يوسف لأبي يعقوب الخزيمي مدحك محمد بن منصور أجود من مرانك فيه فقال كنا نعمل للرجاء واليوم للوفاء وبينهما بون .. ودخل مطيع بن إياس على الهادي في حياة المهدي فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقيل له مه فقال بعد أمير المؤمنين .. وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب وكان جيد الجواب حاضره فقال أما خصير لك من أخيك فقال عقيل ان أخي آثر دينه على دنياه وانك آثرت دنياك على دينك فأخي خير لنفسه منك وأنت خير لي منه .. وقال له يوماً ان فيكم لشبقةً يا بني هاشم فقال هو منأ في الرجال ومنكم في النساء .. وقال له

يوماً وقد دخل عليه هذا عقيل معه أبو لُهب فقال عقيل هذا معاوية عمته حاملة الجلب  
ومعاوية أمُكُورُ بن أمية وكانت امرأة أبي لُهب ٠٠ وقال له يوماً يا أبا  
يزيد ابن تری عمك أبا لُهب فقال له عقيل اذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجده مفترساً  
عنتك فانظر أيهما أسوأ حالاً الناكح أم المنكوح ٠٠ وقال له ليلة الحرير بصفين يا أبا  
يزيد أنت معنا الليلة قال ويوم بدر كنت معكم ٠٠ وقيل لسعيد بن المسيب وقد كُفِّتْ  
ألا تفرح عينك قال حتى أقتحها على من ٠٠ ودخل معن بن زائدة على المنصور فقال  
له كبرت يا معن قال في طاعتك قال وانك لتتجدد قال على أعدائك قال وان فيك لبقية  
قال هي لك ٠٠ وقال عبيد الله بن زياد لمسلي بن عتيل والله لأقتلنك قتلة يتحدث بها  
بمدك فقال مسلي أشهد انك لا تدع سوء القتلة ولو لم تغدرة لأولى بهما منك ٠٠ وقال  
رجل لعمرو بن العاص لا تفرغ عنك قال اذا وقعت في الشغل ٠٠ وقال معاوية لعمرو  
ابن سعيد بن العاص الملقب بالأنشدق الى من أوصى بك أبوك فقال ان أبي أوصى الى  
ولم يوص لي ٠٠ وقال عبيد الله بن زياد بن ظبيان لابنه وقد حضرته الوفاة قد أوصيت  
بك فلاناً فانه بعدى فقال يا أبت اذا لم يكن لاحي الا وصية الميت فالحي هو الميت ٠٠  
وقال الوليد بن يزيد لابن الرقاع العاملي أنشدني بعض قولك في الحر فأنشدني  
كُميت إذا شجيت وفي الكأس ورزدة لها في عظام الشارين ذيب

فقال له شربها ورب الكعبة فقال ابن الرقاع لئن كان نعتي لها بذلك رابك لقد رابني  
معرفتك بها ٠٠ ولما أتى معاوية نبي الحسن بن عليّ عليهما السلام بعث الى ابن عباس  
وهو لا يعلم الخبر فقال ما جاءك خبر من المدينة قال لا قال أنا نبي الحسن وأطهر سروراً  
فقال ابن عباس اذا لانسأ ولا يسد حفرتك قال أحسبه قد ترك صبية صفاراً قال كلنا  
كان صفراً وكبر قال وأحسبه قد بلغ سنأ قال مثل مولده لا يجهل قال معاوية وقال  
قائل انك أصبحت سيد قومك قال أما وأبو عبد الله الحسين بن عليّ هي فلا فلما كان  
من غدر أبي يزيد بن معاوية ابن عباس وهو في المسجد يعزى مجلس بين يديه جلسة  
المعزى وأطهر حزناً وغماً فلما انصرف اتبعه ابن عباس بصره وقال اذا ذهب آل حرب

ذهب حلم قريش .. وروى ان وفوداً دخلت على عمر بن عبد العزيز فأراد فتي منهم الكلام فقال عمر ليتكلم أكبركم فقال الفتي ان قريشاً ل ترى فيها من هو أبن منك فقال له تكلم يا فتي .. روى محمد بن سلام الجمحي قال أنشد كثير عبد الملك بن مروان شعراً

على ابن أبي العاصي دِلاصُ حصينةُ      أجادُ المسدي أسجها فأذالها

فقال له هلاً قلت كما قال الأعشى،

وإذا تكونُ كتيبةٌ ملومةٌ      شهباءُ يحشي الذائدونُ نهالها

كنتَ المقدمَ غيرَ لأبسِ جنةٍ      بالسيفِ تضربُ ملماً أبطالها

فقال له انه وصفه بالخرق ووصفتك بالحزم .. ويشبه ذلك ما روى عن أبي عمرو بن

العلاء انه لقي ذا الرمة فقال أنشدني قصيدتك

ما بال عينيك منها الدمعُ ينسكبُ      كأنه من كلى مفرجةٍ سربُ

فأنشده لإياها فلما بلغ الى قوله

نصني إذا شدها بالكورِ جائحةً      حتى إذا ما استوى في غرزها تيبُ

فقال له عمرو بن العلاء قول الراعي أحسن مما قلت

تراها إذا قامَ في غرزها      كمثل السفينةِ أو أوقرُ

ولا تُعجلُ المرءَ عندَ النزو      ليوهنُ برُكبتِهِ أبصرُ

فقال ذو الرمة ان الراعي وصف ناقه ملك وأنا وصفت ناقه سوقه .. وحكي الصولي

انه سمع ذا الرمة يشد بيته الذي حكيتاه فقال سقط واقه الرجل فأما الفرز فهو للناقه

مثل الركاب للدابة وهو لسع مضمور .. وقوله - نصني - يريد تميل رأسها كأنها تسمع

ليست بمنفور بل مؤدبة مقومة - والكور - الرجل .. وقد أخذ هذا المعنى أبو نواس

فأحسن نهاية الاحسان فقال بصف الناقه في مدحه للخصيب بن عبد الحميد

فَكَأَنَّهَا مُصْنَعٌ لِلسُّمَيْعَةِ بَعْضَ الْحَدِيثِ بِإِذْنِهِ وَقُرْ

فلم يرض بان وصفها بالاصغاء حتى وصفها بالورق وهو الثفل في الأذن لان الثفل السمع يكون اصغاره وميله الى جهة الحديث أشد واكثر ٠٠ [قال المرتضى] رضى الله عنه وانى لأستحسن القصيدة التى من جملتها البيت الذى أوردناه لأبى نواس لانها دون العشرين بيتاً وقد نسب في أولها ثم وصف النافذة بأحسن وصف ثم مدح الرجل الذى قصد مدحه واقتضاه حاجته كل ذلك بطبع يتدفق ورواق يتفرق وسهولة مع جزالة والقصيدة

يا مئة أمتها السكر ما يتقضي مني لها الشكر  
أعطتكَ فوق ذلك من قبل قد كنت قبل مرأها وعز  
يمنى اليك بها سؤالها زشاً صناعة عينه السجر  
ظالت حمياً الكأس تدرنا حتى تهت بيننا السر  
في مجلس ضحك السرور به عن ناجذيه وحلت الخمر

٠٠ أما قوله - حلت الخمر - فيحتمل أن يريد به ان ما وصفه من طيب الموضع وتكامل السرور به وحضور المأول فيه صار مقتضياً لشرب الخمر وملجئاً الى تناولها ورافعاً للحرج فيها على مذهب المشركاء فى المبالغة ويكون فائدة وصفها بأنها حلت المبالغة فى وصف الحل بالحسن والطيب ٠٠ ويحتمل أن يكون عقد على نفسه وآلى ألا يتناول الخمر إلا بعد الاجتماع مع محبوبه وكان الاجتماع معه مخرجاً عن بينه على مذهب العرب فى تحريم الخمر على نفوسهم الى أن يأخذوا بشأهم ويجرى ذلك مجرى قول الشنفرى  
حدث الخمر وكانت حراماً وبإي ما آلت تحل<sup>(١)</sup>

(١) نسبة القصيدة التى منها هذا البيت الى الشنفرى وأنه روى بها خاله تأبط شراً غير صحيحة لأن الشنفرى مات قبل تأبط شراً ورواه تأبط شراً بأبيات مشهورة وعن رواها أبو الفرج الأصبهاني وابن الأنباري وأولها

•• ويحتمل ان يريد بملت ثزلت وأقامت من الحلول الذي هو المقام لا من الحلول فكأنه وصف بلوغ جميع آراهه وحضور فنون لذاته وانها تكاملت بحلول الحمر التي فيها جميع الابدات وهذا الوجه وان لم يشر اليه أحدهم من تقدم في تفسير هذا البيت قلنول يحتمله ولا مانع من أن يكون مراداً وقد قيل انه أراد استحلتنا الحمر لسكرنا وفقدنا العقول التي كنا نمتنع لها من الحرام والوجوه المقدمة أشبه وأقرب الى الصواب والله أعلم

ولقد تجوب بي الفلاة إذا صام النهار وقالت المعر

أراد بصام - وقف وذلك وصف له بالامتداد والعلو - والعفر - الظباء الاواني في اوانها حمرة يخالطها كدرة - وقالت - من الفائلة وهي وقت نصف النهار لا من النزول

شدنية زعت الحما فأتت مليء الجبال كأنها قصر

- الشدنية - من الابل منسوبة الى شدن موضع باليمن يقال لبدك ذو شدن

تثنى على الحاذين ذا خصل تعماله الشذوان والخطر

- الحاذ - مؤخر الفخذ - والشذوان - رفع الناقة ذهابا من المرح - والخطر ان - معروف من الخطر يخمار - وتعمله - أي عمله

أما إذا رفعت شامدة فتقول رلق فوقها نسر

يعنى - بشامدة - أي مبالغة في رفع ذنبا ويقال - رلق - الطير اذا لشر جناحيه طائراً من غير تحريك

أما إذا وضعت خافضة فتقول أرخى ذونها ستر

وتسيف أحياناً فتحسبها مترسماً يقتاده أثر

معنى - تسيف - أي تدي رأسها من الأرض - والترسم - متبع الرسم ومتأمله ومعنى - يقتاده - أي هو معنى يطلب الأثر وكل يتبعه •• ويقال أثر وأثر وإثر ثلاث لغات

على الشنفرى صوب القمام ورائح غزير الكلى وصيب الماء باكر

ولأن تأبط شرأ ليس بخال للشنفرى

وقد وهم الصولي في تفسير هذا البيت لأنه قال ان أبا نواس جمع لأثر آثاراً ثم جمع الآثار أثاراً ثم خفف فقال إثر وليس يحتاج الى ما ذكره مع ما أوردناه وانما ذهب عليه أنه يقال في الأثر إثر

|                           |                       |
|---------------------------|-----------------------|
| فإذ أخصرت لها الزمام ستما | فوق المقادير ملطمة حر |
| فكانها مصنع لتسمة         | بعض الحديث بأذنه وقر  |
| تبري لأنقاض أضربها        | جذب البرى فخذوذها صفر |

معنى - تبرى - تبرى أى امرض هذه الاغاض - والانقاض - جمع فض وهو البعير الذى قد أهزله السفر والكدم - البرى - جمع برة وهى الحلقة التى تكون فى أنف البعير يذل فيها

|                        |                        |
|------------------------|------------------------|
| يرمي اليك بها بنو أملى | عتبوا فأعتبهم بك الدهر |
| أنت الحبيب وهذبه صبر   | فتذقنا فكلنا كما يجز   |
| لا تمعداني عن مدى أملى | شيئا فى لخباء به عذر   |
| ويحى لي إذ صيرت بينكما | أن لا يحل بساحتى فتر   |



### مجلس آخر ٢٠

ثم نعود الى ما كنا آخذين فيه من ذكر مستحسن الجوابات ٥٥ روى أن رجلا نظر الى كثير الشاعر وهو راكب وأبو جعفر محمد بن على عليهما السلام يمضي فقيل له أركب وأبو جعفر يمضي فدل هو أمرنى بذلك وأنا بطاعته فى الركوب أفضل منى فى عصياني إياه بالمتى ٥٥ وروى ان دعاه خراسان صاروا الى أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقالوا له أردنا ولد محمد بن على فقال أولئك بالسراة ولست بصاحبكم فقالوا لو

أراد الله بنا خيراً كنت صاحبنا فقال المنصور بعد ذلك لأبي عبد الله أردت الخروج علينا فقال نحن نذل عابكم في دولة غيركم فكيف نخرج عليكم في دوائكم .. وقال عبد الملك بن مروان لتصيب هل لك في الشراب فقال له نصيب الشعر مغامل واللون مرمد وإنما قرخي اليك عقلي فبه لي .. وقال مروان بن محمد الملقب بالحمار لحاجبه وقد ولي منزماً كر عليهم باليسف فقال لاطاقة لي بذلك فقال والله لئن لم تفعل لأسوءك فقال وددت أنك تغسدر على ذلك .. وقال يحيى بن خالد لشريك علمنا بما عدك الله يا أبا عبد الله فقال له شريك إذا علمت بما تعلمون علمناكم ما تجهلون .. وقال المأمون لمحمد بن عمران بلغني أنك بجيل فقال ما أجد في حق ولا أدوب في باطل .. وقيل لأبي دؤاد الأيادي ونظر إلى بنته تسوس فرسه أهنها يا أبا دؤاد فقال أهنها بكراة في كما أكرمها بهواني .. ومثل ذلك قول امرأتي لحقه ذلك على باب السلطان

أهين لهم نفسي لأكرمها بهم      ولن تكريم النفس التي لا تمينها

ودخل عمارة بن حمزة على المنصور فجلس مجلسه الذي كان يجلس فيه فقام رجل فقال مظلوم يا أمير المؤمنين فقال من ظلمك فقال عمارة غضبني ضيعتي فقال المنصور قم يا عمارة فاقعد مع خصمك فقال عمارة ما هو لي بخضم فقال له كيف قال ان كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها وان كانت لي فهي له ولا أقوم من مجلس شرفي به أمير المؤمنين لأقعد في أدنى منه بسبب ضيعة .. وقال هشام بن عبد الملك لرجل في الكعبة سئني حاجتك فقال لا أسأل في بيت الله غير الله .. وهرب سليمان بن عبد الملك من الطاعون فقيل له ان الله تعالى يقول ( قل ان ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تتمعون إلا قليلاً ) فقال ذلك القليل نطلب .. وقيل ان الجعد بن درهم جعل في قارورة تراباً وماء فاستحال دوداً وهو ماء وقال لأصحابه إني خلقت ذلك لاني كنت سبب كونه فباع ذلك جعفر بن محمد عليه السلام فقال ليقبل له كم هو وكم الذكر ان منسه والأثبات ان كان خاقه وكم وزن كل واحدة منه وليأمر التي تسمى الى هذا الوجه أن ترجع الى غيره فاطلق وهرب .. وقال المأمون للفضل بن سهل إني أخاف عليك أقواماً يعادونك فلا تركب الي إلا في جيش فقال الفضل ما أخاف غيرك فان أمتني

من نكسك لم يضرفي انسان ٥٥ وقيل لأبي ثور ما تقول في حماد بن زيد بن درهم وحماد  
 ابن سعدة بن دينار فقال بينهما في العلم كقيمة ما بين أبويهما من الصرف ٥٥ وأراد  
 المأمون تعجيل السواد وجلس يناظر العمال على ذلك فقام إليه رجل من الدهاقين  
 فقال يا أمير المؤمنين ان الله ولاك علينا بالأمانة فلا تقبلنا فأضرب عن ذلك ٥٥ وقال  
 رجل لابن عباس زوجني فإلانة وكانت بتيمة في حجره فقال لا أرضاعها لك لأنها تتشرف  
 فقال الرجل قد رضيت أنا فقال ابن عباس الآن لا أرضاك لها ٥٥ ويشبه هذا الخبر  
 من وجه ما رواه الله تعالى قال أرسل عمر بن عبد العزيز رجلاً من أهل الشام وأمره  
 أن يجمع بين إياس بن معاوية المرسي وبين القاسم بن ربيعة الجوشقي من بني عبد الله  
 ابن عطفان فيوي القضاء أخذها فقدم الرجل البصرة فجمع بينهما فدل إياس للشامي  
 أيها الرجل سل عني وعن القاسم فقبهي المصير الحسن وابن سيرين فن أشارا عليك  
 بتوليتة فواله وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين ولم يكن إياس يأتيهما فعلم القاسم أنه  
 ان سألهما أشارا به فقال للشامي لا تسأل عني ولا عنه فوالذي لا إله إلا هو ان إياساً  
 أفضل مني وأقرب وأعلم بالقضاء من كنت عندك من يصدق له ليدي لك أن تقبل مني  
 وان كنت كاذباً فما يحل لك أن توليني وأنا كاذب فقال إياس للشامي أنك جئت برجل  
 فأقنته على شفير جهنم فأقنني نفسه من النار أن تعرفه فيها بين حادها كذب فيها يستغفر  
 الله منها ويخوف عما يخوف فقال الشامي أما إذ فطنت لهذا فاني أوليك فاستقضاء (١) ٥٥  
 ولما أمضى معاويةبيعة ولده يزيد جعل الناس بقرظونه فقال يزيد لأبيه ما ندرى

(١) قوله فاستقضاء وفي غير الأصل بعد ان استقضاء فلم يزل على القضاء مدة ثم هرب  
 ولما ولي القضاء دخل عليه الحسن البصري فبكي إياس وقال بأبا سعيد بلغني ان القضاء  
 ثلاثة رجل مال به الهوى فهو في النار ورجل اجتهد فأخطأ فهو في النار ورجل اجتهد  
 فأصاب فهو في الجنة فقال الحسن ان فيما قضى الله تعالى في النبي داود ما يرد قول  
 مولاي ثم قرأ قوله تعالى (فمنهاها ساجدان وكلاً آتينا حكماً وعلماً) فحمد ساجدان ولم  
 يذم داود

أخذع الناس أم يخذعوننا فقال يابن من خدعته فتخادع لك ليخدعك فقد خدعته  
 •• وسمع عبد الملك بن مروان ليلة قبض وهو يجود بنفسه وقد سمع صوت قصار يقول  
 باليتي كنت غيلاً أعيش بما أكسب يوماً بيوم فبلغ ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذي  
 جعلهم عند الموت يتون ما نحن فيه •• وقال الواثق للجاحظ يامانوي فقال لو كان  
 الذي أسفنتني إليه عبدك ما قدرت على بيعه لكثرة عبوه فكيف أكون على دينه ••  
 وقال ابن عباس للخوارج وقد أرسله أمير المؤمنين إليهم تشدكم الله أيما أعلم بالتأويل  
 والتزييل على أم أتم فقالوا على فقال أليس تدرول لعل الذي حكتم به فيكم بفضل علمه  
 على ما لا تعلمون فرجع أكثرهم •• وقال عتبية بن أبي سفيان لعبد الله بن عباس  
 ما منع علي بن أبي طالب أن يملك أحد الحككين فقال أما والله لو بعثني لا عرضت  
 مدارج أنفاسه أطير ادا أسف<sup>(١)</sup> وأسف اذا طار ولعقدت له عقداً لا تنتقض مبررته  
 ولا يدرك طرفاه ولكنه سبق قدر<sup>٢</sup> ومضى أجل والآخرة خير لأمر المؤمنين من  
 الدنيا •• وقال أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام لكثير امتدحت عبد الملك بن  
 مروان فقال له لم أقل له يا امام الهدى انما قلت يا شجاع وشجاع حية ويا أسد والأسد  
 كلب وباعث والغيث موات فتبسم أبو جعفر عليه السلام •• وقالت بنت عبد الله بن  
 مطيع لزوجها يحيى بن طلحة ما رأيت ألام من أمهاتك اذا أسبرت لزموك واذا أعسرت  
 تركوك فقال هذا من كرمهم بأنولنا في حال القوة منا عليهم ويفارقوننا في حال الضعف  
 منا عنهم •• وقيل لابراهيم النخعي متى جئت قال حيث احتيج الي •• وروى رجل  
 يصلي صلاة خفيفة فقال له ما هذه الصلاة فقال صلاة ليس فيها رياء •• وأخبرنا أبو  
 عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن أبي الأثر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي  
 قال تزعم الرواة ان قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند أفضى الى أنثى لم ير مثله والآت لم  
 يسمع بمثله فأراد أن يرى الناس عظم ما فتح ويعرفهم اقدار القوم الذين ظهر عليهم  
 فأمر بدار ففرشت وفي صحنها قدور يرتقى اليها بسلايم واذا الحصين بن المنذر بن الحارث

(١) قوله أطير ادا أسف يقال أسف الطائر اذا دان من الأرض في طيرانه وقيل طار

على الأرض دانياً منها حتى كادت رجلاه يصلانها

ابن وعله الرقائمي قد أقبل والناس جلوس على مراتبهم والحصين شيخ كبير فلما رآه  
عبدالله بن مسلم أخو قتيبة قال لفتية أتأذن لي في معانته قال لا ترده فانه خبيث الجواب  
فأبى عبد الله إلا أن يأذن له وكان عبد الله يضعف وكان قد تسوّر حائطاً الى امرأة  
قبل ذلك فأقبل على الحصين وقال أمن الباب دخلت يا أبا ساسان فقال أجل أسن عمك  
عن تسوّر الحيطان قال رأيت هذه القدور قال هي أعظم من أن لا ترى قال ما أحسب  
بكر بن وائل رأى مثلها قال أجل ولا عيلان ولو رآها سمي شبعان ولم يسم عيلان  
فقال له يا أبا ساسان أنعرف الذي يقول

عزّلنا وأمراً وبكر بن وائل  
تجرّ خصاها تبتغي من تحالف

قال أعرفه وأعرف الذي يقول

وخيبة من يجيب علي غي  
وباهة بن يعصروا الرّباب

قال أتعرف الذي يقول

كأن فقاخ الأزدي حول بن مسمع  
وقد عرفت أفواه بكر بن وائل

قال أعرفه وأعرف الذي يقول

فتموم قتيبة أمهم وأبوهم  
لولا قتيبة أصبجوا في مجهل

قال أما الشعر فأراك ترويه ولكن هل قرأ من القرآن شيئاً قال نعم أقرأ منه الكثير  
الطيب (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) فأغضبه فقال  
والله لقد بلغني ان امرأة الحصين حملت وهي حلي من غيره قال فما تحرك الشيخ من  
هيبته الأولى ثم قال على رسلك وما يكون نهد غلاماً على فراسي فيقال ابن الحصين كما  
يقال عبد الله بن مسلم فأقبل قتيبة على عبد الله فقال لا يبعد الله غيرك .. واني شريك  
الغري رجلا من بني تميم فقال له التميمي بعجبي من الجوارح البازي فقال له شريك  
وخاصة اذا صاد النفا أراد التميمي بقول البازي قول جرير

أنا البازي المطل على نبي  
أتبع من السماء له أنصباها

وأراد شريك بقوله إذا صاد القطا قول الطرماح  
 تيمم بطرق اللوم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت  
 . . وسائر شريك النخري عمر بن هبيرة الفزاري على بغلة تجاوزت بغائه برذون عمر فقال  
 له عمر اغضض من لجامها فقال شريك انها مكتوبة فقال عمر ما أردت ذلك قال شريك  
 ولا أنا أردته ظن . . شريك ان عمر أراد بقوله اغضض من لجامها قول جرير  
 فمض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً<sup>(١)</sup>  
 وعنى شريك بقوله مكتوبة قوله

لا تأمنن فزارباً خلوت به علي قلوبك وأكتبها بأسيار<sup>(٢)</sup>  
 يعنى - باكتها - شدها . . وأشد أبو تمام اللطائي أحمد بن المعتصم قصيدته السينية التي  
 يمدح فيها فلما بلغ الى قوله

في حلم أحنف في شجاعة عامر في جود حاتم في ذكاء إياس<sup>(٣)</sup>  
 فقال له الكندي وكان حاضراً ما صنعت شيئاً قال وكيف قال لأن شعراء دهرنا قد

( ١ ) وهو من قصيدة مشهورة لجرير بن عطية الخطمي بهجو بها الراعي النخري  
 وقومه ويقال لهذه القصيدة الفاضحة والدائمة . . ومرت امرأة ببعض مجالس بني نمير  
 فأداموا النظر اليها فذلت فبحكم الله يا بني نمير ما قبلكم قول الله عز وجل ( قل للمؤمنين  
 يغضوا من أبصارهم ) ولا قول الشاعر \* فمض الطرف إنك من نمير \* الخ

( ٢ ) قوله اكتبها بإسيار أى شد حياثها أى اختتمه بإسيار جمع سير وذلك لأن بني  
 فزارة يرمون بنشيان الابل

( ٣ ) الرواية المعروفة

أقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس  
 - عمرو - يعنى به عمرو بن معد يكرب - وإياس - يعنى به إياس بن معاوية قاضياً كان بالبصرة  
 بوصف بالذكاه وكان من قوم يظنون الشيء فيكون كما يظنون حتى شهر أمرهم في ذلك  
 ( ٢٧ - أمالي )

تجاوزوا بالممدوح من كان قبله ألا ترى الي قول أبي العكوك في أبي دلف  
رَجُلٌ أَرَبَعِي شِبَاعَةٍ عَابِرٍ      بِأَسَاءٍ وَغَيْرٍ فِي حُجَيَّا حَاتِمٍ

فأطرق الطائي ثم رفع رأسه وأشد

لَا تُسْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مِنْ دُونِهِ      مَثَلًا شَرُودًا فِي الْعَدَى وَالْبَاسِ<sup>(١)</sup>

فأله قد ضُربَ الأَقْلُ لِتُورِهِ      مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالتَّبْرَاسِ

(١) قوله لا تسكروا الي آخر البيتين أي لا تسكروا قولي اقدمه كما قدم عمرو  
وذاكؤه كذكاه إبس وهو أذكي منه لأن الله تعالى قد شبه نوره بما هو أقل منه إذا  
كان المشبه به من أبلغ ما يعرفه الناس ضوء فدل مثل نوره كشكاة وهي الكوة ليست  
بنافذة وأصحاب التفسير يزعمون ان أصلها حبشي وأما لفظها فيدل على انها عربية من  
شكوت والتبراس المصباح ويقال انه ليس بعربي . . وكان أبو تمام أنشد أحمد بن المنعم  
هذه القصيدة وليس فيها البيتان أعنى قوله لا تسكروا والبيت الذي بعده فقال يعقوب  
ابن اسحاق الكندي وكان يخدم أحمد الأمير أكبر من كل شيء من شبهته به فعمل  
هذه البيتين وزادها في القصيدة من وقته فعجب أحمد وجميع من حضر من فطنته  
وذكائه وأضعف جائزته . . وروى انما مدح الخليفة بهذه القصيدة قل له الوزير أنشبه  
أمير المؤمنين باجلاف العرب فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وأنشد البيتين فقال الوزير  
للخليفة أي شيء طابه فاعطاه فانه لا يعبس أكثر من أربعين يوماً لأنه قد ظهر في عينيه  
الدم من شدة الفكرة وصاحب هذا لا يعبس الا هذا القدر فقال له الخليفة ما تشهي  
قال أريد الموصل فاعطاه إياها فتوجه اليها وبقي هذه المدة ومات وهذه القصة لاصحة لها  
أصلاً وروى من غير هذا الوجه ان أبا تمام لما مدح محمد بن عبد الملاك الزيات الوزير  
بقصيدته التي منها

ديعة سمحة القيادة سكوب      مستغيث بها الثرى المكروب

لوسمت بقعة لاعظام أخرى      لسي نحوها المكان الجديب

٥٥ وقال ابن هبيرة لأبي دلامة وكان مولى لربي أمية لما ظهرت المردة لأتحفن لك منهم  
 عبداً صالحاً يخدمك فلما علت كلهم وفدت دعوتهم قال أبو دلامة لبت الله قبيض لي منهم  
 مولى صالحاً أخدمه ٥٥ وقال يحيى بن خالد لعبد الملك بن صالح الهاشمي أن خصالك  
 كاملة سوى حقد فبك فقال أنا خزائة تحفظ الخبير والشر ٥٥ وقد نظر ابن الرومي الى هذا  
 المعنى في قوله

وَالْحَفْدُ إِلَّا تَوَامُ الشُّكْرِ فِي النَّتَى      وَبَعْضُ السَّجَايَا يَنْتَسِبِينَ إِلَى بَعْضِ  
 فَحَيْثُ تَرَى حَقْدًا عَلَى ذِي إِشَاءَةٍ      فَتَمَّ تَرَى شُكْرًا عَلَى حَسَنِ الْقَرَضِ  
 إِذَا الْأَرْضُ أَذَتْ رُبْعَ مَا أَنْتَ زَارِعٌ      مِنْ الْبَيْدْرِ فِيهَا فَهِيَ نَاهِيكَ مِنْ أَرْضِ

٥٥ وقال الحجاج للحطيط الخارجي ما قول في عبد لذلك بن مروان قال ما أقول في رجل  
 أنت خطيئة من خطاياهم قال فهل هممت بي قط قال نعم ولكن حاك بيننا بيني وفنر  
 وقد أعطيت الله عهداً أن سألتني لأصدقك ولأن خابيت عني لأطلبك ولأن عذبتني  
 لأصبرن لك بأمر يقتله ٥٥ أما - البين - فهي الأرض الواسعة ٥٥ قال ابن مقبل  
 بسرو حبير أبو ال بنگال بها      أَنِّي تَسَدَّيْتُ وَهَنَا ذَلِكَ الْبَيْتَا<sup>(١)</sup>

قال له ابن الزيات يا أبا تمام انك لتلحن شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك ما يزيد  
 حسناً على بهي الجواهر في أجياد الكواعب وما يدخر لك شيء من جزيل المكافأة  
 إلا ويقصر عن شعرك في الموازاة وكان يحضرته فيلسوف فقال له ان هذا الفتي يموت  
 شاباً فقيل له ومن أين حكمت عليه بذلك فقال رأيت فيه من الحدة والذكاء والفتنة  
 مع لطافة الحس وجودة الخاطر ما علمت به ان النفس الروحانية تأكل جسمه كما يأكل  
 السيف المهند غدهم وكذا كان لأنه مات وقد تيف على ثلاثين سنة

( ١ ) قوله - بسرو حبير - قال الصاغاني والرواية من سرو حبير لا غير - وتسدت -  
 بفتح التاء على ارادة الخيال ويروي بكسرها وكسر كاف ذلك على ارادة ليل صاحبة  
 الخيال المذكورة في البيت قبله وهو

لم تسر ليلي ولم تطرق لحاجتها      من اهل ريمان إلا حاجة فينا

## عُتِبُ مَا لِلخِيَالِ حِينَ يَتَنَى وَمَالِي

خرجت من العروض فقال أنا أكبر من العروض .. وقال عبد الملك بن مروان للبهيم  
ابن الأسود ما ملك قال قوام من العيش وغني عن الناس فقيل له لِمَ لَمْ تُخْبِرْ بِهِ فقال  
ان كان كثيراً حسدني وان كان قليلاً ازدراني .. واغتاب الأعمش رجلاً من أصحابه  
فقطع الرجل على هيئة ذلك فقال له رجل من أصحابه قل له ما قلته حتى لا يكون غيبة  
فقال له الأعمش قل له أنت حتى تكون نيمة .. وقال معاوية لعمر بن العاص هل  
غششتني منذ نصحتني قل لا قال بلى يوم أشرت عليّ بمبارزة عليّ وأنت تعلم من هو قال  
عمرو ذلك رجل عظيم الخطر الى المبارزة فكنت من مبارزته على إحدى الحسنين إتما  
أن قتله فنتلت ذل الأقران وازدادت شرفاً الى شرفك وخلوت بمالك وإتما أرتقتك  
فتعجل مرافقة الشهداء والصديقين والصالحين قال معاوية لهذا أشد عليّ من الأولى فقال  
عمرو فكنت في جهادك من شك فتوب منه الساعة قال دعني منك الآن .. وقيل  
للأحنف بن قيس وقد رأى مسيلة الكذاب كيف هو فقال ما هو بنو سائق ولا يمتني  
حاذق .. وروى الميرد قال قال زياد لأبي الأسود ادؤلي لولا انك قد كبرت لاسمنا  
بك في بعض أمورنا قال ان كنت تريدني للصرع فليس عندي وان كنت تريد رأبي  
وعقلي فهما أوفر ما كان .. وكان أبو الأسود حاضر الجواب جيد الكلام ملبح البادرة  
.. وروي عن الشعبي انه قال قاتل الله أبا الأسود ما كان أعف أطرافه وأحضر جوابه  
دخل على معاوية بالخبيلة فقال له معاوية أ كنت ذكرت للحكومة قال نعم قال فما كنت  
صانعاً قال كنت أجمع ألعاً من المهاجرين وأبنائهم وللعاً من الأنصار وأبنائهم ثم أقول  
يا معشر من حضر أرجل من المهاجرين أحق أم رجل من الطلقاء فلحن معاوية وقال الحمد  
لله الذي كفاناك .. وقد روى ان أبا الأسود طلب بأن يكون في الحكومة وقال لأمر  
المؤمنين في وقت الحكمين يا أمير المؤمنين لا ترض بأبي موسى فاني قد مجمت الرجل  
وبلوته خلقت أشطره فوجدته قريب القعر مع انه يمان وما أدري ما يبلغ نصحه  
فابعثني فانه لا يحمل عبدة إلا عقدت له أشد منها وانهم قد وموك بمجر الأرض فان

قيل انه لا صحبة لي فاجملني ثانی اثنین فليس صاحبهم إلا من تعرف وكان في الخلاف عليهم كلنجم فأبى عليه السلام . . . وروى محمد بن يزيد النحوي ان أبا الأسود كان شبيهاً وكانوا يرمونه باليدل فاذا أصبح شكوا ذلك فشكاهم مرة فقالوا ما نحن نرءيك ولكن الله يريك فقال كذبتم لو كان الله يرميني ما أخطأني . . . وقال لهم يوماً يا بني قشير ما في العرب أحب اليّ طول بقاء منكم قتلوا ولم ذلك قال لأنكم اذا ركبتم أمراً علمت انه غيٌّ فاجتنبه واذا اجتنبتم أمراً علمت انه رشد فاتبعته فإزعوه الكلام فأنشأ يقول

يقول الأزذلون بنو قشير      طوال الدهر لا تنسى علياً  
أحبُّ محمداً حباً شديداً      ومباساً وحمزةً والوصياً  
أحبهم لحب الله حتى      أجج إذا بعثت على هوياً  
فإن يك حبهم رُشداً أصبهُ      ولست بمخطي وإن كان غيياً

فقالوا أشككت يا أبا الأسود فقال ألم تسمعوا الله تعالى يقول ( وإنا أو إياكم لعل هدى أو في ضلال مبين ) أفترى الله شك . . . أما قوله - هوياً - فانه لغة هذيل يقولون ذلك في كل مقصور (١) مثل التقى والهوى والعصى . . . قال أبو ذؤيب الهذلي

سبموا هويي وأعنقوا لسبيلهم      فتخرموا ولكل جنب مضرع

. . . وروى ان أبا الأسود دخل على معاوية فقال له أصبحت جيباً يا أبا الأسود فلو عانت نيمة تدفع العين عنك فقل أبو الأسود

( ١ ) قوله يقولون ذلك في كل مقصور وأما غيرهم فبقي النبعة لندل على ألف المنصور كحطفي بفتح الفاء جمع مصطفي بالمقصر وأما مصطفي بكسر الفاء فانه جمع مصطف بالفتح وتسلم ألف النية من القلب ياء اتفاقاً كسماي إذ لا موجب لقبها وقول أبي الأسود هوي أصبه هواي فقلبت الألف ياء وأدغمها في ياء المتكلم ولا يخلص قلب ألف المقصور ياء باعثة هذيل بل حكاه عيسى بن عمر عن قريش وحكاها الواحدي في البسيط عن طي

أَفْنَى الشَّبَابِ الَّذِي فَارَقَتْ بِهِ جَنَّتَهُ كَرُّ الْجَدِيدَيْنِ مِنْ آتٍ وَمُنْطَلَقٍ  
لَمْ يَتْرُكْ كَالِي فِي طَوْلٍ اخْتِلَافِهِمَا شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْهِ لَذَنَّةَ الْحَدَقِ .

•• وروى انه دخل يوماً السوق يشتري ثوباً فقال له رجل حلم أقاربك في هذا الثوب  
فقال ان لم تغارني باعدتك ثم قال له بكم هو قال انما أعطيت به كذا كذا قال انما تحبوني  
عماً فانك •• وروى انه كان ماشياً في طريق فقال له راكب الطريق الطريق فقال له  
عن الطريق تعدلني •• ومرش أبو الأسود فقيل هو أسرا لله فقال ذلك أشد له •• وقيل  
ان امرأة أبي الأسود خاصته الى زياد في ولدها فقالت أيها الأمير ان هذا يريد أن  
يشاقب على ولدي وقد كان يبنى له وعاء وندي له سقاء وحجرى له نداء فقال أبو الأسود  
بهذا تريدين أن تغليبي على ابني فوالله لقد حنته قبل أن تحمايه ووضعت قبل أن تضعيه  
فقلت ولا سوا إنك حنته خفيئاً وحملتني قبلاً ووضعتني شهوة ووضعتني كرهاً فقال له  
زياد انها امرأة عاذية يا أبا الأسود فرفع اليها اليها فخالق أن تحسن أدبه •• وقال رجل  
لأبي الأسود أنت والله ظرف لفظ وظرف علم وورث حليم غير انك بخيل فقال وما  
خير ظرف لا يملك ما فيه •• ولم عليه اصراي يوماً فقال أبو الأسود كلمة مقولة فقال  
له أأذن في الدخول فان ورامك أوسع لك قول فقول عندك شيء قال نعم قال اطعمني قال  
عياي أحق منك قال ما رأيت الأثم .نك قال نديت نفسك •• وسأله رجل شيئاً فنعمه  
قال ما أصبحت حائماً فقال بلى قد أصبحت حائماً من حيث لا تدري أليس حاتم  
الذي يقول

أَمْ أَوْيَ إِمَّا مَا نَزَعَ فَمُبِينٌ وَإِمَّا عَطَاةٌ لِأَيِّتِهِنَّهُ الزَّجْرُ (١)

(٢) قالت ولهذا البيت حكاية عجيبة وقعت بين الأصمى وأحد ولد حاتم •• قال  
الأصمى دفعت الى رجل من ولد حاتم بن عبد الله فسألته القرى فقال القرى والله  
كثير ولكن لا سبيل اليه فقلت ما أحبب عندك شيئاً فأمر بالجلفان فأخرجت مكرمة  
بالتزيد شهاو ذر اللحم واذا هو جاد في الملح فقلت والله ما أشبهت أبك حيث يقول  
وأبرز قدرى بالفناء قليها يرى غير معشون به وكثيرها

— مجاز آخر ٢١ —

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة السعوي قال لما ولى سليمان بن عبد الملك أفي يزيد بن أبي مسلم وولي الحجاج في جامعة وكان رجلاً دهباً تقتحمه العين فلما رآه سليمان قال لعن الله امرأً أجرتك رسنك وولي ملك فقال يا أمير المؤمنين رأيتي والأمر عني مدبر ولو رأيتي والأمر علي مقبل لاستظمت ما استصغرت ولا استجملت ما استعقرت فقال له سليمان أين ترى الحجاج أيوى في النار أم قد استقر فقال يا أمير المؤمنين لا نقل كذا إن الحجاج قمع لكم الأعداء ووطأ لكم المناير وزرع لكم الهيبة في قلوب الناس وبعده فانه يأتي يوم القيامة عن يمين أبيك وشمال أخيك الوابد فضمه حيث شئت ٥٥ وروى أن خالد بن صفوان فاخر رجلاً من بني عبد الدار الذين يسكنون الجمامة فقال له العبدري من أنت فقال أنا خالد ابن صفوان بن الأهمم فقال له العبدري أنت خالد لكن هو خالد في النار وأنت ابن صفوان وقال الله تعالي (كمثل صفوان عليه ثراب) وأنت ابن الأهمم والصحيح خير من الأهمم فقال له خالد بن صفوان يا أخا بني عبد الدار أتسلكم وقد هشتك هاشم وأمتك بنو أمية وغزمتك بنو مخزوم وجمعتك بنو جهم فأنت عبد دارهم فتش إذا دخلوا وتماق إذا خرجوا فقام العبدري محمواً ٥٥ وتقدم الأشعث بن قيس الى شريح فقال له الأشعث تعالني بك يا ابن أم شريح لند عهدتك وإن شأنتك لشون فقال له شريح أنت امرأ تعرف النعمة في غيرك وتساها في نفسك ٥٥ وروى أبو العيثاء عن العتيبي قال دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وعنده الحطيئة فلما مثل بين يديه قال

اليك فرزت منك ومن زيادٍ ولم أحسب دمي لكما حاللاً

فقال إلا أشبهه في ذلك فقد أشبهته في قوله

أماوي إماما مانع فبين وإماما عطاء لا يشبهه الزجر

فأنا والله مانع مبين فرحلت عنه

فَإِنْ يَكُنِ الْهَجَاءُ أَحْلَى قَتْلِي      فَقَدْ قُتِلْنَا لِشَانِكُمْ وَقَالَ  
 تَرَى الْمَرْءَ الْجَحَاجِجَ مِنْ قُرَيْشٍ      إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَثَانِ غَالَا  
 قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَيَّ سَعِيدٍ      كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هَلَاكًا

فقال له الحطيئة هذا والله أيها الأمير الشعر لا ما هل به منذ اليوم يا غلام قدمت أمك  
 الحجاز فقال لا ولكن قدمه أبي . . . أراد الحطيئة بقوله قدمت أمك فقد وقعت بها وكنت  
 . . . قى وأراد الفرزدق بقوله ولكن قدمه أبي أي وقع بأهلك فكنت أنت منه . . . وبشبه  
 ذلك ما روى ان الفرزدق كان ياشد شعره يوماً والناس حوله إذ مر به الكعبيت بن زيد  
 الأسدى فقال له الفرزدق كيف ترى شعري قال حسنٌ بسننٍ فقال له الفرزدق أيسرك  
 إنى أبوك قال أما أبى فلا أريد به بدلا ولكن يسرنى أن لو كنت أُمى فقال الفرزدق  
 أكنتم هذه على عمك يا بن أخي فامر بي مثلها . . . وقيل ان عبد الملك بن مروان ظفر  
 برجل من ابى مخزوم زبيري الرأي فقال له لما حضر مجلسه أليس قد رذك الله على  
 عقبيك فقال الرجل أو من رذك اليك يا أمير المؤمنين فقد رد على عقبيه فوجم عبد الملك  
 . . . وقال موسى بن عيسى بن موسى لشريك يا أبا عبد الله عزارك عن القضاء وما رأينا  
 قاضياً عزلك فقال شريك هم الملوك يخلعون ويهزلون فمرض إن أباه خلع من ولاية  
 العهد . . . وذكر أبو عبيدة معمر بن الأشعث ان الفضل الضبي الراوية وهب لبعض جيرانه  
 أيام الأضحى أضحية فلما لقيه قال كيف وجدت أضحتك قال ما وجدت لها دم أبمرض  
 بقول الشاعر

لَوْ ذُبِحَ الضُّبِيُّ بِالسَّيْفِ أَمْ تَحِيدُ      مِنَ اللَّوْمِ لِلضُّبِيِّ لِحِمَاً وَلَا دَمًا

. . . وروى عن المأمون انه قال ما أعياني جواب أحد قط مثل جواب ثلاثة . . . أحدهم أم  
 الفضل بن سهل فإني عزبتها عن ابنها وقلت لئن جزعت على الفضل لأنه ولدك فما أنا ذا  
 ابنك مكانه فقالت وكيف لا أجزع على من جعله مثلك لى ولداً . . . والثاني رجل  
 حضرته يزعم انه نبي الله موسى فقلت له ان الله تعالى أخبرنا عن موسى انه يدخل يده  
 في جيبه ويخرجها بيضاء من غير سوء فقال له قى فعل ذلك أليس بعد ان لقي فرعون

فأعمل كما عمل فرعون حتى أعمل كما عمل موسى • والثالث ان جماعة من أهل الكوفة اجتمعوا الى يتكون عاملها فقلت ارضوا بواحد أسمع منه فرضوا برجل منهم فقال في العامل وأ كثر فقلت له كذبت بل هو العفيف الورع العدل فذهب أصحابه يتكلمون فكتمهم ثم قال صدقت يا أمير المؤمنين هو كما ذكرت فواس بين رعينك في العدل فصرفته عنهم •• ودخل عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي على معاوية فقل له معاوية ما فعل الطرفات يمسى طريقاً وطرافاً وطرفة قال قتلوا مع علي بن أبي طالب فقال ما أنصفك ابن أبي طالب قدم بنيك وأخر بنيه فقال عدي بل ما أنصفته أنا أن قتل وبقيت •• وكتب رجل الى صديق له يقترض منه شيئاً فأجاب به يسكو وسيق حاله فكتب اليه ان كنت كاذباً فجملك الله صادقاً وان كنت صادقاً فجملك الله كاذباً وان كنت معذوراً فجملك الله ملوماً وان كنت ملوماً فجملك الله معذوراً •• وسبع الأحنف رجلاً يقول ما أحلم معاوية فقال لو كان حليها ما سفته الحق •• ووصفه رجل عند الشعبي بالحلم فقال الشعبي ويحك وهل أحمد سيفه وفي قلبه على أحد شيء •• وقال زياد لرجل حضره أين منزلك فقال وسط البصرة قال فمالك من الولد قال تسعة فقبل زياد ان داره في أقصى البصرة عند المقابر وله ابن واحد فقال الرجل داري بين أهل الدنيا والآخرة فهي وسط البصرة وكان لي عشر بنين فقدمت تسعة منهم فهم لي وبقي واحد لا أدري أهو لي أم أنا له •• وقال رجل لابن سيرين إني وقعت فيك فاجعاني في حبل فقال ما أحب ان أحلك مما حرم الله عليك •• وخطب الحجاج يوم جمعة فأطال فقال له رجل ان الصلاة لا تنتظرك وان الله لا يعذرك فأمر به فحبس خلفه أهله وشبهوا انه بمنون فقال ان أقر بالجنون أطلقتة فقبل له اعترف بذلك وتخاص فقال والله لأقول ان الله ابتلاني وقد عافني •• وحدث الحسن البصري بحديث فقال رجل يا أبا سعيد ممن فقال وما تصنع بمنن أما أنت فقد نالك عظته وقامت عليك حجبته •• وقيل لعبد الله بن جعفر ونظر اليه بما كس في درهم فقبل له تماكس في درهم وأنت نجود بما نجود به فقال ذاك مالي تجدت به وهذا عقلي بخلت به •• وروى ان أبا الميثاء محمد بن القاسم الهامبي حدثت بعض الزبيريين بفضائل أهله فقال له

الزبيري أعجاب النمر الي هجر فقال له أبو العيناء نعم اذا أجدبت أرضها وعام تحلها . . . وكان أبو العيناء من أحضر الناس جواباً وأجودهم بديهة وأملحهم نادرة . . . وحكى عن أبي العيناء قال لما دخلت على المتوكل دعوت له ولكنه فاستحسن خطابي وقال لي يا محمد بلغني ان فيك شراً فقلت يا أمير المؤمنين إن يكن الشر ذكر الحسن باحسانه والمسيء باساءته فقد زكى الله تعالى وذم فقال في التزكية ( نعم العبدُ إنه أوَّاب ) وقال في الذم ( همَّاز مشأه بجمهم . ناعٍ للخير معتدراً نيمٍ عنلٍ بعد ذلك زهير ) فذمه الله تعالى حتى قذفه وقد قال الشاعر

إِذَا أَنَا بِالْمَعْرُوفِ لَمْ أَتَّخِ دَائِبًا      وَلَمْ أَذُمَّ الْجَيْسَ اللَّثِيمَ الْمُدْمَمًا  
فَفِيمَ عَرَفْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِأَسْمِهِ      وَشَقَّ لِي اللَّهُ الْمَسَامِعَ وَالْفَهْمَا

وان كان الشر كفعل المقرب تسع النبي والذمي بطبع لا يجز فتد سان الله تعالى عبدك عن ذلك . . . وروى انه قاله يوماً أنني لأفرق من لسلك فقال له ان الشريف فروقة ذو إحجام وان اللثيم ذو إمنة وإقدام . . . وقاله يوماً وقد دخل عليه استنقتك والله يا أبا العيناء فقال له يا سيدي انما يشتد الشوق على العبد لأنه لا يصل الى مولاه فأما السيد فتى أراد عبده دعاه . . . وروى انه قال له يوماً ما بقى أحد في مجلسي إلا اغتابك وذكمت عند ماجرى ذكرك غبري فقال أبو العيناء

إِذَا رَضَيْتُ عَنِّي كَرَامَ عَشِيرَتِي      فَلَا زَالَ غَضَبَانَا عَلَيَّ لِثَامَهَا

. . . وذكر أبو العيناء قال قال لي المتوكل كيف ترى داري هذه فقلت رأيت الناس بنو دورهم في الدنيا وأمير المؤمنين جعل الدنيا في داره . . . وقال أبو العيناء قال لي المتوكل من أسخى من رأيت ومن أبخل من رأيت فقلت ما رأيت أسخى من أحمد بن أبي دؤاد ولا أبخل من موسى بن عبد الملك قال وكيف وقتت على بخله فقال رأيت بجرم القريب كما بجرم البعيد ويعتذر من الاحسان كما يعتذر من الاساءة فقال أجهت الى من أطرحته فسخطته والى من أمسكته فبخطته فقلت يا أمير المؤمنين ان الصدق ماهو في موضع من المواضع أنفق منه بمحضرتك والناس يفلطون فيمن ينسبونه الى السخاء فاذا نسب الناس

السخاء الى البرامكة فانما ذلك من سخاء أمير المؤمنين الرشيد واذا نسبوا الحسن بن سهل وأخاه الفضل الى السخاء فانما ذلك سخاء أمير المؤمنين المأمون واذا نسبوا أحمد بن أبي دؤاد الى السخاء فذلك سخاء أمير المؤمنين المنصور واذا نسبوا الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى الى السخاء فانما هو سخاؤك فما بال هؤلاء القوم لا يندوبون الى السخاء قبل محبتهم الخلفاء قال لي صدقت وسرري عنه . . وقال له المتوكل ما أشد عليك من ذهاب البصر فقال له فقد رؤيتك مع اجماع الناس على جرائك . . وقال له يوماً أريدك للجلسة قال لا أطيق ذلك وما أقول هذا جهلاً بما في هذا المجلس من الشرف ولكن أنا رجل محبوب والمحجوب تختلف اشاراته ويخفى عليه إيماؤه ويجوز على أن أتكلم بكلام غضبان ووجهك راض وبكلام راض ووجهك غضبان وهى لم أميز بين هاتين هدكت فقال صدقت . . وروى انه قال له لولا إنك ضريرٌ لنادمتك فقال ان أعيتنى من رؤية الأهله وقراءة نقش الخاتم فإني أصلح . . وقال له المتوكل ما تقول في ابن مكرم والعباس ابن رستم فقال هما الحر والميسر وإتتهما أكبر من نفعهما قل بلئني إنك تودها فقال لقد ابتعت الضلال بالهدى والمذاب بالمفطرة . . وقال له يوماً أن سعيد بن عبد الملك يضحك منك فقال ان الذين أجزموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . . وقال أبو العيناء قال لي المتصور ما أحسن الجواب فقلت ما أسكت المبتطل وحير الحق . . وقيل لأبي العيناء ابراهيم بن نوح النصراني عليك عتاب فقال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم . . ورآه رزقان وهو يضحك نصرانياً فقال يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء فقال أبو العيناء لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوك في الدين . . وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولى قال أخبرنا أبو العيناء قال كان سبب اتصالى بأحمد بن أبي دؤاد ان قوماً من أهل البصرة عادوني وادعوا على دعاوى كثيرة منها إني رافضي فاحتجت الي ان خرجت عن البصرة الى سر من رأى وألغيت نفسي على ابن أبي دؤاد وكنت نازلاً في داره أجالسه كل يوم وبلغ القوم خسبري فمشخصوا نحوي الى سر من رأى فقلت له القوم قد قدموا من البصرة بدأ على فقال يد الله فوق أيديهم فقلت ان لهم مكرراً فقال ويكرون ويكره الله

واقه خسر الماكرين فقلت هم كثيرون قال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله  
فقلت له الله در الفاضي هو واقه كما قال الصموت الكلابي

لله دَرَكٌ أَيُّ جُنَّةٍ خَائِبٍ وَمَتَاعُ دُنْيَا أَنْتَ لِلْحَدَثَانِ  
مُتَخَطِّطٌ تَطَأُ الرَّجَالَ غُلْبَةً وَطَهُ الْفَنَيْقِ دَوَارِجَ الْقَرْدَانِ  
وَكَيْبِهِمْ حَتَّى كَانَ رُؤُسُهُمْ مَأْمُومَةٌ تَنْحَطُّ لِلغَرَبَانِ  
وَيَفْرُجُ الْبَابَ الشَّدِيدَ رِتَاجُهُ حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ بَابَانِ

وقال لابنه الوليد ا كذب هذه الأبيات فكذبها بين يديه .. قال الصولي حفظني عن  
أبي العيناء الصموت الكلابي على انه رجل وقال وكيع حفظني انها للصموت الكلابية  
على انها امرأة .. ودخل أبو العيناء على الحسن بن سهل فأنشئ عليه فأمر له بنشرة  
آلاف درهم وقال واقه ما استكثر كثيرك أيها الأمير ولا استقل قبلك قال وكيف  
ذاك قال لا استكثر كثيرك لانك أكثر منه ولا استقل قبلك لانه أكثر من كثير  
غيرك .. وقال له عبيد الله بن يحيى بن خاقان يوماً اعذرني فاني مشغول فقال اذا فرغت  
لم أحتج اليك .. وقال له يوماً قد تبينت فيك الغضب يا أبا عبد الله فقال له قد أجل  
الله قدرك من غضبي انما يغضب الرجل على من دونه فأما على من فوقه فلا ولكن  
أحزنتني قصيرك فسميت حزني غضباً .. ويقال ان ساعد بن مخلد كان من أحسن من  
ألم ديناً وأكثرهم صلاة وصدقة فصار الي بابه أبو العيناء مررات كثيرة بعقب اسلامه  
فحجب فقيل له هو مشغول في صلاته فقال أبو العيناء لكل جديد لذة .. ودخل يوماً  
الى أبي الصقر بن بلبل في وزارته فقال له يا أبا عبد الله ما أخرك عنا فقال سرق حماري  
فقال وكيف سرق قال لم أكن مع الذي سرقه فأخبر بما كان قال هلا اكثريت أو  
استمرت أو اشتريت قال قعدتني عن الشراء نشبي وكرهت منه العواري وذلة المكارى  
فوهب له حماراً ووصله .. وأذناه أبو الصقر يوماً ورفعه فقال تدبني حتى كأني بعضك  
وتبعدني حتى كأني ضدك .. وقال يوماً لعبد الله بن سليمان وقد رفته أيضاً الى كم  
زرفعي ولا ترفع بي رأساً .. وقال له يوماً وقد سأله عن حاله أبا مملك مقبوظ الظاهر

عروم الباطن .. ويقال ان أبا علي البصير قال لأبي العيناء وكانت بينهما ملاحاة معروفة في أي وقت ولدت قال قبل طلوع الشمس فقال أبو علي لذلك خرجت شحاذاً سائلاً لأنه الوقت الذي يستبر فيه السؤال .. وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو العيناء قال ما رأيت قط أحسن شاهداً عند حاجة من ابن هاشمة قلت له يوماً كان أبو عمرو والخزومي يصلك ثم جفناك فقال

فإن تناً عناً لا تضرنا وإن تمدت  
تجدنا على العهد الذي كنت تعلم

وقال والله لا أدرى لمن هذا البيت فقلت ان ابن سلام روى عن يونس ان الفرزدق لما قال

تصرم مني وذبكر بن وائل  
قوارص تأنيني فيحترونها  
وماخلت دهرى وددهم يتصرم  
وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

وقد كان نزل عليهم حين هرب من زياد فقال جرير بن خرقاء العجلي يحبه

لقد بوانك الدار بكر بن وائل  
ليالي تمني أن تكون حمامة  
وردت لك الأحشاء إذ أنت فحرم  
فإن تناً عناً لا تضرنا وإن تمدت  
تجدنا على العهد الذي كنت تعلم

فقل ابن عائشة أنت والله ياني من ستمدق في العلم محالاه وتكثر عايه دلائله .. وقال أبو العيناء يوماً لأبي الصقر بن بلبل وهو زائر أنت والله تقرب منا إذا احتجنا اليك وتبعد منا إذا احتجت الينا .. [قال المرتضى] رضى الله عنه وهذا يشبه قول ابراهيم بن العباس الصولي

ولكن الجواد أبا هشام  
بطلت منك ما استغنيت عنه  
وفي العهد ما موان الغيب  
وطلاع عليك من الخطوب

ولعله مأخوذ منه فليس ينكر ذلك لانهما وان اجتمعا في زمان وأحد في بعض الأوقات فان أبا العيناء بقي بعد ابراهيم زماناً طويلاً لأن ابراهيم توفي في سنة ثلاث وأربعين

وماثين وأبا العبيد سنة اثنين أو ثلاث وثمانين وماثين وما حكيناه عنه من الكلام قاله  
لأبي العتري في وزارته وكانت بعد وفات ابراهيم بن العباس الصولي بزمان طويل ٥٥

ويشبه بيتا ابراهيم أن يكونا مأخوذين من قول أوس بن حجر  
وليس أخوك الدائم العهد بالذي يذمك إن ولي ويزضيك مقبلاً  
ولكنه النائي إذا كنت آمناً وصاحبك الأذنى إذا المرأ عضلاً

ولابراهيم بن العباس ما يقارب هذا المعنى أيضاً وهو  
أسد ضار إذا هيجته وأب بر إذا ما قدرا  
يعلم الأبعد إن أثرى ولا يعلم الأذنى إذا ما افتقرا

ويشبه أن يكون هذا مأخوذاً من قول الفقهي  
إذا افتقر المرار لم ير فقره وإن أيسر المرار أيسر صاحبه

ومما يشبه قول أبي العبيد بعينه قول ابراهيم بن العباس أيضاً  
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر البلوى إذا النمل زلت  
رأى خاتي من حيث يخفي مكانها فكانت قدى عيني حتى تجلّت

٥٥ وقال المتخل الهذلي

أبو مالكٍ قاصرٍ فقره علي نفسه ومشيغ غناه

وهذا البيت الذي روينا له هذلي من جملة أبيات يرثي بها المتخل أباه وقيل يرثي أخاه  
لعمرك ما إن أبو مالك بوآن ولا بضعيف قواه<sup>(١)</sup>

(١) قوله ما إن أبو مالك يورده النحويون على أن الباء تزداد بعد ما النافية المكفوفة  
بان اتفاقاً وهذا يدل على أنه لا اختصاص لزيادة الباء في خبر ما الحجازية ٥٥ وقوله لعمرك  
ما إن أبو مالك الخ اللام لام الابتداء وقائدها تؤكد مضمون الجملة وعمرك بالفتح بمعنى  
حباتك مبتدأ خبره محذوف أي قسمي وجملة ما إن أبو مالك جواب القسم ٥٥ وأبو مالك

وَلَا بَالَدَ لَهُ نَارِغٌ يُمَازِي أَخَاهُ إِذَا مَاتَهَا

معنى - نازع - أى خلق سوء - ويمَازي - أى يلاحم ويشار  
وَلَكِنَّهُ هَيْنَ لَيْنٌ كَمَا لِيَةِ الرَّيْحِ عَرْدُ نَسَاءٍ<sup>(١)</sup>

- العرد - الشديد يقال وترّ صرّة وعرنده بالنون أى شديد - والنساء - عرق معروف  
إِذَا سُدَّتْهُ سُدَّتْ مِطْوَاعَةٌ وَمَهْمَا وَكَلَّتَ إِلَيْهِ كَفَاهُ

معنى - سده - من المساودة التى هي المساررة والسواد هو السرار أيضاً كأنه قال إذا سارته  
طواعك وساعدك .. وقال قوم انه من السيادة فكأنه قال اذا كانت فوقه سيداً له  
أطاعك ولم يحسدك وان وكلت اليه شيئاً كفئك وقوم يمشدونّه اذا سسته سست مطواعة  
هو أبو الشاعر واسمه عويمر لأن المتخلف اسمه مالك بن عويمر ولم يصب ابن قتيبة فى  
كتاب الشعراء فى زعمه انه يرى أخاه أبا مالك عويمراً - ووأن - اسم فاعل من وفى ونيأ  
وونيا من باجى تعب ووعد بمعنى ضعف وقتر وروى بدله واه وهو أيضاً اسم فاعل من  
وهى من باب وعد بمعنى ضعف وسقط - والقوى - جمع قوة خلاف الضعف .. قال فى  
الصحاح ورجل شديد القوى أى شديد أسر الخلق يريد ان أباه كان جليداً شهماً لا يكل  
أمره الى أحد ولا يؤخره لعجزه الى وقت آخر

( ١ ) قوله كمالية الرمح الخ - عالية الرمح - ما دخل فى السنان الى نك .. ومعنى كونه لينا  
كحالية الرمح انه اذا دعى أحجاب بسرعة كحالية الرمح فانه اذا هز الرمح اضطرب  
وانهز لينه بخلافه من الأخشاب فانه لا يتحرك طرفه اذا هزت لصلابتها وبسها .. وقوله  
عرد نساء - العرد - بفتح العين وسكون الراء المهملتين الشديد والضمير لأبى مالك  
- والنساء .. قال الأسمعي بالفتح مقصور عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين  
ثم يمر بالمرقوب حتى يبلغ الحافر فاذا سمت الدابة انغلقت فخذهاها بالحميتين عظيبتين  
وجرى النساء بينهما واستبان واذا هزلك الدابة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان  
وخفى النساء واذا قالوا انه لشديد النساء فالتما يراد به النساء نفسه .. وقال السكري أراه  
فليظن موضع النساء

ولم أجد ذلك في رواية (١)

أَلَا مَنْ يَنَادِي أَبَا مَالِكٍ      فِي أَمْرِنَا هُوَ أَمْ فِي سِوَاهِ  
أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَفَرَّهُ      عَلِيٌّ نَفْسَهُ وَمُشِيعٌ غِنَاهِ

—\*~\*~\*~\*~\*~\*~\*~\*~\*~\*—  
— ﴿ مجلس آخر ٢٢ ﴾ —

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى ( سأصرفُ عن آياتي الذين يشكرون في الأرض بغير الحق وإن يزواك آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشده لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الذي يتخذوه سبيلاً ) إلى غافلين ٠٠ فقال ما للجواب عن هذه الآية على ما يطابق العدل فإن ظاهرها كأنه مخالف ٠٠ الجواب قيل له في هذه الآية وجوه منها ما ابتدأناه فيها ومنها ما سبقنا به فخرناه واخترنا فيه من المطاعن وأجبتنا عما لعله يعترض فيه من الشبهة ٠ أولها أن يكون عنى بذلك صرفهم عن ثواب النظر في الآيات وعن العز والكرامة الذين يستعقهما من أدى الواجب عليه في آيات الله وأدلته وتمسك بها والآيات على هذا التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلة ويحتمل أن تكون معجزات

( ١ ) قوله ولم أجد ذلك في رواية قلت هذه الرواية التي لم يرها المؤلف أثبتها أبو تمام صاحب الحماسة في مختار أشعار القبائل - وسته - من ست الرعية سياسة - والمطواع - الكثير الطوع أى الانتقاد والتناء لتأكيده المبالغة وعلى هذا التفسير اقتصر السكري وهذا البيت يروى للمتخذ كما تقدم ورواه في مختار أشعار القبائل لدى الأصبغ العدواني مع بيتين آخرين وهما

وما إن أرسيد أبو مالك      بوان ولا بضيف قواه  
ولسكته هينٌ لينٌ      كدالية الرمح عرد لسه  
فإن سسته سست مطواعه      ومهما وكلت إليه كفاه

وهو وأسيد - بفتح الهمزة وكسر السين المهملة

الأنبياء خاصة وهذا التأويل يطابق الظاهر لأنه تعالى قال ( ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ) فبين ان صرفهم عن الآيات مستحق بشكذبهم ولا يليق ذلك إلا بما ذكرناه . . . وثانيها انه أراد أن يصرفهم تعالى عن زيادة المعجزات التي يظهرها الأنبياء عليهم السلام بعد قيام الحججة لما تقدم من آياتهم ومعجزاتهم لانه تعالى انما يظهر هذا الضرب من المعجزات اذا علم انه يؤمن عنده من لم يؤمن بما تقدم من الآيات واذا علم خلاف ذلك لم يظهرها وصرف الذين علم من حالهم انهم لا يؤمنون عنها ويكون الصرف على أحد وجهين إما بأن لا يظهرها جملة أو بأن يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينفع بها غيرهم . . . فاذا قيل وما الفرق فيما ذكرتموه بين ابتداء المعجزات وبين زيادتها . . . قلنا الفرق بينهما ان المعجز الأول يجب اظهاره لإزالة العلة في التكليف وإلغائه لعلم صدق الرسول المؤدّي إلينا ما فيه لطفنا ومصالحنا فاذا كان التكليف يوجب تعريف المصالح والإطراف لزاح العلة وكان لا سبيل الى معرفتها على الوجه الذي يكون عليه لطفاً إلا من قبل الرسول وكان لا سبيل الى العلم بكوته رسولاً إلا من جهة المعجز وجبت بعثة الرسول وتحميله ما فيه مصالحنا من الشرائع واظهار المعجز على يده لتلقى هذه الأمور بعضها ببعض ولا فرق في هذا الموضع بين ان يعلم ان المبعوث اليهم الرسول أو بعضهم يطيعون ويؤمنون وبين أن لا يعلم ذلك في وجوب البشارة وما يجب بوجوبها لان تعريف المصالح بما يقتضيه التكليف العقلي الذي لا فرق في حسنه بين ان يقع عنده الايمان أو لا يقع وليس هذه سبيل ما يظوره من المعجزات بعد قيام الحججة بما تقدم منها لانه لم ينتفع بها منتفع ويؤمن عندها من لم يؤمن لم يكن في اظهارها فائدة وكانت عبثاً فافتقر الأمران . . . فان قيل كيف يطابق هذا التأويل قوله تعالى ( ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ) ومعلوم أن صرفهم عن الآيات لا يكون مستحقاً بذلك . . . قلنا يمكن أن يكون قوله تعالى ( ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا ) لم يرد به تلميح قوله تعالى سأصرف بل يكون كالتمايل لما هو أقرب اليه في ترتيب الكلام وهو قوله تعالى ( وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشده لا يتخذوه سبيلاً وان يروا سبيل الله يتخذوه سبيلاً ) لأن من كذب بآيات الله وعدل عن تأملها والاهتداء

بنورها ركب التي وانخذ سبيلاً وحاد عن الرشيد وضل ضاللاً بعيداً ورجوع انطفة ذلك الي ما ذكرناه أشبه بالظاهر من رجوعها الي قوله سأصرف لان رجوع اللفظ في اللغة الي أقرب المذكورين اليه أولى . . ويمكن أن يكون قوله تعالى كذبوا بلفظ الماضي المراد به الاستقبال ويكون وجهه ان التكذيب لما كان معلوماً منهم لو أظهرت لهم الآيات جعل كأنه قال ذلك بأنه متى أظهرنا لهم آياتنا كذبوا ويحجى ما ذكرناه أولاً مجرى قوله تعالى ( ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ) في انه بلفظ الماضي والمعنى الاستقبال . . ونالها أن يكون معنى سأصرف عن آياتي أي لا أوينها من هذه صفة واذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلا اللفظين قيد معنى واحداً . . وليس لأحد أن يقول هل لا قال سأصرف آياتي عن الذين يتكبرون والآيات ههنا هي المعجزات التي تختص بها الأنبياء . . فان قيل فأي فائدة في قوله على سبيل التعليل ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وأي معنى لتخصيصه الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وهل لا توثى الآيات والمعجزات إلا الأنبياء دون غيرهم وان كان عن لا يتكبر . . قلنا خروج الكلام مخرج التعليل على هذا التأويل وجه صحيح لأن من كذب بآيات الله لا يوثى بمعجزاته لتكذيبه وكفره وان كان قد يكون غير مكذب ويمتنع من آياته الآيات علة أخرى والتكبر والبني بغير الحق مانع من إتيان الآيات وان منع غيره ويجري هذا مجرى قول العائل أنا لا أود فلاناً لغدره ولا يلزم اذا لم يكن قادراً أن يودّه لانه ربما خلا من الغدر وحصل على صفة أخرى تمتع من مودته ويجوز أيضاً أن تكون الآية خرجت على ما يجري مجرى السبب وأن يكون بعض الجهال اعتقد في ذلك الوقت جواز ظهور المعجزات على يد الكفار فأكذبهم الله تعالى بذلك . . ورابعها أن يكون المراد بالآيات العلامات التي يجعلها الله تعالى في قلوب المؤمنين ليبدل بها الملائكة على الفرق بين المؤمن والكافر فيقولوا بكل واحد منهما ما يستحقه من التعظيم والاستخفاف كما تناول أهل الحق الطبع والخطم الذين ورد بهما القرآن على أن المراد بهما العلامة المميزة بين الكافر والمؤمن ويكون سأصرف عنها أي أعدل بها عنهم وأخص بها المؤمنين المصدقين بآياتي وأنيائي وهذا التأويل يشهد له أيضاً قوله تعالى ( ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا

عنها غافلين ) فيكون صرفهم عن هذه الآيات كالمستحسن لتكذيبهم واعراضهم عن آياته تعالى . . . وخامسها أن يريد تعالى إني أصرف من رام المنع من أداء آياتي وتبليغها لان من الواجب على الله تعالى أن يحول بين من رام ذلك وبينه ولا يمكن منه لانه يتقضى الغرض في البعثة ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى ( والله يمسك من الناس ) فتكون الآيات ههنا القرآن وما جرى مجراه من كتب الله التي يحملها الرسل والصرف وان كان متعلقاً في الآية بنفس الآيات فقد يجوز أن يكون المعنى متعلقاً بغيرها عما هو يتعلق بها فاذا ساغ أن يعلقه بالثواب والكرامة المستحقين على التمسك بالآيات ساغ أن يعلقه بما يمنع من تبليغها وأدائها وإقامة الحججة بها وعلى هذا التأويل لا يجعل قوله تعالى ( ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا ) راجعاً الى ما صرف بل يرد الى ما هو قبله بلا فصل من قوله تعالى ( وان يروا سبيل الرشده لا يتخذوه سبيلاً ) على ما بيناه في الوجه الثاني من تأويل هذه الآية . . . وسادسها أن يكون الصرف ههنا الحكم والتسمية والشهادة ومعلوم ان من شهد على غيره بالانصراف عن شيء غفاز أن يقول صرفه عنه كما يقال أ كفرة وكذبه وفسقه وكما قال عز من قائل ( ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ) أى شهد عليهم بالانصراف عن الحق والهدى وكقوله تعالى ( فلما زاغوا أراغ الله قلوبهم ) وهذا التأويل يطابقه قوله تعالى ( ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ) لان الحكم عليهم بما ذكرنا من التسمية يوجب تكذيبهم وغفلتهم عن آيات الله واعراضهم عنها . . . وسابعها انه تعالى علم ان الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق سيصرفون عن النظر في آياته والايان بها اذا أظهرها على أيدي رسله جاز أن يقول سأصرف عن آياتي فيريد سأظهر ما ينصرفون بغير اختيارهم عنه ويجرى ذلك مجرى قولهم سأبخل فلاناً وأخطئته أى أسأله ما يبخل ببذله وأمتحنه بما يخطئ فيه ولا يكون المعنى إني أفعل فيه البخل والخطأ والآيات على هذا الوجه جاز أن تكون المعجزات دون سائر الأدلة الدالة على الله تعالى وجاز أن تكون جميع الأدلة ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى ( ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا ) غير راجع الى قوله تعالى سأصرف بل الى ما قدمنا ذكره لنصح القائمة . . . وثامنها أن يكون الصرف ههنا معناه المنع من ابطال الآيات والحجج

والقدح لها بما يخرجها عن أن تكون أدلة وحججاً فيكون تقدير الكلام (إنى بما أؤيد من حججتي وأحكامه من آياتي وبيداتي صارف للمكذابين المبطلين عن القدح في الآيات والدلالات ومانع لهم مما كانوا لولا هذا الأحكام والتأييد يعترضونه ويغتمونه من تمويههم الحق وليس بالباطل ويجرى هذا مجرى قول أحدنا قد منع فلاناً أعداءه بأفاماله الكريمة وطرائقه المدحوخة وأخلاقه المهذبة وصرافهم عن ذممة وأخرس ألسنتهم عن الطعن عليه وإنما يريد المعنى الذي ذكرناه . . فان قيل أليس في المبطلين من طعن على آيات الله وأورد الشبهة فيها مع ذلك . . قلنا لم يرد الله تعالى العرف عن الطعن الذي لا يؤثر ولا يشبهه على من أحسن النظر وإنما أراد ما قدمناه وقد يكون النوى في نفسه مطعوناً عليه وإن لم يطعن عليه طاعناً كما قد يكون بريئاً من الطعن وإن طعن فيه بما لم يؤثر فيه ألا ترى ان قولهم فلان قد أخرس أعداءه من ذمته وليس يراد به انه منهم عن التفظ بالذم وإنما المعنى انه لم يجعل للذم عليه طريقاً ومجالاً ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى ذلك بأنهم كذبوا يرجع الى ما قبله فلا فصل ولا يرجع الى قوله سأصرف . . وناسخها ان الله تعالى لما وعد موسى عليه السلام وأمه إهلاك عدوهم قال (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) وأراد غضو وجعل أن يهلكهم ويصطلمهم ويجتاحهم على طريق العقوبة لهم بما كان منهم من التكذيب بآيات الله تعالى والرد لحججه والمروق عن طاعته وبشر من وعده بهذه الحال من المؤمنين بالوفاء بها وهو تعالى اذا أهلك هؤلاء الجبارين المتكبرين واصطلمهم فقد صرفهم عن آياته من حيث اقتطعهم عن مشاهدتها والنظر فيها باقتطاع التكليف عنهم وخرجهم عن صفات أهله وهذا الوجه يمكن أن يقال فيه ان العقوبة لا تكون إلا مضافة للاستخفاف والاهانة كما ان الثواب لا بد أن يكون مقترناً بالنبجيل والتعظيم وإماتة الله تعالى للآثم وما يفعله من بوار واهلاك لا يقرب إليه مالا بد أن يكون مقترناً الى العقاب من الاستخفاف ولا يخالف ما يفعله تعالى بأوليائه على سبيل الامتحان والاختبار فكيف يصح ما ذكرتموه ويمكن أن يجاب عن ذلك بان يقال لا يمنع أن يضم الله الى ما يفعله هؤلاء الكفار المتجبرين من الاهلاك الأيمن والذم والاستخفاف وأمرنا باهلاكهم

وقتامهم على وجه الاستخفاف والتكامل ويضيف الله تعالى ذلك إليه من حيث وقع بأمره وعن أذنه . . فان قيل ما معنى قوله تعالى ( يتكبرون في الأرض بغير الحق ) كأن في التكبر ما يكون بالحق . . قلنا في هذا وجهان . أحدهما أن يكون ذلك على سبيل التأكيده والتعليظ والبيان على أن التكبر لا يكون إلا بغير الحق وان هذه صفة لازمة غير مفارقة ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى ( ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا يبرهان له به ) وقوله تعالى ( فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ) ولم يرد تعالى الا المصنى الذي ذكرناه ومثله قوله تعالى ( ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ) ولم يرد النبي عن الثمن القليل دون الكثير بل أراد به تأكيد القول بان كل ثمن يؤخذ عنها يكون قليلاً بالإضافة اليها ويكون المتعوض عنها مقبولاً مبخوساً خاسر الصفة . والوجه الآخر ان في التكبر ما يكون ممدوحاً بان من تكبر ونزه عن الفواحش والدنایا وتباعد عن فعلها وتجنب أهلها يكون مستحقاً للمدح سالكا لطريق الحق والتكبر المذموم هو الواقع على وجه الذخوة والبني والاستطالة على ذوى الضعف والفخر عليهم والمباهاة لهم ومن كان بهذه الصفة فهو مجانب للتواضع الذى نذب الله اليه وأرشد الى الثواب المستحق عليه ويستحق بذلك الذم والمقت ولهذا شرط تعالى أن يكون التكبر بغير الحق في قوله تعالى في هذه السورة ( قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبني بغير الحق ) يحتمل أيضاً هذين الوجهين الذين ذكرناهما فان أريد به البني المكروه الذى هو الظلم وما أشبهه كان قوله بغير الحق تأكيداً وإخباراً عن أنه بهذه صفة وان أريد بالبني الطلب وذلك أصل في اللغة كان الشرط في موضعه لان الطلب قد يكون بالحق وبغير الحق . . فان قيل فما معنى قوله تعالى ( وان يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً وان يروا سبيل الضلالتى يتخذوه سبيلاً ) وهل الرؤية ههنا العلم والادراك بلبصر وهب انها يمكن أن تكون في قوله تعالى ( وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها ) محمولة على رؤية البصر لان الآيات والأدلة مما تشاهد كيف نحمل الرؤية الثانية على العلم وسبيل الرشداً انما هي طريقه ولا يصح أن يرجع بها الى المذاهب والاعتقادات التى لا يجوز عليها رؤية البصر فلا بد اذاً من أن يكون المراد به رؤية العلم ومن علم طريق الرشداً

لا يجوز أن ينصرف عنه الى طريق الغي لأن العقلاء لا يختارون مثل ذلك . . قلنا الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه . أحدها أن يكون المراد بالرؤية الثانية رؤية البصر ويكون السبيل المذكور في الآية هي الأدلة والآيات لأنها مما يدركه البصر ويسمى سبيل الرشد من حيث كانت وصلة الى الرشد وذريعة الى حصوله ويكون سبيل الغي هو الشبهات والخاريق التي ينصبها المبطلون والمدغولون في الذبح فيوقعوا بها الشبهة على أهل الايمان وتسمي بانها سبيل الغي وان كان النظر فيها لا يوجب حصول الغي من حيث كان المعلوم ممن تشاغل بها واعتبر بأهلها انه يصير الى الغي . والوجه الثاني أن يكون المراد بالرؤية العلم إلا أن العلم لا يتناول كونها سبيلا للرشد وكونها سبيلا للغي بل يتناولها من هذا الوجه لا ترى ان كثيراً من المبطلين يعلمون مذاهب أهل الحق واعتقاداتهم وحججهم إلا أنهم يجهلون كونها صحيحة مفضية الى الحق فيتجنبونها وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين واعتقاداتهم الباطلة إلا أنهم يجهلون كونها باطلة ويمتدنون صحتها بالشبه فيصبرون اليها وعلى هذا الوجه لا يجب أن يكون الله تعالى وصفهم بالغي وترك الحق مع العلم به . والوجه الثالث أن يكونوا طائفتين بسبيل الرشد والغي ويميزين بينهما إلا أنهم لا ميل الى أعراض الدنيا والمذاهب مع الهوى والشبهات يعدلون عن الرشد الى الغي ويجحدون ما يعلمون كما أخبر الله سبحانه عن كثير من أهل الكتاب لانهم يجحدون الحق وهم يعلمونه ويستبغون . . فان قيل فما معنى قوله تعالى ( ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ) والتكذيب لا يكون في الحقيقة إلا في الأخبار دون غيرها . . قلنا التكذيب قد يطلق على الأخبار وغيرها ألا ترى أنهم يقولون فلان يكذب هكذا وكذا اذا كان يعتقد بطلانه كما يقولون يصدق بكذا وكذا اذا كان يعتقد صحته ولو صرفنا التكذيب هنا الى أخبار الله تعالى التي تضمنتها كتبه الواردة على أيدي رسله جاز فتكون الآيات هنا هي الكتب المنزلة دون سائر المعجزات . . فان قيل فما معنى ذمه تعالى ( ذلك بأنهم كانوا عن آياتنا غافلين ) والغفلة على مذهبكم من فعله لانها السهو وما جرى مجراه مما يتلقى العلوم الضرورية ولا تكليف على الساهي فكيف يذم بذلك . . قلنا المراد هنا بالغفلة التشبيه بالحقيقة

ووجه التشبيه انهم لما أعرضوا عن تأمل آيات الله تعالى والانتفاع بها أشبهت حالهم حال من كان ساهياً غافلاً عنها فأطاق عليهم هذا القول كما قال تعالى (صمُّ بكم عمي) على هذا المعنى ولهذا يقول الانسان لمن يستبعثه ويصفه بالاعراض عن التأمل والتبين أنت ميت وراقد لا تبصر ولا تسمع وما أشبه ذلك وكل هذا واضح بحمد الله وكرمه واحسانه

﴿تم الجزء الأول والله الحمد من كتاب أمالي السيد المرتضى﴾  
 ﴿وبليه الجزء الثاني وأوله تأويل خبر ان سألت سائل الخ ٥٥﴾  
 (والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم)



## ﴿ فهرس الجزء الاول من كتاب أمالي السيد المرتضى ﴾

- (الجلس الاول)
- ٢ تأويل قوله تعالى : واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها الآية
- ٤ تأويل خبر : من أعلم القرآن ثم نسيه لقي الله وهو أجذم
- ٧ مسألة القول بوجوب الاصاح عليه تعالى عند المعتزلة  
( المجلس الثاني )
- ٨ تأويل قوله تعالى : يسألونك عن الروح قل الروح الآية
- ٩ فصل في قوله تعالى : والارض مددناها وألقينا فيها رواسي الآية
- ١١ استطراد لتفسير اللحن في القول المراد به الكناية عند العرب
- ١٣ تأويل قول علي من أحننا أهل البيت فليعد لنا مقر جلابيا
- ١٤ فصل في ذكر من كان من مشهوري الشعراء ومقدمهم على مذهب المعتزلة
- ١٦ مسألة القول بتنفى الباري بالابصار على مذهب المعتزلة  
( المجلس الثالث )
- ١٨ تأويل قوله تعالى : فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين
- ٢٠ تأويل « و » : واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم الآية
- ٢٤ تأويل خبر : ليس منا من لم يتغن بالقرآن
- ٢٨ الكلام على قوله تعالى : وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة  
( المجلس الرابع )
- ٣٠ تأويل قوله تعالى : وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله الآية
- ٣٣ تأويل « » : ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود
- ٣٦ مسألة تتضمن الكلام على المنافع التي عرض الله الاحياء لها  
( المجلس الخامس )
- ٣٨ تأويل قوله تعالى : وكذلك أورثناها قوما آخرين
- ٤١ تأويل خبر : ان أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل
- ٤٣ استطراد لترجمة الفرزدق وشي من أخباره وأشعاره  
( المجلس السادس )

- ٤٩ تأويل قوله تعالى : ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة الآية
- ٥٣ تأويل خبر : مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت
- ٥٤ تأويل خبر مارية القبطية أم إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم
- ٥٧ استطراد لذكر ما جاء عن العرب فيما يقال عن التمر في الشهر كله  
(المجلس السابع)
- ٥٩ تأويل قوله تعالى : ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى الآية
- ٦٢ استطراد لما جاء عن الدهويين في أن الألوان والعيوب لا يتوجب منها بلفظ التصحيح
- ٦٥ تأويل خبر : تفي الأرض أفلاذ كبدها مثل الأصطوران من الذهب والفضة الخ
- ٦٧ استطراد لذكر الخفساء وشئ من خبرها وشعرها  
(المجلس الثامن)
- ٧٠ تأويل قوله تعالى : وجاؤا على قيصه يدم كذب الآية
- ٧٢ تأويل خبر نعم المال أربعون والكثير ستون الحديث
- ٧٦ استطراد لذكر قيس بن عاصم سيد أهل الوبر وطرفة من أخباره
- ٧٨ ترجمة أبي دهبل الجعفي وشئ من أخباره وشعره  
(المجلس التاسع)
- ٨٣ تقرير عن الحكمة التكرار الواقع في سورة الكافرين والكلام علي تأويل ذلك
- ٨٦ الحكمة في التكرار الواقع في سورة الرحمن ونظائره من كلام العرب
- ٨٨ كلام علي الدهريين والزنادقة والمتهتكين في صدر الإسلام
- ٨٩ ترجمة الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأخباره في التهنك
- ٩٠ ترجمة حماد الراوية وشئ من أخباره في التهنك
- ٩٢ ترجمة حماد بن الزرقان . . وحماد مجرد وأخبارهما في التهنك
- ٩٣ ترجمة عبد الله بن المقفع وأخباره في الزندقة وشئ من حكمه وأمثاله
- ٩٥ ترجمة عبد الكريم بن أبي العوجاه واعترافه بالكذب علي النبي صلى الله عليه وسلم
- ٩٦ ترجمة بشار بن برد وزندقته وخبره مع واصل بن عطاء المعتزلي  
(المجلس العاشر)
- ٩٨ ترجمة مطيع بن إلياس الكنتاني وزندقته
- ٩٩ ترجمة يحيى بن زياد بن عبد المدان وزندقته
- ١٠٠ ترجمة صالح بن عبد القدوس وتظاهره بالثنوية

- ١٠١ ترجمة أبي الحسن علي بن الخليل مولى يزيد بن يزيد الشيباني
- ١٠٣ الكلام على اصول أهل التوحيد والعدل وأنه مأخوذ من كلام سيدنا علي
- ١٠٦ استطراد لترجمة الحسن بن أبي الحسن البصري وشي من أخباره  
(المجلس الحادي عشر)
- ١١٣ ترجمة واصل بن عطاء الغزال المعتزلي وأخباره
- ١١٤ مناظرة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد في القول في المنزلة بين المنزلتين
- ١١٧ ترجمة عمرو بن عبيد المعتزلي الزاهد وأخباره  
(المجلس الثاني عشر)
- ١٢٠ دخول عمرو بن عبيد على الخليفة المتصور وخبره معاه
- ١٢٤ ترجمة أبي الهذيل العلاف وأخباره وشرح مذهبه
- ١٢٨ استطراد لذكر خبر مهيفة المناس وشرح ذلك  
(المجلس الثالث عشر)
- ١٣١ ترجمة أبي سهل بشر بن المعتز أحد وجوه النظار وأهل الكلام
- ١٣٢ ترجمة أبي اسحاق إبراهيم بن سيار النظام وشي من أخباره وأشعاره
- ١٣٤ استطراد للخبر المشهور عن ليلى في اختباره بهجاء البقلة وذمها وشرح ذلك
- ١٣٨ ترجمة أبي عثمان عمرو بن يحيى الجاحظ ونقب من أخباره وأشعاره  
(المجلس الرابع عشر)
- ١٤٣ تأويل قوله تعالى : ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الآية
- ١٤٩ خبر قيس بن زهير العبسي ومجاورته الفجر بن قاسط بعد يوم الهبابة وشرح ذلك
- ١٥٢ خبر مقتل زهير بن جذيمة العبسي وشرح ذلك مع خبر يوم الهبابة وشرحه  
(المجلس الخامس عشر)
- ١٥٤ تأويل قوله تعالى : مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الآية
- ١٥٧ تأويل خبر مداعبة النبي صلى الله عليه وسلم الحسين بن علي رضي الله عنهما وشرح ذلك
- ١٦٠ استطراد لترجمة معن بن زائدة الشيباني وذكر شي من أخباره  
(المجلس السادس عشر)
- ١٦٤ تأويل قوله تعالى : أن الذين يكفرون بآيات الله ويمثلون النبيين بغير حق
- باب ذكر شي من أخبار المعمرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم
- ١٦٧ ترجمة الحارث بن كعب المدحجي المعمر وشرح كلامه

- ١٦٩ ترجمة عمرو بن ربيعة المعروف بالمتوغر المعمر وشرح كلامه
- ١٧١ ترجمة دويد بن زيد المعمر وشرح كلامه
- ١٧٢ ترجمة زهير بن جناب المعمر وشرح كلامه  
( المجلس السابع عشر )
- ١٧٦ ترجمة ذى الأصبع المدواني المعمر وشرح كلامه
- ١٧٧ خبر بنات ذو الأصبع الأربع وتزويجهن وشرح ذلك
- ١٨٣ ترجمة معدنكرب الحميري ٥٥ والربيع بن ضبيع الفزاري المعمرين  
( المجلس الثامن عشر )
- ١٨٥ ترجمة أبي الطامحان الفتيق المعمر وشرح كلامه
- ١٨٨ ترجمة عبد المسيح بن بقيلة الغساني المعمر وشرح خبره مع خالد بن الوليد  
في شربه السم
- ١٩٠ ترجمة التابغة الجعدي المعمر وخبر دعائه صلى الله عليه وسلم له
- ١٩٢ استطراد لذكر خبر الجحاف ووقعته بإبشر في قوم الأخطل  
( المجلس التاسع عشر )
- ١٩٦ تقرير للمصنف في رد أنكار المذكورين على تطاول الأعمار وامتدادها
- ١٩٧ باب في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي تسمى المسكنة وتمهد للمصنف في ذلك
- ٢٠٢ استطراد لشرح قصيدة أبي نواس التي مطلعها « يامنة امنها السكر »  
( المجلس العشرون )
- ٢٠٤ عود لذكر مستحسن الجوابات المسكنة
- ٢٠٧ خبر قتيبة بن مسلم والحسين بن المذخر الرقائني
- ٢١٢ المأثور من الأجوبة المسكنة عن أبي الأسود الدئلي  
( المجلس الحادي والعشرون )
- ٢١٥ خبر سفوان بن الأهم ورجل من بني عبد الدار
- ٢١٧ المأثور من الأجوبة المسكنة عن أبي العيناء
- ٢٢١ استطراد لذكر شيء من شعري أبي العباس العمولى والمتشغل الهذلي  
( المجلس الثاني والعشرون )
- ٢٢٤ تأويل قوله تعالى ٥٥ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض الآفة  
( تم الفهرس )

الجزء الثاني من كتاب

# أما إلى السيد الرضوي

الشريف أبي القاسم علي بن العلاء أبي أحمد الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ هـ رضي الله عنه

في التفسير والحديث والأدب

الطبعة الأولى

( سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م )

( على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه )

« حقوق الطبع محفوظة »

صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه ( السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي )



( مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر لصاحبها محمد اسماعيل )

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[تأويل خبر] ٠٠ ان سأل سائل عن الخبر المروي عن عبد الله بن عمر أنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف شاء ثم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا الى طاعتك ٠٠ وعما يرويه أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قلب آدمي إلا وهو بين أصبعين من أصابع الله تعالى فإذا شاء أن يثبت يثبه وإن شاء أن يقلبه قلبه ٠٠ وعما يرويه ابن حوشب قال قلت لأُم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ما كان أ كثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان أ كثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقالت قلت يا رسول الله ما أ كثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقال يا أم سلمة ما من آدمي إلا وقابه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل ماشاء أقام وما شاء أزاغ ٠٠ فقال ماتأويل هذه الأخبار على ما يطابق التوحيد وينفي التشبيه أو ليس من مذهبكم ان الأخبار التي يخالف ظاهرها الاصول ولا تطابق العقول لا يجب ردها والقطع على كذب راويها إلا بعد أن لا يكون لها في اللغة مخرج ولا تأويل وان كان لها ذلك فبإستكرام أو تمسك ولستم عن يقول ذلك في مثل هذه الأخبار فما تأويلها ٠٠ الجواب ان الذي يعوم عليه من تكلم في تأويل هذه الأخبار هو أن يقول ان الأصبع في كلام العرب وان كانت الجارحة المخصوصة فهي أيضاً الأثر الحسن يقال لفلان على ماله وإبله أصبع حسنة أي قيام وأثر حسن ٠٠ قال الراعي يصف راعياً حسن القيام على إبله ضعیف العصب بأدي العروق ترى إبه عليها إذا ما أجذب الناس إصبعا ٠٠ وقال طفيل الغنوي يصف غلاماً

كُنَيْتِ كَرُكُنِ الْبَابِ أَحْبَبِي بَنَاتِهِ مَقَالِيَّتَهَا فَأَسْتَحْشَمْتُهُنَّ لِاصْبِعُ

•• وقال لبيد بن ربيعة

مَنْ يَسْطُرِ اللَّهُ عَلَيْهِ إِصْبَعًا بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ بَأَيِّ أَوْلَمَا<sup>(١)</sup>  
يَمْلَأُ لَهُ مِنْهُ ذَنْبًا مَتْرَعًا

•• وقال حميد بن ثور

أَغْرُ كُلُّونِ الْبَدْرِ فِي كُلِّ مَنْكِبٍ مِنَ النَّاسِ نَعْمَى تَحْتَلِيهَا وَإِصْبَعُ

•• وقال آخر

وَأَرْزَنَاتٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أَبْنٌ ذُو إِصْبَعٍ فِي مَسْبَاهِ وَذُو فِطْنٍ

•• وقال آخر

أَكْرِمُ تَزَارًا وَأَسْقَمُ الْمُشْعَمَا فَإِنَّ فِيهِ خَصَلَاتٍ أَرْبَعًا

حَدًّا وَجُودًا وَنَدَى وَأُصْبَعًا

والأصبع في كل ما أوردناه المراد بها الأثر الحسن والنعمة فيكون المعنى ما من آدمي إلا وقلبه بين نعمتين لله جليلتين حسنتين •• فان قيل هذا قد ذكر كما حكيتكم إلا انه لم يفصل ما للثمتان وما وجه التسمية ههنا ونعم الله تعالى على عباده كثيرة لانحصي •• قلنا يقتضى أن يكون الوجه في ذلك نعم الدنيا ونعم الآخرة ونسألهما كالجنين أو كالوحيين وان كان كل قبيل منهما في نفسه ذا عدد كثير لأن الله تعالى قد أنعم على عباده بان عرفهم بأدلته وبراهينه ما أنعم به عليهم من نعم الدنيا والآخرة وعرفهم ما لهم في الاعتراف بذلك والشكر عليه والثناء به من الثواب الجزيل والبقاء في النعيم الطويل •• ويمكن أن يكون الوجه في تسميتهم للأثر الحسن بالأصبع هو من حيث يشار اليه

(١) أشبهه في اللسان في مادة ص ب ع

من يجعله الله عليه إصبعًا في الخير أو في الشر بآية بها

بالأصبع اعجاباً به وتديباً عليه وعنده طائفة في تسمية الشيء بما يقع عنده وبما له به علفة  
وقد قال قوم في بيتي طفيلاً والرامي أنهما أرادا أن يقولاً يبدأ في مكان الأصبع لأن اليد  
النهضة فلم يكفهما فعدلا عن اليد إلى الأصبع لأنها من اليد وفي الأصبع التي هي  
الجارحة ثمان لغات • أصبغ بفتح الألف والباء • وأصبغ بفتح الألف وكسر الباء  
وأصبغ بضم الألف والباء • وأصبغ بضم الألف وفتح الباء • وأصبغ بضم الألف  
مع الواو • وإصبغ بكسر الألف والباء • وإصبغ بكسر الألف وفتح الباء • وإصبغ  
بكسر الألف وضم الباء • وفي هذه الأخبار وجه آخر وهو أوضح مما ذكره وأشبه  
بمذاهب العرب في ملاحض كلامها وتصرف كتابتها وهو أن يكون المعنى في ذكر الأصابع  
الإخبار عن تيسر تصريف القلوب وتقريبها والتعلل فيها عليه جلت عظمتها ودخول  
ذلك تحت قدرته الأتري أنهم يقولون هذا الشيء في خصري وأصبعي وفي يدي وقبضتي  
كل ذلك إذا أرادوا تسهيله وتيسره وارتفاع الثقة فيه والثؤنة وعلى هذا المعنى يتأول  
المحققون قوله تعالى ( والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسواوات معلقات مجازاً )  
فكانه سأل الله عليه وسلم لما أراد المبالغة في وصفه بالقدرة على قلب القلوب وتصريفها  
بغير مشقة ولا كلنة وإن كان غيره تعالى مجازاً عن ذلك ولا يتمكن منه فقال أنها بين  
أصبعين من أصابعه كناية عن هذا المعنى واختصاراً للنظر الطويل وجراً على مذهب  
العرب في إخبارهم عن مثل هذا المعنى مثل هذا اللفظ وهذه الوجه يجب أن يكون  
مقدمات على الوجه الأول ومتممات عليه لأنه واضح جلي • • ويمكن أن يكون الكافي الخبر  
وجه آخر على تسليم ما يترجمه المحققون من أن الأصبعين هما الخلقان من اللحم  
( ١ ) لا يخفى أن هذه الأجوبة لا مدخاية لها في السؤال ولو كانت فليس ذلك محلاً  
له لأن البحث والسؤال ومحامها في معنى تصرفها كيف شاء وإذا شاء أن يثبته فإنه وإن  
شاء أن يقلبه قلبه وما شاء أقام وما شاء أزاغ وأمتناها في أمثال معنى هذا الحديث  
التصريف مما هو صريح في الخبر ورفع التكليف فإن هذا هو الباء العضال وهو موضع  
انقسام العقول العقل لافي معنى الأصبع وجواز قراءة الأصبوع بما لا يسمن ولا  
يفنى من جوع له من هاشم الأصل

والدم استظهاراً في الحجة وإقامة لها على كل وجه وهو أنه لا يشكر أن يكون القلب  
يشتمل عليه جسمان على شكل الأصبعين بحركة الله تعالى بهما ويقبله بالفعل فيهما  
ويكون وجه تسميتهما بالأصابع من حيث كانا على شكلهما والوجه في اضافتهما الى الله  
تعالى وان كانت جميع أفعاله تضاف اليه بمعنى الملك والقدرة لانه لا يقدر على الفعل فيهما  
وتحريكهما متفردين عما جاورها غيره تعالى فقبل انهما أصبعان له من حيث اختص  
بالفعل فيهما على هذا الوجه لان غيره إنما يقدر على تحريك القلب وما هو مجاور للقلب  
من الأعضاء بتحريك جملة الجسم ولا يقدر على تحريكه وتصريفه انفراداً مما يجاوره غيره  
تعالى فمن أين للمبطلين المناولين هذه الأخبار بأهوتهم وضعف آرائهم ان الأصابع  
ههنا اذا كانت مخلوقاً فهي جوارح من تعالى وما هذا الوجه الذي ذكرناه بعميده . وعلى  
المناول أن يورد كل محتله الكلام مما لا تدنمه حجة وان ترتب بمضه على بعض في القوة  
والوضوح ونحن نعود الي تفسير ما لعنه أن يشبه من الآيات التي استشهدنا بها . أما  
قوله - حساً وجوداً وندياً وأصيماً - فمضى الحسد المضاء والنفاذ وقول الآخر  
- وأوزنا - ليس فيهن أين - فالأوزان العصى والأين العقدة . . فأما قول حيد بن نور  
- في كل مكب من الناس - فلنكب الجماعة والمنكب الساجية . . وأما معنى آيات ليد فانه  
أراد من يسبق الله اليه خيراً أو يقدرف عنه ذراً فعمل ذلك به وأسبغ له حتى يذمي منها .  
. . فأما بيت طويل القومى فمعناه ان هذا الفعل الذي وصفه بأنه كبيت وأنه كركى الباب  
لثبته وشدته لما ضرب في لابل الى وسببها عاشت أولادها التي هي بناته به . ان كان  
منايات والمفلاة التي لا يمشى لها ولد فكان هذا منه رأياً جيلاً عليها . . فأما بيت الراعى  
فمضى قوله - ضعيف العصا - يريد انه قليل الضرب لها أما لانها لا يجوزته سداً أو تأوداً  
أو لشفته عاين وهذه كناية في نهاية الحسن واختصار شديد لانه قد يجوز أن يكون  
ضعيف العصا على الحقيقة من حيث لا يحتاج الى استعمالها في الضرب فيختارها قوية  
ويجوز أن يكون حذف وأراد ضعيف فعل العصا . . وقوله بإدي العروق - يعني عروق  
رجله لفسادها من السمي في أثر هذه الابل وأراد - بالأصبع - ان له عليها في جذب  
الناس رأياً جيلاً لحسن قيامه وتمهده . . وقد قيل انه إنما سعى الراعى لبيت قاله في

هذه القصيدة بمد بيتين من البيت الذي أنشدناه وهو  
 لها أمرها حتى إذا ماتبوات بأحقافها مأوى تبوأ مضجعا  
 هذا قول الأسمى . . وقال السكري سمي بذلك لقوله في هذه القصيدة أيضاً  
 هذان أخو وطب وصاحب عليه يرى المجد أن يأتي جلاء ومرتباً

وروى عن بعض بني نمير أنه قال إنما سمي بذلك لقوله  
 تبيت مراقهن فوق مزلّة لا يستطيع بها القراء مقيلاً  
 فقال بعض بني نمير لما سمع هذا البيت والله ما هو إلا راعي إبل فبيت عليه . . وقال  
 محمد بن سلام إنما سمي الراعي لكثرة وصفه الأبل وحسن نعتها واسمه عبيد بن  
 حميد بن جندل وكنيته أبو جندل وقيل أبو نوح

### مجلس آخر ٢٣

[تأويل آية] . . ان سأل سائل عن قوله تعالى ( تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك )  
 ما المراد بالنفس في هذه الآية وهل المعنى فيها كالمعنى في قوله ( ويحذركم الله نفسه ) أو  
 يخالفه أو يعالقي معنى الآيتين والمراد بالنفس فيها ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله  
 عليه وسلم أنه قال يقول الله عز وجل إذا أحب العبد لأقرب أحببت لقلبه وإذا ذكرني في  
 نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في مالا ذكرته في مالا خير منه وإذا تقرب إلى  
 شبرا تقربت إليه ذراعاً وإذا تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً أو لا يطابقه . . الجواب  
 قلنا إن النفس في اللغة لها معان مختلفة وزججوه في التصريف بتباينة . . فالنفس نفس الإنسان  
 وغيره من الحيوان وهي التي إذا فقدت خرج عن كونه حياً ومنه قوله تعالى ( كل نفس  
 ذائقة الموت ) . . والنفس الأتفة من قولهم ليس له إن نفس أي لا أتفة له . . والنفس  
 الإرادة من قولهم نفس فلان في كذا أي إرادته . . قال الشاعر

فَنَفْسَايَ نَفْسُ قَالَتْ أَنْتَ ابْنُ بَدَلٍ      تَجِدُ فَرَجًا مِنْ كُلِّ غَمٍّ تَهَايَا  
وَنَفْسُ تَقُولُ أَجْهَدُ نَجَاكَ فَلَا تَكُنْ      كَخَضِيصَةٍ لَمْ يَنْفِ شَيْئًا خِضَابُهَا

ومنهان رجلا قال للحسن البصري يا أبا سعيد أجمع قط فنفس تقول لي حج ونفس  
تقول لي تزوج فقال الحسن أما النفس فواحدة ولكن لك هم يقول حج وهم يقول  
تزوج وأمره بالحج .. وقال الممزق العبدي ويروي لعقر بن حمار البارقى

أَلَا مَنْ لَعِينٍ قَدْ نَاهَا حَمِيمُهَا      وَأَرْفَى بَعْدَ الْمَنَامِ هُمُومُهَا  
فِيَا تَ لَهَا نَفْسَانِ شَتَى هُمُومُهَا      فَنَفْسٌ تَعَزِيهَا وَنَفْسٌ تَلُومُهَا

.. وقال النمر بن تولب العكلى

أَمَّا خَلِيلِي فَإِنِّي لَسْتُ مُعْجِلُهُ      حَتَّى يُؤَامِرَ نَفْسِيهِ كَمَا زَعَمَا  
نَفْسٌ لَهُ مِنْ نَفُوسِ الْقَوْمِ صَالِحَةٌ      تُعْطِي الْجَزِيلَ وَنَفْسٌ تَرْضَعُ الْغَنَمَا

أراد انه بين نفسين نفس تأمره بالجود وأخرى تأمره بالبخل وكفى براضع الغنم عن  
البخل لان البخيل يرضع الابن من الشاة ولا يبلها لكلا يسمع الضيف صوت الشخب  
فيهدى اليه ومنه قيل لثيم راضع .. وقال كثير

فَأَصْبَحْتُ ذَا نَفْسَيْنِ نَفْسٍ مِنْ بِيضَةٍ      مِنْ النَّاسِ مَا يَنْفَكُ هُمْ يُعَوِّدُهَا  
وَنَفْسٍ تُرْجِي وَصَالِحًا بَعْدَ حَرَمِهَا      تَجْمَلُ كَيْ يَزْدَادَ غِيظًا حَسُودُهَا

.. والنفس العين التي تصيب الانسان يقال أصابت فلانا نفس أبيض عين .. وروى أن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم كان يرقي فيقول بسم الله أرتحك والله يشفيك من كل داء يؤذيك  
وداء هو فيك من كل عين عاين ونفس نأفس وحسد حاسد .. وقال ابن الاعراب  
النفوس التي تصيب الناس بالنفسين وذكر رجلا فقال كان والله حسوداً نفوساً كذوباً  
.. وقال عبید الله بن قيس الرقيات وهو قرشي

يَدْتَمِي أَهْلُهَا النَّفُوسَ عَلَيْهَا      قَمَلِي نَحْرَهَا الرَّثَى وَالتَّمِيمِ

•• وقال مضر بن القهمسي

وَإِذَا عَمُوا صَعُدْنَا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ  
مِنَّا الْخِيَالُ وَلَا نَفْسُ الْحُسَدِ

•• وقال ابن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك

فَأَسْلَمْتُ سَلِمَتْ مِنَ الْمَكَارِهِ وَالرَّذَى وَعِثَارِهَا وَوَقِيَتْ نَفْسَ الْحُسَدِ

•• والنفس أيضاً من الدباغ بمنّ دار الدباغة يقول اعطى نفساً من دباغ أي قدر ما أدبغ به

مرة •• والنفس الغيب يقول القائل إني لأعلم نفس فلان أي غيبه وعلى هذا التأويل قوله

تعالى ( تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ) أي تعلم غيبي وما عندي ولا أعلم غيبك

•• وقيل إن النفس أيضاً العقوبة من قولهم أحذرك نفسي أي عقوبتي وبعض المفسرين

يحمل قوله تعالى ( ويحذركم الله نفسه ) على هذا المعنى كأنه يحذركم عقوبته •• وروى

ذلك عن ابن عباس والحسن وآخرين قالوا •• معنى الآية ويحذركم الله إياه •• وقدرى

عن الحسن ومجاهد في قوله تعالى ( تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ) ما ذكرناه

من التأويل بعينه •• فان قيل ما وجه تسمية الغيب بأنه نفس قلنا لا يمنع أن يكون

الوجه في ذلك أن نفس الإنسان لما كانت خفية الموضع نزل ما يكتمه ويجهده في ستره

منزلتها وسمي باسمها فقل في نفسه أنه نفسه مبالغة في وصفه بالكتمان والخفاء وإنما حسن

أن يقول تعالى مخبراً عن نبيه عليه الصلاة والسلام ولا أعلم ما في نفسك من حيث تقدم

قوله تعالى ( تعلم ما في نفسي ) ليزدوج الكلام ولهذا لا يحسن ابتداءه أن يقول أنا

لا أعلم ما في نفسي الله تعالى وأن حسن على الوجه الأول ولهذا نقاثر في الاستعمال

مشهورة مذكورة •• فأما الخبر الذي يرويه السائل فتأويله ظاهر وهو خارج على

مذهب العرب في مثل هذا الباب معروف ومعناه أن من ذكرني في نفسه جازيته على

ذكره لي وإذا قرب الي شراً جازيته على تقربه الي وكذلك الخبر الي آخره فسمى

المجازاة على الشيء باسمه امتساعاً كما قال تعالى ( وجزاء سيئةً سيئةً مثلها •• ويمكرون

ويكر الله •• الله يستهزئ بهم ) •• وكما قال الشاعر

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا



هذا البيت فيابق قوله على قرن أعفرا بالتأويل المذكور بل وصف أما كن كان فيها  
 مسروراً بمتعماً ألا ترى الى قوله قيل هذا البيت بلا فصل  
 الْأَرْبُ يَوْمٍ صَالِحٍ قَدْ شَهِدْتُهُ بِتَأْدِيقِ ذَاتِ التَّلِّ مِنْ فَوْقِ طَرَطَرَا  
 فيكون معنى قوله على قرن أعفرا على هذا الوجه انه كان على مكان عال مشرف شبيه  
 لارتفاعه وطوله بقرن الغابي وهذا القول لابن الاعرابي والأول للأصمعي . . فأما  
 قول الآخر

أَلَا قَلَّ خَيْرُ الشَّيْءِ كَيْفَ تَغَيَّرَا فَأَصْبَحَ يَرْمِي النَّاسَ عَنْ قَرْنِ أَعْفَرَا  
 فلا يشتمل الا لشدة والحال المذموم ويجوز أن يريد ان الناس فيه غير مطمئنين بل هم  
 منزعجون فاقون كأنهم على قرن ظبي ويحتمل انه يعلمهم بقرن ظبي كقولك رماء بداهية  
 ويكون معنى عن ههنا معنى الباء فقال عن قرن أعفرا وهو يريد بقرن أعفرا وقد ذكر  
 في هذا البيت الوجهان معاً فيكون معنى الآية على هذا التأويل ان القلوب لما اتصل  
 وجيها واضطربت بالمت الحناجر لشدة القلق . . ومنها أن يكون المعنى كادت القلوب  
 من شدة الرعب والخوف تبلغ الحناجر وان لم تبلغ في الحقيقة فألقى ذكر كادت لوضوح  
 الأمر فيها وللفظة كادت ههنا للمقاربة مثل قول قيس بن الخطيم

أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَالطَّرَازِ الْمُدَّهَبِ لَعَمْرَةَ وَحَشَاغَيْرِ مَوْقِفِ رَاكِبِ  
 دِيَارِ الَّتِي كَادَتْ وَتَحْنُ عَلَى مَنِي تَحَلُّ بِنَا لَوْلَا نَجَاهُ الرَّاكِبِ

مضاه قاربت أن تحل بنا وان لم تحل في الحقيقة . . وقوله غير موقوف راكب - فيه  
 وجهان أحدهما انه ليس بموضع يتقف فيه راكب لخلوه من الناس ووحشته والآخر  
 أن يكون انه أراد وحش إلا أن راكباً وقف به يعني نفسه . . وقال نصيب  
 وَقَدْ كَذَبْتُ يَوْمَ الْحَزَنِ لِمَا تَرَمَّتْ هَتُوفُ الضُّحَى مَحْزُونَةٌ بِالْتَرْتَمِ  
 أَمُوتُ لِمَبْكَاهَا أَسْمَى إِنْ لَوْعَتِي وَوَجَدِي بَسْعَدَى شَجْوُهُ غَيْرُ مَنُجْمِ

معنى - التجم - الملقع . . وقال ذو الرمة

وَقَفْتُ عَلَى رَيْبٍ لَيْمِيَّةٍ نَاقِيَةٍ      فَمَا زِلْتُ أُبْكِي عِنْدَهُ وَوَاحَاطِبُهُ  
وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَثْبُهُ      تَكَلَّمَنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ

وكل هذا معنى كاد فيه المقاربة ووق أدخلت العرب على كاد جمعاً فقالوا ما كاد عبد الله يقوم ولم يكد عبد الله يقوم كان فيه وجهان أجودها قام عبد الله بعد إبطاء ولاي ومثله قوله تعالى ( فذبحوها وما كادوا يفعلون ) أي بعد إبطاء وتأخر لأن وجد ان البقرة عسر عليهم . . وروى انهم أصابوها لبتيم لامل له غيرها فاشتروها من وليه بله جلدتها ذهباً فقال تعالى ( وما كادوا يفعلون ) إما لانهم لم يقفوا عليها أو اغلائها وكثرة ثمنها . . والوجه الآخر في قولهم ما يكاد عبد الله يقوم أي ما يقوم عبد الله وتكون لفظة يكاد على هذا المعنى . مطرحه لاحكم لها وعلى هذا يحمل أكثر المفسرين قوله تعالى ( إذا أخرج يده لم يكده يراها ) أي لم يرها أصلاً لانه عز وجل لما قال ( أو كظلمات في بخر لحى يفتشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ) كان بعض هذه الظلمات يحول بين العيون وبين النظر الى اليد وسائر المناظر فيكد على هذا التأويل زيدت للتوكيد والمعنى اذا أخرج يده لم يرها . . وقال قوم معنى الآية اذا أخرج يده رآها بعد إبطاء وعسر لكاتف الظلمة وترادف الموانع من الرؤية فيكد على هذا الجواب ليست بزيادة . . وقال آخرون معنى الآية اذا أخرج يده لم يرد أن يراها لان ما شاهده من تكاتف الظلمات آيبه من تأمل يده وقرر في نفسه انه لا يدركها ببصره . . وحكى عن العرب أولئك أصحابي الذين أكاد أنزل عليهم أي أريد أن أنزل عليهم . . وقال الشاعر

كَادَتْ وَكَدَتْ وَتِلْكَ خَيْرُ إِزَادَةٍ      لَوْ عَادَ مِنْ لَيْلِهِ الصَّبَابِيُّ مَا مَضَى

أي أرادت وأردت . . وقال الأفوه لأردى

فَإِنْ تَجَمَّعَ أَوْتَادٌ وَأَعْمِدَةٌ      وَسَاكِنٌ بِالْفَوْالِمِ الَّذِي كَادُوا

أي أرادوا . . وقال بعضهم معنى قوله تعالى ( كذلك كدنا ليوسف ) أي أردنا ليوسف . . وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس معناه كذلك كدنا ليوسف . . وما يشهد

لمن جعل لفظة بكذ زائفة في الآية . قول الشاعر  
 سَرَّيْعٌ إِلَى الْهَيْجَاءِ شَالِكِ السَّلَاحَةِ      فَمَا أَنْ يَكَاذُ قِرْنُهُ يَتَنَفَّسُ

أى فان يتنفس قرنه ويكاذ . زبدة للتوكيد . . وقال حسان

وَتَكَادُ تَكْسَلُ أَنْ تَجِيَّ فِرَاشَهَا      فِي جِسْمِ خَرَعْبَةٍ وَحُسْنِ قَوَامِ

ومعناه وتكسل أن تجي فراشها . . وقال الآخر

وَالْأَلْوَمُ النَّفْسَ فِيمَا أَصَابَنِي      وَالْأَكَاذُ بِالَّذِي نَلَّتْ أَنْجَحُ

أى لا أنجح بالذى نلت ولو لم يكن الأمر على هذا لم يكن البيت مدحاً . . وروى عبد

الصد بن المعدل بن غيلان عن أبيه عن جده غيلان قال قدم علينا ذو الرمة الكوفة

فأشدنا بالكناسة وهو على راحته قصيرته الحائبة التي يقول فيها

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكْذُ      رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرُحُ

فقال له عبد الله بن شبرمة قد يرح يادا الرمة فمكر ساعة ثم قال

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ أَجِدْ      رَسِيسَ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرُحُ

قال فأخبرت أبي بما كان من قول ذى الرمة واعتراض ابن شبرمة عليه فقال أخطأ

ذو الرمة في رجوعه عن قوله الأول وأخطأ ابن شبرمة في اعتراضه عليه هذا كقوله

عز وجل ( إذا أخرج يده لم يكد يراها ) أى لم يرها . . فأما قوله عز وجل ( إن

الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس ) فيحتمل أن يكون المعنى أريد إخفاءها

لكي تجزى كل نفس بما نسي ويجوز أن تكون زائدة ويكون المعنى ان الساعة آتية

أخفيها لتجزى كل نفس . . وقد قيل فيه وجه آخر وهو أن يتم الكلام عند قوله

تعالى ( إن الساعة آتية أكاد ) ويكون المعنى أكاد آتي بها ويقع الابتداء بقوله تعالى

( أخفيها لتجزى كل نفس ) . . ومما يشهد لهذا الوجه قول ضابي البرجمي

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَذْتُ وَلَيْتَنِي      تَرَكْتُ عَلِيَّ عَشْمَانَ تَبْكِي حَلَاثَةً

أراد وكذت أفعله وكذت الفعل لبيان معناه . . وروى عن سعيد بن جبير انه كان يقرأ

أُكَادُ أُخْفِيهَا فَعَنِي أُخْفِيهَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ أَظْهَرَهَا ۰۰ قَالَ عُبَيْدُ بْنُ الطَّيِّبِ يَصِفُ نُوراً  
يَحْتَفِي التُّرَابَ بِأُظْلَافٍ ثَمَانِيَةٍ فِي أَرْبَعِ مَسْنُونِ الْأَرْضِ تَحْلِيلُ  
أَرَادَ أَنَّهُ يَظْهَرُ التُّرَابَ وَيَسْتَخْرِجُهُ بِأُظْلَافِهِ ۰۰ وَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ  
فَإِنْ تَذَفَّنُوا الذَّاءَ لَا تَحْفَهُ وَإِنْ تَبِعْتُوا الْحَرْبَ لَا تَقْعُدُ

أى لا نظره ۰۰ وقال الغابفة

تَحْفِي بِأُظْلَافِهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ يُبْسُ الْكَثِيبِ تَدَاعَى التُّرَابُ فَأَبْدَمَهَا  
وقد روى أهل العربية أخفيت الشيء يعني سترته وأخفيته بمعنى أظهرته وكأن القراءة  
بالضم محتمل الأمرين الاظهار والستر والقراءة بالفتح لا محتمل غير الاظهار وإذا كانت  
بمعنى الاظهار كان الكلام في كاد واحتماله للوجود الثلاثة التي ذكرناها كالكلام فيها  
إذا كانت بمعنى الستر والنفطية ۰۰ فان قيل فأى معنى لقوله إنى أسترها لتجزى كل  
نفس بما نسي وأظهرها على الوجهين جميعاً وأى ذرّة فى ذلك ۰۰ قلنا الوجه فى هذا  
ظاهر لانه تعالى إذا ستر عنا وقت الساعة كانت دواعينا الى فعل الحسن والقبیح مترددة  
وإذا عرفنا وقتها بعينه كما ما يثبت الى الثبوت بعد مقارفة الذنوب ونقص ذلك الغرض  
بالتكليف واستحقاق الثواب به فصار ما أريد به من المجازاة للكافرين بسعيهم واتصال  
ثواب أعمالهم بمنع من اطلاعهم على وقت انقطاع التكليف عنهم فأما إذا كانت لفظة  
أخفيها بمعنى الاظهار فوجهه أيضاً واضح لانه تعالى انما يقيم القيامة ويقطع التكليف  
ليجازى كلًّا باستحقاقه وبوفى ما تحق الثواب ثوابه ويماقب المسمى باستحقاقه فوضح  
وجه قوله تعالى (أ كاد أخفيها لتجزى كل نفس بما نسي) على المعنيين جميعاً قال  
المرتضى رضى الله عنه ۰۰ وجدت أبا بكر محمد بن القاسم الانباري يظن على جواب من  
أجاب فى قوله تعالى (وبلغت القلوب الحناجر) بان معناه كادت تبلغ الحناجر ويقول  
كاد لا تضم ولا بد أن يكون منطوقاً بها ولو جاز ضرها لجاز أن يقال قام عبد الله  
بمعنى كاد عبد الله يقوم فيكون تأويل قام عبد الله لم يقم عبد الله لان معنى كاد عبد الله  
يقوم لم يقم وهذا الذى ذكره غير صحيح ونظن ان الذى حمل على الظن فى هذا الوجه

حكايته له عن ابن قتيبة لان من شأنه أن يرد كل ما يأتي به ابن قتيبة وان أعسف في  
الطعن عليه والذي استبعده غير بعيد لان كاد قد تضمر في مواضع ويقتضها بعض  
الكلام وان لم تكن في صريحه ألا ترى أنهم يقولون أوردت على فلان من الكتاب  
والتوبيخ والتقريع مامات عنده وخرجت نفسه ولما رأى فلان فلاناً لم يبق فيه روح  
وما أشبه ذلك ومعنى جميع ما ذكرناه المقاربة ولا بد من اضممار كاد فيه . . وقال جرير  
إِنَّ الْعِيُونَ الَّتِي فِي ظَرْفِهَا رَضٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُجَيِّنْ قَتْلَانَا

وانما المعنى انهم كذبوا يقتلنا فهذا أكثر في الشعر والكلام من أن نذكره وليس يمتنع  
فأما قوله **لَمْ يُجَيِّنْ قَتْلَانَا** فلأظهر في معناه انهم لم يزلن يفعان ما قاربنا عند الموت والقتل  
من الصدود والطجر وما أشبه ذلك وسمى هذه الأمور حياة كما سمي اشدادها قتلا  
وقد قيل ان معنى **يُجَيِّنْ قَتْلَانَا** انهم لم يبدوا قتلانا من الدية لان دية القتل عند العرب  
كالحياة له وقد روي ثم لم **يُجَيِّنْ قَتْلَانَا** وهذه رواية شاذة لم تسمع من عالم ولا محصل  
ومعناها ضعيف ركيك واذا كان الأمر على ما ذكرناه لم يمتنع أن يقل قام فلان بمعنى  
كاد يقوم اذا دلت الحال على ذلك كما يقال مات بمعنى كاد يموت . . فأما قوله فيكون  
تأويل قوله قام عبد الله لم يقم عبد الله خطأ لانه ليس معنى كاد يقوم انه لم يقم كما ظن  
بل معناه انه قارب القيام ودنا منه فن قال قام عبد الله وأراد كاد يقوم فقد أفاد ما لا يفيد  
لم يقم . . وأما قوله تعالى ( **زَاغَتِ الْأَبْصَارُ** ) فعنه زاعت عن النظر الى كل شيء فلم تاتفقت  
إلا الى عدوها ويجوز أن يكون المراد بزاعت أي جارت ومالت عن القصد في النظر  
دهناً وتجوز . . فأما قوله تعالى ( **وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا** ) معناه انكم تفتنون مرة انكم  
تسمرون وتظنون على عدوكم ومرة انكم تبتلون وتمنعون بالتغلبة بينكم وبينهم  
ويجوز أيضاً أن يريد الله تعالى ان ظننوكم اختلقت فظان المناقون منكمم خلاف  
ما وعدكم الله تعالى به من العسرة وشكوا في خبره عز وجل كما قال تعالى حكاية عنهم  
( **مَا وَعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولَهُ إِلَّا غُرُورًا** ) وظن المؤمنون ما طابق وعد الله تعالى لهم كما حكي  
عز وجل عنهم في قوله ( **هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ** ) وكذا ذكرناه  
واضح في تأويل الآية وما تعلق بها

### مجلس آخر ٢٥

[ تأويل آية ] ٥٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (وجعلنا نوميكم سباتاً) فقال اذا كان السبت هو النوم فكأنه قال وجعلنا نوميكم نوماً وهذا مما لا فائدة فيه ٥٠٠ الجواب قيل له في هذه الآية وجوه ٥٠٠ منها أن يكون المراد بالسبات الراحة والنعمة ٥٠٠ وقد قال قوم ان اجتماع الخلق كلهم كان في يوم الجمعة والفراغ منه في يوم السبت فسمى اليوم بالسبت للفراغ الذي كان فيه ولان الله تعالى أمر بني اسرائيل فيسه بالاستراحة من الأعمال قيل وأصل السبات النوم يقال سبت المرأة شعرها اذا حلتها من العقم وأرسلته ٥٠٠ قال الشاعر

وَإِنْ سَبَيْتَهُ مَالَ جَنَانًا كَانَ  
سَدَا وَأَهْلَاتٍ مِنْ نَوَاسِحِ خَشْمًا

أراد إن أرسلته ٥٠٠ ومنها أن يكون المراد بذلك القطع لان السبت القطع والسبت أيضاً الخلق يقال سبت شعره سبتاً اذا حلقه وهو يرجع الى معنى القطع والنعال السببية التي لا شعر عليها ٥٠٠ قال عنتره

بَطْلٌ كَانَ ثِيَابُهُ فِي سَرْحَةٍ  
يُحْدِي نَعَالِ السَّبْتِ لَيْسَ تَوَامٍ

ويقال لكل أرض مرتفعة منقطة مما حولها سبتاً وجمعها سباتي فيكون المعنى على هذا الجواب جعلنا نوميكم سباتاً أي قطعاً لأعمالكم وتصرفكم ٥٠٠ ومن أجاب بهذا الجواب يقول انما سمي يوم السبت بذلك لان بدء الخلق كان يوم الأحد وجمع يوم الجمعة وقطع يوم السبت فترجع التسمية الى معنى القطع ٥٠٠ وقد اختلف الناس في ابتداء الخلق فقال أهل التوراة ان الله ابتدأه في يوم الأحد وكان الخلق في يوم الأحد والاثني والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ثم فرغ في يوم السبت وهذا قول أهل التوراة ٥٠٠ وقال آخرون ان الابتداء كان في يوم الاثني الى السبت وفرغ في يوم الأحد وهذا قول أهل الانجيل ٥٠٠ فأما قول أهل الاسلام فهو ان ابتداء الخلق كان يوم السبت واتصل الى يوم الخميس وجعلت الجمعة عيداً فعلى هذا القول الآخر يمكن

أن يسمي اليوم بالسبت من حيث قطع فيه بعض خالق الأرض .. فقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إن الله تعالى خلق البرية يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد .. ومنها أن يكون المراد بذلك إنا جعلنا نومكم سباتاً ليس بموت لأن النائم قد يفقد من علومه وقصوده وأحواله أشياء كثيرة يفقدها الميت فأراد تعالى أن يمتن علينا بأن جعل نومنا الذي يضاهي فيه بعض أحوالنا أحوال الميت ليس بموت على الحقيقة ولا يخرج لنا عن الحياة والادراك فجعل التأكيـد بذكر المصدر قائماً مقام نفي الموت وساداً .. سدد قوله تعالى وجمعنا نومكم ليس بموت .. ويمكن أن يكون في الآية وجه آخر لم يذكر فيها وهو أن السبات ليس هو كل نوم وإنما هو من صفات النوم إذا وقع على بعض الوجوه والسبات هو النوم الممتد الطويل السكون ولهذا يقال فيمن وصفه بكثرة النوم أنه مسبوت وبه سبات ولا يقال ذلك في كل نائم وإذا كان الأمر على هذا لم يجز قوله .. وجمعنا نومكم سباتاً ) مجرى أن يقول وجمعنا نومكم نوماً .. والوجه في الامتنان علينا بأن جعل نومنا متداً طويلاً ظاهراً وهو لمساقى ذلك لنا من المنفعة والراحة لأن النوم والفرار لا يكسبان شيئاً من الراحة بل يصحهما في الأكثر القلق والازعاج والهدوم وهي التي تقلل النوم وتزده وقرائح القلب ورخا البال يكون معهما غزارة النوم وامتداده وهذا واضح .. [ قل المرتضى ] رضى الله عنه ووجدت أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري يظن على الجواب الذي ذكرناه أولاً ويقول إن ابن قتيبة أخطأ في اعتماده لأن الراحة لا يقال لها سبات ولا يقال سبت الرجل بمعنى استراح وأراح ويعتمد على الجواب الذي ثبتنا بذكره ويقول فيما استشهد به ابن قتيبة من قولهم سبتت المرأة شعرها إن معناه أيضاً التقطع لأن ذلك إنما يكون بإزالة الشداد الذي كان مجموعاً به وقلعه .. والمقدار الذي ذكره ابن الأنباري لا يتدح في جواب ابن قتيبة لأنه لا يشكر أن يكون السبات هو الراحة والشدة إذا كانتا عن نوم وإن لم توصف كل راحة بأنها سبات ويكون هذا الاسم يخص الراحة إذا كانت على هذا الوجه ولهذا نظائر كثيرة في الأسماء وإذا أمكن ذلك لم يكن في امتناع قولهم سبت الرجل بمعنى استراح في كل موضع دلالة على أن السبات لا يكون إسماً للراحة عند النوم

والذي يتي على ابن قتيبة أن يبين أن السبات هو الراحة والدعة ويستشهد على ذلك بشعر أو لغة فإن البيت الذي ذكره بمسكن أن يكون المراد به القطع دون التمدد والاسترسال . . . فان قيل فما الفرق بين جواب ابن قتيبة وجوابكم الذي ذكرتموه أخيراً قلنا الفرق بينهما بين لان ابن قتيبة جعل السبات نفسه راحة وجعله عبارة عنها وأخذ يستشهد على ذلك بالتمدد وغيره ونحن جعلنا السبات نفسه من صفات النوم والراحة واقعة عنده للامتداد وطول السكون فيه فلا يلزمنا أن يقال سبت الرجل بمعنى استراح لان الشيء لا يسمى بما يقع عليه حقيقة والاستراحة تقع على جوابنا عند السبات وليس السبات إياها بعينها على ان في الجواب الذي اختاره ابن الأنباري ضرباً من الكلام لان السبت وان كان القطع على ما ذكره فلم يسمع فيه البناء الذي ذكره وهو السبات ويحتاج في اثبات مثل هذا البناء الى سماع عن أهل اللغة وقد كان يجب أن يورد من أي وجه اذا كان السبت هو القطع جاز أن يقال سبات على هذا المعنى ولم نره فعل ذلك

[ تأويل خير ] . . . ان قال قائل ما تأويل الخبر الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الميت ليُعذب ببكاء الحي عليه . . . وفي رواية أخرى ان الميت يعذب في قبره بالبياحة عليه . . . وقد روى هذا المعنى المغيرة بن شعبة أيضاً فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من نبح عليه فانه يعذب بما نبح عليه . . . الجواب آنا اذا كنا قد علمنا بأدلة العقل التي لا يدخلها الاحتمال ولا الاتساع والمجاز قبج من أخذه أحمد بن حنبل وغيره وعلمنا أيضاً ذلك بأدلة السمع مثل قوله تعالى ( ولا تزر وازرة وزر ) و ( زر أختي ) فلا بد أن نصرف مظاهره بخلاف هذه الأدلة الى ما يطابقها . . . والمعنى في الأخبار التي سئلنا عنها ان صححت روايتها انه اذا أوصى موسى بإبن يساح عليه ففعل ذلك بأمره وعن إذنه فانه يعذب بالبياحة عليه وليس معترفاً يعذب بها انه يؤخذ بفعل النواح وإنما معناه أن يؤخذ بأمره بها ووصيته بفعلها وأنا قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لان الجماعية كانوا يرون البكاء عليهم والنوح فبأمرهم به ويؤكدون الوصية بفعله وهذا مشهور عنهم . . . قال طبري رحمه بن العبد

فَإِنْ مَاتَ فَأَنْعِمِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ      وَشَقِي عَلَى الْجَنِّبِ يَا أُمَّ مَعْبِدٍ

•• وقال بشر بن أبي خازم لابنته عميرة

فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِ ابْنِ بَشِيرٍ

تَوَى فِي مَلْجِدٍ لَا بَدْ مِنْهُ

رَهِينُ بَلِيٍّ وَكُلُّ فَتَى سَيْبِلِي

وقد روى عن ابن عباس في هذا الخبر انه قال وهل ابن عمر انما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودى فقال انكم لتبكون عليه وانه ليعذب في قبره •• وقد روى ابن بكار هذا الخبر أيضاً عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لما أخبرت بروايته وهل أبو عبد الرحمن كما وهل يوم قايب بدر إنما قال عليه الصلاة والسلام ان أهل الميت ليكون عليه وانه ليعذب بجرمه •• [قال المرتضى] رضى الله عنه يصفى سوهل - أى ذهب وهمه الى غير الصواب يقال وهلت الى الشيء فأما أهل وهلا اذا ذهب وهمك اليه ووهلت عنه أهل وهلا أى نسيتهم وغلظت فيه ووهل الرجل يوهل وهلا اذا فزع والوهل الفزع •• فأما القايب - فهي البرء والجمع القايب •• قال حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر من المشركين

يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا      قَدَفْنَاهُمْ كِبَا كَبٍ فِي الْقَلْبِ  
أَلَمْ تَحْجِدُوا حَدِيثِي كَانَ حَقًّا      وَأَمْرُ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ

•• وقال آخر يبيح على قتلى بدر من المشركين

فَمَاذَا بِالْقَلْبِ قَلْبِ بَدْرِ      مِنَ الْفَتِيَانِ وَالشَّرْبِ الْكِرَامِ  
وَمَاذَا بِالْقَلْبِ قَلْبِ بَدْرِ      مِنَ الشِّيزَى يُكَلِّلُ بِالسَّامِ

وموضع وهله في ذكر القايب انه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قلب بدر فقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ثم قال انهم ليسمعون ما أقول فأنكر ذلك عليه وقيل انما قال عليه الصلاة والسلام انهم الآن يعلمون ان الذي كذت أقوله لهم هو

الحق واستشهد بقول الله عز وجل ( إنك لا تسمع الموتى ) وأهل القليب جماعة من قريش منهم عتبة وشيبة آبناربيعة والوليد بن عتبة وغيرهم ٥٥ وروى عن عبد الله ابن مسعود أنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قائماً يصلي بمكة وأناس من قريش في حلقة فيهم أبو جهل بن هشام فقال ما يمنع أحدكم أن يأتي الجزور التي نحرها آل فلان فيأخذ سلاها ثم يأتي به حتى إذا سجد وضعه على ظهره قال عبد الله فانبثت أشقي القوم وأنا أنظر إليه فجاء به حتى وضعه على ظهره قال عبد الله لو كانت لي يومئذ منعة لنعته وجاءت فاطمة رضوان الله عليها عليه وهي يومئذ صبية حتى أماطته عن ظهر أبيها ثم جاءت حتى قامت على رؤسهم فأوسسهم شتاً قال فوالله لقد رأيت بعضهم يضعك حتى أنه ليطرح نفسه على صاحبه من الضحك فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم أقبل على القوم فقال اللهم عليك بفلان وفلان فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا عليهم أسقط في أيديهم قال فوالله الذي لا إله غيره ماسمى النبي صلى الله عليه وسلم أحداً إلا وقد رأيت يوم بدرٍ وقد أخذ برجله يجر إلى القليب مقتولا وقوله - فيأخذ سلاها - أي جلدتها التي فيها ولدها مادام في بطنها والجمع الأسلاء ٥٥ وقال ابن حبيب الأسلاء التي فيها الأولاد ٥٥ قال الأخطل

وَيَطْرَحَنَّ بِالشَّغْرِ السِّجَالِ كَأَنَّمَا  
يُشَقِّقَنَّ بِالْأَسْلَاءِ أُرْدِيَةَ الْعَصَبِ

٥٥ وقال الشماخ

وَالعَيْسُ دَامِيَةُ الْمَنَامِمْ ضَمْرٌ  
يَقْدِفَنَّ بِالْأَسْلَاءِ تَحْتَ الْأَرْكَبِ

٥٥ قال الفراء سقط في أيديهم من الندامة وأسقط لغتان وهو بغير ألف أكثر وأجود ٥٥ ويمكن أن يكون في قوله له يعذب ببيك أهله وجه آخر وهو أن يكون المعنى إن الله تعالى إذا ألعنه ببيك أهله وأعزته عليه وما لحقهم بعده من الحزن والحلم تألم بذلك فكان عذاباً له والمسنداب ليس بجارية مجرى العقاب الذي لا يكون إلا على ذنب متقدم بل قد يستعمل كثيراً بحيث يستعمل الألم والضرر الأثرى إن القائل قد يقول لمن ابتدأ بالضرر والألم قد عذبتني بكذا وكذا كما يقول أضرتني وآتني وانما لم يستعمل

العقاب حقيقه في الايلام المبتدأ من حيث كان اشتقاق لفظه من المعاقبة التي لا بد من تقدم سبب لها وليس هذا في العذاب

[ تأويل خبر ] .. ان سألت عن الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أحد يدخل عمله الجنة ويخيه من النار قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل بقوله ثلاثا .. فقال أليس في هذا دلالة على ان الله تعالى يتفضل بالثواب وأنه غير مستحق عليه ومذهبكم بخلاف ذلك .. الجواب قلنا فائدة الخبر ومضاه بيان فقر المكلفين الى الله تعالى وحاجتهم الى اللطاف وتوفيقاته ومعاوناته وان العبد لو أخرج الى نفسه وقطع الله تعالى مواد المعونة واللطف عنه لم يدخل بعمله الجنة ولا نجا من النار فكانه عليه الصلاة والسلام أراد ان أحدا لا يدخل الجنة بعمله الذي لم يعنه الله تعالى عليه ولا لطف له فيه ولا أرشده اليه وهذا هو الحق الذي لا شبهة فيه .. فأما الثواب فما تأني القول بأنه تفضل بمعنى ان الله تعالى تفضل بسببه الذي هو التكليف ولهذا نقول انه لا يجب على الله تعالى شيء ابتداء وانما يجب عليه ما أوجبه على نفسه فالثواب بما كان أوجبه على نفسه بالتكليف وكذلك التمكن والإطاف وكما يجلبه ويوجبه التكليف ولولا إيجابه له على نفسه بالتكليف لما وجب .. فان قيل فقد سمي الرسول عليه الصلاة والسلام ما يفعل به فضلا فقال إلا أن يتغمدني الله برحمته منه .. وفضل قلنا هذا يطابق ما ذكرناه لان الرحمة الصمة والثواب نعمة وهو فضل وتفضل من الوجه الذي ذكرناه وان حملنا قوله عليه الصلاة والسلام برحمته منه وفضل على ما يفعل به من اللطاف والمعونات فهي أيضا فضل وتفضل لان سببها غير واجب .. فأما قوله عليه الصلاة والسلام يتغمدني الله فعناه يستترني يقال غمدت السيف في غمده اذا سترته .. قال الشاعر

نَصَبْنَا رِمَاحًا فَوْقَهَا جَدًّا عَامِرٍ كَطَلِّ السَّمَاءِ كُلِّ أَرْضٍ تَقْمَدًا

فالجد - هنا البخت والحظ وشبه ما قسم لعامر من الغاية والظفر بظل السماء الذي يستر كل شيء ويظهر عليه .. أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن حنيفاء قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي قراءة عليه قال أملي علينا أبو العباس أحمد

ابن يحيى ثعلب النحوي قال أخبرنا ابن الاصرابي قال يقال للقوم اذا دعوت عليهم بهرم  
الله والمهور هو المكروب وأنشدنا

أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى      بَيْنَ خَمْسِي كَوَاهِبِ أَثْرَابِ  
ثُمَّ قَالُوا نُحِبُّهَا قَلْتُ بَهْرًا      عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالْتِرَابِ

[قال المرتضى] .. رضى الله عنه وقد قيل في معنى قوله بهرأغير هذا الوجه .. أخبرنا  
أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أخبرني أحمد بن يحيى السولي قال حدثنا  
القاسم بن اسماعيل قال حدثنا الثوري عن أبي عمر الأسدي قال سمعت أبا عمرو بن العلاء  
يقول عمر بن ربيعة حجة في العربية وما أخذ عليه شيء الا قوله - ثم قالوا نحباقت بهرأ -  
وله فيه عذر ان أراد الخبير لا الاستفهام كأنهم قالوا أنت نحبا على جهة الاخبار منهم  
لا الاستفهام فوكده هو إخبارهم بجوابه فهذا حسن وبهرأ يجوز أن يكون أراد نم حبا  
بهرفي بهرأ ويكون أيضاً بمعنى عقراً ونصاً ودعا عليهم إذ جهلوا من حبه لها مالا يجهل  
مثله .. وأنشد أبو عمرو بن العلاء

لِحَا اللَّهُ قَوْمِي إِذْ يَبْعُونَ مُهْجَتِي      بِجَارِيَةِ بَهْرًا لَهْمُ بَعْدَهَا بَهْرًا

.. قال أبو عمرو يكون بهرأ بمعنى ظاهراً يريد حبا ظاهراً من قولهم قره بهرأ .. وقد  
روى بعض الرواة انه قال - قيل لي هل نحباقت بهرأ - والرواية الأولى هي المشهورة  
ولعل من روى ذلك فر بهذه الرواية من اللحن وهذان البيتان لعمر بن عبد الله بن  
أبي ربيعة الخزومي من جملة أبيات منها

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَا بِأَنِي      ضَمَيْتُ دُزَعًا يَهْجُرُهَا وَالْكِتَابِ  
وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تُحَيِّرُ مِنْهَا      فِي أَدِيمِ الْخَدَّيْنِ مَاءَ الشَّبَابِ  
سَلَبْتَنِي عَجَاجَةُ الْمِسْكِ عَقْلِي      فَسَلَوْهَا بَمَا يَجِلُّ آغْتِصَابِي  
أَرْهَقْتُ أُمَّ نُوفَلٍ إِذْ رَعَتْهَا      مُهْجَتِي مَا لِقَاتِي مِنْ مَتَابِ

حينَ قالتَ لها أَجيبِي فقالتَ  
أبرزوها مثلَ المِهاةِ تهادِي  
مَنْ دَعاني قالتَ أبو الخَطَّابِ  
يُنِّ خَمسِي كَواعِبِ أُنزَابِ  
ثمَّ قالوا نَحْبِها فلتُ بهِرا  
عَدَدَ القَطْرِ والحَصِي والتُّرابِ

والزياهي التي عنها عمر أموية وقد اختلف في نسبها فقيل أنها الزيا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر أبو عبد شمس وقيل أنها الزيا بنت علي بن عبد الله بن الحارث ابن أمية الأصغر وذكر الزبير بن بكار أن الزياهي بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله الذي قتله داود بن علي ٥٠. وأخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى عن الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن عمر بن الأفلح قال خبرني بلال بن أبي عتيق في حديث طويل لعمر بن أبي ربيعة مع الزيا اختصرناه وأوردنا بعضه قال لما سمع ابن أبي عتيق قول عمر - من رسولي إلى الزيا باني - قال إياي أرادوني نوء لا جرم والله لا أذوق أكلاً حتى أشخص إليه لا صاح بينهما فنض ونهضت معه فجاء قوما من بني الدئل بن أبي بكر لم تكن النجائب تفارقهم يكرهونها فاكترى منهم راحلتين وأغلطهم بها فقلت له استوضهم شيئاً أو دعني أماكم فقد استطلوا فقال لي ويحك أما علمت أن المكاس ليس من خلق الله الكرام وركب إحداهما وركبت الأخرى فسار سيراً شديداً فقلت له أرفق علي نفسك فإن من تريد لا يفوتك فقال ويحك - أبادر حبل الود أن يتفضض - ومن ملح الدنيا أن يلتئم الصدع بين عمر والزيا فقدمنا مكة ليلاً غير محرمين ففق على عمر بابه فخرج إليه فسلم عليه فأنزل ابن أبي عتيق عن راحلته وقال لعمر اركب أسلح يدك وبين الزيا فاني رسولك الذي سألت عنه فركب معه فقدمنا الطائف فقال ابن أبي عتيق للزيا هذا عمر قد جشنى السفر من المدينة اليك فبئتك به معترفاً بذنب لم يجنبه معتذراً من اسمك إليه فدعيني من التعداد والترداد فانه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون فصالحته أحسن صلح وكررنا راجعين إلى المدينة ولم يقم ابن أبي عتيق بمكة ساعة واحدة ٥٥. وفي الزيا يقول عمر

ابن أبي ربيعة أيضاً لما تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف المكنى بأبي الأبيض  
وقبل بل تزوجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان

أَيُّهَا الْمُنْكِحُ الثَّرِيَّاً سَهِيلاً عَمْرُكَ اللهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ  
هِيَ شَامِيَةٌ إِذَا مَا أَسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا أَسْتَقَلَّ يَمَانِي

### مجلس آخر ٢٦

[ تأويل آية ] . . ان سأل سنأل عن قوله تعالى ( فغشيه من اليم ماغشيه ) فقال  
ما الفائدة في قوله ماغشيه وقوله غشيه بدل عليه ويستغنى به عنه لان غشيه لا يكون  
إلا الذي غشيه وما الوجه في ذلك . . الجواب قد ذكر في هذا أجوبة . . أحدها  
أن يكون المعنى فغشيه من اليم البعض الذي غشيه لانه لم يغشهم جميع منه بل غشيه  
بعضه فقال ماغشيه ليدل على ان الذي غشهم بعض الماء وانهم لم يفرقوا بجميعة وهذا  
الوجه حكي عن الفراء وذكره أبو بكر الانباري واعتمده وغيره اوضح منه . واليم هو  
البحر . . قال الشاعر

وَبَنِي تَبِعَ عَلِيَّ الْيَمِّ قَصْرًا عَالِيًا مُشْرِفًا عَلَى الْبَنِيَانِ

. . وثانها أن يكون المعنى فغشيه من اليم ماغشى موسى وأصحابه وذلك ان موسى  
عليه الصلاة والسلام وأصحابه وفرعون وأصحابه سلكوا جميعا البحر وغشيه كلهم إلا  
أن فرعون وقومه لما غشيه غشهم وموسى عليه الصلاة والسلام وقومه جعل لهم في  
البحر طريق يس فقال تعالى فغشى فرعون وقومه من ماء اليم ماغشى موسى وقومه  
فتبعا هؤلاء وهلك هؤلاء وعلى هذا الوجه والتأويل تكون الهماء في قوله ماغشيه كناية  
عن غير من كفى تعالى عنه بقوله فغشيه لان الأولى كناية عن فرعون وقومه والثانية  
كناية عن موسى وقومه . . وثالثها انه غشيه من عذاب اليم وإهلاكه لهم ماغشى  
الأمم السالفة من العذاب والهلاك عند تكذيبهم أنبياءهم وإقامتهم على رد أقوالهم



نخر من أجل كفرهم السقف من فوقهم .. قال الشاعر

أُرِي عَلَيْهَا وَهِيَ فَرَحٌ أَجْمَعُ      وَهِيَ ثَلَاثُ أَذْرُعٍ وَإِصْبَحُ

أراد أرمى عنها لأن كلام العرب رميت عن القوس فأقام على مقام عن ولو أنه قال تعالى على هذا المعنى نخر عليهم السقف ولم يقل من فوقهم جاز أن يتوهم متوهم أن السقف نخر وليس هم تحته .. وثانيها أن يكون على بمعنى اللام والمراد نخر السقف فان على قد تقام مقام اللام .. وحكي عن العرب ما أغيطك على وما أعملك على يريدون ما أغيطك لي وما أعملك لي .. قال الطبري ما يصف ناقة

كَأَنَّ مَجْرَاهَا عَلَى ثَفْنَاتِهَا      مَعْرَسٌ مُخْمَسٌ وَقَعَتْ لِلجَنَاجِنِ (١)

أراد وقعت على الجناجن وهي عظام الصدر فأقام اللام مقام على .. وقد يقول القائل أيضاً تداعت على فلان داره واستهدم عليه حائطه ولا يريد أنه كان تحته فأخبر تعالى بقوله (من فوقهم) عن فائدة لولاء ما فهمت ولجاز أن يتوهم متوهم في قوله نخر عليهم السقف ما يتوهمه من قوله خرب عايه ربه ووقعت عليه دابته وأشبه ذلك .. وللعرب في هذا مذهب طريف لطيف لانهم لا يستعملون لفظة على في مثل هذا الموضع إلا في الشر والأمر المكروه الضار ويستعملون اللام وغيرها في خلاف ذلك ألا ترى أنهم لا يقولون عمرت على فلان ضيعته بدلا من قولهم خربت عليه ضيعته ولا ولدت عليه

(١) - الثفنتان - جمع ثفنة بفتح فكسر وهو من البعير ركبته وما مس الأرض

من كركبه - وعداياته وأصول أغذاه - والمعرس - محل التعريس وهو النزول آخر الليل يريد محل مبيتها وبعده

وقعن اثنتين واثنتين وفردة      يبادرن تقليدًا سبال المداهن

- السبال - جمع سملة وهي بقية الماء في الحوض - والمداهن - جمع مدهن وهي نقر في

رؤس الجبال يستنقع فيها الماء وقد سبق الى هذا المعنى ذو الرمة فقال

كان مجراها على ثفنائها      معرس خمس من قطا متجاوز

وقعن اثنتين واثنتين وفردة      جريدها هي الوسطى بصحراء حار

(٤ - أمالي ثاني)

جاريته بل يقولون همرت له ذبيحة وولدت له جاريته وهكذا من شأنهم اذا قالوا قل  
 على وروى على فانه يقال في الشر والكذب وفي الخير والحق يقولون قال عتي وروى  
 عتي ومثل ذلك قوله تعالى ( واتبعوا ما تنزلوا الشياطين على ملك سليمان ) لانهم لما  
 اضافوا الشر والكفر الى ملك سليمان حسن ان يقال تنزلوا عليه ولو كان خيراً ل قيل  
 عنه ومثله ( ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ) وقوله ( ما تقولون على الله ما لا  
 تعلمون ) . . . وقال الشاعر

|                                      |  |
|--------------------------------------|--|
| عَرَضْتُ نَصِيحَةً مَنِي لِيَحْيِي   | فَقَالَ غَشَشْتَنِي وَالنَّصِيحُ ضُرٌّ |
| وَمَالِي لَا أَكُونُ أُعِيبُ يَحْيِي | وَيَحْيِي طَاهِرُ الْأَخْلَاقِ بَرٌّ   |
| وَلَكِنْ قَدْ أَتَانِي أَنَّ يَحْيِي | يُقَالُ عَلَيْهِ فِي تَقْضَاءِ شَرِّ   |
| فَقُلْتُ لَهُ تَجَنَّبْ كُلَّ شَيْءٍ | يُمَابُ عَلَيْكَ إِنَّ الْحُرَّ حُرٌّ  |

ومثله قول الفرزدق في عنبة بن سعدان المعروف بمنبسة القيل وقد كان يتبع شعره  
 ويخطئه ويلحنه<sup>(١)</sup>

(١) - قلت - كان عنبة يعيب على الفرزدق مثل قوله

وعض زمان يا بن مروان لم يدع من المال الامسحتاً أو مجلف

- المسحت - المبدد - والمجلف - الذي ذهب به السنون وكان الفرزدق لحانة على  
 جودة شعره وكان خفاشاً لا يمرض عليه أحد الاجماء وقد سأل به مضهم عن رفع مجلف  
 في البيت فمضب وقال على أن أقول وعليكم أن تحتجوا وأنكر عليه عبد الله بن أبي  
 اسحاق الحضرمي قوله

مستقبلين شال الشام نضربنا بحاصب من نديف القطن منشور  
 على عمائمنا اتقى وأرحلنا على زواحف نرجي منحها رير

فقال الاقلت ( على زواحف نرجها محاسير ) فمضب وقال

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى موالها

لَقَدْ كَانَ فِي مَعْدَانِ وَالْفِيلِ زَاجِرٌ لِعِنْبَسَةَ الرَّأْوِي عَلِيَّ الْقَصَائِدَا

فقال عليّ ولم يقل عني للمعنى الذي ذكرناه .. وثالث الوجوه في الآية أن يكون من فوقهم تأكيدياً للكلام وزيادة في البيان كما قال تعالى ( ولكن تعصى القلوب التي في الصدور ) والقلب لا يكون إلا في الصدر ونظائر ذلك في الكتاب كثير وفي كلام الأدب أيضاً والله أعلم

[ تأويل خبر آخر أيضاً ] .. إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه نافع عن أبي اسحاق الهجري عن أبي الأحوس عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن مأدبة لله تعالى فتمعدوا مأدبته ما استطعتم وان أصفر البيوت ليبتاً أصفر من كتاب الله فقال ما تأويله وكيف بيان غريبه .. الجواب المأدبة في كلام العرب هي الطعام يصنعه الرجل ويدعو اليه الناس فشبّه النبي صلى الله عليه وسلم ما يكتبه الانسان من خير القرآن ونفعه وعائده اذا قرأه وحفظه بما يناله المدعو من طعام الداعي وانتفاعه به يقال قد أدب الرجل يأدب فهو أدب اذا دعا الناس الى طعامه وشراهه ويقال للمأدبة المدعاة وذكر خفاف الأحر انه يقال فيه أيضاً مأدبة فتتح الدال .. قال طرفة العبيدي

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفَلِيَّ لَا تَرَى الْأَدِبَ فِينَا يَنْتَقِرُ

ومعنى - الجفلي - أنه غم بدعوته ولم يخص بها قوماً دون قوم .. والنتقري إذا خص بها بعضاً دون بعض ومعنى - ينتقري - من النتقري .. قال بهض هذيل

وَيْلَةَ يَصْطَلِي بِالْفَرْتِ جَازِرُهَا يَخْتَصُّ بِالنَّقْرِيِّ الْمَثْرِينَ دَاعِيَا لَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ عِنْدَ الصَّبَاحِ وَلَا تَسْرِي أَفَاعِيَا

معنى - يصطلي بالفرت جازرها - أن الجازر اذا شق فيها الكرش أدخل يده اشددة البرد في الفرت مستدفئاً به ومعنى - يختص بالنقري المثرين داعيها - أنه يخص بدعائه الى طعامه الأغنياء الذين يطعم من جهنم في المكاباة .. وقال الآخر

قَالُوا لَأَنَّا وَهُ خِصْبٌ وَمَأْدُبَةٌ وَكُلُّ أَيَّامِهِ يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ

•• وقال الهذلي يصف عقاباً

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ فِي جَوْفِ وَكْرِهَا نَوَى الْقَسْبِ مُلْتَقَى عِنْدَ بَعْضِ الْمَادِبِ<sup>(١)</sup>  
 أراد جمع مأدبة •• وقد روى هذا الحديث بفتح المأدبة •• وقال الأحرمر المراد بهذه  
 اللفظة مع الفتح هو المراد بها مع الضم •• وقال غيره المأدبة بفتح الدال مفتحة من  
 الأدب معناه ان الله تعالى أنزل القرآن أدباً للمخلوق وتقويماً لهم وانما دخلت الهاء في  
 مأدبة ومأدبة والقرآن مذكر يعني المبالغة كما قالوا هذا شراب مطيبة للنفس •• وكما  
 قال عنتره

وَالْكَفْرُ حَبِيَّةٌ لِنَفْسِ الْمُتَنَمِّعِ

وجرى ذلك مجرى قولهم رجل علامة ونسابة في باب المدح على جهة التشبيه بالهداية  
 ورجل هابجة في باب الذم على جهة التشبيه بالهيمة •• ويقال لطعام الاملاك ولحمة ولطعام  
 الختان العذيرة ولطعام الزفاف العرس ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام حلق الشعر  
 العقيقة ولطعام القادم من السفر النقيعة ولطعام النفاس الحرس والذي تطعمه النفساء  
 نفسها الحرسه •• قال الشاعر

أَذَا النَّفْسَاءُ لَمْ تُحْرَسْ يَبْكُرْهَا غُلَامًا وَلَمْ تُسَكِّتْ بِحَبْرِ فَطِيمِهَا

— الحرس — الشيء القابل •• وقال آخر

كُلُّ الطَّعَامِ تَشْتَهِي رَبِيعَةَ الْعِرْسِ وَالْإِعْدَارُ وَالنَّقِيعَةَ

ويروي الحرس •• ويشهد أيضاً في النقيعة قول الشاعر

إِنَّا لَنَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَرُؤُسَهُمْ ضَرْبَ الْقِدَارِ نَقِيعَةَ الْقِدَامِ

— القيدار — الجزار — والقيدام — جمع قادم •• وقال أبو زيد يقال لطعام الاملاك  
 النقيعة ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام الختان الاعذار والعذيرة •• وقال الفراء

(١) — التسبب — بفتح فسكون اليابس من التمر

الشيء حتى طعام الاملاك والوليعة طعام العرس .. وقال أبو زيد يقال من النعيمة نعتت .. وقال الفراء منها أنعمت .. وقال ابن السكيت يقال للطعام الذي يتعلل به قدام الغداء

السلفة واللهنة لَهِنُوا ضيفكم أى أطعموه اللهنة .. قال الشاعر

عَجِيزٌ عَارِضُهَا مُتَقَلُّ طَعَامِهَا اللَّهُنَةُ أَوْ أَقَلُّ

.. وقال ابن السكيت يقال فلان يأكل الوجبة اذا كان يأكل في اليوم والليسة أكلة .. قال بشار

فَأَسْتَفْعِنُ بِالْوَجَبَاتِ عَنْ ذَهَبٍ لَمْ يَبْقَ فِيهِ لِأَمْرِي ذَهَبُهُ

.. وقال ابن السكيت قال الأصمى لرجل أسرع في سيره كيف كان سيرك قال كنت آكل الوجبة وأنجو الوقعة وأعرس اذا جفرت وأرتحل اذا أسفرت وأسير الوضع وأجنب اللع فجنبتمكم لسي سبيع .. قوله - أنجو الوقعة - معناه أفضى حاجتي مرة في اليوم وهو من النجو .. وقوله - أسير الوضع - فالوضع سير فيه بعض الاسراع واللمع سير أشد منه وأراد انه يجتنب الشديد من السير كراهة أن يعقب ظهره قبل أن يبلغ الأرض التي يقصدها يقال شر السير الحفصقة أى السير الشديد الذي يقطع صاحبه عن بلوغ بقية .. قال الشاعر

إِذَا مَا أَرَدْتَ الْأَرْضَ ثُمَّ تَبَاعَدْتَ عَلَيْكَ فَضَعَّ رَحْلَ الْمَطِيِّ وَأَنْزَلَ

أى استرح حتى تقوى على السير وان جهدت نفسك لم تقطع أرضاً ولم تبق ظهراً وهذا من أبيات المعاني التي يسأل عنها والذي قيل فيه ما ذكرناه .. ويمكن أن يكون معنى البيت اذا بعدت عليك الأرض فدعها واسل عنها كما يقال دواء ماعز معالبه الصبر وما جرى مجرى ذلك من ألفاظ التسلية والامر بالعدول عن تتبع ما صعب من الأمور .. وقال الآخر في معنى البيت الأول

يَقْطَعُ بِالزُّوْلِ الْأَرْضَ عَنْهَا وَيُعَدُّ الْأَرْضَ يَقْطَعُهُ الزُّوْلُ

وقوله - لسي سبيع - أي لساء سبيع ليال .. ويقال للذي يحضر طعام القوم من غير أن يدا اليه الوارش والوروش وقول العامة طفيلي موله لا يوجد في العتيق من كلام

العرب وأصل ذلك أن رجلاً يقال له طفيل كان بالكوفة لا يفقد ولبة من غير أن يدمى اليها فقبله للوارث طفيلي تشبها بطفيل هذا في وقته .. ويقال للذي يحضر الشراب من غير أن يدمى اليه واغل .. قال امرؤ القيس

فاليوم فأشرب غير مستحقبٍ إثمًا من الله ولا واغلي

ويقال لما بشره الوغل .. قال الشاعر

إِنَّ الْكُسْبِيَّ أَفْلَأُ أَشْرَبَ الْوَغْلَ وَلَا يَسْلَمُ مِنِّي الْبَعِيرُ إِذَا نَشَرَ

وقوله صلى الله عليه وسلم ان أصغر البيوت لبنا صفر من كتاب الله معناه أخلا البيوت - والصفر - عند العرب الخالي من الآنية وغيرها .. ويمكن في قوله مأدبة وجه آخر وهو أن يكون وجه التشبيه للقرآن بالمأدبة وتسميته بها من حيث دعاه الخلق اليه وأسهرهم بالاجتماع عايه فسماه عايه الصلاة والسلام مأدبة لهذا الوجه لأن المأدبة هي التي يدعى الناس اليها ويحتمون عليها وهذا الوجه يخالف الأول لأن الأول تضمن ان وجه التشبيه من حيث النفع العائد على الحافظ للقرآن كما ينفع المدعو الى المأدبة بما يصيبه من الطعام وهذا الوجه الآخر تضمن ان التشبيه وقع لاجتماع الناس في الدعاء اليه والارشاد الى اصابته وليس يبعد أن يريد عليه الصلاة والسلام بالخبر المعتبين مما فلا تنافي بينهما .. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال كُتِبَ في مجلس الأصبعي إذ أقبل اعرابي فقال أين عهدتكم فأشرنا الى الأصبعي فقال له ما معنى قول الشاعر

لَا مَالَ إِلَّا الْعِطَافُ تُوزَّرُهُ  
لَا يَرْتَقِي التَّرْفِي ذِلَاذَاهِ

.. فقال الأصبعي

عَصْرَتُهُ نُطْفَةٌ تَضْمَنُهَا  
أَوْ وَجِبَةٌ مِنْ جَنَازَةٍ أَشْكَلَةٌ

لَصَبَّ تَلَقَّى مَوْضِعَ السَّبِيلِ  
إِنْ لَمْ يُرْعَهَا بِالْقَوْسِ لَمْ تُنَلِّ

قال فادبر الامرابي وهو يقول لم أر كال يوم رجلا .. قال ابن دريد انما وصف رجلا خائفاً في رأس جبل يقول لا مال له إلا العطاف وهو السيف تؤزره أم ثلاثين يعني ككتانة فيها ثلاثون سهماً وابنة الجبل يعني القوس لأنها تعمل من شجر الجبال مثل النبع وغيره .. وقوله - لا يرتقي النز في ذلاله - لأنه في رأس جبل فلا تزهاك بتعاقب بما يفضل من ثيابه ولا بلل يهدى نهايه عنهما - والمصرة - الملجأ - والطفلة - الماء المجمع في صخر أو غيره من بقية ماء المطر - والصب - الشق في الجبل أضييق من الابه وأوسع من الثقب - والبلى - انظر - والوجه - أن يأكل كل يوم مرة - والأشكى - الصدر الجبني واحده أشكلة .. يقول فهذه الطفلة والوجه من الأشكلة عصرناه .. وقوله - أن لم يرعها بالنوس - يعني أنها لا تنال باليد حتى تحرك بالنوس .. [ قال المرتضى ] رضی الله عنه وانما جعل الأسمي انشاد باقي الأبيات دلالة على معرفة معناها لأنه يبعد أن يعرفها ولا يعرف معناها والأعرابي انما سأل عن المعنى فأقام انشادها لها مقام تفسيرها واستغنى الأعرابي بذلك وعلم بانها من الأبيات معرفة بمعناها وكان الأسمي كثيراً اذا أنشد شيئاً من الشعر ينشد في معناه في الحال .. فن ذلك أن اسحاق بن ابراهيم الموصلي أنشده يوماً لنفسه

إذا كانت الأحرار أصلي ومنصبي      وقام بنصري حازم وأبن حازم  
عطست بأنفٍ شايخٍ وتناولت      يدَي الثريا قاعداً غير قائم

.. قال فلما فرغت من انشادهما أنشدني بعقب ذلك

ألا أيها السائل جاهلاً      لتعرفني أنا أنف الكرم

تمت في الكرام - بنى عامرٍ      فروعي وأصلي قرئش المعجم

قال لجاء والله بالشعر الذي نحوته وعلمت يوق عليه .. وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن يحيى الموصلي قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا اسحاق بن ابراهيم قال ما أنشدت الأسمي شيئاً قط إلا أنشدني مثله كأنه أعدته لي فأشدته يوماً للأعشى

عَلَّقْتُهَا عَرَضًا وَعَلَّمْتُ رَجُلًا  
غَيْرِي وَعَلَّقْتُ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ

فَأَنْشَدَنِي مِنْ وَقْتِهِ

قَتَلْتَنِيكَ أُخْتُ بَنِي لُؤَيٍّ إِذْ رَمَتْ  
وَأَصَابَ نَبْلُكَ إِذْ رَمَيْتَ سِوَاهَا

وَأَعَارَهَا الْحَدَثَانُ مِنْكَ مَوَدَّةً  
وَأَعَارَ غَيْرَكَ وَدَّهَا وَهَوَاهَا

وذكر أبو العيَّاش قال كان الأصمعي إذا سمع انساناً ينشد شعراً في معنى أنشد في ذلك المعنى من غير أن يريه انه أراد ان ينشده رجل قول القطاضي

وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَاتِلُونَ لَهُ  
مَا يَشْتَهِي وَلَا مِمَّا الْمُخْطِي الْمَهْلِيُّ

فَأَنْشَدَهُ هُوَ قَوْلَ قَعْنَبِ الْفَزَارِيِّ

فَمَنْ يَلْقَى خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ  
وَمَنْ يَلْقَى شَرًّا لَا يَعْدَمُ عَلَيَّ النَّيِّ لَأَمَّا<sup>(١)</sup>

وروى ميبون بن هارون قال سمعت اسحاق بن ابراهيم يقول أنشدت الأصمعي قول الأعمى طلباً أن ينشدني مثله وكان مع بخله بالعلم لا يرضن بمثل هذا

إِنْ تَرْكَبُوا فَرَكُوبَ الْخَيْلِ عَادَتُنَا  
أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعَشَرُهُ نُزُلُ

فَأَنْشَدَنِي لِرَبِيعَةَ بْنِ مَقْرُومٍ النَّضِيِّ

وَأَقْدَمْتُ شَيْدَتِ الْخَيْلِ يَوْمَ طَرَّادِهَا  
بِسَلِيمٍ أَوْ ظَنَفَةِ الْفَوَائِمِ هَيْسَكَلِ<sup>(٢)</sup>

فَدَعَوْا نَزَالَ فِكَكْتُ أَوْلَ نَازِلِ  
وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ

وروى عن اسحاق بن ابراهيم أيضاً أنه قال دخل على يوماً الأصمعي وعندي أخ للعماني الراجز حافظ راوية فلما دخل عبث به أخو العماني فقال له من هذا قال هو

(١) اسبه هنا الى قعناب الفزاري ونسبه غيره من أهل الادب الى المرقش الاصفر وهو عمرو بن حرمله أو ربيعة بن سفيان على اختلاف فيه

(٢) - أوظفة - جمع وظيف ككريم وهو مستندق الذراع والساق من الخيل والابل - والهيكل - الضمغم المشرف - ونزال - اسم فعل أمر بمعنى أنزل

الباهلي الذي يقول

فَمَا صَحْفَةٌ مَأْدُومَةٌ بِإِهَالَةٍ بِأَطْيَبِ مِنْ فِيهَا وَلَا أَقْطَرُ طَبٍّ<sup>(١)</sup>

فقال له قبل أن يستتم الكلام هو على كل حال أصح من قول أخيك العماني

يَا رَبُّ جَارِيَةٌ حَوْرَاءُ نَاعِمَةٌ كَأَنَّهَا عُوْمَةٌ فِي جَوْفِ رَافُودٍ<sup>(٢)</sup>

قال اسحاق فقلت له أكنت أعددت هذا الجواب قال لا ولكن سامر بن شيبان إلا وأنا أعرف منه طرفاً

[ تأويل آية أخرى ] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (وقالت اليهود عزير بن الله) وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم) ومعلوم أن القول لا يكون إلا بالأفواه ٠٠ الجواب قلنا القول يحتمل معنيين في لغة العرب ٠٠ أحدهما القول باللسان ٠٠ والآخر بالقلب فالقول الذي يضاف الى القلب هو الظن والاعتقاد ولهذا المعنى ذهبت العرب بالقول مذهب الظن فقالوا أقول عبد الله خارجاً ومتى تقول محمد منطلقاً يريدون متى تظن ٠٠ قال الشاعر

أَمَّا الرَّحِيلُ فَذُوقِ بَعْدَ غَدٍ فَمَتَى تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا

أراد متى تظن الدار ٠٠ وقال الآخر

أَجْهَالًا تَقُولُ بَنِي لُؤَيٍّ لَمَمْرُ أَيْبِكَ أُمٌّ مَتَجَاهِلِينَا

(١) - الصحفة - قصعة دون الجفنة وفوق المثقلة - والاهالة - الشحم أو ما أذيب منه أو الزيت أو كل ما استدم به - والاقط - بفتح فكسر وقد يسكن شيء يتخذ من الخيض الفئمي ٠٠ يريد بهذا التعريض بنى باهلة قوم الاسمي وأنهم اذا استحسنوا شيئاً شبهوه بشيء من المأكولات

(٢) - العومة - دويبة - والرافود - دن كبير أو طويل الأسفل مطلي داخله بالفار ٠٠ يريد به أن رهط العماني يستطيون حتى الخبائث والحشرات ويشبهون بها ما يستحسن

أراد أنظن بنى لؤي ٠٠ وقال توبة بن الحبر  
 ألا يا صغرى النفس كيف تقولها  
 لو أن طريداً خائفاً يستجيرها  
 تحبب إن شطت بها غربة النوى  
 ستتم ليلى أن يفك أسيرها (١)

أراد كيف نظنها فلما كان القول يستعمل في الأمرين معاً أفاد قوله تعالى (بأفواههم) قصر المعنى على ما يكون باللسان دون القلب ولو أطلق القول ولم يأت بذكر الأفواه لجاز أن يتوهم المعنى الآخر ٠٠ ومما يشهد بذلك قوله تعالى (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) فلم يكذب تعالى قول أسنهم لانهم لم يخبروا بأفواههم إلا بالحق بل كذب ما يرجع الى قلوبهم من الاعتقادات ٠٠ ووجه آخر وهو أن تكون الفائدة في قوله تعالى بأفواههم ان القول لا برهان عليه وانه باطل ككذب لا يرجع فيه إلا الى مجرد القول باللسان لان الانسان قد يقول بلسانه الحق والباطل وانما يكون قوله حقا إذا كان راجعا الى برهان فيكون اضافة القول الى اللسان يقتضي ما ذكرناه من الفائدة وهذا كما يقول الفاضل لمن يشك في قوله أو يكذبه هكذا تقول وليس الشأن فيما تقوله وتتفوه به وتقلب به لسانك فكأنهم أرادوا أن يقولوا هذا قول لا برهان عليه فأقاموا قولهم هكذا تقول بلسانك وانما يقولون كذا بأفواههم مقام ذلك والمعنى انه قول لا تعضده حجة ولا برهان ولا يرجع فيه إلا الى اللسان ٠٠ ووجه آخر وهو أن تكون الفائدة في

(١) هكذا أشهد البيت هنا وفي غيره من كتب الادب .

انظن بها خيراً وأعلم أنها ستتم يوماً أو يفك أسيرها  
 وهذه الرواية أنسب وأقرب الى المعنى ومنها يعلم ان قوله في البيت الذي قبله  
 الا يا صغرى النفس - انما هو خطاب لنفسه على سبيل التجريد وتلك عادة لهم مشهورة في  
 نظمهم ونثرهم - والبيتان من قصيدة له طويلة حينة أولها

نأنتك بليلى دارها لا تزورها وشطت نواها واستمر صريرها  
 يقول رجال لا يضررك نأيها بل كل ما شغف النفوس يضرها

ذلك التأكيد فقد جرت به عادة العرب في كلامها وما تقدم من الوجهين أولى لأن حمل كلامه تعالى على الفائدة أولى من حمله على ما سقط معه الفائدة

[ تأويل آية أخرى ] ٥٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ فقال أى معنى لرد الأيدي في الأفواه وأى مدخل لذلك في التكنيب بالرسول عليهم السلام ٥٥ الجواب قلنا في ذلك وجوه ٥٥ أولها أن يكون إخباراً عن القوم بأنهم ردوا أيديهم في أفواههم عاضين عليها غيظاً وحنقاً على الأنبياء عليهم السلام كما يفعل المشرك المبتدع المبالغ في معاندته ومكابذته وهذه عادة معروفة في المغيظ المهنق انه يعض على أصابعه ويفرك أنامله ويضرب باحدى يديه على الأخرى وما شاكل ذلك من الأفعال ٥٥ وثانيها أن تكون الهاء في الأيدي للكفار المكذبين والهاء التي في الأفواه للرسول عليهم السلام فكأنهم لما سمعوا وعظ الرسول ودعاهم وإنذارهم أشاروا بأيديهم الى أفواه الرسل فيضعونها على أفواههم ليستكثروهم ويقطعوا كلامهم ٥٥ وثالثها أن تكون الهاء أن جيمعاً يرجعان الى الكفار لاني الرسل فيكون المعنى أنهم اذا سمعوا وعظهم وإنذارهم وضعوا أيدي أنفسهم على أفواههم مشيرين اليهم بذلك الى الكف عن الكلام والامساك عنه كما يفعل من يريد منا أن يسكت غيره ويمتعه عن الكلام من وضع أصبعه على في نفسه ٥٥ ورابعها أن يكون المعنى فردوا أقول بأيدي أنفسهم الى أفواه الرسل أى أنهم كذبوهم ولم يصفوا الى أفواههم فالهاء الأولى للقوم والثانية للرسول والأيدى انما ذكرت مثلاً وتأكيذاً كما يقول القائل أهلك فلان نفسه بيده أى وقع الهلاك به من جهته لا من جهة غيره ٥٥ وخاسها أن المراد بالأيدى الذم والهاء الثانية للقوم المكذبين والتي قبلها للرسول والتقدير فردوا بأفواههم نعم الرسل أى ردوا وعظهم وإنذارهم وتبهيهم على مصالحهم الذي لو قبلوه لكان لعمراً عليهم ٥٥ ويجوز أيضاً أن تكون الهاء التي في الأيدي للقوم الكفار لانها نعم من الله تعالى عليهم فيجوز اضافتها اليهم وحمل لفظة في على معنى الباء جائز لقيام بعض الصفات مقام بعض يقولون رضيت عنك ورضيت عليك ٥٥ وحكي في لغة طي "أدخلك الله بالجنة يريدون في

الجنة فيعبرون بالباه عن معنى في كذلك أيضاً يصح أن يعبروا بنى عن الباه . قال الشاعر  
 وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ لَمِيطٍ وَرَهْطِهِ وَلَكِنِّي عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ

أراد وأرغب بها تحمل في على الباه . . . وسادسها وهو جواب اختاره أبو مسلم بن بحر  
 وزعم أنه أولى من غيره قال المضمرون في قوله أيديهم الرسل وكذلك المضمرون في  
 أفواههم والمراد باليد هنا ما نطق به الرسل من الحجج والبيئات التي ذكر الله تعالى  
 أنهم جاؤا بها قومهم واليد في كلام العرب قد تقع على النعمة وعلى السلطان أيضاً وعلى  
 الملك وعلى العهد والعقد ولكل ذلك شاهد من كلامهم والذي أتى به الأنبياء قومهم  
 هو الحججة والسلطان وهو النعمة وهو العهد وكل ذلك يقع على اسم اليد ولما كان ما تعطف  
 به الأنبياء قومهم ويندرونهم به إنما يخرج من أفواههم فردوه وكذبوه قيل أنهم ردوا  
 أيديهم في أفواههم أي أنهم ردوا القول من حيث جاء قال ولا يجوز أن يكون الضمير  
 في ذلك للرسل الهم كما تأوله بعض المفسرين وذكر أن معناه أنهم عضوا عليهم أناملهم  
 غيظاً لأن رافع يده إلى فيه والعاض عليها لا يسمي راداً ليد يده إلى فيه إلا إذا كانت يده  
 في فيه فيخرجها ثم يردها . [ قال المرزقي ] رضى الله عنه وليس ما استكروه أبو مسلم  
 من رد الأيدي إلى الأفواه بمستنكر ولا بعيد لانه قد يقال رد يده إلى فيه وإلى وجهه  
 وعاد فلان يقول كذا ورجع يفعل كذا وإن لم يتقدم ذلك الفعل منه ولو لم يسغ هذا  
 القول تحقياً لساغ تجوزاً واتساعاً وليس يجب أن تؤخذ العرب بالتحقيق في كلامها  
 فإن تجوزها واستعاراتها أكثر على أنه يمكن أن يكون المراد بذلك أنهم فعلوا ذلك  
 الفعل شيئاً بعد شيء وتكرر منهم فلهمنا جاز أن يقول ردوا أيديهم في أفواههم لأنه قد  
 تقدم منهم مثل هذا الفعل فلما تكرر جازت العبارة عنه بالرد وهذا يبطل استضافته  
 للجواب إذا صرنا إلى مراده

[ تأويل خبر ] . . . روى أن مسلماً الخزاعي ثم المصطفي قال شهدت رسول الله صلى

الله عليه وسلم وقد أنشده منشد قول سويد بن عامر المصطفي

لَا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أَمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ إِنَّ الْمَنَائِبَ تُؤَافِي كُلَّ إِنْسَانٍ

وَأَسْلَكَ طَرِيقَكَ فِيهَا غَيْرَ مُخْتَشِعٍ      حَتَّى تَبَيَّنَ مَا يَمْنَى لَكَ الْمَانِي <sup>(١)</sup>  
فَكَلُّ ذِي صَاحِبٍ يَوْمًا يُفَارِقُهُ      وَكَلُّ زَادٍ وَإِنْ أَبَقَيْتَهُ فَلَانِي  
وَالخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ      بِكَلِّ ذَلِكَ يَا تَيْكَ الْجَدِيدَانِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أدركته لأسلم فبكي مسلم فقال ابنه يا أبت ما يبكيك من مشرك مات في الجاهلية فقال يا بني لا تفعل فا رأيت مشركاً تلقت من مشرك خيراً من سويد .. قوله ما يمني لك الماني - معناه ما يقدر لك القادر .. قال الفراء يقال منى الله عليه الموت أي قدر الله عليه الموت .. وقال يعقوب مناك الله بما يسرك أي قدر الله لك ما يسرك وأنشد

لَعَمْرُ أَبِي عَمْرٍو لَقَدْ سَاقَهُ الْمَنَى      إِلَيَّ جَدَّتْ يُوْزَى لَهُ بِالْأَهَاضِبِ <sup>(٢)</sup>  
.. قال ابن الأعرابي ساقه المنى أي ساقه القدر .. وأنشد ابن الأعرابي

مَنْتَ لَكَ أَنْ تُلَاقِيَنِ الْمَنَايَا      أَحَادَ أَحَادَ فِي الشَّهْرِ الْحَالِ <sup>(٣)</sup>

معناه قدرت لك .. وقال أبو عبيدة في قوله تمنى (من نطفة إذا تمنى) معناه إذا تحققت وتقدرت .. وقال بعض أهل اللغة انما سى منى لما يمني من ثواب الله أي يقدر فيه ويقبل أيضاً لما يمني من الدم .. وقيل انما سى بذلك لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما انتهى قال له الملك تمن قال تمنى الجنة فسمى منى لذلك ومنى يذكر ويؤنث والتذكير أجود .. قال الشاعر في التذكير

سَقَى مِنِّي ثُمَّ رَوَاهُ وَسَاكِنَةً      وَمَنْ تَوَى فِيهِ وَاهِي الْوَذْقِ مُتَبِقٌ

(١) - مختشع - من الخشوع وهو الذل والمسكنة يقول إن من سلك طريقه الذي

يليق به سلوكه ولم يتجاوز به الى ما لا يليق به قضى عمره في عز ورفعة حتى يوافي أجله

(٢) - الجدت - القبر - ويوزى يختفر ويعمل من أوزى داره اذا جعل حول هـ

حيطانها الطين - والاهاضب - جمع حضبة وهي المشرف من الارض

(٣) - أحاد أحاد - يعني واحداً واحداً وهما ممنوعان من الصرف للعامل

٠٠ وقال آخر في التأييد

لِيَوْمِنَا بَعْنِي إِذْ نَحْنُ نَنْزِلُهَا      أَسْرَهُمْ مِنْ يَوْمِنَا بِالْعَرْجِ أَوْ لَلِ

فأما قوله - فالخير والنشر مقرونان في قرن - فالقرن الجبل وأراد انهما مجموعان لا يفترقان من حيث لا يكاد يصيب الانسان في الدنيا خيراً صرفاً لاشر فيه فللهذا قال انهما مقرونان في قرن ويجوز أيضاً أن يريد أن لسرعة قلب الدنيا وإبدالها الخير بالشر كأن الخير والنشر مقرونان مجتمعان معاً لتقارب ما بينهما ٠٠ فأما - الجديدان - فهما الليل والنهار وهما أيضاً الأجدان والملوان والفتيان والردفان والمصران ٠٠ قال الشاعر

إِنَّ الْجَدِيدَيْنِ فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا      لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ تَفْسُدُ النَّاسُ

٠٠ وقال آخر

وَأَنْظَلُهُ الْعَصْرَيْنِ حَتَّى عَلَيَّ      وَبِرَضِي بِنِصْفِ الدِّينِ وَالْأَنْفِ رَاغِمٌ<sup>(١)</sup>

وقال أبو عبيدة ويقال الليل والنهار إناسيات ٠٠ وأشد ابن الاعرابي

وَكُنَّا وَهُمْ كَأَبْنَى سِبَابٍ تَفَرَّقَا      سِوَى ثُمَّ كَانَا مَنْجِدًا وَتَهَا مِيَا

ويقول للفداء والعنى القران والبركان والصرعان ٠٠ أخبرنا أبو القاسم عبید الله بن عثمان بن يحيى قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي قال أشدنا ابن الاعرابي لرقبوع الوالي

كَذَّبْتُكَ مَا وَعَدْتُكَ أَمْسِ صَلَاحُ      وَعَسَى يَكُونُ لِمَا وَعَدْتَ نَجَاحُ

بُرُؤٌ مِنَ السَّقَمِ الطَّوِيلِ ضَمَانُهُ      لَا يَسْتَوِي سَقَمٌ بِكُمْ وَصِحَاحُ

أَصْلَاحُ إِنَّكَ قَدَرَمَيْتَ نَوَافِدَا      وَجَوَافِقًا لَيْسَتْ لِهِنَّ جِرَاحُ

(١) - أنظله - بالنون أي أمطله وقد روى بالميم أيضاً والمعنى انه لا يزال يسوفه

من يوم الى يوم ومن وقت الى آخر حتى يرضى بنصف ماله عليه من الدين وأنه راغم

وَقَدْ رَأَيْتُكَ بِالْقَوَادِمِ لِحَةً وَعَلَىٰ مِنْ سَدَفِ الْعَشِيِّ رِيَّاحُ

معنا رياح ههنا أى على وقت من العشى ومثلها رياح وقوم يروونه بالكسر وليس بشيء

مَا كَانَ أَبْصَرَنِي بِنَفَرَاتِ الصَّبَا وَالْيَوْمَ قَدْ اِسْتَفَمْتِ لِي الْأَشْبَاحُ

ومشي يجنب الشخص شخص مثله والأرض نائية الشخص براح

حَلَقَ الْحَوَادِثُ لِمَتِّي قَتَرَ كُنِّي لِي رَأْسًا يَصِلُ كَأَنَّهُ جَمَّاحُ

وذكا بأصداغي وقرن ذؤابتي قبس المشيب كأنه مصباح

قال كأنه جماح من املاسه - وجاح - سهم أو قصبه يجعل عليها الطين ثم يرمى بها الطير  
وبهذا الاسناد لبعضهم

أَرَى النَّاسَ لِلصَّعْلُوكِ حَرَبًا وَلَا أَرَى لَدَيْ نَسَبِ الْإِخْلِيلِ مُصَافِيَا

أَرَى الْمَالَ يَفْتَشِي ذَا الْوُصُومِ فَلَا يَرَى وَيُدْعَى مِنَ الْأَشْرَافِ مَنْ كَانَ غَايِبَا

- الصعلوك - الفقير وهو أيضاً القرضوب والسبروت - والوصوم - العيوب -

وبهذا الاسناد لعقيل بن علفه

إِنِّي لِيَحْمَدُنِي الْخَلِيلُ إِذَا أَجْتَدَى مَالِي وَيَكْرَهُنِي ذَوُو الْأَضْمَانِ

وَأَيَّتُ تَخْلَجُنِي الْهَمُومُ كَأَنِّي دَلُو السَّقَاةِ تُمَدُّ بِالْأَشْطَانِ<sup>(١)</sup>

وَأَعِيشُ بِالْبَلَلِ الْقَلِيلِ وَقَدْ أَرَى أَنَّ الرُّمُوسَ مَصَارِعُ الْفَتِيَانِ

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن منصور قال أخبرني محمد بن

موسى عن دعبل بن علي قال قال لي عقيل بن علفه وذكر الأبيات الثلاثة وزاد فيها

(١) - تخلجني - من خلجت القطن اذا ميزت جبه عن شعره ورواه ابن الاعرابي باخفاء

من خلجه الهم شغله وتمد - ترفع - والاشطان - جمع شطن وهو جبل البثر - والرموس -

جمع رمس وهو القبر يقول إن الموت كائن لا عمالة فالقيل من العيش والكثير سهران

ولقد علمت لئن هلكت ليدكرن قومي إذا عان النجى مكانى

[ قال المرتضى ] رضى الله عنه وكان عقيل بن علفة مع قوّة شعره جيد الكلام حكيم الألفاظ .. وروى المدائني قال قال عبد الملك بن مروان لعقيل بن علفة المرى ما أحسن أموالكم فقال ما ناله أحدنا عن أصحابه تفضلاً قال ثم ليها قال مواريثنا قال فأياها أشرف قال ما استفدناه لوقعة خوات نعماً وأفادت عزاً قال فما مبالغ عزكم قال ما لم يطمع فينا ولم تؤمن قال فما مبالغ جودكم قال ما عقدنا به متناً وأبغتنا به ذكراً قال فما مبلغ حفاظكم قال يدفع كل رجل منّا عن المستجير به كدفاعه عن نفسه قال عبد الملك هكذا فليصف الرجل قومه .. وروى أنه قيل لعقيل بن علفة قد عنت بنتك أفا تخشى عليهن الفساد قال كلا إني خلقت عندهن الحافظين قيل وماها قال الجوع والعرى أجيمهن فلا بأشرن وأعرهن فلا يظهرن .. وقال له عبد الملك يوماً مالك تهجو قومك قال لأنهم أشباه الغنم إذا صيغ بها رفعت وإذا سكت عنها رنعت قال إنما تقول البيت والبيتين قال حسي من القلادة ما أحاط بالعتق .. فأما معنى علفة اسم أبيه .. قال ابن الاعرابي قال العلفة مثل الباقلاء الرطبة تكون تحت الرهز من البقل وغيره .. وقال أبو سعيد السكري العلفنة ضرب من أوعية بزر بعض النبات مثل قشرة الباقلاء واللوبيا وهو الغلاف الذي يجمع عدة حب .. وقيل ان عقيلاً كان يكنى بأبي الوليد وكان عقيل غيوراً موصولاً بشدة الغيرة .. وروى أبو عمرو بن العلاء أنه حمل يوماً ابنة له وأنشأ يقول

إني وإن سيق إلي المهر ألف وعبدان وذوذ عشر

أحب أصحابي إلي القبر

وذكر الأصمعي ان عقيلاً كان لغيرته إذا رأى الرجل يتحدث الى النساء أخذه ودهن ارتفاعه ومغابته يزيد وربطه وطرحه في قرية النمل فلا يعود الى محادثتهم .. وروى الأصمعي قال كان عقيل بن علفة في بعض سفره ومعه ابنة العلس وابنته الجرباء فأنشأ يقول

قَصَتْ وَطَرًا مِنْ دَيْرٍ سَعْدٍ وَرَبَّمَا      عَلِيَّ عَقِيلٍ نَاطِحَتُهُ بِالْحِجَابِجِمِ<sup>(١)</sup>  
 نَمِ أَقْبَلَ عَلَى ابْنَتِهِ فَقَالَ أَجْزَى يَاعْلِسُ فَقَالَ  
 وَأَصْبَحَنَ بِالْمَوْمَاةِ يَحْمِلُنَ فِتْيَةً      نَشَاوَى مِنْ إِذْ لَاحِجِ مَيْلِ الْعَمَامِ  
 نَمِ أَقْبَلَ عَلَى ابْنَتِهِ فَقَالَ أَجْزَى يَاجِرْبَاهُ فَقَالَ

(١) - دير سعد - بين بلاد غطفان والشام وقد أخرج الضحاك هذه الحكاية بإسقاط  
 مما ذكر هنا ونحن نذكرها تنبيهاً للفائدة . قال خرج عقييل بن علفة وحنامة وابنته  
 الجرباه حتى أتوا بنتا له ناكحا في بني مروان بالشامات ثم انهم قفلوا حتى اذا كانوا ببعض  
 الطريق قال عقييل بن علفة

قَصَتْ وَطَرًا مِنْ دَيْرِ سَعْدٍ وَطَلَّمَا      عَلَى عَرَضِ نَاطِحَتِهِ بِالْحِجَابِجِمِ  
 إِذَا هَبَّتْ أَرْضًا يَمُوتُ غَرَابِهَا      بِهَا عَطَشًا أُعْطِيهِمْ بِالْحَزَائِمِ  
 نَمِ قَالَ أَتَفْذُ يَاجْتَامَةَ فَقَالَ حَنَامَةَ      نَشَاوَى مِنَ الْإِدْلَاجِ مَيْلِ الْعَمَامِ  
 فَأَصْبَحَنَ بِالْمَوْمَاةِ يَحْمِلُنَ فِتْيَةً      تَذَارِعُنَ بِالْأَيْدِيِ لِأَخْرِ طَاسِمِ  
 إِذَا عَلِمَ غَادِرُهُ بِتَوَفُّوهُ      نَمِ قَالَ أَتَفْذِي يَاجِرْبَاهُ فَقَالَ  
 كَأَنَّ الْكُرَى سَقَاهُمْ صِرْخُ دِيَّةٍ      عَقَارًا تَمْطِي فِي الْمَطَا وَالْقَوَامِ

فقد عقييل شربها ورب السكبة لولا الامان لضربت بالسيف تحت قرطك أما وجدت  
 من الكلام غير هذا فقال حنامة وهل اسامت انما اجادت وليس غيري وغيرك فرماه عقييل  
 بسهم فاصاب ساقه وانفذ السهم ساقه والرجل ثم شدت على الجرباه ففقرت نائحتها ثم حياها  
 على نافة حنامة وتركه عقيلاً مع نافة الجرباه ثم قال لولا أن تسبقني مرة لما عشت ثم  
 خرج متوجهاً الى أهله وقال لئن أخبرت أهلك بشأن حنامة أو قلت لهم انه اصابه غير الطاعون  
 لا قتلتك فلما قدموا على أهل أبير وهم بنو القين ندم عقييل على فعله بحنامة فقال لهم  
 هل اسكم في جزور انكسرت قالوا نعم قال فآلزموا أثر هذه الراحلة حتى تجدوا الجزور ونفجرت  
 الغوم حتى انتهوا الى حنامة فوجدوه قد أنزفه الدم فاحتملوه وقسموا الجزور وآنزلوه

كَانَ الْكِرَى سَقَاهُمْ صَرَخْدِيَّةً عَقَارًا عَمَّتَتْ فِي الْمَطَا وَالْقَوَائِمِ  
 قَالَ فَأَقْبَلَ عَلَى ابْنَتِهِ يَضْرِبُهَا وَيَقُولُ وَاقِهْ مَا وَصَفْتِهَا بِهَذِهِ الصِّفَةِ حَتَّى شَرِبْتُهَا فَوُتِبَ عَلَيْهِ  
 إِخْوَتُهَا فَمَاتَلُوهُ دُونَهَا ثُمَّ رَمَاهُ أَحَدُهُمْ بِسَهْمٍ فَأَسْتَلَمَ نَحْوَهُ ۰۰ فَقَالَ عَقِيلُ  
 إِنَّ بَنِيَّ زَمَلُونِي بِالذَّمِّ مَنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرَّجَالِ يَكَلِّمُ  
 وَمَنْ يَكُنْ ذَا أَوْدٍ يُقَوْمُ شِدْشِنَةَ أَعْرَفَهَا مِنْ أَخْزَمِ  
 - الشَّنْشَنَةُ - الطَّبِيعَةُ وَالسَّجِيَّةُ وَقِيلَ الشَّبُّ وَهَذَا مِثْلُ اجْتِنَابِهِ عَقِيلٌ وَقَدْ قِيلَ قَبْلَهُ وَلِعَقِيلِ  
 وَلِلذَّهْرِ أَثْوَابٌ فَكُنْ فِي لِبَاسِهِ كَلْبِيسَتِهِ يَوْمًا أَجَدَّ وَأَخْلَقَا  
 وَكَنْ أَكْيَسَ الْكَيْسِيِّ إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ  
 وَإِنْ كُنْتَ فِي الْحَمَقِيِّ فَكُنْ أَنْتَ أَحْمَقَا

### مجلس آخر ٢٧

[ تأويل آية ] ۰۰ ان سأل سائل عن قوله تعالى ( والى الله ترجع الأمور ) فقال  
 كيف يصح القول بأنها رجعت عليه وهي لم تخرج عن يده ۰۰ الجواب قلنا قد ذكر  
 في ذلك وجوه ۰۰ أولها ان الناس في دار الخنة والتكليف قد يضرب بعضهم ببعض  
 ويعتقدون فيهم أنهم يملكون جر المنافع اليهم وصرف المضار عنهم وقد يدخل عليهم  
 الشبه لتقصيرهم في النظر وعدولهم عن وجهه وطريقه فيجهد قوم الأصنام وغيرها من  
 عليهم وما لجوه حتى يرى والحقوه بقومه فلما كان قريباً منهم نفى  
 أيذر لاجينا ويلعبين في الصبا وما هن والفتيان الاشقائق  
 فقال له القوم إنما أفلتت من الجراحة التي جرحك أبوك آتفا وقد طودت ما يكرهه  
 فاسك عن هذا ونحوه اذا لقيته لا يلحقك منه شر وعرة فقال إنما هي خطرة خطرت  
 والراكب اذا سار نفسي

المعبودات الجلمدة الهامدة التي لا نسمع ولا تبصر ويمسد آخرون البشر ويجعلونهم شركاء لله تعالى في استحقاق العبادة وبضيف كل هؤلاء أفعال الله عزوجل فيهم الى غيره فاذا جاءت الآخرة وانكشف الغطاء واضطروا الى المعارف زال ما كانوا عليه في الدنيا من الضلال واعتقاد الباطل وأيقن الكل انه لا خالق ولا رازق ولا خاز ولا نافع غير الله فردوا اليه أمورهم وانقطعت آمالهم من غيره وعلّموا ان الذي كانوا عليه من عبادة غيره وتأميله للضر والنفع غرورٌ وزور فقال الله تعالى (والى الله ترجع الأمور) لهذا المعنى ٠٠ والوجه الثاني أن يكون معنى الآية في الأمور أن الأمور كلها لله تعالى وفي يده وقبضته من غير خروج ورجوع حقيقى وقد تقول العرب قد رجعت على من فلان مكروه بمعنى صار الى منه ولم يكن سبق الى قبل هذا الوقت وكذلك يقولون قد عاد على من زيد كذا وكذا وان وقع منه على سبيل الابتداء ٠٠ قال الشاعر

وإن تكن الأيام أحسن مرةً إلى فقد عادت لهن ذنوبُ

أى صارت لها ذنوبٌ لم تكن من قبل بل كان قبلها إحسان فحمل الآية على هذا المعنى شائع جازٍ تشهد له اللغة ٠٠ والوجه الثالث إننا قد علمنا ان الله تعالى قد ملك العبادة في دار التكليف أموراً تنقطع بانقطاع التكليف وإفضاء الأمر الى الدار الآخرة مثل ما ملكه المولى من العبيد وما ملكه الحكام من الحكم وغير ذلك فيجوز أن يريد الله تعالى برجوع الأمر اليه انتهاء ما ذكرناه من الأمور التي يملكها غيره بتجليك الى أن يكون هو وحده مالكا ومدبرها ٠٠ ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بها ان الأمر ينتهي الى أن لا يكون موجود قادر غيره ويفضي الأمر في الانتهاء الى ما كان عليه في الابتداء لأن قبل انشاء الخلق هكذا كانت الصورة وبعد إنشائهم هكذا يصير وتكون الكتابة برجوع الأمر اليه عن هذا المعنى وهو رجوع حقيقى لأنه عاد الى ما كان عليه متقدماً ٠٠ ويحتمل أيضاً أن المراد بذلك ان الى قدرته تعود المقدورات لأن ما أفناه من مقهوراته الباقية كالجواهر والاعراض ترجع الى قدرته ويصح منه تعالى إيجاداً لعوده الى ما كان عليه وان كان لا يصح في مقهورات البشر وان كانت

باقية لما دل عليه الدليل من اختصاص مقدور القدر باستحالة العود اليها من حيث لم  
يجر فيها التقديم والتأخير وهذا أيضاً حكمه تعالى المتفرد به دون غيره من سائر القادرين  
والله أعلم بما أراده

### مجلس آخر ٢٨

[ تأويل آية ] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى ( ليس البر أن تأتوا البيوت من  
ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها ) فقال أي معنى لذكر البيوت  
وظهورها وأبوابها وهل المراد بذلك البيوت المسكونة على الحقيقة أو كفى بهذه اللفظة  
عن غيرها فان كان الأول فالقائمة في إيمانها من أبوابها دون ظهورها وان كانت كناية  
فبينوا وجهها ومعناها .. الجواب قيل له في الآية وجوه .. أولاً ما ذكر من أن الرجل  
من العرب كان اذا قصد حاجة فلم تقض له ولم يتجح فيها رجع فدخل من مؤخر البيت  
ولم يدخل من بابه تطيراً فدلهم الله تعالى على أن هذا من فعلمهم لا يبر فيه وأمرهم من  
التقى بما ينفعهم ويقربهم اليه وقد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التطير وقال  
لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر أي لا يمدى شيء شيئاً .. وقال عليه الصلاة  
والسلام لا يورد ذو طاعة على مصحح ومعنى هذا الكلام ان من لحقت إبله آفة أو مرض  
فلا ينبغي أن يوردها على إبله لعيره صحاح لأنه متى فعل ذلك ياحق الصحاح مثل هذه  
العاية اتفاقاً لا لأجل العدوى ولم يؤمن من صاحب الصحاح أن يقول انما لحق إبلي  
هذه الآفة من تلك الابل وهي أعدت إبلي فنبى النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا  
إبزول المائم بين النريقين والظن البقيح .. وتانها ان العرب <sup>(١)</sup> إلا قريشاً ومن ولدته

(١) قوله ان العرب الاقريشاً الحاققت ليس كذلك وانما الذين كانوا يخامون دخول  
البيوت من أبوابها وهم محرمون الاطامس وهم قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم في  
الجاهلية وانما سمو بذلك لتعصبهم في دينهم أي تشدهم وقد صح ان النبي صلى الله  
عليه وسلم أقبل ليدخل بيت بعض نسائه وهو محرم ومعه بعض أصحابه فلما دخل النبي صلى

قريش كانوا اذا أحرموا في غير الأشهر الحرم لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ودخلوها من ظهورها اذا كانوا من أهل اليرب واذ كانوا من أهل المدر تقبوا في بيوتهم ما يدخلون ويخرجون منه ولم يدخلوا ولم يخرجوا من أبواب البيوت فهاهم الله تعالى عن ذلك وأعلمهم انه لا معنى له وانه ليس من البر وان البر غيره .. ونالها وهو جواب أبي عبيدة معمر بن المثنى ان المعنى ليس البر بان تطالبوا من غير أهله وتلتسوه من غير بابه وأتوا البيوت من أبوابها مضاه والطلبوا الخير من وجهه ومن عند أهله .. ورأبها وهو جواب أبي علي الجبائي أن يكون الفائدة في هذا الكلام ضرب المثل وأراد ليس البر أن يأتي الرجل الشيء من خلاف جهته لأن إتيانه من خلاف جهته يخرج الفعل عن حد الصواب والبر الى الأثم والخطأ وبين البر والتقوى وامر بآيات الأمور من وجوهها وان تفعل على الوجوه التي لها وجبت وحسنت وجعل تعالى ذكر البيوت وظهورها وأبوابها مثلاً لأن العادل عن الأمر عن وجهه كالعادل في البيت عن بابه .. وخامسها أن تكون البيوت كناية عن النساء ويكون المعنى وأتوا النساء من حيث أمركم الله والهرب تسمى المرأة بيناً .. قال الشاعر

مالي إذا أنزعها صأيتُ أَكْبَرَ غَيْرِي أُمَّ يَنْتُ

أراد بالبيت المرأة .. ومما يمكن أن يكون شاهداً للجواب الذي حكيناه عن أبي علي الجبائي والجواب عن أبي عبيدة أيضاً ما أخبرنا به أبو القاسم أحمد بن يحيى النحوي قال أنشدنا ابن الاعرابي

إِنِّي عَجِبْتُ لِأُمِّ الْعَمْرِ إِذْ هَرَبْتُ      مِنْ شَيْبِ رَأْسِي وَمَا بِالشَّيْبِ مِنْ عَارِ  
مَا شَقْوَةُ الْمَرْءِ بِالْإِقْتَارِ يُقْتَرُهُ      وَلَا سَعَادَتُهُ بِوَمَأْ يَأْكُشَارُ  
إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذِي فِي النَّارِ مَنَزَلُهُ      وَالْفَوْزُ فَوْزُ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ

الله عايبه وسلم تأخر الرجل فقال له عايبه الصلاة والسلام مالك لا تدخل فقال أنا أحسى فقال وأنا كذلك فنسخ بفعله وقوله ما كانت عليه قريش ومن أخذ مأخذها

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَمْرِ يُزِينُ لِي شَتَمَ الْمَشِيرَةَ أَوْ يُدْنِي مِنَ الْمَارِ  
 وَخَيْرِ دُنْيَا يُنْسِي الْمَرْءَ آخِرَةَ وَسَوْفَ تَبْدُو إِلَى الْعَبَّارِ أَسْرَارِي  
 لَا أَدْخُلُ الْبَيْتَ أَحَبُّ مِنْ مُؤَخَّرِهِ وَلَا أُكْسِرُ فِي ابْنِ الْعَمِّ أَظْفَارِي

فقوله لا أدخل البيت أحب من مؤخره - يحتمل أن يريد به إتي لا آتي الأمور من غير وجهها على أحد الأجوبة في الآية . . . ويحتمل أيضاً إني لا أطلب الخير إلا من أهله على جواب أبي عبيدة . . . ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يريد إتي لا أفسد البيت للريبة والفساد لأن من شأن من يسي إلى أفساد الحرم ويقصد البيوت للريبة أن يعدل عن أبوابها طلباً لإخفاء أمره فكأنه نفي عن نفسه بهذا القول القبيح وتزه عنه كما تزده بقوله - ولا أكسر في ابن العم أظفاري - عن مثله وأراد أنه لا يبدأ ابن العم مني السوء ولا يتألم بنو من جهتي فأكون كأنني قد جرحته بأظفاري وكسرتها في لحمه وهذه كنيات باهضة مشهورة للعرب . . . ويجري مجرى هذه الأبيات وقاربها في المعنى وحسن الكناية قول ملال بن ختم

وَإِنِّي لَعَفٌّ عَنْ زِيَارَةِ جَارَتِي وَإِنِّي لَمَشْنُوهُ إِلَى اغْتِيَابِهَا  
 إِذَا غَابَ عَنْهَا لَعَمْتُ لَمْ أَكُنْ لَهَا زَوْراً وَلَمْ تَنْبِغْ عَلَيَّ كِلَابِهَا  
 وَهَذَا أَنَا بِالذَّارِي أَحَادِيثَ بَيْنَهَا وَلَا عَالِمًا مِنْ أَيِّ حَوْكٍ ثِيَابِهَا  
 وَإِنْ قَرِابَ الْبَطْنِ يَكْفِيكَ مِلَاهُ وَيَكْفِيكَ عَوْدَاتِ الْأُمُورِ أَجْتِنَابِهَا

[ قال المرتضى ] رضى الله عنه وقد جمعت هذه الأبيات فقراً عجيبه وكنيات بليغة لأنه نفي عن نفسه زيارة جارته عند غيبة بملها وخمس حال الغيبة لأنها أدنى إلى الريبة وأخص بالهمة فقال - ولم تنبغ علي كلابها - أراد إني لا أطرقها ليلاً مستخفياً مشتركراً فتكرني كلابها وتنبغي وهذه الكناية تجرى مجرى قول الشاعر المتقدم . . . لا أدخل البيت أحب من مؤخره وقد روى ولم تأنس إلى كلابها وهذا معنى آخر كأنه أراد - أنه ليس بكثير الطرقي لها والفسحان لمزها فتأنس به كلابها لأن الالس لا يكون إلا

مع المواصلة والمواترة .. وقوله - وما أنا بالداري أحاديث بيتا - أراد به أيضاً التأكيد  
 في نفي زيارتها وطروقها عن نفسه لأنه إذا أدمن الزيارة صرف أحاديث بيتها فاذا لم يزرها  
 وصارها لم يعرف .. ويحتمل أن يريد إني لا أسأل عن أحوالها وأحاديثها كما يفعل  
 أهل الفضول فترى نفسه عن ذلك .. وقوله - ولا عالم من أي حوك ثيابها - كناية مديحة  
 عن أنه لا يجتمع معها ولا يقرب منها فيعرف صفة ثيابها .. وبالاسناد المتقدم لحارثة  
 ابن بدر الغدائي

|  |   |
|--|---|
| أذَا لَهْمٌ أَمْسِي وَهُوَ دَاءٌ فَأَمْضِيهِ       | وَلَسْتُ بِمُمْضِيهِ وَأَنْتَ تُعَادِلُهُ     |
| وَلَا تُنْزِلُنِ أَمْرَ الشَّدِيدَةِ بِأَمْرِي     | إِذَا هُمْ أَمْرًا عَوَّقْتَهُ عَوَادِلُهُ    |
| فَمَا كُلُّ مَا حَاوَلْتَهُ الْمَوْتُ دُونَهُ      | وَلَا دُونَهُ أَرْصَادُهُ وَحِبَابِلُهُ       |
| وَلَا الْفَتَكُ مَا آمَرْتَنِي فِيهِ وَلَا الَّذِي | تُحَدِّثُ مَنْ لَاقَيْتَ أَنَّكَ فَاعِلُهُ    |
| وَمَا الْفَتَكُ إِلَّا لِأَمْرِي ذِي حَفِيظَةٍ     | إِذَا مَالٌ لَمْ تَرَعُدْ عَلَيْهِ خِصَالُهُ  |
| وَلَا تَجْعَلُنِ سِرًّا لِي غَيْرَ أَهْلِي         | فَتَقَعْدَ إِنْ أَقْسِي عَلَيْكَ تَجَادُلُهُ  |
| وَلَا تَسْأَلِ الْمَالَ الْبَخِيلُ تَرَى لَهُ      | غَنَى بَعْدَ ضَرٍّ أَوْرَثْتَهُ أَوْائِلُهُ   |
| أَرَى الْمَالَ أَفْيَاءَ الظَّلَالِ فَتَارَةً      | يُؤُوبُ وَأُخْرَى يَحْتَلُ الْمَالَ خَاتَمُهُ |

معنى - آمرت - شاورت - والحصائل - كل لحم مجتمع وقد روينا في هذه الأبيات زيادة  
 على القدر الذي ذكرناه .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني الحسن بن علي قال  
 حدثنا محمد بن العباس قال حدثني الفضل بن محمد عن أبي الهيثم المهلب قال من الأبيات  
 السائرة قول حارثة بن بدر الغدائي

|  |   |
|--|---|
| لَمْرُكُ مَا بَقِيَ لِي الدَّهْرُ مِنْ أَخِي | حَفِيٍّ وَلَا ذِي خِلَّةٍ لِي أَوْاصِلُهُ   |
| وَلَا مِنْ خَلِيلٍ لَيْسَ فِيهِ عَوَائِلُهُ  | فَشَرُّ الْأَخِلَاءِ الْكَثِيرُ عَوَائِلُهُ |

وَقُلْ لِفُؤَادِي إِنْ نَزَى بِكَ نَزْوَةٌ مِنْ الرَّوْعِ أَفْرِخِ أَكْثَرَ الرَّوْعِ بِأَطْلِهِ

معنى - أفرخ - أي أسكن يقال أفرخ روعه إذا سكن

وما كلُّ ما حاولته الموتُ دُونَهُ

وذكر البيهقي الذين إمده وزاد

وَكُنْ أَنْتَ تَزْعِي بِرِّ نَفْسِكَ وَأَعْلَمَنَّ إِذَا مَا قَتَلْتَ الشَّيْءَ عِلْمًا فَبُجِحَ بِهِ

بَأَنَّ أَقْلَ النَّاسِ لِلسَّرِّ حَامِلُهُ وَلَا تَقُلْ الشَّيْءَ الَّذِي أَنْتَ جَاهِلُهُ

ومما يستحسن لحارثة بن بدر الغداني قوله

لَنَا نَبْعَةٌ كَانَتْ تَقِينَا فُرُوعَهَا

وَقَدْ بَلَغَتْ إِلَّا قَلِيلًا عُرُوقَهَا

وَإِنَّا لَنَسْتَحْلِي الْمَنَايَا نَفُوسَنَا

وَنَتْرُكُ الْآخَرَى مَرَّةً لَا نَذُوقَهَا

وَشَيْبَ رَأْسِي قَبْلَ حِينٍ مَشِيبِهِ

رَعُودُ الْمَنَايَا بَيْنَنَا وَبُرُوقَهَا

قوله - لنا نبعه كانت تقينا فروعها - مثل ضربه وإنما أراد عشيرته وأهل بيته . . . وقد

روى هذه الأبيات علي بن ساجان الأحمش عن أبي العباس نعلب وزاد فيها

رَأَيْتُ الْمَنَايَا بِأَدْيَابٍ وَعُودًا

إِلَى دَارِنَا سَهْلًا الْبِنَا طَرِيقَهَا

وَقَدْ قَسَمْتُ نَفْسِي فَرِيقَيْنِ مِنْهُمَا

فَرِيقٌ مَعَ الْمُؤْتِي وَعِنْدِي فَرِيقُهَا

وَيَنَارُ جِي النَّفْسِ مَا هُوَ نَارُ حُحْ

مِنَ الْأَمْرِ لَأَقْتُ دُونَهَا مَا يَمُوقُهَا

. . . وروى أبو العينية قال أنشد الشعبي عبد الله بن جعفر الأبيات الثلاثة الأولى فقال

عبد الله بن هذا الشعبي قال لحارثة بن بدر فقال نحن أحق بهذا ثم أمر للشعبي بأربعهائة

دينار . . . ومن مستحسن قول حارثة

وَلَقَدْ وُلِيْتُ إِمَارَةً فَرَجَعْتُهَا

فِي الْمَالِ سَالِمَةً وَلَمْ أَتَمَوْلِ

وَلَقَدْ مَنَمْتُ النَّصْحَ مِنْ مُتَقَبِّلِي

وَلَقَدْ رَفَذْتُ النَّصْحَ مَنْ لَمْ يَقْبَلِ

فَبِأَيِّ لَمْسَةٍ لَامَسِ لَمْ أَلْتَمِسْ      وَبِأَيِّ حِيلَةٍ حَاطَلِ لَمْ أَحْتَلِ  
يَا طَالِبَ الْحَاجَاتِ يَرْجُو نُجْحَهَا      لَيْسَ النَّجَاحُ مَعَ الْأَخْتِ الْأَعْمَلِ  
فَأَصْدُقْ إِذَا حَدَّثْتَ تَكْتَبُ صَادِقًا      وَإِذَا حَاطَتْ مُسَارِيًا فَتَحَلَّلِ

معنى - تكتب صادقاً - أى تكون عند الله صادقاً ٠٠ وقوله - فتحلل - أى استن

وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَاهِشِينَ إِلَى الْعُلَى      غَيْرًا أَكْفَهُمْ بَرِيثٌ فَأَعْمَلِ

معنى - الباهشين - اللادين أيديهم إلى الشيء المهين له

وَإِذَا نَبَأَ بِكَ مَزَلٌ فَتَحَوَّلْ      وَأَحْذَرْ مَكَانَ السُّوءِ لِأَتَحَلَّلْ بِهِ

وَإِذَا ابْنُ عَمَلِكَ لَبِغَ بِمَضْأِ جِاجَةٍ      فَأَنْظُرْ بِهِ عِدَّةً وَلَا تَسْتَجِبْ<sup>(١)</sup>

وَإِذَا أَفْتَقَرْتَ فَلَا تَكُنْ مَتَخَشِمًا      تَرْجُو التَّوَاضُلَ عِنْدَ غَيْرِ الْمُفْضَلِ

وَأَسْتَعِنْ مَا أَغْنَاكَ رَبُّكَ بِالْفَيْ      وَإِذَا تَكُونُ خِصَاصَةً فَتَجَبَلِ

٠٠ وأخبرنا أبو غنيد الله المرزباني قال أخبرنا محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا محمد بن

يزيد النحوي قال كان حارثة بن بدر الغداني رجل تميم في وقته وكان قد غلب على زياد

وكان الشراب قد غلب عاينه فقبل زياد ان هذا قد غلب عليك وهو مشتهر بالشراب

فقال زياد كيف لي بإطراح رجل هو يسايرني منذ دخلت العراق لم تصطك ركابي ركابه

ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه ولا تأخر عتي فلوت عتي إليه ولا أخذ على الشمس في

شبه قط ولا الروح في سيف قط ولا سأله عن علم إلا ظننته لا يحسن غيره فلما مات

زياد جفاه عبيد الله ابنه فقال له حارثة أيها الأمير ما هذا الجفاه مع معرفتك بالحال

عند أبي المغيرة فقال له عبيد الله ان أبا المغيرة قد كان برع بروعاً لا يبلغه معه عيب

(١) - اللجاجه - الخصومة - وانظر - انتظر - يقول إذا خاصمك قريبك

ويلج في خصومتك فانتظر رجوعه إليك وإقلاعه عن خصومتك ولا تستعجل عليه

في مقابلته بمثل ما يدرك به أو فانتظر به نازلة تشغله عنك وتكف عنك غائلته

(٧ - أمالي)

وأنا حدث وأما أنسب إلى من يطلب على وأنت رجل نديم الشراب فتق قريبتك  
 وظهرت منك رائحة الشراب لم آمن أن يظن بي فدع الشراب وكن أول داخل على  
 وآخر خارج فتال له حارثة أنا لأدعه لمن يملك ضرمي ونفمي أفادعه للحعال عندك قال  
 فاختر من عملي ماشئت قال توليني رام هرمز فانها أرض عسديات وشرف فان بها شراباً  
 وصف لي فولاه إياها فلما شيمه الناس . . قال أنس بن أبي أييس وقيل ابن أبي  
 إياس الدثلي

أحار بن بذرٍ قد وليت إمارَةً      فكُنْ جُرُودًا فيها تحنون وتسرِقُ  
 ولا تحقرن يا حارٍ شيئاً وجدته      فحفظك من ملك العرايين سُرِقُ<sup>(١)</sup>  
 وباه تقيماً بالغي إن للغي      لساناً به المي الهيوبة ينطقُ  
 فإن جميع الناس إماماً مكذبٌ      يقول بما تهوى وإماماً مُصدقُ  
 يقولون أقوالاً ولا يعلمونها      فإن قيل هاتوا حَقِّعوا لم يحققوا

وهذه الأبيات تروى لأبي الأسود الدثلي وأنه كتب بها إلى حارثة لما ردت إليه سرقة  
 ويزاد فيها

وكن حازماً في اليوم إن الذي به      يجي غدً يومٌ على الناسٍ مُطبقُ  
 ولا تمنجن فالعجز أوطأ مركبٍ      وما كل من يدعو إلى الخير يزرقُ  
 إذا ما دهاك القوم عدوك أكلاً      وكل حارٍ أوجع لست ممن يحققُ

ويقال إن حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله

جاءك إله المرش خير جزائه      فقد قلت ممرؤفاً وأصبت كافياً

(١) - سرقة - بضم أوله وتشديد ثانيه كورقة من كور الإهواز ومدنتها دوق

أَشْرَنْتَ بِأَمْرِ لَوْ أَشْرَنْتَ بِغَيْرِهِ لِأَلْفَيْتَنِي فِيهِ لِأَمْرِكَ عَاصِيَا<sup>(١)</sup>

•• ويقال ان حارثة بن بدر والأحنف بن قيس قد دخلا على ابن زياد فقال لحارثة أى الشراب أطيب وكان يتم فقال برة طاساريه واقطة عنويه وسمنه عنزه وسكرة سوسيه وانطفة مسرقابيه فقال للأحنف يا أبا بجر ما أطيب الشراب قال الحمر قال وما يدريك ولست من أهلها قال رأيت فيها خصلتين عرفتا انها أطيب الشراب •• ولحارثة بن بدر يخاطب عبید الله بن زياد لما تغير عليه بعد اختصاصه كان بأبيه

أُهَانُ وَأُقْصَى ثُمَّ تَنْتَصِحُونِي وَأَيُّ إِمْرِي دُعِي تَنْصِيحَتَهُ قَسْرًا  
رَأَيْتُ الْأَكْفَ الْمُصَاتِينَ عَلَيْكُمْ مِلَادًا وَكَفَى مِنْ عَطَايَاكُمْ صَفْرًا  
وَإِنِّي مَعَ السَّاعِي إِلَيْكُمْ بِسَيْفِهِ إِذَا أَحْدَثَ الْأَيَّامُ فِي عَظْمِكُمْ كَسْرًا  
مَتَى تَسْأَلُونِي مَا عَلَيَّ وَتَتَمَنَوُا الَّذِي لِي لَمْ أَسْتَطِعْ لَكُمْ صَبْرًا

•• وقال يعاتبه

وَكَمْ مِنْ أَمِيرٍ قَدْ تَجَبَّرَ بَعْدَ مَا مَرَّتْ لَهُ الدُّنْيَا بِسَيْفِي فَذَرَّتْ  
إِذَا زَبَنَتْهُ عَنْ فُؤَادِي أَنْتَ بِي دَعَانِي وَلَمْ أُذْعَ إِذَا مَا أَقْرَتِ  
إِذَا هِي مَا أَحْلَوْلَتْ مَحَاقِقَ مَقْسَمِي وَيَقْسِمُ لِي مِنْهَا إِذَا مَا أَمَرْتِ

ـ زبنته ـ أى دفعته عن ان يجلها ـ والفواق ـ اجتماع اللبن في الضرع بين الحلبتين •• ومعنى ـ أقرت ـ تركته بجلها •• ويشبه آيات حارثة هذه قول عبد الله بن الزبير يعاتب معاوية وعمران وأهل بيته من جملة قصيدة وهي آيات قوية جدًا

(١) ـ قلت ـ أورد هذه الحكاية ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان وذكر

بقي بدر المذكورين هنا وزاد بعد ما بيننا واحدا وهو

سئل أخا يصفيك بالود حاضرا وبوليك حفظ الغيب ما كان نائبا .

عَطَاؤُكُمْ لِلضَّارِّينَ رِقَابِكُمْ وَتُدْعَى إِذَا مَا كَانَ جِزُّ الْكِرَاكِ (١)  
أَنْحَنُ أَخْوَكُمْ فِي الضِّيقِ وَسَهْمُنَا إِذَا مَا قَسَمْتُمْ فِي الْخِطَاءِ الْأَصَاغِرِ

- الخطاء - سهام سفار

وَتَذُيُكُمْ الْأَذَى إِذَا مَا قَسَمْتُمْ وَتَنْقَى بَشْدَى جِبْنٍ تَسْأَلُ بِاسِرٍ (٢)  
وَإِنْ كَانَ فِينَا الذَّنْبُ لِلنَّاسِ مِثْلَهُ أُخِذْنَا بِهِ مِنْ قَبْلِ نَاهٍ وَأَمْرٍ

أى من قبل أن ينهى عنه أو نومه من اجتنابه

وَإِنْ جَاءَكُمْ مِنْ غَرْبٍ بِأَرْضِكُمْ لَوْيْتُمْ لَهُ يَوْمًا جُنُوبَ الْمَنَاحِرِ  
فَهَلْ يَفْعَلُ الْأَعْدَاءُ إِلَّا كَفَمَلِكُمْ هَوَانَ السَّرَاةِ وَابْتِغَاءَ الْعَوَائِرِ  
وَعَدَاؤُكُمْ مِنْ عَنكُمْ مَا فَعَلْتُمْ وَذَكَرُ هَوَانَ مِنْكُمْ مَظَاهِرِ  
بِقَاؤُكُمْ مِنْ عَالِجِ الْحَرْبِ عَنْكُمْ وَأَعْدَاؤُكُمْ مِنْ بَيْنِ جَابٍ وَعَاشِرِ  
فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ هَوَايَ وَوَدِّكُمْ وَقَلَّ فِي فَوَادٍ قَدْ تَوَجَّهَ نَافِرِ

ولحارث يرني زياداً

لَهْفِي عَلَيْكَ لِلْهَفَةِ مِنْ خَائِفٍ يَبْنِي جَوَارِكِ حِينَ لَيْسَ سَجِيرُ  
أَمَّا اللَّبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسُ بِجَوَارِ قَبْرِكَ وَالذِّيَارُ فَبُورُ  
عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ مُصَابَهُ فَالنَّاسُ فِيهِ كَلِّهِمْ مَا جُورُ  
رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ

(١) - جز - قطع - والكر الكسر وهي رحي زور البعير

أو صدر كل ذي خف أو الجماعة من الناس كنى بذلك عن الحرب

(٢) - باسر - أي جاف لابن فيه . . . ومنه باسر الحاجة أي طلبها قبل أوانها

٠٠ [ قال المرتضى ] رضى الله عنه وأظن أبا تمام الطائى نظر الى قول حارثة بن بدر  
 \* ردت سنائعه اليه حياته \* فى قوله

ألم تمت يا شقيق النفس منذ زمنٍ فقال لي لم يمت من لم يمت كرمه

وأخبرنا على بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن يعنى ابن  
 أخي الأصمعي عن عمه قال مر حارثة بن بدر القداني ومعه كعب مولاة فجعله لا يمر  
 بمجلس من مجالس نعيم إلا قالوا مرحباً بسيدنا فقال كعب ما سمعت كلاماً قط هو  
 أقر ليعنى وألذ فى سمي مما سمعته اليوم فقال حارثة ولكنى ما سمعت كلاماً قط هو  
 أكره الى منه ثم قال

ذهب الرجال فسدت غير مسودٍ ومن الشقاء تفردي بالسودد

وهذا البيت يقال انه لحارثة لانه تمثل به ٠٠ وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني  
 عبد الله بن جعفر قال حدثنا محمد بن يزيد قال قال الكنانى مر حارثة بن بدر بالأحقف  
 ابن قيس فقال لولا انك مستعجل لاورتك قال له أجل كانوا يكرهون أن يشاور  
 الجائع حتى يشبع والظلمان حتى ينقع والمضال حتى يجد والغضبان حتى يرضى والحزبون  
 حتى يفيق



— مجلس آخر ٢٩ —

[ تأويل آية ] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى ( أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله  
 سريع الحساب ) فقال أى تمدح فى سرعة الحساب وليس بظاهر وجه المدحة فيه  
 ٠٠ الجواب قلنا فى ذلك وجوه ٠٠ أولها أن يكون المعنى انه سريع الحساب للعباد على  
 أعمالهم وان وقت الجزاء قريب وان تأخر ويمجرى مجرى قوله تعالى ( وما أمر الساعة  
 إلا كلح البصر أو هو أقرب ) وانما جاز أن يعبر عن الجزاء أو الجزاء بالحساب لأن

ما يجازى به العبد هو كفو لفظه وبمقداره فهو حساب له إذا كان مماثلاً مكافئاً ٥٥ وما يشهد بان في الحساب معنى المكافأة قوله تعالى (جزاء من ربك عطاء حساباً) أى عطاء كافياً ويقال أحسبني الطعام يحسبني إحساباً إذا كفاني ٥٥ قال الشاعر

واختر لا ترى في الناس حسناً يفوتها وفي الناس حسناً لو تأملت محسباً  
معناه كافى ٥٥ وإنما أن يكون المراد أنه عز وجل بحاسب الخلق جميعاً في أوقات يسيرة ويقال أن مقدار ذلك حلب شاة لأنه تعالى لا يشغله محاسبة بعضهم عن محاسبة غيره بل يكلمهم جميعاً ويحاسب كلهم على أعمالهم في وقت واحد وهذا أحد ما يدل على أنه تعالى ليس يحسم وأنه لا يحتاج في فعل الكلام الى آلة لأنه لو كان بهذه الصفات تعالى عنها لما جاز أن يخاطب اثنين في وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين ولكن خطاب بعض الناس يشغله عن خطاب غيره ولكانت مدة محاسبته للخلق على أعمالهم طويلة غير قصيرة كما أن جميع ذلك واجب في الحديثين الذين يفترون في الكلام الى الآلات ٥٥ ونائبها ما ذكره بعضهم من أن المراد بالآية أنه سريع العلم بكل محسوب وأنه لما كانت عادة بني الدنيا أن يستعملوا الحساب والاحصاء في أكثر أمورهم أعلمهم الله تعالى أنه يعلم ما يحسبون بغير حساب وإنما سمي العلم حساباً لأن الحساب إنما يراد به العلم وهذا جواب ضمني لأن العلم بالحساب أو المحسوب لا يسمى حساباً ولو سمي بذلك لما جاز أيضاً أن يقال أنه سريع العلم بكذا لأن علمه بالاشياء مما لا يتجدد فيوصف بالسرعة ٥٥ ورابعها أن الله تعالى سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك أنه يسأل في وقت واحد سؤالات مختلفة من أمور الدنيا والآخرة فيجزي كل عبد بمقدار استحقاقه ومصالحته فيوصل اليه عند دعائه ومصلحته ما يستوجبه بمقدار فلو كان الأمر على ما يتعارفه الناس اطال العدد وانصل الحساب فأعلمنا تعالى أنه سريع الحساب أى سريع القبول للدعاء بغير احساس وبمحت عن المقدار الذي يستحقه الداعي كما يبحث المخلوقون للحساب والاحصاء وهذا جواب بنى أيضاً على دعوى أن قبول الدعاء لا يسمى حساباً في لغة ولا حرف ولا شرع وقد كان يجب على من أجاب بهذا الجواب أن يستشهد على

ذلك بما يكون حجة فيه وإلا فلا طائل لها ذكره .. ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالحساب محاسبة الخلق على أعمالهم يوم القيامة وموافقتهم عليها وتكون الفائدة في الاخبار بسرعه الاخبار عن قرب الساعة كما قال تعالى (سريع العقاب) وليس لأحد أن يقول فهذا هو الجواب الأول الذي حكيتموه وذلك ان بينهما فرقاً لأن الأول مبنى على أن الحساب في الآية هو الجزاء والمكافأة على الأعمال وفي هذا الجواب لم يخرج الحساب عن بابه وعن معنى المحاسبة المعروفة والمقابلة بالأعمال وترجيحها وذلك غير الجزاء الذي يفرض الحساب اليه .. وقد طعن بعضهم في الجواب الثاني معترضاً على أبي عليّ الجبائي في اعتياده إثباته بان قال مخرج الكلام في الآية على وجه الوعيد وليس في حقة الحساب وسرعة زمانه ما يقتضى زجراً ولا هو مما يتوعد بمثله فيجب أن يكون المراد الاخبار عن قرب أمر الآخرة والمجازاة على الأعمال .. وهذا الجواب ليس أبو عليّ المنتهدي به بل قد حكى عن الحسن البصري واعتمده أيضاً قطرب ابن المستنير النعوي وذكره المنفصل بن سلعة وليس الطعن الذي حكيتاه عن هذا الطاعن يبطل له لأنه اعتمد على ان مخرج الآية مخرج الوعيد وليس كذلك لانه قال تعالى ( فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ) فالأشبه بالظاهر أن يكون الكلام وعداً بالثواب وراجعاً الى الذين يقولون ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أو يكون راجعاً الى الجميع فيكون المعنى ان للجميع نصيباً مما كسبوا فلا يكون وعيداً خالصاً بل إما أن يكون وعداً خالصاً أو وعداً ووعيداً على أنه لو كان وعيداً خالصاً على ما ذكر الطاعن لكان لقوله تعالى ( والله سريع الحساب ) على تأويل من أراد قصر الزمان وسرعة الموافقة وجه وتعلق بالوعد والوعيد لأن الكلام على كل حال متضمن لوقوع المحاسبة على أعمال العباد والاحاطة بخيرها وشرها وان وصف الحساب مع ذلك بالسرعة وفي هذا ترغيب وترهيب لاحتمال لأن من علم بانه يحاسب بأعماله ويوقف على جبلتها وقيسها انزجر عن التبيح وعمل ورجب في أهل الواجب

فهذا ينصر الجواب وان كنا لا ندفع ان في حمل الحساب على قرب المجازاة وقرب  
الحاسبة على الأعمال ترغيباً في العاتات وزجراً عن المتبغات فالتأويل الأول أشبه  
بالظاهر ونسق الآية إلا أن التأويل الآخر غير مدفوع أيضاً ولا مردود

————— ❦ —————

❦ مجلس آخر ٣٠ ❦

[ تأويل آية ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى ( والله يرزق من يشاء بغير حساب )  
فقال أى تمدح في الاعطاء بغير حساب وقد يكون المعطي بحساب أجزل عطية من  
المعطي بغير حساب ٠٠ الجواب قلنا في هذه الآية وجوه ٠٠ أولها أن تكون القاعدة  
انه تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير من المرزوق ولا احتساب منه فالحساب هنا راجع  
الى المرزوق لا إليه تعالى كما يقول الفائل ما كان كذا وكذا في حسابي أى لم أؤمله ولم  
أقدر انه يكون وهذا وصف للرزق بأحسن الأوصاف لان الرزق اذا لم يكن محتسباً  
كان أهناً له وأحلا ٠٠ وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه في تفسير هذه الآية  
انه قال عني بها أموال بني قريظة والتضير فانها تصير اليكم بغير حساب ولا فقال على  
أسهل الأمور وأقربها وأبسرها ٠٠ وثانيها انه تعالى يرزق من يشاء رزقاً غير مضيق  
ولا مقتربل يزيد في السعة والكثرة على كل عطاء للمخلوقين فيكون نفي الحساب فيه  
نفياً للتضييق ومباغفة في وصفه بالسعة والعرب تسمى العطاء الغابيل محسوباً ٠٠ قال  
قيس بن الخطيم

أنى سريت وكنت غير سروب      وتقرّب بالأحلام غير قريب  
ما تشتهي يقضى فقد تؤتينه      في النوم غير مصرد محسوب

٠٠ وثالثها أن يكون المعنى انه يرزق من يشاء من غير حساب أى من غير طلب للمكافأة  
أو اراغة فائدة تعود اليه أو منفعة ترجع عليه لان من شأن أهل الدنيا أن يعطوا  
ليكافئوا ولينفعوا ولهذا يقال ليمن بقصد بالمعطية الى هذه الأمور فلان يحاسب الناس

فيها يعطيهم ويناقشهم فيما يوصله اليهم وما أشبه ذلك فلما أنتت هذه الأمور من عطايها سبحانه جاز أن يقول أنه يرزق من يشاء بغير حساب ٥٥ ورابعها ما أجاب به قطرب قال معنى الآية يعطى المدد الكثير لا ما يضبطه الحساب أو يأتي عليه العدد لأن مقدوره تعالى لا ينهائي وخزائنه لا تنحصر ولا يصح عليه النفاذ وليس كالمعطي منا الألف من الألفين والعشرة من المائة لان مقدار ما يتسع له ويمكن منه محدوداً متناهٍ ولا تنهائي ولا انقطاع لما يقدر سبحانه عليه ٥٥ وخامسها أن يعطى عباده في الجنة من النعيم واللذات أكثر مما استحقوا وأزيد مما وجب لهم لحسابته إليهم على طاعتهم كما قال تعالى ( من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ) وكما قال عز وجل ( إن ترضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم ) وكما قال تعالى ( ليؤتيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ) ٥٥ وسادسها أن يكون المعطي منا غيره شيئاً والرازق سواء رزقاً قد يكون له ذلك فيكون فعله حسناً لا يسأل عنه ولا يواخذ به ولا يحاسب عليه وربما لم يكن له ذلك فيكون فعله قبيحاً يواخذ به ويحاسب عليه فنفى الله تعالى عن نفسه أن يفعل من الرزق القبيح وما ليس له أن يفعله بنفى الحساب عنه وأنبأ أنه لا يرزق ولا يعطى إلا على أفضل الوجوه وأحسنها وأبعدها من الذم ونجسرى الآية مجرى قوله تعالى ( لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ) وإنما أراد أنه تعالى من حيث وقعت أفعاله كلها حسنة غير قبيحة لم يجز أن يسأل عنها وإن سئل العباد عن أفعالهم لأنهم يفعلون الحسن والتبجح معاً ٥٥ وسابعها أن الله تعالى إذا رزق العبد واعطاه من فضله كان الحساب عن العبد ساقطاً من جهة الناس فليس لأحد أن يقول له لم رزقت ولا يقول له لم رزقت ولا يسأله ربه عن الرزق وإنما يسأله عن أخاقه في الوجوه التي ينفقه فيها فسقط الحساب من هذه الوجوه عما يرزقه الله تعالى ولذلك قال تعالى ( بغير حساب ) ٥٥ وثامنها أن يكون المراد بمن يشاء أن يرزقه من أهل الجنة لأنه يرزقهم رزقاً لا يصح أن يتناول جميعه الحساب ولا العدد والاحصاء من حيث لانهاية له ولا انقطاع لاستحقاق منه وبطابق هذه الآية قوله تعالى في موضع آخر ( فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب )

[ تأويل خبر ] .. ان سأل سائل عن الخبر الذي يروي عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال توشوا ما غيرت النار .. فقال ما المراد بالوضوء ههنا ومذهبكم ان مس ما غيرته النار لا يوجب الوضوء .. الجواب ان معنى توشوا أى نظفوا أيديكم من الزهومة لانه روى ان جماعة من الأعراب كانوا لا يسلون أيديهم من الزهومة ويقولون فقدوا أشد علينا من ريحها فأمر عليه الصلاة والسلام بتطهير الأيدي .. فان قيل كيف يصح أن نحملوا الخبر على اللفظ اللغوي مع انتقاله بالعرف الشرعي الى الأفعال المختصة بدلالة ان من غسل يده أو وجهه لا يقول بالاطلاق توشأت ومتى سلم لكم أن الوضوء أصله من النظافة لم ينفعكم مع الانتقال الذي ذكرناه وكلامه عليه الصلاة والسلام خص بالعرف الشرعي وحمله عليه أولى من حمله على اللغة .. قلنا ليس ننكر أن يكون اطلاق الوضوء هو المنتقل من اللغة الى عرف الشرع والمختص بالأفعال المعينة وكذلك المضاف منه الى الحدث أو الصلاة وما أشبههما .. فأما المضاف الى الطعام وما جرى مجراه فباقى على أصله ألا ترى انهم لو قالوا توشأت من الطعام ومن الغمزة أو توشأت للطعام لا يفهم منه إلا الفسل والتنظيف واذا قالوا توشأت اطلاقاً أو توشأت من الحدث أو للصلاة فهم منه الأفعال الشرعية فليس ينكر ما ذكرناه من اختصاص النقل لانه كما يجوز انتقال اللفظة من فائدة في اللغة الى فائدة في الشرع على كل وجه كذلك يجوز أن ينتقل على وجه دون وجه ويبقى من الوجه الذي لم ينتقل منه على ما كان عليه في اللغة وقد ذهب كثير من الناس الى أن اطلاق لفظة مؤمن منتقل من اللغة الى عرف الدين ومختص باستحقاق الثواب وان كان مقيداً باقياً على ما كان عليه في اللغة .. ويبين ذلك أيضاً ما روى عن الحسن انه قال الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبمده ينفي اللمم واتما أراد غسل اليدين بغير شك .. وروى عن قتادة أنه قال غسل اليد وضوء .. وروى عكرش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل وغسل يده ومسح ببلى يده ووجهه وذراعيه ورأسه وقال هكذا الوضوء مما مست النار على أنه لو كانت هذه اللفظة منتقلة على كل حال الى الأفعال الشرعية المختصة لصح أن نحملها في الخبر على خلاف ذلك ونردها الى أصلها بالأدلة وان كان الأولى لولا الأدلة أن نحمل على

مقتضى الشرع فن الأدلة على ما ذكرناه مارواه ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم  
 أكل كنف شاة وقام فصلى ولم يتوضأ . . . وروى عطاء عن أم سلمة قالت قربت جنباً  
 مشوباً الى النبي صلى الله عليه وسلم فأكل منه وصلى ولم يتوضأ . . . وروى محمد بن  
 المنكدر عن جابر أنه قال كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك  
 الوضوء مما مست النار وكل هذه الأخبار توجب العدول عن ظاهر الخبر الأول<sup>(١)</sup> لو كان  
 له ظاهر فكيف وقد بينا انه لا ظاهر له . . . فأما اشتقاق الوضوء فهو من الوضأة التي  
 هي الحسن فلما كان من غسل يده ونظفها قد حسنها قيل وضأها ويقال فلان وضىء  
 الوجه وقومٌ وضاء . . . قال الشاعر

مَسَامِيحُ الْفَعَالِ ذَوُو أَنَاةٍ مَرَّاجِيحٌ وَأَوْجُهُمْ وَضَاءٌ<sup>(٢)</sup>

والوضوء بضم الواو المصدر وكذلك أيضاً التوضأ . . . والوضوء بفتح الواو اسم ما يتوضأ  
 به وكذلك الوقود اسم لما توقد به النار والوقود بالضم المصدر ومثله التوقد وقد يجوز  
 أن يكون الوقود بفتح الواو المصدر وكذلك الوضوء بفتح الواو كما قالوا حسن القبول  
 فجعلوا القبول مصدراً وهو مفتوح الأول ولا يجوز في الوقود والوضوء بالضم إلا معنى

(١) قلت - الخبر الأخير وهو مارواه جابر أنه كان آخر الأمرين من رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار يدل دلالة صريحة على أن المراد بالوضوء  
 في الحديث السابق وهو توضؤاً مما غيرت النار الوضوء الشرعي الذي هو عبارة عن  
 غسل الاعضاء المألومة وان الوضوء مما مست النار كان مشروعاً ثم نسخ وكل ما ذكر  
 من كونه صلى الله عليه وسلم أكل مما نالته النار ولم يتوضأ محمول على ما بعد المنسخ وهذا  
 هو الصحيح ولا حاجة لتحمل السيد رحمه الله ولا يناقض هذا مذهب أحد ممن يقول  
 بعدم مشروعية الوضوء مما مست النار

(٢) - الفعالم - بكسر الفاء جمع فعل خبراً كان او شراً فان فتحوا الفاء أرادوا  
 ما هو من أفعال الخبر فقط - والأناة - السكينة والتؤدة - ومرارجيح - تعال يريد  
 أنهم لا يطيشون في كل ما ينزل بهم

المصدر وحده ٠٠ قال جرير

أَهْوَى أَرَاكَ بِرَامَتَيْنِ وَفُودًا  
أُمُّ بِالْحَبِينَةِ مِنْ مَدَائِفِ أَوْدًا<sup>(١)</sup>

٠٠ وقال آخر

أَذَا سَبِيلُ لَاحٍ كَالْوُفُودِ  
فَرَذَا كَشَاةِ الْبَقَرِ الْمَطْرُودِ

٠٠ وقال آخر

وَأَجَجْنَا بِكُلِّ بَفَاعٍ أَرْضِي  
وَفُودَ النَّارِ لِلْمَتَنُورِينَا

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثني إبراهيم بن محمد عن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن شهاب قال أتيت عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود يوماً في منزله فإذا هو مفبظ ينفتح فقلت له مالي أراك هكذا قال دخلت على طاملكم هذا يعني عمر بن عبد العزيز ومعه عبد الله بن عمرو ابن عثمان فسلمت فلم يردها علي السلام فقلت

أَلَا قَابِلُنَا عَنِّي عَرَكَ بَنَ مَالِكِ  
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْعَلْ فَأَبْلُغْ أَبَا بَكْرٍ  
فَقَدْ جَعَلْتَ تَبْدُوشُوا كُلُّ مِينِكُمْ  
فَأَنْكُمَا فِي مَوْقَرَانِ مِنَ الصَّخْرِ  
وَطَاوَعْتُمَا بِي غَادِرًا ذَا مَعَاكَةَ  
لَعَمْرِي لَقَدْ أَوْزَى وَمَا مِثْلُهُ يُورِي

يقال - معك - به وسدل به اذا تعرض به لشئ

فَلَوْلَا أَتَقَا اللَّهَ أَتَقَانِي فَيْكُمَا  
لِلْمُتَكُمَا لَوْ مَا أَحْرَمَ مِنَ الْجَمْرِ  
فَمِسَّ تَرَابَ الْأَرْضِ مِنْهَا خَلِقْتُمَا  
وَفِيهَا الْأَمَادُ وَالْمَقَامُ إِلَى الْحَشْرِ  
وَلَا تَانَقَا أَنْ تَمْشِيَا فَتَكَلَّمَا  
فَأَحْشَى الْأَلْوَامُ شَرًّا مِنَ الْكَبْرِ

(١) - الجبينة - تصغير جنة وهي البستان روضة نجدية - وأود - بضم فسكون

أحد منازل تميم نجدية - ومدافع - جمع مدفع وهو مسيل الماء إلى الوادي

لَوْ شِئْتُ أَذْلَى فَيَكْمَا غَيْرُ وَاحِدٍ  
 هَلاَئِيَّةٌ أَوْ قَالَ مِندِي فِي السِّرِّ<sup>(١)</sup>  
 مَناه لو شئت اغتابكما عندي غير واحد  
 فَإِنِ أَنَا لَمْ أَمْزُ وَلَمْ أَنَّهُ فَهَنَكُمَا  
 ضَحِكْتُ لَهُ حَتَّى يَبْلُغَ وَيَسْتَشْرِي<sup>(٢)</sup>  
 عَلِي مَاتِي وَهُوَ ابْنُ عَشْرِينَ أَوْ عَشْرًا  
 وَكَيْفَ تُرِيدَانِ ابْنَ سَبْعِينَ حِجَّةً  
 لَقَدْ عَلَّقْتُ دَلْوًا كَمَا دَلَوْا حَوْلَ<sup>(٣)</sup>  
 مِنِ الْقَوْمِ لَأَرِخُوا الْمِرَاسَ وَلَا تُزِرُ

قال ابن شهاب فقلت له مثلك يرحمك الله مع نسكك وفضلك وفهمك يقول الشعر فقال ان المصدور اذا نعت برى وانما ذكر عراك بن مالك و ابا بكر بن عمرو بن جرم وكانا صديقيه كناية بذكرهما عن ذكر غيرهما . . . وقد جاءت رواية اخرى ان ابا بكر بن عمرو بن جرم وعراك بن مالك كانا يجتازان على عبيد الله فلا يسلمان عليه فقال الابيات بخاطبها بها . . . وروى محمد بن سلام لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة

إِذَا كَانَ لِي سِرٌّ فَحَدَّثْتُهُ الْمَدِيَّ  
 وَضَاقَ بِهِ صَدْرِي فَلِنَّاسٍ أُعْذِرُ  
 هُوَ السِّرُّ مَا اسْتَوْدَعْتَهُ وَكَتَمْتَهُ  
 وَليْسَ بِسِرٍّ حِينَ يَفْشُو وَيَظْهَرُ  
 . . . وَأَلْسَدُ مَعْصَبِ الزُّبَيْرِيِّ لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَثْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ  
 أَوْ أَخِي رَجَالًا لَسْتُ مُطَّلِعٌ بَعْضُهُمْ  
 عَلَي سِرٍّ بَعْضُ إِنْ صَدْرِي وَاسِعُهُ  
 إِذَا هِيَ حَلَّتْ وَسَطُ عَوْدِ بْنِ غَالِبٍ  
 فَذَلِكَ وَدٌّ نَازِحٌ لَا أَطَالُهُ

- (١) - أدلى - يقال أدلى فلان في فلان اذا قال فيه قولاً قبيحاً . . . يقول لو شئت لساقلت عايكما الناس فسبوكما سراً وعلانية ولكني امسك عنكما اتقاء لله فيكما  
 (٢) - يستشري - بمعنى يبلج أى يتوغل في الأمر ويفرق فيه . . . ومنه قيل للخوارج الشراة لتوغلهم في المروق من الطاعة ومخالفة الجماعة  
 (٣) - حول - شديد الاحتيال ومثله حول كصرد وحوله كهزمة وحوالى بفتح الحاء وضمها . . . يقول انكما وقعتما مع من لا تطيقان دفعه عن أنفسكما

تَلَاحَتْ حَيَازِيمِي عَلَى قَلْبِ حَازِمٍ  
 بَنِي لِي عَبْدُ اللَّهِ فِي سُورَةِ الْعَلِيِّ  
 وَالْبَيْتِ الْأَوَّلِ يَشْبَهُ قَوْلَ مَسْكِينِ الدَّارِمِيِّ  
 وَفَتِيَانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطَّلَعٌ بَعْضُهُمْ  
 كَتَمْتُ لِمَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ أَضَالَهُ  
 وَعَتَبَةُ مَجْدًا لَا تَنَالُ مَصَابِعَهُ  
 عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرِ أُنَى جِمَاهُهَا

ومما يستحسن لعبد الله بن عبد الله بن عتبة قوله

تَنَفَّلَ حُبٌّ عَتَمَةً فِي فُوَادِي  
 تَنَفَّلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ  
 شَقَمَتِ الْقَلْبُ ثُمَّ ذَرَزَتْ فِيهِ  
 أَكَادُ إِذَا ذَكَرَتْ الْعَهْدَ مِنْهَا  
 غَنَى النَّفْسِ أَنْ أَزْدَادَ حَبًّا  
 فَبَادِيهِ مَعَ الْخَافِي يَسِيرُ  
 وَلَا حَزْنَ وَلَمْ يَبْلُغْ سُورُ  
 هَوَاكَ فَلَيْمَ فَالْتَأَمَ الْفَطُورُ  
 أَطِيرُ لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا يَطِيرُ  
 وَلَكِنِّي إِلَى وَصَلِي فَقِيرُ

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال

أَحَلَّتْ فِي قَلْبِي هَوَاكَ مَحَلَّةً  
 وَأَخَذَهُ الْمَتَاهِي فِي قَوْلِهِ

وَاللَّسِرِ مِنِّي مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ  
 وَكَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ أَلَمَ بِهِ فِي قَوْلِهِ  
 لَوْ شَقَّ قَلْبِي لَرَأَى وَسَطَهُ  
 نَدِيمٌ وَلَا يُفْضَى إِلَيْهِ شَرَابٌ  
 اسْمُكَ وَالتَّوْحِيدَ فِي سَطْرِ

٥٥ وقال صاحب اسماعيل بن عباد

لَوْ شَقَّ قَلْبِي لَرَأَى وَسَطَهُ  
 الْعَدْلُ وَالتَّوْحِيدُ فِي جَانِبِ  
 سَطْرَيْنِ قَدْ خُطُّوا بِلَا كَاتِبِ  
 وَحُبُّ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي جَانِبِ

وقول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أحسن من الجميع وبعده بيت المتأني ٥٥ ولعبيد

الله بن عبد الله بن عتبة

لِمَا نَلَّاقِيهَا مِنَ الدَّهْرِ أَكْثَرُ  
وَيَنْسُونَ مَا كَانَتْ عَلَى الدَّهْرِ تَهْجُرُ  
فَإِنَّا بِتَجْدِيدِ المَوَدَّةِ أَجْدَرُ

لَعَمْرُؤِ أَبِي المَحْصِينِ أَيَّامَ نَلْتَقِي  
يَعُدُّونَ يَوْمًا وَاحِدًا إِنْ أَتَيْتَهَا  
فَإِنْ يَكُنِ الرَّاشُونَ أَغْرَوًا يَهْجُرُهَا

ومن مستحسن قوله من غزله

لَقَدْ كُنْتُ مِنْ وَشَكِ الفِرَاقِ أُلَيْحُ<sup>(١)</sup>  
وَيَحْسِبُ أَنِي فِي الثِّيَابِ صَحِيحُ  
وَلَيْسَ يَدْرِي مَا لَهُ هِنْدَلُكُ

لَعَمْرِي لَنْ شَطَّتْ بِعِثْمَةِ دَارُهَا  
أَرْوَحُ بِهِمْ ثُمَّ أَعْدُو بِئِثْمِهِ  
أَخَذَ هَذَا المَعْنَى بِشَارٍ فَفَصَّرَ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ  
وَيُصْبِحُ مَحْزُونًا وَيُنْسِي بِهِ

### ﴿ مجلس آخر ٣١ ﴾

[ثأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن شعيب عليه الصلاة والسلام  
( قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن  
نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا ) ٠٠ فقال<sup>(٢)</sup> أليس هذا صريحاً منه بأن الله تعالى يجوز أن

- (١) - شطت - بعدت - ووشك - قرب - وألح - أخاف - وأجدر ٠٠ يقول  
ان ارتحلت عنا وفارقتنا فقد كنت أنتظر ذلك وأتوقعه وأتخوف منه قبل أن يقع  
(٢) - قلت - أصل الاشكال في الآية ينبت على مذهب المعتزلة ان الله جل شأنه  
لا يريد الا الحسن وان غير الحسن لا يشاؤه ولا يريد مذهب أهل السنة ان كل ما يقع  
في السكون من خير او شر فهو مراد الله تعالى وعلى هذا المذهب فلا اشكال في الآية بله  
هي شاهدة له

يفعل الكفر والقبیح لأن ملة قومه كانت كفراً وضلالاً وقد أخبر انه لا يعود فيها إلا أن يشاء الله . . الجواب قيل له في هذه الآية وجوه . . أولها أن يكون الملة التي عنها الله إنما هي العبادات الشرعية التي كان قوم شعيب متمسكين بها وهي منسوخة عنهم ولم يمن بها ما يرجع الى الاعتقادات في الله وصفاته مما لا يجوز أن تختلف العبادات فيه والشرعيات يجوز فيها اختلاف العبادة من حيث تبعت المصالح والألطف والمعلوم من أحوال المكلفين فكأنه قال ان ملتكم لا تعود فيها مع علمنا بان الله قد نسخها وأزال حكمها إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بمنها فتعود اليها وتلك الأفعال التي كانوا متمسكين بها مع نسخها عنهم ونهيم عنها وان كانت ضلالاً وكفراً فقد كان يجوز فيها هو مثلها أن يكون إيماناً ومهدى بل فيها أنفسهم قد كان يجوز ذلك وليس تجري هذه الأفعال مجرى الجهل بالله تعالى الذي لا يجوز أن يكون إلا قبيحاً . . وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال كيف يجوز أن يتعبدهم الله تعالى بتلك الملة مع قوله ( قد افترينا على الله كذباً إن عمدنا في ماتكم بعد إذ نجانا الله منها ) . . فيقال له لم ينسف عودهم اليها على كل حال وإنما نفي العود اليها مع كونها منسوخة منهاً عنها والذي علقه بمشبهة الله تعالى من العود اليها هو بشرط أن يأمر بها ويتعبد بمنها والجواب مستقيم لا خال فيه . . وثانها انه أراد ان ذلك لا يكون أبداً من حيث علقه بمشبهة الله تعالى لما كان معلوم انه لا يشاؤه وكل أمر عاقب بما لا يكون فقد نفي كونه على أبعد الوجوه وتجرى الآية مجرى قوله تعالى ( لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ) وكما يقول القائل أنا لا أقبل كذا حتى يبيض القار أو يشيب الغراب . . وكما قال الشاعر

وحتى يوثب القارضان كلالهما وينشر في القتلى كليب لوائل<sup>(١)</sup>

(١) - القارضان - يذكر بن عزة وعامر بن رهم وكلاهما من عذرة خرجا في طلب القرمط وهو نم السنت فلم يرجعا فضربت العرب بفيتنهما المثل ويقال انهما مرا بواد هبقي فيه غسل فقال أحدهما لصاحبه لو نزلت فأبتنا منه بشئ فربط نفسه بحبل وتدلى حتى بلغ أسفل الرادي فلما أخذ من العسل حاجته قال لصاحبه ارفعي فقال له لا ارفعك

والقارظان لا يؤوبان أبداً وكليب لا ينشر أبداً فكأنه قال ان هذا لا يكون أبداً . . . وثالثها ما ذكره قطرب بن المسكير من أن في الكلام تقديماً وتأخيراً وإن الاستثناء من الكفار وقع لامن شعيب فكأنه تعالى قال حاكياً عن الكفار ( لتخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا إلا أن يشاء الله أن نعودوا في ماتنا ) ثم قال حاكياً عن شعيب عليه الصلاة والسلام وما يكون لنا أن نعود فيها على كل حال . . . ورابعها أن تكون الهاء التي في قوله فيها الى القرية لا الى الملة لأن ذكر القرية قد تقدم كما تقدم ذكر الملة ويكون تأخير الكلام إنا نستخرج من قريبتكم ولا نعود فيها إلا أن يشاء الله بما يجزم لنا من الوعد في الاظهار عليكم والظفر بكم فنعود اليها . . . وخامسها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يردكم الى الحق فنكون جميعاً على ملة واحدة غير مختلفة لانه لما قال تعالى حاكياً عنهم أو لنعودن في ملتنا كان معناه أو لنكونن على ملة واحدة غير مختلفة فحسن أن يكون من بعد إلا أن يشاء الله أن يجمعكم معناه على ملة واحدة . . . فان قيل الاستثناء بالشيئة انما كان بعد قوله ( وما يكون لنا أن نعود فيها ) فكأنه قال ليس نعود فيها إلا أن يشاء الله فكيف يصح هذا الجواب . . . قلنا هو كذلك إلا أنه لما كان معنى أن نعود فيها هو أن نصير ملتنا واحدة غير مختلفة جاز أن يوقع الاستثناء على المعنى فيقول إلا أن يشاء الله أن ننشق في الملة بان ترجعوا أنتم الى الحق . . . فان قيل فكان الله تعالى ما شاء أن ترجع الكفار الى الحق . . . قلنا بلى قد شاء ذلك إلا أنه ما شاء على كل حال بل من وجه دون وجه وهو أن يؤمنوا ويصيروا الى الحق مختارين ليستحقوا الثواب الذي أجرى بالتكليف اليه ولو شاء على كل حال لما جاز أن لا يقع منهم فكان شعيباً عليه الصلاة والسلام قال ان ملتنا لا نكون واحدة أبداً إلا أن يشاء الله أن يلجئكم الى الاجتماع معناه على ديننا وموافقنا في ملتنا والفائدة في ذلك واضحة لانه لو أطلق

أو تزوجني أخنك وكان له أخت يهواها فقل له ليس هذا وقته فتركه ومضى ثم هناك في منصرفه الى أهله ولم يوقف لهما على خبر - وكليب - هو الذي قتله جساس لهاجت بمقتله الحرب التي تسمى حرب البسوس

أنا لا نتفق أبداً ولا نصير مثلنا واحدة لنوهم متوهم ان ذلك مما لا يمكن على حال من الأحوال فأفاد بتعليقه له بالشيئة هذا الوجه ويجري قوله تعالى (إلا أن يشاء الله) مجرى قوله تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً) .. وسادسها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يكفركم من إكراهنا وبخلى بينكم وبينه فعود الى إظهارها مكرهين ويقوى هذا الوجه قوله تعالى (أولو كفاً كافرين) .. وسابعها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا باظهار ملتكم مع الاكراه لان اظهار كلمة الكفر قد تحسن في بعض الأحوال اذا تعبد الله تعالى باظهارها وقوله (أولو كفاً كافرين) يقوي هذا الوجه أيضاً .. فان قيل فكيف يجوز من نجى من أنبياء الله أن يتعبد باظهار الكفر وخلاف ما جاء به من الشرع .. قلنا يجوز أن يكون لم يرد بالاستثناء نفسه بل قومه فكأنه قال وما يكون لي ولا لأمتي أن نعود فيها إلا أن يشاء الله أن يتعبد أمتي باظهار ملتكم على سبيل الاكراه وهو جائز غير ممتنع

[ تأويل خبر ] .. روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الصدقة ما أبت غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول .. الجواب قد قيل في قوله خير الصدقة ما أبت غنى قولان .. أحدهما ان خير ما تصدقت به ما فضل عن قوت عيالك وكفالتهم فاذا خرجت صدقتك عنك الى من أعطيت خرجت عن استغناء منك ومن عيالك عنها ومثله في الحديث الآخر انما الصدقة عن ظهر غنى .. وقال ابن عباس في قوله تعالى (وبسئلتونك ماذا ينفقون قل العفو) قال ما فضل عن أهلك .. والجواب الآخر أن يكون أراد خير الصدقة ما أنعتت به من أعطيت عن المسئلة أي تجزى له في العطية فيستغنى بها ويكف عن المسئلة وذلك مثل أن يريد الرجل أن يتصدق بمائة درهم فيدفعها الى رجل واحد محتاج فيستغنى بها ويكف عن المسئلة فذاك أفضل من أن يدفعها الى مائة رجل لا تبين عليهم .. والتأويل الأول يشهد له آخر الخبر وهو قوله وابدأ بمن تعول ويشهد له الحديث الآخر أيضاً انما الصدقة عن ظهر غنى .. وقوله اليد العليا خير من اليد السفلى .. قال قوم يريدان اليد المعطية خير من الآخذة وقال آخرون ان العليا هي الآخذة والسفلى هي المعطية .. قال ابن قتيبة ولا أرى

هؤلاء إلاّ قوماً استطابوا السؤال فهم محتجون للدأمة ولو كان هذا يجوز لقليل ان المولى من فوق هو الذى أعتق والمولى من أسفل هو الذى أعتق والناس انما يملون بالعطايا بالسؤال •• [قال المرتضى] رضى الله عنه وعندي<sup>(١)</sup> ان معنى قوله عليه الصلاة والسلام اليد العليا خير من اليد السفلى غير ما ذكر من الوجهين جميعاً وهو أن تكون اليد هنا هي العطيّة والنعمّة لان النعمّة قد تسمى يدأ في مذهب أهل اللسان بغير شك فكأنه صلى الله عليه وسلم أراد ان العطيّة الجزيلة خير من العطيّة القليلة وهذا حث منه صلى الله عليه وسلم على المكارم ونحضيض على اسطناع المعروف بأوجز الكلام وأحسنه مخرجاً •• ويشهد لهذا التأويل أحد التاويلين المتقدمين في قوله ما أبقت غنى وهذا أشبه وأولى من أن تحمل على الجارحة لان من ذهب الى ذلك وجعل المعطيّة خيراً من الآخذة لا يستمر قوله لان قيمته يأخذ من هو خير عند الله تعالى ممن يعطي ولغظة خبير لا تحمل إلاّ على الفضل في الدين واستحقاق الثواب •• وأما من جعل الآخذة خيراً من المعطيّة فيدخل عليه هذا الطعن أيضاً مع انه قد قال قولاً شامعاً وعكس الأمر على مقال ابن قتيبة •• فان قيل كيف يصح تأويلكم مع قوله عليه الصلاة والسلام خير الصدقة ما أبقت غنى وهي لا تبقى غنى إلاّ بعد أن تنقص من غيرها واذا كانت المعطيّة التي هي أجزل أفضل فتلك لا تبقى غنى والتي تبقى غنى ليست

(١) - قوله وعندي أن معنى قوله عليه الصلاة والسلام الخ هذا التأويل بعيد جداً فان قوله في الحديث العليا خير من السفلى لا يدل على أن المراد باليد النعمّة ولو كان المراد هذا الوصفها بكونها حقيرة وجليّة أو كبيرة وصغيرة والظاهر أن المراد باليد الجارحة وأما قوله بعد في دفع هذا ان هذا لا يستمر لان فيمن يأخذ من هو خير عند الله ممن يعطي فيبعد تسامحنا لا يسلم على عمومته وليس المراد في الحديث بكون اليد العليا خيراً من السفلى انها كذلك من جميع الوجوه حتى يلزم ما قال وانما المراد أفضايتها من حيث كونها معطيّة ومفضولة الآخذة من حيث كونها آخذة فلا ينافي هذا أن تكون الآخذة خيراً من المعطيّة من وجه آخر

الجزيلة وهذا تناقض . قلنا أماتأويلنا فطابق للوجهين المذكورين في قوله ما أبتت غني لان من تأول ذلك على أن المراد بها المعطي وان خير العطية ما أغنته عن المسئلة فالطابقة ظاهرة ومن تأوله على الوجه الآخر وحمل ما أبتى الغنى على المعطي وأهله وأقاربه فتأويلنا أيضاً مطابق له لانه قد يكون في العطايا التي تبتى بعدها الغنى على الأهل والأقارب جزيل وغير جزيل فقال عليه الصلاة والسلام خير الصدقة ما أبتت غنى بعد إخراجها والعطية الجزيلة التي تبتى بعدها غنى خير من القليلة قدح عليه الصلاة والسلام بعد إبقاء الغنى جزيل العطية وحث على الكرم والفضل . . أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال أخبرنا أبو عبيد الله الحكيمى قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوى قال أنشدنا ابن الاعرابى لثابت قصة العنكبى

|                                     |  |
|-------------------------------------|--|
| يا هيندُ كيفَ بنصَّبِ باتِ يَبْكيني | وعائِري في سوادِ العينِ يُؤذيني <sup>(١)</sup> |
| كأنَّ ليليَ والأضدادُ هاجدةُ        | ليلُ السَّليمِ وأعني من يداويني                |
| لمأ حني الذَّهر من قوسى وعدرتي      | شيني وقاسيتُ أمرَ الغلظِ واللَّينِ             |
| إذا ذكرتُ أبا غسانَ أرقتي           | هم إذا عرَّسَ السَّارونَ يُشجيني               |
| كانَ المفضلُ عزاً في ذوى يمينِ      | وعِصمةٌ ومثالاً للسَّاكينِ                     |
| غيثاً لذى أزيمةَ غبراءَ شاتيةِ      | من السَّتينِ وما أوى كلَّ مسكينِ               |
| إني تدكَّرتُ قتلى لو شهدتهمُ        | في حومةِ الحربِ لم يصلوا بها أدوني             |
| لأخبر في العيشِ إذ لم يمينَ بعدهمُ  | حرباً تنى بهم قتلى فتشفيني                     |

(١) - النصب - الهم والتعب وانما سكنه لضرورة الشعر - والعائر كل ما أعلت

العين من رمد أو قذى

لَا خَيْرَ فِي طَمَعٍ يُدْنِي إِلَى طَمَعٍ  
وَأَنْظُرُ الْأَمْرَ يَعْنِينِي الْجَوَابُ بِهِ  
لَا أَزْكَبُ الْأَمْرَ تُرَرِي فِي عَوَاقِبُهُ  
لَا يَغْلِبُ الْجَهْلُ حَلِي بَعْدَ مَقْدَرَةٍ  
كَمْ مِنْ عَدُوٍّ رَمَانِي لَوْ قَصَدْتُ لَهُ  
وَعَفَّةٌ مِنْ قُوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي<sup>(١)</sup>  
وَلَسْتُ أَنْظُرُ فِيمَا لَيْسَ يَعْنِينِي  
وَلَا يُعَابُ بِهِ عَرْضِي وَلَا دِينِي  
وَلَا الْمَضِيهَةَ مِنْ ذِي الضَّغْنِ تُكْبِينِي  
لَمْ يَأْخُذْ النِّصْفَ مِنِّي حِينَ يَرَمِينِي

•• [قال المرتضى] أدام الله علوه وهذه الأبيات يروى بعضها لعروة بن أذينة وبداخل أبياتاً له على هذا الوزن وهي التي يقول فيها

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِشْرَافُ مِنْ خُلُقِي  
أَسْمَى إِلَيْهِ فَيَعْنِينِي تَطَلُّبُهُ  
كَمْ قَدْ أَفَدْتُ وَكَمْ أَتَلَفْتُ مِنْ نَسَبِ  
وَمِنْ مَعَارِيضِ رِزْقٍ غَيْرِ مَمْنُونِ  
إِنَّ الَّذِي هُوَ رِزْقٌ سَوْفَ يَأْتِينِي  
وَلَوْ قَعَدْتُ أَنَا نِي لَا يَعْنِينِي<sup>(٢)</sup>

(١) - الطبع - الذل وفي الحديث أعود بالله من طمع يفضي الى طبع - والعفة - بالضم بقية اللبن في الضرع بعدما امتص أكثره •• يقول ان القليل يفني عن الكثير فلا خير في طمع يفضي الى ذل

(٢) يقول ان الرزق مقسوم لن يفوت الانسان منه ما قسم له - ويحكى أن عروة هذا وفد على عبد الملك بن مروان مسترفدا فلما دخل عليه قال له من أنت فتسبح له فقال عبد الملك ألت القائل ( لقد علمت وما الاشراف من خاقي ) الابيات فأطرق ملياً ثم خرج من فورهِ ذلك فركب ناقته وخرج الى الحجاز ثم ان عبد الملك سال عنه فقيل انه سافر فندم على ما كان منه وقال انه شاعر ولستنا نأمن أن ينالنا من لسانه شيء فأرسل اليه بصلة جزيلة فوافاه الرسول بها حين وافى منزله بالمدينة فقال للرسول قلب لا يبر المؤمنين كيف رأيت صدقه في قوله

فَمَا أُشْرْتُ عَلَىٰ يُسْرٍ وَمَا ضَرَعْتُ  
 نَفْسِي لِخَلَّةٍ عُسْرٍ جَاءَ يَلُونِي <sup>(١)</sup>  
 خِيَمِي كَرِيمٍ وَنَفْسِي لَا تُحَدِّثُنِي  
 أَنَّ الْإِلَٰهَ بِلَا رِزْقٍ يُخَالِي  
 وَمَا أُشْرَيْتُ بِمَالِي قَطُّ مَكْرُمَةً  
 إِلَّا تَيَقَّنْتُ أَنِّي غَيْرُ مَغْبُونٍ  
 وَلَا دُعَيْتُ إِلَىٰ عِبَادَةٍ وَحَمْدَةٍ  
 إِلَّا أَجَبْتُ إِلَيْهِ مَنْ يُنَادِينِي  
 لَا أَبْتَنِي وَصَلَ مَنْ بَيْنِي مُفَارَقَتِي  
 وَإِنِّي سَيِّمِرْفِي مَنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ  
 وَلَوْ كَرِهْتُ وَأَبْدُو حِينَ يُخْفِينِي  
 فَغَطَّنِي جَاهِدًا وَأَجْهَدًا عَلَيَّ إِذَا  
 لَأَقَيْتُ قَوْمًا كَفَأَنْظَرُ هَلْ تُغَطِّنِي <sup>(٢)</sup>

وقوم يحبطون فيرون قوله - لقد علمت وما الاشراف من خلق - بالبين غير المعجمة وذلك خطأ وانما اراد بالاشراف اني لا استشرف واطلع على ما فاتني من أمور الدنيا ومكاسها ولا تتبعها نفسي . . [قال المرتضي] رضى الله عنه وفي أبيات في معنى بعض أبيات قنطة وعروة بن أذينة التي تقدمت وهي من جملة قصيدة طويلة خرجت عن منذ اثني عشرة سنة والأبيات

تَمَاقِبُنِي بُوْسُ الزَّمَانِ وَخَفَضُهُ      وَأَدْبَنِي حَرْبُ الزَّمَانِ وَسَلِمُهُ  
 وَقَدْ عَلِمَ الْمَغْرُورُ بِالذَّهْرِ أَنَّهُ      وَرَاءَ سُرُورِ الْمَرْءِ فِي الذَّهْرِ نَعْمُهُ

(١) - أشرت - من الاشر وهو البطر - وضرعت - من الضراعة وهي الذل  
 (٢) وذكر الأصفهاني في الأغاني لعروة زيادة عما ذكره السيد رحمه الله في هذه

الأبيات وهي

كَمَ مِنْ قَبْرِ غَيْهِ النَّفْسُ تَعْرِفُهُ      وَكَمْ غَيْهِ فَمَنْ يَرِ النَّفْسُ مَسْكِينُ  
 وَكَمْ أُنْعَ لِي طَوْي كَمَا قَلْتُ لَهُ      إِنْ اطَّوَأْتُكَ عَنِّي سَوْفَ يَطْوِي  
 إِنِّي لَا بَصَرَ فَمَا كَانَ مِنْ أَرْبِي      وَأَكْثَرُ الصَّمْتِ فَمَا لَيْسَ بِعَبَانِي

وما المرء إلا نهب يومٍ ولبلة  
يُبلِّلهُ بزُدِّ الحياةِ يمسهُ  
وكان لبعيداً عن منازعة الردى  
ألا إن خير الزادِ مأسدةُ الفاقةِ  
وتحبُّ به شهبُ الفناءِ وذهمهُ  
ويغترُّه رَوْحُ النسيمِ بِشْمُهُ  
فألقتهُ في كَفِّ المنيَّةِ أمهُ  
وخيرُ تِلَادِي الَّذِي لَا أَجْمُهُ<sup>(١)</sup>  
وإن الطوي بالمرأِ أحسنُ بالفتى  
إذا كان من كسبِ المذلةِ طعمهُ  
وإني لأنبي النفسِ عن كلِّ لذةٍ  
إذا ما ارتقى منها إلى المرضِ وضمهُ  
وأعرضُ عن نيلِ الثريا إذا بدا  
وفي نيله سوءُ المقالِ وذمهُ  
أعفتُ وما الفحشاءُ عني بعيدةُ  
وحسبي في صدِّ عن الأمرِ إنمهُ  
وما العفُّ من ولى عن الضربِ سيفهُ  
ولكن من ولى عن سوءِ حزمهُ

ولي في معنى قوله وما الاشراف من خلقى

ما خامر الرزق قلبي قبل فجأته  
ولأبسط له في النأبات يدي  
كم قد ترادف لم أحفل زيادته  
ولو تجاوزني مافت من عضدي  
إن أسخط الأمر أذكر عنه مضطرباً  
وإن أرد بدلاً من مذهب أجد

ومعنى - ما خامر الرزق قلبي - أي لم أتمنه ولا نظمت الى حضوره ولا خطر لي ببال

(١) - الفاقة - الحاجة - والتلديدان - التالذ من المال وهو ماورثه الانسان من آبائه والطارف وهو ما اكتسبه واستخدمه بسعيه غلب أحدهما على الآخر فتناهما به يقول خير المال مأسدة الفاقة وما زاد على ذلك فهو فضل وزيادة وهذا كقولهم خير الزاد ما بلغك المحل وحسبك من الفلادة ما أحاط بالندق وقوله وخير تِلَادِي يريد به ان خير مال الانسان ما أتفق منه وأعطى لا ما ادخر وجمع

تترها وتفتحا والوجه في تخصيص لفي بسط اليد بالنوايب لانها يضرع عندها في الأكثر المتزهد ويطلب المتعفف فن لزم التزاحمة مع الحاجة وشدة الضرورة فهو الكامل المروءة ومعنى البيت الثاني ظاهراً ٠٠ فأما الثالث فالمراد به إتيان إذا كره شيئاً تمكن من مفارقتها والتزوع عنه ولست ممن تضيق حيلته وتفصر قدرته عن استدراك ما يجب بما يكره ٠٠ وفيه فائدة أخرى وهي أنني ممن لا تملكه العادات وتفتاده الأهواء بل متى أردت مفارقة خلق الى غيره وعادة الى سواها لم يكن ذلك على متعذراً من حيث كان لرأيي على هواي السلطان والرجحان ٠٠ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال أخبرنا الزبير بن بكار قال حدثني عمرو بن عبيد الله بن عروة بن الزبير قال كان عروة بن أذينة نازلاً مع أبي في قصر عروة بالعقب فسمعه ينشد لنفسه

|  |   |
|--|---|
| خَلِّمَتْ هَوَاكَ كَمَا خَلِّمَتْ هَوَىٰ لَهَا             | إِنَّ الَّتِي زَعَمَتْ فُؤَادَكَ مَلَّهَا   |
| أَبْدَىٰ لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كَلْبًا                  | فِيكَ الَّذِي زَعَمْتَ بِهَا فَكَلًّا كَمَا |
| يَوْمًا وَقَدْ ضَجَّحْتَ إِذَا لَا ظِلَّهَا <sup>(١)</sup> | وَلَمَّعْرُهَا لَوْ كَانَ حَبْكُ فَوْقَهَا  |
| شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفُؤَادِ فَسَلَّهَا              | وَإِذَا وَجَدَتْ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةَ   |
| بِلِسَانَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا <sup>(٢)</sup>       | بِیضَاءِ بَاكَرِهَا النَّعِيمِ فَصَاغَهَا   |

(١) هكذا هو هنا وقد نسب هذه الابيات لبعض أهل الأدب الى المجنون وأنشد

البيت هكذا

اني لا كنتم في الحنمان حبا وجدا لو أصبح فوقها لاظلمها

وأنشد بعده

وبيت تحت جوانحي حب لها لو كان تحت فراشها لاقلها

(٢) - اللبقة - الحسنة الدل - وادقها - أي أدق خصرها - وأجأها - أي أجعل

عجزتها أي جعلها عظيمة فالكلام على التوزيع وارجاع كل شيء الى ما يناسبه



أَلَسْتُ تَبْصِرُ مَنْ حَوْلِي قَعَاتُهَا غَطَى هَوَالِكُ وَمَا أَلْقَى عَلَيَّ بَصْرِي

قال نعم قالت من حرائر وأشارت الى جواربها ان كان خرج هذا من قلب سليم ٠٠  
وأشدد أبو الحسن أحد بن يحيى لعروة

كَأَنَّ خَزَامِي طَلَّةٌ صَابِهَا النَّدَى وَفَارَةَ مِسْكٌ ضَمِنَتْهَا نِيَابِهَا

وَإِنْ تَقَرَّبَ يَوْمًا يُرْعَكَ اغْتَرَابِهَا إِذَا اقْتَرَبْتَ سَمْعِي لَهَجْتَ بِحَبِهَا

وَكَذْتُ لِذِكْرَاهَا أَطِيرُ صَبَابَةً وَكَذْتُ لِذِكْرَاهَا أَطِيرُ صَبَابَةً

فَمَهِيَ أَي هَذَا رَاحَةٌ لَكَ عِنْدَهَا فَهِيَ أَي هَذَا رَاحَةٌ لَكَ عِنْدَهَا

وَعَادَ الْهَوَى مِنْهَا كَطَلٍّ سَحَابَةٍ وَعَادَ الْهَوَى مِنْهَا كَطَلٍّ سَحَابَةٍ

[قال المرتضى] رضى الله عنه وهيات هذا البيت الأخير من قول كثير

وإني وتبياي بعزة بمد ما تَحَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَحَلَّيْتُ

لِكَالْمُرْتَجِي ظِلَّ الْغَامَةِ كَلَّمَا تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ أَضْمَحَلَّتِ

كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سَحَابٌ مُنْجَلٍ رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزَتْهُ اسْتَهَلَّتِ

٠٠ وروى يحيى بن علي قال حدثنا أبو هفان قال أشعر أبيات قيلت في الحدة والدماه لهم بالكثرة أربعة ٠٠ فأولها قول الكعب بن زيد

إِنِّي يَحْسُدُونِي فَإِنِّي لَا أَلُوهُمْ قَبِلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلَ الْفَضْلِ فَذُحْسِدُوا

فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِيَهُمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غِيظًا بِمَا يَحْسُدُ

أَنَا الَّذِي يَحْسُدُونِي فِي حُلُوقِهِمْ لَا أَرْتَقِي صَدْرًا عَنْهَا وَلَا أَرُدُّ

لَا يُقْصِرُ اللَّهُ حُسَادِي فَإِنَّهُمْ أَسْرُ عِنْدِي مِنَ اللَّائِي لَهُ الْوَدْدُ

٠٠ وقال عروة بن أذينة

لَا يَمِيدُ اللَّهُ حُسَادِي وَزَادَهُمْ حَتَّى يَمُوتُوا بِدَاءِ فِي مَكْنُونٍ

إِنِّي رَأَيْتَهُمْ فِي كُلِّ مَنَزَةٍ أَجَلٌ قَدَرًا مِنَ اللَّائِي يُجِئُونِي

•• وقال نصر بن سيار

إِنْ يَحْسُدُونِي عَلَيَّ مَا بِي وَمَا بِهِمْ فَمِثْلُ مَا بِي لِعَمْرِي جَرِّي الْحَسَدَا

•• وقال معن بن زائدة

إِنِّي حَسِدْتُ فَرَادَ اللَّهِ فِي حَسَدِي لَأَعِشَ مَنْ عَاشَ يَوْمًا غَيْرَ تَحْسُودٍ  
مَا يَحْسُدُ الْمَرْءَ إِلَّا مِنْ فَضَائِلِهِ بِالْعِلْمِ وَالظُّرْفِ أَوْ بِالْبَأْسِ وَالْعُجُودِ

[ قال المرتضى ] رضى الله عنه وقد لحظ البعدي هذا المعنى في قوله

مُحْسَدٌ بِحِلَالٍ فِيهِ فَاضِلَةٌ وَليْسَ يَفْتَرِقُ النَّعَاءُ وَالْحَسَدُ

وأظن أبا العتاهية أخذ قوله

كَمْ عَائِبٍ لَكَ لَمْ أَسْمَعْ مَقَالَتَهُ وَلَمْ يَزِدْكَ لَدَيْنَا غَيْرَ تَرْبِيبِ  
كَأَنَّ عَائِبِكُمْ بِيَدِي حَاسِنِكُمْ وَصَفَاءُ فِيمَا حَكَمَ عِنْدِي وَيُغْرِبُنِي  
مَا فَوْقَ حَبْكِ حَبَّالَتِ أَعْلَمُهُ فَلَا يَضُرُّكَ أَنْ لَا تَسْتَزِيدَنِي

من قول عروة بن أذينة

لَا بُدَّ سَمْدِي مَرِيحِي مِنْ جَوَى سِقَمِ إِذَا الْوُشَاةُ لَحَوَا فِيهَا عَصِيَّتُهُمْ

وقد أخذ أبو نواس هذا المعنى في قوله

مَا حَطَّكَ الْوَأَشُونَ مِنْ رُبَّةٍ كَانَتْهُمْ أَثْنُوا وَلَمْ يَعْلَمُوا  
عِنْدِي وَلَا ضَرَّكَ مُقْتَابُ عَلَيْكَ عِنْدِي بِالَّذِي عَابُوا

ولعروة بن أذينة

تُرْوَعُنَا الْجَنَائِزُ مُقْبِلَاتٍ وَتَسْهُو حِينَ تَحْقِقُ ذَاهِبَاتِ

كَرْوَعَةِ الْأَلْمَغَارِ ذَابٍ فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتٍ

الثلة - القطعة من الضأن .. وهذا المعنى قد سبق إليه بعض الاعراب فقال

وَسُخِّدَتْ رَوَاعَاتُ لَدَى كُلِّ فَرْعَةٍ وَتُسْرِخُ نِسِيَانًا وَمَا جَاءَ نَأْمَنُ

وَإِنَّا وَلَا كُفْرَانَ لِلَّهِ رَبِّنَا لَكَالْبَدْنِ لَا تَدْرِي مَتَى يَوْمُهَا الْبَدْنُ

أخذه أبو العتاهية في قوله

إِذَا مَا رَأَيْتُمْ مَيْتِينَ فَرِزْتُمْ وَإِنْ غُيِّبُوا مِثْلَكُمْ إِلَى صَبَوَاتِهَا

وأخذ عمرو بن أذينة قوله

إِنَّ الْفَتَى مِثْلُ الْهِلَالِ لَهُ نُوْرٌ لِيَالٍ ثُمَّ يَمْتَحِقُ

يُبْلِي وَيُنْفِيهِ الدَّهْوَرُ كَمَا يُبْلِي وَيُنْفِيهِ المِجْدَةُ الخَلْقُ

من قول بعض شعراء طبرستان

أَرَى قَمَرَ اللَّيْلِ المُعَذِّبِ كَالْفَتَى مَهْمَا يَكُنْ رَبُّ الزَّمَانِ فَإِنِّي

بِهَلٍّ صَغِيرًا ثُمَّ يَعْظُمُ ضَوْؤُهُ بِهَلٍّ صَغِيرًا ثُمَّ يَعْظُمُ ضَوْؤُهُ

وَيَصْخُ حَتَّى يَسْتَسِرَ فَلَا بُرَى تَقَارِبٌ يَجْبُو ضَوْؤُهُ وَشَمَاعُهُ

يَعُوذُ إِلَى مِثْلِ الَّذِي كَانَ قَد بَدَى كَذَلِكَ رَبُّ الْمَرْءِ عِنْدَ انْتِقَاصِهِ

أخذه محمد بن يزيد الكاتب فقال

الْمَرْءُ مِثْلُ هِلَالٍ عِنْدَ مَطْلَعِهِ يَبْدُو ضَائِبًا ضَعِيفًا ثُمَّ يَنْسِقُ

بِزْدَادٍ حَتَّى إِذَا مَا تَمَّ أَعْقَبَهُ كَرُّ الْجَدِيدِ بِنِ نَقْصَانِهَا يَتَحَقِّقُ

﴿ ٣٢ ﴾ مجلس آخر ﴿ ٣٢ ﴾

[ تأويل آية ] ٥٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى ( واتبعوا ما نزلوا الشياطين على ملك

سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) •• فقال كيف ينزل الله تعالى السحر على الملائكة أم كيف تعلم الملائكة الناس السحر والتفريق بين المرء وزوجه وكيف نسب الضرر الواقع عند ذلك الى انه باذنه وهو تعالى قد نهى عنه وحذر من فعله وكيف أثبت العلم لهم ونفاه عنهم بقوله ( ولقد علموا لمن اشتراه ) ثم قوله ( لو كانوا يعلمون ) •• الجواب قلنا في الآية وجوه كل منها يزيد الشبهة الداخلة على من لا ينم النظر فيها •• أو لها أن يكون مافي قوله ( وما أنزل على الملكين ) بمعنى الذي فكأنه تعالى أخبر عن طائفة من أهل الكتاب بانهم اتبعوا ما تكذب به الشياطين على ملك سليمان وتضيفه اليه من السحر فبرأه الله تعالى من قذمهم وأكذبهم في قولهم فقال وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا باستعمال السحر والتفويه على الناس ثم قال يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين وأراد أنهم يعلمونهم السحر والذي أنزل على الملكين وما أنزل على الملكين وصف السحر وما هيته وكيفية الاحتيال فيسه ليعرفا ذلك ويعرفاه للناس فيجتنبوه ويحذروا منه كما انه تعالى قد أعلمنا ضروب المعاصي ووصف لنا أعمال القبائح لنجتنبها لانواقعها لأن الشياطين كانوا اذا علموا ذلك وعرفوه استعملوه واقدموا على فعله وان كان غيرهم من المؤمنين لما عرفه اجتنبه وحاذره وانتفع باطلاعه على كيفية ثم قال وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة يعنى الملكين ومعنى يُعلمان يعلمان والعرب تستعمل لفظة علمه بمعنى أعلمه •• قال القطامي

تَلَّمْتُ أَنَّ بَعْدَ النَّبِيِّ رُشْدًا وَأَنَّ لِشَابِكِ الْغَيْرِ انْقِشَاعًا

•• وقاله كعب بن زهير

تَلَّمْتُ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي وَأَنَّ وَعِيدًا مِنْكَ كَالْأَخْذِ بِالْيَدِ

ومعنى تعلم في البيهين معنى اعلم والذي يدل ان المراد ههنا الاعلام لا التعليم قوله وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنه فلا تكفر أى انهما لا يعرفانه صفات السحر وكيفيته إلا بعد أن يقولوا انما نحن محنة لان الفتنة بمعنى المحنة وانما كان محنة بحيث ألقيا الى المكلفين أمراً لينزجروا عنه ولتبتعوا من مواقفته وهم اذا عرفوه أمكن أن يستعملوه ويرتكبوه فقال لمن يطعمانه على ذلك لا تكفر باستعماله ولا تعدل عن الغرض في إلقاء هذا اليك فانه انما أتى اليك واطلمت عليه لتجنبه لا لتفعله ثم قال فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه أى فيعرفون من جهتهما ما يستعملونه في هذا الباب وان كان المملكان ما ألقياه اليهم لذلك ولهذا قال ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم لما قصدوا بتعلمه أن يفعلوه ويرتكبوه لأن يجنبوه صار ذلك لسوء اختيارهم ضرراً عليهم .. وثانها أن يكون ما أنزل موضعه موضع جرّ فيكون معطوفاً بالواو على ملك سليمان والمعنى واتبعوا ما كذب به الشياطين على ملك سليمان وعلى ما أنزل على الملكين ومعنى ما أنزل على الملكين أى معهما وعلى ألسنتهما كما قال تعالى ( ربنا وآآنا ما وعدتنا على رسلك ) أى على ألسنتهم ومعهم وليس بمنكر أن يكون ما أنزل معطوفاً على ملك سليمان وان اعترض بينهما من الكلام ما اعترض لأن رد النوى الى نظيره وعطفه على ما هو أولى هو الواجب وان اعترض بينهما ما ليس منهما ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب كثيرة قال الله تعالى ( الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيباً ) وقيم من صفات الكتاب حال منه لا من صفة عوج وان تباعد ما بينهما ومثله ( يستلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام ) فالحرام ههنا معطوف على الشهر أى يستلونك عن الشهر الحرام وعن المسجد الحرام .. وحكي عن بعض علماء أهل اللغة انه قال العرب تلقى الحرفين المختلفين ثم ترمى بتفسيرهما جملة ثقة بان السامع يرد الى كل خبره كقوله تعالى ( ومن رحمة جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ) وهذا واضح في مذهب العرب كثير التطابق ثم قال ( وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنه ) والمعنى انهما لا يعلمان أحداً بل بنهيان عنه ويبلىق من نهيهما وصدها عن فعله واستعماله

أن يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفر باستعمال السحر والاقدام على فعله وهذا كما يقول الرجل ما أمرت فلاناً بكذا ولقد بلغت في نهيهِ حتى قلت له أنك ان فعلته أصابك كذا وكذا وهذا هو نهاية البلاغة في الكلام والاختصار الدال مع اللفظ القليل على المعاني الكثيرة لأنه استغنى بقوله ( وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولوا إنما نحن فتنه ) عن بسط الكلام الذي ذكرناه ولذلك نظائر في القرآن قال الله تعالى ( ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ) فلولا الاختصار لكان شرح الكلام بقوله ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إله ولو كان معه إله إذا لذهب كل إله بما خلق ومثله قوله تعالى ( يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أ كفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب ) أي فيقال للذين اسودت وجوههم أ كفرتم بعد إيمانكم وأمثاله أ كثر من أن تورده ثم قال تعالى ( فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه ) وليس يجوز أن يرجع الضمير في هذا الجواب إلى الملكين وكيف يرجع إليهما وقد نفي عنها التعليم بل يرجع إلى الكفر والسحر وقد تقدم ذكر السحر وتقدم أيضاً ذكر ما يدل على الكفر وبقضيته في قوله ولكن الشياطين كفروا فدل كفروا على الكفر والمصطف عليه مع السحر جاز وان كان التصريح قد وقع بذكر السحر دونه ومثل ذلك قوله تعالى ( سيدكر من يخشى ويحجبها الأشتى ) أي يتجنب الذكرى الأشتى ولم يتقدم تصريح بالذكرى لكن دل عليها قوله سيدكر ٠٠ ويجوز أيضاً أن يكون المعنى فيتعلمون منها أي بدلا مما علمهم الملكان ويكون المعنى أنهم يعلمون عما علمهم ووقفهم عليه الملكان من النبي عن السحر إلى تعلمه واستعماله كما يقول القائل ليت لنا من كذا كذا وكذا أي بدلا منه ٠٠ وكما قال الشاعر

جمعت من الخيرات وطباً وعلبةً  
وصراً لأخلاف المزمهمة البزل<sup>(١)</sup>

(١) - الصر - شد خلف الناقة بالخيوط لئلا تحلب والناقة ضرورة - والاخلاف - جمع خلف وهو للناقة كالندي للدرأة - والمزمهمة - السمان الكثيرة الشعيم ومثله الزهم ٠٠ قال زهير القائد الخليل منكوبا دوايرها منها الشنون ومنها الزاهق الزهم - والبزل - جمع بزل وهو البعير إذا انشق نابه وذلك إما يكون في السنة التاسعة

وَمِنْ كُلِّ أَخْلَاقِ الْكِرَامِ مَيِّمَةٌ وَسَعْيًا عَلَى الْجَارِ الْمَجَاورِ بِالْمَحَلِّ

يريد جمع مكان الخيرات ومكان أخلاق الكرام هذه الخصال الذميمة . . وقوله ما يفرقون به بين المرء وزوجه فيه وجهان . . أحدهما أن يكونوا يفرقون أحد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى فيكون بذلك قد فارق زوجة الآخر المؤمن المقيم على دينه فيفارق بينهما اختلاف النحلة والملة . . والوجه الآخر أن يسمون بين الزوجين بالفدية والوشاية والاغراء والتغويه بالباطل حتى يؤول أمرهما الى الفرقة والمباينة . . وثالث الوجوه أن تحمل ما في قوله وما أنزل على الجحد والنفي فكأنه تعالى قال وأنهبوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر بيابل هاروت وماروت ويكون قوله بيابل هاروت وماروت من المؤخر الذي مضى التقديم ويكون التأويل هاروت وماروت رجلين من جنة الناس هذان أساؤهما وإنما ذكرنا بعد الناس تمييزاً وتبيناً ويكون الملكان المذكوران اللذان نفي عنهما السحر جبرائيل وميكائيل عليهما السلام الى سليمان بن داود عليه السلام فأكذبهما الله تعالى بذلك ويجوز أن يكون هاروت وماروت يرجعان الى الشياطين كأنه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا ويسوغ ذلك كما ساع في قوله تعالى ( وكنا لعكهم شاهدين ) يعني حكم داود وسليمان ويكون قوله على هذا التأويل وما يعلمان من أحدي حتى يقولوا إنما نحن فتنة راجعاً الى هاروت وماروت اللذين هما من الشياطين أو من الانس للتعلمين للسحر من الشياطين والعالمين به ومعنى قولهما إنما نحن فتنة فلا تكفر يكون على طريق الاستهزاء والتماجن والتخالف كما يقول التماجن من الناس اذا فعل قبيحاً أو قال باطلاً هذا فعل من لا يفاج وقول من لا ينبغي والله لا تحصلت إلا على الخسران وليس ذلك منه على سبيل النصيح للناس وتحذيرهم من مثل فعله بل على جهة التجويز والتهاكك ويجوز أيضاً على هذا التأويل الذي يتضمن النفي والجحد أن يكون هاروت وماروت اسمين للملكين ونفي عنهما ازال السحر بقوله وما أنزل على الملكين ويكون قوله وما يعلمان من أحدي يرجع

الى قبيلتين من الجن أو الى شياطين الجن والانس فتحسن التنبية لهذا .. وقد روى هذا التأويل الأخير في حل ماعلى النبي عن ابن عباس وغيره من المفسرين .. وروى عنه أيضاً أنه كان يقرأ وما أنزل على الملكين بكسر اللام ويقول . ق كان العالجان ملكين بل كانا ملكين .. وعلى هذه القراءة فى الآية وجبة أخرى وان لم يحمل قوله وما أنزل على الملكين على الجحد والنبي وهو أن يكون هؤلاء الذين أخبر عنهم اتبعوا ماتلو الشياطين وتدعيه على ملك سليمان واتبعوا ما أنزل على هذين الملكين من السحر ولا يكون الانزال مضافاً الى الله تعالى وان أطلق لأنه جل وعز لا ينزل السحر بل يكون منزله اليهما مضافاً الى الله تعالى ويكون معنى أنزل وان كان من الأرض حمل اليهما لا من السماء انه أتى به من نجود البلاد وأعالها فان من هبط من نجد البلاد الى غورها يقال نزل وهبط وما جرى هذا المجرى .. فأما قوله تعالى ( وما هم بضارين به من أحد إلا باذن الله ) فيحمل وجوهاً .. منها أن يريد بالاذن العلم من قولهم أذنت فلاناً بكذا اذا أعلمته وأذنت لكذا اذا سمعته وعلمته .. قال الشاعر

فِي سَمَاعٍ يَأْذُنُ الشَّيْخِ لَهُ      وَحَدِيثٍ مِثْلِ مَا ذِي مِشَارٍ<sup>(١)</sup>

.. ومنها أن تكون إلا زائدة فيكون المعنى وما هم بضارين به من أحد باذن الله ويجرى مجرى قول أحدنا لقيت زيدا إلا أتى أكرمه أى لقيت زيدا فأكرمه .. ومنها أن يكون أراد بالاذن التخلي وتترك المنع فكأنه أفاد بذلك ان العباد ان يعجزوه وما هم بضارين أحداً إلا بأن يخلي الله تعالى بينهم وبينه ولو شاء لمنعهم بالقهر والقسر زائداً على منعهم بالزجر والنهي .. ومنها أن يكون الضرر الذى عنى انه لا يكون إلا باذنه وأضافه اليه هو ما يلحق المسحور من الأدوية والأغذية التي تلعنه إياها السحرة ويدعون أنها موجبة لما يقصدونه فيه من الأمور ومعلوم ان الضرر الحاصل عن ذلك من فعل

(١) - الماذى - العسل الأبيض - ومشار - محي . يقول ان غناها لطيبه وحسنه يستمتع الشيخ الحرم له ويصطفى اليه وحديثها العللونه وورقه كأنه العسل الجيد والاصمعي يروى هذا البيت مثل ما ذى مشار بالاضافة وفتح الميم قال والمشار الخلية

الله تعالى بالعادة لأن الأغذية لا توجب ضرراً ولا نفعاً وإن كان المعرض للضرر من حيث كان الفاعل له هو المستحق للذم وعليه يجب العوض .. ومنها أن يكون الضرر المذكور إنما هو يحصل عن التفريق بين الأزواج لأنه أقرب إليه في ترتيب الكلام والمعنى أنهم إذا أعوروا أحد الزوجين فكفر فبانت منه زوجته فاستنصر بذلك كانوا ضارين له بما حسنوه له من الكفر لان الفرقه لم تكن إلا بأذن الله وحكمه لانه تعالى هو الذي حكم وأمر بالتفريق بين المختلفين الأديان فلهذا قال وما هم بضارين به من أحدٍ إلا بأذن الله والمعنى أنه لولا حكم الله وإذنه في الفرقه بين هذين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا ضارين له هذا الضرب من الضرر الحاصل عند الفرقه ويقوى هذا الوجه ما روي أنه كان من دين سايمان عليه السلام أنه من سحر بان امرأته .. فأما قوله تعالى (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق) ثم قوله (لو كانوا يعلمون) ففيه وجوه .. أوّلها أن يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا ويكون الذين علموا الشياطين أو الذين خبر عنهم بأنهم نزلوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تنزلوا الشياطين على مملك سايمان والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر وشروا به أنفسهم .. وثانيها أن يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا إلا أنهم علموا شيئاً ولم يعلموا غيره فكانه تعالى وصفهم بأنهم علمون بأنه لا نصيب لمن اشتري ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ولم يعلمه كنه ما يصيروا إليه من عقاب الله الذي لا تقاد له ولا انقطاع .. وثالثها أن تكون الفائدة في نفي العلم بعد إثباته أنهم لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا وهذا كما يقول أحدنا لغيره ما أدعوك إليه خبير لك وأعود عليك ولو كنت تعقل وتنظر في العواقب وهو يعقل وينظر في العواقب إلا أنه لا يعمل بموجب علمه حسن أن يقال له مثل هذا القول .. قال كعب بن زهير يصف ذنباً وغراباً تبعاه ليصيبا من زاده

أَذَا حَضَرَ أُنِي قُلْتُ لَوْ تَعَلَّمَانِي أَلَمْ تَعَلَّمَا أُنِي مِنَ الزَّادِ مِنْ مِزْلٍ

فنفى عنهما العلم ثم أثبت به قوله ألم تعلمما وإنما المعنى في نفيه العلم عنهما انهما لم يعملوا بما علماه

فكأنهما لم يعلماه . . . ورايهما أن يكون المعنى أن هؤلاء القوم الذين قد عدوا ان الآخرة لاحت لهم فيها مع علمهم التبيح إلا أنهم ارتكبوه طمعاً في حطام الدنيا وزخرفها فقال تعالي ( ولئس مانسروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ) ان الذي آروه وجعلوه عوضاً من الآخرة لا ينم لهم ولا يبقى عليهم وانه منقطع زائل ومضجع باطل وانما الملك الى المستحق في الآخرة وكل ذلك واضح بحمد الله والحمد لله رب العالمين وسمى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

[ تأويل خبر ] . . . روى عقبه بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار . . . وقد ذكر متأولو حديث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر وجوهاً كثيرة كلها غير صحيح ولا شاف وأنا أذكر ما اعتمده وأبين ما فيه ثم أذكر الوجه الصحيح . . . قال ابن قتيبة ذهب الأصمعي الى أن من تعلم القرآن من المسلمين لو أتى في النار لم تحرقه وكفى بالاهاب وهو الجلد عن الشخص والجسم واحتج على تأويله هذا الحديث عن سليمان بن محمد قال سمعت أبا امامة يقول اقرؤا القرآن ولا تفرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلباً وعى القرآن . . . قال ابن قتيبة وفي الحديث تأويل آخر وهو ان القرآن لو كتب في جلد ثم أتى في النار على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تحرقه النار على جهة اللذالة على صحة أمر النبي صلى الله عليه وسلم ثم انقطع ذلك بعده قال وجري هذا مجرى كلام الذئب وشكابة البعير وغير ذلك من آياته صلى الله عليه وسلم . . . قال وفيه تأويل ثالث وهو أن يكون الاحراق انما نفي عن القرآن لا عن الاهاب ويكون . . . في الحديث لو جعل القرآن في إهاب ثم أتى في النار ما احترق القرآن فكان النار تحرق الجلد والمداد ولا تحرق القرآن لأن الله ينسخه ويرفعه من الجلد صيانة له عن الاحراق . . . وقال أبو بكر محمد بن القاسم الانباري راداً على ابن قتيبة معترضاً عليه اعتبرته مقالته ابن قتيبة من ذلك كله فما وجدت فيه شيئاً صحيحاً . . . أما قوله الأول فبرده ما روي عنه عليه الصلاة والسلام من قوله يخرج من النار قوم بعد ما يحرقون فيها فيقال هؤلاء الجهنميون طلقاهم الله عز وجل . . . قال وقد روى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل أهل الجنة

الجنة وأهل النار النار قال الله عز وجل انظروا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه منها .. قال أبو بكر وكيف يصح قول ابن قتيبة في زعمه ان النار لا تحرق من قرأ القرآن ولا خلاف بين المسادين ان الخوارج وغيرهم ممن يلحد في دين الله ويقرأ القرآن أن تحرقهم النار بفساد شرك واحتجاجه بخبر أبي امامة ان الله لا يعذب قلباً وعى القرآن معناه قرأ القرآن وعمل به فأما من حفظه الفائلة وضيق حدوده فانه غير واع له .. قال وأما قوله انه من دلائل النبوة التي انقطعت بعده فاروى هذا الحديث أحدث انه كان في دلائله عليه الصلاة والسلام ولو أراد ذلك دليلاً لكان صلى الله عليه وسلم يجعل القرآن في إهاب ثم يلقيه في النار فلا يحترق .. قال وقول ابن قتيبة الثالث لاحترق الجلد والمداد ولم يحترق القرآن غير صحيح لان الذي يصح هنا القول بوجوب أن القرآن غير المكتوب وهذا محال لان المكتوب في المصحف هو القرآن والدليل على هذا قوله تعالى ( إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون ) ومنه الحديث لا تسافروا بالقرآن الى أرض العدو وانما يريد المصحف .. قال أبو بكر والقول عندنا في تأويل هذا الحديث انه أراد لو كان القرآن في جلد ثم ألقى في النار ما أبطلته لانها وان أحرقت فانه لا تدرسه اذ كان الله عز وجل قد ضمنه قلوب الأختيار من عباده والدليل على هذا قول الله عز وجل لئن لم يكن صلى الله عليه وسلم فيها روى إلى منزل عليك كتاباً لا يقسه الماء لقراءه ناعماً ويقظان فلم يرد تعالى ان القرآن لو كتب في شيء ثم غسل بالماء لم ينفصل وانما أراد ان الماء لا يبطله ولا بدرسه اذ كانت القلوب تعبه وتحفظه .. قال ومثل هذا كثير في كتاب الله وفي لغة العرب قال الله تعالى ( يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً ) فهم قد كتموا الله تعالى لما قولوا والله ربنا ما كنا مشركين وانما أراد تعالى ولا يكتمون الله حديثاً في حقيقة الأمر لانهم وان كتموه في الظاهر فالذي كتموه غير مستتر عنه .. [ قال المرتضى ] رضی الله عنه والوجه الصحيح في تأويل الخبر غير ما توهمه ابن قتيبة وابن الانباري جميعاً وهو ان هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم على طريق التل والمبالغة في تعظيم شأن القرآن والاخبار عن جلالة قدره وعظم

خطره والمصنق أنه لو كتب في إهاب وألقى في النار وكانت النار بما لا تحرق شيئاً لعلو شأنه وجلالة قدره لم تحرقه النار .. ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب وأمثالهم كثيرة ظاهرة على من له أدنى أنس بمذاهبهم وتصرف كلامهم فمن ذلك قوله تعالى ( لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ) ومعنى الكلام إما لو أنزلنا القرآن على جبل وكان الجبل مما يتصدع إشفاقاً من شيء أو خشية لأمر لتصدع مع صلابته وقوته فكيف بكم معانير المكافين مع ضعفكم وقتلكم فأنتم أولى بالخشية والاشفاق وقد صرح الله تعالى بأن الكلام خرج مخرج المثل بقوله تعالى ( وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ) ومنه قوله تعالى ( تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ) .. ومنه قول الشاعر

أَمَّا وَجَلَالِ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرْتَنِي      كَذَكَرِ الْمَائِمَتِ لِلْمِينِ مَذَمًا  
فَقَالَتْ بَلَى وَاللَّهِ ذِكْرًا لَوْ أَنَّهُ      أَضَمَّنَهُ صَمُّ الصَّفَا لَتَصَدَّعَا

.. ومنه

فَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْحَصَى فَلَقَ الْحَصَى      وَبِالرَّيْحِ لَمْ يَسْمَعْ لَهْنٌ هُبُوبُ

.. ومنه

وَقَفْتُ عَلَى رَيْعٍ لَيْمَةٍ نَاقَتِي      فَمَا زِلْتُ أُبْكِي عِنْدَهُ وَأَخَاطِبُهُ  
وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مَعَا أَبْشُهُ      تُكَلِّمُنِي أَحْبَارُهُ وَالْإِعْبُهُ

وهذه طريقة للعرب مشهورة في المبالغة يقولون هذا كلام يفاق الصخر ويهد الجبال ويصرع الطير ويبتزل الوعول وليس ذلك بكذب منهم بل المعنى أنه لحسنه وحلاوته وبلاغته يفعل مثل هذه الأمور لو تأتت ولو كانت مما يسهل ويتيسر لدى من الأشياء لتسهلت به من أجهه .. فأما الجواب الأول المحكي عن ابن قتيبة فالذي يقسمه زائداً على ما رده ابن الأنباري أنه لو كان الأمر على ما ذكره ابن قتيبة وحكاه عن الأصمعي

لكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أضرنا بالذنوب لانه اذا أمن حافظ القرآن ومتعلمه  
 من النار والعذاب فيها ركن المكتوبون الى تعلم القرآن والاقدام على القبائح آمنين غير  
 خائفين وهذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم والمعنى في قول أبي امامة ان الله عز وجل  
 لا يعذب قلباً وعى القرآن على نحو ما ذكره ابن الأنباري .. فأما جواب ابن قتيبة  
 الثاني فن آين له ان ذلك مختص بزمانه صلى الله عليه وسلم وليس في اللفظ ولا غيره  
 دلالة عليه وأقوى ما يبطله انه لو كان كما ذكر لما جاز أن يخفى على جماعة المسلمين الذين  
 رويوا جميع معجزاته وضباطها وفي وجدنا من روى ذلك وجهه وعنى به غير عارف  
 بهذه الدلالة آية إبطال مانومهم .. فأما جوابه الثالث فباطل لأن القرآن في الحقيقة  
 ليس يحل الجلد ولا يكون فيه حق ينسب الاحراق الى الجلد دونه واذا كان الأمر  
 على هذا لم يكن في قوله ان الاهداب هو المحترق دون القرآن فائدة لأن هذه سبيل كل  
 كلام كتب في اهداب أو غيره اذا احترق الاهداب يضاف الاحتراق الى الكلام لا تتعطل  
 هذه الصفة عليه .. ومن أعجب الأمور قول ابن الأنباري وهذا يوجب أن القرآن  
 غير المكتوب لان كلام ابن قتيبة ليس يوجب ما ظنه بل يوجب ضده من ان لفظ  
 المكتوب هو القرآن ولهذا علق الاحتراق بالكتابة والجلد دون المكتوب الذي هو  
 القرآن فاذا كان المكتوب في المصحف هو القرآن على ما اقترح ابن الأنباري فما المانع  
 من قول ابن قتيبة ان الجلد يحترق دونه لان أحداً لا يقول ان الجلد هو القرآن وإنما  
 يقول قوم انه مكتوب فيه واذا كان غيره لم يمتنع اضافة الاحتراق الى أحدهما دون  
 الآخر وهذا كله تحايط من الرجاين لأن القرآن غير حال في الجلد على الحقيقة وليست  
 الكتابة عين المكتوب وإنما الكتابة أمانة للحروف فاما أن تكون هي الكلام على  
 الحقيقة أو يوجد معها الكلام مكتوباً فيحتمل .. فأما استشهادهم على ذلك بالآية ويقولون  
 لا تسافروا بالقرآن فذلك تجوز وتوسع وليس يجب أن يجعل اطلاق الألفظ المحتملة  
 دليلاً على اثبات الأحكام والنماهي وممترضة على أدلة العقول وقد تجوز القوم بأكثر  
 من هذا فقلوا في هذا الكتاب شعر امرئ القيس وعلم الشافعي وفقه فلان ألم يقتض  
 ذلك أن يكون العلم والكلام على الحقيقة موجودين في دفتر وقد بين الكلام في هذا

الباب في مواضع هي أولى به .. فأما جواب ابن الأنباري الذي ارتضاه لنفسه فلا طائل أيضاً فيه لانه لا مزجية للقرآن فيما ذكره على كلام وشعر في العالم لانا نعلم ان الشعر والكلام المحفوظ في صدور الرجال اذا كتب في جلد ثم أحرق أو غسل لم يذهب ما في الصدور ومنه بل يكون ثابتاً بماله فأى مزجية للقرآن في هذا على غيره وأي فضيلة .. فان قال وجه المزجية ان غير القرآن من الشعر وغيره يمكن أن يتدرس ويبطل باحراق النار والقرآن اذا كان تعالى هو المتولي لا يبداه الصدور لا يتم ذلك فيه .. قلنا الكل سواء لأن غير القرآن انما يبطل باحتراق الالهاب المكتوب فيه .. قل لم يكن محفوظاً مودعاً للصدور ومتى كان بهذا العفة لم يبطل باحتراق الجلد وهكذا القرآن لو لم يحفظ في الصدور لبطل بالاحتراق ولكنه لا يبطل بهذا الشرط فصار الشرط في بطلان غير القرآن وثباته كالشرط في بطلان القرآن وثباته فلا مزجية على هذا الجواب للقرآن فيما خص به من ان النار لا تمسه وهذا يبين انه لا وجه غير ما ذكرناه في الخبر وهو أشبه بمذاهب العرب وأولى بتفضيل القرآن وتعظيمه .. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أنشدنا أبو حاتم قال ابن دريد وأنشدناه عبد الرحمن يعني ابن أخي الأصمعي عن عمه للحسين بن علي الأسدي وقال عبد الرحمن قال عمي لو كان شعر العرب هكذا ما أنتم منشداه

|   |   |
|---|---|
| وَأَنْتَ بَتْلَاحٍ مِنَ الطَّرْفِ نَاطِرُهُ                   | أَلَا حَبِيدَا الْبَيْتِ الَّذِي أَنْتَ هَاجِرُهُ |
| وَأَمْلَحُ فِي عَيْنِي مِنَ الْبَيْتِ عَامِرُهُ               | لَأَنَّكَ مِنْ بَيْتٍ لِعَيْنِي مُعْجِبُ          |
| وَفِيكَ الْمُنَى لَوْلَا عَدُوٌّ أَحَازِرُهُ                  | أَصْدُ حَيَاءٍ أَنْ يَلِمَ فِي الْهَوَى           |
| لَمَاتَ الْهَوَى وَالشَّوْقُ حِينَ تَجَاوَرُهُ                | وَفِيكَ حَبِيبُ النَّفْسِ لَوْ تَسْتَطِيعُهُ      |
| وَإِنْ يَأْتِهِ غَيْرِي تَنْطَبِي جَرَّائِرُهُ <sup>(١)</sup> | فَإِنْ آتَى لَمْ أَنْجُ إِلَّا بِظَنَّةٍ          |

(١) - نط - تربط وتعلق أي تندد - والجرائر - جمع جريرة وهي الذنب .. يقول ان آت هذا البيت رماني بالناس بظنونهم وان أتاه غيري أصيب الي أي قال

وَكَانَ حَبِيبُ النَّفْسِ لِلْقَلْبِ وَاتِرًا  
 فَإِنْ تَكُنِ الْأَعْدَاءُ أَحْمَوْا كَلَامَهُ  
 أَحْبَبُكَ يَا سَلْمَى عَلِي غَيْرِ رَيْبَةٍ  
 وَيَا عَاذِلِي لَوْلَا تَفَاسَةُ حَبِيبَا  
 بِنَفْسِي مَن لَّا بُدَّ أَنِّي هَاجِرُهُ  
 وَمَنْ قَدْ لَحَاهُ النَّاسُ حَتَّى اتَقَاهُمْ  
 أَحْبَبُكَ حَبِيبًا لَنَ أَعْتَفَ بَعْدَهُ  
 لَقَدْ مَاتَ قَبْلِي أَوَّلَ الْحَبِّ فَاتَّقِضِي  
 كَلَامَكَ يَا سَلْمَى وَإِنْ قَلَّ نَافِعِي  
 إِلَّا لَّا أَبَالِي أَيَّ حَيٍّ تَحْمَلُوا

الناس إنه مرسل من قبلي لمراسلة من فيه

- (١) - الريبة - العظنة والنهمة .. يقول أحبك حباً لا يخاطله سوء ولا يظن فيه شر .. وقوله - ولا بأس في حب تعف سرائره - أي تعف سرائره صاحبه فاضاف السرائر للحب توسعاً واتمامي للمحب ومثله في القرآن الكريم عيشة راضية أي راض صاحبها
- (٢) - لحاه - لامه واللاحي اللام في التوءم المعنف عليه .. وقوله - الا ما تحب سرائره - يريد به أنه يظهر للناس كراهتي وبغضي لكف ألسنتهم عنه وليس في قلبه الا محبتي
- (٣) - يريد أن محبته لها ذهبت بسيرة من تقدمه من المحبين وأنه لن يأتي بعده من يذكر بالحجة وان حبه لن يضارعه حب من تقدمه ومن يأتي بعده
- (٤) - نحملاوا - يروى بدله تفرقوا - والبرقاء - اسم موضع في بادية الجزيرة .. يقوله أنه لا يبالي رحيل من رحل من الناس اذا كان هذا الموضع عامراً بأهله لم يرحلوا

وأشد ابن الاعرابي لابن مطير

لعمرك بأبيت الذي لا تطوره  
تقلب في الإخوان حتى عرفتهم  
فلا أصرم الخلان حتى يصارموا  
فإنك بعدة الثمر ما أنت واجد

معنى - يديرها - يلقها مرة هنا ومرة هنا

وإنك في عين الأخلاء عالم  
فلاتك ممرورا بمتحة صاحب  
وما الجود عن فقر الرجال ولا الغنى  
وقد تغدر الدنيا فيضحى غنيها  
وكائن ترى من حال دنيا تغيرت  
ومن طامع في حاجة لن ينالها

بأن الذي يخفى عليك ضميرها  
من الود لا تذرني علام مصيرها  
ولكنه خيم الرجال وخيرها  
فقيرا ويغنى بعد بؤس فقيرها  
وحال صفا بعد اكدرار غديرها  
ومن يأس منها أتاه يسيرها

لأنهم هم الذين يجبههم ويشفق من رحيلهم . . . وفي بعض كتب الأدب بعد هذه الايات

وبالبرق أطلال كان رسوها قرطيس خطا الحبر فيهن ساطره

أبت سرحة الانعاد الاملاحة وطيبا اذا ما تبها اهتر ناضره

(١) - تطوره - نحموم حوله . . . يقول ان البيت الذي تجنبه وتحاماه خوف الوشاة

أحب الينا من البلاد التي نأثيها اذ لم يكن من نهوى فيها . . . وثل هذا قول الاحوص

يا بيت حاتكة الذي اتعزله حذر العدا وبه الفؤاد موكل

اني لامحك الصدود وانى قها اليك مع الصدود لأميله

(١٢ - أمالي له)

وَمَنْ يَتَّبِعْ مَا يُعْجِبُ النَّفْسَ لَمْ يَزَلْ  
فَنَفْسِكَ أَكْرَمَ مِنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ  
مُطِيعًا لَهَا فِي فِعْلٍ شَيْءٍ يَضِيرُهَا  
فَالِئِكَ نَفْسٌ بَعْدَهَا تَسْتَعِيرُهَا<sup>(١)</sup>

[ قال المرتضى ] رضى الله عنه ولى في معنى قول ابن مطير - وقد تفرد الدنيا -

والبيت الذى بعده من جملة قصيدة

وَكَيْفَ آتَسُّ بِالذَّنْبِ وَأَوْلَسْتُ أَرَى  
نَصَبُوا إِلَيْهَا بِأَمَالٍ عُجْبِيَّةٍ  
إِلَّا أَمْرًا قَدْ تَعَرَّى مِنْ عَوَارِيهَا  
كَأَنَّا مَا نَرَى عَجَبِي أَمَانِيهَا  
فِي وَحْشَةِ الدَّارِ مِمَّنْ كَانَ يَسْكُنُهَا  
لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا قَلْبِي لَهَا وَطَنُ  
وَقَدْ رَأَيْتُ طُلُوعًا مِنْ مَمَانِيهَا  
كُلُّ أَعْتِبَارٍ لِمَنْ قَدْ ظَلَّ بِأُورِيهَا

•• وأخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال أنشدنا علي بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد

ابن يحيى نعلب للحسين بن مطير

لَقَدْ كُنْتُ جَلْدًا قَبْلَ أَنْ تُوَقِّدَ النَّوَى  
وَلَوْ نُزِجَتْ نَارُ الْهَوَى لَتَصَرَّمَتْ  
عَلَى كَبْدِي نَارًا بَطِينًا خَمُودُهَا  
وَلَكِنْ شَوْقًا كُلَّ يَوْمٍ يَزِيدُهَا  
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي  
فَقَدْ جَعَلْتِ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا  
عِبَادُ الْهَوَى تُؤَلِي بِشَوْقٍ يُعِيدُهَا  
بِمُرْتَجَبَةِ الْأَرْدَافِ هَيْفَ خُصُورُهَا  
إِذَا قَدِمْتَ أَحْزَانُهَا وَعَهْوُهَا

عَذَابُ ثَنَائِهَا عِجَابٌ قِيُودُهَا<sup>(٢)</sup>

(١) - يقول ان النفس لا تعيل بطبعها الا الى الشرور فمن اطاع نفسه واناها مشتهاها

وقع في شرور كثيرة وقادته الى ما يضره

(٢) - مرتجة الاردا ف- يريد ان اردافها ضخمة فهي اذا تحركت اضطربت اردافها

- وهيف- جمع هيفاء وهي الدقيقة الخصر الضامرة البطن- وعجاف- جمع عجناء وهي النخيفة وهذا الجمع شاذ فان افعال وفعلاه لا يجمع على فعال الا انهم بنوه على سنان

يعنى انها عجاف الثنات وأصول الاسنان وهي قيودها .. قال أبو العباس ثعلب عجاف  
بالخفص لحن لانه ليس من صفة النساء وسبيله أن يكون نصباً لانه حال من الثنايا  
مُخَصَّرَةٌ الْأَوْسَاطِ زَانَاتٌ عُهُودُهَا      بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيْنَتْهُ عُهُودُهَا  
وَصَفْرٌ تَرَاقِيهَا وَحُمْرٌ أَكْفُهَا      وَسُودٌ نَوَاصِيهَا وَيَبِضٌ خُدُودُهَا

وصف التراقي بالصفرة من الطيب وحمرة أكفها من الخضاب

يُمَيِّنِنَا حَتَّى تَرَفَّ قُلُوبُنَا      رَفِيفَ الْخُرَامِي بَاتَ طَلٌّ بِجُودُهَا

أخذ .. قوله مخصرة الأوساط البيت من قول مالك بن أسماء بن خارجة

وَتَزِيدِينَ طَيْبَ الطَّيِّبِ طَيْبًا      إِنْ تَمَسَّيْهِ أَيْنَ مِثْلِكَ أَيْنَا

وَإِذَا الدَّرْزَانُ حَسُنَ وَجُوهُ      كَانَ لِلدَّرِّ حُسْنٌ وَجْهَكَ زَيْنَا

وروى أبو تمام الطائي في الحماسة بعض الأبيات الذي ذكرناها للحسين بن مطير وروى  
له أيضاً وشبهه أن يكون الجميع من قصيدة واحدة

وَكُنْتُ أُذَوِّدُ الْعَيْنَ أَنْ تَرْدَ الْبُكَاءِ      فَمَذُورَدَتِ مَا كُنْتُ عَنْهُ أُذَوِّدُهَا

هَلْ اللَّهُ عَافٍ عَن ذُنُوبٍ تَسَلَّقَتْ      أَمْ اللَّهُ إِنْ لَمْ يَعْفُ عَنْهَا مَعِيدُهَا

وأشد أبو محكم لابن مطير

قَضَى اللَّهُ يَا أَسْمَاءُ أَنْ لَسْتُ بَارِحًا      أَحْبَبُّكَ حَتَّى يَفْمِضَ الْعَيْنَ مُمْغِضُ

وَحُبُّكَ بَلَوَى غَيْرَ أَنْ لَا يَسْرُنِي      وَإِنْ كَانَ بَلَوَى أَنِّي لَكَ مُمْغِضُ

إِذَا أَنَارَضْتُ النَّفْسَ فِي حُبِّ غَيْرِهَا      أَتَى حُبِّهَا مِنْ دُونِهَا يَتَرَضُ

فِيَا لَيْتَنِي أَقْرَضْتُ جَلْدًا صَبَابَتِي      وَأَقْرَضَنِي صَبْرًا عَلَي الشُّوقِ مَقْرَضُ

لأنهم قد يتنون التوق على ضده كقولهم عدوة بالهاء لمكان صدقة وعجاف لا مانع من  
جمهله صفة للمرأة وان انكره ثعلب

ويشبه أن يكون أخذ قوله إذا أثارُضت النفس في حب غيرها من قول رجل من قزارة  
 وأعرضُ حتى يحسبَ الناسُ أننا  
 ولكن أروضُ النفسَ أنظرُهل لها  
 أو من قول نصيب

وإني لأستحي كثيراً وأتقي  
 وأندُرُ بالهجرانِ نفسي أروضها  
 عدواً وأستبقي المودةَ بالهجرِ  
 لأعلم عندَ الهجرِ هل لي من صبرِ

ويشبه أن يكون أخذه • قوله فياليتني أقرضت جلدأ صباي البيت من قول بعض العرب  
 رمى قلبه البرقُ الملالِي رميةً  
 فهل من ممين طرفَ عينِ خليةٍ  
 وللحسين في هذا المعنى مارواه المبرد

ولي كبدٌ مقروحةٌ من يبيعني  
 أبا الناسِ ويب الناسٍ لا يشترُونها  
 بها كبدًا لئنست بذاتِ قروحِ  
 ومن يشترِي ذاعلةً بصحيحِ

وأخذ العباس بن الأحنف هذا المعنى فقال

من ذا يُعيرُك عينه تبكي بها  
 أرايتَ عيناً للبكاءِ تُعازُ

وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أبو عبد الله الحكيم قال حدثني يموت بن المزروع قال  
 حدثنا محمد بن حميد قال كنا عند الأصمعي فأنشده رجل أبيات دُرِعبِل

أين الشبابُ وأية سلكا  
 لا أعجبي يا سلمُ من رجلٍ  
 لا أين يُطلبُ طَلٌ بل هلكا  
 ضحك المشيبُ برأسه فبكي

(١) - يقول انه يريد عيناً غير عاشقة لينظر بها الى ديار أحبته فان طرفه مجروح  
 سقيم من العشق لا يستطيع أن ينظر به

أَسْلَمَ مَا بِالشَّيْبِ مَنْقُصَةٌ      لَا سُوْفَةً تُبْقِي وَلَا مَلِكَا  
 قَصَرَ الْفَوَايَةَ عَنْ هَوَى قَمَرٍ      وَجَدَ السَّبِيلَ إِلَيْكَ مُشْتَرَكَا  
 يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ يَوْمَكُمَا      يَا صَاحِبِي إِذَا دَمِي سَفِكََا  
 لَا تَأْخُذَا بِظِلَامَتِي أَحَدًا      قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي أَشْتَرَكَا

قال فاستعسها كل من في المجلس وأكثر التعجب من قوله - ضحك المشيب برأسه فبكي - فقال الأصمعي انما أخذ قوله هذا من ابن مطير في قوله

أَيْنَ أَهْلُ القِيَابِ بالدَّهْنَاءِ      أَيْنَ جِيرَانِنَا عَلَى الْأَحْسَاءِ  
 جَاوَرُونَا وَالْأَرْضُ مُلْبَسَةٌ      نَوْرَ الْأَفَاحِي تُجَادُّ بِالْأَنْوَاءِ (١)  
 كُلُّ يَوْمٍ بِأَفْجُونٍ جَدِيدٍ      تَضْحَكُ الْأَرْضُ مِنْ بُكَاءِ السَّمَاءِ

وقد أخذه أيضاً مسلم بن الوليد صربيع الغواني في قوله

مُسْتَعْبِرًا يَبْكِي عَلَى دِمَّةٍ      وَرَأْسَهُ يُضْحَكُ فِي الشَّيْبِ

•• [قال المرتضى] رضى الله عنه ولا في الحجة نصيب الأصغر مثل هذا المعنى وهو قوله

فَبِكِي النِّعَامُ بِهِ فَأَصْبَحَ رَوْضُهُ      جَدْلَانِ بِضْحَاكِ بِالْحَمِيمِ وَزَهْرُهُ

ولا بن المعتز مثله

أَلَحَّتْ عَلَيْهِ كُلُّ طَحِيَاءٍ دِيمَةٌ      إِذَا مَا بَكَتْ أَجْفَانُهَا ضَحِيكَ الزَّهْرُ

ولا بن دريد مثله

تَبَسَّمَ الْمَرْثُ وَأَنْهَلَتْ مَدَامِعُهُ      فَأَضْحَكَ الرَّوْضَ جَفْنُ الضَّاحِكِ الْبَاكِ

(١) - الدهناء - أرض من منازل تميم بنجده تسعة اذا أخضبت ربت العرب جميعا

لسعتها - والاحساء - ماء نقي و يروى البيت الاول

أين جيراننا على الاحساء      أين جيراننا على الاطواء

وَعَاذَلِ الشَّمْسَ نَوْرٌ ظَلٌّ يَلْحَظُهَا بَعِينٌ مُسْتَعْبِرٌ بِالذَّمْعِ ضَحَّاكٌ  
 وروى عن أبي العباس المبرد انه قال أخذ ابن مطير . . تضحك الأرض من بكاء السماء  
 من قول دكين الزاجر

جَنَّ النَّبَاتُ فِي ذُرَاهَا وَزَكِي وَضَحَكَ الْمُرْنُ بِهِ حَتَّى بَكَى



مجلس آخر ٣٣

[ تأويل آية ] . . إن سألت عن قوله تعالى ( فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الأبواب ) . . الجواب قلنا قد ذكر وجهان مطابقان للعلم . . أحدهما أن يكون الراسخون في العلم معطوف على اسم الله تعالى فكأنه قال وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم وأنهم مع علمهم به يقولون آمنا به فوقع قوله يقولون آمنا به في موقع الحال والمعنى أنهم يعلمونه قائلين آمنا به كل من عند ربنا وهذا في غاية المدح لهم لأنهم إذا علموا ذلك بقلوبهم وأظهروا التصديق به على ألسنتهم فقد تكاملت مدحتهم ووصفهم بأداء الواجب عليهم . . والحجة لمن ذهب إلى ما بيناه والرد على من استبعد عطفه على الأول وتقديره أن يكون قوله يقولون آمنا بالله على هذا التأويل لا ابتداء له مثل قوله ( ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى أفوه وللرسول ولذی القربی ) إلى قوله ( شديد العقاب ) فذكر جملة ثم تلاها بالتفصيل وتسمية من يستحق هذا الشيء فقال ( للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يتبعون فضلا من الله ورضوانا ) إلى قوله الصادقون وقال في الذين تبوءوا الدار والایمان فهم الأنصار يحبون من هاجر إليهم ويؤثرون على أنفسهم وقال فيمن جاء بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان فهذه الآيات تدل على أنه لا ينكر في آية الراسخون في العلم أن يكون قوله يقولون آمنا به حالا مع العلم بتأويله

المتشابه فلو أشكل شيء من ذلك لما أشكل قوله والذين هاجروا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخوانتنا في موافق لقوله والراسخون في العلم يقولون آمناً به فإن الصورتين واحدة •• وما يستشهد به على ذلك من الشعر قوله يزيد بن مفرغ في عبد له كان يسمي برداً باعه<sup>(١)</sup> ثم ندم عليه

(١) قلت كان من حديث يزيد في بيعه غلامه برداً أنه كان صاحب زياد بن أبي سفيان فلم يحمده وأتى ابنه عبادة فرأى منه ما يكره وكان عبادة طويل اللحية عريضاً فركب ذات يوم وابن مفرغ معه في موكبه فهبت ريح فنفشت لحيته فقال ابن مفرغ

ألا ليت الهبي كانت حشيشاً فترعاها خيول المسلمينا

فباغ ذلك عبادة فخذ عليه وجفاه فقال ابن مفرغ

ان تركي ندى سعيد بن عثمان نقي الجود ناصري وعديدي

واتباعي اخا الرضاعة والواؤم لنقص وقوت شأؤي بعيدي

قلت والليل مطبق بعصراء ليتني مت قبل ترك سعيد

يريد سعيد بن عثمان بن عفان فإنه استصحب يزيداً هذا حين ولي خراسان فلم يصحبه وعدل عنه الى زياد فلما قال ذلك أخذ عبد الله بن زياد خفيه وعذبه وسقاه الزيد في التبيذ وحمله على بعير وقرن به خنزيرة وأم شاه بطنه مشياً شديداً فكان يسيل ما يخرج منه على الخنزيرة فتصى فكلها صامت قال ابن مفرغ

ضجعت سمية لأمسها القرن لا تجزي إن شر الشيمة الجزع

وسمية أم زياد •• ثم ان عبدة الله بن زياد دس إليه قوماً يقتضونه ويستعدون عليه فأمر ببيع ما وجد له في اعطائه غرمائه فكان فيما بيع له غلام يقال له برد يعدل عنده ولده وجارية يقال لها الاراكة فقال في يزد الايات التي ذكرها صاحب الكتاب وقال في الاراكة وفيه

يا برد مامسنا دهر أضربنا من قبل هذا ولا بعناله ولدا

أما الاراكة فكانت من محارمنا عيشاً لذيقاً وكانت جنة رغدا

لولا الدعي ولولا ما تعرض لي من الحوادث ما قارقها أبداً

وَسَرَّيْتُ بُرْدًا لِيَتَنَى  
 مِنْ تَعْدِيرِ دِكْنَتِ هَامَةَ  
 أَوْ يَوْمَةً تَدْعُو صَدَا  
 بَيْنَ الْمُشَقَّرِ فَأَلِيَامَةَ  
 الرِّيحِ تُبْكِي شَجْوَهَا  
 وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ فِي النَّامَةِ

فعطف البرق على الريح ثم اتبعه بقوله يلمع فكأنه قال والبرق أيضاً يبكيه لامعاً في غمامه أي في حال لعمانه ولو لم يكن البرق معطوفاً على الريح في البكاء لم يكن للكلام معنى ولا قائدة . . ويمكن أيضاً على هذا الوجه مع عطف الراسخين على ما تقدم وأنبأت العلم بالمشابهة لهم أن قوله يكون يقولون آمناً به استئناف جملة استغنى فيها عن حرف العطف كما استغنى في قوله يقولون ثلاثة وأبعثهم كلهم - ونحو ذلك مما للجملة الثانية فيه التباس في الجملة الأولى فيستغنى به عن حرف العطف ولو عطف بحرف العطف كان حسناً ينزل الملتبس منزلة غير الملتبس . . والوجه الثاني في الآية أن يكون قوله والراسخون في العلم مستأنفاً غير معطوف على ما تقدم ثم أخبر عنهم بأنهم يقولون آمناً ويكون المراد بالتأويل على هذا الجواب المتأول لأنه قد يسمى تأويلاً قال تعالى (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله) المراد بذلك لا محالة التأويل والتأويل الذي لا تعلمه العلماء وإن كان تعالى عالماً به كمنحو وقت قيام الساعة ومقادير الثواب والعقاب وصفة الحساب وتعيين الصغائر إلى غير ذلك فكأنه قال وما يعلم تأويله جميعه على المعنى الذي ذكرناه إلا الله والعلماء يقولون آمناً به وقد اختار أبو علي الجبائي هذا الوجه وقواه وضحف الأول بأن قال قول الراسخين في العلم آمناً به كل من غند ربنا دلالة على استسلامهم لأنهم لا يعرفون تأويله المشابه كما يعرفون تأويله المحكم ولأن ما ذكره من وقت القيامة ومن التمييز بين الصغائر والكبائر هو من تأويله القرآن إذ كان داخلاً في خبر الله والراسخون في العلم لا يعلمون ذلك . . وليس الذي ذكره بشئ لأنه لا يمتنع أن يقول العلماء مع علمهم بالمشابهة آمناً به على الوجه الذي قدمنا ذكره فكيف يظن أنهم لا يقولون ذلك إلا مع فقد العلم به وما المنكر من أن يظهر الإنسان بلسانه الإيمان بما يعلمه ويحققه فأما قوله ولأن ما ذكرناه من تأويله القرآن فذلك إنما يكون تأويلاً للقرآن إذا حملت هذه اللفظة على التأويل

لا على الفائدة والمعنى وأما إذا حملت على أنه وما يعلم معنى التشابه وفائدته إلا الله فلا بد من دخول العلماء فيه وليس يمكنه أن يقول أن حمل التأويل على المتأول أظهر من حمله على المعنى والفائدة لأن الأمر بالعكس من ذلك بل حمله على المعنى أظهر وأكثر في الاستعمال وأشبه بالحقيقة على أنه لو قيل أن الجواب الأول أقوى من الثاني لكان أولى من قوله من قبله أنه لو كان المراد بالتأويل المتأول لا الفائدة والمعنى لم يكن لتخصيص التشابه بذلك دون المحكم معنى لأن في متأول المحكم كاختباره عن الثواب والعقاب والحساب مما لا شبهة في كونه محكماً ما لا يعرف تفصيله وكنهه إلا الله تعالى فأى معنى لتخصيص التشابه والكلام يقتضى توجهه نحو التشابه الأخرى إلى قوله (وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) يخص التشابه بالذكر والأولى أيضاً أن يكون المراد بلفظة تأويله الثانية هو المراد بلفظة تأويله الأولى وقد علمنا أن الذين في قلوبهم زيغ إنما اتبعوا تأويله على خلاف معناه ولم يطلبوا لتأويله الذى هي متأوله والوجه الأول أقوى وأرجح . . . ويمكن في الآية وجه ثالث لم نجدهم ذكروه على أن يكون قوله والراسخون في العلم مستأنفاً غير معطوف ويكون المعنى وما يعلم تأويل التشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل إلا الله وهذا صحيح لأن أكثر التشابه قد يحمّل الوجوه الكثيرة المطابقة للحق الموافقة لأدلة العقول فيذكر المتأول جيمعاً ولا يقطع على مراد الله منها بعينه لأن الذى يلزم مثل ذلك أن يعلم في الجملة أن لا يرد من المعنى ما يخالف الأدلة وإن قد أراد بعض الوجوه المذكورة المتساوية في الجواز والموافقة للحق وليس في تكليفنا أن نعلم المراد بعينه وهذا مثل الضلال والهدى الذين تبين احتمالهما لوجوه كثيرة منها ما يخالف الحق فنقطع على أنه تعالى لم يرددها ومنها وجوه تطابق الحق فنعلم في الجملة أنه قد أراد أحدها ولا نعلم المراد منها بعينه وغير هذا من الآى التشابه فإن أكثرها يحمّل وجوهاً والقليل منها يختص بوجه واحد صحيح ولا يحمّل سواه ويكون قوله تعالى من يمد والراسخون في العلم يقولون آمناً به أى صدقنا بما علمه مجملًا ومفصلاً من المحكم والتشابه وأن الكل من عند ربنا وهذا وجه واضح . . . أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا محمد بن أبي الأزهر قال (١٣ - أمالي في)

أشدنا محمد بن يزيد لأبي حبة الخبيري وهي أبيات مختارة

وخبرك الواشون أن لا أحبكم  
أصدُّ وما الصدُّ الذي تعرّفينه  
حياءً وبنياً أنت أشيح تميمه  
وإنّ دماً لو تعلمين جنيته  
أما إنه لو كان غيرك أزلت  
ولكنه والله ما طلّ مسلماً

قال نعلب - الملامح - ما حول الفم .. وقال المبرد واضحات الملامح يريد العوارض

.. ووقوله - ما طلّ مسلماً - أي أبطل دمه

إذا هن ساقطن الحديث حبيته  
سقوط حصي المرحان من سلك ناظم  
ويروي ساقطن الأحاديث لافتي .. ويروي أيضاً ساقطن الحديث كأنه

رَمِينَ فَأَقْصَدَنَّ الْقُلُوبَ فَلَا تَرَى  
دماً ما تراه إلا جوى في الحيازم

[قال سيدنا رضي الله عنه] .. ومن مستحسن ما مضى في هذه القصيدة قوله

كَأَنَّ لَمْ أَبْرَحَ بِالْمَيْوَنِ وَأَقْتَتَلِ  
بِتَفْتِيرِ أَبْصَارِ الصَّحَاحِ السَّقَاتِمِ<sup>(١)</sup>

ولم أله بالحديث الألف الذي له  
غداً لم يجر من فار اللطائم<sup>(٢)</sup>

(١) - أبرح - من برج به الأمر إذا لقي منه شدة والبرح الشدة - وتفتير - من

الفتور وهو انكسار العين - والسقائم - جمع سقيمة وهي المريضة ولم يرد أنها سقيمة  
من مرض وإنما أراد أن بها من الضعف والفتور ما بالمرضى وإن لم تكن مريضة

(٢) - الحديث - الصغير السن - والألف - العظيم الفمخزين - والغدا - جمع

غديرة وهي الخصلة من الشعر - والفار - جمع فأرة يريد فأرة المسك - واللطائم - جمع  
لطيمة وهي المسك

إِذَا اللَّهُ يُطِيبُنِي وَإِذَا اسْتَمِيلُهُ بِمَحْلُولِكَ الْفُؤَادِ بْنِ وَحْفِ الْمَقَادِمِ (١)  
وَإِذَا أَنَا مُتَقَادٌ لِكُلِّ مُقَوِّدٍ إِلَى اللَّهِ حَلْفِ الْبَطَالَاتِ آخِرِ

وروى ابن حبيب مفقود ومعنى - حلاف البطالات - أى حلاف في البطالات

مُبِينُ الْمَطَايَا مُتْلَفٌ غَيْرَ أَنِّي عَلَى هَلَاكِ مَا أَتْلَفْتُهُ غَيْرَ نَادِمٍ.

أَرَى غَيْرَ يَوْمِي الْخَسِيسَ وَإِنْ عَلَا بِي اللَّوْمُ لَمْ أَحْفَلْ مَلَامَةً لِأَنَّمِ

- غير يومى الخسيس - أى أحب يومى الى الذى هو أخص عند أهل الرأى والمقل .  
وأنشده أبو اسحاق ابراهيم بن سيف بن الزيايدي لأبى حية واسمه هيثم (٢) بن الربيع

تَرَحَّلَ بِالشَّبَابِ الشَّيْبُ عَنَّا فَلَيْتَ الشَّيْبُ كَانَ بِهِ الرَّحِيلُ

وَقَدْ كَانَ الشَّبَابُ لَنَا خَلِيلاً فَقَدْ قَضَى مَا رَبَّهُ الْخَلِيلُ

لَعَمْرُ أَبِي الشَّبَابُ لَقَدْ تَوَلَّى حَمِيدًا مَا يُرَادُ بِهِ بَدِيلُ

(١) - يطيبنى - يستميلنى - والمحلولك - الحلاك اللون أى الذى لونه أسود  
- والفؤاد - ثنية فؤد وهو معظم شعر الرأس مما يلى الأذن وناحية الرأس - والوحف -  
الشعر الكثير الأسود - والمقاديم - جمع قادمة وهو الناصية

(٢) قلت ذكره بعض الأدباء فقال كان أبو حية يروي عن الفرزدق وكان كذاباً  
قال يوماً رميت ظبية فلما خرج السهم ذكرت بالظبية حبيبة لى فشددت خلف السهم  
حتى أخذت بفنوده . وكان جباناً قال جاره اطلعت عليه يوماً ويده سيفه قد انتضاء  
يسمى لعاب النية ليس بينه وبين الخشب فرق وهو واقف على باب داره يقول إياها  
أيها المغتر بنا والمجترى عايننا بشئ والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل لعاب  
النية الذى سمعت به ضربته لا تخاف نبوتها أخرج بالفعو عنك لأدخل بالعقوبة عليك  
أني والله إن أدع قيساً تملأ الأرض خيلاً ورجلاً باسبحان الله ما أكثرها وأطيبها ثم  
فتح الباب فإذا كلب قد خرج فقال الحمد لله الذى مسخك كلباً وكفانا حرباً

إِذِ الْأَيَّامِ مُقْبِلَةٌ عَلَيْنَا      وَظِلُّ أَرَاكِجِ الدُّنْيَا ظَلِيلٌ  
وَأُنشد المبرد قال أنشدنا أبو عثمان المازني لأبي حية

زَمَانَ الصَّبَا لَيْتَ أَيَّامَنَا      رَجَعْنَا لَنَا الصَّالِحَاتِ النَّصَارَا  
زَمَانَ عَلَى غُرَابٍ غُدَافٌ      فَطِيرُهُ الدَّهْرُ عَنِّي فَطَارَا  
فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ ذَاكَ الْغُرَابِ      وَإِنْ هُوَ لَمْ يَبْقِ إِلَّا أَدْكَارَا  
كَأَنَّ الشَّبَابَ وَلَذَاتِهِ      وَرَيْقَ الصَّبَا كَانَ ثَوْبًا مَعَارَا  
وَهَارِثَةُ ابْنِ رَأْتٍ لَمَتِي      تَلَفَعَ شَيْبٌ بِهَا فَاسْتَدَارَا  
وَقَلَّدَنِي مِنْهُ بَعْدَ الْخَطَامِ      عِدَارًا فَمَا اسْتَطِيعَ اعْتِدَارَا  
أَجَارَتْنَا إِنَّ رَبَّ الزَّمَانِ      قَبْلِي نَالَ الرِّجَالَ الْخِيَارَا  
فَأِمَّا تَرَى لَمَتِي هُكْدَا      فَاسْرَعَتْ فِيهَا لِشَيْبِي النَّفَارَا  
فَقَدْ أَرْتَدِي وَحَفَّةَ طَلَّةٍ      وَقَدْ أَبْرَزُ وَالْقَتِيَاتِ الْخِفَارَا

أما قوله - على غراب غداف - فأراد به الشباب والشعر الأسود . وبشبه أن يكون مأخوذاً  
من قول الأعمش

وَمَا طَلَابُكَ شَيْئًا لَسْتُ تُذْرِكُهُ      إِنْ كَانَ عَنْكَ غُرَابُ الْجَهْلِ قَدْ وَقَمَا  
ولأبي حية من قصيدة أولها

أَلَا يَا اسْلَعِي أَطْلَالَ خَنَسَا وَأَنْعِي

وَخَنَسَا مِنْهَا صَوَاحِبِ الْوِشَاحِينَ مَشِيهَا      إِلَى الدُّوْحِ أَقْتَارُ خُطْيِ الْمُتَجَشِّمِ<sup>(١)</sup>

(١) قوله - محماس الوشاحين - أي هيفاء والوشاح تنية وشاح وهو أديم صريض يرسمه المرأة  
بالجوهر فتشده بين عاتقها وكسحها فإذا قالوا محماس الوشاح أو غرني الوشاح أرادوا أنها

أَلَمَّا بَسَلَنِي قَبْلَ أَنْ تَزِيَّ النَّوِي  
يَقِفُ عَاشِقًا لِمِ يَبْقُ مِنْ رُوحِ نَفْسِهِ  
فَقُلْنَ لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكَ لَا يَرُخ  
فَأَلَقَتْ قِنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ وَأَتَقَتْ  
بِنَافِذَةِ نَبْضِ الْفَوَادِ الْمُتِمِّمِ  
وَلَا عَقْلَهُ الْمَسْلُوبِ غَيْرُ التَّوَهُمِ  
صَحِيحًا فَإِنْ لَمْ تَقْتُلِهِ فَأَلْمِي  
بِأَحْسَنِ مَوْصُولِينَ كَفِّ وَمِعْصَمِ

وهذا البيت الأخير مأخوذ من قول النابغة

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تَرُدِّ إِسْقَاطَهُ  
فَتَنَاوَلْتَهُ وَأَتَقْتَنَا بِالْيَسَدِ<sup>(١)</sup>

وانتوله - وكان لها سرّاً فديناك لا يرخ - خبرٌ وهو ما أخبرنا به أبو الحسن علي بن محمد  
الكتاب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الباقطاني قال اتصل بعبيد الله بن  
سليمان بن وهب أمر علي بن العباس الرومي وكثرة مجالسته لأبي الحسين القاسم ابنه  
وسمع شيئاً من أهاجبه فقال لأبي الحسين قد أحببت أن أرى ابن روميك هذا فدخل  
يوماً بعبيد الله إلى أبي الحسين وابن الرومي عنده فاستمشده من شعره فأنشده وخطابه  
فراه مضطرب العقل جاهلاً فقال لأبي الحسين بينه وبينه أن لسان هذا أطول من عقله  
ومن هذه صورته لأن آمن عقاربه عند أول عتبٍ ولا يفكر في عاقبته فأخرجه عنك  
فقال أخاف حينئذ أن يعلن ما يكتمه في دولتنا وبذيعه في تمكنا فقال يا بني إني لم أرد  
بإخراجك له طرده فاستعمل فيه بيت أبي حبة النخري

هيفاء محل الوشاح - وأفتار - من أفتار في النفقة إذا ضيق فيها - والمتجشم - المتكاف  
للتؤم ٠٠ يقول أنها تمني متى إدلال كما يمتو، من لا يستطيع المشي

(١) - النصيف - المئزر - وأتقتنا باليد - أي حالت بيننا وبين النظر إليها بوضهما  
معصما على وجهها يصف بذلك المتجردة امرأة النعمان بن النضر وكان النابغة يجلس إلى  
النعمان ويناديه فدخلت المتجردة يوماً على النعمان وعنده النابغة وهي لا تعلم بمكانه فلما  
وقع بصرها عليه اضطربت واستحييت وسقط مئزرها فتناولته بيدها وسدت وجهها  
باليد الأخرى ويقال أنها وضعت معصما على وجهها فستره فلم يستبين منه شيء

فَقُلْنَا لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكَ لِأَيْرُخَ سَلِيمًا وَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَالْمِمْي

حدث القاسم ابن فراس بما جرى وكان أعدى الناس لابن الرومي وقد هجاه باهاج قبيحة فقال له الوزير أهنه الله أشار بان يتعال حتى يستراح منه وأنا أكفبك ذلك فسمه في الحشكنانج فأت ٠٠ قال الباقطاني والناس يقولون ما قتله ابن فراس وإنما قتله عبيد الله ٠٠ قال ابن الرومي لما رجع الى داره وقد دب السم في أعضائه شعرأ

أَشْرَبُ الْمَاءَ إِذَا مَا تَلْتَهَبُ نَارُ أَحْشَائِي لِإِطْفَاءِ النَّهَبِ  
فَأَرَاهُ زَائِدًا فِي حُرْفَتِي فَكَانَ الْمَاءُ لِلنَّارِ حَطَبًا

وذكر محمد بن يزيد المبرد قال مما يفضل لنخلة من التكليف وسلامته من التزبد وبعده من الاستعانة قول أبي حبة

رَمَتْنِي وَسَتَرُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا عَشِيَّةَ آرَامِ السِّكِنِاسِ رَمِيمُ  
أَلَا رَبُّ يَوْمَ لَوَزَمْتَنِي رَمِيَّتَهَا وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنِّضَالِ قَدِيمُ

[ قال المرتضى ] رضى الله عنه وقد روى هذان البيتان لنصيب في غير رواية المبرد قال المبرد يقول رميتى وأصابنى بمحاسنها ولو كنت شابا لرمت كما رمت وفنات كما فننت ولكن عهدي قد تطاول بالشباب وهذا كلام واضح ٠٠ وأما الاستعانة فهي أن يدخل في الكلام ما لا حاجة بالاستمع اليه ليصحح وزنا أو انظما ٠٠ قال وما يختار من قول أبي حبة أيضا

أَلَا حَيٌّ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَغَانِيَا لَبَسْنَ الْبِلِيَّ مِمَّا لَبَسْنَ اللَّيَالِيَا<sup>(١)</sup>  
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمًا وَوَلِيَّةٌ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمْلُ التَّقَاضِيَا

(١) قوله من أجل الحبيب - روى بدله من بعد الحبيب - والمغاني - جمع مغنى وهو المنزل الذي غنى به أهله ثم ظمنوا عنه وقوله - لبسن البلى - يريد أن طول العهد واختلاف العصرين عليها أخلق جودتها وطمس رسومها

وقال ان أحسن ما وصف به المسواك قول أبي حية

لقد طال ما أعيتت راحلة الصبا  
وذاويت قروح القلب منهن بالنا  
وسافيتني كأس الهوى وسقيتها  
وخصصانه تفتت عن متضد  
وعللت شيطان الغوي المشوق  
وباللحظ لو تبدلته المتسرق  
رفاق الثنايا عذبة المتريق  
كنور الأفاحي طيب المتدوق

وبروي عن منسق بمعنى نقرأ على نسق واحد لا اختلاف فيه

أذا مضت بعد امتناع من الضحى  
سقت شمت المسواك ماء غمامة  
أنا ييب من عود الأراك المخلق  
فضيضاً يجز طوم المدام المروق

الامتناع - الارتعاع يقال متع النهار وأمتع إذا طال - والحلق - الذي علق به الخلق  
والطيب من يدها ٠٠ وقال بعضهم عن الخلق المملس - والفضيض - الذي سال من  
الغمامة أي كاه فض - والحروطوم - سلاف الخمر وهو أول ما يخرج من غير عصر ولادوس  
وإن ذقت فاهابعد ما سقط الندى بمطفي بجنداق رداح المنطق

البعنداق - الضغمة - والرداح - العظيمة الأرداف

شمت الرار الطل غب هميمه  
ونور الخزامى في الندى المترق

العرار - بهار البر - والطل - الفضة الطري - والهميمة - مطر لين ٠٠ وأخبرنا المرزباني

قال حدثني علي بن هارون بن علي قال سمعت أبي وقد ذكر قول أبي حية

نظرت كأني من وراء زجاجة  
بمينين طورا يرقان من البكا  
الى الدار من قرط الصباية أنظر  
فأعشى وطورا يجسران فأبصر

فقال لو اعترضني ملك تجب طاعته ويلزم الاتقياء لأمره فقال أي شعر أجود وأولى  
بان يستحسن ولم يفسح لي في أن أميز المدح من الفخر والهجاء من التشبيب وسائر أصناف  
الشعر ومذاهب الشعراء فيه لما عدت عن هذين البيتين ٠٠ ويقال ان أبا أحمد جيب

الله بن عبد الله بن طاهر أجاز بيني أبي حية هذين بقوله  
 فَلَا مِقْلَتِي مَا غَامَرَ الْمَاءَ تَجَلَّى وَلَا دَمْعَتِي مِنْ مُكْمِدِ الْوَجْدِ تَقَطَّرُ  
 وَلَا بِي حِيَّة

مِنَ الْمَكِيَّاتِ الْجِلْدِ حَتَّى كَأَنَّمَا يَسْحُ بِعَيْنَيْهِ الدَّمُوعَ شَعِيبُ  
 -الشعيب- مزايدة من أدبين شغب أحدهما بالآخر

لِيَالِي أَهْلَانَا جَمِيعًا وَحَوَانَا سَوَاتِمُ مِنْهَا رَاحٌ وَغَرِيبُ  
 وَإِذْ يَتَجَنَّبُ الذُّنُوبَ وَمَا لَنَا إِلَيْهِنَّ لَوْلَا وَدُهْنٌ ذُنُوبُ  
 وَلَا بِي حِيَّة

أَصْدُ عَنِ الْبَيْتِ الْحَبِيبِ وَإِنِّي لِأَصْعِي إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي اتَّجَنَّبُ  
 أَزُورُ بِيوتًا غَيْرَهُ وَلَا أَهْلَهُ عَلِي مَاعِدًا عَنْهُمْ أَعَزُّ وَأَقْرَبُ  
 وَقَطَعَ أَسْبَابَ الْمَوَدَّةِ مَعَشَرٌ غَضَابٌ وَهَلْ فِي أَحْسَنِ الْقَوْلِ مُغْضِبُ  
 وَإِن لَانِي يَا أُمَّ عَمْرٍ وَتَمِيمَةَ يَدُبُّ بِهَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَقْرَبُ  
 وَمَا بَيْنَنَا لَوْ أَنَّهُ كَانَ عَالِمًا بِذَلِكَ الْأَلَى يُولُونَ مَا يَتَرْتَبُ  
 حَدِيثًا إِذَا لَمْ يَخْشَ عِيًّا كَأَنَّهُ إِذَا سَاقَطَتْهُ الشَّهْدَةُ بَلْ هُوَ أَطِيبُ  
 لَوْ أَنَّكَ تَسْتَشْفِي بِهِ بِعَدْسِ كَرَةِ مِنْ الْمَوْتِ كَادَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ تَذْهَبُ  
 وَقُلْتُ لَهَا مَا تَأْمُرِينَ فِإِنِّي أَرَى الْبَيْنَ أَذَى رَوْعُهُ يَرْقُبُ

قال محمد بن يحيى الصولي ولا أحسبه في قوله لو أنك تستشفى به بعد سكرة إلا تتبع  
 قول نوبة بن الحميز

لَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلِيَّ وَدُونِي جَنْدَلًا وَصَفَاحُ  
 سَلَّمَتْ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ زَقَى الْيَهَا صِدْيَ مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَاحُ

[ قال المرتضى ] رضى الله عنه وأوّل من سبق الى هذا المعنى فأحسن الأعتى في قوله  
 غَهْدِي بِهَا فِي الْحَيِّ قَدْ دَرَّ عَتْ صَفْرَاءَ مِثْلَ الْمُهْرَةِ الضَّامِرِ  
 لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتًا إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ  
 حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا وَعَجِبًا لَيْتَ النَّسَاشِرِ

ومعنى الناشر المنشور يقال أنشر الله الميت فنشره وهو ناشر بمعنى منشور مثل ماء دافق  
 فهو مدفوق ٠٠ وقال بعض أصحاب المعاني ان الجارية التي وصفها أيضاً هي ميتة بمعنى  
 أنها ستموت فيكون المعنى ان الناس عجبوا من أن يكون من يموت كيف ينشر الموتى  
 ومن قال هذا أجاز نشر الله الموتى بمعنى أنشر والقول الأول أظهر وما نظن الأعتى  
 عنى غيره

### مجلس آخر ٣٤

[ تأويل آية ] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام  
 ( لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ) ٠٠ فقال لم خمس اليوم بالقول  
 وانما أراد العفو عنهم في جميع مستقبل أوقاتهم ٠٠ الجواب قلنا في هذه الآية وجوه  
 أربعة ٠٠ أوّلها انه لما كان هذا الوقت الذي أشار اليه هو أوّل أوقاته التي كشف فيها  
 نفسه لهم وأطلعهم على ما كان يستره عنهم من أمره أشار الى الوقت الذي لو أراد الانتقام  
 لايتدأ به فيه والذي عنى فيه عنهم لم يراجع الانتقام ٠٠ وثانيها أن يوسف عليه السلام لما  
 قدّم توبيخهم وعدد عليهم قبيح ما فعلوه وعظيم ما ارتكبوه وهو مع ذلك يستر عنهم نفسه  
 ولا يفتح لهم مجاله قال لهم عند تبين أمرهم ( لا تريب عايكم اليوم ) أى قد انقطع عنكم  
 توبيخي ومضى عندي ولائقي عند اعترافكم بالذنب وكان ذكر اليوم دلالة على انقطاع  
 المعاقبة والتوبيخ وعلى ان الأوقات المتصلة باليوم تحرى مجراه في زوال الغضب وتعام  
 ( ١٤ - امالي ن )

العفو وسقوط المواقفة لهم على مسائلهم منهم . . . وثالثها <sup>(١)</sup> ان ذكر اليوم المراد به الزمان والحين فوضع اليوم موضع الزمان كله المشتمل على الليالي والأيام والشهور والسنين كما يقول العربي لغيره قد كنت تستحسن شرب الخمر فاليوم وقتك لتركها ومقنها يريد في هذا الزمان ولا يريد يوماً واحداً بعينه ومثله قد كنت تقصر في الجواب عن فون العلم فاليوم ما يعجزك مسألة ولا تتوقف عن جواب يريد باليوم باقي الزمان كله . . . وقال امرؤ القيس

حَلَمْتُ لِي الخمرُ وَكُنْتُ أُمراً  
عَنْ شُرَيْبِهَا فِي شَعْلِ شَاغِلِ  
فَالْيَوْمُ فَأَشْرَبَ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبِ  
إِنَّمَا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَأَعْلِي <sup>(٢)</sup>

لم يقصد يوماً بعينه . . . ومثله

الْيَوْمَ بِرَحْمَتِنَا مَنْ كَانَ يَغْبِطُنَا  
وَالْيَوْمَ نَتَّبِعُ مَنْ كَانُوا لَنَا تَبَعًا

(١) - قلت هذا هو الجواب الصحيح وايضاح ذلك ان العرب اذا أطلقت الليل فاما يريدون به سواد الليل من حين تغرب الشمس الى طلوع الفجر الثاني واذا أطلقت اليوم فقد تريد به بياض النهار كما اذا قالوا جالست فلانا يوماً وقد تريد به مطلق الوقت أى ساعة من ليل أو نهار كما في قوله صلى الله عليه وسلم تلك أيام الهرج أى وقته وفرقان ما بين ذلك أنهم اذا قرنوا به من الافعال ماله استمرار أرادوا منه بياض النهار كالخلسة والمحادثة ونحوها مما ينوع وقتاً طويلاً واذا قرنوا به من الافعال ما ليس له استمرار بل هو من الافعال الآتية أرادوا به مطلق الوقت وعلى هذا الآية وما استشهد به المصنف من الشواهد الشعرية

(٢) - الواغل - الذي يدخل على القوم وهم يشربون فيشرب معهم من غير دعوة فأما الذي يأتي الولائم من غير دعوة لياكل فيسبحي وارشا ورائنا والناس يسمونه طفيليا نسبة الى طفيل وهو رجل من أهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان كان يأتي الولائم من غير ان يدعي اليها وكان يقول وددت ان الكوفة كلها بركة مصهرجة فلا يخفى على منها شيء

•• وقال لييد

وما الناس إلا كالذباب وأهلها بها يوم حلتوها وغدواً بلا قع

كل ذلك لا يراد بذكر اليوم والفسد فيه الا جميع الأوقات المستقبلية •• ورابعها أن يكون المراد لا تثريب عليكم البتة ثم قال اليوم يغفر الله لكم فتملق اليوم بالغفران وكان المعنى غفر الله لكم اليوم •• وقد ضعف قوم هذا الجواب من جهة ان الدعاء لا ينصب ما قبله •• فأما معنى التثريب فان أبا عبيدة قال ، مناه لا شغب ولا معاقبة ولا إفساد •• وقال الشاعر

فَعَفَوْتُ عَنْهُمْ عَفْوً غَيْرَ مَثْرَبٍ وَتَرَكْتُهُمْ لِمَعْقَابِ يَوْمٍ سَرَّهَدٍ

•• وقال أبو العباس ثعلب يقال ثرب فلان على فلان اذا عدد عليه ذنوبه •• وقال بعضهم وهو ابن مسلم التثريب ، مأخوذ من لفظ الثرب وهو شحم الجوف فكأنه ، موضوع للمبالغة في اللوم والتعنيف والتعصي الى أبعدها

[ تأويل خبر ] •• روى أبو عبيد اللہ قاسم بن سلام عن حجاج عن حماد بن سلمة عن هشام بن حسان وحبيب بن الشهيد عن ابن سيرين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كسب الرمازة •• وقال أبو عبيد قال حجاج الرمازة الزانية وقال مثل هذا مثل حديث الآخر انه نهى عن كسب البغي •• قال أبو عبيد وقال غير حجاج هي الرمازة بتقديم الراء قال وقول حجاج أثبت عندنا لانهم كانوا يكرهون إتيانهم على البغاء فأنزل الله ( ولا تكرر هو فتيتكم على البغاء ان أردن تحصناً لتبتنوا عرض الحياة الدنيا ) قل فالعرض هو كسب البغي الذي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه •• قال أبو عبيد ولا أعلم من أخذت الرمازة غير أبي جدها مفسرة في الحديث •• وقال ابن قتيبة الأمر على ما ذكر أبو عبيد إلا ما أنكره على من زعم انها الرمازة لأن الرمازة هي الفاجرة سميت بذلك لانها ترمز أي توحى بعينها وحاجبها وشفقتها •• قال الفراء ، وأكثر الرموز بالشفقين ومنه قوله تعالى ( أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ) فالرمازة صفة من صفات الفاجرة ثم صار إسماً لها أو كالمصم ولذلك قيل لها

هلوك لانها تنالك على الفراش أو على الرجل ثم صار إسماً لها دون غيرها من النساء وإن تكلمت على زوجها وقيل لها خرنع للينها وثنيها ثم صار ذلك إسماً لها دون غيرها من النساء وإن لانت وثنت ونحوه قولهم للبعير أعلم لشق في مشفره الأعلى ثم صار كالاسم له وكذلك قولهم للذئب أزل للرسخ ثم صار كالاسم له والمرمزة لاتكاد تملن بالكلام انما تومض أو ترمز أو تصفر .. قال الشاعر

رَمَزَتْ إِلَيَّ مَخَافَةً مِنْ بَعْلِهَا      مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْدُوهُنَا كَلَامُهَا

.. وقال الأخطل

أَحَادِيثُ سَدَّهَا ابْنُ حُدْرَاءَ فَرَقَدَتْ      وَرَمَّازَةٌ مَالَتْ لِعَنْ يَسْتَمِيلُهَا

.. وقال الراجز

يَوْمَانِ بِالْأَعْيُنِ وَالْحَوَاجِبِ      إِتْيَاضُ بَرْقِي فِي عَمَاءِ نَاضِبٍ<sup>(١)</sup>

— والعماة الحجاب — والناضب البعيد .. وقال بعضهم انما قيل للفاجرة حبة من القحباب وهو السعال قال وأحسبه أراد أنها تتنحج أو تسعل ترمز بذلك .. قال وبانني عن المفضل انه كان يقول في قول الناس أجبين من صافر انه الرجل يصفر للفاجرة فهو يخاف كل شيء .. وأما الأسمي فانه كان يقول الصافر ما يصفر من الطير وانما وصف بالجبين لانه ليس من الجوارح .. وقال ابن فتيبة ولا أرى القول الا قول المفضل والدليل على ذلك قول الكميث بن زيد الأسدي

أَرْجُولِكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي إِخَائِكُمْ      كَلْبًا كَوْرَهَاءَ تَقْلِي كُلَّ صَفَّارٍ<sup>(٢)</sup>  
لَمَّا أَجَابَتْ صَفِيرًا كَانَ آيَتَهَا      مِنْ قَائِسِ شَيْطَانِ الْوَجَعَاءِ بِالنَّارِ

(١) أنشده في اللسان في مادة زم ربو. من بالعين والحواجب — والمعنى واحد —

(٢) — الورهاء — المرأة الحقاء — وتقل — تكرر — وتبغض — وآيتها — أي علامتها

يريد ان ذلك كان علامة بينها وبين خليتها اذا جاء يريدانها — والوجعاء — الاست — وشيطة — يقولون شيطة فلان اللحم اذا دخنته بالنار ولم ينضجها وشيطة الطاهي الرأس والكرع

وهذه امرأة كان يصف لها رجل فتجيبه فتمثل زوجها به ووصف لها فأنت فتسبها بميمس فلما أعاد الصغير قالت قد قلينا كل صفار تريد انا قد عففنا وأطرحنا كل فاجر .. وقال ابو بكر محمد بن القاسم الانباري والاختيار عندى الزمارة معجزة الزاي على ما قال أبو عبيد لحجيج ثلاث .. احدها عن اجماع اصحاب الحديث على الزمارة .. والحجة الثانية ان الفاجرة سميت زمارة لانها تحسن نفسها وكلامها والزمر عند العرب الحسن .. قال عمرو ابن أحرر الباهلي يصف شراباً وغناه

دَنَانٍ حَسَنَانٍ يَبْنِمَا رَجُلٌ أَجْسٌ غَنَاؤُهُ زَمَرٌ

.. قال الأصمعي معناه غناؤه حسن كأنه زمير داود .. والحجة الثالثة انهم سموا الفاجرة زمارة لمهانتها وقلة ما فيها من الخير من قولهم نهجة زمرة اذا كانت قليلة الصوف ويقال رجل زمر المرؤة اذا كان قليلها .. قال ابن أحرر

مُطَلَّنَفْتًا لَوْنُ الْحَصَى لَوْنُهُ يَحْجُرُ عَنْهُ الذَّرُّ رَيْشُ زَمَرٍ

— المطلقى — الأصوق بالأرض — والذر — النخل — والزمر — القليل .. فسمى البغي زمارة على وجه الذم لها والتعفير لسانها كما قيل لها فاجرة ليلها عن القصد يقال فجر الرجل اذا مال .. قال ليلى

فَإِنْ تَقَدَّمَ تَفَسَّ مِنْهَا مُقَدَّمًا غَلِيظًا وَإِنْ أَخَّرْتَ فَالْكَفَلُ فَاجِرٌ<sup>(١)</sup>  
أي مائل — والكفل — كساه يوضع على ظهر البعير يوقى من العرق .. [قال المرتضى]

اذا أشعل فيهما النار حتى يتشيط ما عليهما من الشعر والصوف ومنهم من يقول شوط (١) قلت قال ليلى ذلك يخاطب عمه أبا مالك وكان وقع بينهما ما يوجب العتب وقبل هذا البيت

فقلت ازدرج أرحاء طيرك واعلمن بانك إن قدمت رجلك عار

فأصبحت أنى تأتها تلتبس بها كلاما مركبها نحت رجلك شاجر

— ازدرج — أزجر — وأرحاء طيرك — أى جوانب طيشك — والشاجر — المختلف

رضى الله عنه ولا أرى لاحدي الروايين على الأخرى رجوعاً لأن كل واحدة منهما قد أتت من جهة من يسكن الى مثله ولكل منهما مخرج في اللغة وتأويل يرجع الى معنى واحد لان الرمازة بالراء غير معجمة يرجع معناها على ما ذكر ابن قتيبة الى معنى الفجور ومن رواها بالزاي المعجمة فللرجوع في معناها الى ذلك أيضاً على الوجهين اللذين ذكرهما ابن الانباري فلا ولي أن يبتنا متساويين ويكون الراوي محيراً بينهم ٠٠٠  
 أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أنشدني محمد بن أحمد الكاتب قال أنشدنا أحمد بن يحيى إنقلب عن ابن الأعرابي للمضرب وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى  
 وما زلت أزجو نفع سلمي وودها  
 وتبعد حتى أبيض مني المسامح  
 وحتى رأيت الشخص يزاد مائة  
 اليه وحتى نصف رأسي واضح  
 علا حاجبي الشيب حتى كأنه  
 ظي الجرت منها سنيح وبارح<sup>(١)</sup>

(١) يقول ان الشيب انتشر في حواجبها فكانه الظباء البيض انتشرت في الصحراء في كل صوب - والسامح - ما ولاك ميامنه - والبارح - ما ولاك ميامره ٠٠٠ قال ابن بري والعرب تختلف في العيافة يعني في التيمم بالسامح وانتشام بالبارح فأهل نجد يتيمنون بالسامح قال ذو الرمة

خابل لا لا قيتا ما حيينا من الطير الا السامحات وأرعدا

وقال النابغة

زعم البوارح ان رحلتنا غدا وبذلك نصاب الغراب الاسود

وقال كثير وهو حجازي يتشام بالسامح

أقول اذا ما الطير مرت مخيفة سوانحها تجرى ولا أستثيرها

هذا هو الاصل ثم قد يستعمل النجدى لامة الحجازي فن ذلك قول عمرو بن قبيصة

وهو نجدى

فبين على طير سنيح نحوسه واشام طير الزاجرين سنيحها

وهزة أظمان عليهن بهجة  
 طلبت وربمان الصبا بي جامع  
 فلما قضينا من مني كل حاجة  
 ومسح بالأزكان من هو ماسح  
 أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا  
 وسالت بأعناق المطي الأباطح  
 وشدت علي حذب المهاري رجالنا  
 ولا ينظر النادي الذي هو رافع  
 فقلنا على الخوص المراسيل وازنمت  
 بين الصحاري والصفاح الصحاصح

وأشد ابن الاعرابي

قصدت بعيني شادين وتسمت  
 جمءاً عن غرٍ لهن غروب  
 جرى الإسجل الأحوي عليهن أوجري  
 عليهن من فزع الأراك قضيب

• أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن الحسن الباقعي قال حدثنا أبو حاتم قال سمعت الأصمعي يقول سمعت الرشيد يقول قاب العاشق عليه مع معشوقه فقلت له هذا والله يا أمير المؤمنين قول عروة بن حزام العنري لعفراء

وإني ليعروني لذكر الروعة  
 لها بين جلدي والمظام ديب  
 وما هو إلا أن أزاها فجاءة  
 فأبتهت حتى لا أكاد أجيب  
 وأصرف عن داري الذي كنت عارفاً  
 ويعزب عني علمه وإتيب  
 ويضمير قابي غدرها ويمنها  
 علي فما لي في الفؤاد نصيب

فقال الرشيد من قال هذا وهما قاني أقوله علماً والله درك يا أصمعي قاني أجد عندك ما تفضل عنه العلماء • قال الصولي فأخذه العباس بن الأحنف فقال

يهم بجزات الجزيرة قلبه  
 وفيها غزال فاتر الطرف يساخره  
 يوازره قلبي هلي وليس لي  
 يدان بمن قلبي علي يوازره

وأشار إليه أيضاً في قوله

قلبي الي ما ضرني دأعي  
كيف احتراسي من عدوي

وأخذه سهل بن هرون الكاتب فقال

أعان طرفي على جسمي وأعضائي  
وكنت غراً بما تجني علي يدي

•• وقال البحري

ولست أعجب من عصيان قلبك لي  
يوماً إذا كان قلبك فيك يعصيني

وروي أبو عكرمة الضبي عن مسعود بن بشر المازني قال قال لنا الأصمعي يوماً ما أحسن ما قيل في صفة امرأةٍ عجزاه خصانة فأنشده قول الأعمش

صفر الوشاحين ملء الدرع بهكنة  
إذا تأت يكاد الخصر ينخزل

وأنشد قول علقمة بن عبدة

صفر الوشاحين ملء الدرع خرعبة  
كأنها رشا في البيت ملزوم

وأنشد قول ذي الرمة

ترى خلقها نصفاً قداة قويعاً  
ونصفاً تقاً يرتجج أو يترمرم

فقال أحسن ما قيل فيه قول أبي وجزة السعدي

أذماء عيطة يكاد ردأوها  
يقوى ويشبع ما أخب إزارها

قال عكرمة ومله قول الحارث بن خالد الخزومي

عمران سمط وشاحها قلق  
ربان من أزدافها المرط

•• وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا أبو العيناء قال حدثني الأصمعي

قال لما مات محمد بن سليمان بن علي الهاشمي دخلت على أخيه جعفر بن سليمان وقد حزن

عليه حزناً شديداً ولم يعلم ثلاثاً فأنشده لابن أراكه الثقفي

لعمري أين أتبعك طرفك ما مضى      من الدهر أوساق الحمام إلى الصبر  
لست أفقد ماء الشون بأسره      وإن كنت تمرين من تبحر البحر  
فقلت لعبيد الله إذ حنّ باكياً      تَمَزَّ وماء العين منه مرُّ يجرى  
تبين فإن كان البكار دها لكا      على أحدي فأجهذ بكاك على عمرو  
ولا تبك ميتاً بعد ميت أحبه      عليّ وعبّاس وآل أبي بكر

قال فأسرنيء بالطعام فأكل من ساعته .. قوله - حن باكياً - معناه رفع صوته بالبكاء  
وقال قوم الحنين بالخاء . معجمة من الأنف والحنين من الصدر وهو صوت يخرج من  
كل واحد منهما .. وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن  
يزيد الدعوى قال سمعت الثوري يقول دخلنا مع الأصمعي إلى اسماعيل بن جعفر  
ليلة في حاجة فأنشده الأصمعي أبيات ابن هرمة

أنتنك نرجو حاجةً ووسيلةً      لديك وقد تحطى لديك الوسائلُ  
وتذكركُ ودًا شدّه الله بيننا      على الدهر لم تذب إليه الغوائلُ  
فاسمُ ما أكبنا زنادك فادخُ      ولا أكذبتُ فيك الرجاء القوابلُ  
ولا أرجعتُ ذا حاجةٍ عنك علةً      ولا عاق حراً عاجلاً منك آجلُ  
ولا لآم فيك الباذلُ الوجهة نفسه      ولا آحتكمت في الجود منك المباخلُ

لم يزد على هذه الأبيات ففضي حاجته وأجاب مسئلته .. [ قال المرتضى ] رضي الله عنه  
ويشبه أن يكون ابن هرمة أخذ قوله \* ولا أكذبت فيك الرجاء القوابل \* من قول  
الحزبن الكنتاني في زيد بن علي بن الحسين عليه السلام

فلما تردى بالجمائل وأنتنى      يصولُ بأطرافِ القنأ والذوابلِ

تَبَيَّنَتِ الْأَعْدَاءُ أَنَّ سِنَانَهُ      يُطِيلُ حَتَيْنَ الْأَمَّاتِ الثَّوَاكِلِ  
تَبَيَّنَ فِيهِ مَبْسَمُ الْعَزِّ وَالنُّهَى      وَلَيْدًا يَضُدُّ بَيْنَ أَيْدِي الْقَوَائِلِ

•• وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن الحسن الباهلي قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال قال الرشيد يوماً لأصمعي أتعرف للعرب اعتذاراً وندماً ودرع النابضة فانه يحتاج ويعتذر فقلت ما أعرف ذلك إلا لبشر بن أبي خازم الأسدي فانه هجأ أوس بن حارثة بن لام فأسره بعد ذلك فأراد قتله فقالت له أمه وكانت ذات رأي والله لا عما هجأه لك إلا مدحه إليك فعني عنه •• فقال بشر

وإني علي ما كان مني أنادِمُ      وإني إلى أوس بن لأم لنايبُ  
فهب لي حيايتي والحياة لقايمُ      يسرك فيها حين ما أنت واهبُ  
وإني إلى أوس ليقبل توبتي      ويعرف وذي ما حيت راعبُ  
سأفجو بمدح فيك إذا ناديتُ      كتاب هجاء مسار إذا ناديتُ

فقال الرشيد للأصمعي ان دولتي لنحسن ببقائك فيها •• وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال سمعت يثين لم أحفل بهما ثم قال قلت هما على كل حال خبير من موضعهما من الكتاب قال فإني عند الرشيد يوماً وعند عيسى بن جعفر فأقبل على مسرور الكبير فقال يا مسرور كم في بيت مال السرور فقال ما فيه شيء قال عيسى هذا بيت مال الحزن فاعظم لذلك الرشيد وأقبل على عيسى وقال والله لتهطين الأصمعي سائلاً على بيت مال السرور ألف دينار فوجه عيسى وأنكر فقالت في نفسي جاء موضع البيتين وأنتدت الرشيد

إذا شئت أن تلقى أخاك مُعْتَسِمًا      وجدَّاهُ في الماضين كعبٌ وحاتمُ  
فكشِفَهُ عَمَّا فِي يَدَيْهِ فَأَيْمًا      يُكشِفُ أخبارَ الرِّجالِ الدِّراهمُ

قال فتجلى عن الرشيد وقال لمسرور اعطه على بيت مال السرور ألفي دينار فأخذت

### ﴿ مجلس آخر ٣٥ ﴾

[ تأويل آية ] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى ( خلق الانسان من عجل سآريكم آياتي فلا تستعجلون ) ٠٠ الجواب قيل له قد ذكر في هذه الآية وجوه من التأويل نحن نذكرها ونرجح الأرجح منها ٠٠ أولها أن يكون معنى القول المبالغة في وصف الانسان بكثرة العجلة وانه شديد الاستعجال لما يؤثره من الأمور ليجتهد باستدناها ما يجلب اليه نفعاً أو يدفع عنه ضرراً وهم عادة في استعمال مثل هذه اللفظة عند المبالغة كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم ما خللت إلا من نوم وما خلق فلان إلا من شر أرادوا كثرة وقوع الشر منه وربما قالوا ما أنت إلا أكل وشرب وما أشبه ذلك ٠٠ قلت الخشاء تصف بقرة

تَزَعُ مَا غَفِلَتْ حَتَّىٰ إِذَا دَاكَّرَتْ فَأَيْسَافٌ هِيَ إِقْبَالٌ وَإِذْبَارٌ

وانما أردت ما ذكرناه من كثرة وقوع الاقبال والاربار منها وبشبه لهذا التأويل قوله تعالى في موضع آخر ( وكان الانسان عجولاً ) وبطائفة أيضاً قوله تعالى ( فلا تستعجلون ) لانه وصفهم بكثرة العجلة وإن من شأنهم فعلها تويخاً لهم وتفرغاً عنهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات من حيث كانوا متكئين من مفارقة طريقهم في الاستعجال وقادرين على الثبوت والتأييد ٠٠ ولها ما أجاب به أبو عبيدة وقنبر بن المستنير وغيرهما من أن في الكلام قياً والمعنى خلق العجل من الانسان واستشهد على ذلك بقوله تعالى ( وقد بانى الكبر ) أى قد بانع الكبر ويقوله تعالى ( ما إن مفتحه لتنوء بالعصبة ) والمعنى ان العصبة تنوء بها وتقول العرب عرضت الناقة على الحوض وانما هو عرضت الحوض على الناقة وقولهم اذا طلعت الشمسى استوى العود على الطرباء يريدون استوى الطرباء على العود ويقول الأعشى :

لمحذوفة أن تستجيبى لصوته وإن تعامى أن الممان موفق

يريد أن الموفق لعنان .. ويقول الآخر

على العباتِ هَذَا جُونٌ قَدْ بَلَّغَتْ  
نَجْرَ أَنْ أَوْ بَلَّغَتْ سَوَاءَ تَمِّمْ هَجْرَ

والمعنى ان السَّوَاتِ هي التي بلغت هجر .. ويقول خلدش بن زهير

وَتُرَكَّبُ خَيْلٌ لَا هَوَادَةَ يَبْنِيهَا  
وَتَشْفَى الرِّمَاحَ بِالضِّيَاطِرَةِ الْحَمِيرِ<sup>(١)</sup>

يريد تشفى الضباطرة بالرماح .. ويقول الآخر

يَمِشِي بِهِ عَوْذُ النَّعَاجِ كَأَنَّهَا  
عَذَارَى مَلُوكٍ فِي بِيَاضِ ثِيَابِ<sup>(٢)</sup>

يريد في ثياب بيض .. ويقول الآخر

حَسَرْتُ كَفِّي عَنِ السَّرْبَالِ آخِذُهُ  
فَرَدَا نَحْرُهُ عَلَيَّ أَيْدِي الْمُفِيدِينَا

يريد حسرت السربال عن كفي .. ويقول الآخر وهو ابن أحر

وَجُرْدٌ طَارَ بِأَطْلَاهَا نَسِيلاً  
وَأَحَدَتْ قَوْمَهَا شِعْرًا أَفْصَارًا

أراد نسيها باطلا .. ويقول الآخر

وَقَسْوَرَةٌ أَكْتَفَاهُمْ فِي قَسِيمٍ  
إِذَا مَا مَشَوْا لَا يَمْعُرُونَ مِنَ النِّسَاءِ

أراد قسيم في أكتافهم .. ويقول الآخر

وَهُنَّ مِنَ الْإِخْلَافِ وَالْوَلَعَانِ<sup>(٣)</sup>

أي الاخلاف والولعان منهن .. ويبقى على صاحب هذا الجواب مع التفاضل عن حل كلامه تعالى على القلب أن يقال له وما المعنى والفائدة في قوله تعالى (خلق العجل من

(١) - الهوادة - اللين وما يرحي به صلاح الأمر - والضباطرة - جمع ضبطر

وضوطر وهو الضخم العظيم

(٢) - عوذ - جمع عاذ وهي الحديثة النجاج من الغنم وكل أثنى - والنعاج - جمع

نعجة وهي البقرة الوحشية

(٣) صدره \* خلافة العينين كذابة المنى \* - والإخلاف - خلف الوعد

- والولعان - الكذذب يقال ولع بلع ولعاً ولولعاً إذا كذب

الانسان) أتريدون بذلك ان الله تعالى خالق في الانسان العجلة وهذا لا يجوز لان العجلة فعل من أفعال الانسان فكيف يكون مخلوقة فيه لغيره ولو كان كذلك ماجاز أن ينههم عن الاستمجال في الآية فيقول (سأريكم آياتي فلا تستعجلون) لانه لا ينههم عما خلقه فيهم . . فان قالوا لم يرد انه تعالى خالقها لكنه أراد كثرة فعل الانسان لها وانه لا يزال يستعملها . . قيل لهم هذا هو الجواب الذي قدمناه من غير حاجة الى القلب والتقديم والتأخير واذا كان هذا المعنى يتم وينتظم على ما ذكرناه من غير قلب فلا حاجة بنا اليه . . وقد ذكر أبو القاسم البلخي هذا الجواب في تفسيره واختاره وقراه وسأل نفسه عليه فقال كيف يجوز أن يقول فلا تستعجلون وهو خلق العجلة فيهم وأجاب بأنه قد اعطاهم قدرة على مخالفة طبائعهم وكفها وقد يكون الانسان مطبوعاً عليها وهو مع ذلك مأمور بالثبوت قادرٌ على أن يجانب العجلة وذلك تخلقه في البشر لشهوة التكاثر وأمرهم في كثير من الأوقات بالامتناع منه وهذا الذي ذكره البلخي تصریح بان المراد بالمعجل غيره وهو الطبع الداعي اليه والشهوة المتناولة له ويجب أيضاً أن يكون المراد بمن ههنا في لان شهوة المعجل لا تكون مخلوقة من الانسان وانما تكون مخلوقة فيه وهذا يجوز على تجوز وتوسع على توسع لان القلب أولاً مجاز ثم هو من بعيد المجاز وذكر المعجل والمراد به غيره مجاز آخر واقامة من قام في كذلك على انه تعالى اذا نههم عن العجلة بقوله عز وجل (فلا تستعجلون) أي معنى لتقديم قوله خلقت شهوة العجلة فيهم أو الطبع الداعي اليها فيهم على ما عبر به البلخي وهذا الى أن يكون عندهم لهم أقرب منه الى أن يكون حجة عليهم وأيسر الأحوال أن لا يكون عندهم ولا احتياجاً فلا يكون لتقدمه معنى وفي الجواب الأول حسن تقديم ذلك على طريق الذم والتوبيخ والتفريع من غير اضافة اليه عز وجل والجواب الأول أوضح وأصح . . وثالثها جواب روى عن الحسن قال يعني بقوله من عجل أي من ضعف وهي اللطفة المهيئة للضعيفة وهذا قريب ان كان في اللغة شاهد على ان المعجل عبارة عن الضعف أو معناه . . ورابعها ما حكى ان أبا الحسن الأصفهاني أجاب به وهو أن يكون المراد ان الانسان خالق من تعجيل الأمر لانه تعالى قال (إنما أمرنا لنبي إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)

•• فان قيل كيف يطابق هذا الجواب قوله من بعد فلا تستعجلون •• قلنا يمكن أن يكون وجه المطابقة أنهم لما استعجلوا بالآيات واستبطأوا أعلمهم تعالى أنه من لا يعجزه شيء إذا أراده ولا يتمتع عليه وان من خلق الانسان بلا كلفة ولا مؤنة بان قال له كن فكان مع ما فيه من بدائع الصنعة وعباب الحكمة التي يعجز عنها كل قادر ويحار فيها كل ناظر لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الآيات •• وخاصها ما أوجب به بعضهم من أن العجل الطين فكانه تعالى قال خالق الانسان من طين كما قال تعالى في موضع آخر ( وبدأ خلق الانسان من طين ) واستشهد بقول الشاعر

وَالنَّبْعُ يَنْبْتُ بَيْنَ الصَّخْرِ ضَاحِيَةً وَالنَّخْلُ يَنْبْتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ

ووجدنا قومًا يعلمون في هذا الجواب ويقولون ليس بمعروف ان العجل هو الطين وقد سكي صاحب كتاب العين عن بعضهم ان العجل الحماة ولم يشهد عليه إلا أن البيت الذي أوردناه يمكن أن يكون شاهداً له وقد رواه ثعلب عن ابن الاعرابي وخالف في شيء من ألفاظه فرواه

وَالنَّبْعُ فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَاءُ مِنْبَتُهُ وَالنَّخْلُ يَنْبْتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ

وإذا صح هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى ( فلا تستعجلون ) على نحو ما ذكرناه وهو ان من خلق الانسان مع الحكمة الظاهرة فيه من الطين لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات أو يكون المعنى أنه لا يشيب بان خالق من العطين الموهين وكان أصله هذا الأصل الحفير الضميف أن يهزأ برسول الله وآياته وشرايمه لانه تعالى قال قبل هذه الآية ( وإذا رأيت الذين كذروا إن يخذونك إلا هزواً أهذا الذي يذكر آلتكم ) •• وسادسها أن يكون المراد بالانسان آدم عليه السلام ومعنى من عجل أى من سرعة من خلقه لأنه لم يخلقه من نطفة ثم من عاقبة ثم من مضافة كما خلق غيره وإنما ابتداء الله تعالى ابتداء وأنشأه الله فكانه تعالى تبه بذلك على الآية المعجزة في خلقه له وأنه عز وجل يرى عباده من آياته وبنائه أولاً أولاً ما تقدمت به معالهم وتستدعيه أحوالهم •• وسابعها ما يرى عن جماعة وغيره أن الله تعالى خلق آدم

بمد خالق كل شيء آخر نهار يوم الجمعة على سرعة مما جلا به غروب الشمس ٠٠ وروى ان آدم عليه السلام لما نُفِضت فيه الروح وبلغت الى أعلي جسده ولم يبلغ أسفله قال يارب استعجل بخالق قبل غروب الشمس ٠٠ وثامنها ماروى عن ابن عباس والسدي ان آدم عليه السلام لما خلق وجعات الروح في أكثر جسده وثب عجلان مبادراً الى أعمار الجنة ٠٠ وقال قوم قد همم بالوثوب فوئنا معنى قوله ( خلق الانسان عجولاً ) وهذه الأجابة الثلاثة مبنية على ان المراد بالانسان فيها آدم عليه السلام دون غيره ٠٠ [ قال المرآضي ] رضي الله عنه وإني لأستحسن لسكين الدارمي قوله

|   |   |
|---|---|
| وَرُبُّ أُمُورٍ قَدْ بَرِيتُ لِحَاءَهَا           | وَقَوَّمتُ مِنْ أَصْلَابِهَا ثُمَّ رُعْتُهَا        |
| أَقِيمُ بِذَارِ الْحَزْمِ مَا لَمْ أَهْنُ بِهَا   | فَإِنْ خَفْتُ مِنْ دَارِهَا وَأَنَا تَرَكْتُهَا     |
| وَاصْلِحْ جِلَّ الْمَالِ حَتَّى تَخَالِنِي        | شَجِيحًا وَإِنْ حَقَّ عَرَانِي أَهْنْتُهَا          |
| وَأَسْتَبُولِجِ الْبُيُوتِ الْفَاقَةَ             | وَلَكِنْ إِذَا اسْتَغْنَيْتُ عَنْهَا وَاجْتُنْتُهَا |
| أَيُّتُ عَنْ لِدَالِجِ فِي الْحَيِّ نَائِمًا      | وَأَرْضُ بِلِدَالِجٍ وَهَمٌّ قَطَعْتُهَا            |
| لَأَلَيْبُهَا الْجَارِي سَدِيقًا وَبَارِحًا       | تُعْرِضُ نَفْسًا لَوْ أَشَاءَ قَتَلْتُهَا           |
| تُعَارِضُ فُخْرَ الْفَاخِرِينَ بِمُصِيبَةٍ        | وَلَوْ وُضِعَتْ لِي فِي إِنْاءٍ أَكَلْتُهَا         |
| وَإِنَّ لَنَا رَبِيعَةَ الْمَجْدِ كَلْبًا         | مَوَارِثُ آبَاءِ كِرَامٍ وَرَثْتُهَا                |
| إِذَا فَضُرَّتْ أَيْدِي الرَّجَالِ عَنِ الْمَلَأِ | مَدَدْتُ لَهَا بَاعًا عَلَيْهَا فَذَانْتُهَا        |
| وَدَاعٍ دَعَانِي لِلْمَلَأِ فَأَجَبْتُهُ          | وَدَعْوَةَ دَاعٍ لِلصَّدِيقِ خَذَلْتُهَا            |
| وَمَكْرُمَةٍ كَانَتْ رِعَايَةَ وَالِدِي           | فَعَلَّمْنِيهَا وَالِدِي فَعَلَّمْتُهَا             |
| وَعُورَاءٍ مِنْ قِيلِ امْرِئٍ ذِي قَرَابَةٍ       | تَصَامَمْتُ عَنْهَا بَعْدَ مَا قَدْ سَمِعْتُهَا     |
| رَجَاءٍ غَدٍ أَنْ يَمُطِفَ الرَّحْمُ يَبْنِنَا    | وَمَظْلَمَةٍ مِنْهُ بَجْنِي عَرَكَتُهَا             |

أَذَامَا مُورُ النَّاسِ رَمَتْ وَوَضِيْعَتْ      وَجَدْتُ أُمُورِي كُلَّهَا قَدْ زَمَمْتُهَا  
وَإِنِّي سَأَلْتَنِي اللَّهُ لِمَ أَرَمَ حَرَّةٌ      وَلَمْ تَأْتِنِي يَوْمَ سِيرٍ فَخُنْتُهَا  
وَلَا قَاذِفٌ نَفْسِي وَنَفْسِي بَرِيْثَةٌ      وَكَيْفَ أَعْتَدَارِي بَعْدَمَا قَدْ قَدَفْتُهَا

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو ذر القرامطى قال حدثنا عبيد الله بن محمد ابن أبي الدنيا قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي ان رجلا من الأنصار حدثه قال قال مسكين الدارمي

وَلَسْتُ أَذَامَا سَرَّيَ الدَّهْرُ ضَا حِكْمًا      وَلَا خَاشِمًا مَا عَشَيْتُ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ  
وَلَا جَاعِلًا عِرْضِي لِمَالِي وَقَابَةً      وَلَكِنْ أَتَى عِرْضِي فَيُخْرِزُهُ وَفَرِي  
أَعْفُ لَدَى عُسْرِي وَأَبْدِي تَجَمُّلاً      وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَعْفُ لَدَى الْعُسْرِ  
وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي إِذَا كُنْتُ مُعْسِرًا      صَدِيقِي وَإِخْوَانِي بَأْسًا فَيَلْمُوهُ عِرْضِي  
وَأَقْطَعُ إِخْوَانِي وَمَا حَالَ عَهْدِهِمْ      حَيَاءً وَإِعْرَاضًا وَمَا بِي مِنْ كِبَرٍ  
فَإِنْ يَكُ عَارًا مَا أَتَيْتُ فَرُبَّمَا      أَتَى الْمَرْءَ يَوْمَ السُّوءِ مِنْ حَيْثُ لَا يَنْدَرِي  
وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَلْمُ مَنْ كَانَ صَدِيقَهُ      وَمَنْ يَنْجِي لَا يَلْعَدُّهُ بَلَاءٌ مِنَ الدَّهْرِ

ومن مستحسن قوله

إِنْ أَدَعَّ مَسْكِينًا فَمَا فَصَّرَتْ      قَدْرِي يُوتُ الْحَيَّ وَالْخَدِرُ

قيل ان مسكيناً ليس باسمه وانما اسمه ربيعة وانما سمى بذلك لقوله

وَسُمِّيْتُ مَسْكِينًا وَكَانَتْ لِحَاجَةً      وَإِنِّي لِمَسْكِينٍ إِلَى اللَّهِ رَاغِبٌ<sup>(١)</sup>

(١) ساء في كتاب الشعراء ربيعة بن عامر بن أنيف من بني دارم وقال كان في

زمن معاوية رضى الله عنه وهو الفائل فيه

الملك أمير المؤمنين رحلتها      شير القمط ليلاً وهن هجود

ومعنى - قسرت قدرى - أى سزت يريد أنها بارزة لأنها جها السوائر والحيطان  
 ما مسَّ رَحْلِي العَنَكَبُوتُ وَلَا جَدْيَاتُهُ مِنْ وَضَعِهِ غَبْرٌ

وهذه كناية مليحة عن مواصلة السير وهجر الوطن لأن العنكبوت إنما تنسج على مالئله  
 الأبدى ولا يكثر استمائه - والجديات - جمع جدية وهي باطن دقة الرجل

لَا آخِذُ الصَّبِيَّانَ التَّمِيمَ وَالْأَمْرُ فِدْيُغْرِي بِهِ الْأَمْرُ

يقول لأقبل الصبي وأنا أريد التعرض بأمه ومثله لغيره

وَلَا أَتِي لَدِي الْوَدَعَاتِ صَوْتِي لِأُفِيهِ وَرِيَّتَهُ أَرِيدُ<sup>(١)</sup>

وأنشد ابن الأعرابي مثله

أَذَا وَرَأَيْتَ صَبِيَّ الْقَوْمِ يَلْتَمُهُ ضَخْمُ الْمَنَابِكِ لِأَعْمٍ وَلَا خَالٍ

على الطائر الميمون والجد صاعد لكل اناس طائر وجدود

إذا المنبر الغربى خلى مكانه فاب أمير المؤمنين يزيد

•• وأنشده

وإذا الفاحش لاقى فاحشاً فهناكم وافق الشنّ الطبق

أما الفحش ومن يعتاده كفراب السوء ما شاء نطق

أو حمار السوء ان أشبعته رمح الناس وان جاع نهق

أو غلام السوء ان جوعته سرق الجار وان يشبع فسق

أو كفيرى رفعت من ذيلها ثم أرخته ضراراً فائترق

أيها السائل عما قد مضى هل جديد مثله ملبوس خلق

(١) قوله لذي الودعات الخ : ذو الودعات الطفل لانهم يعلقون عليه الودع : ومعنى

وريبته أريد أي لا أريد ريبة أمه خذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه ومثل هذا يحفظ

ولا يقاس عليه لخلاف الشرط : والبيت من جملة أبيات لعقيل بن علفة المرى الجاني المشهور

فَأَحْفَظُ صَبِيَّتِكَ مِنْهُ أَنْ يُدْنِسَهُ  
وَلَا يُغْرُنَاكَ يَوْمًا كَثْرَةُ الْمَالِ

رجع الى تمام القصيدة

وَلِرُبِّ يَوْمٍ قَدْ تَرَكَتُ وَمَا  
وَمُخَاصِمٍ قَاوَمْتُ فِي كَبِدِ  
وَأَعَابِي قَوْمِي بَنُو عُدُسٍ  
عَمِّي زُرَّارَةٌ غَيْرُ مُنْتَحَلٍ  
فِي الْمَجْدِ غَرُنْنَا مَيْنَةً  
لَا يَزْهَبُ الْجَيْرَانُ غَدْرَتَنَا  
لَسْنَا كَأَقْوَامٍ إِذَا كُحِلَتْ  
إِحْدَى السِّنِينَ فَجَارُهُمْ تَمُرُّ

أى يستحلي القدر به كما يستحلي التمر

تَنْتَابُهُ الْعُقْبَانُ وَالنَّسْرُ  
نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ  
مَوْلَاهُمْ لَحْمٌ عَلِيٌّ وَضَمٌّ  
وَالِيهِ قَبْلِي يُنْزَلُ الْقَدْرُ

يقال كان له امرأة تماظه فلما قال ذلك قالت له أجل انما نارك وناره واحدة لانه أوقد  
ولم توقد والقدر ينزل اليه قبلك لانه طبخ ولم تطبخ وأنت تستطعمه<sup>(١)</sup>

(١) قوله قومي بنو عدس : كل عدس في العرب بضم العين وفتح الدال لإلعدس

ابن زيد هذا فانه مضموم العين والدال

(٢) ويروي من غير هذا الوجه انه كانت لمسكين امرأة وكانت فارا كثيرة الخوصومة  
والمهاذلة له فوقفت عليه وهو يشد حتى اذا بلغ ناري ونار الجار البيت : قالت له صدقت  
والله يجلس جارك فيطبخ قدره فتصطلي بناره ثم ينزلها فيجلس يأكل وأنت بجانبه  
كالكلب فاذا شبع أطمعك أجل والله ان القدر لتنزل اليه قبلك فاحرض عنها فلما بلغ

ماضِرَّ جَارِي إِذْ أَجَاوَرُهُ      أَنْ لَا يَكُونَ لِيِنَّهُ سِتْرُ  
 قَالَ وَيَقَالُ إِنَّهَا قَالَتْ لَهُ فِي هَذَا الْبَيْتِ أَيْضاً أَجَلُ أَنْ كَانَ لَهُ سِتْرٌ هَتَكَتَهُ  
 أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجْتُ      حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي الْخَيْدُرُ  
 وَيَصْمُ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا      سَمِعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقُرُ  
 وَأَنْشُدَ عَمْرٍ بِنِ شَبَةِ لِمَسْكِينٍ أَيْضاً

لَا تَجْعَلَنِي كَأَقْوَامٍ عَلِمْتَهُمْ  
 أَنِّي لِأَعْلَاهُمْ بِاللَّحْمِ قَدْ عَلِمُوا  
 أَنَا بِنِ قَاتِلِ جُوعِ الْقَوْمِ قَدْ عَلِمُوا  
 يَا رَبُّ أَمْرِينَ قَدْ فَرَجْتَ بَيْنَهُمَا  
 أُدِيمُ خَلْقِي لِمَنْ دَامَتْ خَلِيقَتُهُ  
 وَأَقْطَعُ الْخَرْقَ بِالْخَرْقَاءِ لَاهِيَةً  
 مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ أَمْرٍ فَأَكْرَهُهُ  
 مَا مَدَّ قَوْمٌ بِأَيْدِيهِمْ إِلَيَّ شَرَفٍ  
 وَأَنْشُدَ أَبُو الْعَبَّاسِ نَعْلَبَ لَهُ

أَضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِزْأَلِ رَحْلِهِ      وَيُخْصِبُ عِنْدِي وَالْمَكَانُ جَدِيدُ  
 وَمَا الْخِصْبُ لِالْأَضْيَافِ أَنْ يُكْتَرُوا الْقَرَى  
 وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْعَكْرِيمِ خِصْبُ

إلى قوله : ما ضر جاري الخ البيت فلما قالت له هتكته وثب إليها يضربها وجعله قومه  
 يضحكون وبهما : المماثلة شدة الخلق ولفظاظته

وروي ثعلب أيضاً

لِحَافِي لِحَافِ الضَّيْفِ وَالْبَيْتُ بَيْتُهُ      وَلَمْ يَلْبَسِي عَنْهُ غَزَالَ مُقَنَّعٌ  
أُحَدِّثُهُ أَنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْقَرِيِّ      وَتَعَلَّمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجِعُ

ومعنى - أحده ان الحديث من القرى - أي اصبر على حديثه واعلم انه سوف ينام ولا  
أعرض بمحادثته فأكون قد محقت قراري والحديث الحسن من تمام القرى ٠٠ وقال  
الأصمعي أحسن ما قيل في الفيرة قول مسكين الدارمي

أَلَا أَيُّهَا النَّائِرُ الْمُسْتَشِيطُ      عَلَامَ تَفَارُ إِذَا لَمْ تُفْرُ  
فَمَا خَيْرُ عَرَسٍ إِذَا خَفْنَهَا      وَمَا خَيْرُ بَيْتٍ إِذَا لَمْ يُرَزْ  
تَفَارُ عَلَي النَّاسِ أَنْ يَنْظُرُوا      وَهَلْ يَفْتِنُ الصَّالِحَاتِ النَّظْرُ  
فَأِنِّي سَأَخْلِي لَهَا يَدَيَّهَا      فَتَحْفَظْ لِي نَفْسَهَا أَوْ تَدْرُ  
إِذَا اللَّهُ لَمْ يُعْطِهِ وَدَّهَا      فَلَنْ يُعْطِيَ الْوَدَّ سَوْطَ مُمْرٍ  
وَمَنْ ذَا يُرَاعِي لَهُ عَرَسَهُ      إِذَا ضَمَّهُ وَالْمَطِيُّ السَّفْرُ

[ قال رضي الله عنه ] وكان مسكين كثير الابهج بالقول في هذا المعنى فمن ذلك قوله

وَإِنِّي أَمْرٌ وَلَا آلَفَ الْبَيْتِ قَاعِدًا      إِلَى جَنْبِ عَرَسِي لِأَفْرَطِهَا شَبْرًا  
وَلَا مَقْسِمٌ وَلَا أَبْرَحَ الدَّهْرِ يَدَيَّهَا      لِأَجْمَلَةِ قَبْلِ الْمَاتِ لَهَا قَبْرًا  
إِذَا هِيَ لَمْ تُحْصَنَ أَمَامَ قِيَابِهَا      فَلَيْسَ بِنَجِيهَا بِنَائِي لَهَا قَصْرًا  
وَلَا حَامِلِي ظَنِّي وَلَا قَيْلُ قَائِلٍ      عَلَي حَائِطٍ حَتَّى أُحِيطَ بِهَا خُبْرًا  
فَهَبْنِي أَمْرًا رَاعَيْتُ مَا دُمْتُ شَاهِدًا      فَكَيْفَ إِذَا مَا سِرْتُ مِنْ يَدَيْهَا شَبْرًا

والشدة أبو العبناء عن أبي العالبة لمسكين



انما هو ضربها أو دفعها عن نفسه كما يقول الفائل كنت حمت بفلان وقد هم للفلان بفلان أي بان يوقع به ضرباً أو مكروها . . فان قيل فأى معنى لقوله تعالى ( لولا أن رأى برهان ربه ) والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها . . قلنا يمكن أن يكون الوجه في ذلك انه لما هم بدفعها وضربها أراه الله برهاناً على انه ان أقدم على ما هم به أهلكه أهلها أي قتلوه أو انها تدعى عليه المرادة عن القبيح وتقذفه بأنه دعاها اليه وان ضربه لها كان لامتناعها فيظن به ذلك بعض من لا تأمل له ولا علم بان مثله لا يجوز عليه فأخبر الله تعالى بأنه صرف بالبرهان عنه السوء والنقصاء يعنى بذلك القتل والمكروه الذين كانوا يوقمان به لانهما يستحقان الوصف بذلك من حيث القبح أو يعنى بالسوء والنقصاء ظنهم بذلك . . فان قيل هذا الجواب يقتضي ان جواب لولا يتقدمها ويكون التقدير لولا أن رأى برهان ربه لهم بضربها ودفعها وتقديم جواب لولا قبيح غير مستعمل أو يقتضي أن تكون لولا بفسير جواب . . قلنا أما تقدم جواب لولا فجاءت وسنذكر ما فيه عند الجواب المختص بذلك غير أننا لا نحتاج اليه في هذا الجواب لأن العزم على الضرب والهم بالضرب قد وقع إلا أنه انصرف عنه بالبرهان والتقدير ولقد حمت به وهم بدفعها لولا أن رأى برهان ربه لفعل ذلك فالجواب في الحقيقة محذوف والكلام يقتضيه كما حذف الجواب في قوله تعالى ( ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم ) معناه لولا فضل الله عليكم ورحمته هلكتم ومثله ( كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ) معناه لو تعلمون علم اليقين لم تنافسوا في الدنيا وتناخروا بها . . وقال امرؤ القيس

فلو أنها نفسٌ تموتُ سويةً      ولكنها نفسٌ تَسَاقُطُ أنفِسا

أراد فلو أنها نفس تموت سوية لانقضت وقتبت وحذف الجواب على ان من تأول هذه الآية على الوجه الذي لا يابق بنبي الله وأضاف العزم على المعصية اليه لا بد له من تقدير جواب محذوف ويكون التقدير عنده ولقد حمت بالزنا وهم به لولا أن رأى برهان ربه لفعله . . فان قيل قوله هم بها كقوله حمت به فلم جمعتم هما متملقاً بالتبحيح وهم بها متملقاً بما ذكرتم من الضرب وغيره . . قلنا أما الظاهر فلا يدل على ما تعلق الهم به

والعزم فيهما جميعاً وانما أثبتناهما به بأن يكون متعلقاً بالقيح لشهادة الكتاب والآثار به وهي بمن يجوز عليها فعل القبيح ولم يؤثر دليل في امتناعه عليها كما أثر ذلك فيه عليه السلام والموضع الذي يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى ( وقال لسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه الى قوله في ضلال مبين ) وقوله تعالى ( وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب ) وقوله ( الآن حمحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ) وفي موضع آخر ( فلذلك الذي لمتني فيه ولقد راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ) وفي موضع آخر ( فلذلك الذي لمتني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ) والآثار واردة باطباق مفسري القرآن ومتأوليه على انها سمت بالفاحشة والمعصية .. والوجه الثاني في تأويل الآية أن يحمل الكلام على التقديم والتأخير ويكون تلخيصه ولقد سمت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها ويجري ذلك مجرى قولهم قد كنت هذكت لولا أني تداركتك وقتلت لولا أني خلصتك والمعنى لولا تداركي هلكت ولولا تخليصي لقتلت وان لم يكن وقع هلاك ولا قتل .. قال الشاعر

فَلَا تَدْعُنِي قَوْمِي صَرِيحًا لِحُرَّةٍ      لِأَنَّ كُنْتَ مُقْتَوْلًا وَيَسْلَمُ عَامِرٌ

.. وقال آخر

فَلَا تَدْعُنِي قَوْمِي لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ      لِأَنَّ لَمْ أُعْجَلْ ضَرْبَةً أَوْ أُعْجَلْ

فقدم جواب الشرط في البيتين جميعاً<sup>(١)</sup> وقد استشهدنا به أيضاً بقوله تعالى ( ولولا فضل الله عليكم ورحمته لممت طائفة منهم أن يضلوك ) والهم لم يقع لمكان فضل الله ورحمته وما يشهد لهذا التأويل ان في الكلام شرطاً وهو قوله تعالى ( لولا أن رأى برهان ربه ) فكيف يحمل على الاطلاق مع حصول الشرط وليس لهم أن يجعلوا جواب لولا محذوفاً

(١) هذا الذي اعتمده بخالف مذهب جمهور البصريين فان جواب الشرط عندهم لا يتقدم فاذا تقدم ما هو جواب في المعنى فهو دال عليه وليس إياه وهو محذوف: وذهب الكوفيون والمبرد وأبو زيد الى جواز تقدمه ولا حذف عندهم في مثل ذلك

مقدراً لأن جعل جوابها موجوداً أولاً: وقد استبعد قوم تقديم جواب لولا عليها قالوا ولو جاز ذلك لجاز قام زيد لولا عمرو وقصدت لولا بكرٌ وقد بينا بما أوردناه من الأمثلة والشواهد جواز تقديم جواب لولا والذي ذكره لا يشبهه بما أجزناه وقد يجوز أن يقول القائل قد كان زيد قام لولا كذا وكذا وقد كنت قصدت لولا أن صدني فلان وأن لم يقع قيامٌ ولا قصد وهذا الذي يشبه الآية وليس تقديم جواب لولا بأبعد من حذف جواب لولا جملة من الكلام وإذا جاز عندهم الحذف لثلاث يلزمهم تقديم الجواب جاز لغیرهم تقديم الجواب حتى لا يلزم الحذف ٥٥ والجواب الثالث ما اختاره أبو علي الجبائي وإن كان غيره قد تقدمه إلى معناه وهو أن يكون معنى هم بها اشتهاها ومال طبعه إلى مادته إليه وقد يجوز أن يسمي بالشهوة في مجاز الامة هما كما يقول القائل فيما لا يشبهه ليس هذا من همي وهذا أهم الأشياء إلى ولا قبیح في الشهوة لانها من فعل الله تعالى فيه وانما يتعلق القبيح بتناول المشهي ٥٥ وقد روى هذا الجواب عن الحسن البصري قال أما همها فكان أحب الهم وأما همها فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء ويحب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى ( لولا أن رأى برهان ربه ) متعلق بمحذوف كأنه قال لولا أن رأى برهان ربه لعزم أو فعل ٥٥ والجواب الرابع أن من عادة العرب أن يسموا الشيء باسم ما يقع في الأكثر عنده وعلى هذا لا يشكر أن يكون المراد بهم بها أي خطر بباله أمرها ووسوس إليه الشيطان بالدعاء اليها من غير أن يكون هناك همٌّ أو عزمٌ فسمى الخطا وبالبال كما من حيث كان الهم يقع في الأكثر عنده والعزم في الأغاب يتبعه وانما أنكرتنا ما ادعاه جهة المفسرون وعرفوا القصص وقذفوا به نبي الله عليه السلام لما ثبت في العقول من الأدلة على أن مثل ذلك لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام من حيث كان منفراً عنهم وقادحاً في الغرض المجري إليه بأرسالهم والقصة تشهد بذلك لانه تعالى قال ( كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ) ومن أكبر السوء والفحشاء العزم على الزنا ثم الاخذ فيه والشروع في مقدماته وقوله تعالى أيضاً ( انه من عبادة الخالصين ) يقتضي تنزيهه عن الهم بالزنا والعزم عليه وحكايته عن اللسوة قولهن ( حاش لله ما علمنا عليه من سوء ) يدل أيضاً على أنه برىء من القبيح

• • فأما البرهان الذي رآه فيحتمل أن يكون لطفاً لطف الله تعالى له به في تلك الحال أو قبلها اختار عنده الانصراف عن المعاصي والنزء عنها ويحتمل أيضاً ما ذكره أبو علي وهو أن يكون البرهان دلالة الله تعالى له على تحريم ذلك وعلى أن من فعله يستحق العقاب وليس يجوز أن يكون البرهان ما ظنه الجهال من رؤية صورة أبيه يعقوب عليه السلام متوعداً له والنداء له بالزجر والتخويف لأن ذلك ينافي الخنة ويستغضب العرض بالتكليف ويستغضب أن لا يستحق على امتناعه وانزجاره مدحاً ولا ثواباً وهذا سوء بناء على الأنبياء واقدام على قرفهم بما لم يكن منهم والحمد لله على حسن التوفيق • • روى أحمد بن عبد الله بن العباس الصولي الملقب بطمّاس قال كنت يوماً عند عمي ابراهيم بن العباس فدخل اليه رجل فقربه حتى جلس الى جانبه أو قريباً منه ثم سادته الى ان قال له عمي يا أبا تمام ومن بقي ممن يستمع به ويلجأ اليه فقال أنت لاعدمت وكان ابراهيم طويلاً أنت والله كما قيل

يَمْدُ نَجَادِ السَّيْفِ حَتَّى كَانَهُ  
بِأَعْلَى سَمَائِي فَالْحِجِّ يَتَطَوَّحُ  
وَيَذِلُّ فِي حَاجَاتٍ مِنْ هَوَانِهِمْ  
وَيُورِي كَرِيَمَاتِ النَّدَى حِينَ يَقْدَحُ  
إِذَا أَعْتَمَ بِالْبُرْدِ الِيسَامِي خِلْتَهُ  
هَلَا لَأَبْدَأُ فِي جَانِبِ الْإِفْقِ يَلْمَحُ  
زَيْدٌ عَلَى فَضْلِ الرَّجَالِ فَضِيلَةٌ  
وَيَقْصُرُ عَنْهُ مَدْحٌ مَنْ يَتَمَدَّحُ

فقال له ابراهيم أنت تحسن قائلًا وراوياً ومثلاً فلما خرج تبعته وقلت له أكتبني الأبيات فقال هي لأبي الجويرية العبدى تغذها من شعره • • وروى عن يحيى بن البعري قال رأيت أبي يذاكر جماعة من أمراء أهل الشام بمعان من الشعر فر فيها ذكر قلة نوم العاشق وما قيل فيه فأنشدوا انشادات كثيرة فقال لهم أبي قد فرغ من هذا كاتب كان بالعراق فقال

أَحْسِبُ النَّوْمَ حَكََا  
إِذْ رَأَيْتُ مِنْكَ جَفَا كَا  
مَنْيَ الصَّبْرُ وَمِنْكَ ۖ  
هَجْرُ فَا بَلِّغْ نِي مَدَا كَا  
(١٧ - أمالي في)

بَمُدَّتْ هِمَّةُ عَيْنِي طَمِعْتُ فِي أَنْ تَرَكََا  
 أَوْ مَا خَطَّ لِعَيْنِي أَنْ تَرَى مِنْ قَدْرًا كَا  
 لَيْتَ حَظِّي مِنْكَ أَنْ تَعْلَمَ مَا بِي مِنْ هَوَاكََا

قال أبي انه تصرف في معانٍ من الشعر في هذه الأبيات قال فكنتها عنه جماعة من حضروا والأبيات لابراهيم بن العباس الصولي ٥٥ وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال لما بايع المأمون لعل بن موسى الرضا عليهما السلام بالعهد وأمر الناس بلبس الخضرة صار اليه دعبل بن علي الخزامي وابراهيم بن العباس الصولي وكانا صديقين لا يفترقان فأنشده دعبل

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزِلٌ وَحِيٍّ مُقْفَرِ الْمَرْصَاتِ  
 وَأَنْشَدَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ الصَّوْلِيُّ عَلَى مَذْهَبِهَا قَصِيدَةً أَوْلَاهَا

أَزَالَتْ عِرَاءَ الْقَلْبِ بَعْدَ التَّجَلُّدِ مَصَارِعُ أَوْلَادِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

قال فوهب لها عشرين ألف درهم من الدراهم التي عليها اسمه وكان المأمون أمر بضربها في ذلك الوقت فأما دعبل بن علي فصار بالشطر منها الى قم فاشترى أهلها منه كل درهم بعشرة دراهم فباع حصته بمائة ألف درهم ٥٥ وأما ابراهيم بن العباس فلم يزل عنده بعضها الى ان مات قال الصولي ولم أقف من قصيدة ابراهيم على أكثر من هذا البيت ٥٥ قال وكان السبب في ذهاب هذا الفن من شعره ماحدثني أبو العباس أحمد ابن محمد بن الفرات والحسين بن علي الباقطاني قالان ابراهيم بن العباس صدقاً لاسحاق بن ابراهيم أخى زيدان الكاتب المعروف بالزمن فأنسخه شعره في علي بن موسى الرضا عليهما السلام وقد انسرف من خراسان ودفع اليه شيئاً بخطه منه وكانت النسخة عنده الى ان وُتِيَ المتوكل ووُتِيَ ابراهيم بن العباس ديوان الضبياع وقد كان يتابع مايبنه وبين أخى زيدان فعزله عن ضبياع كانت في يده مجلوان وغيرها وطالبه بمالٍ وألح عليه وأساء مطالبته فدعا اسحاق بعض من يتفق به من اخواته وقال له امض

الى ابراهيم بن العباس فاعلمه ان شعره في علي بن موسى بخطه عندي وبغير خطه والله  
لئن استمر على ظنعي ولم يُزل عن المطالبة لأوسن الشعر الى التوكل قال فصار الرجل  
الى ابراهيم بن العباس فأخبره بذلك فاضطرب اضطراباً شديداً وجعل الأمر الى  
الواسطة في ذلك حتى أستط جميع ما كان طالبه به وأخذ الشعر منه وأحلته انه لم يبق  
عنده منه شيء فلما حصل عنده أحرقة بمحضرة .. وذكر أبو أحمد بن يحيى بن علي  
المنجم ان أباه علي بن يحيى كان الواسطة بينهما .. قال الصولي وما عرفت من شعر  
ابراهيم في هذا المعنى شيئاً إلا أبياتاً وجدتها بخط أبي قال أنشدني أخي لعمه في علي  
ابن موسى الرضا عليهما السلام من قصيدة

|                        |                          |
|------------------------|--------------------------|
| كفى بفعل امرئٍ عالمٍ   | على أهله عادلاً شاهداً   |
| أرأى لهم طارقاً مؤثقاً | ولا يشبه الطارف التالداً |
| يؤمنُ عليكم بأموالكم   | ويُعطون من مئةٍ واحداً   |
| فلا حمد الله مستبصراً  | يكون لاعداءكم حامداً     |
| فصّلت قسيمك في قعددٍ   | كما فضل الولدُ الوالداً  |

قال الصولي فنظرت فوجدت علي بن موسى الرضا عليهما السلام والمأمون متساويين  
في قعدد النسب وهاشم التاسع من آباءهما جميعاً .. وروى الصولي ان منشداً أنشد  
ابراهيم بن العباس وهو في مجامع في ديوان الضياع

ربما تكره النفوس من الأم  
رله فرجة كحل العقال

قال فنكت بقلمه ساعة ثم قال

|                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| ولرب نازلة يضيقُ بها الفتى | ذرعاً وعند الله منها مخرجُ |
| كملت فلما استحكمت حلقاتها  | فُرجت وكان يظنها لا تُفرجُ |

فعجب من جودة بديته .. وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرني  
محمد بن يحيى الصولي قال حسدني القاسم بن اسمعيل أبو ذكوان الراوية قال كنت

بالاهواز أيام الوائق و ابراهيم بن العباس يلى معونتها وخراجها فوسفت له بالأدب  
فأمر بإحضارى فلما دخلت عليه قرّب مجلسي وقال تساف أنس المطاولة فان الاستمتاع  
لايم إلا به فأبسطت وتساءلنا عن الأشعار فإ رأيت أحداً قط أعلم بالشعر منه فقال  
لي ما عندك في قول النابغة

ألم تر أن الله اعطاك سورةً ترى كل ملكٍ دونها يتذبذبُ  
فانك شمسٌ والملك كوكبٌ اذا طلعت لم يبدُ منهن كوكبُ

فقلت أراد تفضيله على الملوك فقال صدقت ولكن في الشعر خب وهو انه اعتذر الى  
النعمان من ذهابه الى آل جفنة الى الشام ومدحه لهم فقال انما فعلت هذا لجهائك في  
فاذا سلعت في لم أرد غيرك كما ان من أماءت له الشمس لم يخرج الى ضوء الكواكب  
فأنى بمعنىين بهذا ويفضله قال فاستحسن ذلك منه . . وكان ابراهيم بن العباس من  
أصدق الناس لأحمد بن أبي داود فمتب على ابن أبي الوليد من شيء قدمه ومدح أباه  
وأحسن في التخلص كل الاحسان فقال

عفت مسأؤ تبتت منك واضحةً  
لئن تقدم أبناء الكرام به

.. ولايراهم

تر الصبا صفة حابساً كن ذي الغضا  
قريبة عهد بالحبيب وإنما  
تطلع من نفسي اليك نوازع  
وأخذ هذا من قول ذى الرمة

اذهبت الأرواح من كل جانب  
هوي تدرف العينان منه وإنما  
وبصدغ قلبي أن يهب هبوبها  
هوي كل نفس حيث كان حبيبها  
عوارف أن اليأس منك نصيبها

دنت باناسٍ عن تناء زيارةً      وشطّ بليلى عن دنو مزارها  
وإن مقيمتٍ بمنقطع اللوى      لأقرب من ليلى وهاتيك دارها

وأخذ ذلك من قول النظار الفقمسى

يقولون هدي أم عمرو قريةً      دنت بك أرض نحوها وسماه  
ألا إنما بعد الحبيب وقربه      إذا هو لم يوصل إليه سواه

ووجدت بعض أهل الأدب يظن ان ابراهيم بن العباس سبق الى هذا المعنى في قوله

كن كيف شئت وأني تشا      وأبرق عيناً وأرعذ شمالاً  
نجابك لو أمك منجى الذباب      حمته مقاديره أن ينالاً

حتى رأيت مسلم بن الوليد قد سبق الى هذا المعنى فأحسن غاية الاحسان فقال

أما الهجاء فدق عرضك ذونه      والمدح عنك كما علمت جليل  
فاذهب فأنت طليق عرضك إنه      عرض عززت به وأنت ذليل

### — مجلس آخر ٣٧ —

[ تأويل آية ] ٠٠ إن سألت سائل عن قوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام

( قال رب السجن أحب الي مما يدعوتني اليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن )  
وأكن من الجاهلين) ٠٠ فقال اذا كانت المحبة عندهم هي الارادة فهذا تصرف من يوسف  
عليه السلام بارادة المعصية لأن حبسه في السجن وقطعه عن التصرف معصية من فاعله  
وقبيح من المقدم عليه وهو في القبح يجري مجرى ما دعى اليه من الزنا وقوله من بعد  
( وإلا تصرف عني كيدهن ) يدل على ان امتناعه من التبيح مشروط بمتهمه وصره من  
عن كيده وهذا بخلاف مذهبكم لانكم تذهبون الى ان ذلك لا يقع منه تصرف النسوة

عن كيدهن أو لم يصرفن .. الجواب قلنا أما قوله عليه السلام ( رب السجن أحب اليّ ) ففيه وجهان من التأويل .. أولهما ان الحجة متعلقة في ظاهر الكلام بما لا يصح على الحقيقة أن يكون محبوباً مراداً لأن السجن انما هو الجسم والأجسام لا يجوز أن يريد بها وانما يريد الفعل فيها والمتعلق بها والسجن نفسه ليس بطاعة ولا معصية وانما الأفعال فيه قد تكون طاعات ومعاصي بحسب الوجوه التي يقع عليها فادخال القوم يوسف عليه السلام الحبس أو اكرامهم له على دخوله معصية منهم وكونه فيه وصيره على ملازمته والمشايق التي تناله باستبطانه كان طاعة منه وقربة وقد علمنا ان ظلالاً لو أكره مؤمناً على ملازمته لبعض المواضع وترك التصرف في غيره لكان فعله المكروه حسناً وان كان فعل المكروه قبيحاً وهذه الجملة تبين أن لظاهر في الآية يقتضي ما ظنوه وانه لا بد من تقدير محذوف يتعلق بالسجن وليس لهم أن يقدروا ما يرجع الى الحابس من الأفعال إلا ولنا أن نقدر ما يرجع الى المحبوس واذا احتمل الكلام الأمرين ودل الدليل على أن النبي لا يجوز أن يريد المعاصي والقبايح اخص المحذوف المقدر بما يرجع اليه مما ذكرناه وذلك طاعة لالوم على مریده وحببه .. فان قبيل كيف يجوز أن يقول السجن أحب اليّ وهو لا يجب مادعوه اليه ومن شأن مثل هذه اللفظة أن تدخل بين ما وقع فيه اشتراك في معناها وان فضل البعض على البعض .. قلنا قد تستعمل هذه اللفظة في مثل هذا الموضع وان لم يكن في معناها اشتراك على الحقيقة إلا ترى ان من خير بين ما يحبه وما يكرهه جائز أن يقول هذا أحب اليّ من هذا وان لم يجز مبتدئاً أن يقول من غير أن يخبر هذا أحب اليّ من هذا اذا كان لا يجب أحدهما جملة وانما سوغ ذلك على أحد الوجهين دون الآخر من حيث كان الخبر بين الشبهين لا بخبر بينهما إلا وهما مرادان له وبما يصح أن يريدوا موضوع التخيير يقتضي ذلك وان حصل فيما ليس هذه صورته والمجيب عن هذا متى قال كذا أحب اليّ من كذا جيباً على ما يقتضيه موضوع التخيير وان لم يكن الأمران على الحقيقة يشتركان في تناول محبته وبما يقارب ذلك قوله تعالى ( قل أذلك خير أم جنة الخلد ) ونحن نعلم أن لا خير في العقاب وانما حسن ذلك لوقوعه موقع التوبيخ والتقريع على اختيار

المعاصي على الطاعات وانهم ماركبوا المعاصي وآثروها على الطاعات إلا لاعتقادهم أن فيها خيراً ونفعاً قليل أذلك خير على ما تظنونه وتعتقدونه أم كذا وكذا وقد قال قوم في قوله تعالى (أذلك خير أم جنة الخلد) إنما حسن ذلك لاشتراك الحالين في باب المنزلة وان لم يشتركا في الخير والنفع كما قال تعالى (خير مستقراً وأحسن مقيلاً) ومثله هذا قد يأتي في قوله تعالى (رب السجن أحب اليّ) لأن الأمرين يعني المعصية ودخول السجن مشتركان في أن لكلٍ منهما داعياً وعليه باعناً وان لم يشتركا في تناول المحبة فجعل اشتراكهما في داعي المحبة اشتراكاً في المحبة نفسها وأجرى اللفظ على ذلك ومن قرأ هذه الآية بفتح السين فالتأويل أيضاً ما ذكرناه لأن السجن المصدر فيحتمل أن يريد أن سجنني لم نفسي وصبري على حبسهم أحب اليّ من موازنة المعصية ولا يرجع بالسجن الي فعلهم بل الي فعله .. والوجه الثاني أن يكون معنى أحب اليّ أي أهون عندي وأسهل عليّ وهذا كما يقال لأحدنا في الأمرين يكرههما معاً ان فعلت كذا وإلاّ فعل بك كذا وكذا فيقول بل كذا أحب اليّ أي أهون عندي بمعنى أسهل وأخف وان كان لا يريد واحداً منهما وعلى هذا الجواب لا يتبع أن يكون إنما عنى فعلهم به دون فعله لانه لم ينجر عن نفسه بالمحبة التي هي الإرادة وإنما وضع أحب موضع أخف والمعصية قد تكون أهون وأخف من أخرى .. وأما قوله تعالى (وإلاّ تصرف عنى كيدهن أصبُ البهن) فليس المعنى فيه على ما ظنه السائل بل المراد متى لم تلتطف لي بما يدعوني الي مجازية المعصية وتثبتني الي تركها ومفارقها صبت منه عليه السلام على سبيل الانقطاع الي الله تعالى والتسليم لاموره وأنه لولا معونته ولطفه ما نجنا من كيدهن ولا شبهة في ان النبي إنما يكون معصوماً عن القبائح بعصمة الله تعالى ولطفه وتوفيقه .. فان قيل الظاهر خلاف ذلك لأنه قال (وإلاّ تصرف عنى كيدهن) فيجب أن يكون المراد ما يمنع من الكيد ويدفعه والذي ذكرتموه من الانصراف عن المعصية لا يقتضي ارتضاع الكيد والانصراف عنه .. قلنا معنى الكلام وإلاّ تصرف عنى ضرر كيدهن والغرض به لانهم إنما أجريين بكيدهن الي مساعدته لمن على المعصية فانما عصم منها ولطف له في الانصراف عنها فكان الكيد قد انصرف

عنه ولم يقع به من حيث لم يقع ضرره وما أجرى به اليه ولهذا يقال لمن أجرى بكلامه الى غرض لم يقع ما قلت شيئاً ولم فعل ما لا تأثير له ما فعلت شيئاً وهذا بين بحمد الله ومنه

[ تأويل خبر ] ٠٠ إن سأل سائل عن تأويل الخبر الذي يرويه عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبة طويلة خطبها من يتبع المشمعة يشمع به ٠٠ الجواب ان المشمعة هي الضحك والمزاح واللعب يقال شمع الرجل يشمع شموعاً وامرأة شموع اذا كانت كثيرة المزاح والضحك ٠٠ قال أبو ذؤيب يصف الحجير

بِقَرَارٍ قِيَعَانٍ سَقَاها وَاِبِلٌ وَاِمٍ فَاتَّجَمَ بُرْهَةٌ لَا يَقْلَعُ<sup>(١)</sup>

فَلَيْتَنِي حِينًا يَتَّجِنُ بِرَوْضَةٍ فَيَجِدُ حِينًا فِي الْمَلَاجِ وَيَسْمَعُ

أراد أن هذا الحمار الذي وصف حاله مع الآن وأنه معهن في بعض القيعان يعارك هذه الآن ومعنى - يتاجن - يعاض بعضهم بعضاً ويتراحم من النشاط فيجد الفعل معهن مرة وأخرى يأخذ معهن في اللعب فيسمع وفي جد لفتان يجرد ويجرد والمفتوح لغة هزيل ويقال فلان جاد مجد على اللغتين معاً ٠٠ وقيل ان معنى يشمع في الحمار انه يشم ثم يرفع رأسه فيكثر عن أضراسه فجعل ذلك بمنزلة الضحك ٠٠ قال الشاعر

وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ كُنْتُ نَفْسِي إِلَى لِبَاتٍ بَهْكَنَةِ شَمُوعٍ<sup>(٢)</sup>

(١) - الفرار - جمع قرارة وهو حيث يستقر الماء - والقيعان - جمع قاع وهو القطعة من الارض الصلبة الطيبة - والوابل - المطر العظيم القطر ٠٠ ويروي سقاها سيف وهو معار الصيف - والواهي - كأنه منشق من شدة انصبابه وكثرة مائه - واتجم - أقام ونبت - والبرهة - الحبن والزمان - والروضة - البقعة يجتمع فيها الماء ينبت فيها البقل والعشب ولا تسمى روضة الا اذا كان بها شجر وماء

(٢) يروي هيكلة مكان بهكنة وهيكله من النساء العظيمة وهيكلها اختيالها - والشموع - المزاحه - والهكنة - الثارة الغضة وقيل هي الجارية الخفيفة الطيبة الرائحة المليحة الحلوة

٠٠ وقال المتنخل الهندي

وَلَا وَاللَّهِ نَادِي الْحَيِّ ضَيْفِي هُدُوءًا بِالنِّسَاءِ وَالْعِلَاطِ  
سَأَبْدَأُهُمْ بِشَمْعَةٍ وَأَنْتِي بِيَهْدِي مِنْ طَعَامٍ أَوْ بَسَاطِ

أراد بقوله - نادي الحي ضيفي - أي لا يتادونه من النداء بالسوء والمكروه ولا يتلقونه بـ  
يؤثر - والعلاط - من أعلطه واعتلط به إذا خاصمه وشاغبه ووسه بالشر وأصله من  
علاط البعير وهو وسم في عنقه ٠٠ وقيل إن معنى نادي الحي ضيفي من النادي أي  
لا يجالسونه بالمكروه والسوء ٠٠ ومعنى سأبدأهم بشمعة أي بلمب وضحك لأن ذلك  
من علامات الكرم والسرور بالضيف والقصد إلى إيناسه وبسطه ٠٠ ومنه قول الآخر  
وَرُبَّ ضَيْفٍ طَرَقَ الْحَيَّ سُرَى صَادَفَ زَادًا وَحَدِيثًا مَا شِئْتِي<sup>(١)</sup>  
إِنَّ الْحَدِيثَ طَرَفٌ مِنَ الْقَرِي

وروي الأصبغي عن خلف الأحمر قال سنة الاصراب أنهم إذا حدثوا الرجل الغريب  
وهشوا إليه ومازحوه أيقن بالقرى وإذا أمرضوا عنه عرف الحرمان ٠٠ ومعنى أنتي  
يجهد من طعام أو بساط - أي اتبع ذلك بهذا ٠٠ ومعنى الخبر على هذا أن من كان من  
شأنه العيب بالناس والاستهزاء بهم والضحك منهم أصاره الله تعالى إلى حالة يعيب به فيها  
ويستهزأ منه ٠٠ ويقارب هذا الحديث من وجه حديث آخر وهو ما روي عن النبي صلى  
الله عليه وسلم من يسمع الناس بعمله يشمعه الله به والمعنى من يرأى بأعماله ويظهرها قريباً  
إلى الناس وأخذاً للمنازل عندهم يشهروه الله بالرياء ويفضحه ويهتكه ٠٠ ويمكن أيضاً في الخبر  
الأول وجه آخر لم يذكر فيه وهو أن من عادة العرب أن يسموا الجزاء على الشيء

(١) قوله ورب ضيف الخ ٠ البيتان للشماخ يمدح بهما عبد الله بن جعفر رضي الله

عنهما وقبلهما

إنك يا بن جعفر نعم الفتى وإم ماوى طارق إذا أتى

ورب ضيف الخ

باسمه ولذلك نظائر في القرآن وأشعار العرب كثيرة مشهورة فلا ينكر أن يكون المعنى من يبيع اللهو بالناس والاستهزاء بهم يصاقبه الله تعالى على ذلك وبمجازيه فسعى الجزاء على الفعل باسمه وهذا الوجه أيضاً ممكن في الخبر الثاني ٥٠ أخبرنا عبيد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال إني أفي سوق ضريبة وقد نزلت على رجل من بني كلاب كان متزوجاً بالبصرة وكان له ابن فضربه إذ أقبلت عجوز على ناقة لها حسنة البرة فيها باقي جمالٍ فأناخت وعقلت ناقها وأقبلت تشوكتاً على عجبها لها جفست قريباً منا وقالت هل من ملشد فقلت للكلابي أيجضرك نبي قال لا فأنشدتها شعراً لبشر بن عبد الرحمن الأنصاري

وقصيرة الأيام ودَّ جليسا لو باع مجلسها بفقد حميم  
من محذبات أخي الهوى غصص الجوى

بدلال غانية ومقلة ريم

صفراء من بقر الجواد كأنما خفر الحياء بها وردع سقيم

قال جئت على ركبها وأقبلت تحرش الأرض بمحجها وأنشأت تقول

ففي يأميم القلب تقرأ تحية  
هوى لك أو مؤذن لنا من وصالك  
لقد كنت طأ في النار أعلم أنه  
هدى منك لي أو ضلة من ضلالك  
سلى البانة العلياء بالاجرع الذي  
به البان هل حيت أطلال دارك  
وهل فتت في أطلالهن عشية  
مقام أخي البأساء واخترت ذلك  
ليهنك إن ساكي بكفي على الحشا  
ورفرق عيني خشية من زبالك

قال الأسمعي فأطلعت والله على الدنيا بجلالة منطقتها وفصاحة لهجتها فدنوت منها فقلت أشدتك الله لما زدتين من هذا فرأيت الضحك في عينها وأنشدت

وَمُسْتَخْفِيَاتٍ لَيْسَ يُحْفِقِينَ زُرْنَا  
يُسَبِّحْنَ أَذْيَالَ الصَّبَابَةِ وَالشُّكْلِ  
تَزَعْنَ وَقَدْ أَكْثَرْنَ فِينَا مِنَ الْقَتْلِ

مَرِيضَاتٍ رَجَعِ الطَّرْفِ خُرْسٍ عَنِ الْخَنَا

تَأَلَّفْنَ أَهْوَاءَ الْقُلُوبِ بَلَا بَدَلِ

مَوَارِقُ مِنْ خَنْتِ الْمَحِبِّ عَوَاطِفُ  
يُعَنِّفُنِي الْمُدَّالُ فِيهِنَّ وَالْهَوَى  
بِحْتَلِ دَوِي الْأَلْبَابِ بِالْجَدِّ وَالْهَزْلِ  
يُحَدِّرُنِي مِنْ أَنْ أُطِيعَ دَوِي الْمُدْلِ

[ قال المرزقي ] رضى الله عنه أما قول الأنصاري - وقصيرة الأيام - فأراد بذلك ان السرور يتكامل بحضورها لحسنها وطيب حديثها فتقتصر أيام جلوسها لأن أيام السرور موصوفة بالقتصر .. ويمكن أن يريد بقصيرة الأيام أيضاً حداثة سنها وقرب عهد مولدها وان كان الأول أشبه بما أتى في آخر البيت .. ومعنى - لو باع تجلسها بفقد حبيب أي ابتاعه وهذا اللفظ من الاسداد لأنه يستعمل في البائع والمشتري معاً .. قال الفراء سمعت امرأياً تقول بيع لي نمرأ بدرهم أي اشترى لي نمرأ .. وقال كثير

فَيَالَيْتَ عَزُّ النَّأَى إِذْ حَالَ بَيْنَنَا  
وَيَيْنُكَ بَاعَ الْوَدِّ لِي مِنْكَ تَاجِرٌ<sup>(١)</sup>  
أي ابتاع .. وقوله - من محذيات أخي الهوى - أي معطيات يقال أخذت الرجل من

(١) وقباه

|                            |                               |
|----------------------------|-------------------------------|
| بديلى وجارات لايسلى كأنها  | اماج الملا تحدى بين الاباعر   |
| أمنقطع ياعز ماكان بيننا    | وشاجرني ياعز فيك الشواجر      |
| إذا قيل هذا بيت عزة قادي   | اليه الهوى واستمعجتني البوادر |
| أسد وبى مثل الجنون لكى بري | رواة الخنا أنى لبيتك هاجر     |
| ألايت حظي منك ياعز اتى     | إذابت باع الصبر لى عنك تاجر   |

وهذه الرواية في البيت الأخير أشهر من تلك

القيمة أحذيه إحداء إذا أعطته والاسم الحذوة والحذيا والحذبة كل ذلك المعطية  
 ٠٠ وقوله - كأنما خفر الحياه بها رداع سقيم - فالرداع هو الوجع في الجسد فكأنه  
 أراد انها منقبضة منكسرة من الحياه كما يتغير لون السقيم أو يريد تغير لونها وصفرتها من  
 الحياه كما يتغير لون السقيم ويجري ويجري قول لبل الأخبيلية

وَمُحَرَّقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَحَالُهُ      بَيْنَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيمًا  
 حَتَّى إِذَا خَفِقَ اللَّوَاهُ رَأَيْتَهُ      تَحْتَ اللَّوَاهِ عَلَى الْخَمِيسِ زَعِيمًا

أخبرنا المرزباني قال حدثني أبو عبد الله الحكيمي قال حدثني ميمون بن هارون  
 الكاتب قال حدثنا ابن أخي الأصمعي عن عمه قال لقيت امرأياً بالبادية فاسترشدته  
 الى مكان فأرشدني وأرشدني

لَيْسَ الْعَمَى طُولُ السُّؤَالِ وَإِنَّمَا

تَمَامُ الْعَمَى طُولُ السُّكُوتِ عَلَى الْجَهْلِ (١)

فرجعت الى البصرة فكثرت بها حيناً ثم قدمت البادية فاذا بالامرأى جالساً بين ظهري  
 قوم وهو يقضى بينهم فما رأيت قضية أخطأت قضية المالحين من أفضيته فجلست اليه  
 فقلت يرحمك الله أما من رشوة أمأ من هدية أمأ من سلة فقال لا اذا جاء هذا ذهب  
 التوفيق فشكوت اليه ما ألقى من هذا حيلة لي إياي في طلب المعيشة فقال لست فيها  
 بأوحد وإني لشريكك ولقد قلت في ذلك شعراً أنشدنيه فأرشدني

بَاتَتْ تُعَبِّرُنِي الْإِقْتَارَ وَالْعَدَمَا      لَمَّا رَأَتْ لِأَخِيهَا الْمَالَ وَالْخَدَمَا  
 عَنَّفُ لِرَأْيِكَ مَا الْأَرْزَاقُ مِنْ جَلْدٍ      وَلَا مِنَ الْعَجْرِ بَلْ مَقْسُومَةٌ قِسْمَا

(١) وروي

شفاه العمى حسن السؤال وإنما      يطيله العمى طول السكوت على الجهل  
 لكن سائلا عما عنك فأنا      خلقت أفا عقل لتسأل بالعقل

وهما لاريأى التحوى

يَا أُمَّةَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ أَدْعُ طَلَبًا  
فَكُلُّ ذَلِكَ بِالْإِجْمَالِ فِي طَلَبِ  
لَوْ كَانَ مِنْ جِلْدِ ذَا الْمَالِ أَوْ آدَبِ  
إِذْ ضَيَّ مِنَ الْعَيْشِ مَا لَمْ تُحْجِجِي مَعَهُ  
وَاسْتَشْعِرِي الصَّبْرَ عَلَى اللَّهِ خَالِقَنَا  
لَا تُحْجِجِيَنِي إِلَى مَا لَوْ بَدَأَتْ لَهُ  
بِاللَّهِ سِرًّا أَنْتَ اللَّهُ خَوْلَنِي  
مَا سَرَّنِي أَنْتِي خَوَاتُ ذَلِكَ وَلَا  
وَأَنْتِي لَمْ أَفِذْ عَقْلًا وَلَا أَدَبًا  
فَمَسْرُةَ الْمَرْءِ أُخْرَى فِي مَعَاشِكَ مِنْ

قال فواءه ما أشدتها حتى حلفت أن لا تعذلي أبداً .. أخبرنا علي بن محمد الكاتب  
قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال رأيت  
بجاء شاباً من بني عامر ما رأيت بدوياً أفصح منه ولا أطرف فواءه كأنه شواط بتلطي  
فاستندته فأنشدني

فَلَمْ أَنْسِكُمْ يَوْمَ اللَّوِيِّ إِذْ تَعَرَّضْتُ  
فَقَالَتْ سَأُنْسِيكَ الْعِشِيَّةَ مَا مَضَى  
فَمَا قَمَلْتُ لِأَنَّ الَّذِي أَنَا عَبْدُهُ  
أَبَتْ سَابِقَاتِ الْحُبِّ إِلَّا مَقْرَهَا  
هُوَ الْكَذْبِيُّ فِي النَّفْسِ أَمْسَى دَخِيلَهَا

لَنَا أُمَّ طِفْلٍ خَاذِلٍ قَدْ تَجَلَّتِ  
وَأَصْرَفُ مِنْكَ النَّفْسَ عَمَّا أَحْبَبْتَ  
عَلَى مَا بَدَأَ مِنْ حُسْنِهَا إِذَا أَدَّتْ  
إِلَيْكَ وَمَا يَنْبِي إِذَا مَا اسْتَقْرَبْتَ  
عَلَيْهِ انْطَوَتْ أَحْشَاؤُهَا وَاسْتَمْتَرَتْ

وَأَسَدْنِي أَيْضًا

دِيَارٌ لِّئِي طَرَقْتِكَ وَهَنَا  
تُسَالِئِي وَأَصْحَابِي هُجُودٌ  
فَلَمَّا أَنْ شَكُوْتُ الْحُبِّ قَالَتْ  
وَلَكِنْ حَالُ دُونِكَ ذُو شَدَاةٍ  
بَرِيًّا رَوْضَةٍ وَذَكَاءَ رَنْدٍ  
وَتَثْنِي عِطْفَهَا مِنْ غَيْرِ صَدِّ  
فَأِنِّي فَوْقَ وَجَدِكَ كَانَ وَجَدِي  
أُسْرٌ يَفْقُدُهُ وَيَهْرُ فَقْدِي

معنى - يهر - يكره ٠٠ وبهذا الاسناد قال الأسمعي تقدمت الي اعرابي يقال له اسمعيل ابن عمار واذا هو يفتل اسابحه ويتلفف فقلت له علام تتلفف فأنتأ يقول

عَيْنَايَ مَشُومَتَانِ وَيَجْهَمَا  
عَرَفَتَانِي الْهَوَى يَظْلِمُهُمَا  
هُمَا إِلَى الْحَيْنِ قَادَتَا وَهُمَا  
سَاءَ عَذْرُ الْقَلْبِ فِي هَوَاهُ فَمَا  
وَالْقَلْبُ حَرَّانٌ مُبْتَلَى بِهِمَا  
يَا لَيْتَنِي قَبْلَهُ عَدَمْتُهُمَا  
ذَلَّ عَلَى مَا أُجِنُّ دَمْعُهُمَا  
سَبَبَ هَذَا الْبَلَاءِ غَيْرُهُمَا

وبهذا الاسناد عن الأسمعي قال زلت ليلة في وادي بني العنبر وهو اذ ذاك غان بأهله أي أهل فاذا فتية يريدون البصرة فأجبت محبتهم فأقت ليالي تلك عابهم وإني لو صب محموم أخاف أن لا أستمك على راحتي فلما أقاموا ليروحوا ليأبغضوني فلما رأوا حالي رحلوا لي وحلوني وركب أحدهم ورائي يسكني فلما أمعنوا السير تنادوا الا فتى يحدو بنا أو ينشدنا فاذا منشدي في سواد الليل بصوت ندى حزين ينشد

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ بَانُوا فَلَمْ أَمُتْ  
غَدَاةَ الْمُنَى إِذْ رُمِيتُ بِنَظْرَةٍ  
فَقَلْتُ لِقَلْبِي حِينَ خَفَّ بِهِ الْهَوَى  
فَهَذَا وَلَمَّا تَمَضَّ اللَّيْلُ لَيْلَةٌ  
خَفَانًا عَلَى آثَارِهِمْ لَصَبُورٌ  
وَنَحْنُ عَلَى مَتْنِ الطَّرِيقِ نَسِيرٌ  
وَكَأْذٍ مِنَ الْوَجْدِ الْمُبِرِّ يَطِيرُ  
فَكَيْفَ إِذَا مَرَّتْ عَلَيْكَ شُورٌ

وَأَصْبَحَ أَعْلَامُ الْأَحْبَةِ دُوتَهَا مِنْ الْأَرْضِ غَوْلٌ نَارِحٌ وَمَسِيرٌ

وَأَصْبَحَتْ نَجْدِيَّ الْهَوَى مَثِيمَ النَّوَى

أَزِيدُ اشْتِيَاقًا أَنْ يَجِيَنَّ بَعِيرٌ

عَسَى اللَّهُ بَعْدَ النَّأْيِ أَنْ يُسَعِفَ النَّوَى

وَيَجْمَعُ شَمْلًا بَعْدَهَا وَسُرُورٌ

قال فسكنت والله عني الحمى حتى ما أحس بها فقلت لرفيقي انزل برحمتك الله الى راحتك فاني متأسك وجزاك الله عن المحبة خيراً .. أخبرنا المرزباني قال أخبرنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثنا بعض أصحابنا عن الأصمعي قال كان بالبصرة اصرايبي من بني تميم يتطفل على الناس فعاتبته على ذلك فقال والله ما بنيت المنازل إلا لتدخل ولا وضع الطعام إلا ليؤكل وما قدمت هدية فأتوقع رسولا وما أكره أن أكون ثقلاً ثقيلاً على من أراه شحيحاً بخيلاً أتفهم عليه مستأنساً وأضحك اذا رأيته عابساً فأكل برغمه وأدعه بهمه وما اخترق لهوات طعام أطيب من طعام لم ينفق فيه درهم ولا يعنى اليه خادم<sup>(١)</sup> وأنشأ يقول

كُلَّ يَوْمٍ أَذُورُ فِي عَرَصَةِ الْحَبَا  
يِيَّ أَشْمُ الْمُتَارِشَمِ الذَّبَابِ

(١) وروى من غير هذا الوجه عن المبرد قال كان بالبصرة طقيلي مشهور وكان ذا أدب ونظرف فر بسكة التمتع بالبصرة على قوم عندهم وليمة فاقفهم عليهم وأخذ مجلسه مع من دعي فأنكره صاحب المنزل فقالوا له لو تأنيت أو سبرت يا هذا قبل الدخول حتى يؤذن لك كان أحسن لادبك وأعظم لقدرك وأجل لمروءتك فقال إنما اتخذت البيوت ليدخل فيها ووضع الموائد ليؤكل عليها والحشمة قطيعة وأطراحيها صلة وجاء في الآثار صل من قطعك واعط من منعك وأحسن الي من أساء اليك

فَاذَا مَا رَأَيْتَ آثَارَ عُرْسٍ      أَوْ خِنَانٍ أَوْ مَجْمَعِ الْأَصْحَابِ  
 لَا أُورِّعُ دُونَ التَّقْصُمِ لِأَزْ      هَبْ دَفْعًا وَلَكِرَّةَ الْبَوَابِ  
 مُسْتَهِينًا مِمَّا هَجَمَتْ عَلَيْهِ      غَيْرَ مُتَأَذِّنٍ وَلَا هَيَّابِ  
 فَتَرَانِي أَلْفٌ مَا قَدَّمَ الْقَوَى      مٌ عَلِي رَغْمِهِمْ كَلَفَ الْعُقَابِ  
 ذَاكَ أَدْنَى مِنَ التَّكْلِيفِ وَالْفَرْزِ      مِ وَغَيْظِ الْبُقَالِ وَالْقَصَابِ

— مجلس آخر ٣٨ —

[ تأويل آية ] ٠٠ [ إن سألت سائل عن قوله تعالى ( ونادى نوحٌ ربه فقال رب إن أبي  
 من أهلي ) الى قوله ( أن تكون من الجاهلين ) ٠٠ فقال ظاهر قوله تعالى ( إنه ليس  
 من أهلك ) يقتضى تكذيب قوله عليه السلام انه من أهلي فالنبي لا يجوز عليه الكذب  
 فا الوجه في ذلك وكيف يصح أن يخبر عن ابنه انه عمل غير صالح وما المراد به ٠٠  
 الجواب قلنا في هذه الآية وجوه ٠٠ أحدها أن نبيه لان يكون من أهله يتناول انى  
 النسب وانما انى أن يكون من أهله الذين وعد نجاتهم لانه عز وجله كان وعد نوحاً  
 عليه السلام بان ينجي أهله ألا ترى الى قوله تعالى ( قلنا احمل فيها من كل زوجين  
 اثنين وأهلك إلا من - سبق عليه القول ) فاستثنى تعالى من أهله من أراد اهلاكه  
 بالفرق ويدل عليه أيضاً قول نوح عليه السلام ( ان ابني من أهلي وان وعدك الحق )  
 وعلى هذا الوجه يتطابق الخبران ولا يتناقبان وقد روى هذا التأويل بعينه عن ابن  
 عباس وجماعة من المفسرين ٠٠ والجواب الثاني أن يكون المراد بقوله تعالى ( ليس من  
 أهلك ) اى انه ليس على دينك وأراد انه كان كافراً مخالفاً لأبيه وكان كفره أخرجه  
 من أن يكون له أحكام أهله ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى على طريق التعليل انه عمل

غير صالح فبين تعالى انه اتما خرج من أحكام أهله لكفره وسوء عمله وقد روي هذا التأويل أيضاً عن جماعة من المفسرين وحكى عن ابن جريج انه سئل عن ابن نوح فبيح طويلاً ثم قال لا اله الا الله يقول الله ونادى نوح ابنه ويقول ليس منه ولكنه خالفه في العمل فليس منه من لم يؤمن .. وروي عن عكرمة انه قال كان ابنه ولكنه كان مخالفاً له في النية والعمل فمن ثم قيل انه ليس من أهلك .. والوجه الثالث انه لم يكن ابنه على الحقيقة وانما ولد على فراشه فقال عليه السلام ان ابني على ظاهر الأمر فأعلمه الله تعالى ان الأمر بخلاف الظاهر ونهيه على خيانه امرأته وليس في ذلك تكذيب خبره لانه اتما خبر عن ظنه وحمها يقتضيه الحكم الشرعي فأخبره الله تعالى بالغيب الذي لا يعلمه غيره وقد روي هذا الوجه عن الحسن وغيره .. وروي قتادة عن الحسن قال كنت عنده فقال ونادى نوح ابنه فقال لعمر الله ما هو ابنه فقلت يا أبا سعيد يقول الله تعالى ونادى نوح ابنه ويقول ليس بابن قال أفرايت قوله ليس من أهلك قال قلت معناه انه ليس من أهلك الذين وعدت ان أنجيهم معك ولا يختلف أهل الكتاب انه ابنه فقال أهل الكتاب يكذبون .. وروي عن مجاهد وابن جريج مثل ذلك .. وهذا الوجه يبعد إذ فيه منافاة للقرآن لانه قال تعالى (ونادى نوح ابنه) فأطلق عليه اسم البنوة ولأنه أيضاً استثناء من جملة أهله بقوله تعالى (وأهلك إلا من سبق عليه القول) ولان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجب أن ينزهوا عن مثل هذه الحال لانها تعر وتشين وتقض من القدر وقد جذب الله تعالى أنبياءهم عليهم الصلاة والسلام ما هو دون ذلك تعاضياً لهم وتوقيراً وتقياً لكل ما ينفر عن القبول منهم وقد حمل ابن عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة على ان تأويل قوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط نختائهما على ان الخيانة لم تكن منهما بل ان كانت احداهما تخبر الناس بانه مجنون والأخرى تدل على الأضياف والمعتمد في تأويل الآية هو الوجهان المتقدمان .. فأما قوله تعالى ( انه عمل غير صالح ) فالقراءة المشهورة بالرفع .. وقد روي عن جماعة من المتقدمين انهم قرؤوا انه عمل غير صالح بنصب اللام وكسر الميم ونصب غير ولكل وجه .. فأما الوجه في الرفع فيكون على تقدير ان ابنك ذو عمل غير صالح وما يستعمل غير صالح مخدّف

المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وقد استشهد على ذلك بقول الخنساء

مأثم سقب علي بؤ تظيف به قد ساعدتها على التحنان أظأر  
ترزع مارتعت حتى إذا ذكرت فإنا هي إقبال وإدبار

أرادت إنما هي ذات إقبال وإدبار .. وقال قوم إن المعنى أصله ابنك هذا الذي ولد على فراشك وليس بابنك على الحقيقة والذي اخترناه خلاف ذلك .. وقال آخرون الهاء في قوله تعالى ( أنه عمل غير صالح ) راجعة إلى السؤال والمعنى أن سؤالك إياي ما ليس لك به علم أنه عمل غير صالح لأنه قد وقع من نوح ذلك السؤال والرغبة في قوله عليه الصلاة والسلام ( رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق ) ومعنى ذلك نجه كما نجهنهم ومن يجيب بهذا الجواب يقول إن ذلك صغيرة من النبي لأن الصغيرة جائزة عليهم ومن يتنع أن يقع من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام شيء من القبائح يدفع هذا الجواب ولا يجعل الهاء راجعة إلى السؤال بل إلى الابن ويكون تقدير الكلام ما تقدم .. فإذا قيل له لم قال تعالى ( لا تسألني ما ليس لك به علم ) فكيف قال نوح عليه الصلاة والسلام من بعد ( رب إن أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ) .. قال لا يتنع أن يكون نهي عن سؤال ما ليس له به علم وإن لم يقع منه لم يكن يعوذ عليه الصلاة والسلام من ذلك وإن لم يواقع له ألا ترى أن الله تعالى قد نهى نبيه عليه الصلاة والسلام عن الشرك والكفر وإن لم يكن ذلك وقع منه فقال تعالى ( لئن أشركت ليحبطن عملك ) وكذلك لا يتنع أن يكون نهاء في هذا الموضع عما لم يقع ويكون عليه الصلاة والسلام إنما سأل نوحاً ابنه بأشراط المصاحبة لا على سبيل القطع وهكذا يجب في مثل هذا الدعاء .. فأما القرامة بالنصب فقد ضعفها قوم وقالوا كان يجب أن يقال أنه عمل عملاً غير صالح لأن العرب لا تكاد تقول هو بعمل غير حسن حتى تقول عملاً غير حسن وليس وجهها بضعيف في العربية لأن من مذهبهم الظاهر إقامة الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس فيقول القائل قد فعلت صواباً وقلت حسناً بمعنى فعلت فعلاً صواباً وقلت قولاً حسناً .. وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي

أَيُّهَا الْقَائِلُ غَيْرَ الصَّوَابِ      أَخْرَجَ النَّصْحَ وَأَقْلَبَ عِنَابِي  
وقال أيضاً

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ مَائِيَاءَ بِهِ دَمٌ      وَمِنْ غَلَقِي رَهْنًا إِذَا ضَمَّهُ مِنِّي  
وَمِنْ مَالِيءٍ عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ  
إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالدُّمِيِّ<sup>(١)</sup>

وأشدنا أبو عبد الله لرجل من بجيلة

كَمْ مِنْ ضَمِيفِ الْعَقْلِ مُتَنَكِّثِ الْقَوَى

مَا لَيْتَ لَهُ تَقْضُؤٌ وَلَا إِبْرَامُ

مَا لَتْ لَهُ الدُّنْيَا عَلَيْهِ بِأَسْرِهَا      فَعَلِيهِ مِنْ رِزْقِ الْإِلَهِ رُكَامُ

وَمُشَجَّحِ جَائِدِ أَمِينِ حَازِمِ      مَرَسَ لَهُ فِيمَا يَرُومُ مَرَامُ

أَعْمَى عَلَيْهِ سَبِيلُهُ فَكَأَنَّهُ      فِيمَا يَحَاوِلُهُ عَلَيْهِ حَرَامُ

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن العباس البيهقي قال حدثنا ميهون بن

(١) وقبل البيتين

فلم أر كالتجمير منظر ناظر      ولا كالبال الحج أفنن ذاهوي

وبعدهما

يسبحن اذبال المروط بأسوق      خدال وأعجاز ما كمها روي

وسبب هذه الايات ان أم عمرو بنت مروان حججت فلما قضت نسكها أتت عمر  
ابن أبي ربيعة وقد أخفت نفسها في نساء خادمتها ثم انصرفت وعادت اليه منصرفها من  
عرفات وقد أثبتتها فمالت له لا تذكرني في شعرك وبعتت اليه بألف دينار فقباها واشترى  
بها ثيابا من ثياب اليمن وطيباً فأهداه اليها فردته فقال إذا والله انهبه الناس فيكون  
مشهوراً فقبلته

مرون قال حدثنا اسحق بن ابراهيم الموصلي قال كان محمد بن منصور بن زياد الملقب  
ببني المسكر يميل الى الأسمعي ويفضله ويقوم بأمره قال فجئته يوماً بعد موت محمد  
وعنده عبد كان لمحمد أسود وقد ترك الناس وأقبل عليه وسأله ونحى به وحاده فلما  
خرج كنت على ذلك وقلت من هذا حتى أفيت عمر يومك به فقال هذا غلام ابن  
منصور ثم أنشدني

وَقَالُوا يَا حَمِيلُ أَتَى أَخُوهَا      قَقَلْتُ أَتَى الْحَبِيبَ أَخُو الْحَبِيبِ  
أُحْبَبُكَ وَالْقَرِيبُ بِنَا بَعِيدُ      لِإِنَّ نَاسَبَتَ بَنَتَهُ مِنْ قَرِيبِ

فقلت له وكنت أفعل هذا كثيراً به لاستجر كلامه وعلمه يا أبا سعيد ذلك أخوها وهذا  
غلامه فضحك وقال أنشد أبو عمرو أو قال غيره

أَرَى كُلَّ أَرْضٍ أَوْطَنَتْهَا وَإِنْ خَلَتْ      لَهَا حِجَجٌ تَنْدِي بِمَسْكِ زُرَابِهَا  
حَلَفْتُ بِأَنِّي لَوْ أَرَى تَبَعًا لَهَا      ذِئَابَ الْقَضَى حَتَّى يَلِي ذِئَابِهَا

قال فحملت أعجب من قرب لسانه من قلبه واجادة حفظه له متى أراد . . وبهذا الاسناد  
عن اسحق الموصلي قال قرأت على الأسمعي شعر امرئ القيس فلما بلغت الى هذا البيت  
أمن أجلي أعرابية حلّ أهلها      برؤوس الشرى عينك بتدريان

فقال لي أنعرف في هذا البيت خوياً باطناً غير ظاهر فأت لا فسكت عنى فقلت ان كان  
فيه شيء فافديته قال نعم أما يدلك البيت على أنه لفظ ملك منهن ذى قدرة على ما يريد  
قال اسحق وما رأيت قط مثل الأسمعي في العلم بالشعر . . وروى عن اسحق أيضاً  
انه قال قال لي الأسمعي ما يعنى امرؤ القيس بقوله

فَمَثَلِكِ حَبْلِي قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعِ

فَأَلْبَيْتِهَا عَنْ ذِي تَمَامِ مَحْوَلِ

فقلت تخبرني فقول كان مفركا فيقول البيت هؤلاء عن كراهتهن للرجال فكيف أنا عند  
الحبات لهم . . وروى ان السبب الذي هاج الثنافر بين الأسمعي وابن الاصرابي ان

الأصمعي دخل يوماً على سعيد بن سلم وابن الأعرابي حينئذ يؤدب ولده فقال لبعضهم  
 أنشد أبا سعيد فأنشد الغلام أبياتاً لرجل من بني كلاب رَوَاهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ  
 رَأَتْ نَضْوَ أَسْفَارٍ أَمِيمَةً شَاحِبِيًّا عَلَى نَضْوِ أَسْفَارٍ فَجَنَّ جُنُونُهَا  
 قَالَتْ مِنْ أَيِّ النَّاسِ أَنْتَ وَمَنْ تَسْكُنُ

فإنك راعي صُرْمَةٍ لَا يَزِينُهَا

قَالَتْ لِمَ لَيْسَ الشُّعْبُ عَلَى الْفَتَى      بَدَارٌ وَلَا خَيْرُ الرِّجَالِ سَمِينُهَا  
 عَلَيْكَ بَرَاعِي ثَلَاثَةٌ مُسَلَّحَةٌ      بِرُوحٍ عَلَيْهِ نَحْضُهَا وَحَقِينُهَا  
 سَمِينُ الضَّوَّاحِيِّ لَمْ تُوْرِقْهُ لَيْلَةٌ      وَأَنْتُمْ أَبْكَارُ الِهُمُومِ وَعَوْنُهَا

ورفع ليلة فقال له الأصمعي من روائك هذا فقال مؤدبي فأحضره فاستشده فأنشده  
 ورفع ليلة فأخذ ذلك عليه وفسر البيت فقال إنما أراد أنه لم يُورقهُ ليلة أبكار الهموم  
 وعونها وأنتم أي زاد عمل هذه الصفة . . . وقوله -سمين الضواحي- أي مظهر منه ويبدأ  
 سمين ثم قال الأصمعي لابن سلم من لم يحسن هذا المقدار فليس بموضع لتأديب ولد المملوك  
 . . . وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا  
 الأصمعي قال ولد يشار بن برد أكره لم ينظر إلى الدنيا قط وكان ذا فطنة وذكاء فقالت  
 له يوماً من أين لك هذا الذكاء قال من قدم العمى وعدم المناظر يمنع من كثير من  
 الخواطر المذهلة فيكسب فراغ الذهن وسحة الذكاء وأنشد لنفسه يفرغ بالعمى

عَمِيَتْ جَنِينًا وَالذِّكَاةُ مِنَ الْعَمَى      فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعَلِيمِ . . . وَثَلَا  
 وَغَاضَ ضَيَاءَ الْعَيْنِ لِلْعَقْلِ رَافِذَا      بِقَلْبٍ إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ حَصَلَا  
 وَشِعْرٍ كَنُورِ الرُّوضِ لَا أَمْتُ بَيْنَهُ

بِقَوْلٍ إِذَا مَا أَحْزَنَ الشِّعْرُ أَسْهَلَا

وأخبرنا المرزباني قال أخبرنا محمد بن العباس البريدي قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا

الأصمعي قال أنشد رجل وأنا حاضرٌ بشاراً قول الشاعر  
 وَقَدْ جَعَلَ الْأَعْدَاءُ يَنْتَقِصُونَنَا وَتَطْمَعُ فِينَا أَلْسُنٌ وَعَيُونُ  
 إِلَّا إِنَّمَا لِي عَصِي خَيْرٌ رَانَةٌ إِذَا عَمَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ  
 فقال بشار والله لو جعلها عصي يح أو زبد لمساكن إلا عخطتاً مع ذكر العصى ألا قال  
 كما قلت

وَحَوْرَاءُ الْمَدَامِعِ مِنْ مَعْدَةٍ كَأَنَّ حَدِيثَهَا قِطْعُ الْجُمَانِ  
 إِذَا قَامَتْ لِيَسْبَحَهَا تَنَنَّتْ كَأَنَّ قَوَامَهَا مِنْ خَيْرِ زُرَانِ  
 يَنْسِيكَ الْمُنَى نَظْرُ إِلَيْهَا وَيَصْرِفُ وَجْهَهَا وَجْهَ الزَّمَانِ

• وأخبرنا المرزباني قال حدثنا علي بن أبي عبد الله الفارسي قال حدثني أبي عن عمر بن  
 شبة قال قال لي أبو عبيدة رجل بشار إلى الشام فدح سليمان بن هشام بن عبد الملك  
 وكان مقبلاً بمران فقال فيه قصيدة طويلة أولها  
 نَأْتُكَ عَلَى طَوْلِ التَّجَاوُرِ زَيْنُبُ وَمَاعَلَمَتْ أَنَّ النَّوَى سَوْفَ يَشْعَبُ  
 وكان سليمان بخيلاً فاعطاه خمسة آلاف درهم ولم يصب غيرها بعد ان طال مقامه فقال  
 إِنَّ أَمْسِي مَنْشَجَ الْيَدَيْنِ عَنِ النَّدَى

وَعَنِ الْعُدْوِ نَحْبَسُ الشَّيْطَانَ  
 فَلَقَدْ أَرُوْحُ عَلَى الْأَثَامِ مُسَلِّطًا  
 تَلْبِجُ الْمَقَامِ مُنْعَمَ النَّدْمَانِ  
 فِي ظِلِّ عَيْشٍ عَشِيرَةٍ مَحْمُودَةٍ  
 تَنْدَى يَدَيْ وَيَحَافُ قَرْطَ لِسَانِي  
 وَأِذِ الْأَمِيرِ عَلِيٍّ مِنْ حَرَّانِ  
 أَرْمَانِ سِرْبَالِ الشَّيَابِ مُذِلِّ  
 بَرَقَتْ عَلَيْهِ أَكَلَةُ الْمَرْجَانِ  
 رَثْمٌ بِأَحْوِيَةِ الْمِرَاقِ إِذَا بَدَأَ  
 وَبِوَشَكِ رُؤْيَتِهَا مِنْ الْهَمَلَانِ  
 فَكَحَلِ تَعْبِدَةً مَقْلَتِكَ مِنَ الْقَدَى

فَلَقَرْتُبُ مِنْ تَهْوَى وَأَنْتَ مَتِيمٌ      اشْفَى لِدَاثِكَ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ

فلما رجع الى العراق بره ابن هبيرة ووصله وكان ابن هبيرة يقدمه ويؤثره لمدهحه قيساً وافتخاره بها فلما جاءت دولة أهل خراسان عظم شأنه ٥٠ وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال قال الأصبغي ما وصف أحداً النفر إلا احتاج الى قول بشر بن أبي خازم

يُفْلِحُنَ الشِّقَاةَ عَنْ أَقْحَوَانٍ      جَلَاةُ غَيْبٍ سَارِيَةٍ قِطَارُ

ولا وصف أحداً اللون بأحسن من قول عمر بن أبي ربيعة

وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحْيَرُ مِنْهَا      فِي أَدِيمِ الْخَدَّيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ  
شَفَّ عَنْهَا مُحَقَّقٌ جُنْدِيٌّ      فَهِيَ كَالشَّمْسِ مِنْ خِلَالِ السَّحَابِ

ولا وصف أحداً عيني امرأة إلا احتاج الى قول ابن الرقاع

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْ رَأَيْتِ قَدْ بَدَأَ      فِيهِ الْمَشِيبُ لَرُزْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ  
فَكَأَنَّهَا وَسَطُ النَّسَاءِ اعَارَهَا      عَيْنِيهِ أَحْوَرُ مِنْ جَادِرِ جَاسِمِ  
وَسَنَانُ أَفْصَدَهُ النَّعَاسُ فَرْتَقَتْ      فِي عَيْنِهِ سِنَّهُ وَأَيْسَ بِنَانِمِ

ولا وصف أحداً نحيباً إلا احتاج الى قول حميد بن نور

مُحَلِّي بَاطُوقٍ عِتَاقِي يُبِينُهَا      عَلَى الضَّرِّ رَاعِي الضَّأْنِ لَوْ يَتَقَوَّفُ

ولا وصف أحداً ظليماً إلا احتاج الى قول علقمة بن عبدة

هَيْقُ كَانَ جَنَاحِيهِ وَجُوجُهُ      يَبْتَاطُفَتْ بِهِ خِرْقَاهُ مَهْجُومُ

ولا اعتذر أحد إلا احتاج الى قول النابغة

فَأَنْتَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُذْرِكِي      وَإِنْ خَلْتُ أَنْ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَأَسْمُ

[ قال الشريف المرتضى ] رضى الله عنه ٥٠ أما قول حميد محلي بباطوق عتاقى فانه

يريد أن عليه نجار الكرم والعتق فصارت دلالتهما وسماهما حلبة من حيث كان موسوماً

بهما ٠٠ ومعنى - يدينها على الضراء - يدينها ويعرفها بهذا الراعى فيعلم انه كريم -  
 والتخوف - من القباة ٠٠ فأما قول علقمة هيق - فالحيق - ذكر النعام ٠٠ ومعنى -  
 أطافت به خرقاء - أى عملته وابنته وقيل ان خرقاء ههنا هى الحاذقة وان هذه اللفظة  
 تستعمل على سبيل الاضداد فى الحاذقة وغير الحاذقة ٠٠ ومعنى - مهبجوم - أى مهجوم ٠٠  
 وقال الأصمى معنى أطافت به عملته فخرقت فى عمله يقول قد أرسل جناحيه كأنه خباء  
 امرأة خرقاء كما رفعت ناحية استرخت ناحية أخرى والوجه الثانى أشبه وأملح ٠٠ فأما  
 قول بشر بن أبى حازم فى وصف الثمر فأحسن منه وأكشف وأشد استيفاء للمعنى قول الذابضة

كَالأَفْحْوَانِ غَدَاةَ غَبِّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي

فأما وصف أعاليه بالجوف ليكون متفرقاً متنزداً غير متلبذ ولا مجتمع فيشبه حيائد  
 الثمور ٠٠ ثم قال وأسفله ندى حتى لا يكون حلقاً يابساً بل يكون فيه القضاة والصدالة  
 فيشبه غروب الاستان الذى تلمع وتبرق ٠٠ وروى الرياشى قال سمعت الأصمى يقول  
 أحسن ما قيل فى وصف الثمر قول ذى الرمة

وَتَجَلُّوْ بِفَرْعٍ مِنْ أَرَاكِ كَأَنَّهُ مِنْ الْعَبْرِ الْهِنْدِيِّ وَالْمَسْكِ يَنْضَحُ  
 ذُرَى أَفْحْوَانٍ وَاجَهَ اللَّيْلِ وَارْتَقَى إِلَيْهِ النَّدَى مِنْ رَامَةِ الْمَتْرُوحِ  
 هِجَانُ الشَّيْبَانِ مُغْرَبًا لَوْ تَبَسَّمْتَ لِأَخْرَسَ عَنْهُ كَادَ بِالْقَوْلِ يُفْصَحُ



مجلس آخر ٣٩ ❖

[ تأويل آية ] ٠٠ إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى ( فلا تعجبك أموالهم ولا  
 أولادهم إنما يريد الله ليذهبهم بها فى الحياة الدنيا وتزحق أنفسهم وهم كافرون ) ٠٠ فقال  
 كيف يذهبهم بالأموال والأولاد ومعلوم أن لهم فيها سروراً ولذة وأما تأويل قوله تعالى  
 ( وهم كافرون ) فظاهره يقتضى انه أراد كفرهم من حيث أراد أن تزحق أنفسهم فى

حال كفرهم لأن الفائل اذا قال أريد أن يلقاني فلان وهو لا يس أو على صفة كذا وكذا فالظاهر انه اراد كونه على تلك الصفة . . . الجواب قلنا أما التعذيب بالأموال والأولاد ففيه وجوه . . . أولها ما روى عن ابن عباس وقتادة وهو أن يكون في الكلام تقديم وتأخير ويكون التقدير فلا تعجبك يا محمد ولا يعجب المؤمنين معك أموال هؤلاء الكفار والمنافقين ولا أولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة عقوبة لهم على منعهم حقوقها واستشهد على ذلك بقوله تعالى ( اذهب بكتابي هذا فآلته اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ) . . . وأنشد في ذلك قول الشاعر

عشيّة أبدت جيد أدماء مغزّلٍ      و طرفاً يربك الإثمّد الجون أحورا

يريد وطرفاً أحور يربك الإثمّد الجون وقد اعتمد على هذا الوجه أيضاً أبو علي قطرب وذكره أبو القاسم البلخي والزجاج . . . وثانيها أن يكون معنى التعذيب بالأموال والأولاد في الدنيا هو ما جعله للمؤمنين من قتالهم وغنيمة أموالهم وسبي أولادهم واسترقاقهم وفي ذلك لا محالة إيلاّم لهم واستخفاف بهم وانما أراد الله تعالى بذلك اعلام نبيه صلى الله عليه وآله والمؤمنين انه لم يرزق الكفار الأموال والأولاد ولم يبقها في أيديهم كرامة لهم ورضى عنهم بل لاه صلاحة الداعية الي ذلك وانهم مع هذه الحالة معذبون بهذه النعم من الوجه الذي ذكرناه فلا يجب أن يذبطوا بها ويحدوا عليها اذ كانت هذه حاجتهم والمعاقب الأليم في النار أجلتهم وهذا جواب أبي علي الجبائي وقد طعن عليه بعض من لا تأمل له فقال كيف يصح هذا التأويل مع اننا نجد كثيراً من الكفار لانسالهم أيدي المسلمين ولا يقدرون على غنيمة أموالهم وتجد أهل الكتاب أيضاً خارجين عن هذه اللجنة لمكان الذمة والعهد وليس هذا الاعتراض بشئ لأنه لا يمتنع أن تختص الآية بالكفار الذين لا ذمة لهم ولا عهد عن أوجب الله تعالى محاربتهم فأما الذين هم بحيث لانسالهم الأيدي أو هم من القوة على حد لا ينم معه غنيمة أموالهم فلا يقدح الاعتراض بهم في هذا الجواب لأنهم ممن أراد الله تعالى أن يسبي ويقم ويجهاد ويقلب وان لم يقع ذلك وليس في ارتفاعه بالتعذر دلالة على انه غير مراد . . . وثالثها أن يكون المراد بتعذيبهم

بذلك كلما يدخله في الدنيا عليهم من القوم والمصابب بأموالهم وأولادهم التي لهؤلاء الكفار المناهقين عقاب وجزاء وللمؤمنين محنة وجالبة للعوض والنفع ويجوز أيضاً أن يراد به ما ينذر به الكافر قبل موته وعند احتضاره وانقطاع التكليف عنه مع أنه حي من العذاب الدائم الذي قد أعد له واعلامه أنه صائر إليه أو ينتقل إلى قراره وهذا الجواب قد روي معنى أكثره عن قوم من متقدمي المفسرين وذكره أبو علي الجبائي أيضاً . . . ورابعها جواب يحيى عن الحسن واختاره الطبري وقدمه على غيره وهو أن يكون المراد بذلك ما ألزمه هؤلاء الكفار من الفرائض والحقوق في أموالهم لأن ذلك يؤخذ منهم على كره وهم إذا أنفقوا فيه أنفقوا بغير نية ولا عزيمة فتصير نفقتهم غرامة وعذاباً من حيث لا يستحقون عليها أجراً . . . [قال الشريف المرتضى] رحمه الله وهذا وجه غير صحيح لأن الوجود في تكليف الكافر إخراج الحقوق من ماله كالوجه في تكليف المؤمن ذلك ومحال أن يكون إنما كلف إخراج هذه الحقوق على سبيل العذاب والجزاء لأن ذلك لا يقتضي وجوبه عليه والوجه في تكليف الجميع هذه الأمور هو المصاحبة والاطمئنيح في التكليف ولا يجري ذلك مجرى ما قلناه في الجواب الذي قبل هذا من أن المصابب والقوم تكون للمؤمنين محنة وللكافرين عقوبة لأن تلك الأمور مما يجوز أن يكون وجه حسنها للعقوبة والمحنة جميعاً ولا يجوز في هذه الفرائض أن يكون لوجوبها على المكلف إلا وجه واحد وهو المصاحبة في الدين فاقترن الأمران وليس لهم أن يقولوا ليس التعذيب في إيجاب الفرائض عليهم وإنما هو في إخراجهم لأموالهم على سبيل التكره والاستتقال وذلك أنه إذا كان الأمر على ما ذكره وخرج الأمر من أن يكون مراداً الله تعالى لأنه جل وعز ما أراد منهم إخراج المال على هذا الوجه بل على الوجه الذي هو طاعة وقربة فإذا أخرجوها متكرهين مستنقابين لم يرد ذلك فكيف يقول إنما يريد الله ليعذبهم بها ويجب أن يكون ما يعذبون به شيئاً يصح أن يريد الله تعالى . . . [قال الشريف] رحمه الله وجميع هذه الوجوه التي حكيتها في الآية إلا جواب التقديم والتأخير مبينة على أن الحياة الدنيا طوق للعذاب فيجعل كل متأول من القوم ضرباً من التأويل ويطلق ذلك وما يحتاج عندنا إلى جميع ما تكلفوه ولا إلى التقديم والتأخير إذا لم يجعل الحياة نظراً للعذاب بل جعلناها نظراً للتعليق

الواقع بالأموال والأولاد المتعاقق بهما لإنا قد علمنا أولاً أن قوله ليعذبهم بها لا يرد من الانصراف عن ظاهره لأن الأموال والأولاد نفسها لا تكون غذاباً والمراد على سائر وجوه التأويل المتعاقق بها والمضاف إليها سواء كان اتفاقها والمصيبة بها والقسم عليها أو إباحة غنيمتها وإخراجها عن أيدي مالكيها فكان تقدير الآية إنما يريد الله ليعذبهم بكذا وكذا بما يتعاقق بأموالهم وأولادهم ويتصل بها فإذا صح هذا جاز أن تكون الحياة الدنيا لأفعالهم القبيحة في أموالهم وأولادهم التي تفضب الله تعالى وتسخطه كإفراقهم الأموال في وجوه المعاصي وحماهم الأولاد على الكفر وإلزامهم الموافقة لهم في النحلة ويكون تقدير الكلام إنما يريد الله ليعذبهم بفعلهم في أموالهم وأولادهم الواقع ذلك منهم في الحياة الدنيا وهذا وجه ظاهر يقى عن التقديم والتأخير وسائر ما ذكره من الوجوه . . فأما قوله تعالى ( وترهق أنفسهم ) فمعناه يبطئ ويخرج أى أنهم يموتون على الكفر وليس يجب إذا كان مريداً لأن ترهق أنفسهم وهم على هذه الحال أن يكون مريداً للحال نفسها على ما ظنوه لأن الواحد متى قد يأمريه ويريد منه أن يقاتل أهل البني وهم محاربون ولا يقاتلهم وهم منهزمون ولا يكون مريداً لحرب أهل البني للمؤمنين وإن أراد قتالهم على هذه الحالة وكذلك قد يقول لعلامة أريد أن تواظب على التصير إلى في السجن وأنا محبوس وللطبيب صر إلى ولازمي وأنا مريض وهو لا يريد المرض ولا الحبس وإن كان قد أراد ما هو متعاقق بهاتين الحالتين . . وقد ذكر في ذلك وجه آخر على أن لا يكون قوله ( وهم كافرون ) حالاً لزهوق أنفسهم بل يكون ذلك كأنه كلام مستأنف والتقدير فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وترهق أنفسهم وهم مع ذلك كافرون صائر إلى النار وتكون الفائدة أنهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الآخرة ويكون معنى ترهق أنفسهم على هذا الجواب غير الموت وخروج النفس على الحقيقة بل المشقة الشديدة والكلفة الصعبة كما يقال ضربت فلاناً حتى مات وتلفت نفسه وأخرجت روحه وما أشبه ذلك

[ قال الشريف ] رضى الله عنه ذاكرنى قوم من أهل الأدب بأشعار المحدثين وطبقاتهم وانتهوا إلى مروان بن يحيى بن أبي حفصة فأفرط بعضهم في وصفه وتقريضه

ونفضيله وآخرون في ذمّه وتهجينه والازراء على شعره وطريقته واستخبروا عما اعتقده فيه فقلت لهم كان مروان متساوي الكلام متشابه الألفاظ غير متصرف في المعاني ولا غواص عليها ولا مدقق فيها فلذلك قلت النظائر في شعره ومدامحه مكررة الألفاظ والمعاني وهو خنزير الشعر قليل المعنى الا أنه مع ذلك شاعر له تجويد وحنق وهو أشعر من كثير من أهل زمانه وأشعر شعراء أهله ويجب أن يكون دون مسلم بن الوليد في تنقيح الألفاظ وتدقيق المعاني وحسن الألفاظ ووقوع التشبيهات ودون بشار بن برو في الأبيات النادرة السائرة فكأنه طبقة بينهما وليس بمقصر دونهما شديداً ولا منحط عنهما بعيداً وكان اسحق بن ابراهيم الموصلي يقدمه على بشار ومسلم وكذلك أبو عمرو الشيباني وكان الأصمعي يقول مروان مؤلف وليس له علم باللغة واختلاف الناس في اختيار الشعر بحسب اختلافهم في التنبية على معانيه وبحسب ما يستنبطونه من مذاهبه وطرائقه فستأت عند ذلك أن أذكر مختار ما وقع الخي من شعره وأنبه على سرقاته ونظائر شعره وان أملى ذلك في خلال المجالس وأثنائها. فما يختار من شعره قوله من قصيدة يمدح بها المهدي أولها

أَعَادَكَ مِنْ ذِكْرِ الْأَحِبَّةِ عَائِدٌ      أَجَلٌ وَاسْتَحْفَتِكَ الرَّسُومُ الْبَوَائِدُ

يقول فيها

تَذَكَّرْتُ مِنْ تَهْوِي فَأَبْسَكَكَ ذِكْرُهُ

فَلَا الذِّكْرُ مَنَسِيٌّ وَلَا الدَّمْعُ جَامِدٌ

|   |   |
|---|---|
| تَحْنٌ وَيَأْبِي أَنْ يُسَاعِدَكَ الْهَوَى  | وَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ هَوَى لَا يُسَاعِدُ    |
| أَلَا طَالَمَا أَنْهَيْتَ دَمْعَكَ طَائِعًا | وَجَارَتْ عَلَيْكَ الْآنِسَاتُ النَّوَاهِدُ     |
| تَذَكَّرْنَا أَنْبَارَهَا مَقْلُ الْمَهَا   | وَاعْتَقَبْنَا أَذْمُ الطَّبَائِبِ الْعَوَاقِدُ |
| تَسَاقَطُ مِنْهُنَّ الْأَحَادِيثُ غَضَّةً   | تَسَاقَطَ دُرٌّ اسْلَمْتُهُ الْعَمَاقِدُ        |

بِنا اللَّيْلِ خُوصٌ كَالْقِسِيِّ شَوَارِدُ  
 بَيْنَ وَيَدُنُو الشَّاطِطِ الْمُتَبَاعِدُ  
 سَوَامٍ وَأَعْتَاقُ إِلَيْكَ قَوَاصِدُ  
 بِنَائِلٍ كَفَيْهِ الْأَكْفُ الْجَوَامِدُ  
 طَرِيفٌ وَعَادِيُّ الْجَرَائِمِ تَالِدُ  
 وَأَحْوَاضُ عُرْفٍ لَيْسَ عَنْهِنَّ ذَائِدُ  
 عَلِي كُلِّ قَوْمٍ نَادِيَاتٍ عَوَائِدُ  
 كَمَا تَعْدِلُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ الْقَوَاعِدُ  
 تَنُورُ بِصَوَلَاتِ الْأَكْفِ السَّوَاعِدُ  
 عَلِي قَبَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْخَلْقِ رَافِدُ  
 لِرَأْفَتِهِ بِالنَّاسِ لِلنَّاسِ وَالِدُ

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَجَاذَبْتَ  
 مَيَانِيَّةً يَنَائِي الْقَرِيبُ مَحَلَّةُ  
 تَجَلَّى الشَّرَى عَنْهَا وَاللَّعِيسِ أَعْيُنُ  
 إِلَى مَلِكٍ يَنْدَى إِذَا يَبَسَ الثَّرَى  
 لَهُ فَوْقَ عَجْدِ النَّاسِ عَجْدَانِ مِنْهُمَا  
 وَأَحْوَاضُ عَزَّ حَوْمَةُ الْمَوْتِ دُونَهَا  
 أَيْدِي بَنِي الْمَبَاسِ بِيضٌ سَوَابِغُ  
 وَهُمْ يَمْدُلُونَ السَّمَكِ مِنْ قَبَّةِ الْهَدَى  
 سَوَاعِدُ عِزِّ الْمُسْلِمِينَ وَإِنَّمَا  
 يَكُونُ غَرَارًا نَوْمُهُ مِنْ حِذَارِهِ  
 كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا

[قال الشريف] [رضي الله عنه .. أما قوله

تساقط منهن الأحاديث غضة تساقط دُرٌّ أسلمته المعاهد

فيكثر في الشعر وأظن أن الأصل فيه أبو حية الغبري في قوله

إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْأَحَادِيثَ لِأَقْتِي سَقُوطَ حَصِي الرَّجَانِ مِنْ سَيْلِكَ نَاطِمٍ<sup>(١)</sup>

(١) وهو من أبيات أولها

بلى وستور الله ذات المحارم  
 عزاء بكم إلا ابتلاع المصاوم  
 بنا وبكم أف لأهل التمام  
 على الحمي جاني مثله غير سالم  
 إليه القني بالرافعات التهازم

وخبرك أو أشون أن لن أحكم  
 أصد وما الصد الذي تعلمينه  
 حياء وبقيا أنت تشيع نيمه  
 فاف دما لو تعلمين جنينه  
 أما إنه لو كان غيرك أوقلت

وَأَمَّا عَنِ الْمَرْجَانِ صَغَارِ اللُّؤْلُؤِ وَعَلَى هَذَا يَتَأَوَّلُ قَوْلُهُ تَعَالَى (يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ) .. ومثله قول الآخر

هِيَ الدُّرُّ مَثْوَرًا إِذَا مَا تَكَلَّمْتَ      وَكَالدُّرِّ تَجْمُوعًا إِذَا لَمْ تَكَلِّمْ  
.. ومثله

مِنْ تَغْرِهَا الدُّرُّ النَّظِيرُ      مُمْ وَقَطْعُهَا الدُّرُّ النَّظِيرُ

ونظيره قول البحترى وأحسن غاية الاحسان

وَلَمَّا التَّقِينَا وَالنَّقَا مَوْعِدَ لَنَا      تَعَجَّبَ رَأْيِي الدُّرَّ حُسْنًا وَلَا قِطْعَةً

فَدِنْ لُؤْلُؤُ تَجَاوَهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا      وَمِنْ لُؤْلُؤٍ عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَا قِطْعَةً

ومثله قول الأخطال

خَلَوْتُ بِهَا وَسَجِفُ اللَّيْلِ مُلْقِي      وَقَدْ اصْغَمْتُ إِلَى التَّرْبِ النُّجُومِ

كَأَنَّ كَلَامَهَا دُرٌّ نَدِيرٌ      وَرَوْنُقٌ تَغْرِهَا دُرٌّ نَظِيمٌ

ولغيره

تَبَسَّمَتْ فَرَأَيْتُ الدُّرَّ مُنْتَضِمًا      وَحَدَّثَتْ فَرَأَيْتُ الدُّرَّ مُنْتَثِرًا

ولآخر

وَتَحْفَظُ لَأَمِنْ رِيبةٍ يَحْدَرُونَهَا      وَالسُّكْنَى مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ تُحْفَظُ

وَتَلْفُظُ دُرًّا فِي الْحَدِيثِ إِذَا جَرَى      وَلَمْ تَرَ دُرًّا قَبْلَ ذَلِكَ يَلْفَظُ

ولبعض من تأخر زمانه من الشعراء وقرب من عصرنا هذا

أَظْهَرْنَ وَصَلًا إِذْ رَحِمْنَ مَنِيْمًا      وَأَرَيْنَ هَجْرًا إِذْ خَشِينِ مَرَا قِيَا

ولسكنه والله ماطل مسلماً

إذا هن ساقطن الأحاديث للفتى

رهبين فأقصدن القلوب ولا ترى

كفر التنايا واضحات الملامح

سقوط حصي المرجان من سلك ناظم

دما ماثرا الأجوى في الحيازم

فَنَظَّمْنَ مِنْ دُرِّ الْمَبَايِسِ جَامِدًا وَتَنَزَّنَ مِنْ دُرِّ الْمَدَامِيعِ ذَائِبًا

[ قال الشريف ] رضى الله عنه وليس قول أبي هذيل في صفة الحديث

كَتَسَاقَطِ الرُّطْبِ الْجَنِيِّ مِنَ الْأَقْنَاءِ لَا تَثْرًا وَلَا تَرًّا

من هذا الباب في شيء لأن جميع ما تقدم هو في وصف الثغر وهذا في وصف حسن الحديث وأنه متوسط في القلة والكثرة لازم للقصد كأنثار الرطب من الأقناء ويشبهه أن يكون أراد أيضاً مع ذلك وصفه بالحلاوة والفضاضة لتشبيهه له بالرطب ثم أنه غرض طري غير مكرر ولا معاد لقوله الرطب الجني فيجتمع له أغراض الوصف له بالفصاحة والاقتصاد في القلة والكثرة ثم وصفه بالحلاوة ثم الغضاضة . ونظير قول أبي الهذيل قول ذى الرمة

لَهَا بَشْرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْعَوَاشِي لَأَهْرًا بُولًا تَرًّا<sup>(١)</sup>

فأما قول مروان

إِلَى مَلِكٍ تَنْدَى إِذَا بَيْسَ النَّرَى بِنَائِلٍ كَفَمِيهِ الْأَكْفُ الْجَوَامِدُ

فمثل قول أبي حنيس النخعي في يحيى بن خالد البرمكي

لَا تَرَاتِي مُصَافِحًا كَفَّ يَحْيَى إِنِّي إِنْ فَعَلْتُ اتْلَفْتُ مَالِي

(١) وبعده

وعينان قال الله كونا فكلنا فعولان بالألبياب ما فعل الظمر

— رخم الحواشي — لينها — والأهرام — كمراب المتعلق الكثير أو الفاسد الذي لا نظام له . . . وروى أن الفرزدق حضر مجلس عبد الله بن أبي اسحاق فقال له كيف تشد هذا البيت وعينان قال الله كونا الخ فأنتهه فعولان فقال له عبد الله ما كان عليك لو قلت فعولين فقال له الفرزدق لو شئت أن أسبح لسبحت ونهض فلم يعرفوا مراده فقال عبد الله لو قال فعولين لأخبر أن الله خلقهما وأمرهما ولكنه أراد أنهما فعملان ما فعل الظمر اه وكان هنا تامة لاخير لها

لَوْ يَمَسُّ الْبَخِيلُ رَاحَةَ يَمِينِي      لَسَخَتْ نَفْسُهُ بِبَدَلِ النَّوَالِي

ومثله قول ابن الخياط المدني في المهدي

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَتَنِي النَّعْيُ      وَلَمْ أَذِرْ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي  
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُووُ النَّعْيِ      أَقَدْتُ وَأَعْدَانِي فَاتَلَفْتُ مَا عِنْدِي

وقد قيل ان هذا الشاعر كأنه مصرح بالهجاء لأنه زعم ان الذي لمس كفه لم يفده شيئاً بله أعداء جوده فأتلف ماله ولم يرد الشاعر إلا الممدح ولقوله وجه وهو ان ذوى النعي هم الذين تستر الأموال في أيديهم وتلبث تحت أيمانهم ومن أخرج ما يملكه حلالاً بحال لا يوصف بأنه ذو غنى فأراد الشاعر اني لم أفد منه ما بقى في يدي واستقر تحت ملكي فافدا قال لم يفد ما أفاد ذوو النعي . . . ومن هذا المعنى قول مسلم

إِلَى مَلِكٍ لَوْ صَافَحَ النَّاسَ كُلَّهُمْ      لَمَا كَانَ حَيًّا فِي الْبَرِيَّةِ يُبْخَلُّ

ومثله قول أبي العكوك

لَوْ لَمَسَ النَّاسُ رَاحَتِيهِ      مَا بَخَلَّ النَّاسُ بِالْعَطَاءِ

وأحسن من هذا كله وأشبه بالمدح وأدخل في طريقته قول البحترى

مَنْ شَاكَرَ عَنِّي الْخَلِيفَةَ بِالَّذِي      أَوْلَاهُ مِنْ طَوْلٍ وَمِنْ إِحْسَانِ  
مَلَأَتْ يَدَاهُ يَدِي وَشَرَّدَ جُودَهُ      يُبْخَلِّي فَاْفَقَّرَنِي كَمَا أَغْنَانِي  
حَتَّى لَقَدْ أَفْضَلْتُ مِنْ إِفْضَالِهِ      وَرَأَيْتُ نَهْجَ الْجُودِ حَيْثُ أَرَانِي  
وَوَقِفْتُ بِالْخَلْفِ الْجَمِيلِ مَعْجَلًا      مِنْهُ فَاْعَطَيْتُ الَّذِي أَعْطَانِي

ومن هذا المعنى قول الآخر

رَأَيْتُ النَّدَى فِي آلِ عَوْفٍ خَلِيقَةٌ      إِذَا كَانَ فِي قَوْمٍ سِوَاهُمْ تَخَلُّقًا  
وَلَوْ جَزَّتْ فِي آيَاتِهِمْ لَتَعَلَّمْتُ      يَدَاكَ النَّدَى مِنْهُمْ فَأَصْبَحَتْ مِمْلَقًا

ولابن الرومي

بِجُودِ الْبَخِيلِ إِذَا مَارَآ لَوْ سَطُوا الْجَبَانَ إِذَا هَانِكَ

وأما قوله

وَأَحْوَاضِ عَزَّ حَوْمَةُ الْمَوْتِ دُونَهَا وَأَحْوَاضِ عُرْفِ إِبِسَ عَتْنِ زَانِدٍ

فدببه أن يكون إبراهيم بن العباس الصولي أخذه في قوله

لَنَا إِبِلٌ كَوْمٌ يَضِيقُ بِهَا الْفَضَا وَتَقْتَرُ عَنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاوُهَا

فَمِنْ دُونِهَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا وَمَنْ دُونَنَا أَنْ نُسْتَدَمَّ دِمَاؤُهَا

حَمِيٍّ وَفَرِيٍّ فَالْمَوْتُ دُونَ مَرَامِهَا وَأَيْسَرُ خَطْبٍ عِنْدَ حَقِّ فَنَاؤُهَا<sup>(١)</sup>

وقد أحسن إبراهيم في آياته كل الاحسان فأما قوله

يَكُونُ غَرَارًا نَوْمُهُ مِنْ حِدَارِهِ عَلَى قُبَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْخَلْقُ رَاقِدٌ

فكثير متداول .. ومن أحسنه قول محمد بن عبد الملك الزيات

نِمْ الْخَلْفَةُ لِلرَّعِيَةِ مَنْ إِذَا رَقَدَتْ وَطَابَ لَهَا الْكَرَى لَمْ يَرْقُدْ

.. ومثله

وَيُظَلُّ بِحَفْظِنَا وَنَحْنُ بِمَنْفَلَةٍ وَبَيْتُ يَكْلُونَا وَنَحْنُ نِيَامُ

ومثله للبحرني

أَرْبِيعَةُ الْفَرَسِ اشْكُرِي يَدَ مَنْعَمٍ وَهَبَ الْإِسَاءَةَ لِلْمُسِيِّ الْجَائِي

رَوَّعْتُمَا جَارَاتِهِ فَبَعَثْتُمَا مِنْهُ حَمِيَّةَ آفِ غَيْرَانِ

لَمْ تَكْرَعَنَّ قَاصِي الرِّعَةِ عَيْنُهُ فَتَنَّمَ عَنْ وَثْرِ الْقَرِيبِ الدَّانِي

فأما قوله

(١) كان نعلب يقول كان إبراهيم بن العباس أشعر الهديين وينشد هذه الأبيات

ويقول لو كان هذا لبعض الأوائس لاشجيد له ولم يرو نعلب قط شعر كاتب غيره

كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا لِرَأْفَتِهِ بِالنَّاسِ وَالنَّاسُ وَالِدُهُ

فضيل قول بعض الشعراء في يحيى بن خالد

أَحْيَىٰ لَنَا يَحْيَىٰ فِعَالٌ خَالِدٌ

يَسْخُو بِكُلِّ طَارِفٍ وَتَالِدٌ

النَّاسُ فِي إِحْسَانِهِ كَوَاحِدٍ

ومن جيد قول مروان من قصيدة أولها

خَلَّتْ بَعْدَنَا مِنْ آلِ لَيْلَى الْمَصَانِعُ

يقول فيها

وَمَا لِي إِلَى الْمَهْدِيِّ لَوْ كُنْتُ مُذْنِبًا

وَلَا هُوَ عِنْدَ السَّخَطِ مِنْهُ وَلَا الرَّضَىٰ

تَفُضُّ لَهُ الطَّرْفُ الْعِيُونَ وَطَرَفُهُ

أما قوله - ولا هو عند السخط منه ولا الرضى - البيت ٥٥ فنقل قول أشجع

وَلَسْتُ بِجَانِبِ أَبِي عَلِيٍّ

وَمَنْ خَافَ الْإِلَهَ فَلَنْ يَخَافَا

٥٥ ومثله

أَمْنِي مِنْهُ وَمَنْ خَوْفِي

خِيفْتُهُ مِنْ خَشْيَةِ الْبَارِي

ولأبي نواس

قَدْ كُنْتُ خُفْتُكَ ثُمَّ أَمْنِي

مَنْ أَنْ أَخَافَكَ خَوْفَكَ اللَّهُ

ويشبه هذا المعنى ما روى عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله أنه دعا غلاماً مراراً

فلم يجبه فخرج لوجده على باب البيت فقال له ما حملك على ترك اجابتي قال كسبت عن

اجابتك وأمنت عقوبتك فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه خلقه ٥٥

فأما قوله - نفض له الطرف العيون - فيشبهه أن يكون مأخوذاً من قول الفرزدق أو من  
نسب<sup>(١)</sup> إليه هذه الأبيات

يُنْفِضِي حَيَاءً وَيُنْفِضِي مِنْ مَهَابَتِهِ      فَمَا يُكَلِّمَ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ

(١) قوله أو من نسب إليه يشير بهذا إلى ان التصبيرة المشهورة التي تنسب للفرزدق في سيدنا زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم التي قالها لما قال هشام حين سأله رجل من أهل الشام من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة وذلك ان هشام حج في خلافة أبيه فطاف ولم يستطع استلام الحجر لشدة الزحام فلما جاء زين العابدين رضي الله عنه تحيى الناس له فقال هشام للشامي لأعرفه فقال الفرزدق أنا أعرفه وأنتأ يقول  
هذا سليل حسين نجل فاطمة بنت الرسول الذي انجابت به الظلم

فجسه هشام بين مكة والمدينة فقال الفرزدق أبياته التي منها

يَقَابُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيْدٍ      وَعَيْنًا لَهُ حَوْلَاءُ بَادِرِ عِيُوبِهَا

فنفك ثم بعث إليه زين العابدين رضي الله عنه اثني عشر ألف درهم فردها وقال مدحتك لله تعالى لا للمعطاء فقال زين العابدين إنا أهل بيت اذا وهبنا شيئاً لانستعيده فقبلها ولم يثبت للفرزدق منها غير سبعة أبيات وسب بعضها إلى أبي دهل الجهمي . . . وأما قوله  
ينفض حياء الخ وقوله

في كفه خبزيران ويحما عبق      في كف أروع في عرينه شم

فقليل أنما لداود بن سلم يمدح بهما قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد  
المطلب وبمدهما

كم هانف بك من أوج وراية      يدعوك يا قنم الخيرات يا قنم

وروى من غير هذا الوجه ان عبد الله بن عبد الملك حج فقال له أبوه سيأتك الحزين  
الشاعر بالمدينة وهو ذرب اللسان فأياك أن تحتجب عنه وأرضه وصفته انه أشعر ذو  
بطن عظيم الأنف فلما قدم عبد الله المدينة وصفه لحاجبه وقال له إياك أن ترده فلم يأت  
الحزين حتى قام لينا م فقال له الحاجب قد ارتفع فلما ولي ذكر فلحقه فقال ارجع

— مجلس آخر ٤٠ —

[ تأويله آية ] .. إن سأل سائله عن قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله ولا رسول إذا دعاكم لما يحبيكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ) .. وقال ما معنى الحول بين المرء وقلبه وهل يصح ما تأوله قوم من أنه يحول بين الكافر والإيمان وما معنى قوله لما يحبيكم وكيف تكون الحياة في اجابته .. الجواب قلنا أما قوله تعالى ( يحول بين المرء وقلبه ) ففيه وجوه .. أولها أن يريد بذلك تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت وهذا حث من الله عز وجل على الطاعات والمبادرة بها قبل الفوت وانقطاع التكليف وتعذر ما يستوفى به المكلف نفسه من التوبة والاقلاع فكأنه تعالى قال بادروا الى الاستجابة لله ولا رسول من قبل أن يأتيكم الموت فيحول بينكم وبين الانتفاع بنفوسكم وقلوبكم ويتعذر عليكم ما تسوفون به نفوسكم من التوبة

فاستأذن له فأدخله فلما صار بين يديه ورأى جماله وبهاءه وفي يده قضيب خبزان وقف ساكناً فأمهله عبد الله حتى ظن أنه قد أراح ثم قال له السلام عليك رحمة الله أولاً فقال عليك السلام وحيأ الله وجهك أيها الأمير اني قد كنت مدحتك بشعر فلما دخلت عليك ورأيت جمالك وبهائك أذهلني عنه فأنسيت ما كنت قلته وقد قات في مقامى هذا بيتين فقال ما هما فقال

في كفه خبزان ربحها عبق من كف أروع في عرينه شمع  
بغضى حياه ويفضى من بهابته فإيكم إلا حين يبسم

بتقديم الأول على الثاني في هذه الرواية فأجازه فقال اخذني أصلحك الله فانه لا خادم لي فقال اختر أحد هذين الفلأمين فأخذ أحدهما فقال له عبد الله أعلمنا ترذل خذ الأكبر والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في آياته التي يمدح بها علي بن الحسين رضي الله عنهما وهو غلط ممن رواه فيها وليس هذان البيتان مما يمدح به مثله وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد

بقلوبكم ويقومى ذلك قوله تعالى ( وأنه اليه تحشرون ) . . ونانيتها أن يحول بين المرء وقلبه بإزالة عقله وإبطال تمييزه وأن كان حياً وقد يقال لمن فقد عقله وسلب تمييزه أنه بغير عقل قال الله تعالى ( إن في ذلك لذكري لمن كان له قلب ) . . قال الشاعر  
وَلِيَّ أَلْفُ وَجْهِ قَدْ عَرَفْتُ مَكَانَهُ      وَلَكِنْ بِلَا قَلْبٍ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ

وهذا الوجه يقرب من الأول لانه تعالى أخرج هذا الكلام مخرج الانذار لهم والحث على الطاعات قبل فواتها لانه لا فرق بين تمذر الثوبة بانقطاع التكليف بالموت وبين تعذرها بإزالة العقل . . ونانيتها أن يكون المعنى المبالغة في الإخبار عن قربيه من عباده وعلمه بما يسطنون ويحشون وان الضمائر المكتومة له ظامرة والخفايا المستورة لعلمه بادية ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ( ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ) ونحن نعلم انه تعالى لم يرد قرب المسافة بل المعنى الذي ذكرناه واذا كان عز وجل هو أعلم بما في قلوبنا منّا وكان ما نعلمه أيضاً يجوز أن نساء واسهو عنه وانزل عن علمه وكل ذلك لا يجوز غاية جاز أن يقول انه يحول بيننا وبين قلوبنا لانه معلوم في الشاهد ان كل شيء يحوله بين شيئين فهو أقرب اليهما . . ولما أراد الله تعالى المبالغة في وصف القرب خاطبنا بما نعرف ونألف وان كان القرب الذي عناه جعلت عظمته لم يرد به المسافة والعرب تضع كثيراً لفظ القرب على غير معنى المسافة فيقولون فلان أقرب الى قاي من فلان وزيد مني قريب وعمرو مني بعيد ولا يريدون بذلك قرب المسافة . . ورابعها ما أجاب به بعضهم من ان المؤمنين كانوا يفكرون في كثرة عدوهم وقلة عدوهم فيدخل قلوبهم الخوف فأعلمهم تعالى انه يحول بين المرء وقلبه بانه يبده بالخوف امتناً ويبدل عدوهم بظنهم انهم قادرون عليهم وغالبون لهم الجبن والخور . . ويمكن في الآية وجه خامس وهو أن يكون المراد انه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعوه اليه قلبه من القبائح بالأمر والنهي والوعيد والوعيد لانا نعلم انه تعالى لو لم يكلف العاقل مع ما فيه من الشهوات والنفاق لم يكن له عن التبيح مانع ولا عن مواقفته رادع فكان التكليف حائلاً بينه وبينه من حيث زجر عن فعله وصرف عن مواقفته وليس يجب في الحائل أن يكون في كل موضع مما يتمتع معه الفعل لانا نعلم ان المشير منّا على غيره في أمر كان قد هم به

وعزم على فعله أن يجنبه والنبيه على أن الحظ في الانصراف عنه يصح أن يقال منه  
منه وحال بينه وبين فعله . . قال عبيد الله بن قيس الرقيات

حَالُ دُونَ الْهَوَىٰ وَدُوْنِ سُرَى اللَّيْلِ مُصْعَبُ  
وَسَيَاطُ عَلَىٰ أَكْرَمِ رِجَالٍ تَقْلُبُ

ونحن نعلم أنه لم يجعل إلا بالتعريف والترهيب دون غيرهما . . فان قيل كيف يطابق  
هذا الوجه صدر الآية . . قلنا وجه المطابقة ظاهر لانه تعالى أمرهم بالاستجابة لله  
تعالى ورسوله فيما يدعون اليه من فعل الطاعات والامتناع من المقتضات فاعلمهم أنه بهذا  
الدعاء والانذار وما يجري مجراها يحول بين المرء وبين ما يدعو اليه نفسه من المعاصي  
ثم ان المناب بعد هذا كله والمنقلب الى ما عنده فيجازي كلاً باستحقاقه . . فأما قوله تعالى  
( اذا دعاكم لما يحيبكم ) ففيه وجوه . . أوها أن يريد بذلك الحياة في النعيم والثواب لان  
تلك هي الحياة الدائمة الطيبة التي يؤمن من تغيرها ولا يخاف انتقالها فكانه تعالى حث  
على اجابته التي تكسب هذه الحال . . وثانيها انه يختص ذلك بالدعاء الى الجهاد وقتال  
العدو فكانه تعالى أمرهم بالاستجابة للرسول عليه الصلاة والسلام فيما يأمرهم به من  
قتال عدوهم ودفنهم عن حوزة الاسلام وأعلمهم ان ذلك يحيبهم من حيث كان فيه  
قهر للمشركين وتخليد لعدوهم وقل لجهدهم وحسم لاطماعهم لانهم متى كثروا وقروا  
استلنوا جانب المؤمنين وأقدموا عليهم بالقتل وصنوف المكاره فمن هنا كانت الاستجابة  
له عليه الصلاة والسلام تقتضى الحياة والبقاء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ( واكم في  
التصامص حياة ) . . وثالثها ما قاله قوم . . من ان كل طاعة حياة ويوصف فاعلمها بأنه حي كما  
ان المعاصي يوصف فاعلمها بأنه ميت والوجه في ذلك ان المؤمن الطائع لما كان منتفعاً  
بحياته وكانت تؤديه الى الثواب الدائم قيل ان الطاعة حياة ولما كان الكافر العاصي لا ينتفع  
بحياته من حيث كان مصيره الى العقاب الدائم كان في حكم الميت ولهذا يقال لمن كان منغص  
الحياة غير منتفع بها فلان بلا عيش ولا حياة وما جرى مجرى ذلك من حيث لا ينتفع  
بحياته . . ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالكلام الحياة في الحكم لافي

الفضل لانا قد علمنا انه عليه الصلاة والسلام كان مكلفاً مأموراً بمجاهد جميع المشركين  
 المخالفين للثمة وقتانهم وان كان فيها بعد كلام ذلك فمن عدا أهل الذمة على شروطها  
 فكانه تعالى قال فاستجيبوا للرسول ولا تخالفوه فانكم اذا خالفتم كنتم في الحكم غير  
 أحياء من حيث تبتد عليه الصلاة والسلام بتالكم وقتلكم فاذا أطعتم كنتم في الحكم  
 أحياء ويمرر ذلك مجرى قوله تعالى (ومن دخله كان آمناً) وانما أراد تعالى انما يجب  
 أن يكون آمناً وهذا حكمه ولم يجز بان ذلك لا محالة واقع .. فأما المجيرة فلا شبهة لهم  
 في الآية ولا متعلق بها لانه تعالى لم يقل انه يحول بين المرء وبين الايمان بل ظاهر الآية  
 لا يقتضي أن يحول بينه وبين أفعاله وانما يقتضي ظاهرها انه يحول بينه وبين قلبه  
 وليس للايمان ولا للكفر ذكره ولو كان للآية ظاهر يقتضي ما ظنوه وليس لها ذلك  
 ولا يضر قناعته بأدلة العقل الموجبة انه تعالى لا يحول بين المرء وبين مأموره وأراده  
 منه وكلفه فمله لان ذلك قبيح والقبائح عنه منفية .. أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن  
 عمران المرزباني قال حدثني أحمد بن محمد الجوهري قال حدثنا الحسن بن عليل الغنزي  
 قال حدثنا أحمد بن عمرو بن اسمعيل بن عبيد العزيز بن عمرو بن عبد الرحمن بن  
 عوف قال حدثني عمرو بن خالد بن عبد الله عن الحجاج السلمي قال لما اشتد بحسن بن  
 خديفة بن بدر وجمعه من طعنة كرز بن عامر إياه يوم بني عقيل دعا ولده فقال ان الموت  
 أهون مما أجد فأبكم يطعنوا قالوا كلنا نطعمك فبدأ بأكرمهم فقال قم فخذ سيفي واطعن  
 به حيث أمرك ولا تعجل قال يا أبتاه أقتل المرء أباه فأبى علي القوم كلهم فأجابوه بجواب  
 الأول حتى انتهى الي عينة فقال يا أبتاه ليس لك فيما تأمرني به راحة ولي بذلك طاعة  
 وهو هواك قال بلى قال فأمرني كيف أصنع قال الق سيف انما أردت ان أعلم أبكم  
 أمضى لما أمر به فأنت خليفتي ورئيس قومك من بعدى فقال القوم انه سيقول في ذلك  
 آياتاً فأحضره فلما أمسى قال

وَلَوْ أَعْيَنَةٌ مِنْ بَعْدِي أُمُورَكُمْ      وَاسْتَيْقَنُوا أَنَّهُ بَعْدِي لَكُمْ حَامٍ  
 إِمَاهِلِكْتُ فَإِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ      عِزَّ الْحَيَاةِ بِمَا قَدَّمْتُ قُدَّامِي

واستوسقوا للتي فيها مروءة نكمم  
 والقرب من قومكم والقرب ينفعكم  
 ولي حذيفة إذ ولي وخلفني  
 لا أرفع الطرف ذلاً عند مهلكه  
 حتي اعتقدت لوي قومي قمت به  
 لما قضى ما قضى من حق زائره  
 استموا لما كانت الآباء تطلبه  
 والدهر آخره شبه لأوله  
 فابتوا ولا تهدموا فالتاس كلهم

قال ثم أصبح ودعاني بدر فقال لو اني ورياستي لعينة واسمعوا مق ما اوصيكم به لايشكل  
 آخركم على اولكم فانما يدرك الآخر ما أدركه الأول وانكحوا الكف الغريب فانه  
 عز حادث واذا حضركم أمران خذوا بغيرهما صدراً فان كل مورد معروف واحبوا  
 قومكم بأجل أخلاقكم ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه فان الخلاف يزرى بالرئيس  
 المطاع واذا حدثتم فاربعوا ثم قولوا الصدق فانه لاخير في الكذب وصونوا الخليل  
 فانها حصون الرجال وأطبلوا الرماح فانها قرون الخيل وأعنوا الكبير بالكبر فإني بذلك  
 كنت أغلب الناس ولا تقزوا إلا بالعيون ولا تسرحوا حتى تأمنوا الصباح واعطوا  
 على حسب المال واعجلوا الضيف بالقرى فان خيره أعجبه واقفوا فضيحات البني وفلتات  
 المزاح ولا نجبروا على الملوك فان أيديهم أطول من أيديكم واقتلوا كرز بن عامر ومات

محسن فأخذ عينة الرياسة .. وقال

أطمت أبا عينة في هواه ولم تخرج صريتي الظنون

وَقَدَّمَرَضَ الرَّئِيسَ عَلَى بَنِيهِ  
 سَحِيحًا أَوْ تَمُوتُ فَطَاوَلُوهُ  
 فَقَلِمَ أَتَقْتُلُ بِحَمْدِ اللَّهِ حِصْنًا  
 وَلَمْ أَنْكُلْ عَلَيْهِ وَكُلُّهُ أَمْرٌ  
 فَإِنْ يَكُ بَدَأَ هَذَا الْأَمْرَ غَنًّا  
 فَقَالَ الْقَوْمُ هَذَا لَا يَكُونُ  
 وَقَتْلُ الْمَرْءِ وَالِدَهُ جُنُونٌ  
 وَكُلُّ فِتْنَةٍ سَيُذْرِكُهُ الْمَنُونُ  
 إِذَا هَوَّنَتْهُ يَوْمًا يَهُونُ  
 فَأَخْبَرَهُ بَنِي بَدْرٍ سَمِينُ

وحكي عمر بن بحر الجاحظ أن اسم عيينة بن حصن حذيفة وإنما أصابته اللقوة فحفظت  
 عينه وزال فكه فسمي لذلك عيينة وإذا عظمت عين الانسان لقبوه ابا عيينة وأبا العيناء  
 . . . وروى قيس بن أبي حازم أن عيينة بن حصن بن حذيفة دخل على رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم فقال هذا أحق مطاع . . . وروى أيضا أنه كان يدلع لسانه للمحسين بن  
 عليّ عليهما السلام وهو صبي فبرى لسانه فبش له فقال له عيينة أراك تضع هذا بهنما  
 فوالله انه لي يكون لي الابن رجلا قد خرج وجهه ما قبلته قط فقال رسول الله صلى الله  
 وسلم انه لا يرحم من لا يرحم . . . ونعود الى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان  
 فما يختار من شعره قوله من قصيدة أولها

صَحَابَتَهُ جَهْلٍ فَاسْتَرَجَتْ عَوَاذُهُ  
 وَمَنْ مَدَّ فِي أَيَامِهِ فَنَأَخَرَتْ  
 هُوَ الْمَرْءُ إِذَا دِينُهُ قَهْوٌ مَانِعٌ  
 أَمْرٌ وَأَحْلَى مَا بَلَآ النَّاسُ طَعْمُهُ  
 أَجِبْ لِمَا بَأْبِي ذُوو الْحَرَمِ وَالنَّعْيِ  
 تَرُوكُ الْهَوَى لَا السَّخَطُ مِنْهُ وَلَا الرَّضَى  
 وَأَقْصَرَ عَنْهُ حِينَ أَقْصَرَ بِأَطْلُهُ  
 مَنِيَّتُهُ فَالْشَيْبُ لَا شَكَّ شَامِلُهُ  
 صَوْنٌ وَإِمَا مَالُهُ قَهْوٌ بِإِذْلِهِ  
 عَقَابُ أَمِيرِ الدُّؤْمِنِينَ وَنَائِلُهُ  
 فَمَوْلُ إِذَا مَا جَدَّ بِالْأَمْرِ فَاعْلُهُ

لَدَى مَوْطِنٍ إِلَّا عَلَى الْحَقِّ حَامِلُهُ

بَرِي أَنْ مُرَّ الْحَقِّ أَحْلَى مَغْبَةً وَأَنْجَاً وَلَوْ كَانَتْ زُعَاقًا مَنَاهِلَةً  
فَإِنَّ طَلِيقَ اللَّهِ مِنْهُ هُوَ مُطْلَقٌ وَإِنَّ قَتِيلَ اللَّهِ مِنْهُ هُوَ قَاتِلُهُ  
وَإِنَّكَ بَعْدَ اللَّهِ لِلْحَكْمِ الَّذِي  
•• أما قوله - ومن مد في آياته فتأخرت •• منيته فالشيب لاشك شامله - •• فأخوذ من

قول طريح بن اسمعيل الثقفي

وَالشَّيْبُ غَايَةٌ مِنْ تَأَخَّرَ حِينُهُ  
وَالأَصْلُ فِي هَذَا قَوْلُ أُمِيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ  
مَنْ لَمْ يَمُتْ عِبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا  
ويشبه ذلك قول الآخر

قُلْ لِعَرَسِي لَيْسَ شَيْبِي بِعَجَبٍ  
ومثله قول أبي العتاهية

مَنْ يَمُتْ يَكْبُرُ وَمَنْ يَكْبُرُ يَمُتْ  
ويشبه قول البحتري

وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ  
وقوله

وَالشَّيْبُ مُهْرَبٌ مِنْ جَارِي مَشِيئَتِهِ  
وقريب منه قول ابن المعتز

قَالَتْ كَبُرَتْ وَأَتَّقَيْتَ مِنَ الصَّبَا  
ولبعضهم

وَلَا بُدَّ مِنْ مَوْتٍ فَأِمَّا شَيْبَةٌ  
وَأَمَّا مَشِيئَةٌ وَالشَّيْبَةُ أَصْلَحُ

معنى قوله - والشيبه أصلح - إن اللسان إذا مات شاباً كان أكثر لعز من عليه

والأسف على مفارقته فإذا أسن برم به أهله وهان عندهم فقده . . فأما قوله  
هو المرء إماميته فهو مانع صون وإما ماله فهو باذله  
فمنه متكرر في الشعر كثير جداً . . وأحسن شعر جمع بين وصف المدوخ بين  
ما يجب منعه وبذل ما يجب بذله قول سلم بن الوليد الأنصاري  
يذكرُ نيك الجود والبخل والنهي وقول الخنا والحلم والعلم والجهل  
فالفأك عن دموها متناها والقالك في محودها ولك القضل  
وأحمد من أخلاقك البخل إنه بدرضك لا بالمال حاشالك البخل  
وقد أحسن البحري في قوله

بلونا ضرائب من قد نرى فما إن وجدنا الفتح ضريباً  
تنقل في خلقي سودد سماحاً مرجي وباساً مريباً  
فكالسيف إن جنته صارخاً وكالبخر إن جنته مستثيباً

فأما قوله - تروك الهوى لا الخط منه ولا الرضى - البيت . . فمعى متداول مطروق في  
الشعر وقد ذكره هو في قوله

إذا هن القين الرحال بيابه حططن به مثلاً وأدركن منمنماً  
إلى طاهر الأتواب ما نال في رضى ولا غضيب مالا حراماً ولا دماً

وأحسن من هذا قول أبي تمام في محمد بن عبد الملك الزيات  
تبت الجنان إذا اصططكت بمظلمة في رحله السن الأرقام والر كب  
لا المنطق المهور يزكوفي تبسبه يوماً ولا حجة الملهوف تستلب  
كأنما هو في نادي قبيلته لا القلب يغفو ولا الأحشاء تضطرب  
وتحت ذلك قضاء حز شفرته كما بعض يظهر الغارب القتب

لَا سَوْرَةٌ تُتَعَىٰ مِنْهُ وَلَا بِلَهٍ  
 وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ فِي ابْنِ الزِّيَادِ أَيْضًا  
 وَجَهَ الْحَقُّ بَيْنَ أَخْذٍ وَإِعْطَاءٍ  
 وَاسْتَوَى النَّاسُ فَالْقَرِيبُ بِهَرِيبٍ  
 لَا يَمِيلُ الْهَوَىٰ بِهِ حِينَ يَمُضِي إِلَى  
 وَسْوَالِهِ لَدَيْهِ أَبْنَاءُ إِزْرَاءِ  
 مُسْتَرْجِحُ الْأَحْشَاءِ مِنْ كُلِّ ضَمْنٍ  
 وَلَا يَخَافُ رِضَىٰ مِنْهُ وَلَا غَضَبَ

فَأَمَّا قَوْلُهُ - وَإِنْ قِيلَ أَنَّ اللَّهَ مِنْهُ هُوَ قَائِلُهُ - فَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ مَأْخُودًا مِنْ قَوْلِ يَزِيدِ بْنِ  
 مَرْغُوفٍ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ لَمَّا لَمَّ اللَّهُ

إِنَّ الَّذِي هَاشِمٌ خَتَّارًا بِدَمَتِهِ وَمَاتَ عَبْدًا قَتِيلُ اللَّهِ بِالزَّابِ

- أَمَّا قَوْلُهُ وَأَنَّكَ بَعْدَ اللَّهِ لِلْحَكْمِ الَّذِي نَصَابَ بِهِ مِنْ كُلِّ حَقِّ مَفَاصِلِهِ - ٠٠ فَيُشْبِهُ قَوْلَ  
 أَبِي نَعْمَانَ فِي وَصْفِ الْقَلَمِ مِنْ قَصِيدَةٍ يَدْعُو بِهَا ابْنَ الزِّيَادِ ٠٠ وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ هَذِهِ  
 الْآيَاتُ أَحْسَنُ وَأَعْلَمُ مِنْ جَمِيعِ مَا قِيلَ فِي الْقَلَمِ

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي يُشَابَهُ نَصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّيِّ وَالْمَفَاصِلِ (١)  
 لَهُ الْخَلَوَاتُ اللَّامُ لَوْلَا تَجِيئُهَا لَمَا أَحْتَفَلَتْ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْحَاقِلِ (٢)

(١) - الشِّبَاهُ - حَدُّ الْقَلَمِ وَغَيْرُهُ وَمِثْلُهَا الشَّيْءُ بِالْمَنْعِ وَالْقَصْرِ ٠٠ وَقَوْلُهُ - نَصَابُ مِنَ  
 الْأَمْرِ - رَوَى أَيْضًا بِنَالٍ مِنَ الْأَمْرِ - وَالْكُلِّيُّ - جَمْعُ كَلِيَّةٍ وَكَلَوَةٌ جَاءَ بِأَلْيَاءٍ وَالْوَلَوُ  
 - وَالْمَفَاصِلُ - جَمْعُ مَفْصَلٍ وَهُوَ مَا تَلَقَّى كُلَّ عَظْمَيْنِ ٠٠ أَرَادَ أَنَّ الْقَلَمَ يَطَابِقُ الْمَفْصَلَ  
 وَيَصَادِفُ الْحَزَّ وَهُوَ بِنَالٍ مَقَاصِدُ الْأُمُورِ فَإِنَّهُ بِنَالٍ بِالْأَقْلَامِ مَا يَمْجِزُ عَنْهُ مَجَالِدَةُ الْحَمَامِ  
 (٢) قَوْلُهُ - لَهُ الْخَلَوَاتُ - يَعْنِي أَنَّ أَصْحَابَ الْقَلَمِ هُمْ أَهْلُ الْمَشُورَةِ وَمَوْضِعُ السَّرِّ يَخْتَلِي

## لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرْزِي الْجَنِّي أَسْتَارَتُهُ أُيْدِي عَوَاسِلٍ<sup>(١)</sup>

لهم الملوك المجالس للمشورة وبهم يحصل لظلام الملك - والنجى - المسارر والتناجي المسارة  
 •• وأراد به المشير فان المشورة تكون سرّاً غالباً - والاحتفال - حسن القيام بالأمر  
 - والمحافل - جمع محفل كجلس ومقعد وهو المجتمع

(١) قوله - لعاب الأفاعي - الخ اللعاب ما يسيل من الفم - والقاتلات - صفة كاشفة  
 للأفاعي ذكرها تهويل - والأرزي - بفتح الهمزة وسكون الراء مازق من العسل في  
 جوف الخلية - والجني - بفتح الجيم والقصر العسل والاضافة للتخصيص فان الأرزي  
 يأتي أيضاً بمعنى مازق بأسفل القدر من الطيبخ وان جعلت الأرزي بمعنى العسل  
 والجني بمعنى كل ما يجني من ثمرة ونحوها يلزم اضافة الموصوف الى الصفة - واشتارته -  
 استخرجه يقال شارفان العسل شوراً وشياراً وشياراً اذا استخرجه وكذلك أشاره  
 واشتارته - وأيدى - جمع يد - والعواسل - جمع عاسلة أى مستخرجة العسل والعاسل  
 مستخرج العسل من موضعه والمصرع الأول بالنسبة الى الأعداء والثاني بالنسبة الى  
 الأولياء •• يعنى ان لعاب قلمه بالنسبة الى الأعداء سم قاتل وبالنسبة الى الأولياء شفاء  
 عاجل •• فقوله لعاب مبتدأ مؤخر ولعاب الأفاعي خبر مقدم وأرزي معطوف على الخبر  
 وجاز هذا مع تعريف الطرفين لأن المعنى دال عليه لان اللعاب القاتل انما هو لعاب  
 الأفاعي فاماب القلم مشبه به في التأثير وعلم من هذا انه ليس من التشبيه المقلوب فان  
 لعاب القلم قد شبه بشيئين وهو السم والعسل باعتبارين وان جعلته من التشبيه المقلوب  
 كان من عطف الجمل والخبر في المعطوف محذوف وفيه تكلف اه من شرح الشواهد  
 الكبرى •• فقوله السابق وان جعلت الأرزي بمعنى العسل والجني بمعنى كل ما يجني من  
 ثمرة ونحوها يلزم اضافة الموصوف الى الصفة •• قلت ان لزم ذلك فلا محذور فيه فان  
 ابن مالك نص في التوسيل على جواز اضافة الصفة الى الموصوف والموصوف الى القائم  
 مقام الوصف وعلى كل حال فعي مشكلة خلافية فذهب البصريون الى منع ذلك مطلقاً  
 وتأولوا ماورد منه وذهب الكوفيون الى الجواز اذا اختلف اللفظان من غير تأويل

لَهُ رِبْقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقَمَّهَا بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ وَأَيْلٌ<sup>(١)</sup>  
فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجِمٌ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلٌ  
إِذَا مَا امْتَطَى الخُمْسَ اللِّطَافَ وَأَفْرَعَتْ

عَلَيْهِ شِعَابُ الفِكْرِ وَهِيَ حَوَائِلٌ<sup>(٢)</sup>

أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الفَنَى وَتَقَوَّضَتْ لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ الخِيَامِ الجِعَافِلُ<sup>(٣)</sup>  
إِذَا اسْتَفْزَرَ الذِّهْنَ الذَّكِيَّ وَأَقْبَلَتْ أَعَالِيهِ فِي التَّرِطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلُ<sup>(٤)</sup>  
وَقَدْ رَفَدْتَهُ الخِضْرَانَ وَسَدَدَتْ ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الأَنَامِلُ<sup>(٥)</sup>

- محتجبين نحو قوله تعالى (حق اليقين • ولدار الآخرة • بجانب الغربي) وغير ذلك
- (١) قوله - له ربقة طل - ربقة مبتدا وطل وصفه والظرف قبله خبره والطل المطر الضميف - وأويل - وكذا الويل المطر الشديد الضخم القطر • • يقول إن ما يجري من القلم حقير ناله في ظاهم الأمر لكن له أثر خبير عم المشارق والمغارب
- (٢) قوله - إذا ما امتطى الخمس اللطاف - الخ • • أراد بالخمس اللطاف الأصابع الخمس - والشعاب - جمع شعب بكسرهما الطريق في الجبل - والحوائل - جمع حافلة يقال حفل اللبن وغيره حفلا وحفولا اجتمع واحتفل الوادي امتلاً وسال
- (٣) قوله - أطاعته أطراف الفنى - الخ • • هو جواب إذا وروى أطاعته أطراف الرماح - وتقوضت - يقال تقوضت الصفوف إذا انتفضت وأصله من تقويض البناء وهو تقضيه من غير هدم - والنجوى - السر وتقويض أى كتنقيض الخيام - والجعافل - فاعل قوضت وهو جمع جمعفل بتقديم الجيم على المهملة كجمفر الجيش
- (٤) قوله - إذا استفزر الذهن - استفزره ووجدته غزيراً وأقاعله ضمير القلم - والذكي - المتوقد وروى الخلي بدله واخلي الخالي وإنما تكون أعالي القلم أسافل حين الكتابة
- (٥) قوله - وقد رفدته الخضران - الخ رفدته أعانته - وسددت - قومت

رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنُهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ ضَيِّقٌ وَسَمِينًا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاحِلٌ (١)

(١) قوله - رأيت جليلاً شأنه - الخ . . رأيت جواب اذا وشأنه فاعل جليلاً وجملة - وهو مرهف - حال وهو اسم مفعول من أرهفت السيف ونحوه اذا رقت شفرته ويقال أيضاً رهفته رهفاً فهو رهيف ومرهوف - وضى - تمييز وهو مصدر ضى من باب تعب اذا مرض مرضاً ملازماً - وسميناً - معطوف على جليلاً - وناحل - من نحل الجسم ينحل فتتبعهما نحولاً سقم ومن باب تعب

ثم وثق الحد الجزء الثاني من كتاب أمالي السيد المرتضى . . وقد صُحح هذا الجزء من أوله الى نهاية المزمرة الخامسة عشر منه بتصحيح السيد محمد بدر الدين النعماني ومن ثم الى آخره بتصحيح حضرة الشيخ احمد بن الامين الشنقيطي نزيل القاهرة حلاً وقد بذل غاية جهدهما فيه تصحيحاً وضبطاً وتفسير ما يحتاج الى إيضاح غامضه أحسن الله اليها وشكر مساعدها . . وقد تم وثق الحد طبعه في أوائل جمادى الثانية سنة ١٣٢٥ هجرية وصلى الله على سيدنا محمد وآله ومحبه وسلم



فهرس الجزء الثاني من أمالي السيد المرتضى

- ٢ تأويل خبر إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن الحديث  
 ٤ استطراد لذكر ما في الأصبع من اللغات  
 ٤ تأويل قوله تعالى : والارض جميعاً قبضته يوم القيامة الآية  
 ( المجلس الثالث والعشرون )  
 ٦ تأويل قوله تعالى : تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك الآية  
 ٦ ذكر جملة من معاني النفس  
 ٦ تأويل حديث إذا أحب العبد لقلبي أحببت لقاءه لقاءه الحديث  
 ( المجلس الرابع والعشرون )  
 ٩ تأويل قوله تعالى : اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم الآية  
 ١١ استطراد لذكر معاني كاد المقرؤة بالنق عند العرب  
 ١١ تأويل قوله تعالى : فذبحوها وما كادوا يفعلون  
 ١١ تأويل قوله تعالى : اذا أخرج يده لم يكذب يراها الآية  
 ١١ تأويل قوله تعالى : كذلك كدنا ليوסף الآية  
 ١٢ تأويل قوله تعالى : ان الساعة آتية أكاد أخفيها الآية  
 ١٣ استطراد لذكر جواز اخبار كاد وعدمه  
 ١٤ تأويل قوله تعالى : واذا زأغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر الآية  
 ( المجلس الخامس والعشرون )  
 ١٥ تأويل قوله تعالى : وجعلنا نومكم سباتا الآية  
 ١٥ استطراد لذكر يوم يده الخلق وتعيينه  
 ١٧ تأويل خبر ان الميت ليعذب ببكاء الحى عليه  
 ١٩ استطراد لذكر أهل القلب وايدائهم للنبي صلى الله عليه وسلم ودعائه عليهم  
 ٢٥ تأويل خبر ما من احد يدخله عمله الجنة ورغبه من النار الحديث  
 ٢١ استطراد لذكر بعض من شعر عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي  
 ٢٢ ترجمة الثريا وذكر ما وقع لمر المذكور معها  
 ( المجلس السادس والعشرون )  
 ٢٣ تأويل قوله تعالى : ففتنهم من أليم ماغشيم الآية

## (المجلس السابع والعشرون)

- ٢٤ تأويله قوله تعالى : نخر عليهم السقف من فوقهم الآية  
 ٢٦ فرق لطيف فحرب بين اللام وحل في هذا الموضوع  
 ٢٧ تأويل خبران هذا القرآن مأدبة لله تعالى الحديث  
 ٢٨ استطراد لذكر ما يقال لاطعمة مخصوصة عند العرب  
 ٣١ ذكر سرعة استحضار الاصمعي في انشاده الشعر  
 ٣٣ تأويله قوله تعالى : وقالت اليهود عزير بن الله الآية  
 ٣٥ تأويل قوله تعالى : ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم الآية  
 ٣٦ تأويله ما رواه مسلم الخزازي من انشاده قول سويد بن عامر وقوله صلى الله عليه وسلم لو أدركته لاسلم

- ٣٩ استرواح بذكر شيء من شعر رفيع الوالي  
 ٤٠ ذكر شيء من محاسن شعر عقيل بن خلفه وبعض أخباره  
 ٤٢ تأويل قوله تعالى : والى الله ترجع الامور

## (المجلس الثامن والعشرون)

- ٤٤ تأويله قوله تعالى : وليس البربان تأتوا البيوت من ظهورها الآية  
 ٤٤ معنى قوله صلى الله عليه وسلم لاعدوى ولا طيرة ولا هامة ولا سفر  
 ٤٦ استطراد لذكر شيء من شعر هلال بن خنم  
 ٤٧ ذكر طرف من أشعار حارثة بن بدر القدائي وبعض أخباره

## (المجلس التاسع والعشرون)

- ٥٣ تأويله قوله تعالى : أولئك لم تصيب مما كسبوا الآية  
 وقوله تعالى : وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب  
 (المجلس الثلاثون)

- ٥٦ تأويله قوله تعالى : والله يرزق من يشاء بغير حساب  
 ٥٨ تأويله خبر نوضوا بما غيرت النار  
 ٦٠ استرواح بذكر بعض من محاسن شعر عبيد الله بن عبد الله بن عتبة وبعض أخباره  
 (المجلس الواحد والثلاثون)

تصحفه

- ٦٣ تأويل قوله تعالى : قد اقرينا على امة كذبا ان عدنا في ملتكم الآية
- ٦٦ تأويل خبر خير الصدقة ما أبتت غني واليد العليا خير من اليد السفلى
- ٦٨ استرواح بذكر طرف من شعر نطقت قطة العتكي وأخباره
- ٧٢ ذكر شيء من شعر صهوة بن أذينة
- ٧٣ ذكر خبره مع السيدة سكينه رضى الله تعالى عنها
- ٧٤ ذكر أشعر أبيات قيلت في معنى الحسد  
(المجلس الثاني والثلاثون)
- ٧٦ تأويله قوله تعالى : واتبعوا ما نزلوا الشياطين على ملك سليمان الآية
- ٧٨ مسألة وجوب رد الشيء الى نظيره
- ٨١ ماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه في تأويل الآية المذكورة
- ٨٢ ماروى عن شريعة سيدنا سليمان عليه السلام في السحر
- ٨٢ تأويل قوله تعالى : ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق الآية
- ٨٣ تأويل خبر لو كان القرآن في اهاب مامسته النار
- ٨٤ مسألة ان المكتوب في المصحف هو القرآن
- ٨٥ معنى قوله تعالى : لو أنزلنا هذا القرآن على جبله الآية
- ٨٧ استرواح بذكر طرف من الملح الشعرية  
(المجلس الثالث والثلاثون)
- ٩٤ تأويل قوله تعالى : فأما الذين في قلوبهم زيغ الآية
- ٩٥ استطراد لذكر بعض أخبار يزيد بن مفرغ وشيء من شعره
- ٩٨ ذكر جملة من الملح الشعرية المستحسنة
- ١٠١ حكاية عبيد الله بن سليمان بن وهب مع ابن الرومى  
(المجلس الرابع والثلاثون)
- ١٠٥ تأويل قوله تعالى : لا تثرىب عليكم اليوم الآية
- ١٠٧ تأويل خبر النهي عن كسب الرمازة
- ١٠٨ استطراد لذكر ما جاء عن العرب فيما يقال في الرمز والصفير
- ١١٢ أحسن ما قيل في صفة المرأة المعجزاء الخمصانة
- ١١٣ ذكر بعض من شعر اراكة الثقفى في تسلية المحزون

- ١١٤ قصيدة في الهجاء لبشر بن أبي خازم الاسدي وحسن اعتذاره  
(المجلس الخامس والثلاثون)
- ١١٥ تأويل قوله تعالى : خاق الانسان من مجل الآيه  
١١٥ ذكر ما جاء عن العرب في القلب للمبالغة
- ١١٩ استطراد لذكر ما يستحسن من شعر مسكين الدارمي في الموضوع  
١٢٤ أحسن ما قبل في الفيرة  
[المجلس السادس والثلاثون]
- ١٢٥ تأويل قوله تعالى : ولقد همت به وهم بها الآية  
١٢٩ كلام على البرهان الذي رأه سيدنا يوسف عليه السلام  
١٢٩ استرواح يذكر بعض ملح شعرية  
(المجلس السابع والثلاثون)
- ١٣٣ تأويل قوله تعالى : رب السجن أحب الي مما يدعوتني اليه الآية  
١٣٦ تأويله خبر من يذع المشمعة يشمع به  
١٣٨ استرواح يذكر بعض فكاهات أدبية للأصمعي  
[المجلس الثامن والثلاثون]
- ١٤٤ تأويل قوله تعالى : ونادى نوح ربه فقال رب اني من أهل الآية  
١٤٧ ذكر بعض فكاهات شعرية ونثرية للأصمعي  
[المجلس التاسع والثلاثون]
- ١٥٢ تأويل قوله تعالى : فلا تنجيك أموالهم ولا أولادهم الآية  
١٥٥ ترجمة مروان بن يحيى وذكر شيء من شعره وخرجه  
[المجلس الاربعون]
- ١٦٤ تأويل قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول الآية  
١٦٧ تقرير شبهة الجبرية في فهم الآية المذكورة وردها  
١٦٨ قصة حصن بن حذيفة مع أولاده عند وفاته ووعظه لهم  
١٦٩ ذكر جملة أشعار مستحسنة لمروان بن أبي حفصة وغيره

الجزء الثالث من كتاب ❦

# أما إلى السيد رضي

❦ الشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين المتوفى سنة ٤٣٦هـ رضي الله عنه ❦

❦ في التفسير والحديث والأدب ❦

❦ الطبعة الأولى ❦

( سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م )

( عن نفقة أحمد ناسي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه )

❦ حقوق الطبع محفوظة ❦

( صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه )

حضرة الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي نزيل القاهرة حالا

( مطبعة السعادة بحوار محافظة مصر لصاحبها محمد اسميل )

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ مجلس آخر ٤١ ﴾

[ تأويل آية ] . . . إن سأل سائل عن قوله تعالى ( فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين ) الى آخر الآية . . . فقال ما تأويل هذه الآية أوليس ظاهرها يقتضى أنا لانشاء شيئاً إلا والله تعالى شاءه ولم يخص إيماناً من كفر ولا طاعة من معصية . . . الجواب قلنا الوجه المذكور فى هذه الآية ان الكلام متعلق بما تقدمه من ذكر الاستقامة لانه تعالى قال ( من شاء منكم أن يستقيم ) ثم قال ( وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ) أي ما تشاؤون الاستقامة إلا والله تعالى يريد لها ونحن لانشكر أن يريد الله تعالى الطاعات وانما أنكرنا ارادته المعاصى وليس لهم أن يقولوا تقدم ذكر الاستقامة لا يوجب قصر الكلام عليها ولا يمنع من عمومها كما ان السبب يوجب قصر ما يخرج من الكلام عليه حتى لا يتعداه وذلك ان الذى ذكره انما يجب فيها يستقل بنفسه من الكلام دون ما لا يستقل . . . وقوله تعالى ( وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ) لا ذكر للمراد فيه فهو غير مستقل بنفسه واذا علق بما تقدم من ذكر الاستقامة استقل على انه لو كان للآية ظاهر يقتضى ما ظنوه وليس لها ذلك لوجب الانصراف عنه بالأدلة الثابتة على انه تعالى لا يريد المعاصى ولا القباح على ان مخالفتها فى هذه المسئلة لا يمكنهم حل الآيه على العموم لأن العباد قد يشاؤون عندهم ما لا يشاءه الله تعالى بان يريدوا النبي ويعزموا عليه فلا يقع مانع ممتنعاً كان أو غيره وكذلك قد يريد النبي عليه الصلاة والسلام من الكفار الايمان وقد تعبدنا بان يريد من المقدم على القبيح تركه وان كان تعالى عندهم لا يريد ذلك اذا كان المعلوم انه لا يقع فلا بد لهم من تخصيص الآيه فاذا جاز لهم ذلك بالشبهة

جاز لنا مثله بالطبيعة ونجربى هذه الآية مجرى قوله تعالى ( ان هذه تذكرة فمن شاء  
 اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ) وقوله تعالى ( وما يذكرون إلا أن  
 يشاء الله ) في تعلق الكلام بما قبله . . فان قالوا فالآية تدل على مذهبتنا واطلاق مذهبكم  
 من وجه آخر وهو انه عز وجل قال ( وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ) وذلك يقتضى  
 انه يشاء الاستقامة في حال مشيئتنا لها لأن أن الحقيقة اذا دخلت على الفعل المضارع  
 اقتضت الاستقبال وهذا بوجب انه يشاء أفعال العباد في كل حال ويبطل ما تذهبون  
 اليه من انه انما يريد الطاعات في حال الأمر . . قلنا ليس في ظاهر الآية إننا لا نشاء  
 إلا ما شاءه الله تعالى في حال مشيئتنا كما ظنتم وانما يقتضى حصول مشيئته لما نشاءه من  
 الاستقامة من غير ذكر لتقدم ولا تأخر ويجرى ذلك مجرى قول القائل ما يدخله زيد  
 هذه الدار إلا أن يدخلها عمرو ونحن نعلم انه غير واجب بهذا الكلام أن يكون دخولهما  
 في حالة واحدة بل لا يمتنع أن يتقدم دخول عمرو يتلوه دخول زيد وأن الحقيقة وأن  
 كانت للاستقبال على ما ذكر فلم يبطل على تأويلنا معنى الاستقبال فيها لأن تقدير الكلام  
 وما تشاؤون الطاعات إلا بعد أن يشاء الله تعالى ومشيئته تعالى قد كانت لها حال الاستقبال  
 وقد ذهب أبو علي الجبائي الى انه لا يمتنع أن يريد تعالى الطاعات حالا بعد حال وان  
 كان قد أرادها في حال الأمر كما يصح أن يأمر بها أمراً بعد أمرٍ قال لانه قد يصح  
 أن يتعلق بإرادته ذلك متأ بعد الأمر وفي حال الفعل مصاحبة ويعلم تعالى أنا نكون  
 متى عدنا ذلك كعنا الى فعل الطاعات أقرب وعلى هذا المذهب لا يعترض بما ذكره  
 . . والجواب الأول واضح اذا لم نذهب الى مذهب أبي علي في هذا الباب على ان  
 اقتضاء الآية للاستقبال من أوضح دليل على فساد قولهم لأن الكلام اذا اقتضى حدوث  
 المشيئة وأبطل استقبالها بطل قول من قال منهم انه يريد نفسه أو يريد بإرادة قديمة  
 وصح ما نقوله من ان ارادته محدثة مجدية . . ويمكن في تأويل الآية وجه آخر مع  
 حملنا إيها على العموم من غير أن نخصها بما تقدم ذكره من الاستقامة ويكون المعنى وما  
 تشاؤون شيئاً من فعالكم إلا أن يشاء الله تمكينكم من مشيئتكم واقداركم عليها والتخيلية  
 بينكم وبينها وتكون الفائدة في ذلك الإخبار عن الافتقار الى الله تعالى وأنه لا قدرة

للعبد على ما لم يقدره الله تعالى من وجوه وليس يجب عليه أن يستبعد هذا الوجه لأن ما يتعلق به المشيئة في الآية محذوف غير مذكور وليس لهم أن يعلقوا قوله تعالى (إلا أن يشاء الله) بالأفعال دون تعلقه بالقدرة لأن كل واحد من الأمرين غير مذكور وكل هذا واضح بحمد الله . . . ونعود إلى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان فما يختار قوله من قصيدة أولها

طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ فَحَيَّ خِيَالَهَا      بِيَضَاءِ تَخْلُطُ بِالْحَيَاءِ دَلَالَهَا

يقول فيها

مالت بقلبك فاستقامد ومثلها      فاذ القلوب إلى الصبا فأمالها

فكأنما طرقت بتفحة روضة      سمحت بها ديم الربيع طلالها

باتت تسائل في المنام معرّساً      بالبيد أشعت لا تمل سؤالها

في فتية هجموا غزارا بعدما      سشو أمرا عشة السرى ومطالها

[ قال المرنسي ] رضى الله عنه - المراجعة - هي تحريك الرأس في السبر من النوم

فكأن حشوا نياهم هندية      نعلت وأغفلت العيون صقالها

أما ذكره في أول القصيدة طروق الطيف فإنه لم يأت فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستعذب<sup>(١)</sup> وقد قال الناس في طيف الخيال فأكثرناه . . . وقد سبق في ذلك قبس من الخطيم إلى معنى كل الناس فيه عيال عليه وهو قوله

( ١ ) قوله فإنه لم يأت فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستعذب الخ . . . قلت أما العلماء

المتقدمون فأنهم استحسوها روى أن مروان بن أبي حنيفة جاء إلى حنيفة بن يونس فسلم ثم قال أياكم يونس فأومأ له إليه فقال له أصاحك الله إني أرى قوماً يقولون الشعر لأن يكشف أحدهم سوانه ثم يمشى كذلك في الطريق أحسن له من أن يظهر مثل ذلك الشعر وقد قات شعراً أمرضه عليك فإن كان جيداً أطهرته وإن كان رديئاً سترته

أَتَى سَرَبٌ وَكُنْتُ غَيْرَ سَرُوبٍ      وَتَقَرَّبَ الْأَحْلَامُ غَيْرَ قَرِيبٍ<sup>(١)</sup>  
 مَا تَمْنَى يَقْضِي فَقَدْ تَوَيْدَتْهُ      فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مَخْشُوبٍ  
 كَانَ الْمُنَى بِلِقَائِهَا فَلَقِيَتْهَا      فَلِهَوْتِ مَنْ لَهْوِ أَمْرِيءِ مَكْذُوبٍ

وقد أحسن جرير في قوله

اتنسى اذ تودّ عنا سلمي  
 بنفسي من تجنّبهُ عزيزاً  
 ومن أمسي وأصبح لأرأه  
 بفرع بشامة سقي البشام  
 علي ومن زيارته لمام  
 ويظرفني اذا هجع النيام

وهذه الابيات وان خلت من معنى في ذكر الطيف غريب فلم تخل من لفظ مستعذب  
 .. ولأبي عبادة البحرني في وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتأخر فانه تغافل

فأنشده \* طرقتك زائرة في خيالها \* النخ فقال له يونس يا هذا اذهب فاطهر هذا  
 الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعتى في قوله \* رحاح سمية غدوة أجمالها \* فقال  
 له مروان سررتي وسوتتي فأما الذي سررتي به فارتضاؤك الشعر وأما الذي ساءني  
 فتقديك إياي على الأعتى وأنت تعرف محله فقال إنما قدمتك عليه في تلك القصيدة  
 لا في شعره كله لانه قال فيها \* فأصاب حبة قلبه وطمعهاها \* والطمع لا يدخل في شيء  
 إلا أفسده وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه .. وقصيدة مروان هذه مدح بها المهدي ولما  
 أنشده إياها زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط إعجاباً بما سمع ثم قال كم  
 هي قال مائة بيت فأمر له بمائة ألف درهم فكانت أول مائة ألف درهم أعطيا شاعري في  
 أيام بني العباس وهذا دليل على حسنها

(١) قوله سربت - السارب - الذهاب على وجهه في الأرض ورواه ابن دريد سربت  
 بياء موحدة لقوله وكنت غير سروب ومن رواه سربت بالياء بالتين فعناه كيف سربت  
 ليلا وأنت لا تسربين نهاراً

في أوصافه واهتدي من معانيه الى ما لا يوجد لغيره وكان مشغولاً بتكرار القول في هجاء  
بإدائه وإعادته وان لأبي تمام في ذلك مواضع لا يحول فضلها ومحاسن لا يبلغ شأوما  
فما لأبي تمام قوله

زَارَ الْخَيَالَ لَهَا لَا بِلَ أَزَارَكَ  
ظَنِّي تَقَضَّتْهُ لَمَّا نَصَبْتُ لَهُ  
ثُمَّ اغْتَدَى وَبَنَى مِنْ ذِكْرِ وَسَمٍ  
فَكَرْتُ إِذَا نَامَ فِكْرُ الْخَلْقِ لَمْ يَنَمْ  
فِي آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرَاكَ مِنْ الْعِلْمِ  
بَاقٍ وَإِنْ كَانَ مَعْسُولًا مِنَ السَّمِّ

وقوله

عَادَكَ الرَّؤُوفُ لَيْلَةَ الرَّمْلِ مِنْ  
نَمْرٍ مَا زَارَكَ الْخَيَالَ وَلَكِنْ  
رَمَلَةٌ بَيْنَ الْجَمَى وَبَيْنَ الْمَطَالِ  
لَكَ بِالْفِكْرِ زُرْتُ طَيْفَ الْخَيَالِ

وقوله

الَّتِي لِي أَحْنَى بَطْنِي إِذَا مَا  
يَالِهَا لَيْلَةٌ تَنْزَهَتْ الْأَرْزَاقُ  
مَجْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ  
جَرَحَتْهُ النَّوَى مِنَ الْأَيَّامِ  
وَإِخْفِ فِيهَا سِرًّا مِنَ الْأَجْسَامِ  
غَيْرَ أَنَا فِي دَعْوَةِ الْأَحْلَامِ

فأما البحري فقولته في هذا المعنى أكثر من أن يذكر جميعه هنا غير أن أشير الى  
نادره في ذلك قوله

فَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ يُطِيفَ خَيَالُهَا  
أَلَمْتُ بِنَا بَعْدَ الْهُدُوءِ فَسَاعَتِ  
وَمَا بَرَحْتُ حَتَّى مَضَى اللَّيْلُ وَانْقَضَى  
فَوَلَّتْ كَأَنَّ الْبَيْنَ يُخَالِجُ شَخْصَهَا  
وَرُبَّ لِقَاءٍ لَمْ يُؤْمَلْ وَفُرْقَةٍ  
بِنَاتِحَتْ جَوْشُوشٍ مِنَ اللَّيْلِ أَسْفَعِ  
بِوَصْلِ مَتَى تَطْلُبُهُ فِي الْجَدِّ تَمْنَعِ  
وَأَعْيَلَهَا دَاهِي الصَّبَاحِ الْمَلْمَعِ  
أَوْانِ تَوَلَّتْ مِنْ حَشَايِ وَأَضْلَعِي  
لِأَسْمَاءِ لَمْ تُحَدِّزْ وَلَمْ تُتَوَقَّعِ

أَرَانِي لَا أَنْفَكُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ  
أَسْرًا بِقُرْبِ مَنْ مُلِمٍّ مُسْلِمٍ  
فَكَانَ لَنَا بَعْدَ النَّوَى مِنْ تَفَرُّقِ

وَكَلِمَتِهِ

وَإِنِّي وَإِنْ صُنَّتْ عَلَيَّ بُوْدَهَا  
يَمُرُّ عَلَى الْوَاشِينَ لَوْ يَعْلَمُونَهَا  
فَكَمْ غَلَّةٌ لِلشُّوقِ أَطْفَأَتْ حَرَّهَا  
أَضْمُ عَلَيْهِ جَفَنَ عَيْنِي تَمَلَّقَا

وَقَوْلُهُ

تَأَوَّهْتُ مِنْ وَجْدٍ تَعَرَّضَ بَطْمَعُ  
تَلَبَّهْتُ مِنْ وَجْدٍ لَهُ أَنْفَرَعُ  
وَسَمِعْتُ أَذِي رَجْعِ مَا لَيْسَ تَسْمَعُ  
تُرَدُّ بِهِ نَفْسُ اللَّامِيفِ فَتَرْجَعُ

وَقَوْلُهُ

إِذَا مَا الْكَرَى أَهْدَى إِلَى خِيَالِهِ  
إِذَا انْتَزَعْتَهُ مِنْ يَدَيْهِ أَنْتَبَاهُهُ  
وَلَمْ أَرِ مِثْلَنَا وَلَا مِثْلَ شَأِنِنَا

وَقَوْلُهُ

فَمَا تَلْتَقِي إِلَّا عَلَى حِلْمٍ جَاهِدِ  
تَحِلُّ لَنَا جَدْوَالِكِ وَهِيَ حَرَامُ

إِذَا مَا بَادَلْنَا النَّفَائِسَ خَلَّتْنَا      مِنْ الْجَدِّ أَيْقَاطًا وَنَحْنُ نِيَامُ  
وقوله

وَلَيْلَةٌ هَوَمْنَا عَلَى الْمَيْسِ أُرْسَلَتْ      بِطَيْفِ خِيَالٍ يُشْبِهُ الْحَقَّ بَاطِلَةٌ  
فَلَوْلَا بِيَاضُ الصُّبْحِ طَالَ تَشْبِثِي      بِمِطْفَى غَزَالٍ بَتٍّ وَهَنَا أَغَازِلَةٌ  
وقوله

أَمْنِكَ تَأْوِبُ الطَّيْفُ الطَّرُوبُ      حَبِيبٌ جَاءَ يَهْدِي مِنْ حَبِيبِ  
نَحْطَى رَقَبَةَ الْوَأَشِينِ كُرْهَا      وَبَعْدَ مَسَافَةِ الْخَرَقِ الْمَجُوبِ  
يَكَاذِبِي وَأَصْدُقَهُ رِذَاءُ      وَمَنْ كَلَّفَ مُصَادَقَةَ الْكُذُوبِ  
وقوله

مَاتَقَضَى لِبَانَةٌ عِنْدَ لُبِّي      وَالْمَعْنَى بِالْفَائِيَاتِ مَعْنَى  
هَجَرْنَا يَقْطَى وَكَادَتْ عَلَى مَذَى      هَبِهَا فِي الصَّدُودِ تَهْجُرُ وَسْنَى  
بِعَدْلٍ أَيْ وَقَدْ تَمَرَّضَ مِنْهَا      طَائِفٌ عَرَّجَتْ عَلَى الرَّكْبِ وَهَنَا

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه . . . ووجدت أبا القاسم الحسن بن بشر الأمدى مع ميلة المي البحرى وأعطاه في شعبه واجتهاده في تأويل ما أخذ عليه من خطأ وذلك بزعم أن البحرى أخطأ في قوله

هَجَرْنَا يَقْطَى وَكَادَتْ عَلَى مَذَى      هَبِهَا فِي الصَّدُودِ تَهْجُرُ وَسْنَى  
قال لأن خيالها يمتد له في كل أسوالها يقضى كانت أو وسى قال ولكن الجيد في هذا المعنى قوله

أَرَدْتُ دُونَكَ يَقْظَانَا وَيَأْذُنِي      عَلَيْكَ سَكْرُ الْهَوَى إِنْ جِئْتُ وَسَنَا

قال والذي أوقع البحرى في هذا الغلط قول قيس بن الخطيم

## مَا تَمَنَّى يَقْظِي فَقَدْ تَوَيْتَهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصْرَدٍ مَحْسُوبٍ

وكان الأجود أن يقول ما تمنى في اليقظة فقد تويته في النوم أي ما تمنى في يقظي فقد تويته في حال نومي حتى يكون النوم واليقظة ملدوين إليه لأن خيال المحبوب يتدل في حال نومه ويقظته جميعاً قال إلا أنه يتسع في التأويل في هذا لقيس ما لا يتسع للبحثري لأن قيساً قال فقد تويته في النوم ولم يقل نائمة وقد يجوز أن يحمل على أنه أراد ما تمنى يقظي وأنا يقظان فقد تويته في النوم أي في نومي ولا يسوغ مثل هذا في بيت البحثري لأنه قال وسى ولم يقل في الوسن ٠٠ [قال الشريف] رضى الله عنه وقد يكن في التأويل للبحثري ما أمكن مثله لقيس لكن الآمدي قد ذهب عن ذلك لأن البحثري لما قال وسى دل على حال الوسن والحال المعهودة للوسن حال يشترك الناس فيها في النوم بالعادة كما أن الحال المعهودة لليقظة حال مشتركة بالعادة فقوله وسى في يني عن كونه هو أيضاً نائماً وإنما أراد المقابلة في زنة اللفظ بين يقظي ووسى ٠٠ وقوله يقظي متى لم يحمل أيضاً على هذا المعنى لم يصح لأنه لا بد أن يريد بذلك هجرتنا في أحوال اليقظة ويكون معنى يقظي يتعدى إليه ألا ترى أن الآمدي حمل قول قيس يقظي على معنى وأنا يقظان وإن لم يبين الوجه فيه فكيف ذهب عليه. مثل ذلك في قول البحثري ٠٠ وقوله وسى ويقظي مثل قول قيس يقظي ولو أمكن قيساً وزن الشعر من أن يقول وسى في مقابلة يقظي لقاله وما عدل عنه إلى النوم لأنه لم يكن عليه في وسى إلا ما عليه في يقظي وما يتأول له في أحد الأمرين يتأول له في الآخر ٠٠ [قال الشريف المرتضى]

رضى الله عنه ولي في الخيال وطروقه معنى ما علمت أنه سبق إليه من جملة قصيدة

وَزَوْرٍ تَحْظِي جُنُوبَ الْمَلَا      فَنَادَيْتُ أَهْلًا بِدَا الزَّائِرِ  
أَتَانِي هُدُوءًا وَعَيْنُ الرَّقِيبِ      مَطْرُوفَةٌ بِالكَرْمِيِّ الْمَامِرِيِّ  
فَأَعْرَبَ بِهِ يُسْعِفُ الْمَاجِعِينَ      وَشَحْرَمَهُ مُقَلَّةُ السَّاهِرِ  
وَعَهْدِي يَتَمَوَّهَ عَيْنَ الْمُجِيبِ      يَنْبِئُ عَلَى قَلْبِهِ الطَّائِرِ

فَلَمَّا التَّمِينَا بِرَغَمِ الرَّفَادِ مَوْءَةً قَلْبِي عَلَي نَاظِرِي

ومعنى البيت الآخر ان الأحلام انما هي اعتقادات تخيل في القلب لاحتقيقة لاكثرها لأن اللسان يعتقد انه رأى لما لا يراه على الحقيقة ويدرك لما ليس مدركه على الحقيقة فالقلب يخيل في النوم للعين ما لاحتقيقة له كما ان العين تخيل في كثير من الأحوال للقلب ما لاحتقيقة له . . . فأما قول مروان « فكأنما طرقت بنفحة روضة » البيت فيشبه أن يكون مأخوذاً من قول نيشل بن جري قال

طَرَقَتْ أَسِيْمَاءَ الرَّحَالِ وَذُوْنَهَا      بِيْتَانِ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ الْأَسْوَدِ  
وَمَمَّاوَزٌ وَصَلَّ الْفَلَاةَ جَنُوبَهَا      بِجَنُوبِ أُخْرَى غَيْرَ أَنْ لَمْ تُعْقِدِ  
رَمَلٌ إِذَا أُبْدِيَ الرَّكَابِ قَطْعَنُهُ      قَرَعَتْ مَنَاسِمَهَا بِقَفِّ قَرْدِدِ  
فَكَأَنَّ رِيحَ لَطِيْمَةٍ هِنْدِيَّةٍ      وَذِكْرِي جَادِي بِنَصْعِ عَجْسِدِ  
وَنَدَى خَزَائِي الْجَوِّ جَوْ سَوِيْقَةٍ      طَرَقَ الْحَيَالُ بِهِ يُعِيدُ الْمَرْقِدِ

أو من قول الآخر

طَرَقَتْكَ زَيْنَبُ وَالْمَزَارُ يُعِيدُ      بِمَنِي وَنَحْنُ مَعْرَسُونَ هُجُودُ  
وَكَأَنَّما طَرَقَتْ بِرِيَا رَوْضَةٍ      أَنْفٍ يُسَجِّحُ مَرْئِيهَا وَتَجُودُ

وهذا المعنى كثير في الشعر المتقدم والمتأخر جداً . . . فأما قوله - باتت نسائل في المنام معرساً - البيت والبيتان اللذان بعده فقد قال الناس في وصف قلة النوم ومواصلة السرير والادلاج وشعث السارين فأكثروا . . . فن أحسن ما قيل في ذلك قول لبيد

وَتَجُودُ مِنْ صَبَابَاتِ الْكَرِيِّ      عَاطِفِ التَّمْرِ قِ صِدْقِ الْمُبْدَلِ<sup>(١)</sup>

(١) قوله - ومجود من صبابات الكرى - الخ الواو واو رب والمجود الذي جاده النعاس وألح عليه حتى أخذ فنام من الجود بالفتح وهو المطر الغزير يقال أرض مجودة أي مغشية وجيدت الأرض اذا أمطرت جوداً . . . وقال امرئ القيس المجود الذي قد جاده العمش أي

قَالَ هَجَدْنَا قَعْدَ طَالِ السَّرِيِّ وَقَدَرْنَا إِنْ خَنَى الدَّهْرَ غَفْلًا<sup>(١)</sup>  
 قَلَمًا عَرَسَ حَتَّى هَجَيْتَهُ بِالتَّبَاشِيرِ مِنَ الصُّبْحِ الأوَّلِ<sup>(٢)</sup>

غلبه كذا في شرح أبي الحسن الطوسي وهذا لا يناسب لقوله صباحات الكرى فان الكرى النوم وصباحته بقيته كذا في شرح الشواهد للبغدادي . . وقال في اللسان ويقال للذي غلبه النوم مجود كأن النوم جاده أي مطره قال والمجود الذي يجهد من النعاس وغيره عن الاحيائي وبه فسر قول لبيد وأنشد البيت قال أي هو صابر على الفراش الممهّد وعن اللوطه يعني أنه عطفت نمرقة ووضعها تحت رأسه وقيل معنى قوله ومجود من صباحات الكرى قيل معناه شيق وقال الأصمعي معناه صب عليه من جود المطر وهو الكثير منه والجود النعاس وجاده النعاس غلبه . . وقوله . . طاطف التمرق . . صفة مجود والاضافة اغظية والتمرقة مثله الذون الوسادة والطنفة فوق الرجل وهي المراد هنا . . وقوله . . صدق المتبدل . . بفتح الصاد أي جلد قوي لا يغير عند ابتذاله نفسه ولا يسقط ولا يجوز أن يقال صدق المتبدل الا اذا أمّتهن ووجد صادق المهنة يوجد عنده ما يجب ويراد

( ١ ) قوله . . هجدنا . . الخ هو متعاق رب والتهجيد من الاضداد يقال هجدته اذا نومه أي دعنا ننام وهو المراد هنا وهجدته اذا أيقظته والفاء لاتعاقيل . . والسري . . بالضم سيرة عامة الليل . . وقوله . . وقدرنا . . أي قدرنا على ورود الماء وذلك اذا قربوا منه وفي القاموس وبه اليلة قادرة هينة السير لانصب فيها . . والخنى . . بفتح المعجمة والقصر الآفة والفساد أي ان غفل عنّا فساد الدهر فلم يعقنا وقيل قدرنا أي على التهجد وقيل على السير

( ٢ ) قوله . . قلمًا عرس . . الخ ما المتصلة بقل كافة لها عن طلب الفاعل وجاعة إياها بمنزلة ما النافية في الأغاب وهنا لا ثبات الثقله وما تنصل بأفعال ثلاثة فتسكفها عن طلب الفاعل وهي قلمًا وطالما وكترًا ما وينبغي ان تنصل بالأولين كتابة والتعريس النزول في آخر الليل للاستراحة والنوم ومثله الاهراس . . وهجته . . أيقظته من النوم وهاج يهيج يهيج لازماً ومتعدياً يقال هاج اذا نار وهجته اذا أترته . . وحتى . . هنا حرف جر بمعنى الا الاستثنائية أي ما عرس إلا أيقظته أي نام قليلاً ثم أيقظته وأكثر دخولها على

يَلْمَسُ الْأَحْلَاسَ فِي مَنزِلِهِ      يَدِيهِ كَالْيَهُودِيِّ الْمُصَلِّ<sup>(١)</sup>  
 يَتَمَارَى فِي الَّذِي قُلْتُ لَهُ      وَلَقَدْ يَسْمَعُ قَوْلِي حَيْهَلَّ<sup>(٢)</sup>

أو من قول ذي الرمة

المضارع كقوله

ليس العطاء من الفضول سباحة      حتى تجود وما لديك قليل

وقوله - بالتبشير - أي بظهورها والتبشير أوائل الصبح وهو جمع تبشير ولا يستعمل إلا جمعا كذا عبر البغدادي ولفظ شارح القاموس لا واحد له - والأول - صفة التبشير وهو بضم الهمزة وفتح الواو جمع أولى مؤنث الأول كالكبر جمع كبري وقد جاء هذا المصراع الثاني في شعر النابغة الجعدي وهو

وشولٍ قهوةٍ باكرتها      في التبشير من الصبح الأول

(١) قوله - يلمس الأحلاس - فاعل يلمس ضمير المجرود واللمس الطلب وفعله من بابي قنل وضرب والأحلاس جمع حاس بالكسر وهو كساء رقيق يكون على ظاهر البعير تحت رحله أي يطبها بيديه وهو لا يعقل من غلبة العاس . وقوله - كاليهودي المصل - أي كأنه يهودي يصلي في جانب يسجد على جبينه واليهودي يسجد على شق وجهه وأصل ذلك أنهم لما نتق الجليل فوقفهم قبيل لهم إما أن تسجدوا وإما أن يأتى عليكم فسجدوا على شق واحد مخافة أن يسقط عليهم الجليل فصار عندهم سنة إلى اليوم

(٢) قوله - يتمارى في الذي قلت له - النخ التمارى في الشيء والامتراء فيه المجادلة والشك فيه يقال ماريت الرجل أماريه مرأه وماراة إذا جادلته والمرية الشك . قال الطوسي يقول قال له الصبح النجاء النجاء قد أصبحت ونحو هذا من الكلام - وحيهل - أي أسرع وأجبل وحيهل اسم فعل قل زكريا الأحرر في حيهل ثلاث لغات يقال حيهل بفلان مجزم اللام وحيهل بفلان بحركة اللام وحيهلا بفلان بالتووين وقد يقولون من غير هل من ذلك سى على الصلاة وقال ابن عصفور ان حيهلا مركبة من حي وهلا الا ان ألف هلا تحذف في بعض اللغات تخفيفاً

وَلَيْلِ كَأَنَّهُ الزُّوزِيُّ جُبْتُهُ بِأَرْبَعَةٍ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ  
 - والزوزي - هو العليسان ٠٠ وقد روى أيضاً كجباب العروس أدرعته وكل ذلك  
 وصفه بالسواد لان العليسان أسود ٠٠ وجباب العروس أخضر والمرب تجميع  
 بين الخضرة والسواد

أَحْمٌ عَلَافِيٌّ وَأَبْيَضٌ صَارِمٌ      وَاعْيَسُ مُهْرِيٌّ وَأَشَعْتُ مَا جِدُّ  
 أَخُو شَقِهِ جَابَ الْفَلَاةَ بِنَفْسِهِ      عَلَى الْهَوْلِ حَتَّى طَوَّحَتَهُ الْمَطَارِدُ  
 وَأَشَعْتُ مِثْلَ السَّيْفِ فَذَلَّاحَ جِسْمِهِ      وَجَيْفُ الْمَهَارِي وَالْهُمُومُ الْأَبَاعِدُ  
 سَقَاهُ الْكُرَى كَأْسَ النُّعَاسِ فَرَأَسُهُ      لِدَيْنِ الْكُرَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ سَاجِدُ  
 أَقَمْتُ لَهُ صَدْرَ الْمَطِيِّ قِمَادَرِي      أَجَازَةٌ أَعْنَأُهَا أُمُّ قَوَاصِدُ  
 تَرَى النَّاشِئِ الْغَرَّ بِرِضْحِي كَأَنَّهُ      عَلَى الرَّحْلِ مِمَّا مَنَّهُ السَّبْرُ عَاصِدُ

ومن ذلك قول أبي حبة الغمري

وَأَعْيَدُ مِنْ طَوْلِ الشَّرِيِّ بَرَحَتْ بِهِ      أَفَافِينُ نَهَاضٍ عَلَى الْأَيْنِ مُرْجِمُ  
 سَرَيْتُ بِهِ حَتَّى إِذَا مَا تَمَزَّقَتْ      تَوَالِي الدُّجَى عَنْ وَاضِحِ الْأَوْنِ مُعَلِّمُ  
 أُنْحَنَّا فَلَمَّا أَنْ جَرَتْ فِي دِمَاعِهِ      وَعَيْنِيهِ كَأْسُ النَّوْمِ قَلْبُهُ لُهُ قُمُ  
 فَمَا قَامَ إِلَّا بَيْنَ أَيْدِي تَقِيمُهُ      كَمَا عَطَفَتْ رِيحَ الصَّبَا خَوْطَ سَاسِمُ  
 خَطَا الْكُرَى مَغْلُوبًا كَأَنَّ لِسَانَهُ      لِمَا رَدَّ مِنْ رَجْعِ لِسَانِ الْمَبْتَسِمِ  
 وَوَدَّ يُوَسِّطِي الْخَمْسَ مِنْهُ لَوْ أَنَّنَا      رَحَانًا وَقُلْنَا فِي الْمَنَاحِ لَهُ تَمُّ



## ﴿ مجلس آخر ٤٢ ﴾

[ تأويل آية ] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى ﴿ أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض ﴾ إلى آخر الآية ٠٠ فقال ما معنى اختصاص الأرض بالذكر وهم لا يفوتون الله ولا يعجزونه ولا يخرجون عن قبضته على كل حال وفي كل مكان ولم نفي الأولياء عنهم وقد نجد أهل الكفر يتولى بعضهم بعضاً وينصرونهم ويحذرونهم من المكارِه وكيف نفي استطاعتهم للسمع والإبصار وأكثرهم قد كان يسمع بأذنه ويرى بعينه ٠٠ الجواب قلنا ما الوجه في اختصاص الأرض بالذكر فلأن عادة العرب جارية بقولهم للمتوعد لا مهرب لك مني ولا وزر ولا نفق والوزر الجليل والنفق السرب وكل ذلك مما يلجأ إليه الخائف المطلوب فكأنه تعالى نفي أن يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه ومانع من عذابه وإن جبال الأرض وسهولها لا تنجذب بينهم وبين ما يريد إيقاعه بهم كما أنها تنجذب عن كثير من أحوال البشر من المكارِه لأن معاقل الأرض هي التي يهرب إليها البشر من المكارِه ويأجئون بها إلى الاعتصام بها عند المخاوف فإذا نفي تعالى أن يكون لهم في الأرض معقل فقد نفي المعقل من كل وجه ٠٠ وأما قوله تعالى ﴿ وما كان لهم من دون الله من أولياء ﴾ فمعناه أنه لا ولي لهم ولا ناصر من عذاب الله وعقابه لهم في الآخرة ولا مما يريد أيضاً إيقاعه بهم في الدنيا وإن كان لهم من يحميهم من مكروه البشر وينصركم ممن أرادهم بسوء وقد يجوز أن يكون ذلك أيضاً بمعنى الأمر وإن كان مخرجه مخرج الخبر ويكون التقدير وليس لهم أن يتخذوا أولياء من دون الله بل الواجب أن يرجعوا إليه في معونتهم ونصرهم ولا يعولوا على غيره ٠٠ فأما قوله عز وجل ﴿ ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ﴾ ففيه وجوه ٠٠ أحدها أن يكون المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون عناداً للحق وذهاباً عن سبيله فأسقط الباء من كلامه وذلك جائز كما جاز في قوامهم لأجزيتك بما عملت ولأجزيتك ما عملت ولأحدثتك بما عملت ولأحدثتك ما عملت وكما قال الشاعر

## فَمَا لِي بِاللَّحْمِ لِلأَضْيَافِ نِيَا وَبَدُّهُ إِذَا نَضِجَ القُدُورُ

أراد فَمَا لِي بِاللَّحْمِ .. والوجه الثاني أنهم لا يستقيم لهم استماع آيات الله تعالى وكراهيتهم تذكرها وتوهمها جري مجري من لا يستطيع السمع كما يقول القائل ما يستطيع فلان أن ينظر لشدة عداوته إلى فلان وما يقدر على أن يكلمه وكما نقول إن عهدنا منه العناد والاستقلال لاستماع الحجج والبيانات ما يستطيع أن يسمع الحق وما يطيق أن يذكر له ذلك وكما قال الأَعْنَى

وَدَعَّ هَرِيرَةً إِنْ الرَّكْبُ مَرَّتْ حُلُ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

ونحن نعلم أنه قادرٌ على الوداع وإنما نفي قدرته عليه من حيث الكراهية والاستقلال .. ومعنى وما كانوا يبصرون أي أن إبصارهم لم يكن نافعاً لهم ولا مجدياً عليهم مع الأضرار عن تأمل آيات الله تعالى وتدبرها فلما انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفي عنهم الإبصار نفسه كما يقال للمعرض عن الحق العادل عن تأمله مالك لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل وما أشبه ذلك .. والوجه الثالث أن يكون معنى نفي السمع والبصر راجعاً إلى آهتهم لا إليهم وتقدير الكلام أولئك وآهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض يضاعف لهم العذاب ثم قال مخبراً عن الآلهة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وهذا الوجه مروى عن ابن عباس رضى الله عنه وفيه أدنى بعد .. ويمكن في الآية وجه رابع وهو أن يكون مافي قوله ( ما كانوا يستطيعون السمع ) ليست للنفي بل نمجري مجري قولهم لأواصلنك ملاح نجم ولا أقمين على مودتك ما طلعت شمس ويكون المعنى أن العذاب يضاعف لهم في الآخرة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أي أنهم مضطربون ما كانوا أحياء .. فان قيل كيف يعبر عن كونهم أحياء باستطاعة السمع والإبصار وقد يكون حياً من لا يكون كذلك .. قلنا للعرب في مثل هذا عادة لأنهم يقولون والله لا كنت فلاناً ما نظرت عيني ومشت قدمي وهم يريدون ما بقيت وحييت لان الأغلب في أحوال الحيا أن تنظر عينه وتمشي قدمه فحملوا الأغلب كالواجب ومن ذلك قول الشاعر

وَمَا أُنْسَ مِنْ شَيْءٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ      فَلَسْتُ بِنَاسٍ مَا هَدَتْ قَدَمِي نَعْلِي  
عَشِيَّةً قَالَتْ وَالذَّمُوعُ بَيْنَهَا      هَتَيْتُنَا لِقَلْبٍ عَنكَ لَمْ يُسَلِّهِ مُسْلِي

وانما أراد إني لا أنسى ذلك ما حيت وكذلك لا يتمتع أن يعاقب على هذا المذهب دوام العذاب بكونهم مستطيعين للسمع والابصار ويعود المعنى الى تعاقبه ببقائهم وكونهم - أحياء والمرجع في ذلك الى التأييد لانه اذا علق العذاب ببقائهم واحيائهم علمنا ان الآخرة لا موت فيها ولا خروج من الحياة وعلينا تأييد العذاب . . . ونعود الى ما كنا شرعنا فيه من الكلام على شعر سروان فما يختار له قوله من القصيدة التي قد مضى أولها وتكلمنا عليها

وَضَعُوا الضُّدَّ وَلَدَيْ سَوَاهِمِ جُنْحٍ      تَشْكُرُوا كَلِمَ صَفَاحِهَا وَكَلَالِهَا  
طَلَبْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَوَّاصِلَتْ      بَعْدَ السَّرَى بَعْدُوهَا آصَالِهَا  
نَزَعْتُ إِلَيْكَ صَوَادِيًا فَتَقَادَفْتُ      تَطَوَّى الْفَلَاقَةَ حَزُونَهَا وَرِمَالِهَا  
يَتَبَعَنَّ نَاجِيَةً تَبِيضُ مَرَاكِهَا      بَعْدَ النَّحُولِ تَلِيهَا وَقَدَالِهَا  
هُوَ جَاءَ تَدْرَعُ الرُّبَا وَتَشْفَى      شَقَّ الشَّمْسِ إِذَا بُرَاعُ جِلَالِهَا  
تَنْجُو إِذَا دَفَعَ الْقَطِيعُ كَمَا نَجَتْ      خَرَّ جَاءَ بَادَرَتْ الظَّلَامَ رِثَالِهَا  
كَالْقَوْسِ سَاهِمَةٌ أَتَتْكَ وَقَد تَرَى      كَالْبُرْجِ تَمَلُّ رَحْلَهَا وَحِبَالِهَا

وهذه الأبيات في وصف الرماح بالسرعة والنحول جيدة الألفاظ مطردة اللحن وقد سبق الناس في هذا المعنى الى ضروب من الاحسان فن ذلك قول الأخطل  
يُحْوِصُ كَأَعْطَالِ الْقَسِيِّ تَقَلَّلَتْ      أُجْنِتْهَا مِنْ شَقِيَّةٍ وَدَوْبٍ<sup>(١)</sup>

(١) - اعطال القسي - التي لا أوتار عليها - وتقللت - تحركت في بطونها من الدواب

والسيرة وأجنتها - جمع جنين

إِذَا مُجِبَلٌ غَادَرْتُهُ عِنْدَ مَنْزِلٍ      أُنْبِحَ لِحُجُوبِ الْفَلَاحِ كَسُوبٍ<sup>(١)</sup>  
 وَهَنْ بِنَا عَوْجُ كَانَ عِيُونَهَا      بَقَايَا فِلَاتٍ قَلَصَتْ لِنُضُوبٍ<sup>(٢)</sup>  
 مَسَانِيفُ بَطُوبٍ بِمَاعِ الْفَيْظِ وَالسَّرَى      تَكَالِيفُ طَلَاعِ النَّجَادِ رَكُوبٍ  
 قَدِيمٍ تَرَى الْأَصْوَاءَ فِيهِ كَأَنَّهَا      رِجَالٌ قِيَامٌ عَصَبُوا بِسُبُوبٍ<sup>(٣)</sup>  
 يَعْزَمَنَ بِنَا عَوْمِ السَّمِينِ إِذَا أُشْبِلَتْ      سَحَابَةٌ وَضَاحُ السَّرَابِ حُبُوبٍ

وقال مسلم بن الوليد الأنصاري

إِلَى الْإِمَامِ تَهَادَيْنَا بِأَرْحَلِنَا      خَلَقَ مِنَ الرِّيحِ فِي أَشْبَاحِ ظِلْمَانٍ  
 كَانَ إِفْلَاةً وَالْفَجْرُ بِأَخْذِهَا      إِفْلَاةٌ صَادِرَةٌ عَنِ قَوْسِ حَسَانٍ

•• وقال إشار

وَإِذَا الْمَطِيُّ سَبَحْنَ فِي أَعْطَافِهِ      فَاتِ الْمَطِيُّ بِكَاهِلٍ وَتَلِيلٍ  
 فَكَأَنَّهُ وَالنَّاعِمَاتُ بَرْدُهُ      فَذَحُّ يُطْلَعُ مِنْ قَدَاحِ حُجَيْلٍ

وابعض الحارثيين

نَهَشَ الْهَجَائِرُ وَالظَّهَائِرُ لِحَمَاهَا      حَتَّى تَحْدُدَ لِحَمَاهَا الْمَتَّظَاهِرُ

(١) - المعجل - الجنين الذي يولد لغير تمام - وأنبح - قدر - وجووب الفلاة -

الذئب •• يقول ذا رمت بالمعجل سادفه الذئب

(٢) - الفلاة - جمع قلت وهي النقرة في الجبل تمسك الماء - وقلصت - أي غارت

- والنضوب - ذهاب الماء •• شبه عظم العين بالصخرة في السلاية وبقية العين بما بقي

من الماء في القلت

(٣) - الأصوام - جمع صوى وصوى جمع صوة وهي حجارة تنصب ليهتدي بها •• شبه

الصوى وقد جعلها السراب برجال قيام عصبوا بالسبوب جمع سب وهي شقة كنان رقيقة

(٣ - أمالي لك)

حَرَفٌ تَنَاهَيْهَا النَّجَاءُ فَلَا يَصُ  
صَبْرٌ إِذَا عَطَقَتْ سَوَافِهَا الْبَرَى  
وَيُخَلَّنُ مَنْ هَزَّ النُّفُوسَ وَجَدَهَا  
إِمًّا إِذَا مَا أَقْبَلَتْ فَكَأَنَّهَا  
إِمًّا إِذَا مَا أَعْرَضَتْ فَكَأَنَّهَا  
إِمًّا إِذَا مَا أُبْرِكَتْ فَكَأَنَّهَا

[قال الشريف] رضى الله عنه . . . وإن لا تسبحن قول بشامة بن القدير في وصف

الدابة بالسرعة

كَأَنَّ يَدَيْهَا إِذَا أُرْقِلَتْ  
يَدَا سَابِحٍ خَرَّ فِي عَمْرَةٍ  
إِذَا أَقْبَلَتْ قَلَّتْ مَشْحُونَةٌ  
وَإِنْ أُذْبِرَتْ قَلَّتْ مَذْعُورَةٌ

وقد جرن ثم اهتديت السبيل  
وقد شارف الموت الأقبيل<sup>(١)</sup>  
أطاعت لها الريح قلعا جفولا<sup>(٢)</sup>  
من الربد تتبع هيقا ذمولا<sup>(٣)</sup>

(١) قوله - يدا سابع - النخ يروى

يذا علم خر في عمرة قد ادرك الموت إلا قبلا

يقول كأن يدي هذه اتفافة وقت كلال غيرها من الأبل ولزوم من الحجمة يدا سابع فهو  
أشد لتحرك يديه مخافة على نفسه

(٢) المشحونة - المملوءة . . . شبهها بصفية تلوات لانه أقوم لديرها وأعدل - والقاع -

الشراع - والجفول - التي تجعل أي تسرع

(٣) قوله وإن أذبرت الخ يروى

إذا أقبلت قلت مذعورة من الرمد تلحق هيقا ذمولا

ومعنى قوله - وقد جرن ثم اهتدين السبيلا - يعني المطايا يقول كن نشيطات يرحن فلا يلزم لقم الطريق بل يأخذن بيناً وشهلاً فلما عضون الكلال استقمن على المحجة فكانت وصف ناقته ببقائه النشاط مع كلال المطي وكفي عن الكلال بلزوم جادة الطريق حتى تنكها . . . وهذه كناية فصيحة مبدعة ومثله قول الآخر

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ جَدَّ نَجَاؤُهَا      يَدَا سَابِحٍ فِي غَمْرَةٍ يَتَدْرَعُ

وعا يشاكل هذا المعنى ويقاربه قول النماخ

كَأَنَّ ذِرَاعِيهَا ذِرَاعَا مُدَائِمَةٍ      بُعِيدِ السِّيَابِ حَاوَلَتْ أَنْ تَعْدِرَا  
مُجِدَّةُ الْأَعْرَاقِ قَالَ ابْنُ ضَرَّةٍ      عَلَيْهَا كَلَامًا جَارٍ فِيهِ وَأَهْجِرَا

ويروي من الريد كما في الأصل وهو جمع ريداء وجعلها مذعورة لانه أشد اسيرها والرمد - النعام وهي الريد أيضاً - والهبق - ذكر النعام وهي المنكسفة اللون - تعالو سوادها كدرة والريدة - سواد يكسف الوجه ويغيره - قال لأريدن وجهه والهبق الطويل والأثني هيقة وهذه الرواية التي في الأصل منكسة فقدم آخرها على أولها وحذف من بينها أربعة أبيات وهي من قصيدة مشهورة أولها

هجرت أمانة هجرأ طويلا      وحملت النأي عبأ تقيلا

الى ان قال

|                         |                           |
|-------------------------|---------------------------|
| إذا أقبلت قلت مذعورة    | من الرمد تلحق هيقا ذهولا  |
| وان أدبرت قلت مشحونة    | أطاع لها الرجع قلعا جفولا |
| وان أعرضت حارقها البصير | مالا يكلفه أن يقبلا       |
| يدأ نرجأ ما نرا ضبها    | تسوم وتقدم رجلا زجولا     |
| وهوجأ تناطعن تحت المطا  | وتهدى بين مشائأ كهولا     |
| تمز المطي جماع الطريق   | إذا أدلج القوم ليلا طويلا |
| كأن يديها إذا أرفقت     | وقد جرن ثم اهتدين السبيلا |
| بدا عثم خر في غمرة      | الى آخر القصيدة           |

شبه ذراعها وهي تشذرع في سـ يرها بذراعي امرأة مدلة على أهلها ببراعة ساحتها وقد حكى عنها ابن ضرئها كلاماً أهدج فيه أي الخش فهي ترفع يديها وتضمهما تعتذر وتحلف وتصح عن نفسها ٠٠ وقد قيل إن معنى مدلة أنها تدل بحسن ذراعها فهي تدمن اظهارها ليرى حسنهما ٠٠ وقوله بعيد الشباب أي في عقب المسابة قامت تعتذر الى الناس وقوم يروونه بعيد الشباب ومعنى هذه الرواية انها نصف من النساء فهي أقوم بحجتها من الحدثة الغرّة ويشهد لهذه الرواية قول الآخر

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ يَفَاقُ صَفْرَهَا      يَدَا نَصْفِ غَيْرِي تَعْدُّزُ مِنْ جُزْمِ

وفي قوله - حين يفاق صفرها - سرٌّ وفائدة لأن الضمير هو الاتساع وإنما تعلق اذا جهدها السير فضميرت فكانه وصفها بالذرع والنشاط مع الجهد والكلال ٠٠ ومثله

كَأَنَّ ذِرَاعِيهَا ذِرَاعًا بَدِيَّةً      مَفْجُوعَةٌ لَأَقْتِ ضَرَّائِرَ عَنْ عَفْرِ

سَمِعْتِ لَهَا وَاسْتَمَجَلَتْ بِكَلَامِهَا      فَلَأَشِيءُ يَفْرِي بِالْيَدَيْنِ كَمَا تَفْرِي

ويقاربه قول الآخر

أَلَا هَلْ تَبْلُغْنِيهِمْ      عَلَى الْأَوْدِ وَالظَّنَّةِ

وَأَتَاةِ الْحَصَى الْمِعْرَا      فِي أَخْفَافِهَا رَنَّةِ

إِذَا مَا عَسَمْتَ قُلْتَ      حَمَامَةً فَاصْصَحَّةَ كَنَّةِ

ومن شبه سرعة أبدى الابل بأبدي النوايح كعب بن زهير فقال

كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعِيهَا إِذَا عَرِقَتْ      وَقَدْ تَلَفَعُ بِالْقَوْرِ الْمَسَاقِيلُ

وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيهِمْ وَقَدْ جَمَلَتْ      وَزَقَّ الْجِنَادِ بِيْرَ كَضْنِ الْحَصَى قِيلُوا

شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعًا عَيْطَلٍ نَصْفِ      قَامَتْ فَجَاوَبَهَا نَكْدًا مَثَا كَيْلِ

نَوَاحٍ رَخْوَةٌ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَهَا      لِأَنِّي بَكَرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولِ

المساقيل - أول السراب ولا واحد لها من لفظها ٠ أخبر إن ناقته في شدة الحر واتقاد

الظهيرة تمرح في سيرها وتذرع بيديها وشبه ذراعيها بذراعي امرأة نصف تنوح على ابنها وقد نهي إليها فهي تشير بيديها وتوالي تحريكهما - والمبطل - العلويلة العنق وجعلها نصفاً لأنها قد كادت تأس من الولد فهي أشد حزنها على ابنها وتفجعها عليه - والقور - جمع قارة وهي ما ارتفع واستدار من الرمل وأراد أن يقول كما تلفعت القور بالمساويل فلم يمكنه فقلب .. ومثله

وَكَاثِمًا رَفَعَتْ يَدَا نَوَاحِيَةٍ شَمَطَاءَ قَامَتْ غَيْرُ ذَاتِ خِمَارٍ

وانما خص الشمطاء لما ذكرناه من اليأس من الولد كما قال عمرو بن كلثوم

وَلَا شَمَطَاءَ لِمَنْ يَتْرُكُ شَقَايَاهَا لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ إِلَّا جِنْدَانَا

وقد قيل في بيت عمرو يانه شبه الناقة بشمطاء لما على رأسها من اللغام .. ومثله ما تقدم من المعاني قول الشاعر

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى لَا تَنْفَعُ هَلْ أَغْدُونَ يَوْمًا أَمْرِي تَجْمَعُ

وَتَحْتَ رَحْلِي زَفْيَانٌ مِيلَعُ كَأَنَّهَا نَائِمَةٌ تَفْجَعُ

تسكي ليمت وسواها الوُجَعُ

- الزفبان - الناقة الخفيفة - والميلع - السريعة .. وشبه رجوع يديها في السير ونشاطها بيدي نائمة تنوح لقوم على مينهم بأجرة فهي تزيد في الإشارة بيديها ليري مكانها .. ومثله بعينه قول ذي الرمة

مَجَانِيقُ نَضْحِي وَهِيَ عَوْجٌ كَأَنَّهَا بِجَوْبِ الْفَلَاحِ مُسْتَأْجِرَاتُ نَوَاحِيَةٍ

- المجانيق - اللواتي ضمنن بعد سمن وخس المستأجرات من النواحي للمعنى الذي ذكرناه .. وقال الشاعر فيما يقارب هذا المعنى

كَأَنَّ أَوْبَ يَدَيْهَا حِينَ اعْجَلَهَا أَوْبُ الْمَرَاكِحِ وَقَدْ نَادَوْا بِتَرْحَالِ

مَقْطُ الْكُرَيْنِ عَلَى مَنكُوسَةٍ زَلِقِ فِي ظَهْرِ حَنَانَةِ النَّيْبَيْنِ مَغْوَالِ

معنى - أوب - ذراعها - أي رجعهما - وأوب المراح - إذا راح القوم غزب أموالهم  
 لبرحلوا . . . وقد روى أوب المراح بالكسر ومعناه رجوع المراح - والنشاط - والمقط - اللعب  
 بالكرة - والكرين - جمع كرة - والمنكوسة - الأرض البراح التي لاشئ فيها - والزلق -  
 المستوية من الأرض - والحنانة - الريح - والذيران - جانباهذه الأرض - وهو ل - قبل  
 أنه من صفات الريح وقيل أنه من صفات الأرض وإن كان من صفات الريح فعناها  
 إن الريح تقول الأرض بأسرها أي يملأها وإذا كان للأرض فلهي أنها تقول من سلكها  
 أي نهلك . . . وتاخيص معنى البيت أنه شبه يدي ناقته بيدي ضارب بكرة في الأرض  
 الواسعة في يوم ريح عاصف وهذا من دقيق المعاني وحسن التشبيه والمبالغة . . . ومثل  
 يبيق الشماخ قول المسيب بن علس

مَرِحَتْ يَدَاهَا لِلنَّجَاءِ كَأَنَّمَا تَكَرَّرُ بِكَفِّي مَأْقَطٍ فِي قَاعٍ<sup>(١)</sup>

(١) قوله - تكررو بكفي مأقط - الخ . . . رواية المفضل

مرحت يداها للنجاء كأنما تكروا بكفي لآعب في صاع  
 قال ابن الأنباري - النجاء - السرعة بمد وبفصر - وتكرو - كأنما تلعب بالكرة يقال قد  
 كروي يكر أو إذا ضرب بالكرة - والصاع - منهبط من الأرض له ما يحفه كهيئة الجفنة  
 . . . ويروي - بكفي مأقط في صاع - الصاع موضع تكبسه وتلعب فيه بالكرة - والمأقط الذي  
 يكر بالكرة يضرب بها الأرض ترتفع إليه . . . قال أحمد قوله في صاع أراد بصاع وهو  
 الصولجان الذي يلعب به الغلمان أراد بصاع صانع لأنه يعطف للضرب به للصاع الكرة به  
 فكان الصولجان هو بصوعها . . . وهذان البيتان من قصيدة مفضلية روى أن أبا جعفر  
 المنصور من المهدي ابنه وهو ينشد المفضل هذه القصيدة فلم يزل واقفاً من حيث لا يشعر  
 به حتى استوفى سمعها ثم صار وأمر بإحضارها فحدث المفضل بوقوفه واستماعه لقصيدة  
 المسبب واستحسانه إياها وقال له لو عمدت إلى أشعار الشعراء المقلين واخترت لفتاك لكل  
 شاعر أجد ما قال لكان ذلك سواباً ففضل المفضل وعدد القصيدة ٢٦ بيتاً وأولها

أرحات من أسلمى بغير متاع قبل العطاس ورعتها بوداع  
 عن غير مقلية وإن حبأها ليست بأرام ولا بأفطاع

فَعَلَ السَّرِيْعَةَ بِأَدْرَتِ جُدَادِهَا قَبْلَ الْمَسَاءِ تَهْمٌ بِالْإِسْرَاعِ

معنى - تنكرو - أى كأنها لآعب بكرة -والسريرة- يعنى نساجة -والجداد - الفزل  
الضعيف<sup>(١)</sup> فأراد انها تسرع الضرب بالخف والنسج قبل المساء وما دامت تبصر فشيبه  
يدى ناقته في تذرعها ييدى هذه النساجة . . وقال الأصمعي الجداد هذب الثوب فيعنى  
ان هذه النساجة قد قاربت الفراغ من الثوب وبلغت الي هديه فهي تبادر لتفرغ منه  
قبل المساء . وقريب منه قول الآخر

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْفَقَاعِ الْفَرْقِ أَيْدِي جَوَارٍ يَتَعَاطَيْنَ الْوَرِقَ

فالفرق الحشن الذى فيه الحصى وشيبه حذف مناسها له بمحذف جوار يلعبين بدرهم  
وخمس الجواري لانهن أخف يدي من النساء . . وقال آخرون الفرق هنا المستوى  
من الأرض الواسع وانما خص بالوصف لان أيدى الابل اذا أسرع في المستوى فهو  
أحمد لها واذا أبطأت في غيره فهو أجهد لها . . ومن أحسن ما قيل في الاسراع قول  
المرار بن سعيد

فَتَنَاوَلُوا شُعْبَ الرَّحَالِ قَلَصَتْ سُوْدُ الْبُطُونِ كَفَضْلَةِ الْمُتَمَسِّسِ

|                         |                            |
|-------------------------|----------------------------|
| قامت لتفتله بغير قناع   | اذ تستيك باصلاي ناعم       |
| عائبة شجعت بماء يراع    | ومهي يرف كأنه إذ ذقته      |
| ببزيل أزهر مدحج بسباع   | أو صوب سارية أدرت العبا    |
| فصحوت بعد نشوق ورواع    | فرأيت ان الحلم يجتنب العبا |
| بمخبيصة سرح اليدين وساع | فلس حاجتها اذا هي أمرضت    |
| حرج طذا استقبلتها هلواع | سكاه ذعلبة اذا استدبرتها   |
| ملساء بين غوامض الانساع | وكأن قنطرة بموضع كورها     |
| دوت نواديه بظهر القاع   | واذا تعاورت الحصى أخفاها   |

(١) وقيل الجداد ما بقى من خيوط الثوب وقيل هي خيوط الثوب اذا قطعته

ذكر قوماً سافراً هبوا من رقدتهم الى رحلم ليرسوا . . . ويعنى بسود البطون الابل  
والمتسـ الصائد الذى أخذ ناموساً وهو ما يستتر به ليختل الصيد فتشبه المطايا فى سرعتها  
بطما قد صاد الصائد بعضها وأفلت بعضها فهن يطرن طيراناً شديداً . . . ومثل هذا وان  
كان فى وصف الخليل قول النابغة

كَالطَّيْرِ تَنْجُو مِنَ الشُّؤْبُوبِ ذِي الرِّدِّ<sup>(١)</sup>

فأما قول مروان

يَهْرُ مِرَاحُهَا بَعْدَ النَّحُولِ تَلِيهَا وَقَدَّالِهَا

فقد مضى من وصف المطايا بالنشاط بعد السائمة والجهد ماضى . . . وأحسن من قول  
مروان وأشد فصاحة بالمعنى وإعراباً عنه قول الهذلي

وَمَنْ سَيَّرَهَا الْمَنْقُ الْمَسْبَطُ وَالْعَجْرُ فَيَّةُ بَعْدَ الْكَلَالِ

وإنما كان أحسن لانه صرح بنشاطها بعد كلالها وقول مروان بعد النحول لا يجرى  
هذا المجرى لأن النحول قد يكون عن جهد السفر والتعب ويكون عن غيره . . . وأما  
قوله - كالفوس ساهمة أنك البيت فقد أكثر العرب فى وصف المطايا بالنحول  
وتشبيها بالقبى . . . وغيرها وقد أحسن كثير فى قوله

لَقَى السَّيْرُ عَنْهَا كُلَّ ذَا إِقَامَةٍ      فَهِنَّ وَذَايَا بِالطَّرِيقِ تَرَائِكُ  
وَحَمَلَتْ الْحَاجَاتُ خَوْصاً كَأَنَّهَا      وَقَدْ ضَمَّرَتْ صَفْرُ الْقَيْسِ الْعَوَاتِكُ

وقال سلم بن عمر الخاسر

وَكَأَنَّهِنَّ مِنَ الْكَلَالِ أَهْلَةٌ      أَوْ مِثْلَهُنَّ عَطَائِفُ الْأَقْوَاسِ  
قُوْدُ طَوَّاهَا مَا طَوَّتْ مِنْ مَهْمَةٍ      نَائِي الصَّوْىِ وَمَنَْاهِجِ أَدْرَاسِ

(١) وسدر البيت \* والخليل تزع غرباً فى أعنتها \* وهو من قميدته التى أولها  
بادار ميسة بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها السلف الأبد

وقال أبو تمام يصف ناقة

أَتَيْنَا الْقَادِسِيَّةَ وَهِيَ تَزْنُو  
فَمَا بَلَمْتَ بِنَا عُسْفَانَ حَتَّى  
وَبَدَّلَهَا السَّرَى بِالْجَهْلِ حَلْبًا  
أَذَابَ سَنَامَهَا فَطَعَّ الْفِيَّافِي  
بَدَّتْ كَالْبَدْرِ وَأَفَالِيلَ سَعْدِ  
إِلَى بَعِينِ شَيْطَانٍ رَجِيمِ  
رَأَتْ يَلْحَاطِ لِقْمَانَ الْحَكِيمِ  
وَقَدَّ أَدِيمَهَا قَدَّ الْأَدِيمِ  
فَقَلَّقَ جِلْدَهَا تَضَخُّ الْمَصِيمِ  
وَأَبَتْ مِثْلَ عَرْجُونٍ قَدِيمِ

وقال البحرى

وَخَدَانُ الْقِلَاصِ حَوْلًا إِذَا مَا  
يَتَرَقَّرْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خُضْنَ  
كَالْقِسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأَمْ  
بَلْنَ حَوْلًا مِنْ أَنْجُمِ الْأَسْحَارِ  
نَعْمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي  
هُمُ مَسْبِيَّةٌ بِلِ الْأَوْتَارِ

وله أيضاً

وَهِيَ الْعَيْسُ دَهْرَهَا فِي إِزْتِحَالِ  
رُبَّ مَرَّتٍ مَرَّتٍ تَجَاذِبُ نُطْرِي  
وَسَرَى تَنْتَجِيهِ بِالْوَحْدِ حَتَّى  
كَالْبُرَى فِي الْبُرَى وَيُحْسِنُ أَحْيَا  
مِنْ حُلُولِ أَوْ فُرْقَةٍ مِنْ جَمِيعِ  
سَرَابًا كَالْمَنْهَلِ الشَّرُوعِ  
يَصْدَعُ اللَّيْلُ عَنْ بِيَاضِ الصَّدْيَعِ  
أَنَا نَسُوعًا مَجْدُولَةً فِي نُسُوعِ

### حجرت مجلس آخر ٤٣

[ تأويل آية ] ٠٠ [ إن سال سائل عن قوله تعالى ( ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي )  
الآية ٠٠ فقال كيف أضاف الى نفسه اليد وهو بمن يتعالى عن الجوارح ٠٠ الجواب قلنا  
( ٤ - املو )

في هذه الآية وجوه ٠٠ أولها أن يكون قوله تعالى ( لما خافت بيدي ) جارياً مجرى  
لما خلقت أنا وذلك مشهور في لغة العرب يقول أحدهم هذا ما كتبت يداك وما جرت  
عليك يداك فإذا أرادوا نفي الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هذا الضرب من الكلام  
فيقولون فلان لا تمشي قدمه ولا ينطق لسانه ولا تكتب يده وكذلك في الأثبات ولا  
يكون للفعل رجوع إلى الجوارح في الحقيقة بل الفائدة فيه النفي عن الفاعل ٠٠ وثانيها  
أن يكون معنى اليد هنا النعمة ولا إشكال في أن أحد احتمالات لفظة اليد النعمة ٠٠ فأما  
الوجه في تنبيهها فقد قيل فيه ان المراد نعمة الدنيا ونعمة الآخرة فكانه تعالى قال  
ما منعك أن تسجد لما خلقت لنعمتي وأراد بالياء اللام ٠٠ وثالثها أن يكون معنى اليد  
هنا القدرة وذلك أيضاً معروف من احتمالات هذه اللفظة بقول القائل مالي بهذا الأمر  
من يد ولا يدان وما يجري مجرى ذلك والمعنى إني لأقدر عليه ولا أطيقه وليس المراد  
بذلك اثبات قدرة على الحقيقة بل إثبات كون القادر قادراً وإني كونه قادراً فكانه تعالى  
قال ما منعك أن تسجد لما خلقت وأنا قادرٌ على خلقه فعبر عن كونه قادراً باللفظ اليد الذي  
هو عبارة عن القدرة وكل ذلك واضح في تأويل الآية ونعود إلى ما كنا ابتدأنا به من  
الكلام على شعر مروان ٠٠ فن قصيدته التي تقدم بعضها ووقع الكلام عليه مما يختار قوله

|                           |                            |
|---------------------------|----------------------------|
| أحيا أمير المؤمنين محمد   | سنن النبي حرامها وحلالها   |
| ملك تفرغ تبعه من هاشم     | مدد الإله على الأنام ظللها |
| جبل لأمتيه تلوذ برؤسهم    | زادى جبال عدوها فازالها    |
| لم ينفسها مما يخاف عظيمة  | الأ أجال لها الأمور محالها |
| حتى يفرجها أغر مهذب       | ألقى أباه مفرجاً أمثالها   |
| ثبت على زلل الحوادث راكب  | من صرفهن لكل حال حالها     |
| كثا يدريك جعلت فضل نوالها | للمسلمين وللعُدو وبالها    |
| وقمت مواقها بمنوك أنفس    | أذهبت بمد مخافة أوجالها    |

أَمَنْتَ غَيْرَ مَعَاذٍ طُرَادَهَا      وَفَكَّكَتَ عَنْ أَسْرَائِهَا أَغْلَابَهَا  
وَنَصَبْتَ نَفْسَكَ خَيْرَ نَفْسٍ دُونَهَا      وَجَعَلْتَ مَالَكَ وَاقِيًا أَمْوَالَهَا

أما قوله

أحبيا أمير المؤمنين محمد      سنن النبي حرامها وحلالها

فقد طعن عليه وعابه من لا معرفة له بتقد الشعر فدل كيف يكون في سنن النبي عليه الصلاة والسلام حرام وما ذلك بعيب وإنما أراد بقوله حرامها وحلالها التحريم والتحليل ومن سنن النبي عليه الصلاة والسلام تحريم الحرام وتحليل الحلال . . . وإنما المعيب من هذا المعنى قول ابن الرقاع العاملي

وَلَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ إِذْ وَلَا كَهَا      مِنْ أُمَّةٍ إِصْلَاحَهَا وَفَسَادَهَا<sup>(١)</sup>

ومثل قول مروان قول - لم الحاسر \* ولما ولت ذكرت الذي تجليله وبخبره \* فأما قوله - حق يفرجها أغر من ذب - البيت فكثير جداً للمتقدمين والمحدثين والأسل فيه قول زهير

وَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَنْوَاهُ فَإِنَّمَا      تَوَارَتْهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ  
وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيئَةَ الْأَوْشِجِيَّةُ      وَتُفْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ

ومثله قول الآخر

وَحَمْرَةٌ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ      عَقِيلٌ وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يُعْصَرُ

ومثله للربيع بن أبي الحقيق اليهودي

إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ بَعْدَهُ      لَهُ خَلْفٌ يَكْفِي السِّيَادَةَ بَارِعُ

(١) البيت من قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك . . . ومطامها

حرف الديار توهاً فاعتادها      من بعد ما شمل البيل أبلادها

إلا رواه كلهم قد اصطلح      حراء أشمل أهلها إقصادها

كانت رواجل للقدور فعربت      منهم واستلب الزمان رمادها

من أبنائه والعرق ينظر قرعهُ على أصله والعرق للمرق نازعٌ

ومثله له

ترجو الفلام وقد أعياك والذء وفي أرومتيه ما ينبت العود

وأخذ هذا المعنى وبعض هذا اللفظ الكعبيت فقال

تجرى أصاغرهم تجرى أكارهم وفي أرومتيه ما ينبت الشجر

ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرقيات

يخلفك البيض من بنيك كما يخلف عود النضار في شعبة

ومثله قول نهنه بن جري

أرى كل عود نابثافي أرومة أبي منبت الميدان أن يتعبرا

بنوا الصالحين الصالحون ومن يكن لوالده سوء يلقه حيث سيرا<sup>(١)</sup>

ومثله لمسلم بن الوليد الأنصاري

ألح على الأيام يفري خطوبها على منتهج التي أباه به قبل

ولبشار

على أهراقها تجرى الجياد

وللبحتري

(١) هذا البيت الثاني من جنة ثلاثة أبيات في الحاسة منسوبة إلى جميل بن عبد

الله بن معمر وقبله

أبوك حباب سارق الضيف برده وجددي يا حجاج فارس شمرا

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لوالده صدق يلقه حيث سيرا

فان تفضوا من قصة الله حفظكم فله إذ لم يرضكم كان أبصرا

سَجِيَّةُ آبَائِي وَفِعْلُ جُدُودِي  
وَعُودُهُمْ مِنْدَ الْحَوَادِثِ عُوْدِي

لِلْمَكْرُمَاتِ فَمِنْ أَبِي يَمْقُوبِ  
كَالرُّمْحِ أَنْبُوبٌ عَلَى أَنْبُوبِ  
لِنَجِيبِ قَوْمٍ لَيْسَ بَابِنِ نَجِيبِ

كُلُّ سَاعٍ مَنَا يُرِيدُ نِصَابَةَ

كَتَبَسَعِ فِي الْمَجْدِ نَهْجِ أَبِيهِ

أَجْرِي لِنَايَتِهِ الَّتِي أَجْرِي لَهَا  
بِالْخَيْلِ مُنْصَلِتًا يُجِدُّ نِعَالَهَا  
نُورٌ يَضِيءُ أَمَامَهَا وَخَلَالَهَا  
وَلَقَدْ تَحَفَّظَ قَيْنُهَا فَأَطَالَهَا  
جِيحَانٌ بَثَّ عَلَى الْعَدُوِّ رَعَالَهَا  
وَأَبَاحَ سَهْلَ بِلَادِهِمْ وَجِبَالَهَا  
غَارَاتِهِنَّ وَالْحَقَّتْ أَطَالَهَا  
الْأَنْحَاظُهَا وَإِلَّا آتَالَهَا

وَمَا بِي مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَانْبَاهَا  
هُمْ الْقَوْمُ فَرَّحِي مِنْهُمْ مُتَفَرِّحٌ

وَالْبَحْتَرَى أَيْضًا

وَإِذَا أَبُو الْفَضْلِ اسْتَعَارَ سَجِيَّةَ  
شَرَفٌ تَتَابَعَ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ  
وَأَرَى النَّجَابَةَ لَا يَكُونُ تَامَهَا

وَلَهُ أَيْضًا

مَاسَعَوْا يَخْلِفُونَ غَيْرَ أَبِيهِمْ

••• وَلَهُ

وَمَا تَابِعُ فِي الْمَجْدِ نَهْجَ عَدُوِّهِ

وفي هذه القصيدة يقول مروان

هَلْ تَعْلَمُونَ خَلِيفَةً مِنْ قَبْلِهِ  
طَلَعَ الدَّرُوبَ مُشِيرًا عَنْ سَاقِهِ  
فُودٌ تَرِبَعُ إِلَى أَعْرَ لَوَجْهِهِ  
قَصُرَتْ حِمَالُهُ عَلَيْهِ فَعَلَصَتْ  
حَتَّى إِذَا وَرَدَتْ أَوَائِلُ خَيْلِهِ  
أَحْمَى بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ  
أَدْمَتْ دَوَابِرَ خَيْلِهِ وَشَكِيمَهَا  
لَمْ يَبْقَ بَعْدَ مَقَادِهَا وَطِرَادِهَا

رَفَعِ الْخَلِيفَةُ نَاطِرِي وَأَرَأَيْتَنِي      يَدِ مَبَارَكَةٍ شَكَرْتُ نَوَالَهَا  
وَحَسَدْتِ حَتَّى قَبِلَ أَصْبَحَ بَاغِيَا      فِي الْمَشِيِّ مُتَرَفٍّ شِيمَةً مُخْتَالَهَا  
وَلَمَّا حَذَوْتُ لِمَنْ أَطَاعَ وَمَنْ عَصَى      نَمَلًا وَرِثَتْ عَنِ النَّبِيِّ مِثَالَهَا

أما قوله - قصرت حمائله - البيت .. فالأصل فيه قول عنزة

بَطْلٌ كَانَ نِيَابَةً فِي سَرْحَةٍ      يُحَذِي نَمَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ  
أَوْ قَوْلِ الْأَعْنَى

إِلَى مَا جِدَّ كِهْلَالِ السَّمَاءِ      أَزْكَى وَفَاءً وَتَجِدَا وَخَيْرًا  
طَوِيلِ التَّجَادِ رَفِيعِ الْمَاءِ      دِيحِي الْمُضَافِ وَيُعْنِي الْفَقِيرَا

ومثله

طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْفِ عَارِجِيْنُهُ      كَتَصَلَ الْيَمَانِي أَخْلَصْتُهُ صِيَا قُهُ  
إِذَا هُمْ بِالْمَعْرُوفِ لَمْ تَجْرُ طَيْرُهُ      نَحُوسًا وَلَمْ تَسْبِقْ نَدَاةَ عَوَاذِلُهُ

ومثله قول طريح بن اسمعيل الثقفي

وَأَشْعَثَ طَلَاعِ الثَّنَائِيَا مَبَارَكِ      يَطُولُ نِجَادِ السَّيْفِ وَهُوَ طَوِيلُ

ولأبي جويرية العبدي

يَمْدُ نِجَادِ السَّيْفِ حَتَّى كَانَتْهُ      بِأَعْلَى سَنَانِي فَالِحٍ يَتَطَوَّحُ  
إِذَا أَعْتَمَ فِي الْبُرْدِ الْيَمَانِي خَلْتَهُ      هَلَالًا بَدَأَ فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يَلْمَحُ

ولأبي عطاء السندي

وَأَزْهَرَ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَمْرٍو      حَمَائِلُهُ وَإِنْ طَالَتْ قِصَارُهُ

ولبعضهم في آل المهلب

رَأَيْتَكُمْ أَعَزَّ النَّاسِ جَارًا      وَامْنَمَهُمْ إِذَا عَدُّوا ذِمَارًا

حَمَائِكُمْ وَإِنْ كَانَتْ طَوِيلًا  
تَرَاهَا عَنْ شِمَائِلِكُمْ فِصَارًا

ولبعض بني العنبر في معنى الطول

فَجَاءَتْ بِهِ عِبَلُ الْمِظَامِ كَأَنَّمَا  
عِمَامَتُهُ بَيْنَ الرَّحَالِ لَوَاهُ (١)

ولآخر

أَسْمُهُ طَوِيلُ السَّاعِدِينَ كَأَنَّمَا  
تَنَاطُ إِلَى جِنْدَعِ طَوِيلِ حَمَائِلُهُ

ولابن هرمة

تَنَاطُ حَمَائِلُ الْهِنْدِيِّ مِنْهُ  
بِعَاتِقِ لَا أَلْفَ وَلَا ضَبِيلِ

وَلَكِنْ يَسْتَقِلُّ بِهِ قُوَاهُ  
عَلَى مَاضٍ بِقَاتِمِهِ تَقِيلِ

ولسلم الخاسر

يَقُومُ مَعَ الرَّيْحِ الرَّدِّيْنِيِّ قَائِمًا  
وَيَقْصُرُ عَنْهُ طَوْلُ كُلِّ نَجَادِ

وللخنمسي

يُوزِي الرَّدِّيْنِيِّ فِي طَوْلِهِ  
وَيَقْصُرُ عَنْهُ نَجَادِ الْحُسَامِ

ولأولابي

طَوْلُكَ وَطَوْلُكَ فَتَرَى كَفَّهُ  
يَنْهَلُ بِالطَّوْلِ أَنْهَالَ الْقَمَامِ

وَطَوْلُهُ يَنْتَالُ يَوْمَ الْوَعَى  
وغيره فَضْلُ نَجَادِ الْحُسَامِ

فأما قوله - ولقد حذوت لمن أطاع - البيت - فقد ردد معناه مروان في مواضع من

شعره فقال

(١) وقيل

فلا تعذلي في خندج ان خندجاً وليت عفرين لذي سواء

حبيت عن المهيار أطهار أمه وبعض الرجال المدعين جفاه

شبهه أليه منظرًا وخلقته  
وقال في موضع آخر

أحيا لنا سنن النبي محمد

وقال أيضاً

صحيح الضمير سره مثل جهره

وقال أيضاً

تشابهت ما حلماً وعدلاً وناثلاً

تنازعاً تفسين هدى كهذه

كما فاس نملاً حضري ففدها

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال

تنازع الأحمدان الشبهة فاتقما

والأسل في هذا قول ابن أبي ربيعة

فلما تواقفنا اعترفت الذي بها

كمثل الذي بي حدوك النمل بالنمل<sup>(١)</sup>

(١) البيت من قصيدة مطلعها

جرى ناصح بالود بيني وبينها

فأنس ملاشياء لأنس موقفي

فلما تواقفنا اعترفت الذي بها

روي أن ابن أبي ربيعة اجتمع هو وجليل بالأبطح فأنشده جليل لامية التي أولها

لقد فرح الواشون أن صرمت جليل

فأنشده عمر لامية فقال جليل هيات يا أبا الخطاب لا أقول والله مثل هذا سجين

الإلهي وما خاطب النساء مخاطبتك أحد وقام مشمراً

ومثله للسيد الحميري رحمه الله تعالى

يَتَلَوْنَ أَخْلَاقَ النَّبِيِّ وَفِعْلَهُ  
فَالنَّمْلُ تُشَبَّهُ فِي الْمِثَالِ طِرَاقَهَا

وقد تقدم الى هذا المعنى يزيد بن الكسر بن نعلبة بن سيار المعجل بقوله في يوم ذي قار  
يحرص قومه على القتال

مَنْ فَرَّ مِنْكُمْ فَرَّ عَنْ حَرَمِهِ  
وَجَارِهِ وَفَرَّ عَنْ قَدِيمِهِ

أَنَا ابْنُ سِيَّارٍ عَلَى شَكِيمِهِ  
مِثْلُ الشِّرَاكِ قُدِّمَنَ أَدِيمِهِ

• وَكُلُّهُمْ يَجْرِي عَلَى قَدِيمِهِ •

فأما قوله • وحسدت حق قبل أصبح باغياً • البيت في معناه قول البحري

أَلَنْتَ لِي الْأَيَّامَ مِنْ بَعْدِ قَسْوَةٍ  
وَعَاتَيْتَ لِي دَهْرِي الْعُسِيِّ فَعَاتِبَا

وَالْبَسْتَنِي التَّمَعْمِيَّ الَّتِي غَيَّرْتَ أَخِي  
عَلِيٍّ فَاغْتَمَسِي نَارِ حِ الوُدِّ أَجْنِبَا

ومما يختار لمروان قوله

مَوْفَقٌ لِسَبِيلِ الرُّشْدِ مَتَّبِعٌ  
بِزِينَةٍ كُلُّ مَا يَأْتِي وَيَجْتَنِبُ

تَسْمُو الْعَيُونُ إِلَيْهِ كَلِمًا نَفَرَجَتْ  
لِلنَّاسِ مِنْ وَجْهِهِ الْأَبْوَابُ وَالْحُجُبُ

لَهُ خَلَاقٌ بِيضٌ لَا يُغَيِّرُهَا  
صَرَفُ الزَّمَانِ كَمَا لَا يَصْدَأُ الذَّهَبُ

ووجدت بعض من ينقد الشعر يقول ليس في شعر مروان بيت يمثل به غير هذا البيت  
الأخير من الثلاثة • • وكان ابن منذر إياه أراد بقوله وقد سأله وهو مجاور بمكة عن  
ببغداد من الشعراء فقيل له العباس بن الأحنف فقال أنشدوني له فأشده

لَوْ كُنْتُ عَاتِبَةً لَسَكَنْ عَبْرَتِي  
أَمَلِي رِضَالِكِ وَزُرْتُ غَيْرَ مَرَّاقِبِ

لَكِنْ صَدَدْتُ فَلَمْ تَكُنْ لِي حِيلَةً  
صَدَّ الْمَلُولُ خِلَافَ صَدِّ الْعَاتِبِ

فقال ابن منذر أخلق بمن أدام بحث التراب أن يصيب خرزة • • [قال الشريف

المرتضى [رضى الله عنه ولا شك في قوة الأمثال في شعر مروان ولكن ليس الى هذا الحد وهذا المعنى الذي قد تضمنه البيت قد سبق اليه أيضاً ٥٥ قال طريح بن اسماعيل  
 جَوَادٌ إِذَا جِئْتَهُ رَاجِعًا      كِفَاكَ السُّؤَالِ وَإِنْ عُدْتَ عَادًا  
 خَلَائِقُهُ كَسِيكَ النَّصَا      وَلَا يَعْمَلُ الدَّهْرُ فِيهِ قَسَادًا

ومثله قول الخزيمي

رَأَيْتُكَ يَا زَيْدُ زَيْدَ النَّدى      وَزَيْدَ الْفَخَّارِ وَزَيْدَ الْكِرْمِ  
 تَزِيدُ عَلَى نَائِبَاتِ الْخُطُو      بَ بَدَلًا وَفِي سَائِبَاتِ النَّعْمِ  
 كَذَا الْخَمْرُ وَالذَّهَبُ الْمَعْدِنِ      يَجُودُ هَذَا وَذَلِكَ الْقَدِيمِ

وفي قوله - الذهب المعدني - فائدة لانه اذا خلص الذهب وصفا لم يفسد واذا امتزج بغيره لم يكن هذا حكمه ٥٥ وللأموي

نَاوِي إِلَى خُلُقٍ لَمْ يُصَدِّهِ طَمَعٌ      كَانَ جَوْهَرُهُ مِنْ جَوْهَرِ الذَّهَبِ

ولبعنهوم

مَلِكٌ لَهُ خُلُقٌ خَلِيقٌ بِالْعَلَى      كَسِيكَ الذَّهَبِ الَّتِي لَا تَكْلِفُ  
 وَقَدْ أَخَذَ الْخِزَارِزِيُّ هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ      لَصُورَةٍ حُسْنِهَا الْأَصْلَى يَكْفِيهَا  
 فَلَا تَعْنُ لِتَحْرِيفِ تَكْلِمُهُ      وَلَا تَزَادُ عَلَى الْحُسْنِ الَّذِي فِيهَا  
 إِنْ الدُّنَا نِيرًا لَا تُجَلَى وَإِنْ عَقَّتْ

ولحفظه

صَدِيقٌ لِي لَمْ أَدُبْ      صَدَاقَةٌ مِثْلَهُ حَسِبْ  
 رَعِي لِي فَوْقَ مَا يُرْعَى      وَأَوْجِبَ فَوْقَ مَا يَجِبْ  
 وَلَوْ تَقَدَّتْ خَلَائِقُهُ      لَبَهْرَجَ عِنْدَهَا الذَّهَبُ

## ﴿ مجلس آخر ٤٤ ﴾

[ تأويل آية ٠٠ ] إن سأل سائل عن قوله تعالى ( نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون اليك وإذ هم نجوى ) الآية ٠٠ فقال لم وحد نجوى وهو خبر عن جمع وماعنى مسهوراً وما جرت عادة مشركى العرب بوصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك بل طائفة جارئة بقره بأنه ساحر ٠٠ الجواب أما قوله تعالى ( وإذ هم نجوى ) فان نجوى مصدر يوصف به الواحد والاسنان والجمع والمذكر والمؤنث وهو مقر على لفظه ويجرى ذلك مجرى قولهم الرجال صوم والمناهل حمد يعنى بصوم صائمون وبحمد محمودون ٠٠ وقد قال قوم ان معناه وإذ هم أصحاب نجوى فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ويقال القوم نجوى والقوم أحمية فن وحد بنى على مذهب المصدر ومن جمع جعله منقولاً عن المصدر ملحقاً برغيف وأرغفة وما أشبه ذلك ٠٠ قال الشاعر في التوحيد

أَنَا نَجِيٌّ بَعْدَ هَذِهِ وَرَقْدَةٍ      وَلَمْ أَلِكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَ كَذِبٍ <sup>(١)</sup>

(١) قوله - أنا نجي - نجوي - الخ ٠٠ وهو لسواد بن قارب الدوسي رضى الله عنه وقيل انه سدوسي وهو صحابي وبمهـ

|                               |                               |
|-------------------------------|-------------------------------|
| ثلاث ليال قوله ككل ليلة       | أناك رسول من لؤي بن غالب      |
| فرقت أذيال الأزار وشمرت       | بي العرمس الوجناء هول السباب  |
| فأشهد أن الله لا رب غيره      | وانك مأون على كل غائب         |
| وانك أدنى المرسلين وسيلة      | الى الله بين الأكرمين الأطياب |
| فرنا بما يأتيك من وحى ربنا    | وان كان فيما جئت شيب الذوائب  |
| وكن لي شقيقاً يوم لا ذو قرابة | بعض فتيلاً عن سواد بن قارب    |

روى ان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له وهو خليفة كيف كهانتك اليوم فغضب سواد وقال يا أمير المؤمنين ما قالها لي أحد قبلك فاستحى عمر ثم قال له يا سواد ما كنا عليه من الشرك أعظم من كهانتك ثم سأله عن حديثه في بدء الاسلام وما أناه

وأُشِدَّ الفراء في الجمع

ظَلَّتْ نِسَاؤُهُمْ وَالْقَوْمُ انْحِيَّةٌ يُعْتَدِي عَلَيْهَا كَمَا يُعْتَدِي عَلَى النَّعَمِ

فأما قوله تعالى ( إن تبصرون إلا رجلا مسحوراً ) ففيه وجوه ٠٠ أولها أن يكون المراد أن تبصرون إلا رجلا متغير العقل لأن المشركين كان من مذهبهم عيب النبي صلى الله عليه وسلم وتضعيف أمره وتوهين رأيه وكانوا في وقت ينسبون له أنه ساحر وفي آخر يرمونه بالجدون وأنه مسحور متغير العقول وربما قدفوه بأنه شاعر حوشى من ذلك كله وقد جرت عادة الناس بأن يصفوا من يضيفونه إلى البهة والغفلة وقلة التحصيل بأنه مسحور ٠٠ وثانيها أن يريدوا بالمشحور المخدوع والمعلل لأن ذلك أحد ما يستعمل فيه هذه اللفظة ٠٠ قال امرؤ القيس

أَرَانَا مَوْضِعِينَ لِحْتَمِ غَيْبٍ وَنُسُكًا بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ<sup>(١)</sup>

به رثية من ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه أتاه رثية ثلاث ليال متواليات وهو فيها كلها بين النائم واليقظان فقال له قم ياسواد فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لومي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته وأُشِدَّ في كل ليلة من الثلاث ليال ثلاثة أبيات معناها واحد وقافيتها مختلفة أولها

عجبت للجرن وتطلابها      وشدها العيس بأقنابها  
تهوي إلى مكة نبي الهدى      ماصادق الجن ككذابها  
فارحل إلى الصفة من هانم      ليس قدأماها كأذئابها

وذكر تمام الخبر وأنه قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وأُشِدَّه الأبيات السابقة ( ١ ) وبمده

عصافير وذباب ودود      وأجرأ من مجلعة الذئاب

ويروى وأجر ٠٠ وبمده

وكل مكارم الأخلاق صارت      إليه همى وبه اصكنسابي  
فبعض اللوم عاذلنى فإني      ستكفينى التجارب واتسبابي

وقال أمية بن أبي الصلت

فَلِنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَا فِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسْحَرِ

•• وثالثها ان السحر في اللغة العربية الرثة وما تعلق بها وفيه ثلاث لغات سحرّ وسِحْرٌ وسُحْرٌ •• وقيل ان السحر ما لصق بالخلقوم والمرئ من أعلا الجوف وقيل انه الكبد فكان المعنى على هذا ان يتبعون إلا رجلا مسحوراً ذا سحر خاقه الله بشراً تكلفتم •• ورابعها أن يكون معنى مسحوراً أى ساحراً وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعله قال الله تعالى ( وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حججاً باسئوراً ) أى سائرأ والعرب تقول للمصدر ملقح<sup>(١)</sup> ومعناه ملقح لان ماضيه ألقح فإذا بلفظ المفعول وهو للماعل ومن ذلك قولهم فلان مشؤمٌ على فلان وميمون ويريدون شأمٌ ويامن لانه من شامهم ويمهم •• [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ورأيت بعض العلماء يظمن على هذا الاستشهاد الأخير ويقول العرب لاتعرف فلان مشؤم على فلان وانما هذا من كلام أهل الأمصار وانما تسمى العرب من لحقه الشؤم مشؤماً •• قال علقمة بن عبدة

وَمَنْ تَمَرَّضَ لِلْغُرْبَانِ يَزْجُرُهَا عَلَى سَلَامَتِهِ لَا بَدَّ مَشْؤُومٌ<sup>(٢)</sup>

الى هرق الزرى وشجت هروقى وهذا الموت يسلبنى شبابى

الى آخر الأبيات

(١) قوله ملقحٌ هكذا في الاصل ووردت كذلك في بعض الكتب •• والصحيح ملقح بالفاء والجيم وهو من الأوصاف التي وردت على أفعال فهو مفعله أي استغنى بصيغة اسم المفعول فيها عن اسم الفاعل وهي الفج الرجل فهو ملقح أى ذهب ماله وأسهب فهو مسهب أى كثر كلامه وأحصن فهو محصن وأهتر فهو مهتر وزاد بعضهم اجرأشت الابل فمى بجرأشة

(٢) قال الضبي هذا لايمانه بالطيرة يقول من يزجر الطير وان سلم فلا بد أن يصيبه

شؤم وأهد

والوجوه الثلاثة الأول أوضح وأشبه .. وما يختار لمروان بن أبي حفصة قوله من

قصيدة يمدح بها معن بن زائدة الشيباني أو لها

أَرَى الْقَلْبَ أَمْسَى بِالْأَوَانِسِ مَوْلِمًا وَإِنْ كَانَ مِنْ عَهْدِ الصَّبِيِّ قَد تَمَتَّعًا

يقول فيها

وَلَمَّا سَرَى الْهَمُّ الْغَرِيبُ قَرِيْبَهُ قَرَى مِنْ أَزَالِ الشُّكِّ عَنْهُ وَأَزْمَمَا

عَزَمْتُ فَمَجَلَّتْ الرَّحِيلَ وَلَمْ أَكُنْ كَذِي لَوْتِهِ لَا يُطْلِعُ الْهَمُّ مَطْلَمَنَا

فَأَمْتُ رِكَابِي أَرْضَ مَعْنٍ وَلَمْ تَزَلْ إِلَى أَرْضِ مَعْنٍ حَيْثُ مَا كَانَ نَزْعَا

نَجَائِبُ لَوْلَا أَنَّهَا سَحَرَتْ لَنَا أَبْتُ عِزَّةً مِنْ جَهْلِهَا أَنْ تَوَزَّعَا

كَسُونَا رِحَالَ الْمَيْسِ مِنْهَا غَوَارِبَا تَدَارَكَ فِيهَا النَّيُّ صَيْفَا وَمَرَّيَمَا

فَمَا بَلَغْتَ صِنْعَاءَ حَتَّى تَوَاضَعْتَ ذُرَاهَا وَزَالَ الْجَهْلُ عَنْهَا وَأَقْلَمَا

يقول فيها

وَمَا الْفَيْثُ إِذْ هَمَّ الْبِلَادَ بِصَوْبِهِ عَلَى النَّاسِ مِنْ مَعْرُوفٍ مَعْنٍ بِأَوْسَمَا

تَدَارَكَ مَعْنٌ قُبَّةَ الدَّيْنِ بَعْدَمَا خَشِينَا عَلَى أَوْتَادِهَا أَنْ تَنْزَعَا

أَقَامَ عَلَى الثُّغْرِ الْمَخُوفِ وَهَاتِمٌ تَسَافَى سِمَامًا بِالْأَسِنَّةِ مُنْقَمَا

إمام كان لقمان بن عاد أشار له بحكمته مشير

تعلم انه لا طير إلا على متطير وهو الثبور

بلى شئ يوافق بعض شئ أحياننا وباطله كثير

قال الرستمى يقول الغريان يتشاءم بها فن تعرض لها يزجرها ويطردها خوفاً أن يصيبه

الشؤم فلا بد أن يقع بما خاف ويحذر ويت علقمة من قصيدته المشهورة التي مطلعها

هل ما علمت وما استودعت مكنوم أم حبيلها إذ نألك اليوم مصزوم

مُتَمَّامٌ أَمْرِي، يَا بَنِي سَوِيٍّ الْخَطَّةُ الَّتِي  
 وَمَا أَحْجَمَ الْأَعْدَاءَ عَنْكَ بَقِيَّةٌ  
 رَأَوْا مُخْدِرًا قَدْ جَرَّبُوهُ وَعَايَنُوا  
 وَلَيْسَ بِثَانِيهِ إِذَا شَدَّ أَنْ يَرَى  
 لَهُ رَاحَتَانِ الْحَتْفُ وَالْعَيْثُ فِيهِمَا  
 لَقَدْ دَوَّخَ الْأَعْدَاءَ مَعْنُ فَاصْبَحُوا  
 نَجِيبٌ مَنَاجِيْبٍ وَسَيْدٌ سَادَةٍ  
 لَبَّاتٌ خِصَالُ الْخَيْرِ فِيهِ وَأُكْمِلَتْ  
 لَقَدْ أَصْبَحَتْ فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ  
 وَطَلَّتْ خُدُودَ الْحَضْرَمِيِّينَ وَطَاةٌ  
 فَأَقْعَمُوا عَلَى الْأَذْنَابِ إِفْعَاءَ مَعَشَرٍ  
 فَلَوْ مَدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الْحَرْبِ كُلِّهَا

أما قوله - فما بلغت صنعاء حتى تواضعت - البيت ٠٠ فقد رده في موضع آخر فقال  
 قَمَا بَلَّغْتَ حَتَّى حَمَاهَا كَلَالُهَا إِذَا عَرِيَتْ أَصْلَابُهَا أَنْ تُقَيِّدَا

وهذا كثير في الشعر القديم والحديث ٠٠ فنه قول جرير

إِذَا بَلَّغُوا الْمَنَازِلَ لَمْ تُقَيِّدْ فِي طَوْلِ الْكَلَالِ لَهَا قِيُودُ

وروى انه قيل لنعيبك بيت نازعك فيه جرير أيكما فيه أشعر فقال ما هو فقيل قولك

أَضْرَبُ بِهَا التَّهْجِيرُ حَتَّى كَانَتْهَا بَقَايَا سِلَالٍ لَمْ يَدْعُهَا سِلَالُهَا

وأنشد بيت جرير الذي تقدم فقال قاتل الله ابن الخطمي فقيل له قد فضلتك عليك فقال

هو ذلك .. وأخذ هذا المعنى بعينه المؤمل بن أميل المحاربي فقال  
 كَانَتْ تُقَيِّدُ حِينَ تَنْزِلُ مَنْزِلًا      فَالْيَوْمَ صَارَ لَهَا الْكَلَالُ قُبُودًا  
 ولا أبي نخيلة

قَيَّدَهَا الْجَيْدُ وَلَمْ يُقَيِّدِ      فِيهِ سَوَامٌ كَالْقَنَا الْمُسْنَدِ  
 وَمَالِهَا مُطْلَلٌ مِنْ مِرْوَدٍ      مِنْهَا وَلَا مِنْ شَاحِطٍ مُسْتَبَعِدِ

ومعنى قوله - سوام - أي هي رافعة رؤسها وشبهها بالقنا لأن القنا إذا ركز مال قليلا مع  
 الريح فيقول في أعناقها ييل من الضمف كما قال النخاع

فَأَضْحَتْ تَقَالِي بِالسِتَارِ كَأَنَّهَا      رِمَاحٌ نَحَاهَا وَجَهَةَ الرِّيحِ رَاكِزٌ

وكما قال حميد بن نور الهلالي

بِمَثْوَى حَرَامٍ وَالْمَطِيِّ كَأَنَّهَا      قَنَا مُسْتَدَّةٌ هَبَّتْ لَهْنٌ خَرِيقٌ

- الخريق - ريح شديدة تخرق من كل جهة .. ومعنى قول أبي نخيلة - من مزود -  
 أي من نيلة تجترها من الاجترار وأنه لا شيء في أجوافها تعلق به - والمستبعد ما بعد من  
 المرعى .. وأنشد أبو العباس ثعلب

إِذَا بَلَعُوا الْمَنَازِلَ لَمْ تُقَيِّدْ      وَلَمْ تُشَدِّدْ رَكَائِبَهُمْ بِمَعْلٍ  
 فَهِنَّ مُقَيِّدَاتٌ مُطْلَقَاتٌ      تُقَضِّمُ مَا تُشَدِّبُ فِي الدَّحَلِ

والأصل في هذا قول امرئ القيس

مَطْوَتْ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَ مَطِيئُهُمْ      وَحَتَّى الْجِيَادُ مَا يُقَدِّنَ بِأَرْسَانِ

ولعباد بن أنف الكلابي الصيداوي

فَتَمْسِي لَأَقْيِدُهَا بِجِبِلِّ      بِهَا طُولُ الضَّرَارَةِ وَالْكَلالِ

ومن جيد هذا المعنى قول الفرزدق يصف الأبل

بَدَأْنَا بِهَا مِنْ سَيْفِ رَمْلِ كَهَيْلَةٍ      وَفِيهَا نَشَاطٌ مِنْ مِرَاحٍ وَعَجْرَفٌ

فَمَا بَلَغَتْ حَتَّى تَقَارِبَ خَطْوُهَا      وَبَادَتْ ذُرَاهَا وَالْمَنَاسِمُ رُفْتُ  
وَحَتَّى قَتَلْنَا الْجَهْلَ عَنْهَا وَغَوَدِرَتْ      إِذَا مَا نِيخَتْ وَالِدَمَامِعُ ذُرْفُ  
وَحَتَّى مَشَى الْحَادِي الْبَطِي بِسُوقِهَا      لَهَا بَخْصُ دَامٍ وَدِيٌّ مُجْلَفُ

— البخص — لم الخف الذي <sup>(١)</sup> يطأ عليه — والدي — فقار الظهر — والمجلف — المشور

وَحَتَّى تَنْشَاهَا وَمَا فِي يَدَيْهَا      إِذَا حُلَّ عَنْهَا رِمَةٌ وَهِيَ رُشْفُ

— الرمة — الحبله .. وأراد أنها بزيف كما تزيف المقيد وان لم يكن في يدها قيد

إِذَا مَا نَزَلْنَا قَاتَلَتْ عَنْ ظُهُورِهَا      حَرَاجِيحُ أَمْثَالِ الْأَهْلَةِ سُفُّ

— الحراجيح — الطوال من الابل — والسف — اليابسة من الجهد والكلال .. ومعنى

قاتلها للفران أنها اذا عريت ظهورها فتقع الفران عليها لتأكل دبرها فالابل تدفع

الفران بأفواهها عن ظهورها فذلك قاتلها

إِذَا مَا أَرَبْنَاهَا الْأَزْمَةَ أَقْبَلَتْ      الْيَنَا مَجْرَاتِ الْخُدُودِ تَصَدَّفُ

فَأَفْنِي مِرَاحُ الدَّاهِرِيَّةِ خَوْضُهَا      بِنَا اللَّيْلِ إِذْ نَامَ الدُّثُورُ الْمَلْفُفُ

ويروي أرفقت .. ومن أحسن ما قبل في وصف الابل بالنحول من الكلال والجهد

بمد السن قول الشاعر

وَذَاتِ مَا بَيْنَ قَدْ غِيضَتْ جُمَّتِهَا      بَحَيْثُ يُسْتَمْسِكُ الْأَزْوَاحُ بِالْحَجَرِ

رَدَّتْ عَوَارِيَّ غَيْطَانِ الْفَلَاوَنَحْتِ      بِبَيْلِ إِبَالَةٍ مِنْ حَائِلِ الْمَشْرِ

قوله — ذات ما بين — يعنى سناً على سن وقيل بل يعنى أنها رعت كلاً طمين .. وقوله

(١) وقيل البخص ماولى الأرض من تحت أصابع الرجلين وتحت منام البعير

والنعام وقيل هو لحم يخاطه بياض من فساد يحمل فيه والدي بكسر الدال والهمزة جمع

دأبة وهي فقر الكاعل والغامر أو غراضيف الصدر أو ضلوعه في ملتقاه وملتقى الجنب

— قد غيبت جهتها — يعني أنه أنصبا بالسير حتى ردها عزلى بعد سن فكانه غيضا بذلك  
 ماءها ٥٥ ومعنى — بحيث يستسك الأرواح بالحجر — يعني الفلاة حيث لا يكون فيها الماء  
 فيقتسم الركب الماء الذي يكون معهم بالحجر الذي يقال له المقلة فتسك أرواقهم  
 ٥٥ وقوله — ردت عوارى غيطان الفلا — أى مارعت من كلاً هذه الأماكن وسمت  
 عنه كان كمارية عندها فردته حيث جهدها السير وأهزطها — والأيالة — الحزمة من  
 الحطاب اليباس ٥٥ وأخذ هذا المعنى بعينه أبو تمام فقال

رَعَتْهُ الْفِيَا فِي بَعْدِ أَنْ كَانَ حَقِيْبَةً      رَعَاهَا وَمَاءُ الْمُرْنِ يَنْهَلُ سَاكِبَةً <sup>(١)</sup>  
 فَكَمْ جَزَعٍ وَإِدْجِبْ ذُرْوَةَ غَارِبٍ      وَمَنْ قَبْلُ كَانَتْ أَنْهَ كَثْمُهُ مَذَاهِبُهُ  
 فأما قوله — فأحجم الأعداء عنك بقية — البيت فأخوذ من قول الأول  
 فَمَا بَقِيَا عَلَيَّ تَرَكَتْمَانِي      وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النَّبَالِي <sup>(٢)</sup>

(١) هذان البيتان من قصيدته المشهورة التي مدح بها عبد الله بن طاهر لما قدم  
 خراسان حكى أنه لما أنشده إياها وبلغ إلى قوله  
 وقلقل نأي من خراسان جأشها      فقلت أطمأنى انضرا الروض عازبه  
 وركب كأطراف الأسته هرجوا      على مثلها والليل تسطو غياهبه  
 لأمر عليهم أن تم صدوره      وليس عليهم أن تم عواقبه  
 صاح الشعراء بالأمير ما يستحق هذا الشعر غير الأمير أعزاه الله ٥٥ وقال شاعر منهم  
 يعرف بالرياحي لي عند الأمير أعزاه الله جائزة وعدني بها وقد جمعها لهذا الرجل  
 جزاء عن قوله للأمير فقال له بل لضعفها لك ونقوم له بما يجب له علينا فلما فرغ من  
 القصيدة نثر عليه ألف دينار فللقطها العلمان ولم يس منها شيئاً فوجد عليه عبد الله  
 وقال يترفع عن برى وبتهاون بما أكرمه به فلم يباغ ما أراده منه بعد ذلك

(٧) قوله — فابقياً على — الخ ٥٥ البقياً بالضم الرحمة والشفقة — وصرده — السهم من  
 باب فرح من الاضداد إذا نفذ وإذا نكل فيكون المعنى على النفوذ انكما خفنا نفوذ سهمي  
 فيكما أي هجأتى وعلى معنى النكول أى خفنا أن لا تنفذ سهمكما في فمجزئاً عني وهو

وقريب منه قول الآخر

لَمَرَّكَ مَا النَّاسُ ائْتَوْا عَلَيْكَ  
وَلَوْ أَنَّهُمْ وَجَدُوا مَطْمَناً  
فَأَنْتَ بِفَضْلِكَ الْجَائِئِمُ  
وَلَا قَرَّطُوكَ وَلَا عَظْمُوا  
إِلَى أَنْ يَمِيْبُوكَ مَا أَحْجَمُوا  
إِلَى أَنْ يَجْلُوا وَأَنْ يُعْظِمُوا

ومثله

أَمَا لَوْ رَأَى فِيكَ الْعَدُوُّ تَقِيصَةً  
وَلَكِنَّهُ لَمَا رَأَكَ مَبْرَءًا  
لَخَبَّ بِتَضْرِيْفِ الْمِيْبِ وَأَوْضَاعًا  
مِنَ الْعَيْبِ غَطَّى رَأْسَهُ وَتَقَنَّمَ

ومثله

فَدَ طَلَبَ الْعَاذِلُ عَيْبًا فَمَا  
أَصَابَ عَيْبًا فَانْتَهَى هَاذِرًا

وللبعترى فى معنى قول مروان \* فَمَا أَحْجَمَ الْأَعْدَاءُ عَنْكَ بَعِيَّةٌ \*

من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويصف لقاء الأسد

غَدَاةٌ لَقِيَتْ اللَّيْثَ وَاللَّيْثُ خَادِرٌ  
شَهِدَتْ لِقْدَانُصْفَتَهُ يَوْمَ تَنْبَرِي  
يَحْدُذُنَا بِاللِّقَاءِ وَمَحَلِّبًا  
لَهُ مُصَلِّتًا عَضْبًا مِنَ الْبَيْضِ مُغْضِبًا

أول أبيات اللعين المنقرى بهجو بهما جريراً والفرزدق وبعده

فدونكا انظرا أهبجوت أم لا

وما كان الفرزدق غير قين

ويترك جده الخطي جرير

وكان اللعين تعرض لجرير والفرزدق فقال

سأقضى بين كلب بنى كليب

بأن الكلب مرثمه وخيم

فلم يجبه أحد منهما فقال الأبيات المتقدمة

وبين القين قين بنى عقال

وأن القين يعمل فى سفال

فَلَمْ أَرِ ضَرْغَامِينَ أَصْدَقَ مِنْكُمْ  
 هَزْبُ مَشَى يَنْبِي هَزْبًا وَغَلَبَ  
 أَدَلَّ بِشَفَبٍ ثُمَّ هَالَتْهُ صَوْلُهُ  
 فَاحْتَجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَئِنًا  
 فَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ كَرَّ نَحْوَكَ مُقْبِلًا  
 حَمَلَتْ عَلَيْهِ السَّيْفَ لِأَعْزَمِكَ أَنْتَنِي  
 وَكُنْتَ مَتَى تَجْمَعُ بَيْنَكَ تَهْنُكَ ۥ

ومن سافى كلام مروان وراعه وما اجتمع له فيه جودة المعنى واللفظ واطراد النسيج قوله

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْإِقْدَاءِ كَأَنَّهُمْ  
 هُمُ يَنْمَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَانُوا  
 لَهَا مِيمٌ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ  
 هُمُ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا صَابُوا وَإِنْ دَعُوا  
 وَمَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ  
 ثَلَاثٌ بِأَمْثَالِ الْجِبَالِ حِبَاهُمْ

ومن جيد قوله في قصيدة يمدح بها معناه  
 مَا مِنْ عَدُوٍّ يَرَى مَعْنَى بِسَاحَتِهِ  
 يَلْقَى إِذَا الْخَيْلُ لَمْ تَقْدِمِ فَوَارِسَهَا  
 أَعْرَهُ يَحْسَبُ يَوْمَ الرُّوْعِ ذَا لَبِيدٍ

وله من قصيدة يصف يوماً حاراً

عَرَا كَأِذَا الْهَيَابَةُ النِّكْسُ كَذَبًا  
 مِنَ الْقَوْمِ يَفْشَى بِاسِلِ الْوَجْهِ أَغْلَبًا  
 رَأَيْتَ لَهَا أَمْضَى جَنَانًا وَأَشْتَبَا  
 وَأَقْدَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبًا  
 وَلَمْ يُنْجِعِهِ أَنْ حَادَ عَنْكَ مِنْكِبًا  
 وَلَا يَدُكَ أَرْتَدَّتْ وَلَا حَذَاهُ نَبَا  
 ضَرْبِيَّةٌ أَوْ لَا تَبْقِ لِلسَّيْفِ مَضْرَبًا

أسود لها في غيل خفان أشبل  
 لجارهم بين السماء كبن منزل  
 كأولهم في الجاهلية أول  
 اجابوا وإن أعطوا طابوا وأجزوا  
 وإن احسنوا في الثابتات واجملوا  
 وأحلاههم منها الذي الوزن انقل

إِلَّا يَظُنُّ الْمَنَايَا تَسْبِقُ الْقَدْرَا  
 كَاللَّيْلِ يَزْدَادُ إِفْدَامًا إِذَا زُجِرَا  
 وَزَادَا وَيَحْسَبُ فَوْقَ الْمِنْبَرِ الْقَمْرَا

وَيَوْمٍ عَسُولِ الآلِ حَامٍ كَأَنَّمَا  
لَطْفَى شَمْسِهِ مَشْبُوبٌ نَارٍ تَلْبَهُ  
نَصَبْنَا لَهُ مِنَّا الْوُجُوهَ وَكَانَهَا  
عَصَائِبُ أَسْمَالٍ بِهَا يُتَعَصَّبُ

ويشبه أن يكون أخذ ذلك من قول الشنفرى

وَيَوْمٍ مِنَ الشَّمْرِى يَذُوبُ لُعَابُهُ  
أَفَاعِيهِ فِي رَمَضَانِهِ تَتَمَلَّلُ (١)  
نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَلَكِنْ ذُوهُ  
وَلَا سِتْرَ إِلَّا الْأَتْحَمِيَّ الْمُرْعَبِلُ (٢)

ولروان من أبيات يصف فيها حديقة وهبها له المهدي ويذكر فيها نخلاها وشجرها  
أجاد فيها

نَوَاضِرُ عَلِيَاءَ ذَدَانَتْ رُؤُوسَهَا  
مِنَ النَّبْتِ حَتَّى مَا يَطِيرُ غُرَابُهَا  
تَرَى الْبَاسِقَاتِ الْعُمَّ فِيهَا كَأَنَّمَا  
ظَعَائِنُ مَضْرُوبٌ عَلَيْهَا قَبَابُهَا  
تَرَى بِأَيْهَا سَهْلًا لِكُلِّ مَدْفَعٍ  
إِذَا أَيْبَعْتَ نَخْلُ فَاغْلِقْ بِأَيْهَا  
يَكُونُ لَنَا مَا نَحْتَجِّي مِنْ ثِمَارِهَا  
رَبِيعًا إِذَا الْآفَاقُ قَلَّ سَحَابُهَا

- (١) البستان من قصيدته المشهورة المسماة الشنفرية ولامية العرب - الشعرى -  
هي الكوكب الذي يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر - وذاب - الشئ تقيض  
جد - ولعابه - ولوايه واحده - ولعابه هنا ما تراه من شدة الحر مثل نسيج العنكبوت  
- والأفامى - جمع أفي وهي الحبة - والرمض - شدة وقع الشمس على الرمل وغيره  
والأرض رمضاء أى أصابها الرمض - والتخلل - التحرك على الفراش إذا لم تستقر عليه  
من الوجع كأنه على ملة والملة الرماد الحار \* \* والواو في ويوم واو رب ومن لبيان  
الجنس والتقدير ويوم من الأيام التي تطلع فيها الشعرى ومن الشعرى صفة يوم يذوب  
نعت ليوم أيضاً أى ذائب لعابه وأفاعيه مبتدا وتخلل خبره وفي رمضائه متعلق بتخلل  
(٢) - النصب - الإقامة تقول نصبت وجهي للحر أفتته - والكنز - الستر والجمع  
أكنان - والأتحمي - برد معروف - والمرعبل - المزق فقوله نصبت هو جواب رب

حَقَّارٌ لَمْ يَخْلَطْ بِأَثْمَانِهَا الرَّبِّي  
وَلَكِنْ عَطَاءُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَدْحَةٍ  
وَمَنْ رَكِبْنَا لِلْخَيْلِ فِي كُلِّ غَارَةٍ  
حَوَتْ غَنَمَهَا آبَاؤُنَا وَجَدُّو دَنَا  
وَلَمْ يَكُ مِنْ أَخْذِ الدِّيَاتِ اكْتِسَابُهَا  
جَزِيلٍ مِنَ الْمُسْتَخْلِفِينَ تَوَابُهَا  
حَلَالٌ بِأَرْضِ الْمُشْرِكِينَ مِنْهَا  
بِصَمِّ الْعَوَالِي وَالذِّمَاءِ خِضَابُهَا

فأما قوله

حَقَّارٌ لَمْ يَخْلَطْ بِأَثْمَانِهَا الرَّبِّي  
فَكَانَ ابْنُ الْعَمَزِ نَظَرَ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ  
لَنَا إِبِلٌ مَا وَقَرْتَهَا دِيَاتُنَا  
وَفِي سِدِّ هَذَا قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ

كَثُرَتْ فِيهِمُ السَّارِحُ إِلَّا  
أُنْهَا مِنْ مَنَاحِجِ وَدِيَاتِ

ومثل الأول قول حسان يهجو قوماً من قريش

وَمَالِكُمْ لَأَمِنْ طِرَادِ فَوَارِسِ  
وَلَكِنْ مِنَ التَّرْفِيحِ بِأَشْرَ مَا لِكِ

﴿ مجلس آخر ٤٥ ﴾

[ تأويله آية ] ٥٥ إن سأل سائل عن معنى قوله تعالى ( كل شيء هالك إلا وجهه )  
٥٥ وقوله تعالى ( إنما نطعمكم لوجه الله ) ٥٥ وقوله ( ويبقى وجه ربك ذو الجلال  
والإكرام ) وما شاكل ذلك من آي القرآن المتضمنة لذكر الوجه ٥٥ الجواب قلنا  
الوجه ينقسم في اللغة العربية الى أقسام • فالوجه المعروف المركب فيه العينان من كل  
حيوان • والوجه أيضاً أول النشء وسدرة • ومن ذلك قوله تعالى ( وقالت طائفة من  
أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار وأكفروا آخره ) أي

أول النهار .. ومنه قول الربيع بن زياد

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلَيَاتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ

أي غداة كل يوم .. وقال قوم وجه نهار اسم موضع .. والوجه القصد بالفعل من ذلك قوله تعالى ( ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله ) .. وقال الفرزدق

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي حِينَ شُدَّتْ رِكَابِي إِلَى آلِ مَرْوَانَ بُنَاتِ الْمَكَارِمِ

أي جعلت قصدي وإرادتي لهم .. وأنشد الفراء

اسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُخْصِيَهُ رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

أي القصد .. ومنه قولهم في الصلاة وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض أي قصدت قصدي بصلاتي وعملي وكذلك قوله تعالى ( فأقم وجهك للدين القيم ) .. والوجه الاحتيال في الأمرين من قولهم كيف الوجه لهذا الأمر وما الوجه فيه أي ما الحيلة .. والوجه الذهاب والجهة والتأحية .. قال حمزة بن بيض الحنفي

أَيُّ الْوُجُوهِ انْتَجَبْتُ فَلْتُهْمُ لِأَيِّ وَجْهِ إِلَّا إِلَى الْحَكَمِ

مَتَى يَقُلْ صَاحِبًا سُرَادِقَهُ هَذَا ابْنُ بَيْضٍ بِالْبَابِ يَنْتَسِمِ

.. والوجه القدر والمنزلة ومنه قولهم لفلان وجه عريض وفلان أوجه من فلان أي أعظم قدراً وجاءاً ويقال أوجهه السلطان إذا جعل له جاعاً .. قال امرؤ القيس

وَنَادَمْتُ قَيْصَرَ فِي مَلِكِهِ فَأَوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ الْبَرِيدَا<sup>(١)</sup>

(١) وقيله

أَذْكَرْتَ نَفْسِكَ مَا لَنْ يَمُودَا فَهَاجِ التَّنْصُكِرَ قَلْبًا عَمِيدَا

تَذَكَرْتَ هِنْدَا وَأُرَاهَا فَأَصْبَعْتَ أَزْمَعْتَ مِنْهَا صِدُودَا

وَنَادَمْتَ قَيْصَرَ فِي مَلِكِهِ فَأَوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ الْبَرِيدَا

إِذَا مَا زِدَحْنَا عَلَى سَكَا سَبَقَتِ الْفَرَاقِي سَبَقًا شَدِيدَا

يقال حمل فلان فلاناً على البريد إذا هياً له في كل مرحلة مركوباً ليركبه فإذا وصل إلى المرحلة الأخرى نزل عن المعوي وركب المرفق وهكذا إلى أن يصل إلى المقدمه . والوجه الرئيس المنظور إليه يقال فلان وجه القوم وهو وجه عشرينه ووجه الشيء نفسه وذاته . . قال أحمد بن جندل

وَنَحْنُ حَفَرْنَا الحَوْفَ زَانَ بَطْنَةَ ۖ فَاقْلَتَ مِنْهَا وَجْهَهُ عُنْدَ بَهْدٍ <sup>(١)</sup>

(١) هكذا بالأصل وفسرها بهامش اللسخة أي ضخم . . وقوله قال أحمد بن جندل الخ المعروف أن البيت لسوار بن حبان المنقري قاله يوم جدود والرواية المشهورة ونحن حفزنا الحوفزان بطمنة سقته نجيماً من دم الجوف أشكالاً وروى ونحن حفزنا الحوفزان بطمنة نبح نجيماً من دم الجوف أشكالاً وبصده وحران أدته البنا رماحنا يتنازع غلأ في ذراعيه مقفلاً ونسب ابن قتيبة البيتين لجرير وسمى الحوفزان حوفزاناً لأن قيس بن عاصم التميمي حفزه . . قال الجوهري وأما قول من قال إنما حفزه بسطام بن قيس فغلط لأنه شيباني فكيف يتخبر به جرير وأما قول الآخر ونحن حفزنا الحوفزان بطمنة فهو الأهم بن سمي المنقري وأول الشعر لما دعنى للسيادة منقر لدى موطن أضحي له النجم بادياً أشد لاحناء الأمور إزارياً شدت لها أزرى وقد كنت قبها

ولنعمد إلى حديث يوم جدود روى عن أبي عبيدة قال قيس بن عاصم هو الذي حفز الحوفزان بن شريك الشيباني طعنه في استه يوم جدود وكان من حديث ذلك اليوم أن الحارث بن شريك بن عمرو العاصب بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام كانت بينه وبين بني يربوع مودة ثم هم بالغدر بهم فجمع بني شيبان وبني ذهل والهبازم وقيس بن ثعلبة وتيم الله بن ثعلبة وغيرهم ثم غزا بني يربوع فنذر به عتية بن الحارث ابن شهاب بن شريك فنادى في قومه بني جعفر بن ثعلبة من بني يربوع فوادعه وأغار الحارث بن شريك على بني مفاعس واخوتهم بني ربيع فلم يجيبوهم فاستصرخوا بني منقر فركبوا حتى لحقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قائلون في يوم شديد

أراد أفلك ونجاة ومنه قولهم إنما أفعل ذلك لوجهك • وبدل أيضاً على أن الوجه يعبر به عن الذات قوله تعالى ( وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة ) • وقوله تعالى ( وجوه يومئذ نائمة اسمها راضية ) لأن جميع ما أضيف إلى الوجوه في ظاهر الآي من النظر والظن والرضا لا يصبح اضافته على الحقيقة إليها وإنما يضاف إلى الجملة فعنى قوله تعالى ( كل شيء هالك إلا وجهه ) أي كل شيء هالك إلا إياه فكذلك قوله تعالى ( كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ) لما كان المراد بالوجه نفسه لم يقل ذي كما قال ( تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ) لما كان اسمه غيره • • ويمكن في قوله تعالى ( كل شيء هالك إلا وجهه )

الحرف فاشعر الحوفزان إلا بالأهّم بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر واسم الأهّم سنان وهو واقف على رأسه فونب الحوفزان إلى فرسه فركبه وقال للأهّم من أنت فانتسب له وقال هذه منقر قد أتتك فقال الحوفزان فأنا الحارث بن شريك فنأدى الأهّم يا آل سعد ونأدى الحوفزان يا آل وائل وحمل كل واحد منهما على صاحبه ولحقت بنو منقر فاقتتلوا أشد قتال وأبرحه ونادت لساء بن ربيع يا آل سعد فاشتد قتال بنو منقر لصياحهم فهزمت بكر بن وائل وخلصوا ما كان في أيديهم من بنو مقاس وما كان في أيديهم من أموالهم وتبعهم بنو منقر بين قتل وأسر فأسر الأهّم حمران بن عمرو وقصد قيس بن عاصم الحوفزان ولم يكن له همة غيره والحارث على فرسه قارح يدهم الزبد وقيس على مهر نخاف قيس أن يسبقه الحارث فحفره بالريح في استه فتعزز به الفرس فنجاه فسمى الحوفزان وأطلق قيس أموال بنو مقاس وبنو ربيع وسباياهم وأخذ أموال بكر بن وائل وأساراهم وانتقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنة فمات وفي هذا اليوم يقول قيس بن عاصم

جزى الله يربوعاً بأسوه فعلمها  
ويوم جدود قد فضحتم ذماركم  
وسالمتموا والحليل تدمى نحوورها  
كما خز في أنف القضب جريرها

وجه آخر وقد روى عن بعض المتقدمين وهو أن يكون المراد بالوجه ما يقصد به الى الله تعالى ويوجه به اليه نحو القرية اليه جدت عظمته فيقول لا تشرك بالله ولا تدع إلهاً غيره فان كل فعل يتقرب به الى غيره ويقصد به سواء فهو هالك باطله وكيف يسوغ للمشبهة أن يحملوا هذه الآية والتي قبلها على الظاهر أو ليس ذلك يوجب انه تعالى يفتي ويبقى وجهه وهذا كفر وجهل من قائله .. فأما قوله تعالى (انما نطعمكم لوجه الله) وقوله (إلا ابتغاء وجه ربّ الأعلى) وقوله (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله) فمحمول على ان هذه الأفعال مفعولة له ومقصود بها ثوابه والقرية اليه والزلفة عنده فأما قوله تعالى (فأبنا تولوا فم وجه الله) فيحتمل أن يراد به فم الله لا على معنى الحلول ولكن على معنى التدبير .. والعلم ويحتمل أيضاً أن يراد به فم رضى الله وثوابه والقرية اليه ويحتمل أن يكون المراد بالوجه الجهة ويكون الاضافة بمعنى الملك والخلق والانشاء والاحداث لانه عز وجل قال (ولله المشرق والمغرب فأبنا تولوا فم وجه الله) أي ان الجهات كلها لله وتحت ملكه وكل هذا واضح يتين بحمد الله .. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيى الصولى قال أخبرنا مع المكثفى بالله فى آخر سفرة سافرنا للصيد من الموضع المعروف بحجة الى تكريت فى خرقاة<sup>(١)</sup> فكانت نبحج كثيراً فبشئد فزع من معه من الجلساء لذلك وكنت أشدهم فزعاً وكان فى الخرقاة سواى من الجلساء يحيى بن على المنجم ومتوَّج بن محمد بن مروان والقاسم المعروف بابن حياىة وكان يضحك لفزعنا ويقول لقد قسم الله لكم حظاً من الشجاعة جزىلا فقلت له ان البحرى يقول شعراً يصف فيه مثلنا حالنا ويمدح فيه أحمد بن دينار بن عبد الله وقد غزا الروم فى سراكب أوله

ألم تر تَغْلِيْسَ الرَّبِيعِ الْمَبْكُرِ وَمَا حَاكَ مِنْ وَشَى الرَّيَاضِ الْمَنْشَرِ

فقال له أنشدنى الموضع الذى قال هذا فيه منها وكان جيد العلم بالأشعار حافظاً للأخبار

(١) الخرقاة - سفينة صغيرة فيها الشموع والنار .. وقبل انها من الخرق لانها

نحرقى الماء .. كذا بهامش الأصل

غَدَوْتَ عَلَى الْمَيُونِ صُبْحًا وَإِنَّمَا  
 إِذَا زَجَرَ النَّوْبِي فَوْقَ عِلَاتِهِ  
 يَفْضُونَ دُونَ الْإِشْتِيَامِ عُيُونَهُمْ  
 إِذَا مَا عَلَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ اعْتَلَى لَهُ  
 إِذَا مَا انْكَفَى فِي هُبُوبَةِ الْمَاءِ خَلْتَهُ  
 وَحَوْلَكَ رَكَبُونَ لِلْمَهُولِ عَافِرُوا  
 تَعْمِيلُ الْمَنَائِيَا حَيْثُ مَالَتْ أَكْفُهُمْ  
 إِذَا أَرَشَقُوا بِالنَّارِ لَمْ يَكْ رَشَقُهُمْ  
 صَدَمَتْ بِهِمْ صَهْبُ الْمَنَائِيَا دُونَهُمْ  
 يَسُوقُونَ إِسْطُولًا كَأَنَّ سَفِينَتَهُ  
 كَأَنَّ صَبِيحَ الْبَحْرِ بَيْنَ رِمَاحِهِمْ  
 تَقَارَبُ مِنْ زَحْفِهِمْ فَكَأَنَّمَا  
 عَلَى حِينٍ لَا تَقَعُ تَطْوِئُهُ الصَّبَا  
 فَمَارَمَتْ حَتَّى أَجَاتِ الْحَرْبُ عَنْ ظُلَى  
 وَكُنْتَ ابْنَ كِسْرِي قَبْلَ ذَلِكَ وَبَمَدَّةُ  
 جَدَّخَتْ لَهُ الْمَوْتَ الذَّعَافَ فَمَافَهُ

غَدَا الْمَرَ كَبُ الْمَيُونُ تَحْتَ الْمُظْفَرِ  
 رَأَيْتَ خَطْبِيًّا فِي دُوَابَةٍ مَنِيرِ  
 وَفَوْقَ السَّمَاطِ لِلْمَعْظِيمِ الدُّومِرِ  
 جَنَاحُ عُقَابٍ فِي السَّمَاءِ مُهَجِرِ  
 تَلَفَعَ فِي اثْنَاءِ بُرْدٍ مُجْبِرِ  
 كَوَوْسِ الرَّدَى مِنْ دَارِ عَيْنٍ وَحَسِرِ  
 إِذَا اصْلَتُوا حَدَّ الْحَدِيدِ الْمُدَّ كَرِ  
 لِيَقْلَعَ إِلَّا عَنْ شِوَاءِ مُقَدَّرِ  
 ضَرَابُ كَأَيْقَادِ الْأَطَى الْمُسَمِّرِ  
 سَحَابُ صَيْفٍ مِنْ جِهَامٍ وَمُمَطِّرِ  
 إِذَا اخْتَلَفَتْ تَرْجِيْعُ عُودِ عَجْرَجِرِ  
 تَأَلَّفَ مِنْ أَعْنَانٍ وَحَشِي مُنْفِرِ  
 وَلَا أَرْضَ تُلْقِي لِلصَّرِيحِ الْمُقَطَّرِ (١)  
 مَقْصَصَةٌ فِيهِمْ وَهَامٍ مُطْبِرِ  
 مَلِيًّا بَانَ تَوْهِي صَفَاةَ ابْنِ قَيْصِرِ  
 وَطَارَ عَلَى الْوَوَاحِ شَطْبِ مُسَمِّرِ

(١) - المقطر - الملقى على أحد جانبيه .. كذا في هامش الأصل

سَمِيَّ وَهُوَ مُؤَلَّى الرَّيْحِ بِشُكْرِ فَضْلِهَا عَلَيْهِ وَمَنْ يُؤَلَّى الصَّنِيعَةَ يُشْكِرُ  
 قَالَ فَاسْتَجَادَ الْمَكْتَنِيَّ بِاللَّهِ قَوْلَهُ - عَلَى حِينٍ لَا تَقَعُ نَطْوَحُهُ الْعَصَا - فَقَالَ لَهُ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ  
 أَنْشَدَنِي ابْنُ الرَّومِيِّ شِعْرًا لَهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى

وَلَمْ أَعْلَمْ قَطُّ مَنْ ذِي سَبَاحَةٍ سِوَى الْغَوْصِ وَالْمَضْمُوفِ غَيْرُ مُغَالِبٍ  
 وَلَيْمَ لَا وَلَوْ أُلْقِيَتْ فِيهَا وَصْحَرَةٌ لَوَافَيْتُ مِنْهَا الْقَمَرَ أَوَّلَ رَاسِبٍ  
 وَأَيْسَرُ إِشْفَاقِي مِنَ الْمَاءِ أَنْبِيَّ أَمْرُهُ بِهِ فِي الْكُوزِ مَرَّ الْأَجَانِبِ  
 وَاخْتَشَى الرَّدَى مِنْهُ عَلَى كُلِّ شَارِبٍ فَكَيْفَ بِأَمْنِيهِ عَلَى نَفْسِ رَاكِبٍ

فَقُلْتُ لَهُ إِنَّمَا أَخَذَ ابْنُ الرَّومِيِّ بَيْتَهُ الثَّلَاثَ مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ فَقَالَ الْمَكْتَنِيُّ بِاللَّهِ فَمَا قَالَ قُلْتُ  
 حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سِرَاجِ الْمَصْرِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو وَائِلٍ الْأَخْمِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ  
 الْحَصِيبِ قَالَ وَقَفَ أَبُو نَوَاسٍ بِمِصْرَ عَلَى النَّيْلِ فَرَأَى رَجُلًا قَدْ أَخَذَهُ التَّمَسَّاحَ فَقَالَ

اضْمَرْتُ لِلنَّيْلِ هِجْرَانًا وَمَقْلِيَةً مَذْقِيلَ لِي إِنَّمَا التَّمَسَّاحُ فِي النَّيْلِ  
 فَمَنْ رَأَى النَّيْلَ رَأَى الْعَيْنَ مِنْ كَثَبٍ

فَمَا أَرَى النَّيْلَ إِلَّا فِي الْبَوَاقِيلِ

قَالَ الصَّوَلِيُّ - وَالْبَوَاقِيلُ - سَفْنٌ صَفَارٌ ٥٠ ثُمَّ أَجْرِي الْمَكْتَنِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ ذَكَرَ الشَّيْبَ فَقَالَ  
 الْعَرَبُ تَقُولُ أَظْلَمُ مِنْ شَيْبٍ وَقَدْ شَبَّتْ وَظَلَمْتُ الْمَشَيْبَ وَشَبَّتْ بِالصَّوَلِيِّ فَقُلْتُ جَوَابَ عَبْدِكَ  
 فِي هَذَا جَوَابَ مَعْنَى بِنِ زَائِدَةَ الشَّيْبَانِي لِحَدِّكَ الْمَنْصُورَ وَقَدْ قَالَ لَهُ كَبُرَتْ يَامَعْنُ فَقَالَ فِي  
 طَاعَتِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ وَإِنَّكَ لَتَتَجَلَّدُ قَالَ عَلَى أَعْدَائِهِ قَالَ وَفِيكَ بِحَمْدِ اللَّهِ بَقِيَّةٌ  
 قَالَ لَعَلَّمْتِكَ فَتَزَعُ الْمَكْتَنِيَّ عِمَامَتَهُ فَإِذَا شَيْبَتَانِ فِي مَقْدَمِ رَأْسِهِ قَالَ لَقَدْ غَنِمْتُ طُلُوعَ هَاتَيْنِ  
 الشَّيْبَتَيْنِ فَقُلْتُ لَهُ أَعْمَا يَعِيشُ النَّاسُ فِي الشَّيْبِ فَأَمَّا السَّوَادُ فَلَا يَصْغُبُ النَّاسَ خَالِصًا  
 أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَى الْحَمْسِينَ وَقَدْ يَعَاشُ فِي الْبَيَاضِ الَّذِي لَا سَّوَادَ فِيهِ ثَمَانُونَ سَنَةً  
 فَأَنْشَدَهُ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ فِي مَعْنَى طُولِ الْعُمُرِ مَعَ الشَّيْبِ قَوْلَ اسْرِي الْقَيْسِ

ألا إن بعد المذم للزم قنوةً      وبعد المشيب طول عمرٍ وملبساً<sup>(١)</sup>

وأشده أنا أيضاً أبيتاً أشدها اسحق بن ابراهيم الموصلي لبعض القيسيين

لم ينتقص مني المشيب فلامه      الآن حين أبدأ لبً وأكسُ

والشيب إن يظهر فإن وراءه      عمراً يكون خلاله متنفسُ

٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه أما قول البحترى - مضى وهو مولى الريح -

فقد كرر معناه في قوله من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغرى

أشلى على منويل أطراف القنا      فنجى عتيق عتيقة جرداء

فاو أنه ابطلهن هنيئة      لصدرن عنه وهن غير ظمَاء

ولئن بقاء القضاء لوقتِه      فلقد عممت جوده بفساء

(١) هو من قطعته التي أولها

تأوينى دأى التدميم ففلسا      أحاذر أن يرتد دأى فانكسا

٠٠ ومنها

فإما تربني لا أعرض ساعة      من الليل إلا أن أكب فالعسا

فيارب مكروب كررت وراه      وطاعتت عنه الخليل حتى نفسا

وما خفت تبرج الحياة كما أرى      تضيق ذراعى أن أقوم فالبسا

فلو أنها نفس تموت جبيعةً      ولكنها نفس تساقط أنفسا

وبدلت قرحاً دامياً بمدحمة      لعل منايانا نحولن أبوسا

لقد طمغ الطماح من بعد أرضه      ليلبسى من دائه ما تلبسا

وسبب هذه القطعة ان امرأ القيس استنجد قيصر ملك الروم في حربه لى أسد

المشهوره فأمدته بجيش عظيم فلما انفصل عنه ونى به رجل من بني أسد يقال له الطماح

الى قيصر فبعث اليه بحلة ونى مسمومة ماسوجة بالذهب فلما وصلت اليه لبسها واشتد

مروره بها فأسرع فيه الدم وسقط جلده فلذلك سمي ذا القروح فقال هذه القطعة

وأظنه أخذ هذا المعنى من قول أبي تمام في قصيدة يمدح بها المعتصم وبذكر فتح الحرمية

لَوْلَا الظَّلَامُ وَقَلَّةُ عَلَقُوا بِهَا بَاتَتْ رِقَابُهُمْ بِتَيْرِ قِلَالٍ

فَلْيَشْكُرُوا جُنْحَ الظَّلَامِ وَدَرُوزًا فَهْمٌ لِدَرُوزِ وَالظَّلَامِ مَوَالِي

وقد أخطأ الصولي في تفسير بيت أبي نواس بان البواقيل سفن صغار لأن البواقيل جمع بوقال وهو آلة على هيئة الكوز معروفة تعمل من الزجاج وغيره . . . وهذا مثل قول

ابن الرومي

أَمْرُهُ بِهِ فِي الكُوزِ مَرَّةً المَجَانِبِ

وانما أراد اني لا أمر بماه النيل إلا اذا أردت شربه في كوز أو بوقال وما أشبه ذلك

وأظن انه استمر عليه الوهم من جهة قوله فما أرى النيل وصرف ذلك الى انه أراد

النيل على الحقيقة وانما أراد ماء النيل وما علمت ان السفن الصغار يقال لها بواقيل إلا

من قول الصولي هذا ولو كان ما ذكره صحيحاً من ان ذلك اسم لصغار السفن لكان بيت

أبي نواس بما ذكرناه أشبه وأبقى وأدخل في معنى الشعر وكيف يدخل شبهة في ذلك

مع قوله فمن رأى النيل رأى العين من كسب ومن رأى النيل في السفن فقد رأى من

كسب ومن رأى مائه في الآنية على بعد فلا يكون رائي له من كسب . . . فأما مدح

الشيب وفضيله على الشباب فقد قال فيه الناس وأكثروا فما تقدم من ذلك قول

رؤبة بن المجاج ويقال ان رؤبة لم يقل من القصيدة إلا هذين البيتين

أَيُّهَا الشَّامِتُ المَعْبَرُ بالشِّيبِ بِأَقْلَنِ الشَّبَابِ افْتِخَارًا

فَوَجَدْتُ الشَّبَابَ نَوْبًا مَعَارًا قَدْ لَيْسَتْ الشَّبَابُ غَضًّا جَدِيدًا

ولعل بن جيلة

جَفَى طَرَبُ القَتِيَانِ وَهُوَ طَرُوبٌ وَاعْقَبَهُ قُرْبُ الشَّبَابِ مَشِيبٌ

تَجَافَتْ عَيُونُ البَيْضِ عَنْهُ وَرُبَّمَا مَدَدْنَ إِلَيْهِ الوَصْلَ وَهُوَ حَيْبٌ

لَعْمَرِي لَيْمَ الصَّاحِبِ الشَّيْبُ وَعَظَا  
خَلِيطَ نَهْيَ مَنَابَا حِلْمٍ وَإِنَّا  
وَأَخْر

وَتَنَكَّرَتْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا  
سَيَانُ شَيْبِي وَالشَّبَابُ إِذَا  
مَا كُنْتُ مِنْ عَمْرِي عَلَى قَدَرٍ

وَأَخْر

إِنَّا كُنْ قَدَرُ زَيْتُ أَسْوَدَ كَالْفَحَا  
فَلَقَدْ أَسْفَى الْكَرِيمَ وَاحْبُو  
غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ كَانَ رِدَاءَ  
مِثْلَ لَوْنِ النِّعَامَةِ  
أَهْلُهُ بِالنَّدَى وَأَبَى الظَّلَامَةِ  
خَانِنَا فِيؤُهُ كَفَى النِّعَامَةِ

وَأَخْر

إِنَّ الْمَشِيبَ رِدَاءَ الْحِلْمِ وَالْأَدَبِ  
تَمَجَّجَتْ أَنْ رَأَتْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا  
كَمَا الشَّبَابُ رِدَاءَ الْجَهْلِ وَاللَّعِبِ  
لَا تَمَجَّجِي مَنْ يَطْلُ عُمُرَهُ بِهِ يَسْبِ

وَلابن الجهم

حَسَرَتْ عَنِّي الْقِنَاعَ ظَلُومُ  
أَنْكَرَتْ مَا رَأَتْ بَرَايِي فَقَالَتْ  
قُلْتُ شَيْبٌ وَلَيْسَ عَيْبًا فَانْتَ  
شَدَّ مَا أَنْكَرَتْ تَصَرَّمَ عَيْدِ  
وَوَلَّتْ وَدَمَعُهَا مَسْجُومُ  
أَمْشِيبُ أَمْ لَوْلُو مَنظُومُ  
أَنَّ يَسْتَشِيرُهَا الْمَهْمُومُ  
لَمْ تَدْعُ لِي وَأَيُّ حَالٍ يَدُومُ

وَلابن هفان

تَمَجَّجَتْ دُرٌّ مِنْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا  
لَا تَمَجَّجِي فَطُلُوعُ الشَّيْبِ فِي السُّفَاهِ

وَوَادَّهَا عَجَبًا لَمَّا رَأَتْ سَمِيًّا  
 وَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو نَمَامٍ غَايَةَ الْإِحْسَانِ فِي قَوْلِهِ  
 أَبَدَتْ أَسَى إِذْ رَأَتْنِي مَخْلَسَ الْقَصَبِ  
 سِتٌّ وَعِشْرُونَ تَدْعُونِي فَاتْبِعِيهَا  
 فَلَا يُورِقُكَ إِلَّا مَاضُ الْقَبْرِ بِهِ  
 وللبحري

عَبْرَتِي الْمَشِيبَ وَهِيَ بَدَنَتُهُ  
 لِأَثَرِهِ عَارًا فَمَا هُوَ بِالشَّدِيدِ  
 فِي عِذَارِي بِالصَّدِّ وَالْإِجْتِنَابِ  
 وَيَبَاضُ الْبَازِي إِصْدَقُ حُسْنًا  
 بَ وَلَكِنَّهُ جَلَاءُ الشَّبَابِ  
 إِنَّ تَأَمَّلْتَ مِنْ سَوَادِ الْغُرَابِ (١)

(١) - السهل - محرمة الثوب الخاق ويقال أيضا ثوب أسهل فمن التحويرين من جعله أسهلا مفردا لانه صفة ثوب والصحيح انه على التأويل بالجمع أى أنواع الثوب أسهل ومثل ذلك برمة أعشار لان أفعالا لم يثبت في المفرد وانما هو جمع

(٢) - الابيات من قصيدة يمدح بها اسماعيل بن شهاب مطلقا

ما على الركب من وقوف الركاب  
 أين أهل القباب بالاجر الفر  
 سقم دون أعين ذات سقم  
 وككمثل الاحباب لو يعلم العا  
 فاذا ما السحاب كان رصكأماً  
 واذا هبت الجنوب يسقيا  
 هيرتق المشيب . . . الابيات الثلاثة . . . وبعده  
 عذلتى في قومها واسترابت  
 ورأت عند غيرهم من مدبجى  
 فى مغاني الصبا ورسم التصايب  
 وتولوا لا أين أهل القباب  
 وعذاب دون التنايا العذاب  
 ذل عندي منازل الاحباب  
 فسقى بالرباب دار الرباب  
 فعلى رسم دارها والجناب  
 جيثق فى سواهم وذهايبى  
 مثل ما كان عندهم من عتابى

هَاهُوَ الشَّيْبُ لَا ثِمَافًا فَيَقِي      وَأَثَرُ كَيْهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ مَفِيحٍ  
 فَلَقَدْ كَفَّ عَنْ عَنَاءِ الْمُعْتَى      وَتَلَا فِي مِنْ إِشْتِيَاقِ الشُّوقِ  
 عَدَلْتَنَا فِي عَشْقِهَا أُمَّ عَمْرٍو      هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْعَادِلِ الْمَشُوقِ  
 وَرَأَتْ لِمَةَ الْمَمِّ بِهَا الشَّيْبَ ---      بَ فَرِيَعَتِ مِنْ ظُلْمَةٍ فِي شُرُوقِ  
 وَلَعَمْرِي لَوْلَا الْأَفَاحِي لَا بَصَرَ      تَأْنِيْقَ الرَّيَاضِ غَيْرَ أَنْيَقِ  
 وَسَوَادُ الْعُيُونِ لَوْلَمْ يَكْمَلَنَّ      بِيَاضٍ مَا كَانَ بِالْمَوْمُوقِ  
 وَمِزَاجُ الصَّبَاءِ بِالْمَاءِ أَوْلَى      بِصُبُوحِ مُسْتَحْضِنِ وَغُبُوقِ  
 أَيُّ لَيْلٍ يَبْهَى بِغَيْرِ نَجُومٍ      أَوْ سَاءَ تَنْدَى بِغَيْرِ بُرُوقِ

ويشبهه ان يكون أخذ قوله - أي ليل يبهى بغير نجوم من قول الشاعر

أَشْيَبُ وَلَمْ أَقْضِ الشَّبَابَ حَقُّوقَهُ      وَلَمْ يَمُضْ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ قَدِيمٌ  
 رَأَتْ وَضَعَانِي مَفْرِقِ الرَّأْسِ رَاعِيَا      وَشَتَانَ مَبِيضٌ بِهِ وَبِهِمُ

ليس من غيبة عليهم ولكن  
 شيعة السؤدد القريب واخوا  
 هم اولو الحمد ان سالت فان كا  
 ومتى كنت صاحب الذوى السؤدد  
 وكفاني إذ الحوادث اظلمت  
 سبب أول على جود اسما  
 لاسهات سهاؤه فطرنا  
 لا يزور الوفاء غبا ولا يم  
 شق غدرا لفعال عشق الكعباب  
 مستعيد على اختلاف الليالي  
 لسفقا من خلائق أنراب

تَقَارِبُ شَيْبٍ فِي الشَّبَابِ لَوَائِمُ  
 وَالْحَمُودُ الْوَرَاقُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ  
 مَا الْدُرُّ مَنْظُومًا بِأَحْسَنَ مِنْ  
 شَيْبٍ يَحُلُّ هَامَةَ الْكَبَلِ  
 فَكَأَنَّهُ فِيهَا النُّجُومُ إِذَا  
 جَدَّ الْمَسِيرُ بِهَا عَلَى مَهَلِ  
 لَا تَبْكِينَ عَلَى الشَّبَابِ إِذَا  
 بَكَى الْجَهْلُ عَلَيْهِ لِلْجَهْلِ  
 وَاشْكُرْ لِشَيْبِكَ حُسْنَ صُحْبَتِهِ  
 فَلَقَدْ كَسَاكَ جَلَالَةُ الْفَضْلِ

وَلَاخِرُ فِي مَدْحِ الشَّيْبِ

لَا يَرْعُكَ الْمَشَيْبُ يَا بِنْتَهُ عَبْدُ اللَّهِ فَالشَّيْبُ حُلِيَّةٌ وَوَقَارُ  
 إِنَّمَا تَحْسُنُ الرِّيَاضُ إِذَا مَا ضَحِكْتَ فِي خِلَالِهَا الْأَنْوَارُ

•• [ قال الشريف رحمه الله ] ولى في هذا المعنى من قصيدة

جَزَعْتَ لَوْ خَطَاتِ الْمَشَيْبِ وَإِنَّمَا  
 بَلَغَ الشَّبَابُ مَدَا الْكَمَالِ فَنُورًا  
 وَالشَّيْبُ إِذْ فَكَّرْتَ فِيهِ مَوْرِدٌ  
 لَا بُدَّ يُورِدُهُ الْفَتَى إِنْ عَمَّرَا  
 بَيِّضُ بَعْدَ سَوَادِهِ الشَّعْرُ الَّذِي  
 إِنَّمَا يَرِزُهُ الشَّيْبُ وَارَاهُ الثَّرَى

وَمِنْ عَدْلِ بَيْنِ الشَّبَابِ وَالشَّيْبِ وَمَدْحِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا طَرِجُ بْنُ أَسْمَعِيلَ التَّمِزِيُّ فَقَالَ  
 وَالشَّيْبُ لِلْحُكَمَاءِ مِنْ سَفَةِ الصَّبَا  
 بَدَلٌ يَكُونُ لِذِي الْفَضِيلَةِ مَقْنَعٌ  
 وَالشَّيْبُ غَايَةٌ مِنْ تَأَخَّرَ حِينُهُ  
 لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَهُ مِنْ يَجْرَعُ  
 إِنَّ الشَّبَابَ لَهُ لِدَاذَةٌ جِدَّةٌ  
 وَالشَّيْبُ مِنْهُ فِي الْمَنْبَةِ أَنْفَعُ  
 لَا يَعِدُّ اللَّهُ الشَّبَابَ فَمَرْحَبًا  
 بِالشَّيْبِ حِينَ أَوْى إِلَيْهِ الْمَضْجَعُ

وَمِثْلُهُ لآخر

وَكَانَ الشَّبَابُ النَّضُّ لِي فِيهِ لَذَّةٌ  
 فَزَحَزَحْنِي عَنْهُ الْمَشَيْبُ وَأَدْبَا

فَسَقِيًّا وَرَعِيًّا لِلشَّبَابِ الَّذِي مَضَى وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْمَشِيبِ وَمَرْحَبًا

### مجلس آخر ٤٦

[ تأويل آية ] ٥٠ [ إن سأل سائل عن قوله تعالى ( وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني ) الآية ٥٠ فقال كيف ضمن الاجابة وتكفل بها وقد نرى من يدعو فلا يجاب ٥٥ الجواب قلنا في ذلك وجوه ٥٥ أولها أن يكون المراد بقوله تعالى ( أجيب دعوة الداعي ) أى أسمع دعوته ولهذا يقال للرجل دعوت من لا يجيب أى من لا يسمع وقد يكون أيضاً يسمع بمعنى يجيب كما كان يجيب بمعنى يسمع يقال سمع الله من حمده يراد به أجاب الله من حمده ٥٥ وأنشد ابن الاصراري

دَعَوْتُ اللَّهَ حَتَّى خِفْتُ أَنْ لَا يَكُونَ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ

أراد يجيب ما أقول ٥٥ وثانيها انه تعالى لم يرد بقوله تعالى قريب من قرب المسافة بل أراد اني قريب باجرتي ومعوتي ونعمتي أو لعلمي بما يأتي العبد ويذر وما يسر ويجهر تشبيهاً بقرب المسافة لأن من قرب من غيره عرف أحواله ولم يخف عليه ويكون قوله تعالى أجيب على هذا تأكيداً للقرب فكأنه أراد اني قريب قريباً شديداً وانى بحيث لا يخفى على أحوال العباد كما يقول الفاضل اذا وصف نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله أنا بحيث أسمع كلامك وأجيب نداءك أو ما جرى هذا المجرى ٥٥ وقد روى ان قوماً سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا له ربنا قريب فتناجيه أم بعيد فتناديه فأنزل الله تعالى هذه الآية ٥٥ وثالثها أن يكون معنى هذه الآية اني أجيب دعوة الداعي اذا دعاني على الوجه الصحيح وبالشرط الذي يجب أن يقارن الدعاء وهو أن يدعو باشرط المصلحة ولا يطلب وقوع ما يدعو به على كل حال ومن دعا بهذا الشرط فهو مجاب على كل حال لانه ان كان صلاحاً فعل ما دعا به وان لم يكن صلاحاً لم يفعله لتفقد شرط دعائه فهو أيضاً مجاب الى دعائه ٥٥ ورابعها أن يكون معنى دعائي أى عبيدي وتكون

الاجابة هي الثواب والجزاء على ذلك فكأنه تعالى قال إني أتيب العباد على دعاهم لي وهذا مما لا اختصاص فيه . . . وخامسها ما قاله قوم من ان معنى الآية ان العبد اذا سأل الله تعالى شيئاً في إعطائه صلاح فعل به وأجابه اليه وان لم يكن في إعطائه إياه في الدنيا صلاحٌ وخسیر لم يعطه ذلك في الدنيا وأعطاه إياه في الآخرة فهو يجيب لدعائه على كل حال . . . وسادسها انه تعالى اذا دعاه العبد لم يخل من أحد أمرين إما أن يجاب دعاؤه وإما أن يجاب له بصرفه عما سأل ودعا فحسن اختيار الله له يقوم مقام الاجابة فكأنه يجاب على كل حال وهذا الجواب يضعف لأن العبد ربما سأل ما فيه صلاحٌ ومنفعة له في الدنيا وان كان فيه فساد في الدين لغيره فلا يعطى ذلك لأمر يرجع اليه لكن لما فيه من فساد غيره فكيف يكون مجاباً مع المنع الذي لا يرجع اليه منه شيء من الصلاح اللهم إلا أن يقال انه دعاه مشروط بأن يكون صلاحاً ولا يكون فساداً وهذا مما تقدم ومعنى قوله تعالى ( فليستجيبوا لي ) أي فليجيبوني وليصدقوا رسلي . . . قال الشاعر

وَدَاعَ دَعَا يَامَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى      فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبُ  
فَقُلْتُ ادْعُ أُخْرَى وَاذْفَعِ الصَّوْتِ ثَانِيَا      لَعَلَّ أَيْ الْمَغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ<sup>(١)</sup>

(١) قوله لعل أبي المغوار - بجرابي على لغة عقيل فان لعل عندهم تجر في أربع لغات من لغاتها أي ثابتة الأول ومخروفه مفتوحة الآخر ومكسورته وأما بقية لغات لعل فلا يجر بها عندهم وأبو المغوار بكسر الميم وسكون القين المعجمة اسمه شيب وروى • فقلت ادع أخرى وارفع الصوت دعوة • بالنصب على التعليل وروى أبو المغوار بالنصب على أصله وهذان البيتان من قصيدة لكعب بن سعد الغنوي يرقى أخاه شيباً أولها

|                           |                          |
|---------------------------|--------------------------|
| قول سلبي ما لجسمك شاحباً  | كأنك بمحبيك الطعام طيب   |
| فقلت ولم أرى الجواب لقلها | وللدهر في صم السلام نصيب |
| تتابع احداث نحر من اخوتي  | وشيبين رأسي واخطوب تشيب  |
| لعدي لئن كانت أصابت مصيبة | أخي والثايا للرجال شعوب  |
| لقد كان أما حمله فروح     | علينا وأما جهله فعزيب    |

أى لم يجبه ٥٥ [ قال الشريف المرتضى ] رضى الله عنه وإذ كنا قد ذكرنا في المجالس المتقدمة لهذا المجلس طرفاً من الشعر في تفضيل الشيب وتقديمه والتعزّي عنه والتسلي عن نزوله فنحن متبعوه بطرف مما قيل في ذمّه والتأم به والجزع منه ٥٥ فن ذلك قول أبي حبة الغمري

|  |   |
|--|---|
| فَلَيْتَ الشَّيْبَ كَانَ بِهِ الرَّحِيلُ | تَرَحَّلَ بِالشَّبَابِ الشَّيْبُ عَنَّا   |
| فَقَدْ قَضَى مَا رَبَّهُ الخَالِيلُ      | وَقَدْ كَانَ الشَّبَابُ لَنَا خَلِيلًا    |
| حَمِيدًا مَا بُرِّدُ بِهِ بِدِيلُ        | لَعَمْرُ أَبِي الشَّبَابِ لَقَدْ تَوَلَّى |
| وَظَلُّ أَرَاكِمَةِ الدُّنْيَا ظَلِيلُ   | إِذِ الأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ عَلَيْنَا      |

وقال الفرزدق

|  |   |
|--|---|
| عَلَيْنَا وَأَيَّامُ الشَّبَابِ أَطَابِيه      | أَرَى الدَّهْرَ أَيَّامُ المَشْيَبِ أَمْرُهُ    |
| وَمَنْ قَبْلَهُ عَيْشٌ تَعَلَّلَ جاذِبُهُ      | وَفِي الشَّيْبِ لَذَاتٌ وَقَرَّةٌ أَعْيُنِ      |
| بِسَيْفِيهِمَا فَالشَّيْبُ لَا شَكَّ غَالِبُهُ | إِذَا نَازَلَ الشَّيْبُ الشَّبَابَ فَاصْلَمْنَا |

٥٥ ومنها

فان تكن الأيام أحسن مرة الى فقد عادت لمن ذنوب

الى ان قال

|                                |                           |
|--------------------------------|---------------------------|
| وداع دما يامن يجيب الى التندى  | فلم يستجبه عند ذاك عجيب   |
| فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة | لعلّ أبى المقوار منك قريب |
| يجيك كما قد كان يظلم له        | نجيب لأبواب العلاء طلوب   |

قال أبو علي الغالي في الأمالي بعض الناس يروى هذه القصيدة لكعب بن سعد الغنوي وهو من قومه وليس بأخيه والمرنى بهذه القصيدة يكنى أبا المقوار واسمه هرم وبعضهم يقول اسمه شيب ويمنح بيت روى في هذه القصيدة \* أقام وخطى الطاعنين شيب \*

فَيَاخِيزَ مَهْرُومٍ وَيَاشِرَ هَازِمٍ  
وَلَيْسَ شَبَابٌ بَعْدَ شَيْبٍ بِرَاجِعٍ  
وَمَا الْمَرْءُ مَنفُوعًا بِتَجْرِبٍ وَعَظٍ

وأنشد اسحاق الموصلي

لَعَمْرِي لَئِن حَلَّيْتُ عَنْ مَثَلِ الصَّبَا  
لِيَأْبَى أَمْشِي بَيْنَ بَرْدَى لَاهِيَا  
سَلَامٌ عَلَى سِيرِ الْقَلَاصِ مَعَ الرَّكْبِ  
سَلَامٌ أَمْرِي لَمْ تَبْقُ مِنْهُ بَقِيَّةٌ

ولنصور النمري

مَا تَنْقُضِي حَسْرَةَ مَنِيٍّ وَلَا جَزَعُ  
بَانَ الشَّبَابُ فَفَاتَنَتْنِي بِشْرَتُهُ  
مَا كُنْتُ أَوْ فِي شَبَابِي كُنْتُ غَرَّتُهُ  
أِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يَرْتَجِعُ  
صُرُوفَ دَهْرٍ وَأَيَّامَ لَهَا خِدَعُ  
حَتَّى انْقَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَيْسَ تَبِيعُ<sup>(١)</sup>

(١) هذه الأبيات من قصيدة يمدح بها الرشيد روى أنه دخل عليه وكان عنده

الكسافي فقال له الرشيد أنشدني فأنشدته قوله \* ما تنقضي حسرة \* البيت فتحرك

الرشيد ثم أنشدته حتى انتهى إلى قوله

ما كنت أوفي شبابي كنه غرته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

فطرب الرشيد وقال أحسنت والله وصدقت لا والله لا يتنهي أحد بعيش حتى يحظر في

رداء الشباب وأمر له بمجازة سنية ومن أبياتها الحسان قوله

أي امرئيات من هارون في سخط فليس بالصلوات الخمس ينفع

ان المكارم والمعروف أودية أحلك الله منها حيث يسع

ولحمد بن أبي حازم

عَهْدَ الشَّبَابِ لَقَدْ أَقْبَمْتُ لِي حَزَنًا  
سَقِيًّا وَرَعِيًّا لَا يَأْمُ الشَّبَابِ وَإِنْ  
جَرَّ الزَّمَانُ ذُبُولًا فِي مَفَارِقِهِ  
وَرُبَّمَا جَرَّ أَذْيَالَ الصَّبَا مَرَحًا  
لَا تَكْتَدِينِ فَمَا الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا  
كَفَاكَ بِالشَّيْبِ عَيْبًا عِنْدَ غَايَةِ  
مَا جَدَّ ذِكْرُكَ الْآجِدُّ لِي نُكْلُ  
لَمْ يَبْقَ مِنْكَ لَهُ رَسْمٌ وَلَا طَلَلُ  
وَالزَّمَانِ عَلَى إِحْسَانِهِ عِلْلُ  
وَيَنْ بُرْذِيهِ غُصْنٌ نَاعِمٌ خَصَلُ  
مَنْ الشَّبَابِ بِيَوْمٍ وَاحِدٍ بَدَلُ  
وَبِالشَّبَابِ شَقِيمًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

إذا رفعت امرأ فالله يرفعه  
نقى فداؤك والأبطال معلمة  
ومن وضعت من الأرقام منضع  
يوم الوغى والمنايا صابها فرع

روى أن اليبق دخل على الرشيد وعنده الفضل بن الربيع ويزيد بن مزيد وبين  
يديه خوان لطيف عليه جرمان وورغقان سميد ودجاجان فقال لي أنشدني قال اليبق  
فأنشدته قصيدة النمرى العينية فلما بلغت إلى قوله

• أي امرئ بات من هارون في سخط • الأبيات الأربعة قال فرسي بالخوان بين  
يديه وصاح وقال هذا والله أطيب من كل طعام وكل شئ وبمث إليه بسبعة آلاف دينار  
قال اليبق فلم يعطني منها ما يرضيني وشخص إلى رأس العين فأغضبني وأحفظني فأنشدت  
هرون قوله

ساد من الناس راتع هامل  
يعلون النفوس بالباطل

فلما بلغت إلى قوله

ألا مساعير يعضون لها  
بسلة البيض والقنا الزابل

قال أراءه يجرض علي ابعثوا إليه من يحيى برأسه فكله فيه الفضل بن الربيع فلم يكن  
كلامه شيئاً وتوجه إليه الرسول فوافاه في اليوم الذي مات فيه ودفن وروى من  
غير هذا الوجه أن العتابي سئل عن سبب غضب الرشيد عليه فقال استقبلت منصور

ولأبي نواس

كَانَ الشَّبَابُ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ      وَحَسِّنَ الضَّمَكَاتِ وَالْمَهْرَلِ  
كَانَ الْجَمِيلُ إِذَا ارْتَدَيْتُ بِهِ      وَمَشَيْتُ اخْطَرُ صَيِّتَ النَّعْلِ  
كَانَ الْبَاسِغُ إِذَا نَطَقْتُ بِهِ      وَأَصَاخَتِ الْآذَانُ لِلْمَعْلَى  
كَانَ الْمَشْفَعُ فِي مَا رَبِّهِ      عِنْدَ الْحَيَّانِ وَمُذْرَكِ التَّبَلِ  
وَالْبَاعِثِ وَالنَّاسُ قَدْ هَجَمُوا      حَتَّى آتَيْتُ حَلِيلَةَ الْبَعْلِ

الغمرى يوماً من الأيام فرأيتُه مغموماً واجماً كثيراً فقلت له ما خبرك فقال تركت امرأتي تطلق وقد عسر عليها ولادها وهي يدي ورجلي والقيمة بأمرى وأمر منزلي فقلت له لم لا تكتب على فرجها هرون الرشيد قال ليكون ماذا قال لنلد على المكان قال وكيف ذلك قالت لعولك

ان أخلف الغيب لم تخلف مخائله أو ساق أمر ذكرناه فينتع فقال لي يا كشتخان والله لئن تخامست امرأتي لأذكر قولك هذا للرشيد فلما ولدت امرأته خبر الرشيد بما كان بيني وبينه فغضب لذلك وأمر بطلبي فاستترت عند الفضل بن الربيع فلم يزل يسئله في حق أذن لي في الظهور فلما دخات عليه قال لي قد بلغني ما قلته للغمرى فاعتذرت إليه حتى قبل ثم قلت والله يا أمير المؤمنين ما حله على التكذب هل إلا وقوفى على ميله للعلوية فان أراد أمير المؤمنين ان أنسده شعره في مديحهم فعلت فقال أنشدني فأنشدته قوله

ساد من الناس وائع هامل      يطلوون النفوس بالباطل

حتى بلغت الى قوله

الامساعير يعضبون لهم      بسلة البيض والفتنا الزابل

فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال للفضل بن الربيع احضره الساعة فبعث الفضل في ذلك فوجده قد توفي فأمر بنبشه ليعرقه فلم يزل الفضل يطلع له حتى كنف عنه

وَالْأَمْرِ حَتَّى إِذَا عَزَمْتُ      نَفْسِي أَعَانَ عَلِيٌّ بِالْفِعْلِ  
فَالآنَ صُرْتُ إِلَى مَقَارِبَةٍ      وَحَطَطْتُ عَنْ ظَهْرِ الصَّبْرِ رَحْلِي

[ قال الشريف المرتضى ] رضى الله عنه وعلى هذا الكلام حسن طلاوة وسهولة

من امرأته ليستا لغيره .. ولبشار

الشَّيْبُ كُرْهُهُ وَكُرْهُهُ أَنْ يُفَارِقَنِي      أَعْجَبُ بِنِسْيِ وَعَلَى الْبَغْضَاءِ مَوْدُودِ  
يَمْضِي الشَّبَابُ وَيَأْتِي بِمَدَّةٍ خَلْفَهُ      وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ مَمْقُودًا بِمَقْمُودِ

وهذا البيت الأخير يروي لمسلم بن الوليد الأصبهاني .. وما أحسن فيه مسلم في هذا المعنى قوله

طَرَفْتُ عَيْنَ الْغَائِبَاتِ وَرَبَّمَا      أَمَلَنْ إِلَى الطَّرْفِ كُلِّ مَمِيلِ  
وَمَا الشَّيْبُ إِلَّا شَمْرَةٌ غَيْرَ أَنَّهُ      قَلِيلٌ قَدَاةِ الْعَيْنِ غَيْرُ قَلِيلِ

ولآخر

أَهْلًا بِوَأَفْدَةٍ لِلشَّيْبِ وَاحِدَةٍ      وَإِنْ تَرَأَتْ بِشَخْصٍ غَيْرِ مَوْدُودِ  
لَا أَجْمَعُ الْحِلْمَ وَالصَّبْرَاءَ قَدْ سَكَنْتِ      نَفْسِي إِلَى الْمَاءِ عَنْ مَاءِ الْعُنَا قَيْدِ  
لَمْ يَنْهَى كِبَرُهَا وَلَا فَنَدُ      لَكِنْ صَحَوْتُ بِمُضْنٍ غَيْرِ مَمْدُودِ  
أَوْ فِي بِي الْحِلْمِ وَأَقْتَادَ النَّهْيِ طَلْقًا      شَأْوِي وَعَفْتُ الصَّبْرَ مِنْ غَيْرِ تَقْنِيدِ

ولقد أحسن دعبل في قوله يصف الشباب والشيب

كَانَ كَحَلًّا لَمَّا قَبِيهَا فَقَدْ      صَارَ بِالشَّيْبِ لِمَيْنِيًّا قَدَا

ولغيره

رَأَتْ طَالِمًا لِالشَّيْبِ أَغْفَلَتْ أَمْرَهُ      فَلَمْ تَتَمَّهْهُ أَكْفُ الْخَوَاصِبِ  
قَعَلَتْ أَشْيَبُ مَا أَرَى لُتْ شَامَةٌ      قَعَلَتْ لَمَدُ شَامَتِكَ عِنْدَ الْخَبَائِبِ

ولحمود الوراق و يروي ل محمد بن أبي حازم

أَلَيْسَ عَجِيْبًا أَنَّ الْفَتَى  
بِصَابٍ يَبْعُضُ الَّذِي فِي يَدَيْهِ  
فَمَنْ يَبِيْنُ بَاكٍ لَهُ مُوجِعٌ  
وَيَبِيْنُ مَعْرَ مَعْرَ مَعْرَ إِلَيْهِ  
وَبُسْلِبُهُ الشَّيْبُ شَرَحَ الشَّيَابِ  
فَلَيْسَ يُعْزِيهِ خَلْقٌ عَلَيْهِ

ولأبي دلف

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى بِيضَاءَ طَالِمَةً  
كَأَنَّمَا طَلَمْتَ فِي أَسْوَدِ الْبَصْرِ

لَنْ قَصَصْتِكِ بِالْمِقْرَاسِ عَنِ بَصْرِي

لَمَّا قَصَصْتِكِ عَنِ هَبِّي وَعَنِ فِكْرِي

وليحيى بن خالد بن برمك و يروي لغيره

الْأَيْلُ شَيْبٌ وَالنَّهَارُ كِلَاهُمَا  
رَأْسِي بِكَثْرَةِ مَا تَدُوْرُ رَحَاهُمَا  
يَتَنَاهَبَانِ نَفُوسَنَا وَدِمَاءَنَا  
وَأُحُومَنَا عَمْدًا وَنَحْنُ تَرَاهُمَا  
وَالشَّيْبُ إِحْدَى الْمَيْتَتَيْنِ تَقَدَّمَتْ  
أَوْلَاهُمَا وَتَأَخَّرَتْ آخِرَاهُمَا

وقد أتى النحلان المرزان أبو تمام وأبو عبادة في هذا المعنى بكل غريب عجيب . فمن ذلك

قول أبي تمام

لَنْ جَزَعَ الْوَحْشِيُّ مِنْهَا لِرُؤْيِي لِأَنَّمِيهَا مِنْ شَيْبِ رَأْسِي أَجْزَعُ  
غَدَا الْعُرُ مُخْتَطًا بِفُودِي خُطَّةً  
طَرِيقَ الرَّدَى مِنْهَا إِلَى الْمَوْتِ مَهِيْعُ  
هُوَ الزَّوْرُ يُجْتَمِي وَالْمَعَا شُرُجِيْتُوِي  
وَدُو الْإِلْفِ يُقْلِي وَالْجَدِيدُ يُرْقَعُ  
لَهُ مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَيْبُضٌ نَاصِعُ  
وَأَنْفُ الْفَتَى مِنْ نَفْسِهِ وَهُوَ أَجْدَعُ  
وَأَنْفُ الْفَتَى مِنْ نَفْسِهِ وَهُوَ أَجْدَعُ

أَصْبَحْتُ رَوْضَةَ الْوَصَالِ هَشِيمًا  
شُعْلَةٌ فِي الْمَفَارِقِ أَسْتَوِدِعْتَنِي  
تَسْتَبِيرُ الْهَمُومَ مَا أَكْتَنَ مِنْهَا  
غَرَّةٌ غَرَّةٌ إِلَّا إِنَّمَا كُنْتُ  
دِقَّةٌ فِي الْحَيَاةِ تُدْعَى جَلَالًا  
حَلْمَتِي زَعَمْتُمْ وَأَرَانِي  
وَعَدْتُمْ رِيحَهُ الْبَلِيلِ سَمُومًا  
فِي صَمِيمِ الْفَوَادِ ثَكْلًا صَمِيمًا  
صَعْدًا وَهِيَ تَسْتَبِيرُ الْهَمُومًا  
مِثْلَ أَغْرًا أَيَّامَ كُنْتُ بِهِمَا  
مِثْلَ مَا سَمَّيْتُ اللَّدِيغُ سَلِيمًا  
قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا

•• وله

لَعِبَ الشَّيْبُ بِالْمَفَارِقِ بَلْ  
خَضِبَتْ خَدَّهَا إِلَى لَوْلُو الْعَمَةِ  
كُلُّ دَاءٍ يُرْجَى الدَّوَاءُ لَهُ إِلَّا أَلْ  
بِالنَّسِيبِ الثَّغَامِ ذَنْبِكَ أَبْتَى  
وَلَنْ عَيْنَ مَارَأِينَ لَقَدْ  
أَوْتَصَدَّعْنَ عَنِّي لَكِنِّي بَا  
لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ لِشَيْبٍ فَضْلًا  
جَدًّا فَأَبْكِي تَمَاضِرًا وَلَعُوبًا  
دِيمًا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيبًا  
أَفْطَعِينَ مَنِيَّةً وَمَشِيبًا  
حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحَسَانِ ذُنُوبًا  
أَنْكَرَنْ مُسْتَنْكَرًا وَعَيْنَ مَعِيبًا  
شَيْبَ بَيْنِي وَبَيْنَهُنَّ حَسِيدًا  
جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْبًا

[قال الشريف المرادي] رضى الله عنه •• وجدت الأمدى يذكر ان قوماً ادعوا

المنافضة على أبي تمام في هذه الابيات بقوله • فابكا تماضرا ولعوبا • وقوله

خضبت خدها الى لؤلؤ العمة

بالسبب الثغام ذنبك أبى

وقوله • ولئن عين مارأين لقد • قالوا كيف يبكين دماً على شبيه ثم يهينه •• قال

الأمدي وليس ههنا تناقض لأن الشيب انما أبكى تماضرا ولعوب أسفا على شبابه والحسان

اللوآئي عنه غير هاتين المرأتين فيكون من أشفق عليه من الشيب منهن وأسف على شبابه بي كما قال الأخطل

لَمَّا رَأَتْ بَدَلَ الشَّبَابِ بَكَتْ لَهُ      إِنَّ الشَّيْبَ لِأَزْدَلُّ الْأَبْدَالِ

ولم يكن هذه حال من عابه قال وهذا مستقيم صحيح . [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وليس يحتاج في العذر لأبي تمام الى ما تكلفه الآمدي بل المناقضة زائلة عنه على كل حال . . وان كان من قد بي شبابه وتلف عليه من النساء من اللواتي أنكرن مشيه وعنته به وما المنكر من ذلك وكيف يتناقض أن يبكي على شبابه ونزول شيبه منهن من رأى الشيب ذنباً وعبياً منكرأ وفي هذا غاية المطابقة لانه لا يبكي الشيب ويجزع من حلوله وفراق الشباب إلا من رآه منكرأ ومعيبأ . . وقال أبو تمام

رَأَحَتْ غَوَائِي الْحَيَّ عَنْكَ غَوَانِيَا      يَلْبَسُنَّ نَأِيَا تَارَةً وَصُدُودَا  
 مِنْ كُلِّ سَابِغَةِ الشَّبَابِ إِذَا بَدَتْ      تَرَكْتُ عَمِيْدَةَ الْقَرِيْبَيْنِ عَمِيْدَا  
 أُرْبِيْنَ بِالْمُرْدِ النَّطَارِفِ بُدْنَا      غَيْدَا أَلْفَيْهِمُ الْإِدَانَا غَيْدَا  
 أَحْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ وَأَقْمَا      مَنْ كَانَ أَشْبَهُهُمْ بَيْنَ خُدُودَا

او قوله - أربين بالمرد - من أرب بالشيء اذا لزمه وأقام عليه يقال أرب وألب بالمكان اذا أقام فيه ولزمه يريد أنهن لزمهن هوى المرء وأقن عليه . . ورواه قوم أربين بالمرء من لربا الذي معناه الزيادة يقال قد أربا الرجل اذا ازداد فيقول أربين بالمرء أى ازددن علينا بهم وجعلن المرء زيادة اخترتها علينا . . ويقال انه أخذ قوله - أحلى الرجال من النساء - البيت من قول الأعتى

وَأَرَى الْغَوَائِي لَا يُوَأِصِلُنَّ امْرَأً      فَقَدْ الشَّبَابَ وَقَدْ يَصِلُنَّ الْأَمْرَدَا<sup>(١)</sup>

(١) وقوله

أنوى وقصر ليه لزودا      فضى وأخاف من قتيلة وعدا

ولنصور الفري قوله

كِرِهْنٍ مِنَ الشَّيْبِ الَّذِي لَوْ رَأَيْتَهُ  
بَيْنَ رَأْيَتِ الطَّرْفِ عَنْهُنَّ أُرْوَرَا  
وقول الآخر

أَرَى شَيْبَ الرَّجَالِ مِنَ الْعَوَانِي  
كَمَوْ قَعِ شَيْبِنٍ مِنَ الرَّجَالِ  
•• وقال أبو تمام

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مُشَيْبَ الرَّأْسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْعُوَادِ  
وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُوْسٍ وَتَعِيمٍ ظِلَانِعُ الْأَجْسَادِ  
طَالَ إِنْسَكَارِي الْبِيَاضَ وَإِنْ عُمِّرْتُ شَيْئًا أَنْكَرْتُ لَوْنَ السَّوَادِ  
زَادَنِي شَخْصُهُ بِطَلْعَةِ ضَيْمٍ عَمَّرَتْ مَجْلِسِي مِنَ الْعُوَادِ  
نَالَ رَأْسِي مِنْ تُفْرَةِ الْهَمِّ دَاهٍ لَمْ يَنْلُهُ مِنْ تُفْرَةِ الْمِيلَادِ

ومعنى البيت الأخير ان التفرفة وهي الفرجة والثلمة تكون في الشيء ولذلك سمي كل  
بلية جاور عدواً تفرأ كأن معناه مكشوف للعدو ويجوز أن يكون أصله من تفر الالسان  
لأنه أول ما يقابلك من أسنانه وأول ما يظهر عند الكلام وأول ما يستط فيري مثلوماً  
فيشبه اشعر الذي هو البلدة به ويقال أتفر الصبي وأتفر وتسمى تلك الفرجة في موضع

بمحمد بن دحي بالهناز واقتضى دحي اذا وقد انعاس الرقدا

وأرى الفرواني الخ •• روي عن اسحاق الموسلي قال حدثني أبي قال غنيت بين يدي  
الرشيد وستارته منصوبة

وأرى الفرواني لا يواصلن امرأً فقد الشباب وقد يصلن الأمردا  
فطرب واستعاده وأمر لي بما لم أردت ان أنصرف قال لي يا عياض كذا وكذا أنفني  
بهذا الصوت وجواري من وراء ستارة يسمعه لولا حرمتك لضربت عنقك فتركته  
والله حق السبته

السن ثفرة وفي كل موضع منفرج ومنه ثفرة النحر وأراد بقوله  
 \* نال رأسى من ثفرة الهم \* أى وجد الشيب من الهم فريحة دخل على رأسى منها لأن  
 الهم يشيب لا محالة . . . وقوله \* ما لم ينله من ثفرة الميلاد \* أراد بثفرة الميلاد الوقت الذى  
 بهجم عابه فيه الشيب من عمره لأنه يجد السبيل في ذلك الوقت الى الحلول برأسه فجعله  
 ثفرة من هذا الوجه فأراد ان الشيب حل برأسه من جهة همومه وأحزانه ما لم يبالغ  
 السن التى يوجب حلوله به من حيث كبره . . . [ قال الشريف المرتضى ] رضى الله عنه  
 ورأيت الآمدى يطمئن على قوله \* عمرت مجلى من العواد \* ويقول لاحقة طهنا  
 ولا معنى لإنا مارأينا ولا سمعنا أحداً جاءه عواده يعودونه من الشيب ولا أن أحداً  
 أمرضه الشيب ولا عزاء المدزون عن الشباب وهذا من الآمدى قلة بصر فى نقد  
 الشعر وضعف بصره بدقيق معانيه التى يفوس عليها حذاق الشعراء ولم يرد أبو تمام  
 بقوله \* عمرت مجلى من العواد \* العبادة الحقيقية التى يشوقها العواد مجالس المرضى  
 وذوى الأوجاع وإنما هذه استمارة وتشبيه وإشارة الى الغرض خفية فكانه أراد ان  
 شخص الشيب لما زارني كثر المتوجعون لى والمتأسفون على شباني والمتفجعون من  
 مفارقتهم فكانهم في مجلس عواد لى لان من شأن العائد للمريض أن يتوجع ويتفجع  
 وكفى بقوله \* عمرت مجلى من العواد \* عن كثرة من تفجع وتوجع من مثبيه  
 وهذا من أبى تمام كلام في نهاية البلاغة والحسن وما المعبى إلا من عابه وطمئن عليه  
 ونحن نذكر في المجلس الآتى ما للبعثرى في هذا المعنى بمشيئة الله وعونه ان شاء الله

### مجلس آخر ٤٧

[ تأويل آية ] . . . إن سأل سائل عن قوله تعالى ( هو الذى أنزل من السماء ماء لكم  
 منه شراب ومنه شجرة فيه تسمىون ) . . . فقال اذا كان الشجر ليس ببعض للماء كما كان  
 الشراب بعضاً له فكيف جاز أن يقول تعالى ومنه شجر بعد قوله منه شراب وما معنى  
 تسمىون وهل الغائدة في هذه اللفظة هي الغائدة في قوله تعالى ( والخليل السومة )

وقوله تعالى ( وأمطرنا عليهم حمارة من سجيل منضود مسومة عند ريك ) .. الجواب قلنا في قوله تعالى ( منه شجر ) وجهان .. أحدهما أن يكون المراد ومنه سقى شجر وشرب شجر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وذلك كثير في لغة العرب ومثله قوله تعالى ( وأشربوا في قلوبهم العجل ) أي حب العجل .. والوجه الآخر أن يكون المراد ومن جهة الماء شجر ومن سقيه وإنبأه شجر فحذف الأول وخلفه الثاني كما قال عوف بن الحر

أَمِنْ آلِ لَيْلَى عَرَفْتُ الدِّيَارَا      بِمَجْنَبِ الشَّقِيقِ خَلَاءَ قَمَارَا

أى من ناحية آل ليلي .. وقال زهير

أَمِنْ أَمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلِّمْ      بِجَوْمَانَةَ الدَّرَاجِ فَالْمُتَلَّمِ

أراد من ناحية أم أوفى .. وقال أبو ذؤيب

أَمِنْكَ الْبَرْقُ أَرْقُهُ فِهَاجَا      قَبْتُ إِخَالَهُ دَهْمًا خِلَاجَا

.. وقال أيضاً

أَمِنْكَ بَرْقُ أَيْبَتِ اللَّيْلِ أَرْقُبُهُ      كَأَنَّهُ فِي عِرَاصِ الشَّامِ مِصْبَاحُ

.. وقال الحمدي

لَمِنِ الدِّيَارِ عَقُونَ بِالتَّهْطَالِ      بَقِيَّتِ عَلَيَّ حَجِيجِ خَلُونَ طَوَالِ

أراد بقيت على مر حجيج وتكرار حجيج .. فأما قوله تعالى ( فيه تسمون ) فعناه ترعون وترسلون أنعامكم يقال أسام الأبله يسيما أسامة إذا أرهاها وأطاقها فرعت منصرفه حيث شاعت وسومها أيضاً يسومها من ذلك وسامت هي إذا رعت فهي تسوم وهي ابله سامئة ويقال سمنها إذا قصرتها على مرعى بعينه وسممها الخسف إذا تركها على غير مرعى ومنه قيل لمن أذل وأضيم واعتضم سيم فلان الخسف وسيم خطة الضيم .. قال الكمي بن زيد في الاسامة التي هي الاطلاق في الرعي

رَاعِيًا كَانَ مُسِيًّا فَفَقَدْنَا      وَوَقَدْنَا الْمُسِيْمَ هَلْكَ السَّوَامِ

٠٠ وقال آخر

وَأَسْكُنُ مَا سَكَنْتَ بَيْطُنِ وَاِدٍ وَأُظْمِنُ مَا ظَمَنْتَ فَلَا أُسِيمُ

وزهب قوم الى ان السوم في البيع من هذا لأن كل واحد من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زيادة ثمن أو نقصانه الى ما يهواه كما تذهب سوام الابل من المواشي حيث شاءت ٠٠ وقد جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس فله قوم على ان الابل وغيرها لا تنام قبل طلوع الشمس اثلاث سنين وتغوت الراعي ويمخى عليه مقاصدها وحله آخرون على ان السوم قبل طلوع الشمس في البيوع مكروه لأن السعادة المبيعة تستر عيوبها أو بعضها فيدخل ذلك في بيع الغرر النهي عنها ٠٠ وأما الخليل المسومة فقد قيل انها المعلمة بعلامات مأخوذة من السياه وهي العلامة ٠٠ وروى عن الحسن البصرى في قوله تعالى ( والخليل المسومة ) قال سومت نواصيها وأذناها بالصوف ٠٠ وقيل أيضاً ان المسومة هي الحسان وروى عن مجاهد في قوله تعالى ( والخليل المسومة ) قال هي المعلمة الحسان ٠٠ وقال آخرون بل هي الزاعية وقد روى ذلك عن سعيد بن جبير وكل يرجع الى أصل واحد وهو معنى العلامة لأن تحبين الخليل يجري مجرى العلامة فيها التي تعرف بها وتميز لمكانها وقد قيل ان السوم من الراعي يرجع الى هذا المعنى أيضاً لأن الراعي يجعل في المواضع التي يرعاها علامات أو كعلامات بما يزيله من نباتها ويمحوه من آثارها فكان الأصل في الكل متفق غير مختلف ٠٠ وقال ليلى في التوسيم الذي هو التعليم

وَعَدَاةُ قَاعِ الْقَرَيْنَيْنِ أَتَيْتَهُمْ زَهُوًا يَلُوحُ خِلَالَهَا التَّوَسِيمُ

أراد التعليم ٠٠ وأما قوله في الملائكة (مسومين) فالمراد به معلمين ٠٠ وكذلك قوله تعالى ( حجارة من سجيل منضود مسومة ) أي معلمة وقيل انها كان عليها كأمثال الخواصم وقال في الملائكة مسومين أي معلمين ٠٠ [قال المرتضى] رضى الله عنه ونعمود الى ما كنا وعدنا به من ذكرنا للبعثرى في ذم الشيب والتألم من فقد الشباب فمن ذلك قوله

وَكُنْتُ أَرْجِي فِي الشَّبَابِ شِفَاعَةً فَكَيْفَ لِبَاغِي حَاجَةٌ بِشَفِيعِهِ

مَشِيبٌ كُنْتُ السِّرِّ أَعْيَى بِحَمَلِهِ      مَحْدَتُهُ أَوْضَاقَ صَدْرٍ مُدْبِئِهِ  
تَلَّاحِقَ حَتَّى كَادَ يَأْتِي بِطَيْئِهِ      لِحْتِ اللَّيَالِي قَبْلَ آتِي سَرِيئِهِ

وما أحسن هذا من كلام وأبلغه وأطبعه ٠٠ وقال أيضاً

رُدِّي عِلي الصِّبَا إِنْ كُنْتُ فَاعِلَةً      إِنْ الصِّبَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِي وَلَا أَرِي  
جَاوَزَتْ حَدَّ الشَّبَابِ النَّضْرَ مُلْتَمِتًا      إِلَى بَنَاتِ الصِّبَا يَرْكُضْنَ فِي طَلْبِي  
وَالشَّيْبُ مَهْرَبٌ مِنْ جَارِي مَنِيئِهِ      وَلَا نَجَاءَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْهَرَبِ  
وَالمرءُ لَوْ كَانَتْ الشِّعْرَى لَهُ وَطَنًا

صَبَّتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ صَبَبٍ (١)

(١) الأبيات من قصيدة له يمدح بها اسماعيل بن بليلى مطلعها

اليك ما أنا من هو ولا طرب      منبت مئى بقلب غير منقلب  
ردى على الصببا إن كنت فاعلة      ان الهوى ليس من شأني ولا أربي  
جاوزت حد الشباب النضر ملتفتاً      الى بنات الصبا يركضن في طلبي  
والشيب مهرب من جاري منيته      ولا نجاء له من ذلك الهرب  
والمرء لو كانت الشعري له وطناً      حطت عليه صروف الدهر من صبب  
قد أقذف العيس من ليل كان له      وشياً من التور أو أرضاً من العشب  
حتى إذا ما أنجحت أخراه عن أفق      مضمخ بالصبايح الورد مختضب  
أوردت صادية الآمال فانصرفت      بريها وأخذت النجيج من كذب  
هاتيك أخلاق اسماعيل في تعب      من العلى والعالى منهن في تعب  
أنعت شكري فأضحى منك في نصب      فاذهب فالى في جدواك من أرب  
لا أقبل الدهر نيلاً لا يقوم به      شكري ولو كان مسديه المي أبى  
لما سأنتك وافانى نذاك على      أضعاف ظني فلم أخفق ولم أخب

(١٠ - امالى ثالث)

ويروى - حطت عليه صروف - ٥٥ وقال الجعفرى

لَأَيْسُ مِنْ شَيْبَةٍ أُمِّ نَاضٍ  
وَإِذَا مَا امْتَعْضَتْ مِنْ وَلَعِ الشَّيْبِ  
لَيْسَ يَرْضَى عَنِ الزَّمَانِ مَرُوءٌ  
وَالْبَوَاقِي مِنَ اللَّيَالِي وَإِنْ خَا  
نَاكَرَتْ لِمَتَى وَنَاكَرَتْ مِنْهَا  
شَعْرَاتٌ أَقْصَهُنَّ وَبَرَّجَهُ  
وَأَبَتْ تَرَكيِّ القُدِّيَّاتِ وَالْآ  
غِيْرَ تَقَعُ إِلَّا التَّمَلُّلُ مِنْ شَخْ  
وَرَوَاهُ المَشَيْبُ كَالْبَحْصِ فِي عِدِ  
طَبْتُ نَفْسًا عَنِ الشَّبَابِ وَمَا سِ  
قَهْلِ الحَادِثَاتِ يَا بِنَّ عُوَيْفِ

وقال أيضاً

تَعِيبُ النَّاِيَّاتِ عَلَيَّ شَيْبِي  
وَمَنْ لِي أَنْ اْمْتَعْ بِالْمَعِيبِ

فتك ذا الشعبة الطولي فلم يصب  
أبى على حاله من نائل النشب  
عنه جيمعاً ولم تشهد ولم تقب  
مسبوكة اللفظ والمعنى من الذهب  
بالفعل منك وبعض المدخ من كذب

لم يخط مابض خلصات نعمدها  
لأشكرتك إن الشكر نائله  
بكل شاهدة للقوم قائبة  
مرصوفة باللالى من نوادرها  
ولم أحبك في مدح تكذبه

وَوَجَدِي بِالشَّبَابِ وَإِنْ تَوَلَّى  
حَمِيدًا دُونَ وَجَدِي بِالمَشَيْبِ

وقال أيضاً

أُرَيْتُهُ مِنْ بَعْدِ جَثَلٍ فَاحِمٍ  
فَمَجِبَتْ مِنْ حَالَيْنِ خَالَفَ فِيهِمَا  
إِنَّ الزَّمَانَ إِذَا تَتَابَعَتْ خَطْوُهُ  
سَبَقَ الطَّلُوبَ وَأَذْرَكَ المَطْلُوبَا

وقال أيضاً

رَأَتْ فَلَنَاتِ الشَّيْبِ فابْتَسَمَتْ لَهَا  
أَعَانِكَ مَا كَانَ الشَّبَابُ مُقَرَّرِي  
وَقَالَتْ نَجُومٌ لَوْ طَلَعْنَ بِاسْمِعِدِ  
إِلَيْكَ فَالْحَى الشَّيْبُ إِذْ كَانَ مُبْعَدِي

وقال أيضاً

غَشَّتْ كَبْدِي قَسْوَةٌ مِنْكَ مَا إِنْ  
وَحَمَمَتْ عَنْكَ ذَنْبَ المَشَيْبِ  
وَمَنْ يُطْلَعُ شَرْفَ الأَرْبَعِينَ  
يُحْيِي مِنَ الشَّيْبِ زُورًا غَرِيبَا

[ قال الشريف المرتضى رحمه الله ٠٠٠ ولي في هذا المعنى ]

فَلَنْ لَمَّا رَأَيْنَ وَخَطَا مِنْ الشَّيْبِ بِرَأْسِي أَعْيَ عَلِيٌّ مَجْهُودِي  
كَسْنَا بَارِقِ تَمَرَضَ وَهَنَا فِي حَوَاشِي بَعْضِ الأَيَّامِ السُّودِ  
أَبْيَاضُ مُجَدِّدٍ مِنْ سَوَادِ  
بِالعَاكِنِ مِنْ رَمَا كُنَّ بِالحُسْنِ  
كَانَ قَدَمَا لَمْ مَرَّحَبَا بِالجَدِيدِ  
نِ لَتَقَهَّرُنَا بِتَغْيِيرِ جُنُودِ  
لَيْسَ بِيضٌ مَنِّي فَاجْرِي عَلَيْهِ  
نِ صُدُودًا أَوْ لَيْسَ فَيَكُنُّ سُدُ  
قَلَّ مَا ضَرَّ كُنَّ مِنْ شَعْرَاتِ  
كُنَّ يَوْمًا عَلِيٌّ الوَقَارِ شُهُودِي

وقال البحتري أيضاً

خَلِيَاءُ وَجِدَّةَ اللَّهْوِ مَاذَا  
مَرَدَاهُ الشَّبَابِ غَضًّا جَدِيدًا  
إِنَّ أَيَّامَهُ مِنَ الْبَيْضِ بَيْضٌ  
مَا زَايَنَ الْمَفَارِقَ السُّودَ سُوْدًا

وقال أيضاً

تَرَكَ السُّوَادَ لِلْإِسِيهِ وَيَيْضًا  
وَسَبَاهُ أَعْيَدُ فِي تَصَرُّفِ لِحْظِهِ  
فَكَأَنَّهُ وَجَدَ الصَّبَا وَجَدِيدَهُ  
وَأَسْفَانَ أَثْرِي مِنْ جَوَى وَصَبَابِهِ  
وَنَضًا مِنَ السَّيْنِ عَنْهُ مَا نَضًا  
مَرَضٌ أَعْلَى بِهِ الْقُلُوبَ وَأَمْرَضًا  
دِينًا دَنَا مِيقَاتُهُ أَنْ يُقْتَضَى  
وَأَسَافَ مِنْ وَصَلِ الْحِسَانِ وَأَنْقَضَا<sup>(١)</sup>

ويروي - اسوان - ٥٥ - وقال أيضاً

هَلْ أَنْتِ صَارِفٌ شَبِيهَةٌ إِنْ غَلَسَتْ  
جَاءَتْ مُقَدِّمَةً أَمَامَ طَوَالِعِ  
وَأَخُو الْغَيْبَةِ تَاجِرٌ فِي لَمَّةٍ  
لَا تَكْذِبِينَ فَا الصَّبَا بِمُخْلَفِ  
وَأَرَى الشَّبَابَ عَلِيَّ غَضَارَةَ حُسْنِهِ  
فِي الْوَقْتِ أَوْ عَمِلَتْ عَنِ الْعِيَادِ  
هَدْيِي تَرَاوِحِي وَتِلْكَ تَفَادِي  
يَشْرِي جَدِيدَ بِيَاضِهَا بِسُوَادِ  
لَهُوًّا وَلَا زَمَنُ الصَّبَا بِعِمَادِ  
وَجَالِهِ عَدَدًا مِنَ الْأَعْدَادِ

وقال أيضاً

أَيْدِي الشَّبَابِ أَمْ مَا تَوَلَّى  
لَا أَرَى الْعَيْشَ وَالْمَفَارِقُ بَيْضٌ  
وَأَعْدُ الشَّقِيَّ جَدًّا وَلَوْ أَعَا  
مِنْهُ فِي الدَّهْرِ دَوْلَةٌ مَا تَعُوذُ  
إِسْوَةَ الْعَيْشِ وَالْمَفَارِقُ سُوْدُ  
طِيَّ غُنْمًا حَتَّى يُقَالَ سَمِيذُ

(١) - أساف - الرجل إذا هلكت ابنته

مَنْ عَدَّتْهُ الْعِيُونَ وَالْأَصْرَفَتِ عِندَ  
وَقَالَ أَيْضاً

قَدِمَنِي فَمَا جَرِي السَّقْمُ إِلَّا  
لَوْ رَأَتْ حَادِثَ الْخَضَابِ لَأَنْتَ  
كَأَنَّ الْبَيْضَ بِالْمُعَمَّرِ قَدْرًا  
يَتَشَاغَفْنَ بِالْفَرِيرِ الْمُسَمَّى

وَقَالَ أَيْضاً

أَخِي إِنْ الصَّبَا أَسْتَمَرَ بِهِ  
تَصِدُّ عَنِّي الْحِسَانُ مُبْعَدَةً  
شَيْبٌ عَلَيَّ الْمَفْرُقِينَ بِأَرْضُهُ  
تَطْلُبُ عِنْدِي الشَّبَابَ ظَالِمَةً  
لَا مَعْجَبٌ إِنْ مَلَيْتِ خَلَّتْنَا  
مَنْ يَتَطَاوَلُ عَلَيَّ مَطَاوَلَةَ الْعَامِ

سِرُّ اللَّيَالِي فَانْهَجَتْ بُرْدُهُ  
إِذَا نَالَ اقْرَبَهُ وَلَا صَدَدُهُ  
يَكْثُرُنِي أَنْ أَيْبَنُهُ عَدَدُهُ  
بُعِيدَ خَمْسِينَ حِينَ لَا تَجِدُهُ  
فَأَنْتَقِدَ الْوَصَلَ مِنْكَ مُفْتَقِدُهُ  
شِئْنٌ تَقْتَعُ مِنْ مَلَّةِ عَمْدِهِ

[ قال الشريف المرتضى ] رضى الله عنه . و رأيت الآمدى وقد أخطأ في معنى البيت الأخر لانه قال معنى يتقمع من مله عمدته أى عظامه بجيها صوت اذا قام وقعد من كبره وضعفه قال وقوله - من مله - أى من تلى العيش يريد طوله ودوامه ومنه تمليت حبيبك والأمر بخلاف ما توهمه ومعنى - تقمع من مله عمدته - أى من تطاول عمره تعجل ترحله وانتقاله من الدنيا وكفى عن ذلك بتقمع العمدة وهذا مثله معروف للعرب يقولون من يجمع يتقمع عمدته يريدون أن التجمع داعى التفرق وان الاجتماع يعقب ويورت ما يدعو الى الانتقال الذى يتقمع معه العمدة . [ قال الشريف المرتضى ] رضى الله عنه والآمدى مع كثرة ما يدعيه من التقيب والتقير على علوم العرب ان كان لم

يعرف هذا المثل ومعناه فهو طريقه وان كان قد سمعه وجهله ان معنى بيت البحترى يطابقه فهو أطرف . . فأما قوله - من مله - فإما أراد به من ملك وملة فعلة من المثل وكيف يكون من تملى العيش ولم يسمع في تمليت مله وهذا خطأ على خطأ . . وقال البحترى  
 مَا كَانَ شَوْقِي يَبْدَعُ يَوْمَ ذَلِكَ وَلَا  
 دَمْعِي بِأَوَّلِ دَمْعٍ فِي الْهَوَى سَفْحًا  
 وَإِمَّةٌ كُنْتُ مَشْفُوفًا بِحِدَّتِهَا  
 فَاغْفَى الشَّيْبُ عَنْهَا لَا وَلَا صَفْحًا  
 وَقَالَ أَيْضًا

وَمَا أَنَسَ لَا أَنَسَ عَهْدَ الشَّبَابِ  
 كَوَاكِبُ شَيْبٍ عَاقَنَ الصَّبَا  
 وَإِنِّي وَجَدْتُ وَلَا يَكْذِبِينَ  
 وَلَا بَدُ مِنْ تَرْكِ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ  
 وَعَلَوَةٌ إِذْ عَيَّرْتَنِي الْكَبِيرَ  
 فَقَلَّلَنَ مِنْ حُسْنِهِ مَا كَثُرَ  
 سَوَادُ الْهَوَى فِي بَيَاضِ الشَّعْرِ  
 إِمًّا الشَّبَابِ وَإِمًّا الْعُمُرَ

قال الآمدي وعليه في قوله - ولا بد من ترك إحدى اثنتين - معارضة وهو أن يقال ان من مات شاباً فقد فارق الشباب وفاته العمر فهو تارك لها معاً ومن شاب فقد فارق الشباب وهو مفارق للعمر لا محالة فهو أيضاً تارك لها جميعاً . . وقوله إما وإما لا توجب الا أحدهما قال والعدو للبحترى أن يقال انه من مات شاباً فقد فارق الشباب وفاته العمر وحده لانه لا يعمر فيكون مفارقاً للعمر ألا ترى أنهم يقولون عمر فلان اذا أسن وفلان لم يعمر اذا مات شاباً ومن شاب وعمر ثم مات لم يكن مفارقاً للشباب في حال موته لانه قد قطع أيام الشباب وتقدمت مفارقتة له وإنما يكون في حال موته مفارقاً للعمر وحده فالى هذا ذهب البحترى وهو صحيح ولم يرد بالعمر المدة القصيرة التي يعمرها الانسان وإنما أراد بالعمر ههنا الكبير كما قال زهير

رَأَيْتُ الْمُنَايَا خَبِطَ عَشْوَى فَنُصِبَ  
 تَمْتَهُ وَمَنْ تَخَطَّى يُعْمَرُ فِيهِرَمَ

[ قال الشريف المرتضى ] رضى الله عنه . . وما رأيت أشد تهافتاً في الخطأ منه فيما يفسره ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين ومعنى البيت غير ما توهمه وهو أظهر من

أن يخفى حتى يحتاج فيه الى هذا التمايل والتعسف وانما أراد البحرى ان الانسان بين حالين إما أن يفارق الشباب بالشيب أو العمر بالموت فمن مات شاباً وان كان قد خرج من العمر وخرج بجزوجه عن سائر أحوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما فانه لم يفارق الشباب وحده وانما فارق العمر الذى فارق بفارقه الشباب وغيره وقسمه الرجل تناولت أحد الأمرين إما مفارقة الشباب وحده بلا واسطة ولا يكون ذلك إلا بالشيب أو مفارقة العمر بالموت وتاخيص كلامه إنه لا بد للهي من شيب أو موت فكان الشيب والموت متعاقبان والبحترى انما جعل قوله العمر مقام قوله الحياة والبقاء وانما قال العمر لأجل الغافية مع انه مبين عن مراده ولو قال ولا بد من ترك الحياة أو ترك الشباب لغام مقام قوله العمر . . أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن محمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد الله قال من معاني ابن الرومي التي فتنها قوله يذم من جعل مصيبة غيره مصيبة له وعاب من تعامل بالناسي بما نال غيره وهو يرتفي شبابه وأحسن

|  |  |
|--|--|
| يا شباي وأين مني شباي                  | أذنتني أيامه بانقضاب                     |
| لَهْفَ نَفْسِي عَلَي نَعِيمِي وَهَوِي  | تَحْتَ أَفْنَانِهِ اللَّدَانِ الرَّطَابِ |
| وَمَمَزَ عَنِ الشَّبَابِ مُوسَى        | بِشَيْبِ اللَّدَاتِ وَالْأَصْحَابِ       |
| قُلْتُ لِمَا أَتَنَحَى بُعِيدَ أَسَاةٍ | بُصَابِ شَبَابِهِ كَمُصَابِ              |
| لَيْسَ تَأْسُوكُلُومُ غَيْرِي كُلُومِي | مَا بِهِ مَا بِهِ وَمَا بِي مَا بِي      |

ولابن الرومي

|  |                                     |
|--|-------------------------------------|
| لَهْفِي عَلَي الدُّنْيَا وَهَلْ لَهْفَةٌ | تَنْصِفُ مِنْهَا إِن تَلَهَّفْتُمَا |
| فَبُحَا لَهَا فُبْحَا عَلَي أَنَّهَا     | أَقْبَحُ شَيْءٍ حِينِ كَشَفْتُمَا   |
| وَقَدْ يُعْزِي شَبَابُ مَضَى             | وَلَذَّةُ اللَّعِيشِ اسْلَفْتُمَا   |
| فَكَرَرْتُ فِي خَمْسِينَ عَامًا مَضَتْ   | كَانَتْ أُمَامِي ثُمَّ خَلَّفْتُمَا |

جِيلَتِهَا إِذْ هِيَ مَوْفُورَةٌ      ثُمَّ مَضَتْ عَنِّي فَمَرِّفَتِهَا  
 قَفْرَحَةُ الْمَوْهُوبِ أُعْدِمَتِهَا      وَتَرْحَةُ الْمَسْلُوبِ أَحَقَمَتِهَا  
 لَوْ أَنَّ عَمْرِي مِائَةٌ هَدَانِي      تَذَكَّرِي أَنِّي تَنَصَّفَتِهَا

وله في هذا المعنى وقد تقدمت هذه الأبيات في الأمالي السالفة وقد أحسن فيها كل

الإحسان

كَفَى سِرَاجَ الشَّيْبِ لِلرَّأْسِ هَادِيَا      لِمَنْ قَدْ أَضَلَّتْهُ الْمَنَايَا لِيَايَا  
 أَمِنْ بَعْدِ إِبْدَاءِ الشَّيْبِ مِقَاتِلِي      لِرَأْيِ الْمَنَايَا تَحْبِيبِي نَاجِيَا  
 غَدَا الدَّهْرُ يَزِمْنِي فَتَدْنُو سِهَامُهُ      لِشَخْصِي أَخْلِقُ أَنْ يُصْبِحَ سَوَادِيَا  
 وَكَانَ كَرَامِي اللَّيْلِ بَرِيًّا وَلَا يَرِي      فَلَا أَضَاءَ الشَّيْبُ شَخْصِي رَمَانِيَا



### ﴿ مجلس آخر ٤٨ ﴾

[ تأويل آية ] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى ( ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ) ٠٠ فقال كيف جاءت أو بعد ما لا يجوز أن يعطاف عليه وما الناصب لقوله تعالى ( أو يتوب عليهم ) وليس في ظاهر الكلام ما يقتضيه نصبه ٠٠ الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه ٠٠ أولها أن يكون قوله تعالى ( أو يتوب عليهم ) معطوفاً على قوله ليقطع طرفاً والمعنى أنه تعالى مجمل لكم هذا النصر ومنعكم به ليقطع طرفاً من الذين كفروا أي قطعة منهم وطائفة من جمعهم أو يكفهم ويعلمهم وهزمهم فيخيب سبهم وتكذب فيكم ظنونهم أو يعلمهم ما برؤن من تظاهر آيات الله تعالى الموجبة لتصديق نبيه عليه الصلاة والسلام فيتوبوا ويؤمنوا فيقبل الله تعالى ذلك منهم ويتوب عليهم أو يكفروا بعد قيام الحجج وتأكيدهم بالبينات والدلائل فيؤمنوا أو يتنلوا كالفرين فيعذبهم الله تعالى باستحقاقهم النار ويكون على هذا الجواب قوله

تعالى ( ليس لك من الأمر شيء ) معطوفاً على قوله تعالى ( وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ) أى ليس لك ولا لغيرك من هذا الأمر شيء وإنما هو من الله عز وجل . . . والجواب الثاني أن يكون أو بمعنى حق وإلا أن والتقدير ليس لك من الأمر شيء حتى يتوب عليهم وإلا أن يتوب عليهم كما قال امرؤ القيس

بكى صاحبي لما رأى الدّزب دونه      وأيقن أنا لاحقان بقيصراً<sup>(١)</sup>  
فقلت له لا تبك عينك إنما      نحاول ملكاً أو نموت فنعذراً

أراد إلا أن نموت فنعذراً وهذا الجواب يضعف من طريق المعنى لأن لقائل أن يقول إن أمر الخالق ليس إلى أحد سوى الله قبل توبة العباد وعقابهم وبعد ذلك فكيف يصح أن يقول ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم حتى كأنه إذا كان أحد الأمرين كان إليه من الأمر شيء . . . ويمكن أن ينصرف ذلك بأن يقل قد يصح الكلام إذا حل على المعنى وذلك إن قوله ( ليس لك من الأمر شيء ) معناه ليس يقع ما تريد وتؤثره من إيمانهم وتوبتهم أو ما تريد من استئصالهم وعذابهم على اختلاف الرواية في معنى الآية وسبب نزولها إلا أن يعلف الله تعالى لهم في التوبة فيتوب عليهم أو يعذبهم وتقدير الآية ليس يكون ما تريد من توبتهم أو عذابهم بك وإنما يكون ذلك الله تعالى . . . والجواب الثالث أن يكون المعنى ليس لك من الأمر شيء أو من أن يتوب الله عليهم فأضمر من اكتفاء بالأول وأضمر أن بعدها لدلالة الكلام عليها أو اقتضائه لها وهي مع الفعل الذى بعدها بمنزلة المصدر وتقدير الكلام ليس لك من الأمر شيء ومن توبتهم وعذابهم . . . [ قال المرتضى ] رضى الله عنه ووجدت أبا بكر محمد بن القاسم

( ١ ) قوله بكى صاحبي الخ . . . هو من قصيدته المشهورة ومطالعها

سما لك شوق بعد ما كان أبصراً      وحلت سايمي بطن قوٍ فعرعرا

قالها لما ذهب إلى قيصر يستنجد على بن أسد بعد قتلهم أباه وعنى بقوله صاحبي - عمرو ابن قيثبة من قيس بن ثعلبة بن مالك رهط طرفة وهو قديم جاهلى كان مع حجر أبي امرئ القيس فلما خرج امرؤ القيس إلى الروم صحبه

( ١١ - أمالي ثالث )

يعلم على هذا الجواب ويستبعده قال لان الفعل لا يكون محمولا على اعراب الاسم الجامد الذي لا تصرف له على إضمار أن مع الفعل لانه ليس في كلام العرب عجبت من أخيك ويقوم على معنى عجبت من أخيك ومن أن يقوم لأن أخاك اسم جامد محض لا يعلف عليه إلا ما شاكله قال هذا انما يستقيم ويصالح في رد الفعل الى المصدر كقولهم كرهت غضبك ويغضب أبوك على معنى كرهت غضبك وان يغضب أبوك فيطرد هذا في المصادر لانها تؤل بأن فيقول النحويون يعجبني قيامك وتأويله يعجبني أن تقوم قال والاسم الجامد لا يمكن . مثل هذا فيه . [ قال الشريف المرتضى ] رضى الله عنه وليس ما ذكره مستبعداً وان لم يضعف هذا الجواب إلا من حيث ذكر فليس ينهيف وذلك ان فيما امتنع منه مثل الذى أجاز له لانه قد أجاز ذلك في المصادر وان لم يجره في غيرها وقوله تعالى ( ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهم ) فيه دلالة الفعل لان الأمر مصدر أمرت أمراً فكانه تعالى قال ليس لك من أمرهم أو تأمرهم شئ ولا من أن يتوبوا وجرى ذلك بجرى قولهم كرهت غضبك ويغضب أبوك في رد الفعل الى المصدر والوجه الأول أقوى الوجود والله أعلم بما أراد

[ تأويله خبر ] ٥٠ إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تناجشوا ولا تدابروا وكل المسلم على المسلم حرام دمه وعرشه . . الجواب قيل له أما النجش فهو المدح والاطراء . . قال نابغة بني شيبان يذكر الحمر وتُرْحِي بِأَلٍ مِنْ يَشْرِبُهَا وَنَفَدَى كَرْمَهَا عِنْدَ النَّجْشِ<sup>(١)</sup>

(١) هو من قصيدة له مشهورة روى ان أباكامل مولى الوليد بن يزيد غنى يوماً بحضوره

أمدح الكاس ومن أعماها واهج قوماً قتلونا بالعطش

فسأل الوليد عن قائل هذا الشعر فقيل نابغة بني شيبان فأمر باحضاره فاستنشده القصيدة فأشده إياها وظن ان فيها مدحاً له فاذا هو يتنخر بقومه ومدحهم فقال له الوليد لو سعد جدك لكانت مدحاً فينا لا في بني شيبان ولستنا نخليك على ذلك من حظ ووصله

أى عند مدحها ومنه النجش في البيع وهو مدح السلعة والزيادة في ثمنها من غير  
 ارادة لشراؤها بل ليقتدى بالزائد في زيادته غيره وأصل النجش استخراج الشيء والتسعير  
 عنه . . قال بعض الفقهاء

أجرش لها يابن أبي كباش      فما لها اللبنة من إنفاس  
 غير الشرمي وسائق نجاش      اسمر مثل الحية الخشخاش

ويروى الخشخاش والنجاش والمستير لسيرها والمستخرج لما عند هامته وهي أجرش  
 لها أي أحد لها لتسمع الحداء فتسير وهو مأخوذ من الجرش وهو الصوت ومعنى

وانصرف . . وأول هذه القصيدة قوله

حل قلبي من سليمي نبلها      إذ رمتني بسهام لم نطش  
 طفلة الأعطاف رؤودمية      وشواها بخنزي لم يحش  
 وكان الدر في أخراسها      بيض كعلاء أقرته بعش  
 وطسا عينا مهة في مهي      ترتمي نبت خزامي وقش  
 حرة الوجه رخييم صوتها      رطب تجنيه كف المنقش  
 وهي من الليل إذا ما عونت      منية البعل وهم المفترش

. . ومنها

أهبها الساقى سقته مزنة      من ربيع ذى أهاضيب وطش  
 أمسح الكاس ومن أعملها      وأهيج قوماً قتلونا بالعش  
 انما الكاس ربيع باكر      فاذا ما غاب عنا لم نعش  
 وكان الشرب قوم مؤنوا      من يغم منهم لأمر يرتش  
 خرس الألسن بما نالهم      بين مصروع وصاح منعش  
 من حيا قرقف حصبة      قهوة حولية لم تمنعش  
 ينفع المزكوم منها ويجهها      ثم تنفي داهه إن لم تنش  
 كل من يشربها بألفها      ينفق الأموال فيها كل هش

الأفغاش - أراد أنها لا تترك ترعى ليلاً والنفس أن ترعى الأبل ليلاً وقد أفضتها إذا أرسلتها ليلاً ترعى - والحشاش - الخفيف الحركة السريع القلب .. والنجش في البيوع يرجع معناه الى هذا أيضاً من الزيادة لان الناجش ينشئ زيادته في العن ومده الساعاة الزيادة في نمها فيكون معنى الخبر على هذا لا تساجتوا أى لا يمدح أحدكم الساعاة فيزيد في نمها وهو لا يريد شراءها لیسعه غيره فيزيده وقد يجوز أيضاً أن يريد بذلك لا يمدح أحدكم صاحبه من غير استحقاق ليستدعي منفعة ويستتبر فائدة وهذا المعنى أشبه بأن يكون مراده عليه الصلاة والسلام لأن قوله ولا تدابروا أشد مطابقة له .. ومعنى لا تدابروا - أى لا تهاجروا ويوتى كل واحد منكم صاحبه دبر وجهه .. قال الشاعر

وأوصي أبو قيس بأن تتواصلوا      وأوصي أبوكم ويحكم أن تدابروا

فكانه قال عليه الصلاة والسلام لا تهاجروا ولا تتواصلوا بالمدح الذى ليس بمستحق ولا تهاجروا وتتقاطعوا .. فأما قوله عليه الصلاة والسلام - كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه - فقد ذهب قوم الى أن عرض الرجل انما هو سلفه من آياه وأمهاته وما جرى مجراهم وذهب ابن قتيبة الى أن عرض الرجل عرض نفسه واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر أهل الجنة فقال لا يبولون ولا يتغوطون انما هو عرق يجري من اعراضهم مثل الماء أى من ابدانهم قال ومنه قول أبي الدرداء أقرض من عرضك اليوم من قذفتك أراد من شتمك فلا تشتمه ومن ذكرك بسوء فلا تذكره به ودع ذلك قرضاً لك عليه ليوم الجزاء والقصاص .. واحتج أيضاً بحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أبعجز أحدكم أن يكون كآبى ضضم كان اذا خرج من منزله قال اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك قال فعناه قد تصدقت بنفسى وأحملت من بغتاجي فلو كان العرض الاسلاف ما جاز أن يحل من سب الموتى لان ذلك اليهم لا اليه .. قال ويدل على ذلك أيضاً حديث سيفيان بن عيينة لو أن رجلاً أصاب من عرض رجل شيئاً ثم تورع من بعده فجاء الى ورثته بعد موته فأحلوه لم يكن ذلك

كفارة له ولو أصاب من ماله شيئاً ثم دفعه الى ورثته لكننا نرى ان ذلك كفارة له  
قال ويدل على ان عرض الرجل نفسه قول حسان

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ (١)  
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرَضِي لِعَرَضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ  
أَتَهَجُّوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكَفَاءٍ فَشَرُّ كَمَا لِيخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ

أراد ان أبي وجدتي ونفي وقاء لنفس محمد صلى الله عليه وسلم . . . وقال آخرون  
وهو الصحيح العرض موضع المدح والثناء من الرجل فاذا قيل ذكر عرض فلان  
فمنه ذكر ما يرتفع به أو ما يقطع بذكره ويمدح أو يذم به وقد يدخل في ذلك ذكر  
الرجل نفسه وذكر آياه وأسلافه لان كل ذلك مما يمدح به ويذم والذي يدل على هذا  
ان أهل اللغة لا يفرقون في قولهم شتم فلان عرض فلان بين أن يكون ذكره في نفسه  
بتبجح الأفعال أو شتم سلفه وأباه ويدل عليه قول مسكين الدارمي

رَبِّ مَهْزُولٍ سَتَمِينٍ عَرَضُهُ وَسَتَمِينِ الْجَنَمِ مَهْزُولِ الْحَسْبِ (٢)

(١) روي انه لما انتهى الى هذا البيت قال له النبي صلى الله عليه وسلم جزاؤك على  
الله الجنة يا حسان ولما انتهى الى قوله \* فان أبي ووالده \* عرضي \* الخ قال صلى الله  
عليه وسلم وذاك الله يا حسان حر النار ولما انتهى الى قوله \* أتهجوه \* ولست له بكفاء \*  
الخ قال من حضر هذا أنصف بيت قائمه الدرب . . . وقوله . . . فشر كما لخيركما الفداء . . . قال  
السيهلي في ظاهر هذا اللفظ شناعة لأن المعروف أن لا يقال هو شرهما إلا وفي كلاهما  
شر وكذلك خير مثله ولكن سيويه قال تقول مررت برجل شر منك اذا نقص عن  
أن يكون مثله وهذا يدفع الشناعة عن الكلام الأول ونحو منه قوله عليه الصلاة  
والسلام شر صفوف الرجال آخرها يريد نقصان عظامهم عن حظ نصف الأول كما قال  
سيويه ولا يجوز أن يريد التفضيل في الشر والله أعلم

(٢) ذكر أبو علي التالي العرض بأنواعه فتركنا كل ما لا تعلق له بموضع البحث

فلو كان العرض نفس الانسان لكان الكلام متناقضاً لان السمن والهزل يرجعان الى  
 فقال والعرض أيضاً ما دم من الانسان أو مدح يقال فلان نقي العرض أى هو بريء  
 من أن يشتم أو يعاب واختلف فيه فقال أبو عبيدة عرضه أبأوه وأسلافه وخالفه ابن  
 قتيبة فقال عرضه جسده واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم في صفة أهل الجنة  
 لا يبولون ولا يتفوطون انما هو عرق يجرى من اعراضهم مثل المسك يهني من أبدانهم  
 ونصر شيخنا أبو بكر بن الانباري أبا عبيدة فقال ليس هذا الحديث حجة له لان  
 الاعراض عند العرب المواضع التي تعرق من الجسد قال والدليل على غلط ابن قتيبة  
 في هذا التأويل وصحة تأويل أبي عبيدة قول مسكين الدارمي

رب مهزول سمين عرضه وسمين الجسم مهزول الحسب

فنهأ رب مهزول البدن والجسم كريم الآباء قال وأما احتجاجه بيت حسان بن ثابت  
 فان أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

في أن العرض الجسم فليس كما ذكر لان معناه فان أبي ووالده وآبائي فأني بالعموم بعد  
 الخصوص ذكر الأب ثم جمع الآباء كما قال الله جل وعز ( ولقد آتيناك سبعاً من  
 المثاني والقرآن العظيم ) نفس السبع ثم أتى بالقرآن العام بعد ذكره إياها والذي قاله  
 ابن قتيبة قد قاله غيره ويمكن أن ينصر ابن قتيبة بيت مسكين ومعناه رب مهزول  
 الجسم سمين الحسب أي عظيم الشرف وسمين الجسم مهزول الحسب أي ضعيف  
 الشرف اه قلت وبعد بيت مسكين المتقدم

أ كسبته الورق البيض أباً ولقد كان ولا يدعي لأب

الورق يفتح الواو وكسر الراء وهي الدراهم المضروبة وكذلك الرقة والماء عوض عن  
 الواو وقوله ولا يدعي لأب أي ولا ينتسب من الدعوة بكسر الدال •• المعنى انه كان  
 مجهول النسب ولم يكن له أب يدعي اليه فلما أعطي ما لا ظهر له نسب واشتهر له أب يدعي  
 اليه •• وقوله ولقد كان الواو للحال واللام للتأكيد وقد للتحقيق وكان تامة فلا  
 تحتاج الى خبر •• وقوله ولا يدعي لأب جملة وقعت حالاً أيضاً وهي مضارع منى  
 جاء بالواو وهو قليل والأكثر يجيئه بلا واو

شئ واحد وإنما أرادت مهزول كريمة أفعاله أو كريم آباؤه وأسلافه .. وقد قال ابن عبد الأسد

وَإِنِّي لَأَسْتَعْفِي فَمَا أَبْطَرُ الْغِنَى      وَابْتَدُلُ مَيْسُورِي لِمَنْ يَبْتَعِي قَرَضِي

وَاعْسُرُ أَحْيَانًا فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي      وَادْرِكُ مَيْسُورَ الْغِنَى وَمَعِي عَرْضِي

ولا يليق ذلك إلا بما ذكرناه .. [ قال الشريف المرتضى ] رضى الله عنه وجدت أبا بكر ابن الأبياري قد رد على ابن قتيبة هذا وطعن على ما احتج به فقال في الحديث المروي عنه عليه الصلاة والسلام في وصف أهل الجنة ان المراد بالاعراض مغان الجسد .. وحكى عن الأُموي انه قال الاعراض المغاين التي تصرف من الجسد نحو الابطين وغيرهما وقال في حديث أبي الدرداء معناه من عابك وذكر أسلافك فلا تجازه ليكون الله تعالى هو المتعاب لك .. وقال في قول أبي ضمضم معناه انه أحل من أوصل اليه أذى بذكره وذكر آباؤه فلا يحل إلا من أمره اليه .. وقال في قول حسان المراد بعرضه أيضاً أسلافه فكأنه قال ان أبي ووالده وجميع أسلافى الذين أمدح وأذم من جهنم وقامه عليه الصلاة والسلام فأتى بالعموم بعد الخصوص كما قال الله تعالى ( ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ) فأتى بالعموم بعد الخصوص ولم أجدهم ذكر في خبر سفيان ابن عيينة شيئاً وتأويله يقرب من تأويل خبر أبي ضمضم لأن من آذى رجلاً بسبه في نفسه أو سب سلفه وأدخل عليه بذلك وضماً ونقصاً لم يكن الى ورثته بعد موته الاحلال من ذلك لأن الأذى لم يدخل عليهم ولو كان داخلاً عليهم أيضاً مع دخوله على المسبوب لكان إحلالهم مما يرجع الى غيرهم لم يصح على ان الاحلال من الضرر وسقوط العوض المستحق عليه وهله يسقط باسقاط مستحقة أم لافيه كلام ليس هذا موضعه وقد ذكرناه في مواضع .. وبعد فلو سلم لابن قتيبة ان المراد بالعرض في كل المواضع التي ذكرناها النفس دون السلف أو سلم له ذلك في بيت حسان خاصة فانه أقرب الى أن يكون المراد به ما ذكره لم يفسد فيها ذكرناه لأننا لم نقل ان العرض مقصور على سلف الاسلام بل ذكرنا انه موضع الذم والمدح من الانسان ولا فرق

بين سلفه ونفسه فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالعرض فيه النفس طعناً علينا وإنما ينفع ابن قتيبة أن يأتي بما يدل على أن العرض لا يستعمل إلا في النفس دون السلف وكل شيء ورد ما المراد بالعرض فيه النفس أو المراد به السلف فهو مؤكداً لقولنا في أن هذه اللفظة مستعملة في موضع الذم والمدح من الإنسان وإنما يكون ما استشهدنا به وما جرى مجراه مما يدل على استعمال لفظة العرض في السلف حجة على ابن قتيبة لأنه قصر معناها على النفس والذات دون السلف وهذا واضح بحمد الله . . أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال كان أبو عبيدة معمر بن المثنى سمرياً وكان يكتم ذلك فأنشد لعمران بن حطان<sup>(١)</sup>

أُنكرتُ بعدك من قد كنتُ أعرفهُ      ما للناسُ بعدك يا مرداسُ بالناس  
إِما تُكُنْ ذقتُ كأساً داراً أو لها      على القرونِ فذاقوا نَهْلَةَ الكاسِ  
قد كنتُ أبسِّكُك حيناً ثم قد نبستُ      نفسي فما ردَّ عني عبرتي ياسي  
وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا الأسناباداني قال قال الثوري كنت إذا أردت أن أبسط أبا عبيدة ذكرته بأخبار الخوارج فأبجع منه نبيج بحر حفته يوماً وهو مطرق ينكت في الأرض في صحن المسجد وقد قربت منه الشمس

(١) وهو أحد بني ذهل بن نعلبة وكان رأس الفعدة من السفرية وخطيبهم وشاعرهم وهذه الأبيات برئى بها أبا بلال وهو مرداس بن أدية وهي جدته وأبوه حدير وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة ورواية أبي العباس

|                               |                             |
|-------------------------------|-----------------------------|
| يارب مرداس اجعلني كمرداس      | يا عين بكى لمرداس ومسرعه    |
| في منزل موحش من بعد بيتاس     | ترصكتني هاماً أبكى لمرزاني  |
| ما للناس بعدك يا مرداس بالناس | أُنكرت بعدك من قد كنت أعرفه |
| على القرون فذاقوا جرعة الكاس  | إِما شربت بكأس دار أو لها   |
| منها بأنفاس ورد بعد أنفاس     | فكل من لم يذوقها شارب مجلا  |

فلمست عابه فلم يرد فنمئت

وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَاعَدَهُ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

والبيت لقطري بن النجاعة فنظر الى ثم قال ويحك أندري من يقوله قال قطري قال اسكت فض الله فاك فالأ قلت أمير المؤمنين أبو نعامة ثم اتبه فقال اكتبها على يانوري فقلت هي ابنة الأرض فأنشدني

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ جَاسَتْ حَيَاةٌ  
فَإِنَّكَ لَوْ طَلَبْتَ حَيَاةَ يَوْمٍ  
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا  
وَمَا طَوَّلُ الْحَيَاةِ بِثَوْبِ مَجْدٍ  
سَبِيلُ الْمَوْتِ مَسْجُوعٌ كُلِّ حَيٍّ  
وَمَنْ لَمْ يَغْتَبِطْ بِسَأْمٍ وَيَهْرَمَ  
وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ

مِنَ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَأْتِرَاعِي  
عَلَى الْأَجْلِ الَّذِي لَكَ لَنْ تَطْعَايَ  
فَمَا نَيْلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ  
فِيَطْوِي عَنْ أَخِي الْخَنْعِ الْبِرَاعِ  
وَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعِي  
وَيَقْضِي بِهِ الْقَضَاءِ إِلَى الْقَطْعِ  
إِذَا مَاعَدَهُ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ<sup>(١)</sup>

(١) رواية الحامسة

أقول لها وقد طارت شعاعاً  
فإنك لو سألت بقاء يوم  
فصبراً في مجال الموت صبراً  
وما ثوب الحياة بثوب من  
سبيل الموت غاية لكل حي  
ومن لا يغتبط بسأم ويهرم  
وما للمرء خيراً في حياة

من الأبطال ويحك لن تراعي  
على الأجل الذي لك لم تطعاي  
فانيله الخلود بمسْتَطاع  
فيطوي عن أخي الخنع البراع  
فداعيه لأهل الأرض داعي  
واسلمه الموت إلى القطع  
إذا ماعده من سقط المتاع

(١٢ - امالي ثالث)

فكتبها وقت لا امر ففقال اقمدم انشدني

إلى كم تغازبي السيوف ولا أرى  
أقارع عن دار الخلود ولا أرى  
ولو قرب الموت القراع لعداني  
أغادي جلاذء المعلمين كأنني  
واذعوا الكهامة للترال إذا القنا  
ولست أرى نفسا تموت وإن دانت  
ممازاتها تدعوا إلي حماما  
بقاء على حال لمن ليس باقيا  
لموتي أن يذفوا لطول قراعي  
على المسيل الماذي أصبح غاديا  
تخطم فيما يتنا من طمانيا  
من الموت حتى يبعث الله داعيا

فقال ابن دريد وهذا الشعر أيضاً لقطري . . أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال جثت أبا عبيدة يوماً ومعي شعر عمرو بن الورد فقال فارغ حل شعر فقير ليقرأه على فقير ففقت مامعي غيره فأنشدني أنت ما شئت فأنشدني

يارب ظل عقاب قد وقيت به  
ورب يوم حمى أزعى عقوته  
ويوم لهو لأهل الخفض ظل به  
مشهراً موافقي والحرب كاشفة  
ورب هاجرة تغلى مرآجلها  
تجناب أودية الأفرع آمنة  
فإن أمت حنت نفسي لا أمت كمدًا  
مهي من الشمس والأبطال تجلبد  
خيبي أفتساروا أطراف القنا قصد  
لهوى اصطلاء الوغا إذ نارهم قد  
عنها القناع ويحترق الموت يطرد  
صغريها عطايا غارة تحبذ  
كأنها أسد يقتادها أسد

على الطعان وقصر العاجر الكمد  
ولم أقل لم اساق القتل شاربة  
في كاسه والمعنايا ترفع ورذ

ثم قال لي هذا الشعر لا ما نعلقون به نفوسكم من أشعار الخائبات والشعر لقطري ٠٠  
أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم  
قال كان أبو عبيدة يأنس الي في أول ما اختلفت اليه ويسألني عن خوارج سجستان  
لانه كان يظنني على رأيهم وكنت أوهمه أنني منهم فالتفتي منه لذلك عنابة خاصة فكان  
كثيراً ينشدني أشعارهم ثم يمتن

أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا بِنَاً وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْ فُؤَادًا عَدُوًّا

قال وأنشدني يوماً رجلاً من طيء من الخوارج

لَا كَابِنٍ مِلْحَانٍ مِنْ شَارِخِي ثِقَةٍ أَوْ كَابِنٍ عَلَقِمَةٍ السُّسْتَشْهِدِ الشَّارِي  
مِنْ صَادِقٍ كُنْتُ أَصْفِيهِ مَجَالِصَتِي فَبَاعَ دَارِي بَأَعْلَى صَفْقَةِ الدَّارِ  
إِخْوَانُ صِدْقِي أَرْجِيهِمْ وَاحْذَرُهُمْ اشْكُوا إِلَى اللَّهِ إِخْوَانِي وَإِحْذَارِي  
فَصُرْتُ صَاحِبَ دُنْيَا لَسْتُ أَمَلِكُهَا وَصَارَ صَاحِبَ جَنَاتٍ وَأَنْهَارِ

### — مجاس آخر ٤٩ —

[ تأه بل آية ] ٠٠ إن سألت سائل عن قوله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت  
أيديهم وأمعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان) ٠٠ فقال ما اليد التي أضافها اليهود الى الله  
تعالى وادّعوا انها مغلولة فما ترى ان عقابا من اليهود ولا غيرهم يزعم ان لربه يدأ مغلولة  
واليهود تنبرأ من أن يكون منها قائل بذلك وما معنى الدعاء عليهم بغلّت أيديهم وهو  
تعالى بمن لا يصح أن يدعو على غيره لانه تعالى قادر على أن يفعل ما يشاء وانما يدعو  
الداعي بما لا يتمكن من فعله طلباً له ٠٠ الجواب قلنا يشمل أن يكون قوم من اليهود  
وصفوا الله تعالى بما يقتضى تناهي مقدوره فجزى ذلك مجرى أن يقولوا ان يده مغلولة  
لان عاة الناس جارية بان يعبروا بهذه العبارة عن هذا المعنى فيقولون يد فلان منقبضة

عن كذا وكذا وبده لا تيسط الي كذا اذا أرادوا وصفه بالفقر والقصور ويشهد بذلك قوله تعالى في موضع آخر ( لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء ) ثم قال تعالى مكذباً لهم ( بل يداهم مبسوطان ) أي انه لا يمجزه شيء وثني اليدين تأكيداً للأمر وتفخيماً له ولان ذلك أبلغ في المعنى المقصود من أن يقول بل يده مبسوطه . . . وقد قيل أيضاً ان اليهود وصفوا الله تعالى بالبخل واستبطوا فضله ورزقه وقيل انهم قالوا على سبيل الاستزاه ان إله محمد الذي أرسله يداه الى عتقه إذ ليس يوسع عليه وعلى أصحابه فرد الله قولهم وكذبهم بقوله ( بل يداهم مبسوطان ) واليد هنا الفضل والنعمة وذلك معروف في اللغة متظاهاً في كلام العرب وأشمارهم ويشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى ( ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ) ولا معنى لذلك إلا الأمر بترك امساك اليد عن النفقة في الحقوق وترك الاسراف الى التمسد والتمسك ويمكن أن يكون الوجه في تسمية النعمة من حيث أريد بها نعم الدنيا ونعم الآخرة لان الكل وان كانت نعماً لله فمن حيث اختص كل واحد من الأمرين بصفة تخالف سفة الآخر صاراً كما همما جنسان وقبيلان ويمكن أيضاً أن يكون في تسمية النعمة لانه أريد بها النعم الظاهرة والباطنة . . . فأما قوله تعالى ( غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ) ففيه وجوه . . . أولها أن لا يكون ذلك على سبيل الدعاء بل على وجه الاخبار منه عز وجل عن نزول ذلك بهم وفي الكلام ضمير وقد قيل قوله ( غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ) وه وضع غُلَّتْ نصب على الحال كأنه تعالى قال وقالت اليهود كذا وكذا في حال ماغل الله تعالى أيديهم ولعنهم أو حكم بذلك فيهم ويؤوغ إضمار قد هنا كما ساغ في قوله عز وجل ( إن كان قبضه قُدٌّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قبضه قُدٌّ من دبر فكذبت ) والمعنى فقد صدقت وقد كذبت . . . وثانيها أن يكون معنى الكلام وقالت اليهود يد الله مغلولة فغلت أيديهم أو وغلت أيديهم فأضمر تعالى الفاء والواو لان كلامهم ثم واستنزات بعده كلام آخر ومن عادة العرب أن تحذف فيما يجري مجرى هذا الموضع من ذلك قوله تعالى ( وإذا قال موسى لنوم ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أنتخذنا هزواً ) أراد فقالوا أنتخذنا هزواً فأضمر تعالى الفاء لتقام كلام موسى عليه الصلاة والسلام

لَمَّا رَأَيْتُ نَبْطًا أَنْصَارًا      شَمَّرْتُ عَنْ رُكْبَتِي الْأِزَارًا

كُنْتُ لَهَا مِنَ النَّصَارَى جَارًا

أراد وكنت لها فأضمر الواو .. ونالها أن يكون القول خرج مخرج الدماء إلا أن معناه التعليم من الله تعالى لنا والتأديب فكأنه تعالى وقفنا على الدعاء عليهم وعلما ما ينبغي أن نقول فيهم كما علمنا الاستثناء في غير هذا الموضع بقوله ( لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمين ) وكل ذلك واضح والمثمة لله

[ تأويل خبر ] .. ان سأل سائل عن الخبر الذي روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده .. الجواب قلنا قد تعلق بهذا الخبر صنفان من الناس فالخوارج تتعلق به وتدعى ان القطع يجب في الفايصل والكثير ويستشهد على ذلك بظاهر قوله تعالى ( والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ) ويتعلق بهذا الخبر أيضاً الملحدة والشكاك ويدعون أنه مناقض للرواية المتضمنة انتفاء القطع إلا في ربيع دينار ونحن نذكر ما فيه .. فأول ما نقوله ان الخبر مطلق فيه عند أصحاب الحديث وعلى اسناده أيضاً طعن وقد حكى ابن قتيبة في تأويله وجهاً عن يحيى بن أكرم طعن عليه وضعفه وذكر عن نفسه وجهاً آخر نحن نذكرهما وما فهمنا وتبعهما بما نختاره .. قال ابن قتيبة كنت حضرت يوماً مجلس يحيى بن أكرم بمكة فرأيت يذهب الى ان البيضة في هذا الحديث بيضة الحديد التي تفر الرأس في الحرب وان الحبل من حبال السفن قال وكل واحد من هذين يبلغ منه دينار كثيرة .. قال ورأيت يعجب بهذا التأويل ويبدي فيه ويعيد ويرى أنه قطع به حجة الخصم .. قال ابن قتيبة وهذا إنما يجوز على من لا معرفة له باللغة ومخارج الكلام وليس هذا موضع تكثير لما يأخذ السارق فيصرفه الى بيضة تساوي دنانير وحبل لا يقدر السارق على حمله ولا من عادة العرب والمعجم أن يقولوا قبح الله فلاناً عرض فيه للضرر في عقد جوهر وتعرض لعقوبة الغلول في جراب مسك وإثما العبادة جارية

بان يقال لعنه الله تعرض لقطع اليد في حبل رث أو أداة خاتق أو كبة شهر فكل  
 ما كان من ذلك حقيراً كان أبلغ . . . قال والوجه في الحديث ان الله تعالى لما أنزل على  
 رسوله صلى الله عليه وسلم (والسارق والسارقة) الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده على ظاهر ما أنزل عليه في ذلك الوقت ثم  
 أعلمه الله تعالى بعد ان الفطع لا يكون إلا في ربيع دينار فما فوقه ولم يكن عليه الصلاة  
 والسلام يعلم من حكم الله تعالى إلا ما أعلمه الله تعالى ولا كان الله يعرفه ذلك حجة بل  
 يبين له شيئاً بعد شيء . . . [ قال المرتضى ] رضى الله عنه ووجدت أبو بكر الانباري يقول  
 ليس الذي ذكر ابن قتيبة على تأويل الخبر بشيء قال لأن البيضة من السلاح ليست  
 علماً في كثرة الثمن ونهاية علو القيمة فتجري مجرى المقد من الجواهر والجراب من  
 المسك الذين يساوي الألوفاً من الدنانير والبيضة من السلاح ربما اشترت بأقل مما يجب  
 فيه الفطع وإنما أراد عليه الصلاة والسلام انه يكاسب قطع يده بما لا غناه له به لان  
 البيضة من السلاح لا يستغنى بها أحد والجواهر والمسك في اليسير منهما غناه . . . [ قال  
 الشريف المرتضى ] رضى الله عنه والذي نقوله ان ما ظن به ابن الانباري على كلام ابن  
 قتيبة متوجه وليس في ذكر البيضة والحبل تكثير كما ظن في شبه العقد والجراب من  
 المسك غير انه يبقى في ذلك أن يقل أي وجه تخصيص البيضة والحبل بالذكر وليس  
 هما النهاية في التمثيل وان كان كما ذكره ابن الانباري من ان المعنى انه يسرق ما لا يستغنى  
 به فليس ذكر ذلك بأولي من غيره فلا بد من ذكر وجه في ذلك . . . وأما تأويل ابن  
 قتيبة فباطل لان النبي عليه الصلاة والسلام لا يجوز أن يقول ما حكاه عند سماع قوله  
 تعالى ( والسارق والسارقة ) لان الآية مجمة مفتقرة الى بيان ولا يجوز أن يحتملها أو  
 يصرّفها الى بعض محتملاتها دون بعض بلا دلالة على ان أكثر من قال ان الآية مجمة  
 وان ظاهر القول يقتضي العموم ويذهب الي ان تخصيصها بسارق دون سارق لم يتأخر  
 عن حال الخطاب بها فكيف يصح ما قاله ابن الانباري ان الآية تقدمت ثم تأخر تخصيص  
 السارق ولو كان ذلك كما ظن لكان المتأخر ناسخاً للأول وعلى تأويله هذا يقتضى أن  
 يكون كل الخبر منسوخاً واذا أمكن تأويل أخباره عليه الصلاة والسلام على ما يقتضى

رفع أحكامها واستخفا كان أولى . . . والأشبه أن يكون المراد بهذا الخبر أن السارق يسرق الكثير الجليل فتقطع يده ويسرق الحقيق القليل فتقطع يده فكأنه تعجز له وتضعيف لاختياره من حيث باع يده بقليل الفخن كما باعها بكثيره . . . وقد حكى أهل اللغة أن بيضة القوم وسطهم وبيضة الدار وسطها وبيضة السنام شحمته وبيضة الصيف معظمه وبيضة البلد الذي لا تغير له وإن كان قد يستعمل ذلك في المدح والذم على سبيل الاضداد وإذا استعمل في الذم فعناه أن الموصوف بذلك حقير مهين كالبيضة التي نفسها النعامة فتركها مائة ولا تلتفت إليها فما جاء من ذلك في المدح قول أخت عمرو ابن عبد ود ترثيه (١) وتذكر قتله أمير المؤمنين عليه السلام إياه وقيل أن الأبيات لامرأة من العرب غير أخته

لو كان قاتل عمرو غير قاتله      لكنت أبكي عليه آخر الأبد  
لكن قاتله من لا يعاب به      قد كان يدعى قديماً بيضة البلد

(١) عمرو بن عبد ود هذا من بني عامر بن لؤي خرج في فرسان من قريش منهم عكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب في غزوة الخندق فتيبموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيولهم فاقتمحت منه فجات بهم في السبخة بين سلع والخندق وخرج علي بن أبي طالب رضى الله عنه في نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم فقال لعمر بن عبد ود يا عمرو إنك كنت تعاهد الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلا أخذت منه احداً ما قال أجل قال له علي فإني أدعوك إلى الله عز وجل وإلى رسوله وإلى الإسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فإني أدعوك إلى التزال قال ولم يأن أخى فوالله ما أحب أن أقتلك قال علي ولكنى والله أحب أن أقتلك فحى عمرو عند ذلك فاقتمحت عن فرسه فمقره أو ضرب وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي عليه السلام وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو منبه بن عثمان الدارى ونوفل بن عبد الله بن المقيرة

وقال آخر في المدح

كَانَتْ قُرَيْشًا بَيْضَةً فَتَمَلَّقْتِ      فَالْمُحُّ خَالِصَةٌ لِبَيْدٍ مَنَافٍ

وقال آخر في الذم

تَأْبِي قُضَاعَةً أَنْ تَعْرِفَ لَكُمْ نَسَبًا      وَإِنَّا نِزَارٍ فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ

أراد أن تعرف فأسكن .. وقال آخر في ذلك

لَكِنَّهُ حَوْضٌ مِنْ أَوْدَى بِإِخْوَتِهِ      رَبِّبُ الزَّمَانِ فَأَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ<sup>(١)</sup>

فقد صار معنى البيضة كله يعود الى الذمخيم والتمظيم .. وأما الجبل فيذكر على سبيل المثل والمراد المبالغة في التحقير والتقليل كما يقول القائل ما اعطاني فلان إلا عقلا وما ذهب من فلان عقال ولا تساوى كذا تقيرا كل ذلك على سبيل المثل والتقليل وليس الغرض بذكر الجبل الواحد من الجبال على الحقيقة وإذا كان على هذا تأويل الخبر زال عنه المناقضة التي ضمنت وبطلت شبهة الخوارج في ان القطع يجب في القليل والكثير .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أبو عبيد الله الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثني أبو وهب علي بن ثابت قال قال الأسيدي تصرفت بالأسيباب على باب الرشيد مؤملا بالظفر به والوصول اليه حتى إنني سرت لبعض حرسه خدينا فإني في ليلة قد نزلت السعادة والتوفيق فيها الأرق بين أجفان الرشيد إذ خرج خادم فقال أما بالحضرة أحد يحسن الشعر فقلت الله أكبر رب قيده مضيقه قد حله التيسير فقال لي الخادم ادخل فاعلمها أن تكون ليلة تفرس في صباحها بالفتى ان فزت بالحطارة عنده

(١) وقبه

لو كان حوض حمار ما شربت به      إلا باذنت حمار آخر الأبد  
لكنه حوض من أودى بإخوته      ورب الزمان فأمسى بيضة البلد  
لو كان يشكي الى الأموات مالتى      أحياء بمدهم من شدة الكمد

فدخلت فواجهت الرشيد في بهوة والفضل بن يحيى الى جانبه فوقف بي الخادم بحيث يسمع التسليم فسلمت فرد على السلام ثم قال يا غلام أرجه قابلا لي فرخ ووعه ان كان قد وجد للروعة حساً فدنيت قليلاً ثم قلت يا أمير المؤمنين إضاءة مجدك وبهاء كرمك مجبران لمن نظر اليك من اعتراض أذية فقال ادن فدنوت فقال أشاعر أم راوية فقلت راوية لكل ذى جد وهزل بعد أن يكون محسناً فقال تالله ما رأيت ادعاه أعم فقلت أنا على الميدان فأطلق من عنائي يا أمير المؤمنين فقال قد أنصف القارة من راماهما ثم قال مامعنى هذه الكلمة بدياً قال قلت فيها قولان القارة هي الحرمة من الأرض وزعمت الرواة ان القارة كانت رماة للتبابعة والملك إذ ذاك أبو حسان فواقف عكره عسكر السعد فخرج فارس من السعد قد وضع سهمه في كبد قومه فقال أين رماة العرب فقلت العرب قد أنصف القارة من راماهما<sup>(١)</sup> فقال لي الرشيد أصبت ثم قال

(١) القارة قبيلة وهم عضل والديش أبناء الهون بن خزيمية وإنما سموها قارة لانغافهم واجتماعهم لما أراد الشداخ أن يفرقهم في بني كنانة وقريش قال شاعرهم

دعونا قارة لانفرونا      فنجفل مثل إجنفال العظيم

وهم رماة الحدق في الجاهلية وهم اليوم في اليمن ويزعمون ان رجلين إلتقيا أحدهما قاري والآخر أسدي فقال القاري ان شئت صارعتك وان شئت سابتك وان شئت راميتك فقال الآخر قد اخترت الرماة فقال الأسدي قد اخترت المرامة فقال القاري قد أنصفتي وأنشد

قد أنصف القارة من راماهما      إننا اذا ما شئنا نلقاها

• نرد أولاهنا على آخراهنا •

ثم انزع له سهماً وشك فؤاده • وإنما قيل أنصف القارة من راماهما في حرب كانت بين قريش وبين بكر بن عبد مناف بن كنانة وكانت كنانة مع قريش وهم قوم رماة فلما التقى الفريقان راماهم الآخرون قبيلهم قد أنصفهم هؤلاء إذ ساوهم في العمل الذي هو شأنهم وصناعهم

أُروى لرؤية بن المبراج والمبراج شيئاً فقلت هما شاهدان لك بالقواني وإن غيبا عن  
بصرك بالأشخاص فأخرج من نبي فرشه رقعة ثم قال أنشدني

أَرْقَيْتَ طَارِقُ هَمَّ طَرَفَا

فضيت فيها مضي الجواد في متن ميدانه ثم در بها أشداني فلما صرت الى مديحه لبني أمية  
نيت لساني الى امتداحه للمصور في قوله

قُلْتُ لِزَيْرٍ لِمَ تَصَلُّهُ مَرْيَمَةُ

فلما أراني قد عدلت من أرجوزة الى غيرها قال أعن حيرة أم عن عمدي قلت عن عمد  
تركت كذبه الى سدقه فيما وصف به المنصور من مجدي فقال الفضل أحسنت بارك الله  
عليك مثلك يؤهل لهذا المجلس فلما أتيت على آخرها قال لي الرشيد أروي كلمة  
عدي بن الرقاع

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُمَا فَاعْتَادَهَا

قلت ام قال هات فضيت فيها حتى صرت الى وصف الجمل قل لي الفضل ناشدتك الله  
أن تقطع علينا ما أمتنا به الدهر من ليلتنا هذه بصفة جمل أجرب فقال له الرشيد  
اسكت فالابل هي التي أخرجتك من دارك واستلبت تاج ملكك ثم ماتت وعملت جلودها  
سياطاً ثم ضربت بها أنت وقومك فقال الفضل لقد عوقبت على غير ذنب الحمد لله فقال  
الرشيد أخطأت الحمد لله على النعم ولو قلت أستغفر الله كنت مصيباً ثم قال لي امض في  
أمرك فأشددته حتى اذا بلغت الى قوله

تُرْجِي أَعْنَ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمُ أَصَابٍ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

استوى جالساً ثم قال لي أتخفظ في هذا ذكرأ قلت نعم ذكرت الرواة ان الفرزدق قال  
كنت في المجلس وجري الى جاني فلما ابتداء عدي في قصيدته قلت لجرير مسراً اليه  
هلم نسمع من هذا الشامي فلما ذقنا كلامه يتسنا منه فلما قال

تُرْجِي أَعْنَ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ

وعدى كالمستريح فقال جرير إذا تراه يستلب بها مثلاً فقال الفرزدق يالكم أنه يقول

قلم أصاب من الدواة مدادها

فقال جرير كأن سمعك مخبو في صدره فقال لي اسكت شغافى سبك عن جيد الكلام<sup>(١)</sup>  
فلما بلغ الى قوله

ولقد أراد الله إذ ولأ كها من أمة إصلاحها ورشادها

قال الأصمى قال لي الرشيد ما تراء قال حين أنشده الشاعر هذا البيت فقات قال كذا  
أراد الله فقال الرشيد ما كان في جلالتك يقول هذا أحسبه قال ماشاء الله قال وكذا  
جاءت الرواية فلما أثبت على آخرها قال لي أنروي لذي الرمة شيئاً قلت الأ أكثر قال  
فاذا أراد بقوله

ممر أمرت قتله أسدية ذراعية حلالة بالمصانع

قلت وصف حمار وحش أسمنه بقل روضة تواشجت أصوله وتشابكت فروعه عن  
مطر سحابة كانت بنوء الأسد في الذراع فقال الرشيد أرخ فقد وجدناك متمماً  
وصرفناك محسناً ثم قال إني لأجد ملالة ونهض فأخذ الخادم يصلح عقب النعل في  
رجله وكانت عربية فقال الرشيد عقرتني يا غلام فقال الفضل قاتل الله الأ طاجم أما انها  
لو كانت سدزية لما احتجيت الى هذه الكفاة فقال الرشيد هذه نعبي ونعل أبني كم تعارض  
فلا تترك من جواب ممض ثم قال يا غلام تأمر صالح الخادم بتعجيل ثلاثين ألف درهم

(١) وقال أبو العباس بروي ان جريراً دخل الى الوايد وابن الرقاع العاملي عنده

بنشده القصيدة التي يقول فيها

غلب المسابيح الوليد سماحة وكفى قريش المضلات وسادها

قال جرير حسدته على أبيات منها حتى أنشد في صفة الظبية \* تزجي أغن كأن إبرة روقه \*  
الح قال فقلت في نفسي وقع والله ما يقدر أن يقول أو يشبه به قال فقال \* قلم أصاب من  
الدواة مدادها \* قال فا قدرت حسداً له أن أقبح حتى التصرفت

على هذا الرجل في ليلته هذه ولا يجيب في المستأنف فقال الفضل لولا انه مجلس  
أمير المؤمنين ولا يأمر فيه غيره لأمرت لك بمثل ما أمر لك به وقد أمرت لك به  
إلا ألف درهم فتلقى الخادم صباحاً ٥٠ قال الأصمعي فاصليت من عهد إلا وفي منزلي  
تسعة وخمسون ألف درهم

### مجلس آخر ٥٠

[ تأويله آية ] ٥٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى ( أفقولي الذين آمنوا يخرجهم من  
الظلمات الى النور ) ٥٠٠ فقال أليس ظاهر هذه الآية يقتضى انه هو الفاعل للإيمان فيهم  
لأن النور ههنا كناية عن الإيمان والطاعات والظلمة كناية عن الكفر والمعاصي ولا  
معنى لذلك غير ما ذكرناه وإذا كان مضيف الإخراج اليه فهو الفاعل لما كانوا به خارجين  
وهذا خلاف مذهبكم ٥٠ الجواب قلنا إن النور والظلمة المذكوران في الآية جائز أن  
يكون المراد بهما الإيمان والكفر وجائز أيضاً أن يراد بهما الجنة والنار والثواب والعقاب  
فقد تصح الكناية عن الثواب والنعم في الجنة بأنه نور وعن العقاب في النار بأنه ظلمة  
فاذا كان المراد بهما الجنة والنار سأغت اضافة إخراجهم من الظلمات الى النور اليه  
تعالى لانه لا شبهة في انه جل وعز هو المدخل للمؤمن الجنة والعاقل به عن طريق النار  
والظاهر بما ذكرناه أشبه لانه يقتضى ان المؤمن الذى ثبت كونه مؤمناً يخرج من الظلمة  
الى النور ولو حمل على الإيمان والكفر لشاقض المعنى ولصار تقدير الكلام انه يخرج  
المؤمن الذى قد تقدم كونه مؤمناً من الكفر الى الإيمان وذلك لا يصح وإذا كان الكلام  
يقتضى الاستقبال في إخراج من ثبت كونه مؤمناً كان حمله على دخول الجنة والعدول  
به عن طريق النار أشبه بالظاهر على أننا لو حملنا الكلام على الإيمان والكفر لصح ولم  
يكن مقتضياً لما توهموه ويكون وجه اضافة الإخراج اليه تعالى وان لم يكن الإيمان من  
فعله من حيث بين ودل وأرشد ولطف وسهل وقد علمنا أنه لولا هذه الأمور لم يخرج  
المكلف من الكفر الى الإيمان فيصح اضافة الإخراج اليه تعالى لتكون ما عدناه من

جهته وعلى هذا يصح من أحدنا إذا أشار على غيره بدخول بلد من البلدان ورغبه في ذلك وعرفه ما فيه من الصلاح والنفع أو بمجانبة فعل من الأفعال أن يقول أنا أدخلت فلاناً البلد الفلاني وأنا أخرجته من كذا وانتشته منه ويكون وجه الاضافة ما ذكرناه من الترغيب وتقوية الدواعي الأثرى انه تعالى قد أضاف اخراجهم من النور الى الظلمات ومن الايمان الى الطاغوت وان لم يدل ذلك على ان الطاغوت هو الفاعل للكفر في الكفار بل وجه الاضافة ما تقدم لان الشياطين يعوون ويدعون الى الكفر ويزينون فعله فتصح اضافته اليهم من هذا الوجه والطاغوت هو الشيطان وحزبه وكل عدو لله تعالى صد عن طاعته وأغرى بمعصيته يصح اجراء هذه التسمية عليه فكيف اقتضت الاضافة الأولى ان الايمان من فعل الله تعالى في المؤمن ولم تقتض الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشياطين في الكفار لولا بله المخالفين وغفلتهم . . . وبعد فلو كان الأمر على ما ظنوه لما صار الله تعالى ولياً للمؤمنين وناصراً لهم على ما اقتضته الآية والايمان من فعله تعالى لامن فعامهم ولما كان خادماً للكافرين مضيفاً لولايتهم الى الطاغوت والكفر من فعله تعالى فيهم ولما فصل بين الكافر والمؤمن في باب الولاية وهو المتولى لفعل الأمرين فهما ومثل هذا لا يذهب على أحد ولا يعرض عنه إلا معاند مغالط لنفسه . . . أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال قال أبو بكر محمد بن القاسم الانباري حدثنا أحمد بن حيران قال حدثنا أبو عبد الله بن البطاح قال أخبرنا أبو عبيدة قال قال عبد الملك بن مسلم كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج انه لم يبق شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه ولم يبق لي من لذة الدنيا إلا مناقاة الاخوان الأحاديث وقبلك عامر الشعبي فابنت به اليّ يجذني فدا الحجاج بالشعبى وجوزته وبعت به اليه وأطراه في كتابه فخرج الشعبي حتى اذا كان بباب عبد الملك قال للعاجب استأذن لي قال ومن أنت قال عامر الشعبي قال حيّك الله ثم نهض وأجلسه على كرسيه فلم يلبث أن خرج العجاج اليه فقال ادخل قال فدخلت فاذا عبد الملك جالس على كرسى وبين يديه رجل أبيض الرأس واللحية على كرسى فسلمت فرد السلام ثم أوما اليّ بقضيبه فقعدت عن يساره ثم أقبل على الذى بين يديه فقال ويحك من أشعر الناس قال أنا يا أمير المؤمنين

فأظلم على ما بين وبين عبد الملك ولم أصبر ان قات ومن هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم انه أشعر الناس فمجب عبد الملك من محبتي قبل ان يسألني عن حالي ثم قال هذا الأخطل فقلت يا أخطل أشعر منك الذي يقول

هَذَا غَلَامٌ حَسَنٌ وَجَمُّهُ      مَقْتَبِلُ الْخَيْرِ سَرِيعُ التَّمَامِ  
لِلْحَارِثِ الْأَكْبَرِ وَالْحَارِثِ الْأَصْفَرِ      وَالْحَارِثِ خَيْرِ الْأَنَامِ  
خَمْسَةُ آبَائِهِمْ مَا هُمْ هُمْ      خَيْرٌ مِنْ يَشْرَبُ صَوْبَ التَّمَامِ<sup>(١)</sup>

فقال عبد الملك رددها عنى فرددتها حتى حفظها فقال الأخطل من هذا يا أمير المؤمنين فقال هذا الشعبي قال صدق والله النابغة أشعر منى . . . قال الشعبي ثم أقبل على عبد الملك فقال كيف أنت يا شعبي قات بخير لا زلت به ثم ذهبت لأصنع معاذيرى لما كان من خلافى على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد الأشعث فقال له فانا لا نحتاج الى هذا المنطق ولا تراه مما فى قول ولا فعل حتى تغارقنا ثم أقبل على فقال ما تقول فى النابغة فقلت يا أمير المؤمنين قد فتنه عمر بن الخطاب فى غير موطن على جميع الشعراء وذلك انه خرج يوماً وببابه وفد غطفان فقال يمعاشر غطفان أى شعرائكم الذى يقول

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً      وَلَيْسَ وِرَاةَ اللَّهِ لِلدَّرْسِ مَذْهَبُ  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُوْرَةً      تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبذَبُ  
لَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ      إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ  
لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بَلَّغْتَ عَنِّي خِيَانَةَ      لَمْ يَلْعُكِ الْوَاثِي أَعْشُ وَأَكْذَبُ  
وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمَةَ      عَلَى شَعْتِ أَيِّ الرِّجَالِ الْمَهْدَبُ

(١) وروى ان الشعبي لما أنشد هذه الأبيات قال الأخطل ان أمير المؤمنين انما سألني عن أشعر أهل زمانه ولو سألني عن أشعر أهل الجاهلية لكنت حرياً أن أقول كما قلت

قالوا النابغة قال فأبكم الذي يقول

فإنك كالليل الذي هو مُدْرِكِي  
خطا طيف جحش في جبال متبينة  
وإن خلت أن المتناهي عنك واسع  
تمد بها أيديك توازِعُ

قالوا النابغة قال أبكم الذي يقول

إلى ابن عخرقٍ أَعْمَلْتُ رَحْلِي  
أَتَيْتُكَ عَارِيَا خَلَقَ نِيَابِي  
وَرَأَيْتُ وَقَدْ هَدَّتِ الْعِيُونُ  
عَلَى خَوْفٍ تَطْنُ بِي الظَّنُونُ  
فَأَلْفَيْتِ الْأَمَانَةَ لَمْ تَخْفُهَا  
كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ

قالوا النابغة قال هذا أشعر شعرائكم . . ثم أقبل عبد الملك على الأخطال فقال أحب  
إن لك قباضاً بشعرك شعراً أحد من العرب أو تحب إنك قلته فقال لا والله إلا أني  
وددت أني كنت قلت أحياناً قالها رجل منا كان والله مقعد الفئاع قبيل السباع قصير  
الذراع قال وما قال فأنشده

إِنَّا مَحْيُوكُ فَاسَلَّمْ أَيُّهَا الظَّلِيلُ  
لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبَقَى بِشَاشَتُهُ  
وَأَلْفَيْتِ الْأَمَانَةَ لَمْ تَخْفُهَا  
وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرَّرَ بِهِ  
وَأَنْ طَالَتْ بِكَ الطَّلِيلُ  
فَقَدْ يَهُونُ عَلَى السُّدُنِ جِحْمُ الْعَمَلِ (١)

(١) أبو عثمان هو عبد الواحد بن الحارث بن الحكم بن أبي العاصي بن عبده  
شمس بن عبد مناف . . وقال مصعب الزبيري هو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك  
وكان عبد الواحد والياً في المدينة لمروان بن محمد هكذا في خزنة الأدب وهذا الأخير  
لا يخفى أنه غلط لأن القصة وقعت مع عبد الملك بن مروان بنفسه فكيف يكون عبد  
الواحد والياً لابن ابنه ومروان بن محمد أيضاً هو آخر ملوك بني أمية ومن القصيدة  
أهل المدينة لا يجرؤك شأنهم إذا تحطأ عبد الواحد الأجل

وَالنَّاسُ مِنْ يَلْقَ خَيْرًا قَالُوا لَوْ لَهٗ  
قَدْ يَذْرُوكَ الْمُتَأَنِّي بِمَعْضَ حَاجَتِهِ

قال الشعبي فقالت قد قال القطامي أفضل من

مَا كُنْتُ أَحْسِبُهُ قَرِيبَ الْمَعْنَى <sup>(١)</sup>  
طَارَقَتْ جَنُوبُ رِحَالِنَا مِنْ مَطْرِيقِ

إِلَّا وَهَمَّ خَيْرٌ مِنْ يَحْفَى وَيَنْعَلُ  
عَنْهُ الْجِبَالُ فَمَا سَوَى بِهِ جِبِلْ  
رَهَطَ الرَّسُولِ الَّذِي مَا بَعْدَهُ رَسَلٌ  
وَلَا يَرَى مِنْ أَرَادُوا ضَرَّهُ يَثَلُ  
إِذْ لَا أَكَادُ مِنَ الْإِقْتَارِ أَحْتَمِلُ  
إِذْ لَا يَزَالُ مَعَ الْأَعْدَاءِ يَنْتَضِلُ  
وَلَاهُمْ كُدْرُوا الْخَيْرِ الَّذِي فَعَلُوا  
وَالْآخِذُونَ بِهِ وَالسَّاسَةُ الْأُولَى

أَمَا قَرِيشٌ قَالَتْ تَلَقَّاهُمْ أَبَدًا  
أَلَا وَهَمَّ جِبِلُّ اللَّهِ الَّذِي قَصَصَتْ  
قَوْمَهُمْ ثَبَتُوا الْإِسْلَامَ وَامْتَمَعُوا  
مِنْ سَالِحِيهِ رَأَى فِي عَيْشِهِ سَعَةً  
كَمْ نَالِي مِنْهُمْ فَضْلًا عَلَى عَدَمِ  
وَكَمُ مِنَ الدَّهْرِ مَا قَدِ ثَبَتُوا قَدِيمِي  
فَمَا هُمْ سَالِحُوا مِنْ يَنْتَقَى عَنِّي  
هَمُّ الْمُلُوكِ وَأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ لَهُمْ

وَبَعْدَهُ (١)

حَرْنٌ مَعْلَقٌ تَوَمَّنِيهِ مَطْوُوقٌ  
سَمَرٌ وَالْعَبُوقُ مِنَ الرَّخِيقِ الْمَغْبُوقِ  
وَمَفْرُوجٌ عَرَقُ الْمَقْدَمِ مَنُوقٌ  
وَعَلَى كَلَاكِلِ كَالنَّقِيلِ الْمَطْرُوقِ  
وَمِنَ النَّجْمِ غَوَائِرٌ لَمْ تَلْحَقْ  
طَرِبًا بَيْنَ إِلَى حُدَاءِ السُّوقِ  
مِنْ رَائِعِ أَعْلُوهِنَ مَشُوقِ  
كَهْفًا كَشَاكَةَ الْحَصَانِ الْأَبْلَقِ  
حَادٍ يَشْمَعُ نَعْلَهُ لَمْ يَبْهَقْ  
حَدَّثَ حَدَاكَ إِلَى أُخْيَيْكَ الْأَوْثَقِ  
وَحَلَى التَّكْلَامَ لِلْسَّانِ الْمَطَّاقِ

قَطَمْتُ الْبَيْكُ بِمَثَلِ جَدِيَّةِ  
وَمَصْرَعِينَ مِنَ الْكَلَالِ كَأَنَّهَا  
مَنْ سُدَّ بِنَ ذِرَاعِ كُلِّ نَجِيَّةِ  
وَجِثَتْ عَلَى رَكْبِ تَهْدِيهَا الْعَصَا  
وَإِذَا سَمِعْنَ إِلَى هَمَاهِمِ رَفْقَةِ  
جَعَلَتْ تَمِيلُهُ خَدُودَهَا آذَانَهَا  
كَالْمَنْصَتَاتِ إِلَى الْغَنَاءِ سَمِعْنَهُ  
وَإِذَا نَظَرْنَ إِلَى الطَّرِيقِ رَأَيْنَهُ  
وَإِذَا تَخَلَّفَ بِمَدْرُنِ حَاجَةِ  
وَإِذَا يَصِيبُكَ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةِ  
لَيْتَ الْهَمُومِ عَنِ النَّوَادِ تَفَرَّقَتْ

حتى أتيت الى آخرها فقال عبد الملك بن مروان نكلت القطامي أمه هذا والله الشعر  
قال فالتفت اليّ الاخطاط فقال يا شعبي ان لك فنوناً في الأحاديث وان لنا فناً واحداً  
فان رأيت أن لا تحملي على أكتاف قومك فادعهم حرصاً قلت لا أعرض لك في شيء  
من الشعر أبداً فأقنني هذه المرة فقال من يكفك بك قلت أمير المؤمنين فقال عبد الملك  
هو على أن لا يعرض لك أبداً. ثم قال يا شعبي أي شعراء الجاهلية كان أشعر من اللساء  
قلت خلساء قال ولم فضلتها على غيرها قلت لتوها

وَقَاتِلَةَ وَالنَّعْشُ قَدَفَاتُ خَطْوَهَا      لِتَذَرِكُهُ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى صَخْرِ  
الْأَنْسَكِلَتْ أُمُّ الَّذِينَ غَدَوَا بِهِ      إِلَى الْقَبْرِ مَاذَا يَجْمَلُونَ إِلَى الْقَبْرِ

فقال عبد الملك أشعر منها والله ليلي الأخيلية حيث تقول

مُهَيَّبُ الْكَشْحِ وَالسَّرْبَالُ مُنْجَرِقٌ      عَنْهُ الْقَمِيصُ لَسِيرِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرٌ  
لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمْسَاهُ وَمُصْبِحُهُ      فِي كُلِّ حَيٍّ وَإِنْ لَمْ يَغْرُ يُنْتَظَرُ

ثم قال يا شعبي لعله شق عليك ما سمعته فقلت أي والله يا أمير المؤمنين أشد المشقة إنني  
لحدثك منذ شهرين لم أفدك إلا أبيات النابغة في الغلام ثم قال يا شعبي انما أعلنك هذا  
لانه بلغني ان أهل العراق يتطاولون على أهل الشام ويقولون ان كانوا غلبونا على الدولة  
فلن يغلبونا على العلم والرواية وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق ثم ردد على أبيات  
ليلي حتى حفظتها وأذن لي فانصرفت فكنت أول داخل وآخر خارج. [قال الشريف  
المرتضى] رضى الله عنه والصحيح في الرواية ان البيتين اللذين رواهما عبد الملك ونسبهما  
الى ليلي الأخيلية لأعشى باهة يرثي المنتشر بن وهب الباهلي وهذه القصيدة من المراتي  
المفضلة المشهورة بالبلاغة والبراعة وهي

إِنِّي أَتَتَّنِي لِسَانٌ لَا أَسْرُ بِهَا      مِنْ عَلَوٍ لَا عَجَبَ مِنْهَا وَلَا سِحْرَ<sup>(١)</sup>

(١) رواية نعلب

إنني أتتني لسان لا أسره من عل لا عجب فيه ولا سحر

(١٤ - أمالي نالك)

فَقَلَّتْ مُكْتَبَتِنَا حَرَّانَ أَنْذَبُهُ  
وَكُنْتُ أَحَدَرُهُ لَوْ يَنْفَعُ الْحَدَرُ  
فَجَاشَتِ النَّفْسُ لَمَّا جَاءَ جَمْعُهُمْ  
وَرَأَى كِبُجَاءَ مِنْ تَثْلِيثِ مُعْتَمِرٍ<sup>(١)</sup>  
يَأْتِي عَلَى النَّاسِ لَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ  
حَتَّى التَّقِينَا وَكَانَتْ بَيْنَنَا مُضَرٌّ<sup>(٢)</sup>  
إِنَّ الَّذِي جِثَّتْ مِنْ تَثْلِيثِ تَنْذَبُهُ  
مِنْهُ السَّمَاخُ وَمِنْهُ النَّهْيُ وَالنِّيرُ<sup>(٣)</sup>

وروى أبو زيد في نوادره

إني أناني شيء لا أسره به من على لا يحب فيه ولا سخر

وروى المبرد في الكامل

إني أتني لسان لا أسر بها من على لا يحب منها ولا سخر

اللسان - هنا بمعنى الرسالة وأراد بها أي المنشور ولهذا أنت الفعل فإنه إذا أريد به الكلمة أو الرسالة يؤنث ويجمع على السن وإذا كان به - في جارحة الكلام فهو مذكر ويجمع على السنة أي أناني خبر من أعلى نجد وقيل أراد العالية وقيل من أعالي البلاد ويقال من علو بتثليث الواو ومن على بكسر اللام وضمها ومن علا ومن أعلى ومن معال . . . وقوله - لا عجب - الخ أي لا عجب منها وإن كانت عظيمة لأن مصائب الدنيا كثيرة ولا سخر بالموت وقيل معناه لا أقول ذلك سخرية وهو بفتحين وبضمين مصدر سخر منه (١) قوله - جاشت النفس - الخ أي غثت ويقال دارت للغثيان فإن أردت أنها ارتفعت من جزن أو فزع قلت جشأت بالهمز وروى بدل جمعهم فلهم أي اللذين شهدوا مقتله فلهم بفتح الفاء وتشديد اللام يقال جاء فل القوم أي منهزم وهم يستوى فيه الواحد والجمع وربما قالوا فلون وفلال - وتثليث - بكسر اللام وياه ساكنة وناء أخرى مثلثة موضع بالحجاز قرب مكة - ومعتمر - صفة راكب بمعنى زائر ويقال من عمرة الحج

(٢) قوله - يأتي على الناس - الخ فاعله يأتي ضمير الراكب - ويلوي - مضارع لوى بمعنى توقف وهرج أي يمر هذا الراكب على الناس ولم يهرج على أحد حتى أتاني لإني كنت صديقه . . . وروى دوننا بمعنى قدام بدل بيننا

(٣) قوله - إن الذي جثت - الخ أي فقلت لهذا الراكب إن الذي جثت الخ

تَمَعَى أَمْرًا لَا تَنْبُ الْحَيَّ جَفَنَتُهُ إِذَا الْكَوَاكِبُ أَخْطَى نَوْءَهَا الْمَطَرُ<sup>(١)</sup>  
 وَرَاحَتِ الشَّوْلُ مَغْبَرًا مَنَا كِبُهَا شُعْمًا تَمَيْرٌ مِنْهَا النَّيُّ وَالْوَبَرُ<sup>(٢)</sup>  
 وَالنَّجَاءُ الْكَلْبُ مَرْفُوعُ الصَّفِيْعِ بِهِ وَالنَّجَاءُ الْحَيَّ مِنْ تَنْفَاحِ الْحَجَرِ<sup>(٣)</sup>

– والتدب – مصدر تدب الميت من باب نصر بكي عليه وعدد محاسنه ٠٠ وجملة منه السباح  
 خبر – والنهي – خلاف الأمر – والقبر – بكسر المعجمة وفتح المثناة التحتية اسم من  
 غير الشيء فقبير أقاله مقام القبر

(١) قوله – تنبي أمرًا – الخ رواية أبي العباس ينبي بالياء المثناة والتي خبر الموت يقال  
 نعاء ينعاء ٠٠ قال الأصمعي كانت العرب إذا مات ميت له قدر ركب راكب فرساً  
 وجعل يسير في الناس ويقول نعاء فلاناً أي أنه وأظهر خبر وفاته وهي مبنية على  
 الكسر – ولا تنب – هو من قولهم فلان لا يفينا عطاؤه أي لا يأتينا يوم دون يوم بل يأتينا  
 كل يوم – والجفنة – القصعة – وأخطاه – كتنخطاه تجاوزه – والنوء – سقوط نجم من  
 المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيه من المشرق يقابله من ساعته في كل يوم إلى ثلاثة  
 عشر يوماً وهكذا كل نجم إلى انقضاء السنة وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح  
 والحر والبرد إلى الساقط منها ٠٠ يريد ان جفاته لا تنقطع في القحط والشدة

(٢) قوله – وراحت – هو معطوف على مدخول اذا – والشول – كما في القاموس  
 الشائنة من الابل وهي ما أتى عليها من حلقها أو وضعها سبعة أشهر نجف لبها والجمع شول على  
 غير قياس ٠٠ وفي النهاية الشول مصدر شال ابن الناقة أي ارتفع وتسمى الناقة الشول أي  
 ذات شول لانه لم يبق في ضرعها إلا شول من لبن أي بقية ويكون ذلك بعد سبعة  
 أشهر من حلقها ٠٠ وروي – مباءتها – أي مراحها بدل مناكها – ومغبر – بمعنى من  
 الرياح والمعجاج – والتي – بفتح النون الشعم ومصدر نوت الناقة تنوي نواية ونيا  
 اذا سمعت يريد ان الجذب وقلة المرعى خشن لحما وغيره

(٣) قوله – وأجأ – معطوف أيضاً على مدخول اذا وأجأ اضطر وروي أحجر  
 يقال أحجرت أي ألقته إلى ان دخل حجره – والصقيع – الجليد – وتنفاحه – ضربه

عَلَيْهِ أَوْلُ زَادِ الْقَوْمِ قَدْ عَلِمُوا      ثُمَّ الْمَطْيُ إِذَا مَا أَرْمَلُوا جَزُرًا<sup>(١)</sup>  
 قَدْ تَكْظُمُ الْبُزْلُ مِنْهُ حِينَ تُبْصِرُهُ      حَتَّى تَقَطَّعَ فِي أَعْنَاقِهَا الْجِرَارُ<sup>(٢)</sup>  
 أَخْوَرَ غَائِبَ يُعْطِيهَا وَيَسْأَلُهَا      يَا بِي الظَّلَامَةَ مِنْهُ التَّوْفَلَ الزَّفْرُ<sup>(٣)</sup>  
 لِمَ تَرَى أَرْضًا وَلَمْ تَسْمَعْ بِسَاكِنِهَا      إِلَّا بِهَا مِنْ نَوَادِي وَقَمِهِ أَثَرُ<sup>(٤)</sup>

وهو مصدر فطحت الريح إذا هبت باردة والضمير للصقيع والباء في به بمعنى على والضمير للكباب - والحجر - بضم الحاء - وفتح الجيم جمع حجرة بالضم العرفة وحظيرة الأبل من شجر ٥٠ بقول هو في مثل هذه الأيام الشديدة يطعم للناس الطعام

(١) قوله - عليه أول - الخ يعني أنه يرتب على نفسه زاد أصعبه أولاً وإذا قد ازدانحمر لهم وأرمل - الرجل نفذ زاده - والمطي - جمع مطية وهي الناقة - والجزر - بضمين جمع جزور وهي الناقة التي نحر وروى بفتحين جمع جزيرة وهي الناقة والشاة تذبح  
 (٢) يروي \* وتفرع الشول منه حين ينفجاها \* - والكظم - من كظم البعير بالفتح يكظم بالكسر كظوماً إذا أمسك عن الجرة وقيل الكظم أن لا تجر لكسدة الفرع إذا رأت السيف - والبزل - جمع بزل وهو الداخل في السنة التاسعة - والجزر - جمع جرة بكسر الجيم فهما وهي ما يخرج البعير للاجترار ٥٠ بقول تعودت الأبل أنه يعقر منها فإذا رآته كظمت على جرتها - وقطع - فعل مضارع منصوب بأن

(٣) - الرغائب - الأشياء التي يرغب فيها يريد يعطي ما يرغب الرجال في ادخاره وبحرصون على التمسك به لنفسه - وأخو - خبر مبتدأ محذوف أي هو أخو رغائب وجملة يعطيها ويسألها مفسرة لوجه الملاية في قوله أخو رغائب - ويسألها - البناء للمجهول من السؤال ويروى موضعه ويسألها بالبناء للمعلوم من السلب - والظلام - بالضم ومثله الظلمة والمظلمة بكسر اللام وضمها وهو ما تطلبه عند الظلم وهو اسم ما أخذ منك - والتوفل - البحر والكثير العطاء ٥٠ وقال ثعلب التوفل العزيز الذي ينقل عنه الضمير أي يدفعه - والزفر - الكثير الناصر والأهل والعدة

(٤) - نوادي - كل شيء بالنون أوائله وما ندر منه واحده نادية ومنه قولهم لا ينداك

وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا اسْتَنْظَرْتَهُ عَجَلٌ      وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا يَأْسَرْتَهُ عُسْرٌ  
فَإِنْ يُصَبِّكَ عَدُوٌّ فِي مُنَاوَةِ      يَوْمًا فَقَدْ كُنْتَ تَسْتَعْلِي وَتَنْتَصِرُ<sup>(١)</sup>  
مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ مِنْ يُكْدِرُهُ      عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدْرُ<sup>(٢)</sup>  
أَخُو شُرُوبٍ وَمِكْسَابٍ إِذَا عَدِمُوا      وَفِي الْمَخَافَةِ مِنْهُ الْجَدُّ وَالْحَذَرُ<sup>(٣)</sup>  
مِرْدِي حُرُوبٍ وَتُورٍ يُسْتَضَاءُ بِهِ      كَمَا أَضَاءَ سَوَادَ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ<sup>(٤)</sup>  
مُهْفَافٌ أَهْضَمُ الْكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌ      عَنْهُ الْقَمِيصُ لِسِيرِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرٌ<sup>(٥)</sup>

من سوء أبدأ أى لا يندر اليك - والوقع - النزول

(١) وروى - فقد كان يستعلي وينتصر - والمناوأة - المعاداة يقال ناوأته الرجل مناوأة وقيل هي المحاربة ناوأته أى حاربته .. قال الشاعر

إذا أنت ناوأته القرون فلم تنوه      بقرنين عزتك القرون الكوامله

(٢) قوله - من ليس في خيره من - الخ رواية المبرد من ليس في خيره شر يكدره - كدّره - جعله كدراً يقال تكدر الماء تقيض سفا وكدره غيره جعله كدراً  
(٣) - الشروب - جمع شرب وهو جمع شارب كصحب جمع صاحب .. وروى أخو حروب - والمكسب - مبالغة كاسب - والعدم - الفقر وفعله من باب فرح

(٤) - المردى - بكسر الهمزة يرمى به ومنه قيله للشجاع أنه لمردى حروب ومعناه أنه يقدف في الحروب ويرجم فيها وروى \* كما أضاء سواد الطخية القمر \* الطخية بضم التهملة وسكون المعجمة الظلمة والطحيا بالمد اللينة المظلمة يريد أنه كامل شجاعة وعقلا فشجاعته كونه يرمى في الحروب وعقله كونه رأيه نوراً يستضاء به وهما وصفان متضادان غالباً

(٥) - المهففم - الخميص البطن الدقيق الخصر - والأهضم - المنضم الجنبين - والكشح - ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف وهذا مدح عند العرب فانها تمدح المزال والضر وتدم السمن .. وفي العباب ورجله منخرق السربال اذا طاله سفره

طاووى المصير على المزاء متجرد  
بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر<sup>(١)</sup>  
لا يصيب الأمر إلا ريث يزكبه  
وكل أمر سوى الفحشاء يأتير

معنى - لا يصعب الأمر - أى لا يجده صعباً

لا يتأري لما فى القدر يزقبه  
ولا يعرض على شرسوفه الصفر<sup>(٢)</sup>

فشقت ثيابه - وسير الليل - متعلق بما بعده وهذا يدل على الجلادة وتحمل الشدائد  
(١) - الطوى - الجوع وقوله من باب فرح وطوى بالفتح يطوى بالكسر طياً اذا  
تمدد الجوع - والمصير - المعارقيق وجمعه مصران كزغيف وورغان وجمع هذا مصارين  
أراد طاوى البطن - والعزاء - بفتح العين المهملة وتشديد الزاى المعجمة الشدة والجهد  
وقال فى الصحاح هي السنة الشديدة - والمتجرد - المنتشر .. وقوله - ليلة لا ماء ولا  
شجر - أى يرمى وزاد عبد القادر البغدادي هنا بيتاً وهو

لا يهتك السر عن أى يطالها ولا يشد إلى جارائه النظر

ومعناه انه لا ينظر الى جارته ولا يشد اليهن النظر من غيره احتراماً له والله أعلم  
(٢) - لا يتأرى - لا يتعجبس ويتلبث يقال تأرى بالمكان اذا أقام فيه أى لا يتلبث  
لادراك طعام القدر وجملة - يزقبه - حال من المستتر فى يتأرى .. بمدحه بأن همته ليست فى  
المطعم والشرب وانما همته فى طلب المعالى فليس يزقب ما فى القدر اذا هم بأمر له  
شرف بل يتركها ويمضى - والشرسوف - طرف الضلع - والصفر - دوسبة مثل الحية  
تكون فى البطن تعترى من به شدة الجوع .. قال فى النهاية فى حديث لاعدوى ولاهامة  
ولا صفر لان العرب كانت تزعم ان فى البطن حية يقال لها الصفر تصيب الانسان اذا جاع  
وتؤذيه فابطله الاسلام ذلك وقيل أراد به النبي صلى الله عليه وسلم الذى كانوا  
يفعلونه فى الجاهلية وهو تأخير المحرم الى صفر ويجعلون صفرأ هو الشهر الحرام انتهى  
ولم يرد الشاعر ان فى جوفه صفرأ لا يعرض على شراسيفه وانما أراد انه لا صفر فى جوفه  
فيمضه يصفه بشدة الخلق وصحة البنية

لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنَ وَلَا وَصَبٍ      وَلَا يَزَالُ أَمَامَ الْقَوْمِ يَقْتَفِرُ<sup>(١)</sup>  
لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمْسَاهُ وَمُصْبِحَهُ      فِي كُلِّ فَجٍّ وَإِنْ لَمْ يَغْزُ يَنْتَظِرُ<sup>(٢)</sup>  
تَكْفِيهِ حِزَّةٌ فَلِذَانِ أَلَمَ بِهَا      مِنَ الشَّوَاهِدِ وَيُزَوِّي شَرِبَهُ الْغَمْرُ<sup>(٣)</sup>  
لَا نَأْمَنُ الْبَازِلَ الْكُومَاءَ عَدْوَتَهُ      وَلَا الْأَمُونَ إِذَا مَا اخْرُوطَ السَّفَرُ<sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّهُ بِمَدِّ صِدْقِ الْقَوْمِ أَنْفُسَهُمْ      بَالِيَأْسٍ تَلَمَّعَ مِنْ قُدَامِهِ الْبُشْرُ<sup>(٥)</sup>

- (١) - لا يغمز الساق - لا يجيها يصف جلده وتحمله للمشاق - والأين - الإعياء - والوصب - الوجع - والافتقار - بتقديم القاف على الفاء اتباع الآثار - في الصحاح وقدرت أثره أقره بالضم أي قفوته واقفرت مثله وأنشد هذا البيت ورواه أبو العباس في شرح نوادر أبي زيد يقتفر بالبناء للمجهول ومعناه أنه يفوت الناس فينبع ولا يلحق (٢) قوله - لا يأمن الناس - أي لا يأمنه الناس على كل حال سواء كان غازياً أم لا فان كان غازياً يخافون أن يغير عليهم وان لم يكن غازياً فاتهم في قلق أيضاً لانهم يترقبون غزوه وينتظرونه  
(٣) - العزّة - بضم الحاء المهملة وتشديد الزاي المعجمة قطعة من اللحم قطعت طولاً - والفندان - جمع فندة بكسر الفاء فيهما - وألم بها - أصابها بمعنى أكلها - والغمر - بضم الغين المعجمة وفتح الميم قدح صغير لا يروى  
(٤) - البازل - البعير الذي فطرنا به يدخله في السنة التاسعة ويقال للناقة بازل أيضاً يستوي فيه الذكر والأنثى - والكوماء - بالفتح الناقة العظيمة السنم - والعدوة - التعدي فانه ينجرها لمن معه سواء كانت المظية مسنة كالبازل أو شابة كالأمون وهي الناقة الموثقة الخلق يومئذ من عنارها وضعها - واخروط - امتد وطال ورواية للمبرد  
لا لشكر البازل الكوماء ضربته      بالمشرفي اذا ما اجلوز السفر  
ومعنى اجلوز امتد

(٥) - لمع - أضاء - والبشر - بضمين جمع بشير يقول اذا فزع القوم وأيقنوا بالهلاك

قال المبرد لا نعلم بيتاً في بين النقيبة وبركة العللة أبرع من هذا البيت

لَا يَمْجِلُ الْقَوْمَ أَنْ تَنْلِي مَرَاجِلَهُمْ      وَيَنْدَلِجُ اللَّيْلَ حَتَّى يُفْسِحَ الْبَصَرَ<sup>(١)</sup>  
عَشْنَا بِهِ حِقَبَةً حَبًّا فَفَارَقْنَا      كَذَلِكَ الرَّيْحُ ذُو النَّصْلَيْنِ يَنْكَسِرُ<sup>(٢)</sup>  
أَصَبْتُ فِي حَرَمٍ مِنَّا أَخَا ثِقَةَ      هَذَا بِنِ اسْمَاءَ لَا يَهْنِي لَكَ الظَّفَرُ<sup>(٣)</sup>

عند الحروب أو الشدائد فكأنه من نفته بنفسه قدامه بشير يبشره بالظفر والنجاح فهو منطلق الوجه نشيط غير كلان

(١) يريد أنه رابط الجاش عند الفرع لا يستخفه الفرع فيجعل أصعابه عن الاطباخ ٥٥ وقوله - حتى يضح البصر - أي يجد متسعاً من الصبح وقبل معناه لبس هو شرها يتجمل بما هو كل - والمراد جمع - القدور جمع مرجل

(٢) وروى \* عشنا بذلك دهر أمم ودعنا \* والنسلان - هما السنان وهي الحديدية العليا من الرمح والزع وهي الحديدية السفلى وقال لها الزجان أيضاً وهذا مثل أي كل شيء يهلك ويذهب

(٣) خاطب المنتشر هند بن أسماء وأراد بالحرم ذا الخلصة ثم دعا عليه والتهنئة خلاف التنزية وكانت قصة هند بن أسماء ان المنتشر بن وهب الباهلي خرج يريد حج ذي الخلصة ومعه غلثة من قومه والأقيصر بن جابر أخو بني فراعص وكان بنو فصيل ابن عمرو بن كلاب أعداء له فلما رأوا منفرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث بن كعب وطريقه عليهم وكان من حج ذا الخلصة أهدي له هدياً نجح به عن لقيه فلم يكن مع المنتشر هدي فسار حتى اذا كان بهضب النباع انكسر له بعض غلثته الذين كانوا معه فصعدوا في شعب من النباع فقالوا في غار فيه وكان الأقيصر يتكهن وأنذر بنو فصيل بالمنتشر بن الحارث بن كعب فقال الأقيصر النجاء يا منتشر فقد أتيت فقال لا أبرح حتى أبرد قضى الأقيصر فأقام المنتشر وأناه غلثته بسلاحه وأراد قتالهم فأمسوه وكان قد أسر هند بن أسماء المتقدم فسأله أن يهدي نفسه فأبطأ عليه فقطع أئمة ثم أبطأ قطع منه أخرى وقد آمنه القوم ووضع سلاحه فقال أتؤمنون مقطعاً وإلهي لا آمنه ثم قتله

لَوْلَمْ تَحْنُهُ نُفَيْلٌ وَهِيَ خَائِنَةٌ لَصَبَّحَ الْقَوْمَ وَرِذُّ مَالِهِ صَدْرٌ<sup>(١)</sup>  
 وَأَقْبَلَ الْخَيْلَ مِنْ تَثْلِيثِ مُصْنِفَةٍ وَصَمَّ أَعْيُنَهَا رَعْوَانٌ أَوْ حَضْرُ<sup>(٢)</sup>  
 إِمَّا سَلَكْتَ سَبِيلًا كُنْتَ سَالِكَهَا فَاذْهَبْ فَلَا يُبْعِدُكَ اللَّهُ مُنْتَشِرٌ

[ قال النريف ] رضى الله عنه . . . وقد رويت هذه القصيدة للدعجاء أخت المنتشر وقيل  
 ليلي أخته ولعل الشبهة الواقعة في نسبها الى ليلي الأخيالية من هنا والصحيح ما ذكرناه  
 . . . أخبرنا أبو القاسم علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن  
 أبي عبيدة قال وفد الأخطل على معاوية فقال إني قد امتدحتك بأبيات فاسمها فقال  
 ان كنت شبيهني بالحية أو الأسد أو الصقر فلا حاجة لي فيها وان كنت قلت في كما  
 قالت الخلداء

وَمَا بَلَغَتْ كَفْأَ امْرِئٍ مُتَطَاوِلٍ بِهِ الْمَجْدُ إِلَّا حَيْثُمَا نَلَتْ أَطْوَلُ  
 وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ فِي الْقَوْلِ مَدْحَةً وَإِنْ صَدَقُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ

فهاهنا فقال الأخطل والله لقد أحسنت وقد قلت فيك بيتين ما هما بدون ما سمعته  
 فأنشد

إِذَا مَتَّ مَاتَ الْعُرْفُ وَأَنْتَ طَعَّ الْغَنَى فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مِنْ قَلِيلٍ مُصَرِّدٌ

وقتل غلته انتهى وزاد عبد القادر البغدادي بين البيتين بيتاً وهو

فإن جزعنا فقد هُدَّتْ مُصَابِنَا وَإِنْ صَبَرْنَا فَلَنَا مَعْشَرٌ صَبْرٌ

— المصابة — يضم الميم بمعنى المصيبة يقال جبر الله مصابه وهو فاعله والمفعول محذوف أي قوانا  
 والصبر بضم السين جمع صبور مبالغة صابر وروي مصيبتنا

(١) — صبغه — سقاء الصبوح وهو الشرب بالغداة أراد أنه كان يقتلهم

(٢) — أقبَلَ الخيل — جعلها مقبلة ومقبلة مائة نحوكم — ورعوان وحضر — موضعان

أي كانت تأتي خيله عليكم في هذين الموضعين وما كانت تنام في منزل إلا فيها



شهوأتهم لما قبحه في عقولهم ونفوسهم عن الواجب عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك شاقاً  
 والثواب المستحق عليه عظيماً متضاعفاً وإنما يحسن أن يجعله شاقاً تعريضاً لهذه المنزلة  
 •• وتأنيتها أن يكون ذلك دعاءً بالثبوت لهم على الهداية وامدادهم بالألطف التي معها  
 يستمرون على الإيمان فإن قيل وكيف يكون مزيجاً لقلوبهم بأن لا يفعل اللطف •• قلنا  
 من حيث المعلوم أنه متى قطع امدادهم بألطفه وتوفيقه زاغوا وانصرفوا عن الإيمان  
 ويجرى هذا مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا. معناه لا تحل بيننا وبين  
 من لا يرحمنا في تسلط علينا ومثله قول الفرزدق

أَتَانِي وَرَحَلِي بِالْمَدِينَةِ وَقَعَةٌ  
 لِأَلِّ تَمِيمٍ افْعَدْتِ كُلَّ قَائِمٍ

أراد قعد لها كل قائم فكأنهم قالوا لا تحل بيننا وبين نفوسنا ونعمتنا الطائفك فتزيغ  
 ونضل •• وتأنيتها ما أجاب به أبو علي الجبائي محمد بن علي لأنه قال المراد بالآية ربنا  
 لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك ومعنى هذا السؤال أنهم سألوا الله تعالى أن يطفى  
 لهم في فعل الإيمان حتى يقيموا عليه ولا يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك  
 الإيمان أن يزيغ قلوبهم عن الثواب وإن يفعل تعالى بهم بدلا منه العقاب •• قال فإن  
 قال قائل فما هذا الثواب الذي هو في قلوب المؤمنين حتى زعمتم أنهم سألوا الله أن  
 لا يزيغ قلوبهم عنه وأجاب بأن من الثواب الذي في قلوب المؤمنين ما ذكره الله تعالى  
 من الشرح والسعة بقوله تعالى ( فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ) وقوله  
 تعالى للرسول عليه الصلاة والسلام ( ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك )  
 وذكر أن ضد هذا الشرح هو الضيق والحزن اللذان يضلان بالكفار عقوبة قال ومن  
 ذلك أيضاً التطهير الذي يفعله في قلوب المؤمنين وهو الذي منعه الكافرين فقال تعالى  
 ( أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ) قال ومن ذلك كتابته في قلوب المؤمنين  
 كما قال تعالى ( أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ) وضد هذه الكتابة هي سمات الكفر  
 التي في قلوب الكافرين فكأنهم سألوا الله تعالى أن لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب  
 لي ضده من العقاب •• ورابعها أن تكون الآية محمولة على الدعاء بأن لا يزيغ القلوب

عن اليقين والايان ولا يقتضي ذلك انه تعالى سئل ما كان لا يجب أن يفعله وما لولا المسألة لجاز فعله لانه غير ممنوع أن يدعو على سبيل الاعتطاع اليه والافتقار الى ما عنده بان يفعله تعالى ما تعلم انه لا بد من أن يفعله وبأن لا يفعل ما تعلم انه واجب أن لا يفعله تعالى اذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكياً عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام ( ولا نخزيك يوم يبعثون ) وكما قال في تعليمننا ما ندعوه به ( قل رب احكم بالحق ) وكقوله تعالى ( ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ) على أحد الأجوبة وكل ما ذكرناه واضح بحمد الله . [ قال الشريف ] رضى الله عنه واني لأستحسن قول الراعى في وصف الاناثي والرماد فاقدم طبق وصفه المفصل مع جزالة الكلام وقوته واستوائه واطراده

وَأُورِقُ مِنْ عَهْدِ ابْنِ عَفَّانٍ حَوْلَهُ      حَوَاضِنُ الْأَفِّ عَلَى غَيْرِ مَشْرَبٍ  
وَرَادُ الْأَعَالِي أَقْبَلَتْ بِنُحُورِهَا      عَلَى رَاشِحٍ ذِي شَامَةِ مُتَّقَوِّبٍ  
كَأَنَّ بَقَايَا لَوْنِهِ فِي مَثُونِهَا      بَقَايَا هِنَاءٍ فِي فَلَائِصِ مُجْرَبٍ

— الأورق — الرماد جعل الاناثي له كالحواضن لاحتضانها له واستدارتها حوله .  
— وأراد — بوراد الأعلى — ان ألوانها تضرب الى الحمرة وخمس الأعلى لانها مواضع القندر فلا تكاد تسود — والراشح — هو الراشح وانما شبه الرماد بينهما بفصيله بين أظفار — والمتقوب — الذي قد انحصر أعلاه وشبهه ما سودت النار منهين بأثر قطران على فلائص جري — والمجرب — الذي قد جربت إبله . . . ونظير هذا المعنى يعينه أعنى تشبيهه تسويد النار بالهناء قول ذي الرمة

عَفِي الزُّرْقُ مِنْ أَطْلَالٍ مِيَّةٍ فَالِدَحْلُ      فَأَجْمَادُ حَوْضِي حَيْثُ رَاحِمَهَا الْجَبَلُ<sup>(١)</sup>

(١) — الزرق — رمال بالدهناء وقيل هي قرية بين النجاج وسمينة وهي صخرة المسالك — والدحل — بالفتح ماء نجدى لسطفان — والأطلال — جمع طلل معركة وهو الشاخص من آثار الدار — والاجماد — جمع جمد بالتحريك وهو ما ارتفع من الأرض — وحوضي —

سَوِيٌّ أَنْ يَرَى سَوْدَاءَ مِنْ غَيْرِ خَلْقَةٍ      تَخَطَّأَهَا وَارْتَتْ جَارَاتِهَا النُّقْلُ  
 مِنَ الرِّضْمَاتِ الْبَيْضِ غَيْرِ لَوْنِهَا      نَبَاتُ فِرَاضِ الْمَرْخِ وَالْيَابِسِ الْجَزَلُ  
 كَجَزْبَاءِ دُسَّتْ بِالْهِنَاءِ فَأَصْبَحَتْ      بِأَرْضِ خِلَاءٍ أَنْ تُقَارِبَهَا الْإِبِلُ

قوله - سوداء من غير خلقة - يعني أفضية لان السواد ليس بخلقة وانما سودتها النار  
 .. وقوله - تخطأها النقلة - أي تجاوزها فلم تحمل من مكان الى مكان بل بقيت منفردة  
 - وارثت جاراتها - بمعنى بجاراتها أي نقلن عنها الاثافي الاواني كن\* معها - والمرث -  
 هو المنقول من مكان الى مكان وأسلف ذلك في الجريح والعايل يقال ارتت الرجل  
 ارتثاً اذا حمل من المركبة وبه رفق .. قال الضر بن شميل معنى ارتث صرع ..  
 وقال أبو زيد مأخوذ من قولهم ارتثينا رثة القوم اذا جمعوا ردى متاعهم بعد أن تحملوا  
 من موضعهم وكلا المعنيين يليق بيت ذي الرمة لانه يجوز أن يريد صرعن وبقيت  
 ثانية قائمة - والرضمات - حجارة بيض بعضها على بعض - والقراض - جمع فرض  
 وهو الحزب يكون في الزند .. وعنى بنات فراض المرخ شرر النار الخارجة من ذلك  
 الفرض - والمرخ - شجر تخذ منه الزندة .. ومن أمثالهم في كل شجر نار واستشهد  
 المرخ والعفرار وهذا الثلث يضرب للرجل الكريم الذي يفضله على القوم ويزيد عليهم  
 فكان المعنى كل القوم كرام وأكرمهم فلان<sup>(١)</sup> ومعنى - كجرباء دست بالهناء - انه

بالفتح ثم السكون مقصور بوزن سكرى اسم ماء لبني طهمان بن عمرو بن سلمة الى جنب  
 جبل في ناحية الرمل - وزاحها - ضايقها - والحلب - الرمل المستطيل

(١) وقال الميداني في تفسيره له يقال مجدت الابل تمجد مجوداً اذا نالت من الحلي  
 قريباً من الشبع واستمجد المرخ والعفرار أي استكثر وأخذاً من النار ما هو حسبها  
 شها بمن يكثر العطاء طلباً للمجد لانها يسرعان الوري يضرب في تفضيل بعض النقي  
 على بعض .. قال أبو زياد ليس في الشجر كله أوري زناداً من المرخ قال وربما كان  
 المرخ مجتمعاً ملتفاً وهبت الريح فحك بمضه فأوري فاحترق الوادي كله ولم تر

شبه الائمة المفردة بناقة جرباه قد أفردت وأبعدت عن الابل حتى لا تجربها ولا تعديها ومعنى دست بالهاء أي طليت به .. وفي معنى قول الراعي ورواد الأطلي شبه من قول الشماخ بن ضرار

أقامت على ربيعيها جارتنا صفا كمينتا الأعلى جوتنا مُصطَلاهما<sup>(١)</sup>

ذلك في سائر الشجر .. قال الأعشى

زنادك خبير زناد الملوك خالط فيهن سرخ عفارا  
ولو بت قدح في ظلمة حصاة ينبع لا وريت نارا  
والزبد الأعلى يكون من العفار والأسفل من المرخ .. قال الككيت  
إذا المرخ لم يور تحت العفار وشن بقدر فلم تعقب

(١) وقبله

أمن ومنتين صرخ الركب فيهما بحقل الرخامي قد أني لبلاهما  
أقامت على ربيعيها جارتنا صفا كمينتا الأعلى جوتنا مصطلاهما  
وإرث رماد كالحماسة مائل وتويان من مظلومتين كداهما  
أقاما لليلى والرباب وزالتا بذات السلام قد عفا ظلالهما  
ففاضت دموعي في الرداء كأنها عزالي كسبب مغلف وكلاهما  
ليالي ليلى لم يشب عذب ماها بلح وجبلانا متين قواما  
ولو ذبن لليبيض المهجان وحالك من اللون خريب بهيم علاما  
إذا اجهدا الترويح مدا عجاوجة أحاسير مما يستبر خطاهما  
وسربين كدربين قد سرعت غدوة على الماء معروف الي لغاهما  
إذا غادرا منه قطاتين ظلتا أديم النهار تطلبات قطاهما  
وإني عدائي عنكم غير ماقت نواران مكتوب على يفاهما  
وعلى كألواح الإران لساتها إذا قيل للمشوبتين هماهما  
تغالي برجليها اليك ابن مربع فيالم لم المنفلي مفتلاهما

يعنى - بربعيها - منزلتي المرأتين اللتين ذكرهما ويعنى - بجمارتا صفا - الانثيين لانهما مقطوعتان من الصفا الذي هو الصخر ٥٥ ويمكن في قوله جارتا وجه آخر هو احسن من هذا وهو ان الانثيين توضعان قريبا من الجبل لتكون حجارة الجبل نائكة لهما وممسكة للقدميها ولهذا تقول العرب رماه بثالثة الاناثى أى بالصخرة أو الجبل وشبه أعلاهما بلون الكسيت وهو لون الحجر نفسه لأن النار لم تصل اليه فتسوده - ومصطلحهما جون - أي اسود لان النار قد سفعت وسودته ٥٥ وقال الراعي في وصف الاناثى أيضاً

أَذَاعَ بِأَعْلَاهُ وَأَبْقَى شَرِيدَهُ      ذَرَى مَجْنَحَاتٍ يَنْهَنُ فُرُوجُ  
كَأَنَّ بَجْرِعِ الدَّارِ لَمَّا تَحْمَلُوا      سَلَابٍ وَرُفَا يَنْهَنُ خَدِيجُ

- أذاع بأعلاه - يعنى الرماد لأن السافى طير ظاهره وما علامته - وأبقى شريده - يريد به الذى أبقى لما شرد على السافى فلم يطيره - وذرى مجنحات - يعنى الاناثى وذرى كل شئ بجانبه وما استفرقت به منه - والمجنحات - المسيلات منه - والسلايب - جمع سلوب وهي الناقة التى سلبت ولدها يموت أو نحر وقد عطفت على حوار آخر - والخديج - الذى قد سقط لغير تمام - والورق - اللوانى ألوانهن كلون الرماد ٥٥ وفي معنى قول الراعي وأبقى شريده ذرى قول الخليل السمدى

|                              |                               |
|------------------------------|-------------------------------|
| إذا ما حصيرا زورها لم يعلقا  | لها الضفر إلا من امام رحاها   |
| كست عضديها زورها وانحنت بها  | ذراعا لجوج عوج ملتقا هما      |
| قبات بأئلى ليسة ثم ليسة      | بمحاذاة واجنابت نوي عن نواها  |
| وراحت على الأفواه أفواه غيقة | نجاه بفنلاوين ماض سراها       |
| أجدت هباباً عن هباب وساحت    | قوى لسعتها بمد طول اذاها      |
| ولولا فئ الأناصرا مسك سمها   | ضمير ولا حورانها فقراها       |
| وإني لأرجو من يزيد بن سبيع   | حديثه من خبيرتين اسطفاها      |
| حديثه من نائله وكرامته       | شئى فى بقاء المجد حتى احتواها |

وَأَرَى لَهَا دَارًا بِأَغْدِرَةِ السَّيِّدَانِ لَمْ يَذْرُؤَنَّ لَهَا رَسْمٌ <sup>(١)</sup>  
 إِلَّا رَمَادًا هَامِدًا دَفَعَتْ عَنْهُ الرِّيَّاحَ خَوَالِدٌ سَحْمٌ <sup>(٢)</sup>

— لا — ههنا بمعنى الواو فكأنه قال وأرى رماداً هامداً ولولان لإهنا بمعنى الواو لفسد الكلام ونقض آخره أوّله لانه يقول في آخر البيت ان الخوالد السحيم دفعت عنه الرياح فكيف خبر بأنه قد درس وانما أراد انه باق ثابت لان الاثافي دفعت عنه الرياح فلم تستنه إذهو من جملة ما لم يدرس بل هو داخل في جمته ولراعي أيضاً في الاثافي

أُنْحَنَ وَهْنٌ أَغْفَالٌ عَلَيْهَا قَقَدَ تَرَكَ الصَّلَاةَ بَيْنَ نَارًا

شبه الاثافي بنوق أنحن أغفالا ليست عليهنّ سمة ثم أخبر ان الوقود قد أثر فيهن أثرأ كالسمة فالتار السمة تقول العرب ما نار بعيرك أي ماسته وفي أمثالهم نجارها نارها أي

(١) — الأغدرة — جمع غدير وهو القطعة من الماء يغادرها السيل أي يتركها وهو فعيل في معنى مفعول على اطراح الزائد وقد قيل انه من القدر لانه يخون ورائه فينضب عنهم ويقدر بأهله فينقطع عند شدة الحاجة اليه . . وقال اللحياني القدير اسم ولا يقال هذا ماء غدير وقال الليث القدير مستنقع الماء ماء المطر سفيراً كان أو كبيراً غير انه لا يبقى الى التقيظ إلا ما يتخذة الناس من عد ووجد ووقف أو صهرج أو حائر قال أبو منصور العد الماء الدائم الذي لا انقطاع له ولا يسمى الماء الذي يجمع في غدير أو صهرج أو صنع عدا لان العد ما يدوم مثل ماء العين والركية

(٢) — الرماد — دقاق النعم من حراقة النار وما هبا من الجمر فصار دقاقاً والطائفة منه رمادة . . وفي حديث أم زرع زوجي عظيم الرماد أي كثير الأضياف لان الرماد بكثرة الطبخ — وهامداً — طافئاً . . قال الأصمعي طفت النار اذا سكن لها وهمدت هموداً اذا طفت البتة فاذا سارت رماداً قيل هبا يهبو وهو هباب — والخوالد — الصخور . . قال الجوهري قيل لاثافي الصخور خوالد لطول بقائها بمد دروس الاطلال — وسحيم — جمع سحماء أي سوداء وهو صفة لخوالد

سبها نذل على كرمها يضرب ذلك للرجل ترى له ظاهراً حسناً يدل على باطن خيره  
 ٠٠ وقال عدي بن الرقاع العاملي

إِلَّا رَوَا كَدَ كُلِّهِنَّ قَدِ اصْطَلَى  
 حَمْرَاءَ أَشْمَلِ أَهْلِهَا إِيقَادَهَا  
 كَانَتْ رَوَا حِلَّ لِقَادُورِ فَمَرِيَتْ  
 مِنْهُنَّ وَاسْتَلَبَ الزَّمَانُ رَمَادَهَا

وقال مالك الجعفي

إِلَّا رَوَا كَدَ بَيْنَهُنَّ خِصَاصَةً  
 سَفَعِ الْمَنَاكِبِ كُلِّهِنَّ قَدِ اصْطَلَى

وقال حميد بن ثور

فَتَغَيَّرَتْ إِلَّا مَلَاعِبَهَا  
 وَمُمرَّساً مِنْ جَوَانِهِ ظَهْرٍ  
 عَرِشِ الثَّقَابِ لَهَا بِدَارِ إِقَامَةٍ  
 لِلْحَيِّ بَيْنَ نَظَائِرٍ وَتِرٍ

الجوانف - القدر ويقال قدر ظهر وقدور ظهور اذا كانت قديمة - وعرش - أى جعل  
 مثل العريش يعنى الوقود - والثقاب - ما أنقبت به النار من الوقود - والنظائر - هي  
 الاثافي - والوتر - الفرد وأراد انها ثلاث ٠٠ وقال الكميث بن زيد

وَلَنْ تُحْيِيكَ أَظَارٌ مُعْطَفَةٌ  
 لَيْسَتْ بِمَوْذُولٍ تُعْطَفُ عَلَي رُبْعٍ  
 وَلَا يَهَيْبُ بِهَا ذُو النَّبَةِ الْأَبْلُ

يعنى الاثافي فشبه عطفتها على الرماد بنوق أظار قد عطفت على فصيل - والتمك - انتصاب  
 السنام - والميل - من صفة السنام أيضاً - والعائد - من الذوق التى يتبعها ولدها - والريح -  
 الذى نتج في الربيع - والاهابة - الدعاء أهاب بابه اذا دعاها - وذو النبة - الذى قد نوى  
 الرحيل - الأبل - صاحب الأبل ٠٠ وقال ذو الرمة

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَرَى فِي عَجَاهِ  
 كَأَنَّ الْحَمَامَ الْوُزُقَ فِي الدَّارِ وَكَعَتْ  
 رَمَادًا نَحْتَهُ عَنُ الْخَيُْولُ جَنَادِلَةٌ  
 عَلَى خَرَقٍ بَيْنَ الظُّوُورِ جَوَازِلَةٌ

شبه الاثافي بالحمام الورق وجعلها ظووراً لتعطفها على الرماد وشبه الرماد بفرخ خرق

قد سقط ريشه - والجوازل - الفراخ واحدهما جوزل . . وقال البعيث

أَلَا حَيًّا الرِّبْعَ القَوَاءَ وَسَلَّمَا      وَرَسْمَا كَجَثْمَانِ الحِمَامَةِ أَدَهْمَا

قيل ان الحمام هنا القطاة وانه شبه ألوان الرسوم من الرماد وموقد نار ودمنة ومجر طنب وما أشبه هذه الاشياء بألوان ريش القطاة . . ومنه لجربر

كَأَنَّ رُسُومَ الدَّارِ رِيشُ حِمَامَةٍ      نَعَاهَا البَلْبِيُّ وَاسْتَمَعَجَتْ أَنْ تَكَلَّمَا

ولقد أحسن كل الاحسان كثير في قوله

أَمِنْ آلِ قَيْلَةٍ بِالدُّخُولِ رُسُومُ      وَيَجْعَوْمَلِي طَلَّلَ يَلُوحُ قَدُومُ

لَعِبَ الرِّيحُ بِرِسْمِهِ فَأَجَدَهُ      جُونُ عَوَا كِفُ فِي الرَّمَادِ جُثُومُ

سَمِعُ الخُدُودِ كَأَثَرِهَا وَقَدْ مَضَّتْ      حَبِيجُ عَوَائِدُهَا بَيْنَهُنَّ سَقِيمُ

وقيل في قوله - فأجده جون عوا كف - يعنى الانافى لأن الريح لما كشفت عنها وظمرت

سارت كأنها هي أجبت الرسم . . ويحتمل وجه آخر وهو أن يكون معنى أجبت انها

حملت الرماد الذي أحاطت به من لعب الرياح فبقى بحالة يستدل بها المترجم فكان الرياح

درست الريح وعنته إلا ما أجنته هذه الانافى من الرماد ومنعت الريح عنه ويجرى

ذلك مجرى قول الخليل \* إلا رماداً هامداً \* البيت . . وقال مرار الفعسى في الانافى

أَثَرُ الوُقُودِ عَلَى جَوَانِبِهَا      بِخُدُودِهَا كَأَنَّهُ لَطْمُ

ويقال ان أبا تمام الطائي أخذ ذلك في قوله

فَفُؤَا نَعَطِ المَنَازِلِ مِنْ عِيُونِ      لَهَا فِي الشُّوقِ أَحْشَاءُ غِرَارِ

عَفَّتْ آيَاتُهُنَّ وَأَيُّ رِبْعِ      يَكُونُ لَهُ عَلَى الزَّمَنِ الخِيَارِ

انافى كالخُدُودِ لَطْمِنَ حَزْنًا      وَتُوِيَّ مِثْلُ مَا نَفَصَمَ السَّوَارِ

وقد طب عليه قوله لطمن حزناً بعض من لا معرفة له وقال لا فائدة في قوله حزناً

ولذلك فائدة وذلك ان لطم الحزن أوجع لتأثيره أبلغ وأظهر وأبين وقد يكون اللطم

بغير الحزن فأما قوله \* ونؤي مثل ما انضم السوار \* فأخوذ من قول الشاعر

نؤي كما انقض الهلال مخافة

وقد شبه الناس النؤي بالسوار والخال كخبراً أو بغير ذلك \* قال كثير

عَرَفْتُ لِسَعْدِي بَعْدَ عَشْرِينَ حِجَّةً

بِمَا دَرَسَ نُوْيٌ فِي الْمَحَلَّةِ مُنْحَنٍ <sup>(١)</sup>

قَدِيمٌ كَوَقْفِ الْعَاجِ ثَبْتُ حَوَاؤُهُ

مُغَادِرُ أَوْتَادِ بَرِضِمٍ مُوَضَّنٍ

الوقف - السوار من الذئب ومن العاج - والرضم - سخور عظام - والموضن - الذي

بعضه فوق بعض \* وقال بشار

وَنُوْيٌ كَخُلْخَالِ الْفَتَاةِ وَصَائِمٌ

أَشَجُّ عَلَى رَبِّبِ الزَّمَانِ رَقُوبٌ

الصائم الأشج - يعنى الوند وإنما وصفه بأنه صائم لقيامه وشبهه وجمعه رقوباً لانفراده

والمرأة الرقوب والشيخ الرقوب الذى لا يعيش له ولد \* ومن مستحسن ما وصف به

النؤى قول أبى تمام

وَالنُّوْيُ أَهْمَدُ شَطْرَهُ فَكَأَنَّهُ

تَحْتَ الْحَوَادِثِ حَاجِبٌ مُقْرُونٌ <sup>(٢)</sup>

(١) - درس - بسكون الراء أصله درس بنتعها وسكنت وكل ذلك جائز في كل فعل

ثلاثي فان كانت عينه حلقية فهو مقيس وإلا فحكمه الضرورة يقال درس الرسم غفا

ودرسته الريح محته لازم متعد - ومنحن - دارس

(٢) البيت من قصيدة يمدح بها الواثق بالله أوطا

وأبى المنازل إنها لشجون

وعلى المعجومة أنها لتبين

فاعقل بنضو الدار فضوك بقسم

فرط الصباية مسعد وحزين

لا تمنعني وقفة أشقى بها

داء الفؤاد فانها ماعوف

واسق الانافي من شؤونك ربيها

انب الضنين بدمعه لضنين

والنؤي أهد شطره فكأنه

تحت الحوادث حاجب مقرون

حزن غداة الحزن حاج غليله

في أبرق الحنان منك حنين

وقال المتأخر في ذلك

قَفَّ عَلَى الدَّمْتَيْنِ بِالذَّوِّ مِنْ رَيْسِ الْكَخَالِ فِي وَجَنَةِ جَنْبِ خَالٍ  
يَطْلُولُ كَأَنَّهُنَّ نَجُومٌ فِي عِرَاصٍ كَأَنَّهُنَّ لِيَالِي  
وَنُورِي كَأَنَّهُنَّ عَلَيْهِنَّ خِدَامٌ خَرَسَ بِسُوقِ خِدَالٍ<sup>(١)</sup>

الخدَام - جمع خُدَمَة وهي الخُلُخَال وجعلها خرس لأنها غير قلقة وشبه ما أحقق به  
النورى من الأرض وامتلائها بامتلاء الخُلُخَال من الساق الخدلة وهي الممتلئة

سمة الصباغة زفرة أو عبرة متكفل بهما حشا وشؤون

لولا التفعيل لادعى هضبا لخمى وسقى المشقر أنه محزون

(١) الأبيات من قصيدة يمدح بها عبد الرحمن بن المبارك الانطاكي ومطلعها

صلة الهجر في وهجر الوصال تكسائي في السقم نكس الهلال

فقد الجلم نافصاً والذي يشق منسه يزيد في بلبال

قَفَّ عَلَى الدَّمْتَيْنِ ٠٠ الأبيات الثلاثة ٠٠ ومنها

ما يزيد النورى من الحية الذؤاق حر الفلا ويرد الظلال

فهو أمضى في الروع من ملك الموت وأسرى في ظلمة من خيال

ولحقت في العز يدنو عجب ولعمر يطول في الذل قال

نحن ركب ملجئن في زى ناس فوق طير لها شخوص الجمال

من بنات الجدبل تثنى بنا في ال... بيد مشى الأيام في الآجال

كل هوجاء للدياميم فيها أتر الذار في سليط الذبال

عامدات للبدرو البحر والفض... سرغامة ابن المبارك المفضل

من بزره يزد سليمان في الم... لك جلالا ويوسفاً في الجمال

وربيع يضاحك الغيث فيه زهر الشكر من رياض المعالي

فضعنا منه الصبا بنسيم ورواحاً في ميت الآمال

همُّ عبد الرحمن نفع الموالى ووار الأعداء والأموال

## مجلس آخر ٥٢

[ تأويل آية ] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى ( وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ) إلى قوله ( ألا نجيث بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون ) ٠٠ فقال ما تأويل هذه الآيات وهل البقرة التي نعتت بهذه الثعوت هي البقرة المرادة باللفظ الأول والتكليف واحد والمراد مختلف أو التكليف متغاير ٠٠ الجواب قلنا أهل العلم في تأويل هذه الآية يختلفون بحسب اختلاف أصولهم فمن جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب يذهب إلى أن التكليف واحد وإن الأوصاف المتأخرة هي البقرة المتقدمة وإنما تأخر البيان عن وقت الخطاب ولما سئل عن الصفات ورد البيان شيئاً بعد شيء ومن لم يجوز تأخير البيان يقول إن التكليف متغاير وأنهم لما قيل لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم إلا ذبح أي بقرة شاة من غير تعيين بصفة ولو أنهم ذبحوا أي بقرة انفتحت كانوا قد امتثلوا الأمر فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة لا فارض ولا بكر ولو ذبحوا ما اختص بهذه الصفة من أي لون كان لأجزأ عنهم فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح ما اختص بالصفات الأخيرة ٠٠ ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر فهم من قال في التكليف الأخير أنه يجب أن يكون مستوفياً لكل صفة تقع متحقق تكون البقرة مع أنها غير ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لاشية فيها صفراء فاقع لونها ولا فارض ولا بكر فهم من قال إنما يجب أن يكون بالصفة الأخيرة فقط دون ما تقدم فظاها ما تقدم الكتاب بالقول الأول أشبه وهو المبنى على جواز تأخير البيان وذلك أنه تعالى لما كلفهم ذبح بقرة قالوا لا رسول عليه الصلاة والسلام ( ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ) فلا يحلو قولهم ما هي من أين يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها أو عن التي أمروا بها ثانياً على قول من يدعي ذلك وليس يجوز أن يكونوا سألوا عن الصفة التي تقدم ذكرها لأن الظاهر من قولهم ما هي بعد قوله لهم اذبحوا بقرة يقتضى أن يكون السؤال عن صفة البقرة المأمور بذبحها لانهم لا علم لهم بتشكيل ذبح بقرة أخرى فيستفهموا عنها وإذا صح أن السؤال إنما كان عن صفة البقرة المتكررة التي أمروا في الابتداء بذبحها فليس يحلو قوله أنها بقرة

لافترض ولا بكرٌ من أن يكون كناية عن البقرة الأولى أو عن غيرها وليس يجوز أن يكون ذلك عن بقرة ثانية لان ظاهر قوله تعالى ( انها بقرة لافترض ولا بكرٌ ) من أن يكون كناية عن البقرة الأولى أو عن غيرها وليس يجوز أن يكون ذلك كناية عن بقرة ثانية لان ظاهر قوله تعالى ( انها بقرة ) من صفتها كذا وكذا بقدر قولهم ما هي يقتضي أن يكون كناية متعلقة بما تضمنه سؤالهم وان الأمر لو لم يكن على ما ذكرناه لم يكن ذلك جواباً لهم بل كان يجب أن يكونوا سألوه عن شيء فأجابهم عن غيره وهذا لا يليق بالنبي عليه الصلاة والسلام على أنه تعالى لما أراد أن يكلفهم تكليفاً ثانياً عند تفریطهم في الأول على ما يدعيه من يذهب الى هذا المذهب قد كان يجب أن يجيبهم عن سؤالهم وينكر عليهم الاستفهام في تغيير موضعه وتفریطهم فيها أمروا به بما لا حاجة بهم الى الاستفهام عنه فيقول في جواب قولهم ما هي انما كلفهم أي بقرة شتم وما يستحق اسم بقرة وقد فرطتم في ترك الامتثال وأخطأتم في الاستفهام مع وضوح الكلام إلا أنكم قد كلفتم ثانياً كذا وكذا لان هذا مما يجب عليه بيانه لازالة الشك والابهام واللبس فلما لم يفعله ذلك وأجاب بالجواب الذي ظاهره يقتضي التعلق بالسؤال علم ان الأمر على ما ذكرناه وحب أنه لم يفعل ذلك في أول سؤال كيف لم يفعله مع تكرار الأسئلة والاستفهامات التي لم تقع على هذا المذهب بموقعها ومع تكرار المعصية والتفريط كيف يستحسن أن يكون جميع أجوبته غير متعلقة بسؤالهم لانهم يسألونه عن صفة شيء فيجبهم بصفة غيره من غير بيان بل على أقوى الوجوه الموجبة لتعلق الجواب بالسؤال لان قول القائل في جواب من سأله ما كذا وكذا انه بالصفة الفلانية صريح في ان الهاء كناية عن ما وقع السؤال عنه هذا مع قولهم ان البقر تشابه علينا لانهم لم يقولوا ذلك إلا وقد اعتقدوا ان خطابهم بمحمل غير مبين فلم لم يقله أي تشابه عليكم وانما أمرهم في الابتداء بأي بقرة كانت وفي الثاني انما اختص باللون المخصوص من أي البقر كان . . فان قيل كيف يجوز أن يأمرهم بذيخ بقرة لها جميع الصفات المذكورة الى آخر الكلام ولا يبين ذلك لهم وهذا تكليف ما لا يطاق . . قلنا لم يرد منهم أن يذبحوا البقرة في الثاني من حال الخطاب ولو كانت حال الحاجة الى الفعل حاضرة لما

جاز أن يتأخر البيان لان تأخيره عن وقت الحاجة هو التبيح الذي لاشبهه في قبسه وانما أراد أن يذبحوها في المستقبل فلو لم يستفهموا ويطلبوا البيان لكان قد ورد عليهم عند الحاجة اليه . . فان قيل اذا كان الخطاب غير متضمن لصفة ما أمروا بذبحه فوجوده كعدمه وهذا يخرجهم من باب الفائدة ويوجب كونه عبثاً . . قلنا ليس يجب ما ظننتم لان القول وان كان لم يفد صفة البقرة بعينها فقد أفاد تكليف ذبح بقرة على سبيل الجملة ولم يكن ذلك معلوماً قبل هذا الخطاب فصار مفيداً من حيث ذكرناه وخرج من أن يكون وجوده كعدمه وفوائد الكلام لا يجب أن يدخلها الاقتراح وليس يخرج الخطاب من تعلقه ببعض الفوائد كونه غير متعلق بغيرها وبما هو زيادة عليها . . فان قيل ظاهر قوله تعالى ( فذبحوها وما كادوا يفعلون ) يدل على استبطائهم وذمهم على التصير في امتثال الأمر . . قلنا ليس ذلك صريح ذم لأن كادوا للمقاربة وقد يجوز أن يكون التكليف صعب عليهم لغلالة عن البقرة التي تكاملت لها تلك الصفة فقد روي أنهم ابتاعوها بل جلدوا ذهباً على أن النعم يقتضى ظاهره أن يصرف الى تصيرهم أو تأخيرهم امتثال الأمر بعد البيان التام لان قوله تعالى ( وما كادوا يفعلون ) انما ورد بعد تقدم البيان التام المتكرر ولا يقتضى ذمهم على ترك المبادرة في الأول الى ذبح بقرة فليس فيه دلالة على ما يخالف ما ذكرناه . . فان قيل لو ثبت تقديراً أن التكليف في البقرة متغير أي القولين اللذين حكيتموهما عن أهل هذا المذهب أصح وأشبه . . قلنا قول من ذهب الي أن البقرة انما يجب أن تكون بالصفة الأخيرة فقط لان الظاهر به أشبهه من حيث انه اذا ثبت تغير التكليف وليس في قوله إنها بقرة لاذلوت نير الأرض الى آخر الأوصاف ذكر لما تقدم من الصفات وهذا التكليف غير الأول فالواجب اعتبار ما تضمنته لفظه والاتصاف عليه . . فأما الفارص . . فهي المسنة وقيل هي العظيمة الضخمة يقال ضرب فارص أي ضخيم والغرب الدلو ويقال أيضاً لحية فارصة اذا كانت عظيمة والأشبه بالكلام أن يكون المراد المسنة . . فأما البكر . . فهي الصغيرة التي لم تلد فكانه تعالى قال غير مسنة ولا صغيرة . . والعوان . . دون المسنة وفوق الصغيرة وهي النصف التي قد ولدت بطناً أو بطنين يقال حرب عوان اذا لم تكن أول حرب وكانت ثانية وانما

جاز أن يقول بين ذلك وبين لا يكون إلا بين اثنين أو أكثر لان لفظة ذلك تنوب عن الجمل تقول ظننت زيداً قائماً فيقول القائل قد ظننت ذلك وقد ظننت ذلك وقد ظننت ذلك .. ومعنى فاقع لونها - أي خالصة الصفرة وقيل ان كل ناصع اللون بياضاً كان أو غيره فهو فاقع وقيل انه أراد بصفرها هنا سوداء .. ومعنى قوله تعالى ( لا ذلول شير الأرض ) أي تكون صعبة لا يذللها العمل في إثارتها الأرض وسقى الزرع .. ومعنى - مملكة - مفعلة من السلامة من العيوب .. وقال قومٌ مسلمة من الشية أي لاشية فيها تخالف لونها .. وقوله - لاشية فيها - أي لا عيب فيها وقيل لا وضوح وقيل لا لون يخالف لون جلدها والله أعلم بما أراد وإياه نسأل التوفيق .. [ قال الشريف المرتضى ] رضى الله عنه .. كنت أظن ان المتنبي قد سبق الى معنى قوله في مرثية أخت سيف الدولة طوى العزيرة حتى جاءني خبرٌ فرزعت فيه بآمالي إلى الكذب حتى إذا لم يدع لي صدقة أملاً شرفت بالدمع حتى كاد يشرق بي حتى رأيت هذا المعنى لمسلم بن الوليد الأنصاري والبهزني .. أما الذي لمسلم فقوله في قصيدة يرثي بها سهل بن الصباح

وقفت العفاة عليك من متحبرٍ  
وله الرجاء وذو غنى يسترجعُ  
ومخادعُ السمعِ النعيِّ ودونهُ  
خطبُ ألمٍ بصادقٍ لم يخدعِ

وقال البهزني يرثي وصيفاً التركي

إذا جدُّ ناعيه توهنتُ أنهُ  
يُكرِّرُ من أخباره قولَ ما زحِ

وكنت أظن ان المتنبي سبق الى قوله

تحلُّ القنا يومَ الطعانِ بمقوتِي  
فأحرمهُ عرضي وأطعمهُ جلدي<sup>(١)</sup>

(١) - القنا - جمع قناة وهي الرج - ومقوتى - ساحتى - والعرض - موضع الذم والمدح

من الانسان .. والمعنى ان الطعان يقع في ساحته فيجعل جلده طمعاً له ولا يهزم خوفاً من الطعان في عرضه وهو من قصيدة يودع بها ابن العميد عند مسيره قاصداً سيف

حتى رأيت هذا المعنى بعينه واللفظ لحيم بن شبله الكلابي من أهل الجمامة في قوله  
 نبي قومه عن خذرجان وقدحنا إلى الموت دأبي الصفحتين كليم  
 أخوال الحرب إمامجلده فمجرح كليم وإمأ عرضة فسلم

وكنت أظن ان البحري سبق الى معنى قوله في الفتح بن خاقان  
 حملت إليه السيف لا عزمك أنتي ولا يدك أرتدت ولا حدته نبا  
 حتى وجدت لشار متقدم

طمنت ابن دهمان بنجران طعنة شققت بها عنه مضاعفة السرد

الدولة ثم قتله فانك الأسدى ومطلعها

لبيت وما أنسى عتاباً على الصد ولا ليلة قصرتها بمصيرة  
 ومن لي بيوم مثله يوم كرهته وإلا يخس الفقد شيئاً لاني  
 تمنّ بلد المسهام بذكره وغيظ على الأيام كالنار في الحنى  
 فأما تربى لأفيم ببلدة يحل القنا يوم الطعان بعقوتي  
 تبدل أيامي وعيشي ومنزلي وأوجه قتياب حياه تلتموا  
 وليس حياه الوجه في الذئب شيمة إذا لم تجزهم دار قوم مودة  
 يجيدون عن هزل الملوك الى الذي ولا خفراً زادت به حرمة الحد  
 أطالت يدي في جيدها محبة العقد قريت به عند الوداع من البعد  
 فقدت فلم أفقد دموعي ولا وجدى وان كان لا يغني قتيلا ولا يجدي  
 ولكنه غيظ الأسير على القيد فأفة غمدي في دلوتي وفي حدى  
 فأحرمه عرضي وأطعمه جلدي نجائب لا يفكرن في النعس والسعد  
 عليهن لا خوفاً من الحر والبره ولكنه من شيمة الأسد الورد  
 أجاز القنا والخوف خير من الود نوفر من بين الملوك على الجهد

فَلَا السَّكْفُ أَوْهَتْ بِي وَلَا الرَّمْحُ خَانَنِي وَلَا الْأَذْمُ السَّمْعُوتُ حَادَ عَنِ الْقَصْدِ

قال محمد بن يحيى الصولي وصف الناس سفرة اللون في العمل فكل حكي ذلك وقال بلا فضيلة الا البعدي فانه أغرق من أبيات قال اصرابي بن أبات<sup>(١)</sup>

جَعَلْتُ وَمَا عَايَنْتُ عَطْرًا كَأَنَا جَرَى بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ خَلُوقُ

وقال أبو نعام

لَمْ يَشِنْ وَجْهَهُ الْمَلِيحَ وَلَكِنْ جَعَلْتُ وَرَدَ وَجَنَّتِيهِ بَهَارًا

وقال غيره

لَمْ تَشِنْ شَيْئًا وَلَكِنِهَا بَدَلَتْ الثَّفَاحَ بِالْيَاسَمِينِ

وقال أبو بكر عيسى الزلفي

عَلَّةُ زَعْفَرَتِ مُورَدَ خَدِّي كَادَ مِنْ رِقَّةٍ وَرِيٍّ يَفِيضُ

ولأحمد بن يزيد المهلب

وَقَالُوا غَزَتِ غِرَاءَ حُمَى شَدِيدَةً فَوَجَنَّتْهَا مِنْهَا شَدِيدُهُ صَفَارُهَا

فَقَلْتُ لَهُمْ هَيْبَاتُ هَاتِيكَ رَوْضَةٌ مَضَى وَرَزْدُهَا عَنَا وَجَاءَ بَهَارُهَا

ولأبي الناهبة

وَكَا نُنِّيِّ مِمَّا تَطَاوَلَ بِي مِنْكَ السَّقَامُ طَلَيْتُ بِالْوَرَسِ

وقال ابن المعتز

وَصَمَّرْتُ عِلْتَهُ وَجْهَهُ فَصَارَ كَالدَّيْنَارِ مِنْ حُقِّ

وقال البعدي

بَدَّتْ صُفْرَةٌ فِي لَوْنِهِ إِنْ حَمَدَهُمْ مِنْ الدَّرِّ مَا صَفَّرَتْ نَوَاحِيهِ فِي الْعِقْدِ

(١) هكذا فيما وقفنا عليه من النسخ على انه لم يظهر لنا استقامة المعنى فليحرو

وَجَرَّتْ عَلَيَّ الْأَيْدِي بِحَسَّةٍ كَفَّهِ كَذَلِكَ مَوْجُ الْبَحْرِ مَلْتَبُهُ الْوَقْدُ  
وَمَا الْكَلْبُ مَحْمُومًا وَإِنْ طَالَ عَمْرُهُ أَلَا إِنَّمَا الْحَيُّ عَلَى الْأَسَدِ الْوَزْدُ<sup>(١)</sup>

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه •• أما تشبيه صفرة اللون بصفرة الدر فهو تشبيه مليح موافق لفرسه إلا أنه أخطأ في قوله ان حدهم من الدر ما اصفرت نواحيه في المقدر لان ذلك ليس بمحمود بل مذموم ولو شبه وترك التعليل لكان أجود •• وروى أبو العباس أحمد بن فارس النخعي قال جدنا أبو أحمد عبيد الله بن يحيى البهتري قال حدثني أبي قال حدثني جدتي البهتري قال كنت عند أبي العباس المبرد يوماً فتذاكرنا شعر عمارة بن عقيل فقال أبو العباس لقد أحسن عمارة في قوله خالد بن يزيد لما وجهه اليه بهذين البيتين

لَمْ أَسْتَطِعْ سِيْرًا لِمَدْحِهِ خَالِدٍ فَجَعَلْتُ مَدْحِيهِ إِلَيْهِ رَسُولًا  
قَلْبِي رَحْلًا إِلَى نَائِلِ خَالِدٍ وَلَيْسَ كَفِينٌ رَوَّاحِي التَّرْحِيلًا

قال البهتري فقلت له مروان بن أبي حفصة في عبيد الله بن طاهر وقد أتاه نائمه من الجزيرة ما هو أحسن من هذا وأنته  
لعمري لَنِمِّ النَّيْتِ غَيْثُ أَصَابِنَا  
فَكُنَّا كَحَيِّ صَبْحِ النَّيْتِ أَهْلُهُ  
يَبْعَادُ مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ وَابِلُهُ  
وَلَمْ يَرْتَحِلْ أَظْلَمَانُهُ وَرَوَّاحِلُهُ

[١] هي من أبيات يمدح بها ابراهيم بن المديبر ويذكر علة ناله ومطلعها بأنفسنا لا بالطوارف والتناد بنا معشر العاقين ما بك من أذى ظللنا نعود الحمد من وعكك الذي ولم نصف الليث افنسمنا نواله بدت صفرة من لونه الأبيات الثلاثة •• وبعدها

ولست ترى عود القنادة خافاً سموم الرياح الآخذات من الرند

فقال ثم هذا أحسن فقلت له ان لي في بنى السبط وقد أتاني برهم من حمص ما لا يتضع  
عن الجميع وأشدته

جزى الله خيرًا والجزاء بكفه      بنى السبط أخذان السباحة والمجد  
هم وصلوني والمهامة بيننا      كما أرفض غيث من تهامة في نجد

فقال هذا والله أرق مما قالا وأحسن . . . وروى أحمد بن فارس المتبحر عن عبيد الله  
ابن يحيى بن البختري قال حدثنا أبي عن جماعة من أهل العلم والأدب منهم يموت بن  
الزرع قال قلت لأبي عنان الجاحظ من أنسب العرب فقال الذى يقول

عجبت إلى فضل الخمار فأثرت      عذباته بمواضع التقييل

وقال هذا لابختري في القصيد التي أوثما

صب بخاطب منجمات طولول<sup>(١)</sup>

[ ١ ] هو مطلع قصيدة يمدح بها الفضل بن اسماعيل الهاشمي

|                           |                               |
|---------------------------|-------------------------------|
| من سائل بك ومن مسؤول      | صب بخاطب منجمات طولول         |
| حق كأن نحوهن نحولى        | حات معالمهن أعباء البلى       |
| يعطي الأسي من دمه المبدول | يا وهب هب لأخيك وقفة مسعد     |
| غسدرات عهد للزمان يحيل    | أو ما ترى الدامن الخيلة تشتكي |
| قدماً معارف رسماً المجهول | إن كنت شكرها فقد صرف الهوى    |
| مالت مع الواشين كل بميله  | تلك التي لم يعدها قصد الهوى   |
| عذباته بمواضع التقييل     | عجبت إلى فضل الخمار فأثرت     |
| إشراقه عن عارض مصقول      | وتبسمت عند الوداع فأشرقت      |
| وأرد دونك والشباب رسولى   | أأخيب عندك والصبالي شافع      |
| يوم الفراق على امرء بطويل | ولقد تأملت الفراق فلم أجد     |
| منه لدهر صبابة وغويل      | قصرت مسافنه على مزود          |

[وقال الشريف المرتضى] رضى الله عنه . . . وفي سبب هذه القصيدة بيت ليس يقصر في

الملاحاة والرشاقة وأخذها بمجامع القلوب عن البيت الذي فضله به الجاحظ وهو

أَخِيبُ عِنْدَكَ وَالصَّبَالِي شَافِعٌ وَأَرْدُ دُونَكَ وَالشَّبَابُ رَسُولِي

وفي مدح هذه القصيدة بيت معروف بفرط الحسن وهو

لَا تَطْلُبِينَ لَهُ الشَّبِيهَ فَإِنَّهُ قَمَرُ التَّامِلِ مِرْنَةُ التَّامِلِ

وبهذا الاسناد عن يحيى بن البحرى قال انصرفت يوماً من مجلس أبي العباس محمد بن

يزيد المبرد فقال لي أبي البحرى ما الذى أفدت يومك هذا من أبي العباس قلت أملى

على أخباراً حسنة وأنشدنى أبياناً للحسين بن الضحاك فقال أبى أشدنى الأبيات

فأنشدته

كَأَنِّي إِذَا فَارَقْتُ شَخْصَكَ سَاعَةً لَفَقْدِكَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ غَرِيبٌ

وَقَدَرْتُ أَسْبَابَ السُّلُوفِ فَخَانِي ضَمِيرٌ عَلَيْهِ فِي هَوَاكَ رَقِيبٌ

أَغْرَكَ صَفْحِي عَنْ ذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ وَعَضَى عَلَى أَشْيَاءِ مِنْكَ تَرِيبٌ

كَأَنَّ لِمِ بَكُنْ فِي النَّاسِ فَبَلِي مَتِيمٌ وَلَمْ يَكُ فِي الدُّنْيَا سِوَاكَ حَبِيبٌ

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو إِنْ شَكُوتُ فَلَمْ يَكُنْ

لِشَكْوَايَ مِنْ عَطْفِ الْحَبِيبِ نَصِيبٌ

وإذا الكرام تنازعوا أكرومة

قسموا على أخلاقهم فتفاوتوا

في كل معكرومة يد مبسوطة

لا تطلبين له الشبيهه فانه

جاز المدى فرمي بغير مناضل

فتى سمت عين الحسود لفضوره

فالفضل للفضل بن اسماعيل

فيهن قسمة غرة وحجول

من فاضل منهم به مفضول

قر التامله مزنة التامله

في سودد وجرى بغير رسيه

طرفت بطرف من علاه كليله

فقال ما أحسن هذا الكلام وأنشدني لنفسه

حبيبي حبيب يَكْتُمُ النَّاسَ إِنَّهُ      لَنَا حِينَ تَلْقَانَا الْعِيُونَ حَبِيبُ  
بِأَعْدَانِي فِي الْمُلْتَمَى وَفَوَادُهُ      وَإِنْ هُوَ أَبْدَى لِي الْبِعَادَ قَرِيبُ  
وَيُعْرَضُ عَنِّي وَالْهَوَى مِنْهُ مُقْبِلُ      إِذَا خَافَ عَيْنَا أَوْ أَشَارَ رَقِيبُ  
فَتَنْطِقُ مِنَّا أَعْيُنُ حِينَ تَلْتَقِي      وَتَحْرَسُ مِنَّا أَلْسُنُ وَقُلُوبُ

ثم قال يابن ابرو هذين فانهما من أحسن الشعر وطريفه .. روى أحمد بن فارس  
المنبجي عن أبي نصر محمد بن اسحق النحوي قال سمعت بعض أهل الأدب يقول  
لازجاج قد كنت تعرف أبا العباس المبرد وكبره وانه ما كان يقوم لأحد ولا يتناول له  
ويشده اذا أشرف عليه الرجل

تَهْلَانُ ذُو الْهَضْبَاتِ لَا يَتَحَلَّلُ<sup>(١)</sup>

ولقد رأيت به يوماً وقد دخل عليه رجل متدرع فقام اليه أبو العباس فاعتنقه وتبكي  
عن موضعه وأجله فجعل الرجل يكفه ويستغفبه من ذلك فلما أكثر من ذلك عليه  
أنشده أبو العباس

أَتُنْسِكِرُ أَنْ أَقُومَ وَقَدْ بَدَأَ لِي      لِأَكْرَمَةٍ وَأَعْظَمَةِ هِشَامُ  
فَلَا تُنْسِكِرُ مُبَادِرَتِي إِلَيْهِ      فَإِنَّ لِمَنْ لِهَ خَلْقَ الْقِيَامُ

فلما انصرف الرجل سألت عنه فقيل لي هذا البعري

### ﴿ مجلس آخر ٥٣ ﴾

[ تأويل آية أخرى ] .. إن سألت سائل عن قوله تعالى في قصة قابيل وهابيل حاكياً  
عن هابيل ( لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك إني أخاف

(١) صدر البيت • فارفع بكافك ان أردت بتمامه •

الله رب العالمين إني أريد أن تبوء بأثمي وإثمك الآية) . فقال كيف يجوز أن يخبر تعالى عن هابيل وقد وصفه بالقوى والطاعة بأنه يريد أن يبوء أخوه بالإثم وذلك ارادة القبيح و ارادة القبيح قبيحة عندكم على كل حال ووجه قبحها كونها ارادة لقبيح وليس قبحها بما يتغير وكيف يصح أن يبوء القاتل بأثمه وإثم غيره وهل هذا الا ما يبوءه من أخذ البريء بجرم السقيم . الجواب قلنا جواب أهل الحق عن هذه الآية معروف وهو ان هابيل لم يرد من أخيه قبيحاً ولا أراد أن يقتله وإنما أراد ما أخبر الله تعالى به عنه من قوله ( إني أريد أن تبوء بأثمي وإثمك ) أى تبوء بجزاء ما قدمت عليه من التبيخ وعقابه وليس بقبيح . أن يريد نزول العقاب المستحق بمسئته ونظير قوله إثمى مع أن المراد به عقوبة إثمى الذى هو قتلى قول القائل عمن بماقب على ذنب جنه هنا ما كسبت يداك والمعنى هنا جزاء ما كسبته يداك وكذلك قولهم لمن يدعون عليه لفاك الله مملك وستلقى عملك يوم القيامة معناه ما ذكرناه . . فان قيل كيف يجوز أن يحسن رادة عقاب غير مستحق لم يقع سببه لان القتل على هذا القول لم يكن واقعاً . قلنا ذلك جازئ بشرط وقوع الأمر الذى يستحق به العقاب فهابيل لما رأى من أخيه التصميم على قتله والاضمار والعزم على إمضاء القبيح فيه وغلب على ظنه وقوع ذلك جاز أن يريد عقابه بشرط أن يفعل ما هم به وعزم عليه . . فأما قوله إثمى وإثمك فالعنى فيه واضح لانه أراد بأثمى عقاب قتلك لي وبإثمك أى عقاب المعصية التى أقدمت عليها من قبلى فلم يتقبل قربانك لسببها لان الله تعالى أخبر عنهما بأنهما قريباً قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر وان العلة فى ان قربان أحدهما لم يتقبل انه غير متق وليس يمتنع أن يريد بأثمى ما ذكرناه لأن الإثم مصدر والمصادر قد تضاف الى الفاعل والمفعول جميعاً وذلك مستعمل مطرد في القرآن والشعر والكلام فمثال ما أضيف الى الفاعل . . قوله تعالى ( ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ) ومن اضافته الى المفعول . . قوله تعالى ( لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وان مسه الشر ) . . وقوله تعالى ( لقد ظلمك بسؤال نعجتك

الى لعاجه) ٥٥. وما جاء في الشعر من اضافته الى المفعول ومعها الفاعل قول الشاعر  
 أَمِنْ رَسْمِ دَارِ مَرْبَعٍ وَمَصِيفُ لَعِينِكَ مِنْ مَاءِ الشُّوونِ وَكَيْفُ<sup>(١)</sup>

(١) قوله \* أمن رسم دار الخ \* هو مطلع قصيدة للحميضة عدتها ثمانية عشر بيتاً مدح بها سعيد بن العاص الأموي لما كان والياً بالكوفة لعثمان بن عفان رضي الله عنه قوله \* أمن رسم دار الخ \* الهزرة للاستفهام التقريري ومن تعليلية متعلقة بوكيف وهو مصدر وكف وكوفاً وكيفاً سال شيئاً فشيئاً وتأويله أمن رسم داراً مريبع أى أثر فيها آثاراً والرسم الأثر بلا شخص - والشؤون - مجازي الدمع من الرأس الى العين واحدها شأن \* وقوله - لعينيك - جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم على المبتدأ وهو وكيف يروى بالنية ويروى بالافراد - ومربيع - فاعله المصدر وهو رسم وهو على حذف مضاف والتقدير مطره ونحوه وهو وما بعده اسمان لزم الربيع والصيف ويأتیان اسمى مكان ومصدرين أيضاً وهذه الصيغة تشترك فيها هذه المعاني وهى صيغة قياسية يذكرها الصرفيون والمذكور فى كتب اللغة انما هو المربع بمدى منزل القوم فى الربيع خاصة وبعد البيت

|                              |                            |
|------------------------------|----------------------------|
| رشاش كعربي حاجري كلاهما      | له داجن بالكسرين عليف      |
| اذا كره غرباً بعد غرب أعاده  | على رغه وافى السبال عفيف   |
| تذكرت فيها الجمل حتى تبادرت  | دموعي وأصحابي على وقوف     |
| يقولون هل يبكي من الشوق مسلم | تخل الى وجه الإله حنيف     |
| فلأياً أزاحت عني ذات مدم     | نكيب تعالى فى الزمام خروف  |
| مقدفة باللحم وجناه عدوها     | على الأبن إرقال معاً ووجيف |
| اليك سعيد الخبير جبت مهامها  | بهابقى آل بها وثنوف        |
| ولولا الذي العاصي أبوه تعلقت | بحوران مجذام العنى عصفوف   |
| ولولا أصيل اللب غض شبايه     | كريم لأيام التنوف عروف     |
| اذا هم بالأعداء لم ين هم     | ككباب عليها لؤلؤ وثنوف     |
| حصان لها فى البيت زى وبهجة   | ومشي كما تمشى القطاة قطوف  |

في الكلام يقول الثائل أعجبتني ضرب عمرو خالداً اذا كان عمرو فاعلا وضرب عمرو  
خالداً اذا كان عمرو مفعولاً .. وقد ذكر قومٌ في الآية وجهاً آخر وهو أن يكون المراد  
إني أريد زوال أن نبوه بأني وانك لانهم يرد له إلا الخير والرشد فحذف الزوال وأقام  
ان وما اتصل بها مقامه كما قال تعالى ( وأشرىوا في قلوبهم العجل ) أراد حب العجل  
فحذف الحب وأقام العجل مقامه وكما قال تعالى ( وأسأل القرية ) وهذا قول بعيد لانه  
لادلالة في الكلام على محذوف وانما تستحسن العرب الحذف في بعض المواضع لاقتضاء  
الكلام المحذوف ودلاله عليه .. وذكر أيضاً وجه آخر وهو أن يكون المعنى إني أريد  
أن لا نبوه بأني وانك أي أريد أن لا تقتلني ولا أقتلك فحذف لا واكتفى بما في الكلام  
كما قال تعالى ( بين الله لكم أن تضلوا ) معناه أن لا تضلوا وكقوله تعالى ( وألقى في  
الأرض رواسي أن تمتد بكم ) معناه أن لا تمتد بكم وكقول الخنساء

فَأَسْتَمْتُ أَسِيَّ عَلِيَّ هَالِكٍ وَأَسْأَلُ نَائِمَةً مَالِيَا

أرادت لا آسى ولا أسأل .. وقال امرؤ القيس

فَقَالَتْ يَبِينُ اللَّهُ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي

أراد لا أبرح .. وقال عمرو بن كلثوم

نَزَلْتُمْ مَنَزِلَ الْأَصْيَافِ مِنَّا فَمَجَلْنَا الْقَرِيَّ أَنْ تَشْتُمُونَا

أراد أن لا تشتمونا والشواهد في هذا كثيرة جداً وهذا الجواب يضعفه كثير من أهل

|                             |                               |
|-----------------------------|-------------------------------|
| خجباب ومطوي السراة منيف     | ولوشاه وارى الشمس من دون وجهه |
| لها لقيح في الأعجمين كشوف   | ولكن إدلاجاً بشيهاء نغمة      |
| ألوف على آثارهن ألوف        | اذا قادها للموت يوماً تابعت   |
| ويض كأولاد النعام كثيف      | فصفوا وما ذي الحديد عليهم     |
| وما بعدها للصالحين حنوف     | أنابت الى جنات عدن نفوسهم     |
| اذا سمته الزاد الخليلت عيوف | خفيف المهي لا يملأ الهم صدره  |

العربية لانهم لا يستحسنون اخبار لافي مثل هذا الموضع . . فاما قوله تعالى حاكباً  
 عنه ( لئن بسطت الیٰ يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لأقتلك ) . . فقال قومٌ من  
 المفسرين ان القتل على سبيل الانتصار والمدافعة لم يكن مباحاً فيه ذلك الوقت وان الله  
 تعالى أمره بالصبر عليه وامتنعه بذلك ليكون هو المتولي للانتصاف . . وقال آخرون  
 بله المعنى انك ان بسطت الیٰ يدك مبتدئاً ظالماً لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك على وجه  
 الظلم والابتداء فكأنه نفي عن نفسه القتل الذبيح وهو الواقع على سبيل الظلم . . والظاهر  
 من الكلام بغير ما ذكر من الوجهين أشبه لانه تعالى خبر عنه انه وان بسط أخوه اليه  
 يده ليقته لا يبسط يده ليقته أي وهو مرید لقتله ويجر اليه لان هذا اللام بمعنى كي  
 وهي منبثقة عن الازادة والغرض ولا شبهة في حظر ذلك وقبحه لان المدافع انما يحسن  
 منه المدافعة للظالم أو طلب الشخص منه من غير أن يقصد الیٰ قتله والاضرار به وهي  
 قصد ذلك كان في حكم المبتدئ بالقتل في انه فاعل القبيح والعقل شاهد بوجود  
 الشخص من المضرّة بأي وجه تمكن منه بعد ان يكن غير قبيح . . فان قيل فكأنكم  
 تمنعون من حسن امتحان الله تعالى بالصبر على ترك الانتصار والمدافعة ووجوبها على  
 كل حال . . قلنا لا يتبع من ذلك وانما بينا ان الآية غير مقتضية لتحريم المدافعة والانتصاف  
 على ما ذهب اليه قومٌ لان قوله لأقتلك يقتضى أن يكون البسط لهذا الغرض والمدافعة  
 لا يقتضى ذلك ولا يحسن من المدافع أن يجري بها الى الضرب فلا دلالة في الآية على  
 تحريم المدافعة ووجب أن يكون ما ذكرناه أولى بشهادة الظاهر

[ تأويل خبر ] . . ان سأل سائلاً عن معنى الخبر الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى  
 الله عليه وسلم من انه قال لا يموت مؤمن ثلاثة من الأولاد فدسه النار الانحلة القسم  
 . . الجواب قلنا أما أبو عبيد القاسم بن سلام فانه قال يعني بحجة القسم قوله تعالى ( وان  
 منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ) فكأنه عليه الصلاة والسلام قال لا يرد  
 النار إلا بقدر ما يبر الله قسمه . . وأما ابن قتيبة فانه قال في تأويل أبي عبيد هذا  
 مذعب حسن من الاستخراج ان كان هذا قسماً . . قال وفيه مذهب آخر أشبه بكلام  
 العرب ومعانيهم وهو ان العرب اذا أرادوا تقليد مكث الشيء وتقصير مدته شبهوه بحجة

القسم وذلك أن يقول الرجل بعد حلته ان شاء الله فيقولون ما بئس فلان عندنا الا  
نحلة القسم وما بنام العليل إلا كتحليل الألية وهو كثير مشهور . قال زاحم بن  
أحر و ذكر الريح

إِذَا عَصَفَتْ رَسْمًا فَلَيْسَ بِدَائِمٍ بِهِ وَتَدُّ إِلَّا تَحِلَّةَ مَقَسَمٍ  
يقول لا يثبت الوند الا قابيل كتحلة القسم لان هبوب الريح يقلعه . . . وقال آخر  
يذكر نوراً

يَخْفَى الزَّرَابُ بِأَخْلَافِ ثَمَانِيَةٍ فِي أَرْبَعٍ مَسْنَنُ الْأَرْضِ تَحْلِيلٌ (١)  
يقول هو سريع خفيف فقوائمه لا تثبت في الأرض إلا كتحليل العجين . . . وقال ذو  
الرمة كأنه يصف صاحب سفر أغفى غفأة ثم اتبه سريعاً

(١) - يخفي الزراب - يستخرجها لشدة عدوه ويقال خفت الشيء اذا استخرجته  
وقرأ بعضهم ( ان الساعة آتية أكاد أخفيها ) أى أظهرها ومن قرأ أخفيها أراد أسرها  
ومنه الحديث ليس على مختصف قطع ومنه قول امرئ القيس

خَفَاهُنْ مِنْ أَنْفَاقِنُ كَأَنَّهَا خَفَاهُنْ وَدَقَّ مِنْ عَشْوٍ مَحَابِبٍ  
ويروي محاب أى يجلب الماء ومجلبة من الجلبة تجلبة الريح والرعد . . . وقوله - باطلاف  
ثمانية في أربع - يريد ثمانية اطلاف في أربع قوائم في كل قائمة طلفان . . . وقوله  
- مسنن الأرض تحليل - أى كتحلة العجين وأهل الحجاز يسمون التباش الخنفي  
وقال مسنن الأرض تحليل قدر نحلة العجين كأنه أقسم ليعسن الأرض كما قال الراعي

حدثت الدراب وألحقت أعجازها روح يكون وقوعها تحاملا  
والبيت من قصيدة لعبد بن الطيب وهي مفضلية ومطلعا

هل حبل خولة بعد الهجر موصول أم أنت عنها بعيد الدار مشقول  
حات خويلة في دار مجاورة أهل المدائن فيها الديك والذيل  
يقارعون رذوس العجم ضاحية منهم فوارس لا عزل ولا ميل  
نظام القاب من ترجيع ذكرتها رن لطيف ورهن منك مكبول

طَوَى طِيَّةً فَوْقَ الْكَرَّاجِفْنُ عَيْتِهِ عَلَى وَهْبَاتٍ مِنْ جَنَانِ الْمَخَادِرِ  
قَلِيلًا كَتَحْلِيلِ الْأَلَى ثُمَّ قَلَّصَتْ بِهِ شِيئَةً رَوْعَاءَ تَقْلِيصَ طَائِرٍ

—والألى— جمع أوة وهي العين قل ومعنى الخبر على هذا التأويل ان النار لا تمسه إلا قليلا كتحلليل العين ثم يحيه الله منها .. وقال أبو بكر محمد بن القاسم الانباري الصواب قول أبي عبيد لحجج ثلاث .. منها ان جماعة من كبار أهل العلم فسروه على تفسير أبي عبيد .. ومنها انه ادعى ان النار تمس الذي وقعت منزله عند الله جليلة لكن مساً قليلا والقليل من النار لا يقع به الأثم العظيم وليس صفة الأبرار في الآخرة صفة من تمسه النار لا قليلا ولا كثيراً .. ومنها ان أبو عبيد لم يحكم على هذا المصاب يولده يس وانما حكم عليه بالورود والورود لا يوجب أن يكون من الأبرار لان الآمعاء الا—ثثناء المنقطع فكأنه قال تمسه النار لاكن تحمله العين أى لاكن ورود النار لا بد منه تجرى مجرى قول العرب سار الناس الا الانقلا وارتحله العسكر الا الحيا وما وأشد الفراء

وَسَمْحَةَ الْمَشَى شِمْلَالٍ قَطَعَتْ بِهَا  
أَرْضًا يَحَارُ بِهَا الْهَادُونَ دَيْمُومًا<sup>(١)</sup>  
مَهَا مَهَا وَحَزُونًا لَا أُنَيْسَ بِهَا  
إِلَّا الصَّوَانِحُ وَالْأَصْدَاءُ وَالْبُومَا<sup>(٢)</sup>  
وأشد الفراء

(١) —الديموم— والديمومة الفلاة الواسعة يدوم السير فيها لبعدها وقيل هي المغازة لاماء بها وأشد ابن برى لدى الرمة \* اذا انتخ الدياميم \* وقيل الديمومة الأرض المستوية التي لا أعلام بها ولا طريق ولا ماء ولا أنيس .. وقال أبو عمرو الدياميم الصحارى اللس المتباعدة الأطراف

(٢) —الصوانح— جمع صائح وهو ما يصبح أى بصوت والمراد به الأصوات التي تسمع في الغللاء ولا حقيقة لها — والأصداء— جمع صدى وهو ما يردده الجبل على الصوت فيه — والبوم— طائر معروف

لَيْسَ عَلَيْكَ عَطْشٌ وَلَا جُوعٌ إِلَّا الرِّفَادُ وَالرِّفَادُ مَمْنُوعٌ

فمعنى الحديث لا يموت لمسلم ثلاثة من الأولاد فتمسه النار البتة لاكن نحلة القوم لا بد منها ونحلة اليمين الرود والورود لا يقع فيه مس .. قال أبو بكر وقد سئح لى فيه قول آخر وهو أن يكون إلا زائدة دخلت للتوكيد ونحلة اليمين منصوب على الوقت والزمان ومعنى الخبر فتمسه النار وقت نحلة القوم وإلا زائدة .. قال الفرزدق شاهداً لهذا

هَمْ الْقَوْمُ إِلَّا حَيْثُ سَلُّوا سِيُوفَهُمْ وَصَحَّوْا بِلَحْمٍ مِنْ مَعَلٍّ وَمَحْرَمٍ

معناه هم القوم حيث سللوا سيوفهم وإلا مؤكدة .. وقال الأخطل

وَيَقْطَعْنَ إِلَّا مِنْ فُرُوعٍ يَرِذْنَهَا بِمَدْحَةٍ مَحْمُودٍ نَشَاءُ وَنَائِلُهُ (١)

معناه يقطعون إلا من فروع يرذنها والفرع الواسعة من الأرض .. [ قال الشريف

(١) وفي ديوانه

اليكم من الأغوار حتى يزرنيكم بمدحة محمود نشاء ونائله

— الأغوار — جمع غور بالفتح وهو القعر من كل شئ وهو هنا الأمكنة المنطمشة

— والنشاء — بالفتح والقصر الخبر .. والبيت من قصيدة يمدح بها بشر بن مروان ومطلعها

صحا القلب عن أروى وأقصر باطله وعادله من حب أروى أخابه

أجدك ما نلتك إلا مريضة تداوين قلباً ما نسام بلابله

عنا واسط منها فالجام حاصر فروض القطا سحرأوه وحماثه

.. ومنها

ومستقبل لفتح الحرور بحاجة اليكم أبا مروان شدت رواحله

اليكم من الأغوار حتى يزرنيكم بمدحة محمود نشاء ونائله

جزاء وشكراً لا مسمى لا تنبئى اذا جثته لمعاؤه وفواضله

أخو الحرب ما بنفك يدعى لعصبة هرورية أو أعجمى يقائله

المرتضى [رضى الله عنه والوجوه المذكورة في تأويل الخبر متقاربة لان الوجه الذي اخص به ابن الاثيرى فيه أدى تصف وبعد من حيث جعله إلا زائدة وذلك كالمستضعف عند جماعة من أهل العلم بالعربية وقد تبقى في الخبر مسألة التشاغل بالجواب عنها أولى بما تكلفه القوم وهي متوجهة على كل الوجوه التي ذكرها في تأويله . . . وهو أن يقال كيف يجوز أن يخبر عليه الصلاة والسلام بان من مات له ثلاثة أولاد لانسمة النار إما جملة أو مقدار تحلة التمس وهو النهاية في الفقة أو ليس ذلك يوجب أن يكون إغراء بالذنوب لمن هذه حاله وإذا كان من يموت له بهذا العدد من الأولاد غير خارج عن التكليف فكيف يصح أن يؤمن من العقاب . . . والجواب عن ذلك إذا قد علمت أو لا خروج هذا الخبر منخرج المدحة لمن كانت هذه صفته للتمييز ولا مدحة في مجرد موت الأولاد لان ذلك لا يرجع الى فعله ولا بد من أن يكون تقدير الكلام ان النار لانس المسلم الذي يموت له ثلاثة من الأولاد إذا حسن صبره واحتسابه وعزاؤه ورضاه بما جرى به القضاء عليه لانه بذلك يستحق الثواب والمدح وإذا كان اضرار الصبر والاحتساب لا بد منه لم يكن في القول إغراء لان كيفية وقوع الصبر والوجه الذي اذا وقع عليه تفضل الله تعالى بغفران ماله أن يستحقه من العقاب في المستقبل غير معلوم وإذا لم يكن معلوماً متميزاً فلا وجه للإغراء وأكثر ما في هذا الكلام أن يكون القول مرغباً في حسن الصبر وحائناً عليه رغبة في الثواب ورجاء الغفران ماله أن يستحق في المستقبل من العقاب وهذا واضح لمن تأمله

### — مجلس آخر ٥٤ —

[ تأويل آية ] . . . إن سأل سائل عن قوله تعالى ( ثم قدمت قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ) . . . فقال ما معنى أوهنها وظاهرها بعيد الشك الذي لا يجوز عليه تعالى . . . الجواب قلنا في هذه الآية وجوه . . . أولها أن تكون أوهنها للإباحة كقولهم جالس الحسن أو ابن سيرين والحق الفقهاء أو الحديثين ولم يريدوا الشك بل

كانهم قالوا هذان الرجلان أهل للمجالسة وهذان القبيحان من العلماء أهل للقاء فان  
جالست الحسن فأنت مصيبٌ وان جالست ابن سيرين فأنت مصيبٌ وان جمعت بينهما  
فكذلك فيكون معنى الآية على هذا ان قلوب هؤلاء قاسية متجافية عن الرشد والخير  
فان شبهتم قسوتها بالحجارة أصبتم وان شبهتموها بما هو أشد أصبتم وان شبهتموها  
بالجميع فكذلك وعلى هذا بتأويل قوله تعالى ( أو كصيب من السماء ) لان أو لم يرد  
بها الشك بل على نحو الذي ذكرناه من انكم إن شبهتموهم بالذي استوفد ناراً فجاز وان  
شبهتموهم بأصحاب الصيَب فجاز وان شبهتموهم بالجميع فكذلك .. ونائبها أن تكون أو دخلت  
للتفصيل والتمييز ويكون معنى الآية ان قلوبهم قست فبعضها ما هو كالحجارة في القسوة  
وبعضها ما هو أشد قسوة منها ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ( وقالوا كونوا هوداً أو  
نصارى تهتدوا ) ومعناه قال بعضهم كونوا هوداً وهم اليهود وقال بعضهم كونوا نصارى  
وهم النصارى فدخلت أو للتفصيل وكذلك قوله تعالى ( وكم من قرية أهلكناها فجاءها  
بأسنا بيئاتاً أو هم قائلون ) معناه جاء بعض أهلها بأسنا بيئاتاً وجاء بعض أهلها بأسنا في  
وقت القيلولة وقد يحتمل قوله تعالى ( أو كصيب من السماء ) هذا الوجه أيضاً ويكون  
المعنى ان بعضهم يشبه الذي استوفد ناراً وبعضهم يشبه أصحاب الصيَب .. ونائبها أن  
يكون أو دخلت على سبيل الابهام فيما يرجع الى المخاطب وان كان الله تعالى عالماً بذلك  
غير شك فيه لانه تعالى لم يقصد في إخبارهم عن ذلك إلا التفصيل بل علم عز وجل ان  
خطابهم بالاجمال أبلغ في مصلحتهم فأخبر تعالى ان قسوة قلوب هؤلاء الذين ذمهم  
كالحجارة أو أشد قسوة والمعنى انها كانت كأحد هذين لا يخرج عنهما ويجري ذلك  
مجرى قولهم ما أظمتك إلا حلواً أو حامضاً فيهمون على المخاطب ما يعلمون انه لا قائدة  
في تفصيله والمعنى ما أظمتك إلا أحد هذين الضربين وكذلك يقول أحدهم  
أكلت بسرة أو ثمرة وهو قد علم ما أكل على التفصيل الا انه أهيمه على المخاطب

تَمَنَى ابْنَتَايَ أَنْ يَمِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةَ أَوْ مُضَرَ (١)

أراد هل أنا إلا من أحد هذين الحيين فسبيل ان أفنى كما فنيا وإنما حسن ذلك لان قصده الذي أجرى إليه وغرضه الذي نجاه وهو أن يجبر بكونه من يموت ويهني ولا يخله به اجمال ما أجل من كلامه فاضرب عن التفصيل لانه لا فائدة فيه ولانه سواء كان من ربيعة أو مضر فوته واجب وكذلك الآية لان الغرض فيها أن يجبر تعالى عن شدة قوة قلوبهم وانها بما لا تتقن لوعظ ولا تصغي الى حق فدواء كانت في النسوة كالطجارة أو أشد منها فقد تم ما أجرى اليه من الغرض في وصفها وذمها وصار تفصيل تشبيها بالطجارة وبما هو أشد قوة منها كتفصيل كونه من ربيعة أو مضر في انه غير محتاج اليه ولا يقتضيه الغرض في الكلام .. ورابعها أن تكون أو بمعنى بل كقوله تعالى ( وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون ) معناه بل يزيدون وروى عن ابن عباس في قوله تعالى ( وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون ) قال كانوا مائة ألف وبضعا وأربعين

(١) وبعدة

فقوما وقولا بالذي تعلمانه ولا تخمشا وجهاً ولا تخلفنا شعر  
وقولا هو المرء الذي لاصديقه أضاع ولا خان الصديق ولا غدر  
الى الحول ثم اسم السلام عليكا ومن بئك حولا كاملا فقد اعتذر

والبيت الأخير يورده بعض النحاة على ان لفظ اسم معهم .. قال ابن جني هذا قول أبي عبيدة وكذلك قال في بسم الله ونحن نحمل الكلام على ان فيه محذوفاً قال أبو علي وإنما هو حد حذف المضاف أي ثم اسم معنى السلام عليكا واسم معنى السلام هو السلام وكأنه قال ثم السلام عليكا فالعنى لعمرى ما قاله أبو عبيدة لكننه من غير الطريق التي أنها هو منها الأثر هو اعتقد زيادة شيء واعتقدنا نحن نقصان شيء .. روى ان لبيد رضى الله عنه لما حضرته الوفاة قال لابنته هذه الأبيات فكانت بعد وفاته تلبسان ثيابهما في كل يوم وتأتیان مجلس جعفر بن كلاب قبيلته فترثياه ولا تعلمان فأقامتا على ذلك حولا كاملا ثم انصرفتا

ألفاً • • وأنشد الفراء

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْقِ الضُّحَى وَصَوْرَتِهَا أَوْ أَنْتِ فِي الْعَيْنِ أَمْلَحُ  
وقد تكون أم في الاستفهام أيضاً بمعنى بل كقول القائله أضربت عبد الله أم أنت رجله  
متعنت معناه بل أنت رجله متعنت • • وقال الشاعر

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَسْلَمِي تَدَوَّلَتْ أَمِ النَّوْمِ أَمْ كُلِّ إِلَيَّ حَبِيبُ

معناه بل كل • • وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال وكيف يجوز أن يخاطبنا تعالى  
بانقطة بل وهي تقتضى الاستدراك والنقض للكلام الماضى والاضراب عنه وليس ذلك  
بشيء إما الاستدراك فان أريد به الاستفادة أو التذكير لما لم يكن معلوماً فليس بصحيح  
لان أحدنا يقول اعطيته ألفاً بله ألفين وقصدته دقة بل دفعتين وهو طام في ابتداء  
كلامه بما أخبر به في الثاني ولم يتجدد به علم وان أراد به الأخذ في كلام غير الماضى  
واستئناف زيادة عايه فهو صحيح ومثله جائز عليه تعالى فأما النقض للكلام الماضى  
فليس يوجب في كل موضع يستعمل فيه لفظ بل لان القائله اذا قال اعطيته ألفاً بله  
ألفين لم ينقض الأول وكيف ينقضه والأول داخل في الثاني وانما زاد عليه وانما يكون  
ناقضاً للماضى اذا قال لقيت رجلاً بل حماراً واعطيته درهماً بل ثوباً لان الأول لم يدخل  
في الثاني على وجه وقوله تعالى ( أو أشد قسوة ) غير ناقض للأول لانها لا تزيد في  
القسوة على الحجارة إلا بعد أن تساويها وانما تزيد عليها بعد المساواة • • وخامسها أن  
تكون أو بمعنى الواو كقوله ( أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم ) معناه وبيوت  
آبائكم • • قل جرير

نَالَ الْخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَيَّ قَدَرًا<sup>(١)</sup>

( ١ ) قوله نال الخليفة الخ • • هو من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله  
تعالى • • ويروى جاء الخليفة وأنى الخليفة وفي ديوانه نال الخليفة • • والبيت من شواهد  
النصاعة في باب الفاعل على توسط للمفعول بين الفعل والفاعل جوازا ومطلع القصيدة

وقال توبة بن الحخير

وَقَدْ زَعَمْتُ لَيْلِي بِأَنِّي فَاجِرٌ  
لِنَفْسِي تُقَاهَا أَوْ عَلَيْهَا فَجُورُهَا<sup>(١)</sup>

لجت امامة في لومي وما علمت  
وقال العيني وأولها قوله

كم بالجمامة من شعناه أرملة  
ومن ينهم ضعيف الصوت والنظر  
وهذا غلط لان البيت قبله أنا عشر بيتاً ومنها

إننا لترجو اذا ما التقيت أخلفنا  
من الخليفة ما نرجو من المطر  
•• ومنها

أصبحت للمنبر المعمور مجلسه  
زيناً وزين قباب الملك والحجر  
(١) هو من قطعة أولها

جمامة بطون الواديين ثرني  
سقاك من الغر الغوادي مطيرها  
أبيي لنا لا زال ريشك ناعماً  
ولا زلت في خضراء غصض نصيرها  
وكنت اذا ما زرت ليلى تبرقعت  
وقد رايتي منها صدود رأيت  
وأشرف بالفور اليفاع لعاني  
يقول رجال لا يضيرك نأبها  
وقد رايتي من العين أن تكثر البكي  
ويمنع منها نومها وسرورها  
وقد زعمت ليلى بأني فاجر  
لنفسى تقاها أو عليها فجورها

يروى ان ليلى الأخيالية لما أنشدت الحجاج هذه الأبيات قال لها ما الذي رآه من سفورك فقالت أيها الأمير كان يلعب بي كثيراً فأرسلني الى يوماً إلى آتيك وقطن الحلي فأرصدوا له فلما أتاني سفرت عن وجهي فعلم ان ذلك لشر فلم يزد على التسليم والرجوع فقال لله درك فهل رأيت منه شيئاً تكرهينه فقالت لا والذي أسأله أن يصلحك غير انه قال مرة قولاً ظننت انه قد خضع لبعض الأمر فأنشأت أقول

وقال جرير أيضاً

أثعلبة الفوارس أم رياحاً      عدت بهم طيه والخشاباً<sup>(١)</sup>  
أراد أم رياحاً .. وقال آخر

فلو أن البكاء يرُدُّ ميناً      بكيت على مجبر أو عفاق  
على المرأين إذ هلكاً جميعاً      لشأنهما بشجواً وأشتياق

أراد على مجبر وعفاق .. وحكي المفضل بن سلمة هذا الوجه عن قعرب وطعن عليه بان قال ليس شيء يعلم أشد قسوة عند المخاطبين من الحجارة فيشبه قلوبهم الزيادة عليها وإنما يصح ذلك في قولهم أطمئنتك نمرأاً أو أحلامه لان أحلامه منه معلوم واختار

وذى حاجة قلنا له لا تبج بها      فليس اليها ما حيت سبيل

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه      وأنت لأخرى فارغ وخليد

فلا والله الذي أسأله أن يصاحك مارأيت منه شيئاً حتى فرق الموت بيني وبينه

(١) قوله - أثعلبة - أراد بها القبيلة وهي ثعلبية بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث ابن غطفان .. وفي أسد بن خزيمه ثعلبية أيضاً وهي ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه .. وقوله - أم رياحاً - بكسر الراء وبالياء آخر الحروف وهي أيضاً قبيلة وهي رياح بن يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .. وفي قضاة أيضاً رياح بطن وهو ابن عوف ابن عميرة بن الهون بن أعجب بن قدامة بن حزم بن أبان بن إحلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاة .. وفي سليم أيضاً وهي رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف ابن امرئ القيس بن بهثة بن سليم .. وقوله - طوية - بضم الطاء وفتح الهاء وتشديد الياء آخر الحروف وفي آخره هاء وهي حى من بنى تميم يقال لهم بنو طوية بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم .. وقوله - والخشاب - بكسر الخاء المعجمة وبالشين المعجمة وبمعد الألف باء موحدة وهي أيضاً قبيلة .. قال الجوهرى وبنو رزام بن مالك بن حنظلة يقال لهم الخشاب ثم أنشد البيت المذكور

المفضل الوجه الذي يتضمن أن أو بمعنى بل وهذا الذي طعن به المفضل ليس بشيء لانهم وان لم يشاهدوا أو يعرفوا ما هو أشد قسوة من الحجارة فسورة قسوة الحجارة معلومة لهم ويصح أن يتصوروا ما هو أشد قسوة منها وما له عليها فضل لان قدرأ ما اذا صرف جاز أن يعرف ما هو أزيد منه أو أنقص لان الزيادة والنقصان إنما يضافان الى معلوم معروف على ان الآية خرجت مخرج انذل وأراد تعالى بوصف قلوبهم بالزيادة في القسوة على الحجارة انها قد انتهت الى حد لا تلبث معه للتخبر هل وجه من الوجوه وان كانت الحجارة ربما لانت وانتفع بها فصارت من هذا الوجه كأنها أشد قسوة منها تمثيلاً وتشبيهاً وقول المفضل ليس يعرفون ما هو أقى من الحجارة لامعنى له اذا كان القول على طريق المثل . . . وبعد فان الذي طعن به على هذا الجواب يمرض على الوجه الذي اختاره لانه اذا اختار أن أو في الآية بمعنى بل فكيف جاز بان يخبرهم بان قلوبهم أشد قسوة من الحجارة وهم لا يعرفون ما هو أقى من الحجارة واذا جاز أن يقول لهم بل قلوبهم أقى بما يعرفون من الحجارة جاز أن يخبر عن مثل ذلك بالواو فيقول قلوبهم كالحجارة التي يعرفون في القوة وهي مع ذلك تزيد عليها . . . فان قيل كيف يكون أو في الآية بمعنى الواو والواو لاجمع وليس يجوز أن تكون قلوبهم كالحجارة أو أشد من الحجارة في حالة واحدة لان الشيء اذا كان على صفة لم يميز أن يكون على خلافها . . . قلنا قد أجاب بعضهم عن هذا الاعتراض بان قال ليس يتمتع أن تكون قلوبهم كالحجارة في حالٍ وأشد من الحجارة في حالٍ أخرى فيصح المعنى ولا يتناقض وهذا قريب ويكون فائدة هذا الجواب ان قلوب هؤلاء في بعض الأحوال مع القسوة والعدول عن تصور الحق والفكرة فيه ربما لانت بعض اللين وفي حالٍ أخرى تكون في نهاية البعد عن الحق وكادت تفضي الى الحق فتكون في هذا الحال كالحجارة التي ربما لانت وفي حالٍ أخرى ربما تكون في نهاية البعد عن الحق والنفور منه فتكون في هذا الحال أشد قسوة من الحجارة على انه يمكن في الجواب عن هذا الاعتراض وجه آخر وقد تقدم معناه في بعض كلامنا وهو ان قلوبهم لا تكون أشد من الحجارة إلا بعد أن يكون فيها قسوة الحجارة لأن القتال اذا قاله فلان أعلم من فلان فقد أخبر انه زائد عليه في العلم

الذي اشترك فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فليس هنا تنافٍ على ما ظن المعتز  
ولا اثبات لصفة ونفها فكل هذا بين بحمد الله تعالى ٥٥ [قال المرتضى] رضى الله عنه  
وإني لأستحسن من الشعر قول الأحموس بن محمد الأنصاري

ومولى سخيفِ الرأى رِخْوٌ تَزِيدُهُ      أَنَا تِي وَعَفْوِي جَهْلُهُ عِنْدَهُ دَمًا<sup>(١)</sup>  
وَصَلْتُ وَلَوْ عَيْرَتُهُ لَأَصْبَتُهُ      بِسِنْعَاءِ بَاقِي عَارُهَا يَفْرَأُ الْعَظْمَا  
طَوِي حَسَدًا ضَمِنْنَا عَلَى كَأَنَّمَا      أَدَاوِي بِهِ فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ كَلَّمَا  
وَيَجْهَلُ أَحْيَانًا فَلَا يَسْتَحْفِنِي      وَلَا أَجْهَلُ الْمُنْبِي إِذَا رَاجَعَ الْحِلْمَا  
يَصِدُّ وَيَنَأَى فِي الرَّخَاءِ بِوَدِّهِ      وَيَدْعُو وَيَدْعُو فِي إِذَا خَشِيَ الرِّضْمَا  
فَيَفْرِجُ عَنْهُ إِزْبَةَ الْخَضَمِ مَشْهَدِي      وَأَذْفَعُ عَنْهُ عِنْدَ عَثْرَتِهِ الظُّلْمَا

— الأرية — الدهاء والأرية العقدة وكلا المعنيين يحمّل لفظ البيت

وَكُنْتُ أَمْرًا عَوْدَ الْفِعَالِ تَهْزُنِي      مَا شَرُّ مَجْدٍ تَالِدٍ لِمَ يَكُنْ زَعْمَا  
وَكُنْتُ وَشْتِي فِي أَرْوَمَةِ مَالِكٍ      يَسْبِي لَهُ كَالْكَلْبِ إِذْ يَنْبِجُ النُّجْمَا  
وَلَسْتُ بِلَاقِي سَيِّدًا سَادِمًا لِكَا      فَتَنْسِبُهُ إِلَّا أَبَا لِي أَوْعَمَا  
سَتَعْلَمُ إِنِّ عَادَيْتَنِي فَفَعَّ قَرْقَرٍ      أَمَالًا أَفَدْتَ لَا أَبَالَكَ أَوْعَدَمَا<sup>(٢)</sup>

(١) — المولى — القريب كابن الم ونحوه والواو فيه واو رب أى رب مولى سخيف  
الرأى أي ضيقه — والآناء — الحلم والوقار ٥٥ — المعنى أن اناني وعفوي يزيدانه من  
ذمى عنده

(٢) — الفقع — البيضاء من الكأوة وهي منصوبة على الذم — والقرقر — الأرض المطمئنة  
٥٥ وهذا مأخوذ من قولهم أذل من فقع بقرقر لانه لا يمتنع على من اجتناء ويقال بل لانه

لَقَدْ أَبْقَيْتِ الْيَوْمَ مِنْهَا وَجْرَسَهَا  
وَكَانَتْ مَرُوقُ السُّومِ أَوْدَتْ وَقَصَّرَتْ  
لَأَعْدَائِنَا تُكَلِّلًا وَحُسَادِنَا رَغْمًا  
بِهِ أَنْ يَنَالَ الْحَمْدَ فَالْتَمَسَ الدَّمَا

ومن مختار شعره

إِنِّي إِذَا خَفِيَ الرَّجَالُ رَأَيْتَنِي  
مَأْمِنٌ مُصِيبَةٌ نَسَكَبَةٌ أَمْنِي بِهَا  
كَالثَّمْسِ لَا تَخْفِي بِكُلِّ مَكَانٍ  
وَتَزُولُ حِينَ تَزُولُ عَنْ مُتَخَمِّطٍ  
إِلَّا تَشْرَفَنِي وَتُعْظِمُ شَانِي  
تُخْنِي بِوَادِرِهِ لَدَى الْأَقْرَانِ

ومن جيد شعره

خَلِيلَانِ بَاحَا بِالْهَوَى فَتَشَاحَنَتْ  
أَلَا إِنِّ أَهْوَى النَّاسِ فُرْ بَاوْرُؤِيَّةَ  
أَقَارِبُهَا فِي وَصْلِهَا وَأَقَارِبُ  
وَرِيحًا إِذَا مَا لِلَّيْلِ غَمَارَتْ كَوَاكِبُ  
ضَمِيعٌ دَنَامِي جَدَلْتُ بِقَرَابِهِ  
وَأَخْبِرُهُ بِالسِّرِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ  
فَبَاتَ يُمْنِي وَبِتُّ أَعَاتِبُهُ  
بِأَنْ لَيْسَ شَيْءٌ عِنْدَ نَفْسِي يَقَارِبُهُ

وقد غبّر في وجه كل من وصف المضاجعة امرؤ القيس حيث يقول

يوطأ بالأرجل والجمع فقعة مثله جبّ وجبأة ويقال حمام فقيع إذا كان أبيض ويشبه  
الرجل الذليل بالقعق فيقال هو ققع قرقر لان الدواب تجله بأرجلها .. قال النابغة  
يهجو النعمان بن المنذر

حدثوني بني الشقيقة ماء .. نفع فعفا بقرقر أن يزولا

لان الفقعة لا أصول لها ولا أغصان ويقال فلان فقعة لفاع كما يقال في مولد الأمثال  
لمن كان كذلك هو ككثوث الشجر لان الككثوث نبت يتعاقب بأغصان الشجر من غير  
أن يضرب بعرق في الأرض قول الشاعر

هو الككثوث فلا أصل ولا ورق ولا نسيم ولا ظله ولا ثمر

كأرعت مكحولاً من العين أتلما  
سوالك ولكن لم نجد عنك مذقما  
فتيلان لم تعلم لنا الناس مضرعا  
بمنكب مقدم علي الهول أزوعا

وأذني فواداً من فوادٍ معدب  
من الراح فيما بيننا لم تسرب

تنفست في ليها البارد  
حسبنا في جسدٍ واحد

نقول وقد جرذتها من ثيابها  
وجذك لو شئ أنانا رسوله  
فبتنا نذود الوحش عنا كأننا  
إذا أخذتها هزة الروع أمسكت

وقال علي بن الجهم في وصفه شدة الالتزام

سقى الله ليلاً ضمنا بمد هجمة  
فبتنا جريماً لو تراق زجاجة

ولعبه الصمد بن المعدل في هذا المعنى

كأني عانت ربحانة  
فلو ترانا في قبص الشجا

ولبشار

إني اشتهي لقاءك والاسه فماذا عليك أن تلقاني  
قد تلف الرياح غصناً من البسان الى مثله فيلتقيان

ومثله لابحري

ولم أنس لبتنا في العذبات الصبا بقضيب قضيبا  
كما أقبلت الريح في مرها فطوراً خفوناً وطوراً هبوبا

ولآخر في مثل هنا بعينه ولسنا ندري هل سبق البعري أو تأخر عنه

وصم لا ينهنه اعتناق كما لف القضيب على القضيب

ولعلي بن الجهم

وبتنا علي رغم الحسود كأننا  
نخيطان من ماء الغمامة والخمي

وهذا وإن جملة في العناق فهو مأخوذ من قول بشار

وإن نلتني خلف العيون كأننا سلاف عقارٍ بالنقاخ مشوبٌ

والأصل في هذا قول الأخطل والناس من بعده على أثره .

من الجاريات الحور مطلبٌ سرها كبيض الأتوق المستكنة في الوكر

وإني وإياها إذا ما لقيتها لكالماء من صوب الغمامة والنخمر

وقد أخذه أيضاً ابن أبي عيينة فقال

ما أنس لا أنس إنماها مغطمة على فوادي ويسرها على راسي

وقولها ليتها توباعا على جسدي أوليتني كنت سربالاً لعباس

أوليتها كان لي خمراً وكنت له من ماء مزن فكنتا الذهب في كاس

ومثل هذا لا بد ترى

وجذت نفسك من نفسي بمنزلة هي المصافاة بين الماء والراح

ولقد أحسن بشار في قوله

لقد كان ما بيني زمانا وبينها كما كان بين المسك والعنبر الورد

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي قال حدثنا أبو العيلاء قال

حدثني القتيبي عن أبيه قال سبر الوليد بن عبد الملك <sup>(١)</sup> الأحوص الى دهلك فكتب

(١) قوله سبر الوليد بن عبد الملك الأحوص الخ . المشهور ان الذي نفاه سليمان

ابن عبد الملك وسبب ذلك ان الأحوص كان ينسب بنساء ذوات أخطار من أهله

المدينة ويتغنى في شعره بمعبد ومالك ويشيع ذلك في الناس فنهى فلم ينته فشكى الى عامله

سليمان بن عبد الملك على المدينة وسأله الكتاب فيه اليه ففعل ذلك فكتب سليمان الي

عامله يأمره أن يضربه مائة سوط ويقيم على اللبس للناس ثم يصيره الى دهلك ففعل

ذلك به فتوى هناك سلطان سليمان بن عبد الملك ثم ولي عمر بن عبد العزيز فكتب

الأحوص الى عمر بن عبد العزيز حين استخلف

وَكَيفَ تَرَى لِلنُّومِ طَعْمًا وَلَذَّةً  
وَمَا لَكَ أُمْسِي مُوْتَمًا فِي الْحَبَائِلِ  
فَمَنْ يَكُ أُمْسِي سَائِلًا عَنِ شِمَانَةٍ  
لِيَشْمَتَ بِي أَوْ شَأْمًا غَيْرَ سَائِلِ  
فَقَدْ عَجِمْتَ مِنِّي الْحَوَادِثُ مَا جَدَا  
صَبُورًا عَلَى غَمَاءِ تِلْكَ الْبَلَابِلِ  
إِذَا سُرُّ لَمْ يَفْرَحْ وَلَيْسَ لِنَكْبَةٍ  
أَلَمْتُ بِهِ بِالْخَاشِعِ الْمُتَضَائِلِ

فبعث عمر بن عبد العزيز الى عمراك بن مالك الذي كان شهد عليه فقال ما ترى في هذا

اليه يتأذنه في التذوم ويمدحه فأبى أن يأذن له وكتب فيما كتب اليه به

أيارا كبا إما عرضت قبلهن هديت أمير المؤمنين رسائلي

وقله لأبي حفص إذا مالقيته لقد كنت نقاعاً قليل العوائل

وكيف ترى للعيش طيباً ولذته وما لك أُمسِي مُوْتَمًا فِي الْحَبَائِلِ

ثم ان رجالا من الأنصار كلوا فيه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقال لهم فمن

الذي يقول

فا هو إلا أن رآها خجاة فأبنت حق ما أكاد يجيب

قالوا الأحوص والصحيح ان هذا البيت لعروة بن حزام . . قال فن الذي يقول

أدور ولولا ان أرى أم جعفر بأبياتكم مادرت حيث أدور

وما كنت زواراً ولكن ذالهُوى إذا لم يزر لا بد أن سبوزور

قالوا الأحوص . . قال فن الذي يقول

كأن لبني صبير قادية أو دمية زينت بها البيع

الله يبنى وبين قبتها يفر مني بها وأنبع

قال بل الله بين قيمها وبينه . . فن الذي يقول

سبق لها في مضمرة القلب والحشى سريرة حب يوم تبلى السرائر

قالوا الأحوص قال ان الناسق عنها يومئذ لمشغول والله لا أردده ما كان لي سلطان

( ٢٠ - أمالي - لث )

البانس فقال هراك مكانه خير له فتركه في موضعه فلما ولي يزيد بن عبد الملك جلب الأحموس وسير هراكا ٥٠ [قال المرتضى] رضى الله عنه وإنما كان الأحموس خال عمر بن عبد العزيز من جهة أن أم عمر هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وأما أنصارية ٥٠ فأما قوله - إذا سر لم يفرح - فأخوذ من قول لقيط بن زرارة لَأَمْتَرَفًا إِنْ رَخَاءَ الْعَيْشِ سَاعِدَهُ وَابْسَ إِنْ عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَمًا<sup>(١)</sup> ٥٠ وللأحموس

وَيَبْتَظُنْ مَكَّةَ لَأَبُوحُ بِهِ  
لَوْ أَنَّهَا إِذْ مَرَّ مَرْكَبُهَا  
قُلْنَا لَهَا حَيِّتٍ مِنْ شَجِنٍ  
وَلِرَكْبِهَا حَيِّتٍ مِنْ رَكْبٍ  
قُرَشِيَّةٌ غَلَبَتْ عَلَى قَلْبِي  
يَوْمَ الْكَدِيدِ أَطَاعَنِي صَحْبِي

(١) البيت من قصيدته المشهورة التي أُنذِر بها قومه غزو كسرى لإيهم وكان لقيط كاتباً في ديوان كسرى فلما رآه مجمعاً على غزو إياد كتب إليهم بهذا الشعر فوقع الكتاب في يد كسرى فقطع لسان لقيط وغزا إياداً ومطلعها

يادار حمرة من محتلها الجرما  
نأمت فوادمي بذات الجنع خرعبة  
يفلسني خاذل أدماء طاع لها  
هاجت لي الهم والاحزان والوجعا  
مرت تُريد بذات العذبة البيعا  
نبت الرياض تزجي وسطه ذُرُعا

٥٥ ومنها

وقلدوا أمركم لله دركم  
لامترفاً أن رخاء العيش ساعده  
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه  
مسهد النوم تعنيه أموركم  
ما نأفك يحلب هذا الدهر أشطره  
حتى استمرت على شذر مهبرته  
رحب الذراع بأمر الحرب مظلماً  
ولا إذا عض مكروه به خشماً  
هم يكاد سناه يقسم الضلماً  
يروم منها إلى الأعداء مظلماً  
يكون متبهاً طوراً ومثبها  
مستحكماً الرأي لاحقاً ولاضرباً



قبله فأى فائدة في أن بأمرهم بأن يخبروا عن ذلك بشرط أن يكونوا صادقين وهو عالم  
 بهم لا يتمكنون من ذلك لفقد علمهم به.. قلنا لمن ذهب الى الأصل الذي ذكرناه أن  
 يقول لا يمتنع أن يكون الغرض في ذلك هو أن يكشف باقرارهم وامتناعهم من الإخبار  
 بالأسماء ما أراد تعالى بيانه من استثنائه بعلم الغيب وانفراده بالاطلاع على وجوه المصالح  
 في الدين .. فان قيل فمنا يرجع الى الجواب الذي تذكرونه من بعده.. قلنا هو وان  
 رجع الى هذا المعنى فينبهنا فرق من حيث كان هذا الجواب على تسليم ان الآية  
 تضمنت الأمر والتكليف الحقيقيين والجواب الثاني لانسلم فيه ان القول أمر على  
 الحقيقة فن هنا افتراقا .. والوجه الثاني أن يكون الأمر وان كان ظاهره أمر فغير  
 أمر على الحقيقة بل المراد به التقرير والتنبيه على مكان الحجية وقد برد بصورة الأمر  
 ما ليس بأمر والقرآن والشعر وكلام العرب مملوء بذلك وتلخيص هذا الجواب ان الله  
 تعالى قال للملائكة ( إني جادل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها  
 ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال لهم إني أعلم ما لا تعلمون ) أي  
 إني مطلع من مصالحكم وما هو أنفع لكم من دينكم على ما لا تعلمون عليه ثم أراد  
 التنبيه على انه لا يمتنع أن يكون غير الملائكة مع انها تسبح وتقدس وتطيع ولا تعصى  
 أولى بالاستخلاف في الأرض وان كان في ذريته من يفسد ويسفك الدماء فعلم تعالى آدم  
 عليه الصلاة والسلام أسماء جميع الأجناس أو أكثرها وقيل أسماء النبي محمد صلى الله  
 عليه وآله والأئمة من ولده وسلم وقبه أحاديث مروية ثم قال تعالى للملائكة أنبؤوني بأسماء  
 هؤلاء مقررأ لهم ومنها على ما ذكرناه ودالا على اختصاص آدم عليه الصلاة والسلام  
 بما لم يخصوا به فلما أجابوا بالاعتراف والتسليم اليه علم الغيب الذي لا يعلمونه فقال تعالى  
 ( ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون )  
 منها على انه تعالى هو المنفرد بعلم المصالح في الدين وان الواجب على غير مكلف أن يسلم  
 لأمره تعالى ويعلم انه لا يختار لمبادئه إلا ما هو أصلح لهم في دينهم علموا وجه ذلك أم  
 جهلوه وعلى هذا الجواب يكون قوله تعالى ( ان كنتم صادقين ) محمولا على كونهم  
 صادقين في العلم بوجه المصلحة في نصب الخليفة أو في ظنهم انهم يقومون بما يقوم به هذا

الخطيئة ويكلمون له ولولا ان الأمر على ما ذكرناه وان القول لا يقتضى التكليف لم يكن لقوله تعالى بعد اعترافهم واقرارهم ( ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ) معنى لان التكليف الأول يتغير حاله بان يخبرهم آدم عليه الصلاة والسلام بالأسماء ولا يكون قوله تعالى ( إني أعلم غيب السموات ) الى آخر الآية الا مطابقاً لما ذكرناه من المعنى دون معنى التكليف فكأنه تعالى قال اذا كنتم لا تعلمون هذه الأسماء فأنتم عن علم الغيب أعجز وبان تسلّموا الأمر لمن بعلمه ويدير أمركم بحسبه أولى . . فان قيل كيف علمت الملائكة بأننى ذرية آدم من يفسد فى الأرض ويسفك الدماء وما طريق علمها بذلك وان كانت غير عالمة فكيف يجوز أن تخبر عنه بغير علم . . قلنا قد قيل انها لم تخبر وانما استنهدت فكأنها قالت متعرفة أتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وقيل أيضاً ان الله تعالى أخبرها بأنه سيكون من ذرية هذا المستخلف من يعصى ويفسد فى الأرض فقالت على وجه التعرف لما فى هذا التدبير من المصاحبة والاستفادة لوجه الحكمة فيه أتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وهذا الجواب الأخير يقتضى أن يكون فى أول الكلام حذف ويكون التقدير ( وإذ قال ربك للملائكة إني جاهل فى الأرض خليفة ) وإني عالم أن سيكون من ذريته من يفسد فيها ويسفك الدماء فاكتفى عن إيراد هذا المحذوف بقوله تعالى ( قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ) لان ذلك دلالة على الأول وانما حذفه اختصاراً وفى جملة جميع الكلام اختصار شديد لانه تعالى لما حكي عنهم قولهم ( أتجعل فيها من يفسد فيها ) الآية كان فى ضمن هذا الكلام فحس على ما نلته وما يظهر لنا من الأمر أولى بذلك لانا نطبع وغيرنا يعصى وقوله تعالى ( إني أعلم ما لا تعلمون ) يتضمن إني أعلم من مصالح المكلفين ما لا تعلمونه وما يكون مخالفاً لما تظنون على ظواهر الأمور وفى القرآن من المحذوف العجيبة والاختصارات النصيحة ما لا يوجد فى شيء من الكلام فن ذلك قوله تعالى فى قصة يوسف عليه الصلاة والسلام والناس من صاحبيه فى السجن رؤيا الملك البقر السمان والمعجاف أنا أنبئكم بتأويله فارسون يوسف أيها الصديق افتنا ولو بسط الكلام فأورد محذوفه فقال أنا أنبئكم بتأويله فارسون فعملوا فأتى يوسف فقال له

يا يوسف أيها الصديق ومثله قوله في الألقام ( قل إني أمرت أن أكون أول من  
أسلم ولا تكونن من المشركين ) أي وقيل لي ولا تكونن من المشركين وكذلك قوله  
تعالى في قصة سليمان عليه الصلاة والسلام (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر)  
إلى قوله تعالى (اعملوا آل داود شكراً) أي وقيل لهم (اعملوا آل داود شكراً)  
.. وقال جرير

وَرَدْتُمْ عَلَيَّ قَيْسِي بِجُورٍ مُجَاشِعٍ      فَنَوَيْتُمْ عَلَيَّ سَاقِي بَطِيءٍ جُبُورِهَا

أراد فتوتم على ساق مَكسورة بطيء جبورها كأنه لما كان في قوله بطيء جبورها دليل  
على الكسر اقتصر عليه .. وقال عنزة

هَلْ تُبْلِغُنِي دَارَهَا شَدِيدِيَّةٌ      لَعْنَتِي بِمَحْرُومِ الشَّرَابِ مُصَرِّمِ

يعني ناقته .. ومعنى - لعنت - دعاء عليها بإقطاع لبها وحناف ضرعها فصارت كذلك  
والناقاة إذا كانت لا تنتج كان أقوى لها على السير .. قال تابط شراً وروي لاشغري  
فَلَا تَدْفِنُونِي إِنْ دَفَنِي مُعْرَمٌ      عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ خَامِرِي أُمِّ عَامِرِي<sup>(١)</sup>

(١) - خامري أم عامر - مثل وأم عامر وأم عمرو وأم عويمر الضبيح يشبه بها  
الأحقق وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال لا أكون مثل الضبيح تسمع اللدم فتبرز  
طمعاً في الحية حق تصاد وهي كما زعموا من أحق الدواب لانهم إذا أرادوا صيدها  
رموا في جحرها بحجر فتعصبه شيئاً تصيده شيئاً لتأخذ فتصاد عند ذلك ويقال  
لها ابشري بجراد عظام، وكر رجال فلا يزال يقال لها حتى يدخل عليها رجل فيربط  
يديها ورجليها ثم يجرها والجراد العظام الذي ركب بعضها بعضاً كثرة وأصل العظام  
سفاد السباع .. وقوله وكر رجال يزعمون أن الضبيح إذا وجدت فتتلافق انتفخ جردانه  
ألقته على قنائه ثم ركبته .. قال العباس بن مرداس

ولومات منهم من جرحناً أصبحت      ضباع بأعل الرقتين هرائسا

وبعد البيت

لانه أراد فلا تذفوني بل دعوني تأكلني التي يقال لها خامري أم طامر وهي الضبع  
 .. وقال أوس بن حجر

حَتَّى إِذَا السِّكِّابُ قَالَ لَهَا كَالْيَوْمِ مَطْلُوبٌ وَلَا طَلَبًا

أراد لم أراك اليوم حذفت .. وقال أبو دواد الأيادي

إِنْ مِنْ شَيْئِي لِبَدَلِ تِلَادِي دُونَ عِرْضِي فَإِنْ رَضِيتِ فَكُونِي

أراد فكوني مي على ما أنا عليه وان سخطت فيني حذفت هذا كله .. ولا آخر

إِذَا قِيلَ سِيرُوا إِنْ لَيْلِي لَعَلْنَا جَرَى دُونَ لَيْلِي مَا لَيْلُ الْقَرْفِ أَعْصَبُ

أراد لعلها قربت وهذا باب يتسع وهو أكثر من أن يحيط به قول .. والحذف غير

الاختصار وقوم يظنون أنهما واحد وليس كذلك لان الحذف يتعلق بالألفاظ وهو

أن يأتي بلفظ يقتضى غيره ويتعلق به ولا يستقل بنفسه ويكون في الوجود دلالة على

المحذوف فيقتصر عليه طلباً للاختصار والاختصار يرجع الى المعاني وهو أن يأتي بلفظ

مفيد لمان كثيرة لو عبر عنها بغيره لاحتيج الى أكثر من ذلك اللفظ. فلا حذف الا

وهو اختصار وليس كل اختصار حذفاً .. فقال الحذف قوله. ولكن خامري أم طامر.

وظائره مما أئشدهناه لان القول غير مستهين بنفسه بل يقتضى كلاماً آخر غير انه لما كان

فيه دلالة على ما حذف حسن استعماله .. ومثال الاختصار الذي ليس بحذف قول الشاعر

أَوْلَادُ جَنَّةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ السَّكْرِيمِ الْمُفْضِلِ<sup>(١)</sup>

إذا احتملت رأسي وفي الرأس أكثرى وغودر عند الملتقى ثم سائرى

هنالك لا أرجو حياة تسرني سجيس الليالي بسلا بالجراثر

(١) قوله - قبر ابن مارية - الخ .. قال أبو عبيدة هي مارية بنت أرقم بن ثعلبة بن

عمر بن جفنة وقال ابن الكلبي مثله قول أبي عبيدة ثم قال وقالت كندة جهماه هي

مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة وقال القضيبي بنت ظالم

ابن وهب بن الحارث وقال ابن السكيت هي مارية بنت أرقم بن ثعلبة .. والبيت من قصيدة

أراد أنهم أعزاه مقيمون يدار ملكتهم لا يتجدفون كالأعراب فاختصر هذا المبسوط كله في قوله حول قبر أبيهم ٠٠ ومثله قول عدي بن زيد

عالمٌ بالذي يُريدُني الصَّـبـرُ عَفٌّ على حَيَاةٍ نُحُورُ<sup>(١)</sup>

وفي معنى الاختصار قول أوس بن حجر

وَفِيَّانِ صِدْقٍ لَأَتَحْمُ لِحَامَهُمْ إِذَا شَبَّهَ النَّجْمُ الصُّوَارَ النَّوَارِ

فقوله - لأتحم لحامهم - لفظ مختصر لوبسط لقال أنهم لا يدخرون اللحم ولا يستبقونه فيحتم بل يطعمونه الأضياف والطارق ٠٠ ومعنى قوله - إذا شبه النجم الصوار النوار - يعني في شدة البرد وقلب الشتاء لأن الثريا تطلع في هذا الزمان عشاء كأنها صوار متفرق وهذا أيضاً أكثر من أن يحصى وإنما فضله الكلام الفصيح بعضه على بعض لقوة حظه من افادة المعاني الكثيرة بالألفاظ المختصرة ٠٠ فأما قوله تعالى (ثم عرضهم على الملائكة) بعد ذكر الأسماء التي لا تليق بها هذه الكناية فللإيراد به عرض المسميات لان الكناية لا تليق بالأسماء ولا بد من أن تكون تلك المسميات أو فيها ما يجوز أن يكنى عنه بهذه

حسان رضي الله عنه المشهورة التي مدح بها آل جفنة ومطلمها

|                               |                              |       |
|-------------------------------|------------------------------|-------|
| بين الجوابي فالضيع خومل       | أسألت رسم الدار أم لم تسأل   |       |
| يوماً بجَلْقٍ في الزمان الأول | لله أدر عصابة نادتهم         | ومنها |
| لا يسألون عن السواد المقبل    | يفشون حتى ما نهر كلاهم       | ومنها |
| بردى يصفق بالرحيق السلسله     | يسقون من وِزْدَ البريس عليهم |       |
| ثم الأنوف من الطراز الأول     | بيض الوجوه كريمة أحبابهم     |       |
| صبياء صافية كطام الفلفل       | ولقد شربت الخمر في حانوتها   | ومنها |
| فيعاني منها ولو لم أهمل       | يسي على بكأسها متعلق         |       |
| قتلت قتلت فهاتها لم تقتل      | إنت التي ناولتني فرددتها     |       |
| بزجاجة أرهاها للمفصل          | كلناهما حاب العصير فعاطن     |       |

(١) - هكذا في الاصول التي بأيدينا ولم نقف عليه

الكنية لانها لا تستعمل إلا في العلاء وما يجري مجراهم .. وقيل ان في قراءة أبي  
ثم عرضها وفي قراءة عبد الله بن مسعود ثم عرضها وعلى هاتين القراءتين يصلح أن  
تكون عبارة عن الأسماء .. وقد يبقى في هذه الآية سؤال لم نجد أحداً ممن تكلم في تفسير  
القرآن ولا في منشاها ومشكلة تعرض له وهو من مهم ما يسأل عنه .. وذلك أن يقال من  
أين علمت الملائكة عليها السلام لما أخبرها آدم عليه الصلاة والسلام بتلك الأسماء صحة قوله  
ومطابقة الأسماء للمسميات وهي لم تكن طائفة بذلك من قبله اذ لو كانت طائفة لأخبرت  
بالأسماء ولم تعترف بفقد العلم والتكلام يقتضيه لانهم لما أنبأهم آدم عليه الصلاة والسلام  
علموا صحتها ومطابقتها للمسميات ولولا ذلك لم يكن لتو له تعالى ( ألم أقل لكم إني أعلم  
غيب السموات والأرض ) معنى ولا كانوا مستفيدين بذلك نبوته وتمييزه واختصاصه  
بما ليس لهم لان كل ذلك انما يتم مع العلم دون غيره .. الجواب انه غير ممنوع أن  
تكون الملائكة عليها السلام في الأول غير عارفين بتلك الأسماء فلما أنبأهم آدم عليه  
السلام بها فعله الله لهم في الحال العلم الضروري بصحتها ومطابقتها للمسميات لها أما عن  
طريق أو ابتداء بلا طريق فعلوا بذلك تمييزه واختصاصه وليس لأحد أن يقول ان  
ذلك يؤدي الى انهم علموا نبوته اضطراراً وفي هذا منافاة لطريق التكليف وذلك  
انه ليس في علمهم بصحة ما أخبر به ضرورة ما يقتضي العلم بالنبوة ضرورة بل بعلمه  
درجات ومراتب لا بد من الاستدلال عليها ويجري هذا مجرى أن يخبر أحداً نبي بما  
فعل على سبيل التفصيل على وجه تجري به العادة وهو وان كان طائفاً بصدق خبره ضرورة  
لا بد له من الاستدلال فيما بعد على نبوته لان علمه بصدق خبره ليس هو العلم بنبوته  
لكنه طريق يوصل اليها على ترتيب .. ووجه آخر وهو انه لا يتنعق أن يكون للملائكة  
لغات مختلفة فكل قبيل منهم يعرف أسماء الأجناس في لغته دون لغة غيره إلا أن يكون  
احاطة عالم واحد بأسماء الأجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة فلما أراد تعالى التنبية  
على نبوة آدم عليه السلام علمه جميع تلك الأسماء فلما أخبرهم بها علم كل فريق  
مطابقة ما أخبر به من الأسماء للفته وهذا لا يحتاج فيه الى الرجوع الى غيره وعلم مطابقتها  
ذلك لباقي اللغات بخبر كل قبيل ولا شك في ان كل قبيل اذا كانوا كثيرة وخبروا بشيء

يجري هذا الجري علم صحة مخبرهم وإذا أخبر كل قبيل صاحبه علم من ذلك في لغة  
غيره ما علمته من لفته وهذا الجواب يقتضى أن يكون قوله تعالى (أنبؤني بأسماء هؤلاء)  
أي ليخبرني كل قبيل منكم جميع الأسماء وهذا الجوابان جميعاً مبنيان على أن آدم  
عليه السلام لم يتقدم لهم العلم بنبوته وأن إخباره بالأسماء كان افتتاح معجزاته لأنه لو  
كان نبياً قبل ذلك وكانوا قد علموا بتقدم ظهور معجزاتٍ على يده لم يحتج إلى هذين  
الجوابين معاً لأنهم يعلمون إذا كان الحال هذه مطابقة الأسماء للمسميات بعد أن لم  
يلموا ذلك بقوله الذي قد أمتوا به فيه غير الصدق وهذا لمن تأمله بين بحمد الله  
٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه رأيت قوماً ممن تكلم على معاني الشعر يذكرون  
في بيت حسان بن ثابت

لَمْ تَفْتَحْ شَمْسُ النَّهَارِ بِشَيْءٍ غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ لَيْسَ يَدُومُ<sup>(١)</sup>

ان المراد به الاعتذار من كبرها وعلو سنّها فكانه قال - لم تفتح شمس النهار بشيء -  
انها كبيرة طاعنة في السن وعذرها في ذلك ان الشباب ليس يدوم لأمثالها وهذا الذي

(١) البيت من قصيدته التي قالها بعد وقعة أحد يروي انه دعا قومه ليلا فقال

لهم خشيت أن يدركني أجل قبل أن أصبح فلا ترووها عني ومطلعها

|                             |                          |
|-----------------------------|--------------------------|
| منع النوم بالمسام المدهوم   | وخيال إذا تفور النجوم    |
| من حبيب أصاب قلبك منه       | سقم فهو داخله مكتوم      |
| يال قومي هل يقتل المرء مثلي | واهن البطش والعظام سؤوم  |
| هما المعطر والفراش وبه      | لوها لجسين وحالك منظوم   |
| لو يدب الحولي من ولد الذئب  | ر عليها لأندبها الكولوم  |
| لم تفتح شمس النهار بشيء     | غير أن الشباب ليس يدوم   |
| ان خالي خطيب جارية الجو     | لان عند النعمان حين يقوم |
| وأبي في سميحة القائل النا   | صل يوم التفت عليه الخصوم |
| وأنا الصقر عند باب ابن سلمي | يوم نعمان في الكبول مقوم |

ذكروه ليس بشيء والأشبهه والأولى أن يكون مراد حسان ان شمس النهار لم تقفها  
بشيء غير ان شباهها بما لا يدوم ولا يد من أن ياحقها الهرم الذي لا يلمح الشمس ولم  
يدر انها في الحال كذلك وكيف يريد ما توهموه مع قوله

يَالْقَوْمِ هَلْ يَمُوتُ الْمَرْءُ مِثْلِي      وَاهِنُ الْبَطْنِ وَالْعِظَامِ سَوَوْمُ  
شَأْنُهَا الْمِطْرُ وَالْفِرَاشُ وَبَيْتُهَا      لَوْهَا لُجَيْنٌ وَلَوْ لَوْ مَنْظُومُ  
لَوْ يَدِبُ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذِّبِّ      رِعَالِيهَا لِأَنْدَبَتِهَا الْكَلُومُ<sup>(١)</sup>

وهذه الأوصاف لا تليق لمن طعن في السن من النساء ولا يوصف بنتها إلا الصبيان  
والاحداث... ومن المعجائب ان هذا الاستخراج على ركاكته مسند الى الأسمي وما  
أولى من يكون نتيجة تغلغله ونمرة توصله مثله هذه النمرة بالاضراب عن استخراج  
المعاني والبحث عنها... وبما فسره أصحاب المعاني على وجهه وهو بغيره أشبه وأقله الأحوال  
أن يكون محتملاً للأمرين ولا يقتصر على أحدهما قول الخنساء

يَا صَخْرُ وَرَادَ مَاءٌ قَدْ تَنَادَرَهُ      أَهْلُ الْمَوَارِدِ مَا فِي وَرْدِهِ هَارُ

|  |                                       |
|--|---------------------------------------|
| وَأَبِيَّ وَوَأَقْدَ أَطْلَقَا لِي       | حِينَ رَحْنَا وَكَبَلِمُ عَطُومُ      |
| وَرَهْنَتِ الْيَدَيْنِ عَنْهُنَّ جِيْمًا | كُلُّ كَفِّ فَيْهَا جَزٌّ مَقْسُومُ   |
| وَسَطَتِ نَسَبِي الذَّوَابِ مِنْهُنَّ    | كُلُّ دَارٍ فِيهَا أَبٌ لِي عَظِيمُ   |
| رَبِّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا     | لِ وَجْهٍ غَطَا عَلَيْهِ التَّعِيمُ   |
| مَا بَالِي أَبٌ بِالْحَزْنِ نَيْسُ       | أُمُّ لِحَانِي بَطْهَرُ غَيْبِ لَيْمِ |
| تِلْكَ أَفْعَالُنَا وَقَعَلُ الزَّرِيمِ  | خَامِلٌ فِي صَدِيقِهِ مَذْمُومُ       |
| وَلِي الْبَأْسُ مِنْهُمْ إِذْ حَضَرْتُمْ | أَسْرَةً مِنْ ذُرَى قَصِي صَيْمِ      |
| تَسْعَةً تَحْمَلُ الْمَوَاءَ وَطَارَتْ   | فِي رِطَاحٍ مِنَ التَّنَا مَخْزُومِ   |

(١) يقول لو يدب الصغير من ولد الذر على جلدها لا أثر فيه وجرحه ولم يرد  
بالحولي ما أتى عليه حول ولكن جعله في صفره كالحولي من ولد الحافر والخلف

لأنهم يقولون مرادها بالبيت ما في ترك ورده مار ويظنون أنه متى لم يحمل على ذلك لم يكن له فائدة ولا فيه مدح ويجرونه مجرى قول المرقش

لَيْسَ عَلَى طُولِ الْحَيَاةِ نَدَمٌ      وَمِنْ وَرَاءِ الْمَرْءِ مَا يَلْمُ<sup>(١)</sup>

وليس الأمر كما ظنوه لأنه محتمل أن يريد أنه لا عار في ورده على ظاهر الكلام والفائدة فيه ظاهرة لأن البيت وإن تضمن ذكر ورود الماء فهو كناية عن ركوب الأمور العظيمة الصعاب التي من جعلتها لإيراد الماء غلبة وقهراً فكأنها قالت أنك تورده ماء قد تناذره الناس وتركب أمراً صعباً قد نكل عنه الخلق ولك بذلك حظ الشجاعة والبسالة ومع ذلك فلا عار عليك في ركوبه لأنه ربما فعل الإنسان فعلاً يجوز به أكثر الحظ من الشجاعة وإن لحقه بعض العار من قطيعة رحمٍ أو نكث عهدٍ أو ماجرى ذلك المجرى

(١) قوله - ليس على طول الحياة - الخ . . . قال الأصمعي أراد ليس على فوت طول الحياة ندم . . . وقوله - ومن وراء المرء ما يلم - يقول من عمل شيئاً وجده ووراء هنا أمام من الاضداد قال الله جل ذكره ( ومن وراءه عذاب غليظ ) وقال الشاعر

أبرجو بنومروان سمي وطاهق      وقومى تيمم والفلاة وراثيا

أي امامي . . . قال أبو عبيدة ومنه قول الله عز وجل ( وكان وراءهم ملك ) أي امامهم هذا قول أبي بكرمة . . . وقال غيره ومن وراء المرء ما يعلم أي الحرم والكبر والضعف وكثرة العلة . . . والبيت للمرقش الأكبر واسمه عوف بن سعد وهو عم الأصغر والأصغر عم طرفة بن العبد وهو من قصيدة مطلعها

|                         |                       |
|-------------------------|-----------------------|
| هل بالديار أن نجيب سم   | لو كان رسم ناطقاً كلم |
| الدار قفر والرسوم كما   | رقت في ظهر الأديم قلم |
| ديار أسماه التي نبت     | قلبي فعين ماؤها يسجم  |
| أضحت خلاه نبتها ثد      | نور فيها زهوها قاعم   |
| بل هل شجنتك الظعن بأكرة | كأنهن النخل من ملهم   |
| الشر مسك والوجوه دنا    | نير وأطراف البنان عنم |

فكانت نبت عن فعله وجوه العار وليس يجري هذا مجرى قول المرقش - ليس على طول الحياة ندم - لان البيت متى لم يحمل على ان المراد به ليس على قوت طول الحياة ندم لم يقد شيئاً وقد يتنا فائدة قول الخلساء اذا كان المراد ما ذكرناه

### ﴿ مجلس آخر ٥٦ ﴾

[ تأويل آية ] ٥٥ إن سأل سائل عن قوله تعالى ( وأسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أن يجعلنا من دون الرحمن ) الآية ٥٥ الجواب قد ذكر في هذه الآية وجوه ٥٥ أولها أن يكون المعنى وأسأل أتباع من أرسلنا قبلك من رسلنا ويجرى ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم والشعر زهير يريدون السخاء سخاء حاتم والشعر شعر زهير وأقاموا حاتم مقام السخاء المضاف إليه وقوله تعالى ( ولكن البر من آمن بالله ) ومثله قول الشاعر لهم مجلس صهب السبيل أذلة سواسية أحرارها وعبيدها<sup>(١)</sup>

والمأمور بالسؤال في ظاهر الكلام النبي عليه الصلاة والسلام وهو في المعنى لانه لانه عليه الصلاة والسلام لا يحتاج الى السؤال لكنه خوطب بخطاب آمنه كما قال تعالى ( المرص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه ) فأفرد الله تعالى بالمخاطبة ثم رجع الى خطاب آمنه فقال ( اتبعوا ما أنزل اليكم ) ( فلا يكن في صدرك حرج ) وفي موضع آخر ( يا أيها الذين اتق الله ) الآية فخاطبه عليه الصلاة والسلام والمعنى لآمنه لانه بين بقوله تعالى ( ان الله كان بما تعملون خبيراً ) ٥٥ وقال تعالى ( يا أيها النبي اذا طلقتم النساء ) فوجد وجمع في موضع واحد وذلك للمعنى الذي ذكرناه

( ١ ) أي لهم أهل مجلس - وصهب - جمع أصهب أي في سبابهم صهبة وهي حمرة أو شقرة في الشعر - والسبيل - بالكسر جمع سيلة بالتحريك وهي الدائرة في وسط الشفة العليا أو ماعلى الشارب من الشعر أو طرفه أو مجتمع الشاربين أو ماعلى الذقن الى طرف الاحبة كلها أو مقدمها خاصة ويقال للأعداء صهب السبيل - وأذلة - جمع ذليل - وسواسية - مستوون

إلى السِّراجِ المُنِيرِ أَحْمَدَ لَا تَعْدِلْنِي رَغْبَةً وَلَا رَهْبًا  
عنه إلى غَيْرِهِ وَلَوْ رَفَعَ النَّاسُ إِلَى العُيُونِ وَارْتَقَبُوا  
لَوْ قِيلَ أَفْرَطْتَ بَلْ قَصَدْتَ وَلَوْ عَنَّفَنِي القَائِلُونَ أَوْ تَلَبَّوْا  
لِحْجَةً بِتَعْضِيكَ اللِّسَانَ وَلَوْ أَكْثَرَ فَيْكَ الضُّجَاجُ واللُّجْبُ  
أَنْتَ المُصَفَّى المَحْضُ المُهَذَّبُ فِي التَّشْبِيهِ إِنْ نَهَضَ قَوْمُكَ النَّسَبُ

فظاهر الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام والمقصود به أهل بيته عليهم الصلاة والسلام لان أحداً من المسلمين لا يمتنع من تعضيه عليه الصلاة والسلام والاطناب في وصف فضائله ومناقبه ولا يعنف في ذلك أحد وإنما أراد الكميت وان أكثر في أهل بيته وذريته عليهم الصلاة والسلام الضجاج واللجب والتعريف فوجه القول اليه عليه الصلاة والسلام والمراد غيره وبذلك وجه صحيح وهو ان المراد بوالانهم الانحياز اليهم والاقطاع الي حبيبنا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المقصود بجميع ذلك جاز أن يخرج الكميت الكلام هذا المخرج ويضمه هذا الموضع ٠٠ وقد قيل ان المراد بتابع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين أمر بمآلتهم أهل الكتاب كعبد الله ابن سلام ونظرائه ولا يمتنع على هذا الجواب أن يكون هو عليه الصلاة والسلام الأمور بالمشكلة على الحقيقة كما يقتضيه ظاهر الخطاب وان لم يكن شاكفا في ذلك ولا مرتاباً به ويكون الوجه فيه تقرير أهل الكتاب به وإقامة الحججة عليهم باعترافهم أو لان بعض مشركي العرب أنكروا أن تكون كتب الله المتقدمة وأنبياءه الآتون بها دعوا الي التوحيد فأمر عليه الصلاة والسلام بتقرير أهل الكتاب بذلك لتزول الشبهة عن اعترضته الشبهة ٠٠ والجواب الثاني أن يكون السؤال متوجهاً اليه عليه الصلاة والسلام خاصة دون أمته والمعنى اذا لقيت النبيين في السماء فسألهم عن ذلك لان الرواية قد وردت بأنه عليه الصلاة والسلام لقي النبيين في السماء فسلم عليهم وأمهم ولا يكون أمره تعالى بالسؤال لانه كان

شاك لان مثل ذلك لا يجوز عليه الشك فيه لكن لبعض المصالح الرجعة الى الدين إما  
 لشيء يخصه عليه الصلاة والسلام أو يتعلق ببعض الملائكة الذين يستمعون ما يجري بينه  
 وبين النبيين من سؤال وجواب .. والجواب الثالث ما أجاب به ابن قتيبة وهو ان المعنى  
 واسأل من أرسلنا اليه قبلك رسلا من رسلنا يعني أهل الكتاب وهذا الجواب وان كان  
 يوافق في المعنى الجواب الأول فيبينها خلاف في تقدير الكلام وكيفية تأويله فلهاذا صار  
 مفترقين وقد رد على ابن قتيبة هذا الجواب وقيل انه خطأ في الاعراب لان لفظة اليه  
 لا يصح اضارها في مثل هذا الموضع لانهم لا يجوزون الذي جلست عبد الله على معنى  
 الذي جلست اليه عبد الله لان اليه حرف منفصل عن الفعل والمنفصل لا يضر فلما  
 كان القائل اذا قال الذي أكرمت إياه عبد الله ولم يجوز أن يضر إياه لانفصاله من الفعل  
 كانت لفظة اليه بمنزلة وكذلك لا يجوز الذي رغبت محمد بمعنى الذي رغبت فيه محمد  
 لان الاضمار انما يحسن في الهاء المتلقة بالفعل كقولهم الذي أكلت طعامك والذي لقبته  
 صديقك معناهما الذي أكلته ولقبته <sup>(١)</sup> وقال الفراء انما حذف الهاء لدلالة الذي عليها

(١) هذا الكلام يحتاج الى تبيين لعدم إيضاح ما تضمنته والحاصل أن العائد  
 المنصوب يجوز حذفه ان كان متصلاً وناصبه فعل أو وصفاً غير صلة الألف واللام  
 فالفعل نحو يعلم ما يسرون وما يعلنون ويجوز في ما هنا أن تكون موصولاً حرفياً قيل  
 وشرط جواز حذف العائد المنصوب أن يكون متعيناً للربط كما مثل فلو كان غير متعين  
 لم يجوز حذفه نحو جاء الذي أكرمته في داره فان العائد أحدهما لا يبينه وفيه نظر عند  
 صاحب التوضيح وشرط الفعل أن يكون تاماً فلا يجوز جاء الذي كانه زيد على الأصح  
 ومثال الوصف قوله

ما لله مولىك فضل فاحمدنه به فالذي غيره نفع ولا ضرر

بخلاف جاء الذي إياه أكرمت لانه منفصل وحذفه يوقع في إلباسه بالمتصل ومفوت لما  
 قصد به من التخصيص وانما حذف منفصلاً من قوله سبحانه وتعالى ( وما رزقناهم  
 ينفقون ) والأصل رزقناهم إياه لان تقديره متصلاً يلزم منه اتحاد الضميرين المتحديين

وقال غيره في حذفها غير ذلك وكل هذا ليس مما تقدم في شيء فصح ان جواب ابن  
قتيبة مستضعف والمعتمد ما تقدم

آخر الجزء الثالث من كتاب أمالي السيد المرتضى . . . ويليه  
الجزء الرابع وأوله تأويل خبر . . . والحمد لله أولاً وآخراً  
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الرتبة في ضميري الغيبة وهو قليل وبخلاف جاء الذي انه فاضل أو كأنه أسد لان اسم  
ان وكان المشددين لا يحذف الا شذوذاً وبخلاف جاء في الضاربه زيد لان الوصف صلة  
الألف واللام واسمية ال خفية والضمير اذا كان مذكوراً يدل على اسميتها نصاً فاذا  
حذف فات هذا المعنى وهم بسدد التنصيص على اسميتها

# اعلان

عن كتب جديدة تطلب

(من محل محمد أمين الخانجي السكني وشركاه بالأستانه - ومصر)



كتاب [ الايمان والاسلام ] لشيخ الاسلام نقي الدين أحمد بن تيمية الحبلي

» [ اقتضاء الصراط المستقيم ] » » » »

» [ شرح فقه الاكبر ] لابي منصور المازدي مع شرحه لابي المنتهي الغياوي

» [ مواقع النجوم او مطالع أهلة الاسرار والعلوم ] للشيخ الاكبر محي الدين ابن العربي

» [ المجموع في الفلسفة والحكمة ] للفارابي مع لصوص الكلم شرح فصوص الحكم

لسيد بدر الدين النصائي

» [ المجموع ] للغزالي يشتمل على فيصل التفرقة : ومشكاة الانوار : ورسالة له في

التوحيد والاخلاق : ورسالة له في الوعظ : وتجريد التوحيد لاخيه أحمد الغزالي

» [ تفسير غريب القرآن ] المسمى بزهة القلوب لابي بكر الدجستاني على شكل قاموس

» [ فقه اللغة وسر العربية ] للثعالبي ( طبعه ثانيه ) بقطع صغير يوضع في الجيب

» [ العبد في صناعة الشعر وقده ] لابن رشيق القيرواني جزء ٢

» [ الطرف الاديب لطلاب العلوم العربية ] يشتمل على فصيح ثعلب : وشرحه

لهروي : وذيل الفصيح البغدادي ، وكتاب فعلت وأفعلت للزجاج

» [ مبادئ اللغة العربية ] وشرح أبيات مبادئ اللغة لابن الاسكافي

» [ شفاء الغليل فيما جاء في كلام العرب من الدخيل ] للشهاب الخفاجي

» [ نوار الحقي والمفصلين ] لبعض أدباء العصر

## ﴿ فهرس الجزء الثالث من أمالي السيد المرتضى ﴾

بحينه

( المجلس الواحد والاربعون )

- ٢ تأويل قوله تعالى فأين يذهبون ان هو الا ذكر للعالمين الآية  
 ٣ ردقول المعتزلة في مسألة ارادته تعالى القبايح  
 ٤ عود الي ذكر بعض محاسن شعر مروان بن أبي حفصة وغيره  
 ٨ مفاكمة أدبية

( المجلس الثاني والاربعون الثالث )

- ١٤ تأويل قوله تعالى: أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض الآية  
 ١٤ تأويل قوله تعالى: ما كانوا يستطيعون السمع الآية  
 ١٦ استرواح يذكر شئ من شعر مروان بن أبي حفصة وغيره

( المجلس الثالث والاربعون )

- ٢٥ تأويل قوله تعالى: ما منعك ان لا تسجد اذا أمرتك الآية  
 ٢٦ عود الي ذكر طرف من شعر مروان بن أبي حفصة أيضاً

( المجلس الرابع والاربعون )

- ٣٥ تأويل قوله تعالى: نحن أعلم ما يستمعون به الآية  
 ٣٦ تأويل قوله تعالى: ان تبعون الا رجلا مسحورا  
 ٣٨ استرواح يذكر بعض من المحاسن الشعرية

( المجلس الخامس والاربعون )

- ٤١ تأويل قوله تعالى: كل شئ هالك الا وجهه الآية  
 ٥٠ تأويل قوله تعالى: انما نطمعكم لوجه الله الآية ونحوها  
 ٥٠ استرواح يذكر حكاية أدبية لحمد بن يحيى الصولي وشئ من كلام البحري  
 ٥٢ مفاكمة المتكنتي بالله مع الصولي في محاسن الشيب ومدحه  
 ٥٣ واقعة اسرى التيس مع قيصر الروم

( المجلس السادس والاربعون )

- ٥٩ تأويل قوله تعالى: واذا شكك عبادي عنى فاني قريب الآية  
 ٦١ عود الي ذكر الشيب وما قوله العرب في ذمه

٦٣ قصة اليباق مع الرشيد

٦٣ قصة العتاق معه أيضاً

## ( المجلس السابع والاربعون )

٧٥ تأويل قوله تعالى: هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب الآية

٧٦ عود الى ذم الشيب والتألم من فقد الشباب

٧٧ رد على الأمدى في انتقاده كلام البحترى

٧٩ ذكر بعض مبتكرات من شعر ابن الرومي

## ( المجلس الثامن والاربعون )

٨٥ تأويل قوله تعالى: ليس لك من الاسم شيء الآية

٨٦ تأويل خبر لا تناجشوا ولا تدابروا الحديث

٨٤ ذكر ما ورد في اللغة العربية من معاني العرض

٨٨ استرواح بذكر شيء من شعر قطري بن النجاعة

## ( المجلس التاسع والاربعون )

٩١ تأويل قوله تعالى: وقالت اليهود يد الله مقلولة الآية

٩٣ تأويل خبر لعن الله السارق يسرق البيضة الحديث

٩٥ ذكر معاني البيضة في كلام العرب والاستشهاد عليها

٩٩ استرواح بذكر حكاية لطيفة للإصمعي مع الرشيد

## ( المجلس الحسون )

١٠٥ تأويل قوله تعالى: والله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور

١٠١ منادمة الشعبي والاختطال في مجلس عبد الملك بن مروان

١٥ استطراد لذكر مرية أعشى باهلة وبلاغتها

١١٣ ذكر بعض كلام للاختطال في امتداحه لمعاوية

## ( المجلس الواحد والحسون )

١٢٤ تأويل قوله تعالى: ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الآية

١١٦ استرواح بذكر قول الراعي في وصف الاناث والرماد

## ( المجلس الثاني والحسون )

- ١٢٥ تأويل قوله تعالى: وأذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقره الآية
- ١٢٨ استرواح بذكر بعض كلام المثلي وغيره
- ١٣١ ذكر طرف من محاسن شعر حمارة بن عقيل وغيره
- ( المجلس الثالث والخمسون )
- ١٣٤ تأويل قوله تعالى: لئن بسطت الي يدك لتقتلني الآية
- ١٣٥ شواهد إضافة المصدر الي فاعله ومفعوله
- ١٣٨ تأويل خبر لا يموت لمؤمن ثلاث من الاولاد الحديث
- ١٣٨ تشبيه العرب قلة مكث النبي بحلة الجبين والاستشهاد عايه بكلامهم
- ( المجلس الرابع والخمسون )
- ١٤٢ تأويل قوله تعالى: ثم قست قلوبكم من بعد ذلك الآية
- ١٤٩ استرواح بذكر ما يختار من شعر الأحموس الانصارى
- ( المجلس الخامس والخمسون )
- ١٥٥ تأويل قوله تعالى: وعلم آدم الاسماء كلها الآية
- ١٥٦ تلخيص الجواب في هذا الموضوع
- ١٦١ اشكال غريب في الآية المذكورة والجواب عنه
- ١٦٢ استرواح بذكر شيء من محاسن شعر حسان وغيره
- ( المجلس السادس والخمسون )
- ١٦٥ تأويل قوله تعالى: وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية
- ١٦٥ استطراد لذكر ما غوطب به صلى الله عليه وسلم والمقصود به أمته













